

تَسْهِيلٌ فَهْمٌ

شرح الاعقوبة

ألف أسْئَل وَجَوَابٌ فِي شَرْحِ الْعَقِيدَةِ الطَّحَاوِيَّةِ

لِلْإِمَامِ أَبِي الْعِزِّ الْحَنْفِيِّ

تَأَلَّفَتْ

و. خَالِدُ بْنُ نَاصِرٍ بْنِ عَبْدِ آلِ حُسَيْنٍ الْغَامِدي

عضو هيئة التدريس بكلية أصول الدين

قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

الرياض

بسم الله الرحمن الرحيم

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

الطبعة الثالثة

١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م

يطلب من المؤلف:

الرياض: ٢٧٨١٦٩٧ - ٠١

جوال: ٦٧٧٦٩٣٦ - ٠٥

مقدمة الطبعة الثالثة بسم الله الرحمن الرحيم



الحمد لله وكفى وصلاة وسلاماً على عباده الذين اصطفى وبعد:

فقد اتصل بي بعض طلبة العلم ممن درستهم في البلاد الأفريقية - بحكم عملي كرئيس للقسم الجامعي في موريتانيا - وأخبرني هؤلاء الإخوة أنهم رأوا الكتاب في مكتبات بلادهم، وطلبوا نسخاً منها، فحمدت الله تعالى على وصوله لتلك الأصقاع البعيدة، مع عدم وجود الموزع الموصل لتلك البلدان، ولعل هذا من القبول الذي وضعه المولى جلّ وعلا لهذا الجهد المتواضع، وبمناسبة صدور الطبعة الثالثة فإني أطلب إلى القارئ الكريم أن يتواصل معي عند وجود أي ملحوظة على الكتاب أو خطأ مطبعي أو ما شابه. سائلاً الله التوفيق والسداد، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

الرياض

الجمعة ١٤/١٠/١٤٢٥هـ



مقدمة الطبعة الثانية بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا محمد
وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد:

فمن نعم الله الكثيرة التي منَّ بها عليَّ أن هذا الكتاب لقي قبولاً لدى
شريحة كبيرة من طلبة العلم، وقد هاتفني بعضهم وأرسل إليَّ آخرون ولقيني
كثيرون يسددون ويشنون على هذا الجهد المتواضع. وإني بمناسبة صدور
الطبعة الثانية أشكر كل هؤلاء الأشياخ والزملاء والطلاب، وأسأل الله أن
يجعل هذا العمل في موازين حسناتنا يوم إن نلقى الله، كما أنني أهدي هذا
الجهد المبارك إلى من عناهم الإمام ابن المبارك بقوله:

يا عابد الحرمين لو أبصرتنا لعلمت أنك بالعبادة تلعب

أهل الثغور والرباط في فلسطين وفوق كل أرض وتحت كل سماء،
وصلى الله وسلم على محمد وآله وصحبه.

الرياض

الجمعة ١٤٢٤/٣/٥هـ

التمهيد

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فهو المهتد، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً، وأشهد أن لا إله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

وبعد، فهذا عمل متواضع، وإسهام بسيط، في تسهيل فهم شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي يرحمه الله. وقد عني الباحثون بهذا الشرح المفيد، كون شارحه سلفي المعتقد، آخذاً بالأثر، ملتزماً بالمنهج السلفي الوسطي، وقد شرح المتن الذي كتبه الإمام محمد بن سلمة الأزدي الطحاوي، على معتقد أهل السنة والجماعة، رحمهم الله تعالى.

فطبع هذا الشرح، وحقق مرات عدة، واختصر شرحه، ورُتب على أركان الإيمان، كما رتب في نقاط - من بعضهم - ولم يراعَ في ذلك ترتيب الشارح الذي سار عليه، وكل هذا من فعل الخير والبر، في سبيل إيصال الفهم الصحيح لهذه العقيدة السلفية التي سار عليها أئمة الإسلام من الصحابة والتابعين ومن تبعهم إلى يومنا هذا، وكل له اجتهاده في الترتيب والتنظيم الذي لا يخل بأصل الكتاب، ولا يخل بما فيه من تأصيل شرعي لمعتقد أهل السنة والجماعة، ولذا كان هذا العمل المتواضع إسهاماً في هذا الباب، راجياً أن أوفق فيه، وأن يفي بالغرض الذي وضع من أجله.

وقد نهجت في هذا الكتاب النهج الآتي:

١ - طريقة السؤال والجواب، بشكل مباشر، لأنها في رأيي طريقة

ناجحة تسهل وصول المعلومة بوضوح تام لذهن طالب العلم، وتزيل عنه التشبث الذي يواجهه البعض، نظراً لطول الشرح، وكثرة الاستطرادات من شارحه رحمه الله، وتداخل مباحثه العقدية في بعضها، وتقدم بعضها على بعض، في غير مواضعها، وتأخر بعضها، وكأن الأولى تقديمه في موضعه.

٢ - أما الحكم على الأحاديث، فلم أوضح منها إلا ما كان إسناده ضعيفاً، فأشير إليه إشارة عابرة في الهامش أو المتن، لأن هذا قد خدم من غيري، فأثرت أن لا أطيل به حجم هذا التسهيل.

٣ - وأما المصطلحات الكلامية التي وردت في كلام الشارح، كالجوهر والعرض، والماهية. إلخ، فقد بذلت وسعي في التعريف بها تعريفاً مختصراً في الهامش.

٤ - وقد سلكت طريقة النقاط في تبيان كلام الشارح، فجعلت كلامه في نقاط مرقمة ليسهل استحضارها قدر المستطاع، كما اجتهدت في جعل هذا الكتاب في فصول جامعة لأهم مسائل العقيدة.

٥ - مما يميز هذا التسهيل أنه على أبواب وفصول الطحاوية ذاتها، لم يتغير فيها شيء من الترتيب، ليسهل استذكاره على طريقة المتن وشرحه التي وضعها الإمام الطحاوي، ومن بعده ابن أبي العز في شرحه، رحمه الله.

وأولاً وآخرأ أشكر الله الذي منّ علي بتأليف هذا التسهيل - وهو جهد متواضع - أقدمه بين يدي طلبة العلم عسى أن ينفع الله به، كما أشكر والدي الكريم الشيخ ناصر بن سعيد الغامدي، الذي شجعني في طلب العلم الشرعي وبذل لي ما يستطيع في هذا السبيل، كما شجعني في تأليف هذا الكتاب بعد عرضه عليه، فجزاه الله خير الجزاء، كما أشكر أخي وشقيقي الأكبر الشيخ سعيد بن ناصر الغامدي، الذي أفادني بتوجيهاته العلمية القيمة، في حياتي العلمية، ولا يفوتني أن أشكر كل من أعانني فيه بأي نوع من الإعانة. والله أسأل أن يتقبل هذا العمل، وأن يجعله خالصاً لوجهه، وإن يكن صواباً فمن

الله، وإن يكن خطأ فمن نفسي الأمانة بالسوء، ومن الشيطان. وآخر دعوانا
أن الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله
وصحبه الطيبين الطاهرين.

كتبه: أبو عبد الله خالد بن ناصر بن سعيد

آل حسين الغامدي

سامحه الله

أبها

في يوم الجمعة المبارك

١٦/١٠/١٤١٨هـ ١٣/٢/١٩٩٨ م

الفصل الأول

المقدمة

المقدمة

(س ١:) من هو مؤلف كتاب الطحاوية؟ ومتى ولد، ومتى كانت وفاته؟.

(ج:) مؤلف كتاب العقيدة الطحاوية؛ هو الإمام أبو جعفر أحمد بن محمد بن جعفر بن سلامة الأزدي الطحاوي، ولد سنة ٢٣١هـ وتوفي سنة ٣٢١هـ.

(س ٢:) على من يجب الإيمان المجمل؟ وهل يجب على كل أحد معرفة ما جاء به الرسول على التفصيل؟.

(ج:) يجب على كل أحد أن يؤمن بما جاء به الرسول ﷺ إيماناً عاماً مجملاً، ولا ريب أن معرفة ما جاء به الرسول على التفصيل فرض على الكفاية، فإن ذلك داخل في تبليغ ما بعث الله به رسوله، من تدبر للقرآن، وأمر بمعروف ونهي عن منكر ومجادلة بالتي هي أحسن، ونحو ذلك مما أوجبه الله على المؤمنين، فهو واجب على الكفاية منهم.

ويجب على من سمع النصوص وفهمها، من علم التفصيل ما لا يجب على من لم يسمعها، ويجب على المفتي والمحدث والحاكم ما لا يجب على من ليس كذلك.

(س ٣:) ما سبب الضلال في باب العقائد والعجز عن معرفة الحق؟.

(ج:) ينبغي أن يعرف أن عامة من ضل في هذا الباب، أو عجز فيه عن

معرفة الحق؛ فإنما هو لتفريطه في اتباع ما جاء به الرسول ﷺ، وترك النظر والاستدلال الموصول إلى معرفته، فلما أعرضوا عن كتاب الله ضلوا، كما قال تعالى : ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَىٰ﴾ (١٢٤) قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا (١٢٥) قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ ءَاتَيْنَا فَنَسِينَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ نُنْسِي (١٢٦) .

س ٤ : المؤمنون بحاجة إلى إيضاح الأدلة الشرعية ودفع الشبه الواردة، وضع ذلك؟.

ج : لأنه كلما بعد العهد ظهرت البدع، وكثر التحريف الذي سماه أهله تأويلاً؛ ليُقبل، وقلٌ من يهتدي إلى الفرق بين التحريف والتأويل، إذ قد سُمي صرف الكلام عن ظاهره إلى معنى آخر يحتمله اللفظ في الجملة تأويلاً، وإن لم يكن ثمة قرينة توجب ذلك، ومن هنا حصل الفساد، فإذا سماه تأويلاً، قبل وراج على من لا يهتدي إلى الفرق بينهما.

فاحتاج المؤمنون بعد ذلك إلى إيضاح الأدلة، ودفع الشبه الواردة عليها.

س ٥ : ما سبب دروس وذهاب كثير من علم الرسالة؟.

ج : ١ - سببه جهل وضلال وتفريط كثير من المتكلمة والمتفلسفة الذين يقولون: إنما نريد التوفيق بين العقليات - وهي في الحقيقة جهليات - والنقليات عن الرسول ﷺ، أو نريد التوفيق بين الشريعة والفلسفة.

٢ - وكما يقوله كثير من المبتدعة من المتنسكة والمتصوفة: إنما نريد الإحسان والتوفيق بين الشريعة وبين ما يدعونه من الباطل الذي يسمونه: حقائق وهي جهل وضلال.

٣ - عدوان وجهل ونفاق كثير من المملكة والمتأمرة، الذين يقولون: إنما نريد الإحسان بالسياسة الحسنة، والتوفيق بينها وبين الشريعة.

س ٦: هل لك أن تعطينا بعض النقول عن بعض أئمة السلف في ذم علم الكلام؟.

ج: نعم ومن ذلك:

* قول أبي يوسف لبشر المريسي: العلم بالكلام هو الجهل، والجهل بالكلام هو العلم، وإذا صار الرجل رأساً في الكلام، قيل: زنديق، أو رمي بالزندقة.

* وعنه أيضاً أنه قال: من طلب العلم بالكلام؛ تزندق، ومن طلب المال بالكيما؛ أفلس، ومن طلب غريب الحديث؛ كُذِب.

* وقال الإمام الشافعي: حكمي في أهل الكلام أن يضربوا بالجريد والنعال، ويطاف بهم في العشائر والقبائل، ويقال: هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة وأقبل على الكلام.

* وقال أيضاً رحمه الله تعالى:

كل العلوم سوى القرآن مشغلة إلا الحديث وإلا الفقه في الدين العلم ما كان فيه قال حدثنا وما سوى ذلك وسواس الشياطين قيل: "إن طريقة السلف أسلم، وإن طريقتنا أحكم وأعلم" فما جوابك؟.

ج: هذا القول قاله ضلال المتكلمين وجهلتهم، كما يقوله من لم يقدرهم قدرهم من المنتسبين إلى الفقه: "إن المتأخرين أفقه منهم، لأنهم لم يفرغوا لاستنباطه وضبط قواعده وأحكامه اشتغالاً منهم بغيره، فهم أفقه!!".

وكل هؤلاء محجوبون عن معرفة مقادير السلف، وعمق علومهم وقلة تكلفهم، وكمال بصائرهم. وتالله ما امتاز عنهم المتأخرون إلا بالتكلف والاشتغال بالأطراف، التي كانت همة القوم (السلف) مراعاة أصولها، وضبط قواعدها، وشد معاقدها، وهمهم مشمرة إلى المطالب العالية في كل شيء، فالتأخرون في شأن والقوم في شأن آخر.

س ٨: لماذا كره السلف التكلم بالجواهر^(١) والجسم^(٢) والعَرَض^(٣)؟.

ج: كره السلف التكلم بها لاشتغالها على أمور كاذبة مخالفة للحق، ومن ذلك مخالفتها للكتاب والسنة.

ولهذا لا تجد عند أهلها من اليقين والمعرفة ما عند عوام المؤمنين فضلاً عن علمائهم.

س ٩: من هو شارح متن العقيدة الطحاوية، ولماذا شرحها؟.

ج: شرح هذه العقيدة غير واحد من العلماء، ولكن الشارح رأى بعض الشارحين قد أصغى إلى أهل الكلام المذموم، واستمد منهم وتكلم بعباراتهم. ولذا شرحها الإمام القاضي، علي بن محمد بن أبي العزّ الدمشقي، الذي يقول:

"وقد أحببت أن أشرحها سالكاً طريق السلف في عباراتهم، وأنسج على منوالهم، متطفلاً عليهم، لعلني أنظم في سلوكهم، وأدخل في عدادهم، وأحشر في زمرتهم...".



(١) الجوهر: هو الجزء الذي لا يتجزأ ولا يقبل الانقسام، وهو لفظ محدث مبتدع لا أصل له في الشرع، قالت به الفلاسفة والمعتزلة، ومرادهم بذلك نفي صفات الرب تعالى.

(٢) الجسم: جوهر قابل للأبعاد الثلاثة، وقيل: الجسم هو المركب من الجواهر. (التعريفات للجرجاني، ص ٤١)

(٣) العَرَض: هو ما يقابل الجوهر، ويطلق أيضاً على الكلي المحمول على الشئ الخارج عنه، ويسمى عرضاً، ويقابله الذاتي. أو هو ما يعرض في الجوهر مثل الألوان والطعوم والذوق واللمس وغيره مما يستحيل بقاءه بعد وجوده.

أو هو الموجود الذي يحتاج في بقاءه إلى موضع - أي محل - يقوم به كاللون المحتاج في وجوده إلى جسم يحمله ويقوم به.

الفصل الثاني

أنواع التوحيد

أنواع التوحيد

س ١٠: ما هي أول دعوة الرسل؟.

ج: اعلم أن التوحيد أول دعوة الرسل، وأول منازل الطريق، وأول مقام يقوم فيه السالك إلى الله ﷻ. وجميع الرسل دعوا أقوامهم إلى التوحيد وعبادة الله وحده.

س ١١: ما أول واجب على المكلف؟ ومن الذي خالف أهل السنة في ذلك؟.

ج: أول واجب على المكلف؛ شهادة أن لا إله إلا الله، كما قال تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾.

وخالف في ذلك أرباب الكلام المذموم فقالوا: أول واجب النظر، وقال آخرون: بل القصد إلى النظر، وغلا آخرون فقالوا: بل الشك أول واجب. وأئمة السلف كلهم متفقون على أن أول ما يؤمر به العبد؛ الشهادتان، فالتوحيد أول ما يدخل به في الإسلام، وآخر ما يخرج به من الدنيا.

س ١٢: ما حكم من صلى ولم يتكلم بالشهادتين، أو أتى بغير ذلك من خصائص الإسلام، ولم يتكلم بهما، هل يصير مسلماً أم لا؟.

ج: قال الشارح: الصحيح أنه يصير مسلماً بكل ما هو من خصائص الإسلام.

س ١٣: ما أنواع التوحيد؟.

(ج:) توحيد الربوبية: وهو اعتقاد أن الله تعالى خالق كل شيء ومدبر كل شيء .
توحيد الأسماء والصفات: وهو اعتقاد أن الله واحد في أسمائه وصفاته .
توحيد الإلهية: وهو اعتقاد أن الله واحد لا شريك له، وعبادته وحده لا شريك له .

س ١٤: اذكر ما يضاد أنواع التوحيد الآتية الذكر؟ .

(ج:) توحيد الربوبية: يضاده أن يعتقد أن لهذا العالم خالقان متكافآن في الصفات والأفعال، وهذا التوحيد حق لا ريب فيه، وهو الغاية عند كثير من أهل النظر والكلام وطائفة من الصوفية . وهذا التوحيد لم يذهب إلى نقيضه طائفة معروفة من بني آدم بل القلوب مفطورة على الإقرار به . وممن وقع في الشرك بالربوبية: المجوس الذين زعموا أن للشر خالقاً غير الله، ومنهم فرعون الذي زعم أنه الله وأنكر الإله الحق .

توحيد الأسماء والصفات: يضاده نفي هذه الصفات، أو وصف الخلق ببعض صفات الله تعالى؛ ونفاة الصفات أدخلوا نفي الصفات في مسمى التوحيد .
توحيد الألوهية: ويضاده، عبادة غير الله، أو صرف أي نوع من أنواع العبودية لغيره تعالى؛ كالدعاء، والخوف، والرجاء، والنذر، والذبح والاستغاثة... إلخ .

س ١٥: ما شبهة المعتزلة وجهم بن صفوان في إنكار الصفات؟ وماذا جنى هؤلاء بهذا القول؟ .

(ج:) شبهتهم في نفي الصفات، أنهم قالوا: إثبات الصفات يستلزم تعدد الواجب (الخالق)، وهذا القول معلوم الفساد بالضرورة؛ فإن إثبات ذات مجردة عن جميع الصفات لا يتصور لها وجود في الخارج، وإنما الذهن قد يفرض المحال ويتخيله وهذا غاية التعطيل .

وهذا القول قد أفضى بقوم إلى القول بالحلول^(١)

(١) الحلول: لفظ حادث فاسد المعنى والمغزى، وزعم الحلوليون أن الله حل في شئ من مخلوقاته، والحلول عندهم عبارة عن كون أحد الجسمين ظرفاً للآخر أو هو اتحاد الجسمين =

والاتحاد^(١) وهو أقبح من كفر النصارى؛ فإن النصارى خصوه بالمسيح، وهؤلاء عموا جميع المخلوقات.

س ١٦: بين الشارح رحمه الله، توحيد المعتزلة (إنكار الصفات)، وماذا جنى على أهله، ثم ذكر فروعاً لهذا التوحيد، عند من غلا فيه، فما هي؟.

ج: ١ - من فروع هذا التوحيد: أن فرعون وقومه، كاملو الإيمان، عارفون بالله على الحقيقة.

٢ - ومن فروعه: أن عباد الأصنام على الحق والصواب، وأنهم إنما عبدوا الله لا غيره.

٣ - ومن فروعه: أنه لا فرق في التحليل والتحريم بين الأم والأخت والأجنبية، ولا فرق بين الماء والخمر، والزنى والنكاح، الكل من عين واحدة، لا بل هو العين الواحدة.

٤ - ومن فروعه: أن الأنبياء ضيقوا على الناس، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

س ١٧: من أشهر من عرف تجاهله بإنكار الخالق، ولم؟.

ج: أشهر من عرف بذلك؛ نمرود وفرعون، فالأول حكى الله قصته في سورة البقرة والثاني في مواضع عدة من القرآن، وقد كانا مستيقنين به في الباطن، كما قال موسى عليه السلام: ﴿قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ﴾.

= ببعضهما، كالماء في الورد. وهذه عقيدة فاسدة باطلة وكفر بالله وتكذيب لأدلة الشرع ومخالفة لأدلة العقل والفطرة التي تدل على أن الله عالٍ على عرشه فوق سماواته. انظر (معجم المصطلحات الصوفية، ص: ٧٧) و(مجموع فتاوى شيخ الإسلام ٣/٣٠، ٣٤).

(١) الاتحاد: ويسمون أهل الوحدة؛ ويزعمون أن الله حل في شئ من مخلوقاته، والحلول عندهم عبارة عن كون أحد الجسمين ظرفاً للآخر أو هو اتحاد الجسمين ببعضهما، كالماء في الورد، وهذه عقيدة فاسدة باطلة وكفر بالله وتكذيب لأدلة الشرع ومخالفة لأدلة العقل والفطرة التي تدل على أن الله عالٍ على عرشه فوق سماواته. انظر (معجم المصطلحات الصوفية، ص: ٧٧) و(مجموع فتاوى شيخ الإسلام ٣/٣٠، ٣٤).

وقال تعالى عنه وعن قومه: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾.

ولهذا قال: وما رب العالمين؟ على وجه الإنكار له تجاهل العارف، قال له موسى:

﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنَّ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (٢٤) قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْمَعُونَ (٢٥) قَالَ رَبُّكُمْ رَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ (٢٦) قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ (٢٧) قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنَّ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿ (٢٨).

س ١٨: هل يصح قول من قال: أن فرعون سأل موسى مستفهماً عن الماهية^(١) في الآيات الأتفة الذكر؟.

ج: زعمت طائفة أن فرعون سأل موسى مستفهماً عن الماهية، وأن المسؤول عنه لما لم تكن له ماهية، عجز موسى عن الجواب، وهذا غلط، وإنما هذا استفهام إنكار وجحد، كما دل سائر آيات القرآن، على أن فرعون كان جاحداً لله، نافياً له، لم يكن طالباً للعلم بماهيته. فلهذا بين لهم موسى، أنه معروف، وأن آياته ودلائل ربوبيته أظهر وأشهر من أن يسأل عنه بما هو؟ بل هو سبحانه أعرف وأظهر وأبين من أن يجهل؛ بل معرفته مستقرة في الفطر أعظم من كل معروف.

س ١٩: هل عرف عن أحد من الطوائف أنه قال: إن العالم له خالقان متمائلان في الصفات والأفعال؟ وعلام يدل هذا؟.

ج: لم يعرف عن أحد من الطوائف أنه قال: إن العالم له صانعان متمائلان في الصفات والأفعال.

فإن الثنوية من المجوس، والمانوية^(٢) - القائلين بالنور والظلمة، وأن

(١) الماهية: ماهية الشيء؛ أساسه وحقيقته وجوهره، وتطلق غالباً على الأمر المتعقل من الإنسان، وهي أنواع.

(٢) المانوية: هم من الثنوية، ينسبون لمؤسسها ماني بن فاتك، ويقولون: إن مبدأ العالم شيثان؛ الأول: نور، والثاني: ظلمة، فالنور هو العظيم الأول وهو الإله الحق، والظلمة تختص بما هو شر وهلاك.

العالم صدر عنهما - متفقون على أن النور خير من الظلمة، وهو الإله المحمود، وأن الظلمة شريرة مذمومة، وهم متنازعون في الظلمة هل هي قديمة أو محدثة؟ فلم يثبتوا ريبين متماثلين.

وأما النصارى القائلون بالتثليث، فإنهم لم يثبتوا للعالم ثلاثة أرباب ينفصل بعضهم عن بعض، بل هم متفقون على أن صانع العالم واحد، ويقولون: باسم الأب والابن وروح القدس إله واحد. وعلى اختلافهم في تعيينه وفي التعبير عنه، فإنهم يقولون: هو واحد بالذات، ثلاثة بالأقنوم، ثم يختلفون في ماهية الأقنوم.

وقد فطر الله العباد على فساد هذه الأقوال بعد التصور التام، وفي الجملة فهم لا يقولون بإثبات خالقين متماثلين. فليس في الطوائف من يثبت للعالم صانعين متماثلين.

س ٢٠: ما دليل التمانع عند أهل الكلام والنظر؟ ولماذا يستدلون به؟ وهل يصح ما ذهبوا إليه؟

ج: دليل التمانع عندهم: أنه لو كان للعالم صانعان، فعند اختلافهما (مثل أن يريد أحدهما تحريك جسم، والآخر تسكينه، أو يريد أحدهما إحياء والآخر إماتته).

١ - فإما أن يحصل مرادهما.

٢ - أو مراد أحدهما.

٣ - أو لا يحصل مراد واحد منهما.

فالأول ممتنع؛ لأنه يستلزم الجمع بين الضدين، والثالث ممتنع؛ لأنه يلزم خلو الجسم عن الحركة والسكون، وهو ممتنع، ويستلزم عجز كل واحد منهما، والعاجز لا يكون إلهاً. وإذا حصل مراد أحدهما دون الآخر كان هذا هو الإله القادر، والآخر عاجز لا يصلح للإلهية.

ويستدلون بدليل التمانع على إثبات توحيد الربوبية، وكثير منهم يزعمون أن دليل التمانع هو معنى قوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾. لاعتقادهم أن توحيد الربوبية الذي قرروه هو توحيد الإلهية الذي بينه القرآن

ودعت إليه الرسل عليهم السلام، وليس الأمر كذلك، بل التوحيد الذي دعت إليه الرسل ونزلت به الكتب: هو توحيد الإلهية المتضمن توحيد الربوبية، وهو عبادة الله وحده لا شريك له، فإن المشركين من العرب كانوا يقرون بتوحيد الربوبية، وأن خالق السماوات والأرض واحد، كما أخبر تعالى عنهم بقوله: ﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾. فلم يكونوا يعتقدون أن الأصنام مشاركة لله في خلق العالم، بل كانوا مشركين يتوسلون بهذه الأصنام، ويتخذونهم شفعاء، وهذا كان أصل شرك العرب.

س ٢١: هل لك أن تعطينا بعض الأدلة على أن أصل شرك العرب لم يكن في الربوبية، وإنما كان في الإلهية؟

ج: نعم والأدلة على هذا كثيرة في الكتاب والسنة، ومنها قوله تعالى: ﴿قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (٨٤) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ (٨٥) قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ (٨٦) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا نُنْقِصُ﴾ (٨٧) قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (٨٨) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ﴾ (٨٩). فشركهم كان في توحيد الألوهية، فيما يسمونه وسائط ووسائل تقربهم إلى الله تعالى يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾.

وفي الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال في مرض موته: "لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد" يحذر ما فعلوا، قالت عائشة رضي الله عنها: ولولا ذلك لأبرز قبره، ولكن كره أن يتخذ مسجداً.

س ٢٢: "توحيد الإلهية متضمن لتوحيد الربوبية" أوضح ذلك؟

ج: توحيد الإلهية متضمن لتوحيد الربوبية، دون العكس، فمن لا يقدر على الخلق، يكون عاجزاً، والعاجز لا يكون إلهاً، قال تعالى: ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ (١٩١). فالإقرار بأن الله وحده هو الذي يستحق العبادة، يتضمن الإقرار بأنه وحده الخالق والمحيي والمميت.

أما توحيد الربوبية فلا يتضمن توحيد الإلهية؛ لأنه قد يقر بأن الله هو الخالق وحده والمدير وحده، ثم يعبد من دونه آلهة يزعم أنها تقربه إليه.

س ٢٣: ما دليلك أن التوحيد المطلوب من البشر هو توحيد الإلهية (الذي يتضمن توحيد الربوبية) وأن العباد مفطورون عليه؟.

ج: الأدلة على هذا كثيرة، منها قوله تعالى: ﴿فَأَقْمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَنِينُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٣٠) مُبِينٌ إِلَيْهِ وَآتَقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ .

وقوله تعالى: ﴿إِنِّي اللَّهُ شَكُّ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ .
وقوله ﷺ: "كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه".

وقوله ﷺ فيما يرويه عن ربه: " خلقت عبادي حنفاء فاجتالهم الشياطين".

س ٢٤: ما الأدلة العقلية على صدق ما أخبر به الرسول ﷺ من أن البشر مجبولون على معرفة الله بالفطرة؟.

ج: ١ - أن يقال: لا ريب أن الإنسان قد يحصل له من الاعتقادات والإرادات ما يكون حقاً، وتارة ما يكون باطلاً، وهو حساس متحرك بالإرادة، فلا بد له من أحدهما، ولا بد له من مرجح لأحدهما. ونعلم أنه إذا عرض على كل أحد أن يصدق ويتنفع، وأن يكذب ويتضرر، مال بفطرته إلى أن يصدق ويتنفع، وحينئذٍ فلا اعتراف بوجود الصانع والإيمان به هو الحق أو نقيضه.

والثاني فاسد قطعاً، فتعين الأول؛ فوجب أن يكون في الفطرة ما يقتضي معرفة الصانع والإيمان به. وبعد ذلك: إما أن تكون محبته أنفع للعبد أو لا، والثاني فاسد قطعاً، فوجب أن يكون في فطرته محبة ما ينفعه.

٢ - ومنها: أنه مفطور على جلب المنافع ودفع المضار بحسبه، وحينئذٍ وإن لم تكن فطرة كل واحد مستقلة بتحصيل ذلك، بل يحتاج إلى سبب معين للفطرة، كالتعليم ونحوه، فإذا وجد الشرط وانتفى المانع، استجابت لما فيها من المقتضي لذلك.

٣ - ومنها: أن يقال: من المعلوم أن كل نفس قابلة للعلم وإرادة الحق، ومجرد التعليم والتحضيض لا يوجب العلم والإرادة، لولا أن في النفس قوة تقبل ذلك، وإلا فلو علم الجماد والبهائم لم يقبلا.

ومعلوم أن حصول إقرارها بالصانع ممكن من غير سبب منفصل من خارج، وتكون الذات كافية في ذلك، فإذا كان المقتضي قائماً في النفس، وقد عدم المعارض فالمقتضي السالم عن المعارض يوجب مقتضاه، فعلم أن الفطرة السليمة إذا لم يحصل لها من يفسدها؛ كانت مقرة بالصانع عابدة له.

٤ - ومنها: أن يقال: إنه إذا لم يحصل المفسد الخارج، ولا المصلح الخارج، كانت الفطرة مقتضية للصالح، لأن المقتضي فيها للعلم والإرادة قائم والمانع منتفٍ.

٥ - منها: ما يحكى من قصة أبي حنيفة مع جماعة من أهل الكلام لما أرادوا أن يقرروا توحيد الربوبية. فضرب لهم مثلاً بسفينة في دجلة.. إلخ.

س ٢٥: ما التوحيد الذي يعتقده بعض أهل التصوف والكلام؟ وهل ينفعهم ذلك؟.

ج: يقولون بتوحيد الربوبية ويفنون^(١) فيه ويجعلونه غاية السالكين، كما ذكره صاحب منازل السائرين - أبو إسماعيل الهروي - وغيره، ومع ذلك إن لم

(١) الفناء: هو سقوط الأوصاف المذمومة عن السالك أو المرید الصادق !. وقد قسمه شيخ الإسلام ابن تيمية إلى ثلاثة أقسام: نوع للكاملين من الأنبياء والصالحين، ونوع للقاصدين من الأولياء والصالحين، ونوع للمناققين الملحدين المشبهين. فالأول: الفناء عن إرادة ما سوى الله؛ بحيث لا يحب إلا الله ولا يعبد إلا إياه ولا يتوكل إلا عليه. والثاني: الفناء عن شهود السوي؛ فلا يخطر بقلوبهم غير الله ولا يشعرون بغيره، بحيث يكون عن استغراقه لا يشعر بغيره، وهذا الموضع زل فيه أقوام وظنوا أنه اتحاد وأن المحب يتحد بالمحبيب. والثالث: الفناء عن وجود السوى - الفناء في الموجود - بمعنى أنه يرى أن الله هو الوجود وأنه لا وجود لسواه لا به ولا بغيره، وهذا قول رجال الاتحادية الزنادقة كالبياني والتمساني والقونوي وغيرهم. انظر الفتاوى ١٠/ ٢١٨، ٢٣٧) (التعريفات للجرجاني، ٩٠) و (معجم ألفاظ الصوفية ٢٢٧).

يعبدوا الله وحده، ويتبرؤا من عبادة كل ما سواه، كان مشركاً من جنس أمثاله من المشركين.

س ٢٦: القرآن الكريم مملوء بتقرير توحيد الإلهية، بين ذلك مع ذكر بعض الأدلة؟

ج: من ذلك أنه يقرر توحيد الربوبية، ويبين أنه لا خالق إلا الله، وأن ذلك مستلزم أن لا يعبد إلا الله، فيجعل الأول دليلاً على الثاني، إذ كانوا يسلمون الأول وينازعون في الثاني، فيبين لهم سبحانه أنه إذا لم يكن لهم خالق إلا الله، فلم يعبدون غيره ويجعلون معه آلهة أخرى؟! كما قال تعالى: ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ ۚ اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا يَشْرِكُونَ﴾ (٥٩) ﴿أَمَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حُدَابٍ ذَاتَ بَهْجَةٍ مِّمَّا كَانَتْ لَكُمْ أَنْ تُشْبِتُوا شَجَرَهَا ۗ أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ بَلٌّ هُمْ يَوَدُّونَ﴾ (٦١). فيقول تعالى في آخر كل آية: أإله مع الله، أي إله مع الله فعل هذا؟ وهذا استفهام إنكار يتضمن نفى ذلك. وليس المعنى استفهام؛ هل مع الله إله؟ كما ظنه بعضهم.

وقال تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ النَّاسُ أَعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (٢١).

وقال تعالى: ﴿قُلِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَمَّ عَلَى قُلُوبِكُمْ مَنَ إِلَهُ غَيْرَ اللَّهِ يَأْتِيَكُمْ بِهِ﴾.

س ٢٧: ما دليل التمانع، وماذا يفيد؟

ج: دليل التمانع قوله تعالى: ﴿مَا أَخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنَ إِلَهٍ إِذَا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾. وأنزله الله تعالى ليبطل قول من أشرك به سبحانه في الربوبية، فلا بد في هذا الذي ذكره الله تعالى من ثلاثة أمور:

١ - إما أن يذهب كل إله بخلقه وسلطانه.

٢ - وإما أن يعلو بعضهم على بعض.

٣ - وإما أن يكونوا تحت قهر ملك واحد يتصرف فيها كيف يشاء، ولا يتصرفون فيه، بل يكون وحده هو الإله، وهم العبيد المربوبون المقهورون من كل وجه.

فدليل التمانع دل على أن خالق العالم واحد لا رب غيره فلا إله سواه، فذاك تمنع في الفعل والإيجاد وهذا تمنع في العبادة والإلهية، فكما يستحيل أن يكون للعالم ربان خالقان متكافئان، كذلك يستحيل أن يكون لهم إلهان معبودان.

س ٢٨ : ما الآية التي ظن طوائف أنها آية التمانع، ولم؟ وماذا أفادت الآية؟.

ج : الآية قريب معناها من آية التمانع، ولكنها ليست هي، وهي قوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلَهِ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾. وقد ظن طوائف أن هذا دليل التمانع الذي تقدم ذكره، وغفلوا عن مضمون الآية:

* فإنه سبحانه أخبر أنه لو كان فيهما آلهة ولم يقل: أرباب.

* وأيضاً فإن هذا إنما هو بعد وجودهما، وأنه لو كان فيهما - وهما موجودتان - آلهة سواه لفسدتا.

* وأيضاً فإنه قال: (لفسدتا) وهذا فساد بعد الوجود، ولم يقل: لم يوجد.

وأفادت الآية أنه لو كان لهذا الكون إلهان معبودان لفسد نظامه كله، ولكنه إله واحد لا شريك له ولا معبود سواه.

س ٢٩ : كيف يكون توحيد الألوهية متضمن لتوحيد الربوبية، بين ذلك؟.

ج : نعم توحيد الألوهية متضمن لتوحيد الربوبية دون العكس، فمن لا يقدر على أن يخلق يكون عاجزاً، والعاجز لا يصلح أن يكون إلهاً. قال تعالى: ﴿أَشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾.

وقال تعالى: ﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾.

وكذا قوله تعالى: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلَهِ كَمَا يَقُولُونَ إِذَا لَبِغُوا إِلَيَّ مِنَ الْعَرِيسِ سَيْلًا﴾.

س ٣٠: ما تفسير آخر آية في الجواب الآنف الذكر؟.

ج: جواب هذه الآية: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذَا لَابَتَغَوْا إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا﴾ (٤٢).

فيها للمتأخرين قولان:

أحدهما: لاتخذوا سبيلاً إلى مغالته.

الثاني: وهو الصحيح المنقول عن السلف، كقتادة وغيره، وهو الذي ذكره ابن جرير ولم يذكر غيره: لاتخذوا سبيلاً بالتقرب إليه. كقوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا﴾ (١٩).

س ٣١: ما توحيد المعرفة والإثبات، وتوحيد الطلب والقصد، وما التوحيد العلمي الخبري، والتوحيد الطلبي الإرادي؟.

ج: ١ - توحيد المعرفة والإثبات هو (التوحيد العلمي الخبري) وهو إثبات حقيقة ذات الرب تعالى وأسمائه وصفاته وأفعاله، كما أخبر به سبحانه وتعالى عن نفسه وكما أخبر رسوله ﷺ.

٢ - توحيد الطلب والقصد هو (التوحيد الطلبي الإرادي) وهو إفراد الله تعالى، وعبادته وحده لا شريك له.

س ٣٢: هات أدلة من الكتاب الكريم على النوعين السابقين؟.

ج: الأدلة كثيرة ومتنوعة:

فمن الأدلة على النوع الأول: كما في أول (الحديد) و(طه) وآخر (الحشر) وأول (آل عمران) وسورة (الإخلاص).

ومن الأدلة على الثاني: سورة (الكافرون) وأول (السجدة) وآخرها، وأول سورة (يونس) ووسطها وآخرها، وجملة سورة (الأنعام).

وغالب سور القرآن متضمنة لنوعي التوحيد، فإن القرآن:

- إما خبر عن الله وأسمائه وصفاته وأفعاله.

- وإما دعوة إلى عبادته وحده لا شريك له.

- وإما خبر عن إكرامه لأهل توحيدهِ في الدنيا والآخرة.

- وإما خبر عن أهل الشرك، وما وقع لهم في الدنيا وما ينتظرهم في الآخرة.

فالقِرآن كله في التوحيد وحقوقه وجزائه، وفي شأن الشرك وأهله وجزائهم.

س ٣٣: ما معنى الشهادة وما مراتبها؟.

ج: عبارات السلف في (شهد) تدور على الحكم والقضاء والإعلام والبيان والإخبار. وهذه الأقوال كلها حق لا تنافي بينها، فإن الشهادة تتضمن كلام الشاهد وخبره، وتتضمن إعلامه وإخباره وبيانه.

فلها مراتب أربع:

١ - أول مراتبها: علم ومعرفة واعتقاد لصحة المشهود به.

٢ - وثانيها: تكلمه بذلك.

٣ - وثالثها: أن يعلم غيره بها ويبينها له.

٤ - ورابعها: أن يلزمه بمضمونها ويأمره به.

س ٣٤: هات دليلاً على مرتبة العلم؟.

ج: قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ .
وقوله ﷺ "على مثلها فاشهد" وأشار إلى الشمس.

س ٣٥: هات دليلاً على مرتبة التكلم بها؟.

ج: قال تعالى: ﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِندَ الرَّحْمَنِ أَنْشَاءً أَسْهَدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ﴾ (١٩).

س ٣٦: مرتبة الإعلام والإخبار نوعان، ما هما؟.

ج: ١ - إعلام بالقول.

٢ - إعلام بالفعل.

س ٣٧: وضع كيف تكون الشهادة والإعلام بالفعل، مع الدليل؟.

(ج:٣) التعليم تارة يكون بالقول، وهذا لا إشكال فيه .

وتارة يكون بالفعل، مثاله: من جعل داره مسجداً وفتح بابها وأفرزها بطريقها، وأذن للناس بالدخول والصلاة فيها: معلماً أنها وقف وإن لم يتلفظ به .
ومما يدل على أن الشهادة تكون بالفعل قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسْجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ﴾ . فهذه شهادة منهم على أنفسهم بما يفعلونه .

(س ٣٨:) مرتبة الأمر والإلزام به؛ (مجرد الشهادة لا يستلزمه) بين ذلك؟ .

(ج:٣) مرتبة الأمر بذلك والإلزام به – وأن مجرد الشهادة لا يستلزمه، لكن الشهادة في هذا الموضع تدل عليه وتتضمنه – فإنه سبحانه شهد به شهادة من حكم به، وقضى وأمر. وألزم عباده به كما قال تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ .

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾ . ووجه استلزام شهادته سبحانه لذلك: أنه إذا شهد أنه لا إله إلا هو، فقد أخبر وبين وأعلم وحكم وقضى أن ما سواه ليس بإله، وذلك يستلزم الأمر باتخاذها إلهاً واحداً.

(س ٣٩:) الله تعالى بين وحدانيته غاية البيان بطرق ثلاث، ماهي؟ .

(ج:٣) الطرق الثلاث هي:

١ - السمع .

٢ - البصر .

٣ - العقل .

(س ٤٠:) هل لك أن تبين هذه الطرق الثلاث؟ .

(ج:٣) * أما السمع: فبسمع آياته المتلوة المبينة لما عرّفنا إياه من صفات كماله كلها، الوحدانية وغيرها غاية البيان. كما قال تعالى: ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلْغُ الْمُبِينُ﴾ ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَفْكَرُونَ﴾ .
وكذلك السنة تأتي مبينة ومقررة لما دل عليه القرآن، لم يحوجنا ربنا إلى رأي فلان ولا إلى ذوق فلان ووجدِه في أصول ديننا، قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ

أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴿١﴾ . فلا يحتاج في تكميله إلى أمر خارج عن الكتاب والسنة .

* وأما آياته العيانة الخلقية : فالنظر فيها ، والاستدلال بها يدل على ما تدل عليه آياته القولية السمعية .

* والعقل يجمع بين هذه وهذه ؛ فيجزم بصحة ما جاء به الرسول ﷺ ؛ فتتفق شهادة السمع والبصر والعقل والفطرة .

س ٤١ : ما بعث الله نبياً إلا ومعه آية تدل على صدقه . ما دليلك ؟ .

ج : الأدلة على هذا كثيرة جداً من الكتاب والسنة ، فمنها ، قوله تعالى : ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ ﴿٢﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ فَتَسْلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ ﴿٤﴾ .

وقوله تعالى : ﴿إِنِّي أَشْهَدُ اللَّهَ وَأَشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾ ﴿٥٤﴾ مِنْ دُونِهِ فَكِدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنْظَرُونَ ﴿٥٥﴾ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾ . فأى آية وبرهان أحسن من آيات الأنبياء عليهم السلام وبراهينهم وأدلتهم ؟ .

والله تعالى يرى عباده من الآيات الأفقية والنفسية ما يبين لهم أن الوحي الذي بلغته رسله حق ، قال تعالى : ﴿سَتُرِيهِمْ ءَايَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ ﴿٦﴾ . وهذا استدلال بأسمائه وصفاته ، والأول استدلال بقوله وكلماته ، واستدلاله بالآيات الأفقية والنفسية استدلال بأفعاله ومخلوقاته .

س ٤٢ : كيف يُستدل بأسمائه وصفاته على ألوهيته وكمال صفاته ، على أن الاستدلال بذلك لا يعهد في الاصطلاح ؟ .

ج : الجواب : ١ - أن الله تعالى قد أودع في الفطر التي لم تتنجس بالبحود والتعطيل ، ولا بالتشبيه والتمثيل ، أنه سبحانه الكامل في أسمائه وصفاته ، وأنه الموصوف بما وصف به نفسه ووصفه به رسله ، وما خفي عن الخلق من كماله أعظم وأعظم مما عرفوه منه .

ومن كماله المقدس؛ شهادته على كل شيء وإطلاعه عليه، بحيث لا يغيب عنه ذرة في السماء ولا في الأرض باطناً وظاهراً، ومن هذا شأنه كيف يليق بالعباد أن يشركوا به، وأن يعبدوا معه غيره؟.

وكيف يليق بكماله أن يقر من يكذب عليه أعظم الكذب، ويخبر عنه بخلاف ما الأمر عليه، ثم ينصره على ذلك ويؤيده ويعلي شأنه ويجب دعوته ويهلك عدوه، ويظهر على يديه من الآيات والبراهين ما يعجز عن مثله قوى البشر، وهو مع ذلك كاذب مفتر عليه. والقرآن مملوء من هذه الطريق وهي طريق الخواص، يستدلون بالله على أفعاله وما يليق به أن يفعله وما يفعله، قال تعالى: ﴿وَلَوْ نَقُولَ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ ﴿٤٧﴾﴾.

٢ - ويستدل أيضاً بأسمائه وصفاته على وحدانيته وعلى بطلان الشرك. قال تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَنَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾﴾. وأضعاف ذلك في القرآن، وهذه طريق قليل سالكها لا يستدل بها إلا الخواص.

س ٤٣: هناك من قسم التوحيد إلى ثلاثة أنواع، ما هذه الأنواع؟ وهل تتوافق مع التوحيد الذي جاءت به الرسل؟.

ج: الذين قالوا بهذا هم بعض الصوفية، وقسموه إلى ثلاثة أنواع: الأول: توحيد العامة: وهو التوحيد الذي تقدمت الإشارة إليه، وهو التوحيد الذي أرسلت به الرسل وأنزلت به الكتب.

الثاني: توحيد الخاصة: وهو الذي يثبت بالحقائق.

الثالث: توحيد خاصة الخاصة: وهو توحيد قائم بالقدم.

ولا ريب أن هذا تقسيم فاسد لا يلتفت إليه، فلا توحيد أكمل من التوحيد الذي قامت به الرسل ودعوا إليه وجاهدوا الأمم عليه، ولهذا أمر سبحانه نبيه ﷺ أن يقتدي بهم فيه، كما قال تعالى بعد ذكر مناظرة إبراهيم قومه في بطلان الشرك وصحة التوحيد: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَّتْهُمْ أَقْتَدَ﴾. فملة إبراهيم: التوحيد ودين محمد ﷺ: ما جاء به من عند الله قولاً وعملاً واعتقاداً.

فهذا هو توحيد خاصة الخاصة؛ الذي من رغب عنه، فهو من أسفه
السفهاء قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَرْغَبْ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدْ
أَصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّا فِي الْآخِرَةِ لَكِنَ الصَّالِحِينَ﴾ (١٣٥) إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمَ قَالَ
أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٣٦﴾ .

س ٤٤ : بين خطورة التوحيد الذي ادعوا أنه توحيد الخاصة؟ .

ج : لاشك أن النوع الثاني والثالث من التوحيد الذي ادعوا أنه توحيد
الخاصة وخاصة الخاصة، ينتهي إلى الفناء^(١) الذي يشمر إليه غالب الصوفية،
وهو درب خطر يفضي إلى الاتحاد. انظر إلى ما أنشده شيخ الإسلام أبو
إسماعيل الهروي الأنصاري رحمه الله تعالى حيث يقول:

ما وحد الواحد من واحدٍ إذ كل من وحده جاحدٌ
توحيد من ينطق عن نعته عاريةً أبطلها الواحد
توحيده إياه توحيده ونعت من ينعتة لاحد^(٢)

وإن كان قائله رحمه الله لم يرد به الاتحاد، لكن ذكر لفظاً مجملاً

(١) انظر تعريف الفناء وأنواعه، ص: ٢٤.

(٢) يعني بهذه الأبيات أن كل من وحد الله فهو جاحد لحقيقة توحده؟! وتوحيد الناطقين
عنه عارية أبطلها الواحد، فالعارية لا بد أن ترجع إلى صاحبها، فهي وحدة مطلقة من
جميع الوجوه، وتوحيده الحقيقي هو توحده لنفسه بنفسه، ونعت الناعت له إلحاد
وميل عن الصواب! .

قال ابن القيم رحمه الله: أين قوله: (ما وحد الواحد من واحد) من قوله تعالى:
﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ يُوحِدُونَهُ، وَأَن أُولَى الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ﴾ .

فأخبر سبحانه أن الملائكة كلهم يوحدونه، وأن أولي العلم يوحدونه، وكذلك إخباره
عن أنبيائه ورسله وأتباعه أنهم وحدوه ولم يشركوا به شيئاً. . وأبطل الباطل أن يقال:
كل من وحد الله من الأولين والآخرين جاحد له. انظر (مدارج السالكين ٥١٤/٣)
وقد اعتذر له ابن القيم وحمل كلامه على محامل حسنة، وذكر أنه ممن نافح عن
التوحيد، وله كتب في ذم المعطلة والحلولة، مثل كتاب (ذم الكلام)، فرحمهم الله ما
أجلهم وأدبهم مع بعضهم في حمل كلام بعضهم على أحسن محمل ما دام له وجه
لذلك.

مَحْتَمِلًا جذبَه به الاتحادي إليه، وأقسم بالله جهد أيمانه أنه معه، ولو سلك الألفاظ الشرعية التي لا إجمال فيها كان أحق. مع أن المعنى الذي حام حوله لو كان مطلوباً منا لنبه الشارع عليه ودعا الناس إليه وبينه، فإنَّ على الرسول البلاغ المبين.

فأين قال الرسول: هذا توحيد العامة، وهذا توحيد الخاصة، وهذا توحيد خاصة الخاصة أو ما يقرب من هذا المعنى؟ أو أشار إليه؟!، فهذه النقول والعقول حاضرة هل جاء فيها ذكر الفناء؟ وإنما حصل هذا من زيادة الغلو في الدين المُشبه لغلو الخوارج بل لغلو النصارى في دينهم، وقد ذم الله الغلو في الدين ونهى عنه.

س ٤٥: هل يمكن أن يكون للمخلوق صفات وللخالق صفات وللمخلوق أسماء وللخالق أسماء؟ بين ذلك؟.

ج: اتفق أهل السنة والجماعة على أن الله ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله، ولكن لفظ التشبيه قد صار في كلام الناس لفظاً مجملاً يراد به المعنى الصحيح، وهو ما نفاه القرآن ودل عليه العقل، من أن خصائص الرب تعالى لا يوصف بها شيء من صفات المخلوقات، ولا يماثله شيء من المخلوقات في شيء من صفاته: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾.

﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ رد على المماثلة المشبهة.

﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ رد على النفاة المعطلة.

فمن جعل صفات الخالق مثل صفات المخلوق؛ فهو المشبه المبطل المذموم، ومن جعل صفات المخلوق مثل صفات الخالق فهو نظير النصارى في كفرهم.

وكثير من المعطلة يوافقون أهل السنة أنه: (موجود) (عليم) (قدير) (حي).

والمخلوق يقال له: موجود حي عليم قدير، ولا يقال هذا تشبيه يجب نفيه، وهذا مما دل عليه الكتاب والسنة وصريح العقل، ولا يخالف فيه

عاقِل، فإن الله سَمِيَ نفسه بأَسْمَاء، وسمى بعض عباده بها، وكذلك سَمِيَ صفاته بأَسْمَاء، وسمى ببعضها صفات خلقه، وليس المُسَمَّى كالمُسَمَّى، فسمى نفسه: حياً عَليماً قديراً رؤوفاً رَحِيماً عزيزاً حَكِيماً سَمِيعاً بصيراً ملكاً جباراً متكبِراً، وقد سَمِيَ بعض عباده بهذه الأَسْمَاء فقال: ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ﴾ ﴿فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ﴾ ﴿وَالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ ﴿قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ﴾ ﴿وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلَكٌ﴾.

وقد سَمِيَ الله ورسوله صفات الله علماً وقُدرةً وقوة، فقال تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً﴾ ﴿وَأَنَّهُ لَدُوٌّ غَلِيٌّ لِمَا عَلَّمْنَاهُ﴾. ومعلوم أنه ليس العلم كالعلم، ولا القوة كالقوة.

(س ٤٦): زعم بعض أهل البدع أن إثبات الصفات يستلزم التشبيه والتجسيم، كيف ترد عليهم قولهم؟.

(ج): يرد عليهم بما مر آنفاً في الجواب السابق، ويقال لمن نفى الصفات التي وصف الله بها نفسه أو نفى بعضها كالغضب والرضا والحب والبغض: أنت تثبت له الإرادة والكلام والسمع والبصر، مع أن ما تثبته ليس مثل صفات المخلوقين، فقل فيما نفيت وأثبتته الله ورسوله مثل قولك فيما أثبتته إذ لا فرق بينهما.

فإن قال: أنا لا أثبت شيئاً من الصفات!

قيل له: فأنت تثبت له الأَسْمَاء الحسنَى، مثل: حي، عليم، قدير، والعبد يسمي بهذه الأَسْمَاء، وليس ما يثبت للرب من هذه الأَسْمَاء مماثلاً لما يثبت للعبد. فقل في صفاته نظير قولك في مسمى أسمائه.

فإن قال: وأنا لا أثبت له الأَسْمَاء الحسنَى، بل أقول: هي مجاز، وهي أَسْمَاء لبعض مبتدعاته، كقول غلاة الباطنية والمتفلسفة!

قيل له: فلا بد أن تعتقد أنه موجود حق قائم بنفسه، والجسم موجود قائم بنفسه وليس هو مماثلاً له.

فإن قال: أنا لا أثبت شيئاً، بل أنكر وجود الواجب.

قيل له: معلوم بصريح العقل أن الموجود إما واجب بنفسه^(١)، وإما غير واجب بنفسه^(٢) وإما قديم أزلي^(١)، وإما حادث كائن بعد أن لم يكن^(٢)، وإما مخلوق مفتقر إلى خالق، وإما غير مخلوق ولا مفتقر إلى خالق، وإما فقير إلى ما سواه، وإما غني عن ما سواه. وغير الواجب بنفسه لا يكون إلا بالواجب بنفسه، والحادث لا يكون إلا بقديم، والمخلوق لا يكون إلا بخالق، والفقير لا يكون إلا بغني عنه، فقد لزم على تقدير النقيضين^(٣) وجود موجود واجب بنفسه قديم أزلي^(٤) خالق غني عما سواه وما سواه بخلاف ذلك.

س ٤٧: هل يتفق الخالق والمخلوق في الأسماء والصفات من بعض الوجوه؟.

ج: نعم، فالجواب الآن يفصح عنه، ولكن من المعلوم أن أحدهما ليس مماثلاً للآخر في حقيقته.

إذ لو كان كذلك لتماثلا فيما يجب ويجوز ويمتنع:

فأحدهما يجب قدمه، وهو موجود بنفسه، والآخر لا يجب قدمه ولا هو موجود بنفسه.

وأحدهما خالق، والآخر ليس بخالق.

وأحدهما غني عما سواه، والآخر فقير.

فلو تماثلا للزم:

أن يكون كل منهما واجب القدم ليس بواجب.

(١) هو الخالق.

(٢) هو المخلوق.

(٣) النقيضان: هما اللذان لا يجتمعان ولا يرتفعان في آن واحد، بل يلزم من ثبوت أحدهما عدم الآخر، ومن نفي أحدهما ثبوت الآخر.

(٤) يستعمل الشارح في سياق الرد على أهل البدع مصطلحاتهم التي ينطقونها ويفهمونها، والأصل أن يُرد على أهل البدع بالألفاظ الشرعية، لكن المقام هنا مقام إفهام وإفحام فيسوغ هذا، لا سيما وأن كبار الأئمة ردوا عليهم بمثلها، كابن تيمية وابن القيم وغيرهم.

موجوداً بنفسه غير موجود بنفسه .

خالقاً ليس بخالق، غنياً غير غني .

فيلزم اجتماع الضدين على تقدير تماثلهما، فعلم أن تماثلهما منتفٍ بصريح العقل، كما هو منتفٍ بنصوص الشرع .

فعلم بهذه الأدلة اتفاقهما من وجه، واختلافهما من وجه، فمن نفى ما اتفقا فيه كان معطلاً قائلاً للباطل، ومن جعلهما متماثلين، كان مشبهاً قائلاً للباطل . وذلك لأنهما وإن اتفقا في مسمى ما اتفقا فيه، فالله تعالى مختص بوجوده وعلمه وقدرته وسائر صفاته، والعبد لا يشركه في شيء من ذلك .
والعبد أيضاً مختص بوجوده وعلمه وقدرته والله تعالى منزّه عن مشاركة العبد في خصائصه .

س ٤٨ : المطلق الكلي^(١) يوجد في الأذهان لا في الأعيان، والموجود في الأعيان مختص لا اشتراك فيه . ضل في هذا الأصل فريقان، ما أصل خطأهم ومن هم؟

ج : هذا موضع اضطرب فيه كثير من النظائر، حيث توهموا أن الاتفاق في مسمى هذه الأشياء، يوجب أن يكون الوجود الذي للرب كالوجود الذي للعبد .

وأصل الخطأ والغلط : توهمهم أن هذه الأشياء العامة الكلية يكون مسماها المطلق الكلي هو بعينه ثابتاً في هذا المعين وهذا المعين، وليس كذلك .

فإن ما يوجد في الخارج لا يوجد مطلقاً كلياً، لا يوجد إلا معيناً مختصاً . وهذه الأسماء إذا تسمى الله بها، كان مسماها معيناً مختصاً به .

فإذا سُمِّيَ بها العبد كان مسماها مختصاً به، فوجود الله وحياته لا يشاركه فيها غيره، بل وجود هذا الموجود المعين لا يشركه فيه غيره، فكيف بوجود الخالق! .

(١) المطلق الكلي: هو الذي لا يمنع تصور معناه من وقوع الشركة فيه، فيجوز أن تدخل فيه أفراد كثيرة لفظ الوجود .

ألا ترى أنك تقول: هذا هو ذاك فالمشار إليه واحد، لكن بوجهين مختلفين.

وبهذا ومثله يتبين لك أن المشبهة أخذوا هذا المعنى وزادوا فيه على الحق فضلوا، وأن المعطلة أخذوا نفي المماثلة بوجه من الوجوه وزادوا فيه على الحق حتى ضلوا.

وأن كتاب الله دل على الحق المحض الذي تعقله العقول السليمة الصحيحة، وهو الحق المعتدل الذي لا انحراف فيه.

س ٤٩: الفريقان السابقان، كل منهم أحسن وأساء. بين ذلك؟.

ج: النفاة: أحسنوا في تنزيه الخالق سبحانه عن التشبيه بشيء من خلقه.

وأساءوا في نفي المعاني الثابتة لله تعالى في نفس الأمر.

والمشبهة: أحسنوا في إثبات الصفات.

وأساءوا بزيادة التشبيه.

س ٥٠: ما منهج السلف في إثبات الصفات، ومنهج أهل الكلام فيها؟.

ج: منهج السلف في إثبات الصفات، كما في كتاب الله تعالى، فيأتي الإثبات للصفات في كتاب الله مفصلاً والنفي مجملاً.

على عكس طريقة أهل الكلام المذموم، فإنهم يأتون بالنفي المفصل والإثبات المجمل، فيقولون: ليس بجسم ولا شبح، ولا جثة ولا صورة، ولا لحم ولا دم، ولا شخص، ولا جوهر، ولا عرض، وليس بمحدود، ولا والد، ولا ولد، ولا تحيط به الأقدار، ولا تحجبه الأستار... إلخ.

وفي هذه الجملة حق وباطل، ويظهر ذلك لمن يعرف الكتاب والسنة.

وهذا النفي المجرد مع كونه لا مدح فيه، فيه إساءة أدب، فإنك لو قلت للسلطان: أنت لست بزيال، ولا كساح، ولا حجام، ولا حائك! لأدبك على هذا الوصف، وإن كنت صادقاً، وإنما تكون مادحاً إذا أجملت النفي، فقلت: أنت لست مثل أحد من رعيتك، أنت أعلى وأشرف وأجل، فإذا أجملت في النفي، أجملت في الأدب.

(س ٥١): ما معتقد أهل السنة والجماعة في الأسماء والصفات، وما معتقد أهل البدع فيها؟.

(ج): أهل السنة والجماعة يثبتون لله تعالى ما وصف به نفسه ووصفه به رسله من غير تكييف ولا تعطيل ولا تمثيل، ليس كمثله شيء في صفاته ولا في أسمائه ولا في أفعاله.

أما أهل البدع فينفون عنه صفاته ويعطلونها، وأغلب عقائدهم السلوب؛ ليس بكذا، ليس بكذا، وأما ما يثبتونه فهو قليل، وهو أنه عالم قادر حي، وأكثر النفي المذكور ليس متلقى من الكتاب والسنة، ولا عن الطرق العقلية التي سلكها غيرهم من مثبتة الصفات. وسيأتي مزيد بيان لهذه النقطة والتنبيه على فساد معتقدتهم.

(س ٥٢): قال الإمام الطحاوي: "ولا شيء يعجزه" فهل هذا من النفي المذموم ولم؟.

(ج): ليس قول الشيخ رحمه الله تعالى: "ولا شيء يعجزه" من النفي المذموم فإن الله تعالى قال: ﴿وَمَا كَانَتْ أَلَهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾. فنبه سبحانه وتعالى في آخر الآية على دليل انتفاء العجز، وهو كمال العلم والقدرة. وقد علم ببداية العقول والفطر كمال قدرته وعلمه فانتفى العجز؛ لأن العاجز لا يصلح أن يكون إلهاً، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

(س ٥٣): الإثبات المجرد قد يتطرق إليه الاحتمال. بين هذه العبارة في ضوء قول الطحاوي: "ولا إله غيره"؟.

(ج): هذه كلمة التوحيد التي دعت إليها الرسل كلها كما تقدم ذكره، وإثبات التوحيد بهذه الكلمة باعتبار النفي والإثبات المقتضي للحصر، فإن الإثبات المجرد قد يتطرق إليه الاحتمال، ولهذا - والله أعلم - لما قال تعالى: ﴿وَاللَّهُمَّ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾. فأنبت أولاً ثم نفى، فإنه قد يخطر ببال أحد خاطر شيطاني: هب أن إلهاً واحداً، فلغيرنا إله غيره، فقال تعالى: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾.

س ٥٤: ما تقدير الخبر في: "لا إله إلا الله"؟ ولم أوردتها الشارح هنا؟.

ج: قال بعض النحويين: تقديره: لا إله في الوجود إلا الله.

فاعترض عليهم صاحب "المنتخب" فقال: يكون ذلك نفيًا لوجود الإله، ومعلوم أن نفي الماهية أقوى في التوحيد الصرف من نفي الوجود، فكان إجراء الكلام على ظاهره، والإعراض عن هذا الإضمار أولى.

وأجاب المرسى في "ري الضمآن" فقال: هذا كلام من لا يعرف لغة العرب فإن "إله" في موضع المبتدأ على قول سيبويه، وعند غيره اسم "لا" فما قاله من الاستغناء عن الإضمار فاسد.

وأما قوله: إذا لم يضمم يكون نفيًا للماهية، فليس بشيء، لأن نفي الماهية هو نفي الوجود، لا تتصور الماهية إلا مع الوجود، فلا فرق بين "لا ماهية" و"لا وجود" وهذا مذهب أهل السنة، خلافاً للمعتزلة، فإنهم يثبتون ماهية عارية عن الوجود.

وأوردتها الشارح هنا ليدفع الإشكال الوارد على النحاة في ذلك، وبيان أنه من جهة المعتزلة.

س ٥٥: قال الإمام الطحاوي: "قديم بلا ابتداء دائم بلا انتهاء"، ماذا

أراد من هذا القول؟.

ج: قال الله تعالى: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ﴾.

وقال ﷺ: "اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء".

فقول الشيخ رحمه الله: قديم بلا ابتداء دائم بلا انتهاء، هو معنى اسمه الأول والآخر.

س ٥٦: لم كان ثبوت هذين الوصفين "الأول والآخر" مستقر في

الفطر؟.

ج: لأن الموجودات لا بد أن تنتهي إلى واجب الوجود لذاته قطعاً

للتسلسل^(١)، فإننا نشاهد حدوث الحيوان والنبات، والمعادن وحوادث الجو، كالسحاب والمطر وغير ذلك، وهذه الحوادث وغيرها ليست ممتنعة، فإن الممتنع لا يوجد، ولا واجبة الوجود بنفسها، فإن واجب الوجود بنفسه لا يقبل العدم، وهذه كانت معدومة، فعدمها ينفي وجودها، ووجودها ينفي امتناعها، وما كان قابلاً للوجود والعدم، لم يكن وجوده بنفسه، كما قال تعالى: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمْ الْخُلُقُونَ﴾ (٣٥). يقول سبحانه: أَحَدَثُوا مِنْ غَيْرِ مُحَدِّث أَمْ هُمْ أَحَدَثُوا أَنْفُسَهُمْ؟، ومعلوم أن الشيء المُحَدِّث لا يوجد بنفسه.

س ٥٧: من الذي أدخل اسم "القديم" في أسمائه تعالى، وهل هو من أسمائه الحسنی؟.

ج: الذي أدخل "القديم" في أسمائه تعالى هم المتكلمون، وليس هو من الأسماء الحسنی، فإن القديم في لغة العرب التي نزل بها القرآن: هو المتقدم على غيره.

فيقال: هذا قديم للعتيق، وهذا حديث للجديد، ولم يستعملوا هذا الاسم إلا في المتقدم على غيره، لا فيما لم يسبقه عدم كما قال تعالى: ﴿وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيرِ﴾ (٣٩). والعرجون القديم الذي يبقى إلى حين وجود العرجون الثاني، فإذا وجد الجديد، قيل للأول: قديم، وقال تعالى: ﴿وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَنَسِفُولُونَهُ هَذَا إِنْكَ قَدِيرٌ﴾. أي متقدم في الزمان.

وأما إدخال "القديم" في أسماء الله تعالى، فهو مشهور عند أكثر أهل الكلام، وقد أنكر ذلك كثير من السلف والخلف ومنهم ابن حزم.

ويقال أيضاً: أن أسماء الله تعالى هي الأسماء الحسنی التي تدل على خصوص ما يمدح به، والتقدم في اللغة مطلق لا يختص بالتقدم على

(١) التسلسل: مصطلح لأهل الكلام، وهو: ترتيب أمور غير متناهية، وسمي بهذا أخذاً من السلسلة، وهي قابلة لزيادة الخلق إلى ما لا نهاية، وهو ثلاثة أنواع: ممتنع وواجب وممكن.

الحوادث كلها، فلا يكون من الأسماء الحسنى، وجاء الشرع باسمه "الأول". وهو أحسن من "القديم" لأنه يُشعر بأن ما بعده آيل إليه، وتابع له، بخلاف "القديم" والله تعالى له الأسماء الحسنى، لا الحسنة.

س ٥٨: قال الإمام الطحاوي: "لا يفنى ولا يبید" بين معنى هذه العبارة؟

ج: هذا إقرار بدوام بقاءه سبحانه وتعالى، قال عز من قائل: ﴿كُلُّ مَنَّ عَلَيْهَا فَإِنَّ ۖ وَيَبْقَىٰ وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ۖ﴾. والفناء والبيد متقاربان في المعنى، والجمع بينهما في الذكر للتأكيد، وهو أيضاً مقرر ومؤكد لقوله: "دائم بلا انتهاء".

س ٥٩: لم أورد الطحاوي قوله: "ولا يكون إلا ما يريد"؟

ج: هذا رد لقول القدرية والمعتزلة، فإنهم يزعمون أن الله أراد الإيمان من الناس كلهم، والكافر أراد الكفر، وقولهم فاسد مردود لمخالفته الكتاب والسنة، والمعقول الصحيح، وهي مسألة القدر المشهورة، وسيأتي لها زيادة بيان إن شاء الله تعالى.

س ٦٠: لم سُميت القدرية بهذا الاسم؟

ج: سُمُوا قدرية لإنكارهم القدر، وكذلك تسمى الجبرية المحتجون بالقدر قدرية أيضاً والتسمية على الطائفة الأولى أغلب.

س ٦١: ماذا قالت القدرية في القدر، وما معتقد أهل السنة فيه؟

ج: يزعمون أن الله أراد الإيمان من الناس كلهم، والكافر أراد الكفر، وقولهم فاسد مردود لمخالفته الكتاب والسنة، والمعقول الصحيح، وهي مسألة القدر المشهورة.

أما أهل السنة والجماعة، فيقولون: إن الله وإن كان يريد المعاصي قدراً، فهو لا يحبها ولا يرضاها، ولا يأمر بها، بل يبغضها ويسخطها ويكرهها وينهى عنها، وهذا قول السلف قاطبة، فيقولون: ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، ولهذا اتفق الفقهاء على أن الحالف لو قال: والله

لأفعلن كذا إن شاء الله، لم يحنث إذا لم يفعله، وإن كان واجباً أو مستحباً، ولو قال: .. إن أحب الله حنث، إذا كان واجباً أو مستحباً.

س ٦٢: ما أقسام الإرادة؟ ولم قسمها أهل السنة إلى قسمين؟.

ج: المحققون من أهل السنة يقولون: الإرادة في كتاب الله نوعان:

١ - إرادة قدرية كونية خلقية (هي المشيئة الشاملة لجميع الحوادث).

٢ - وإرادة دينية أمرية شرعية (هي المتضمنة للمحبة والرضى).

وقسمها أهل السنة إلى هذين القسمين، ليفرقوا بين ما قدره الله تعالى أزلاً، وبين ما أمر به شرعاً، وأنه لا تلازم بين الإرادتين. كما قالت به القدرية والجبرية فضلوا في باب القدر.

س ٦٣: أورد بعض الأدلة لكل نوع من أنواع الإرادة؟.

ج: الأدلة على الإرادة القدرية الكونية.

قال تعالى: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصْعَقُ فِي السَّمَاءِ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (٣٤).

وقوله تعالى: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾.

وأما الإرادة الدينية الشرعية الأمرية.

فكقوله تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ الَّذِي فِيكُمْ وَيُطَهِّرَكُمْ﴾ (٢٦) ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا﴾ (٢٧) ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلُقَ الْإِنْسَانِ ضَعِيفًا﴾ (٢٨).

وقوله تعالى: ﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾.

س ٦٤: اذكر نوعي الإرادة في مثل كلام الناس ، وماذا يفيد؟ .

ج: ١ - الإرادة الدينية الشرعية الأمرية: في مثل قول الناس لمن يفعل القبائح: هذا يفعل ما لا يريد الله، أي: لا يحبه ولا يرضاه، ولا يأمر به .

٢ - الإرادة القدريّة الكونية: فهي الإرادة المذكورة في قول المسلمين: ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن .

وفيد أن الفرق ثابت بين إرادة المريد أن يفعل، وبين إرادته من غيره أن يفعل .

فإذا أراد الفاعل أن يفعل فعلاً، فهذه الإرادة المعلقة بفعله، وإذا أراد من غيره أن يفعل فعلاً، فهذه الإرادة لفعل الغير، وكلا النوعين معقول للناس، والأمر يستلزم الإرادة الثانية دون الأولى، فالله تعالى إذا أمر العباد بأمر، فقد يريد إعانة المأمور على ما أمر به، وقد لا يريد ذلك، وإن كان مريداً منه فعله .

س ٦٥: هل الأمر مستلزم للإرادة؟ وضح إجابتك بضرب بعض الأمثلة؟ .

ج: تحقيق هذا مما يبين فصل النزاع في أمر الله تعالى: هل هو مستلزم لإرادته أم لا؟ فهو سبحانه أمر الخلق على السنة رسله عليهم السلام بما ينفعهم ونهاهم عما يضرهم، ولكن منهم من أراد أن يخلق فعله، فأراد سبحانه أن يخلق ذلك الفعل، ويجعله فاعلاً له، ومنهم من لم يرد أن يخلق فعله، فجعله خلقه سبحانه لأفعال العباد وغيرها من المخلوقات غير جهة أمره للعبد على وجه البيان، لما هو مصلحة للعبد أو مفسدة . وهو سبحانه إذا أمر فرعون وأبا لهب وغيرهما بالإيمان، كان قد بين لهم ما ينفعهم ويصلحهم إذا فعلوه، ولا يلزم إذا أمرهم أن يعينهم .

بل قد يكون في خلقه لهم ذلك الفعل وإعانتهم عليه وجه مفسدة من حيث هو فعل له، فإنه يخلق ما يخلق لحكمة، ولا يلزم إذا كان الفعل المأمور به مصلحة للمأمور إذا فعله أن يكون مصلحةً للأمر إذا فعله هو، أو جعل المأمور فاعلاً له، فأين جهة الخلق من جهة الأمر؟ .

فالواحد من الناس يأمر غيره وينهاه مريداً لنصحه، ومبيناً له ما ينفعه، وإن

كان مع ذلك لا يريد أن يعينه على ذلك الفعل، إذ ليس كل ما كان في مصلحتي في أن أمر به غيري وأنصح به يكون مصلحتي في أن أعاونه أنا عليه، بل قد تكون مصلحتي إرادة ما يضاده، فجبهة أمره لغيره نصحاً غير جهة فعله لنفسه، وإذا أمكن الفرق في حق المخلوقين، فهو في حق الله أولى بالإمكان.

س ٦٦: القدرية تنفي القدر وتضرب مثلاً بمن أمر غيره بأمر، فإنه لا بد أن يفعل ما يكون المأمور أقرب إلى فعله، كالبر والطلاقة، وتهئية المساند والمقاعد ونحو ذلك. فبم يرد عليهم؟

ج: يقال لهم هذا على وجهين:

أحدهما: أن تكون مصلحة الأمر تعود إلى الأمر، كأمر الملك جنده بما يؤيد ملكه، وأمر السيد عبده بما يصلح ملكه، وأمر الإنسان شركاءه بما يصلح الأمر المشترك بينهما، ونحو ذلك.

الثاني: أن يكون الأمر يرى الإعانة للمأمور مصلحة له، كالأمر بالمعروف، وإذا أعان المأمور على البر والتقوى، فإنه قد عليم أن الله يشبه على إعانته على الطاعة، وأنه في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه.

فأما إذا قدر أن الأمر إنما أمر المأمور لمصلحة المأمور، لا لنفع يعود على الأمر من فعل المأمور، كالناصح المشير، وقدر أنه إذا أعانه لم يكن ذلك مصلحة للأمر، وأن في حصول مصلحة المأمور مضرّة على الأمر، مثل الذي جاء من أقصى المدينة يسعى، وقال لموسى: ﴿إِنَّكَ أَلَمَلًا يَأْتِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ﴾. فهذا مصلحته في أن يأمر موسى عليه السلام بالخروج لا في أن يعينه على ذلك، إذ لو أعانه لضره قومه، ومثل هذا كثير.

وإذا قيل إن الله أمر العباد بما يصلحهم لم يلزم من ذلك أن يعينهم على ما أمرهم به، لا سيما وعند القدرية لا يقدر أن يعين أحداً على ما به يصير فاعلاً، وإذا عللت أفعاله بالحكمة، فهي ثابتة في نفس الأمر، وإن كنا نحن لا نعلمها، فلا يلزم إذا كان في نفس الأمر له حكمة في الأمر، أن يكون في الإعانة على فعل المأمور به حكمة، بل قد تكون الحكمة تقتضي أن لا يعينه

على ذلك، فإنه إذا أمكن في المخلوق أن يكون مقتضى الحكمة والمصلحة أن يأمر بأمر لمصلحة المأمور، وأن تكون الحكمة والمصلحة للآمر أن لا يعينه على ذلك، فإمكان ذلك في حق الرب أولى وأحرى.

(س ٦٧:) هل يحيط أحد بحكمة الله في خلقه وأمره؟.

(ج:) تفصيل حكمة الله في خلقه وأمره يَعِجُزُ عن معرفتها عقول البشر، والقدرية دخلوا في التعليل على طريقة فاسدة مثلوا الله فيها بخلقه، ولم يشبوا حكمة تعود إليه.

(س ٦٨:) ما معنى قول الطحاوي: " لا تبلغه الأوهام، ولا تدركه الأفهام"؟.

(ج:) قال الله تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾.

قال في الصحاح: توهمت الشيء: ظننته، وفهمت الشيء: علمته. فمراد الشيخ رحمه الله: أنه لا ينتهي إليه وهم، ولا يحيط به علم. قيل: الوهم: ما يرجى كونه، أي يظن أنه على صفة كذا.

والفهم: هو ما يحصله العقل ويحيط به، والله تعالى لا يعلم كيف هو إلا هو سبحانه وتعالى، وإنما نعرفه سبحانه بصفاته، وهو أنه أحد صمد لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد. ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيَّمُنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (٢٤).

(س ٦٩:) لم أورد الشيخ قوله: "ولا يشبه الأنام" وما معناها؟.

(ج:) أوردته رداً على المشبهة الذين يشبهون الخالق بالمخلوق سبحانه وتعالى، قال ﷺ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾.

وليس المراد نفي الصفات كما يقول أهل البدع، فمن كلام أبي حنيفة في الفقه الأكبر: " لا يشبه شيئاً من خلقه، ولا يشبهه شيء من خلقه - ثم

قال بعد ذلك - وصفاته كلها خلاف صفات المخلوقين، يعلم لا كعلمنا،
ويقدر لا كقدرتنا، ويرى لا كرؤيتنا " انتهى .

وقال نعيم بن حماد: من شبه الله بشيء من خلقه فقد كفر، ومن أنكر
ما وصف الله به نفسه فقد كفر، وليس فيما وصف الله به نفسه ولا رسوله
تشبيه .

س ٧٠ : ما علامة الجهمية ؟ .

ج : قال خلق كثير من أئمة السلف : علامة الجهمية تسميتهم أهل السنة
مشبهة .

فإنه ما من أحد من نفاة شيء من الأسماء والصفات، إلا يسمي المثبت
لها مشبهاً، فمن أنكر أسماء الله بالكلية من غالية الزنادقة : (القرامطة
والفلاسفة) وقال : إن الله لا يقال له عالم ولا قادر، يزعم أن من سماه
بذلك، فهو مشبه، لأن الاشتراك في الاسم يوجب الاشتباه في معناه .

ومن أثبت الاسم وقال : هو مجاز (كغالية الجهمية) يزعم أن من قال :
إن الله عالم حقيقة، قادر حقيقة، فهو مشبه .

ومن أنكر الصفات وقال : إن الله ليس له علم، ولا قدرة، ولا محبة،
ولا إرادة قال لمن أثبت الصفات : إنه مشبه، وإنه مجسم، ولهذا كتب نفاة
الصفات من الجهمية والمعتزلة، والرافضة ونحوهم، كلها مشحونة بتسمية
مثبتة الصفات مشبهة ومجسمة، ويقولون في كتبهم : إن من جملة المجسمة
قوماً يقال لهم : المالكية ينسبون إلى رجل يقال له : مالك بن أنس، وقوماً
يقال لهم : الشافعية، ينسبون إلى رجل يقال له : محمد بن إدريس ! حتى
الذين يفسرون القرآن منهم كعبد الجبار والزمخشري، وغيرهما، يسمون كل
من أثبت شيئاً من الصفات وقال بالرؤية مشبهاً وهذا الاستعمال قد غلب عند
المتأخرين من سائر الطوائف .

س ٧١ : ما مقالة أهل السنة في نفي التشبيه ؟ .

ج : المشهور من استعمال هذا اللفظ عند علماء السنة المشهورين : أنهم لا
يريدون بنفي التشبيه نفي الصفات، ولا يصفون به كل من أثبت الصفات، بل

مرادهم أنه لا يشبه المخلوق في أسمائه وصفاته وأفعاله، كما تقدم من كلام أبي حنيفة أنه تعالى يعلم لا كعلمنا، ويقدر لا كقدرتنا، ويرى لا كرؤيتنا، وهذا معنى قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾. فنفي المثل وأثبت الوصف.

س ٧٢: هل يجوز الاستدلال في العلم الإلهي بقياس تمثيل^(١) يستوي في الأصل والفرع، أو بقياس شمولي^(٢) يستوي فيه أفراده؟.

ج: العلم الإلهي لا يجوز أن يستدل فيه بقياس تمثيل، يستوي فيه الأصل والفرع، ولا بقياس شمولي يستوي أفراده.

فإن الله سبحانه ليس كمثله شيء، فلا يجوز أن يمثل بغيره، ولا يجوز أن يدخل هو وغيره تحت قضية كلية يستوي أفرادها، ولهذا سلكت طوائف من المتفلسفة والمتكلمة مثل هذه الأقيسة في المطالب الإلهية، لم يصلوا بها إلى اليقين، بل تناقضت أدلتهم، وغلب عليهم بعد التناهي والحيرة والاضطراب، لما يرون من فساد أدلتهم أو تكافئها.

س ٧٣: ماذا يستعمل في حق الله من الأقيسة، مع التمثيل والتوضيح؟.

ج: يستعمل في ذلك قياس الأولى، سواء كان تمثيلاً أو شمولاً كما قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى﴾. مثل أن يعلم أن كل كمال ثبت للممكن أو للمحدث، لا نقص فيه بوجه من الوجوه، - وهو ما كان كمالاً للوجود غير مستلزم للعدم بوجه - فالواجب القديم أولى به.

وكل كمال لا نقص فيه بوجه من الوجوه، ثبت نوعه للمخلوق المربوب

(١) قياس التمثيل: إلحاق فرع بأصل لعللة جامعة بين الأصل والفرع، فهو مبني على التسوية بين الأصل والفرع، ويريد به أهل الفلسفة؛ جعل الله أصلاً تقاس عليه المخلوقات، أو العكس، وهذا قياس فاسد ويحرم استعماله في حق الرب تعالى، لقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾.

(٢) قياس الشمول: الاستدلال بكلي على جزئي بواسطة اندراج ذلك الجزئي مع غيره تحت هذا الكلي. وحكمه كسابقه. فيحرم استخدامه في حق الرب تعالى، وإنما يستخدم القياس الأولى المذكور في قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى﴾.

المدير، فإنما استفاده من خالقه وربّه ومدبره، فهو أحق به منه، وأن كل نقص وعيب في نفسه، وهو ما تضمنه سلب هذا الكمال إذا وجب نفيه عن شيء من أنواع المخلوقات والممكنات والمحدثات، فإنه يجب نفيه عن الرب تعالى بطريق الأولى.

(س ٧٤): ما معنى الأنام، ولم اكتفى الشيخ رحمه الله بقوله: ولا يشبه الأنام؟.

(ج): نفي مشابهة شيء من مخلوقاته له، مستلزم لنفي مشابهته لشيء من مخلوقاته، فلذلك اكتفى الشيخ رحمه الله بقوله: ولا يشبه الأنام. والآنم: الناس.

وقيل: الخلق كلهم.

وقيل: كل ذي روح.

وقيل: الثقلان، وظاهر قوله تعالى: ﴿وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ﴾. يشهد للأول أكثر من الباقي. والله أعلم.

(س ٧٥): استدل من كتاب الله تعالى على صفتي الحياة والقيومية، ولم أوردتهما الشيخ رحمه الله في هذا الموضع؟.

(ج): قال الله تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾. فنفي السنة والنوم دليل على كمال حياته وقيوميته. وقال تعالى: ﴿الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾. وقال تعالى: ﴿وَعَنْتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ﴾. وقال ﷺ: "إن الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام" الحديث.

وأوردتهما الشيخ هنا، لأنه لما نفي رحمه الله التشبيه، أشار إلى ما تقع به التفرقة بينه وبين خلقه، بما يتصف به تعالى دون خلقه، فمن ذلك: أنه حي لا يموت؛ لأن صفة الحياة الباقية مختصة به تعالى دون خلقه، فإنهم يموتون. ومنه أنه قيوم لا ينام، إذ هو مختص بعدم النوم والسنة دون خلقه، فإنهم ينامون، وفي ذلك إشارة إلى أن نفي التشبيه، ليس المراد منه نفي

الصفات، بل هو سبحانه موصوف بصفات الكمال، لكمال ذاته.

س ٧٦: قال الشارح رحمه الله: فعلى هذين الاسمين (الحي القيوم) مدار الأسماء الحسنى كلها، وضح ذلك؟.

ج: نعم؛ لأن اقترانه بالحي يستلزم سائر صفات الكمال، ويدل على بقائها ودوامها وانتفاء النقص عنه أزلاً وأبداً، ولهذا كان قوله تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾. أعظم آية في القرآن كما ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ.

فعلى هذين الاسمين مدار الأسماء الحسنى كلها، وإليهما ترجع معانيها، فإن الحياة مستلزمة لجميع صفات الكمال، فلا يتخلف عنها صفة إلا لضعف الحياة، فإذا كانت حياته أكمل حياة وأتمها، استلزم إثباتها إثبات كل كمال يضاد نفيه كمال الحياة.

وأما القيوم، فهو المتضمن كمال غناه، وكمال قدرته، فإنه القائم بنفسه، فلا يحتاج إلى غيره بوجه من الوجوه، المقيم لغيره فلا قيام لغيره إلا بإقامته، فانتظم هذان الاسمان صفات الكمال أتم انتظام.

س ٧٧: قال الطحاوي رحمه الله: "خالق بلا حاجة رازق بلا مؤنة" ماذا فيها من الصفات؟ وما معنى مؤنة؟.

ج: فيها صفتا الخلق والرزق، والأدلة عليها كثيرة جداً من الكتاب والسنة. وقوله: بلا مؤنة: أي بلا ثقل ولا كلفة.

س ٧٨: قال الإمام الطحاوي: "مमित بلا مخافة، باعث بلا مشقة". هل الموت صفة وجودية أم عدمية؟ ومن خالف في ذلك، وما دليلك؟.

ج: الموت صفة وجودية، خلافاً للفلاسفة ومن وافقهم. قال تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾. والعدم لا يوصف بكونه مخلوقاً، وفي الحديث أنه: "يؤتى بالموت يوم القيامة على صورة كبش أملح، فيذبح بين الجنة والنار" وهو وإن كان عَرَضاً^(١) فالله تعالى يقبله عيناً كما ورد في

(١) العَرَضُ: انظر تعريفه، ص ١٤

العمل الصالح: " أنه يأتي صاحبه في صورة الشاب الحسن، والعمل القبيح على أقبح صورة ". وورد في القرآن: " أنه يأتي على صورة الشاب الشاحب اللون " الحديث. أي: قراءة القارئ، وورد في الأعمال: " أنها توضع في الميزان " والأعيان هي التي تقبل الوزن دون الأعراض.

ورود في سورة البقرة وآل عمران: أنهما يوم القيامة: " يظلان صاحبهما كأنهما غمامتان أو غيايتان أو فرقان من طير صواف ". وفي الصحيحين: " أن أعمال العباد تصعد إلى السماء ".

س ٧٩: قال الطحاوي: " ما زال بصفاته قديماً قبل خلقه، لم يزد بكونهم شيئاً لم يكن قبلهم من صفته، وكما كان بصفاته أزلياً، كذلك لا يزال عليها أديماً " وضح هذا المعنى بزيادة بيان؟.

ج: أي أن الله سبحانه وتعالى لم يزل متصفاً بصفات الكمال: صفات الذات.

وصفات الفعل.

ولا يجوز أن يعتقد أن الله وصف بصفة بعد أن لم يكن متصفاً بها؛ لأن صفاته سبحانه صفات كمال، وفقدتها صفة نقص، ولا يجوز أن يكون قد حصل له الكمال بعد أن كان متصفاً بضده، ولا يَرُدُّ على هذا صفات الفعل، والصفات الاختيارية ونحوها، كالخلق والتصوير، والإحياء والإماتة، والقبض والبسط، والطّي، والاستواء، والإتيان، والمجيء والنزول، والغضب، والرضا، ونحو ذلك مما وصف به نفسه ووصفه به رسوله، وإن كنا لا ندرك كنهه وحقيقته التي هي تأويله.

ولا ندخل في ذلك متأولين بآرائنا، ولا متوهمين بأهوائنا، ولكن أصله معلوم لنا كما قال الإمام مالك لما سئل عن الاستواء، كيف استوى؟.

فقال: الاستواء معلوم، والكيف مجهول. وإن كانت هذه الحوادث تحدث في وقت دون وقت، كما في حديث الشفاعة: " إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله " لأن الحدوث بهذا الاعتبار غير ممتنع، ولا يطلق عليه أنه حدث بعد أن لم يكن.

س ٨٠: أهل علم الكلام ينفون حلول الحوادث بالرب تعالى. فما حكم ذلك عند أهل السنة والجماعة (الألفاظ المجملة)؟.

ج: حلول الحوادث بالرب تعالى، المنفي في علم الكلام المذموم، لم يرد فيه ولا إثباته في كتاب ولا سنة، وفيه إجمال، فإن أريد أنه سبحانه لا يحل في ذاته المقدسة شيء من مخلوقاته المحدثه، أو لا يحدث له وصف متجدد لم يكن، فهذا نفي صحيح، وإن أريد به نفي الصفات الاختيارية، من أنه لا يفعل ما يريد، ولا يتكلم بما شاء إذا شاء، ولا أنه يغضب ويرضى لا كأحد من الورى، ولا يوصف بما وصف به نفسه من النزول والاستواء والإتيان كما يليق بجلاله وعظمته، فهذا نفي باطل.

س ٨١: أهل الكلام المذموم يطلقون نفي حلول الحوادث، ما مرادهم من ذلك؟.

ج: أهل الكلام المذموم يطلقون نفي حلول الحوادث، فَيَسْلَمُ السُّنِّي للمتكلم ذلك، على ظن أنه نفى عنه سبحانه ما لا يليق بجلاله؛ فإذا سلم له هذا النفي، ألزمه نفي الصفات الاختيارية وصفات الفعل وهو لازم له، وإنما أتى السُّنِّي من تسليم هذا النفي المجمل، وإلا فلو استفسر واستفصل، لم ينقطع معه.

وكذا مسألة الصفة: هل هي زائدة على الذات أم لا؟ لفظها مجمل، وكذلك لفظ "الغير" فيه إجمال، فقد يراد به ما ليس هو إياه، وقد يراد به ما جاز مفارقه له.

س ٨٢: هل يجوز إطلاق لفظ "الغير" على صفات الله وكلامه؟.

ج: أئمة السنة رحمهم الله تعالى لا يطلقون على صفات الله وكلامه أن غيره، ولا أنه ليس غيره، لأن إطلاق الإثبات قد يشعر أن ذلك مباين له، وإطلاق النفي قد يشعر بأن هو هو، إذا كان لفظ الغير فيه إجمال، فلا يطلق إلا مع البيان والتفصيل.

إن أريد به أن هناك ذاتاً مجردة قائمة بنفسها، منفصلة عن الصفات الزائدة عليها، فهذا غير صحيح، وإن أريد به أن الصفات زائدة على الذات

التي يفهم من معناها غير ما يفهم من معنى الصفة؛ فهذا حق. ولكن ليس في الخارج ذات مجردة عن الصفات، بل الذات الموصوفة بصفات الكمال الثابتة لها لا تنفصل عنها، وإنما يفرض الذهن ذاتاً وصفة، كلاً وحده، ولكن ليس في الخارج ذات غير موصوفة، فإن هذا محال.

س ٨٣: يقول بعضهم: الصفة لا عين الموصوف ولا غيره. أو يقول: الصفات عين الذات، أو صفات الله غير الله، فصل القول الصحيح في ذلك؟.

ج: يقول بعضهم: الصفة لا عين الموصوف ولا غيره. وهذا له معنى صحيح، وهو: أن الصفة ليست عين ذات الموصوف التي يفرضها الذهن مجردة بل هي غيرها، وليست غير الموصوف، بل الموصوف بصفاته شيء واحد غير متعدد. والتحقيق أن يفرق بين قول القائل: الصفات غير الذات، وبين قوله: صفات الله غير الله، فإن الثاني باطل، لأن مسمى الله يدخل فيه صفاته بخلاف مسمى الذات، فإنه لا يدخل فيه الصفات، لأن المراد أن الصفات زائدة على ما أثبتته المثبتون من الذات، والله تعالى هو الذات الموصوفة بصفاته اللازمة، ولهذا قال الشيخ رحمه الله: "ما زال بصفاته" ولم يقل: ما زال وصفاته، لأن العطف يؤذن بالمغايرة، وكذلك قال الإمام أحمد رحمه الله في مناظرته للجهمية، لا نقول: الله وعلمه الله وقدرته، الله ونوره، ولكن نقول: الله بعلمه وقدرته ونوره هو إله واحد سبحانه وتعالى.

س ٨٤: هل تنفصل الصفات عن الذات بوجه من الوجوه؟ مع الاستدلال؟.

ج: لا يتصور انفصال الصفات عن الذات بوجه من الوجوه، وإن كان الذهن قد يفرض ذاتاً مجردة عن الصفات، كما يفرض المحال، وقد قال ﷺ: "أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر" وقال ﷺ: "أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق" ولا يعوذ ﷺ بغير الله. وكذا قال ﷺ: "اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك، وأعوذ بك منك".

وقال ﷺ: "ونعوذ بك أن نغتال من تحتنا"، وقال ﷺ: "أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات".

س ٨٥: هل الاسم عين المسمى أم غيره؟.

ج: قولهم: هل الاسم عين المسمى أو غيره؟ غلط كثير من الناس في ذلك، وجهلوا الصواب فيه، فالاسم يراد به المسمى تارة، ويراد به اللفظ الدال عليه أخرى، فإذا قلت: قال الله كذا، أو سمع الله لمن حمده، ونحو ذلك، فهذا المراد به المسمى نفسه.

وإذا قلت: الله: اسم عربي، والرحمن: اسم عربي، والرحمن من أسماء الله تعالى ونحو ذلك، فالاسم ها هنا للمسمى. ولا يقال غيره، لما في لفظ الغير من الإجمال، فإن أريد بالمغايرة أن اللفظ غير المعنى فحق.

وإن أريد أن الله سبحانه كان ولا اسم له، حتى خلق لنفسه أسماء، أو حتى سماه خلقه بأسماء من صنعهم، فهذا من أعظم الضلال والإلحاد في أسماء الله تعالى.

س ٨٦: لم أورد الشيخ الشارح الاسم والمسمى في هذا الموضع؟.

ج: أورد الشيخ الشارح الاسم والمسمى في هذا الموضع؛ لأن الكلام كان في الصفات وإثباتها والرد على من أنكرها، والألفاظ المجملة وحكمها، ثم ذكر الشيخ أن من الألفاظ المجملة؛ هل صفات الله وكلامه هي ذاته أم لا، وبين أن أئمة السنة لا يطلقون على صفات الله وكلامه أنه غيره ولا أنه ليس غيره، وذكر أن لفظ الغير فيه إجمال، فلا يطلق إلا مع البيان والتفصيل. ثم ذكر الشيخ أن الذات لا يتصور أن تنفصل عن الصفات بوجه من الوجوه، وذكر الأدلة على ذلك. ناسب أن يذكر في هذا المقام الاسماء بعد ذكر الصفات، وهل الاسم عين المسمى أو غيره، وبين أن لفظة "غيره" من الألفاظ المجملة ثم فصل القول فيها.

س ٨٧: قال الإمام الطحاوي رحمه الله: "ما زال بصفاته قديماً قبل

خلقه... لم أورد هذا القول؟.

(ج) أورد هذا القول في الرد على المعتزلة^٥ والجهمية ومن وافقهم من الشيعة، فإنهم قالوا: إنه تعالى صار قادراً على الفعل والكلام بعد أن لم يكن قادراً عليه، لكونه صار الفعل والكلام ممكناً بعد أن كان ممتنعاً، وأنه انقلب من الامتناع الذاتي إلى الإمكان الذاتي!، وعلي بن كلاب والأشعري ومن وافقهما، فإنهم قالوا: إن الفعل صار ممكناً له بعد أن كان ممتنعاً منه.

وأما الكلام عندهم، فلا يدخل تحت المشيئة والقدرة بل هو شيء واحد لازم لذاته.

(س ٨٨) قالت الجهمية بامتناع وجود ما لا يتناهى من الحوادث، فما أهمية هذا القول لديهم، ولم قالوا به، وكيف ترد عليهم قولهم؟.

(ج) هذا القول من أصول أهل الكلام المذموم، وقالوا به لينفوا صفات الله تعالى الذاتية والفعلية وكلامه، ولينفوا بقاء وأبدية الجنة والنار.

قال الشارح: وأصل هذا الكلام من الجهمية، فإنهم قالوا: إن دوام الحوادث ممتنع، وإنه يجب أن يكون للحوادث مبدأ، لامتناع حوادث لا أول لها، فيمتنع أن يكون الباري ﷻ لم يزل فاعلاً متكلماً بمشيئته، بل يمتنع أن يكون قادراً على ذلك؛ لأن القدرة على الممتنع ممتنعة!.

وهذا فاسد، فإنه يدل على امتناع حدوث العالم وهو حادث، والحادث إذا حدث بعد أن لم يكن محدثاً، فلا بد أن يكون ممكناً، والإمكان ليس له وقت محدود، وما من وقت يُقَدَّرُ إلا والإمكان ثابت فيه، فليس لإمكان الفعل وجوازه وصحته مبدأ ينتهي إليه.

فَيَلْزَمُ أنه لم يزل الرب قادراً عليهم.

فَيَلْزَمُ جواز حوادث لا نهاية لها.

قالت الجهمية ومن وافقهم: نحن لا نسلم أن إمكان الحوادث لا بداية له، لكن نقول: إمكان الحوادث بشرط كونها مسبوقة بالعدم لا بداية له، وذلك لأن الحوادث عندنا تمتنع أن تكون قديمة النوع، بل يجب حدوث نوعها، ويمتنع قدم نوعها، لكن لا يجب الحدوث في وقت بعينه، فإمكان الحوادث بشرط كونها مسبوقة بالعدم لا بداية له، بخلاف جنس الحوادث.

فيقال لهم: هب أنكم تقولون ذلك، لكن يقال: إمكان جنس الحوادث عندكم له بداية، فإنه صار جنس الحدوث عندكم ممكناً بعد أن لم يكن ممكناً، وليس لهذا الإمكان وقت معين، بل ما من وقت يُفرض إلا والإمكان ثابت قبله، فيلزم دوام الإمكان وإلا لزم انقلاب الجنس من الامتناع إلى الإمكان، من غير حدوث شيء، ومعلوم أن انقلاب حقيقة جنس الحدوث، أو جنس الحوادث، أو جنس الفعل أو جنس الأحداث، أو ما أشبه ذلك من العبارات من الامتناع إلى الامكان، هو يُصير ذلك ممكناً جائزاً بعد أن كان ممتنعاً من غير سبب تجدد، وهذا ممتنع في صريح العقل.

فالحاصل: أن نوع الحوادث هل يمكن دوامها في المستقبل والماضي أم لا؟ أو في المستقبل فقط؟ أو الماضي فقط؟.

س ٨٩: ما أقوال أهل النظر في إمكانية دوام نوع الحوادث؟.

ج: في هذا ثلاثة أقوال معروفة لأهل النظر من المسلمين وغيرهم:

أضعفها: قول من يقول: لا يمكن دوامها لا في الماضي ولا في المستقبل، كقول جهم بن صفوان، وأبي الهذيل العلاف.

وثانيها: قول من يقول: يمكن دوامها في المستقبل دون الماضي، كقول كثير من أهل الكلام ومن وافقهم من الفقهاء وغيرهم.

وثالثها: قول من يقول: يمكن دوامها في الماضي والمستقبل، كما يقوله أئمة الحديث^(١)، وهي من المسائل الكبار، ولم يقل أحد: يمكن دوامها في الماضي دون المستقبل.

ولا شك أن جمهور العالم من جميع الطوائف يقولون: إن كل ما سوى الله تعالى مخلوق، كائن بعد أن لم يكن، وهذا قول الرسل وأتباعهم من المسلمين واليهود والنصارى وغيرهم.

(١) هذا هو القول الحق الذي دلت عليه الدلائل الشرعية - من الكتاب والسنة - والعقلية وإجماع سلف الأمة عليه.

س ٩٠: هل يمنع (تسلسل الحوادث في الماضي وتسلسلها في المستقبل) أن يكون الرب سبحانه هو الأول الذي ليس قبله شيء، والآخر الذي ليس بعده شيء، مع الاستدلال لما تقول؟.

ج: من المعلوم أن كون المفعول مقارناً لفاعله - لم يزل ولا يزال معه - ممتنع محال، ولما كان تسلسل^(١) الحوادث في المستقبل لا يمنع أن يكون الرب سبحانه هو الآخر الذي ليس بعده شيء، فكذا تسلسل الحوادث في الماضي لا يمنع أن يكون سبحانه وتعالى لم يزل ولا يزال يفعل ما يشاء، ويتكلم إذا يشاء، قال تعالى: ﴿قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾. وقال تعالى: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾.

وقال تعالى: ﴿ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ (١٥) فَعَالٌ لِّمَا يُرِيدُ (١٦)﴾. وقال تعالى: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ نُنْفِذَ كَلِمَاتِ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا (١٠٩)﴾. والمثبت إنما هو الكمال الممكن الوجود وحينئذ إذا كان النوع دائماً، فالممكن والأكمل هو التقدم على كل فرد من الأفراد بحيث لا يكون في أجزاء العالم شيء يقارنه بوجه من الوجوه. وأما دوام الفعل، فهو أيضاً من الكمال، فإن الفعل إذا كان صفةً كمال فدوامه دوام الكمال.

س ٩١: ما حكم لفظ التسلسل عند أهل السنة والجماعة؟ وما أقسامه؟.

ج: لفظ التسلسل لفظ مجمل، لم يرد بنفيه ولا إثباته كتاب ولا سنة، ليجب مراعاة لفظه، وهو ينقسم إلى أقسام ثلاثة: واجب، وممتنع، وممكن.

س ٩٢: هل لك أن تبين أنواع التسلسل بأمثلة توضيحية؟.

ج: ١ - التسلسل الممتنع (مثاله): كالتسلسل في المؤثرين، فهو محال ممتنع لذاته، وهو أن يكون مؤثرون، كل واحد منهم استفاد تأثيره ممن قبله لا إلى غاية.

(١) انظر تعريف التسلسل ص ٤٠

٢ - التسلسل الواجب: ما دل عليه العقل والشرع من دوام أفعال الرب تعالى في الأبد، وأنه كلما انقضى لأهل الجنة نعيم أحدث لهم نعيماً آخر لا نفاذ له .

٣ - التسلسل الممكن: كالتسلسل في مفعولاته من هذا الطرف، كما تتسلسل في طرف الأبد، فإنه إذا لم يزل حياً قادراً مريداً متكلماً - وذلك من لوازم ذاته - فالفعل ممكن له بوجود هذه الصفات له، وأن يفعل أكمل من أن لا يفعل .

س ٩٣: هل التسلسل في أفعاله تعالى من طرف الأزل، من الواجب أم الممتنع أم الممكن؟ .

ج: التسلسل في أفعاله سبحانه من طرف الأزل، وأن كل فعل مسبوق بفعل آخر، فهذا واجب في كلامه، فإنه لم يزل متكلماً إذا شاء ولم تحدث له صفة الكلام في وقت، وهكذا أفعاله التي هي من لوازم حياته، فإن كل حي فعال، والفرق بين الحي والميت بالفعل، ولهذا قال غير واحد من السلف: الحي الفعال، وقال عثمان بن سعيد: كل حي فعال، ولم يكن ربنا تعالى في وقت من الأوقات معطلاً عن كماله من الكلام والإرادة والفعل .

س ٩٤: هل يلزم من التسلسل الممكن في مفعولاته، أن يكون الخلق لم يزالوا معه أزلاً وأبداً؟ .

ج: لا يلزم من التسلسل في مفعولاته أنه لم يزل الخلق معه، فإنه سبحانه متقدم على كل فرد من مخلوقاته تقدماً لا أول له، فَلِكُلِّ مخلوق أول، والخالق سبحانه لا أول له، فهو وحده الخالق، وكل ما سواه مخلوق، كائن بعد أن لم يكن .

وكل قول سوى هذا، فصريح العقل يرده ويقضي ببطلانه .

س ٩٥: كل من اعترف بأن الرب تعالى لم يزل قادراً على الفعل، يلزمه أحد أمرين لا بد له منهما ما هما، وعلام يدل ذلك؟ .

ج: يلزمه أحد أمرين لا بد له منهما:

١ - إما أن يقول: بأن الفعل لم يزل ممكناً.

٢ - وإما أن يقول: لم يزل واقعاً.

وإلا تناقض تناقضاً بيناً، حيث زعم أن الرب تعالى لم يزل قادراً على الفعل، والفعل محال ممتنع لذاته، لو أراده لم يمكن وجوده، بل فرض إرادته عنده محال وهو مقدور له، وهذا قول ينقض بعضه بعضاً.

ويدل ذلك على أن الذي دل عليه الشرع والعقل، أن كل ما سوى الله تعالى محدث كائن بعد أن لم يكن.

أما كون الرب تعالى لم يزل معطلاً عن الفعل، ثم فعل، فليس في الشرع ولا في العقل ما يثبت، بل كلاهما يدل على نقيضه.

(س ٩٦) أورد أبو المعالي الجويني في "إرشاده" وغيره من النظار على التسلسل في الماضي، فقالوا: إنك لو قلت: لا أعطيك درهماً إلا أعطيتك بعده درهماً كان هذا ممكناً، ولو قلت: لا أعطيك درهماً حتى أعطيتك قبله درهماً، كان هذا ممتنعاً، فكيف يرد عليهم قولهم؟.

(ج) هذا التمثيل والموازنة غير صحيحة، بل الموازنة الصحيحة أن تقول: ما أعطيتك درهماً إلا أعطيتك قبله درهماً، فتجعل ماضياً قبل ماضٍ، كما جعلت هناك مستقبلاً بعد مستقبل.

وأما قول القائل: لا أعطيك حتى أعطيك قبله فهو نفي للمستقبل، حتى يحصل في المستقبل، ويكون قبله، فقد نفى المستقبل حتى يوجد المستقبل، وهذا ممتنع، أما نفي الماضي حتى يكون قبله ماضٍ، فإن هذا ممكن، والعطاء المستقبل ابتداءه من المعطي. والمستقبل الذي له ابتداء وانتهاء لا يكون قبله ما لا نهاية له، فإن ما لا نهاية له فيما يتناهى ممتنع.

(س ٩٧) هل الإمام الطحاوي يقول بتسلسل الحوادث في الماضي والمستقبل أم لا يقول به؟.

(ج) ظاهر كلام الشيخ رحمه الله تعالى أنه يمنع تسلسل الحوادث في

الماضي، ويأتي في كلامه ما يدل على أنه لا يمنعه في المستقبل وهو قوله: "والجنة والنار مخلوقتان لا تفتيان أبداً ولا تبيدان" وهذا مذهب الجمهور، ولا شك في فساد قول من منع ذلك في الماضي والمستقبل، كما ذهب إليه الجهم وأتباعه.

س ٩٨: ما أظهر في الصحة، قول من قال بجواز حوادث لا أول لها، من القائلين بحوادث لا آخر لها أم قول من فرق بينهما (أي أقر بأحدهما ونفى الآخر)؟.

ج: قال الشارح: وأما قول من قال بجواز حوادث لا أول لها، من القائلين بحوادث لا آخر لها، فأظهر في الصحة من قول من فرق بينهما، فإنه سبحانه لم يزل حياً، والفعل من لوازم الحياة، فلم يزل فاعلاً لما يريد، كما وصف بذلك نفسه حيث يقول: ﴿ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ ۝١٥﴾ فَقَالَ لِمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾.

س ٩٩: دلت الآية الآتفة الذكر وهي قوله تعالى: ﴿ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ ۝١٥﴾ فَقَالَ لِمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾ على أمور عدة، اذكرها؟.

ج: أحدها: أنه تعالى يفعل بإرادته ومشئته. الثاني: أنه لم يزل كذلك، لأنه ساق ذلك في معرض المدح والثناء على نفسه، وأن ذلك من كماله سبحانه، ولا يجوز أن يكون عادماً لذلك الكمال في وقت من الأوقات وقد قال تعالى: ﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ۝٧﴾ ولما كان من أوصاف كماله ونعوت جلاله، لم يكن حادثاً بعد أن لم يكن.

الثالث: أنه إذا أراد شيئاً فعله، فإن «ما» موصولة عامة، أي يفعل كل ما يريد أن يفعله، وهذا في إرادته المتعلقة بفعله. وأما إرادته المتعلقة بفعل العبد فتلك لها شأن آخر؛ فإن أراد فعل العبد ولم يرد من نفسه أن يعينه عليه ويجعله فاعلاً لم يوجد الفعل، وإن أراده حتى يريد من نفسه أن يجعله فاعلاً.

الرابع: أن فعله وإرادته متلازمان، فما أراد أن يفعله فعله، وما فعله فقد أراده بخلاف المخلوق، فإنه يريد ما لا يفعل، وقد يفعل ما لا يريد، فما ثم فعال لما يريد إلا الله وحده.

الخامس: إثبات إرادات متعددة بحسب الأفعال، وأن كل فعل له إرادة تخصه، هذا هو المعقول في الفطر، فشأنه سبحانه أنه يريد على الدوام، ويفعل ما يريد.

س ١٠٠: القول بأن الحوادث لها أول يلزم منه لوازم، بينها واذكر القول الصحيح في ذلك؟.

ج: القول بأن الحوادث لها أول يلزم منه التعطيل قبل ذلك، وأن الله تعالى لم يزل غير فاعل، ثم صار فاعلاً.

ولا يلزم من ذلك قدم العالم، لأن كل ما سوى الله تعالى محدث ممكن الوجود، موجود بإيجاد الله تعالى له، ليس له من نفسه إلا العدم، والفقر والاحتياج وصف ذاتي لازم لكل ما سوى الله تعالى، والله تعالى واجب الوجود لذاته، غني لذاته، والغنى وصف ذاتي لازم له سبحانه وتعالى.

س ١٠١: ما أقوال الناس في هذا العالم؟.

ج: للناس قولان في هذا العالم: هل هو مخلوق من مادة أم لا؟.

س ١٠٢: ما أول هذا العالم؟.

ج: اختلفوا في أول هذا العالم ما هو؟ وقد قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾.

وروى البخاري وغيره عن عمران بن حصين رضي الله عنه قال: قال أهل اليمن لرسول الله ﷺ: جئناك لتتفق في الدين، ولنسألك عن أول هذا الأمر، فقال: "كان الله ولم يكن شئ قبله"، وفي رواية: "ولم يكن شئ معه"، وفي رواية: "غيره"، "وكان عرشه على الماء، وكتب في الذكر كل شيء، وخلق السماوات والأرض".

س ١٠٣: ما معنى قوله ﷺ: "وكتب في الذكر كل شيء"؟.

ج: قوله ﷺ: "كتب في الذكر" يعني اللوح المحفوظ، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزُّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ﴾. سَمِيَ ما يُكْتَب في الذكر ذكراً، كما يسمى في الكتاب كتاباً.

(س ١٠٤): انقسم الناس في فهم هذا الحديث الآنف: "كان الله ولم يكن شيء قبله" إلى قسمين، اذكرهما؟.

(ج): الناس في هذا الحديث على قولين:

١ - منهم من قال: إن المقصود إخباره بأن الله كان موجوداً وحده، ولم يزل كذلك دائماً، ثم ابتداءً لإحداث جميع الحوادث، فجنسها وأعيانها مسبقة بالعدم، وأن جنس الزمان حادث لا في زمان، وأن الله صار فاعلاً بعد أن لم يكن يفعل شيئاً من الأزل إلى حين ابتداء الفعل ولا كان الفعل ممكناً.

٢ - القول الثاني: المراد إخباره عن مبدأ هذا العالم المشهود الذي خلقه الله في ستة أيام، ثم استوى على العرش، كما أخبر القرآن بذلك في غير موضع، وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال: "قدر الله تعالى مقادير الخلق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، وكان عرشه على الماء". فأخبر ﷺ أن تقدير هذا العالم المخلوق في ستة أيام كان قبل خلقه بخمسين ألف سنة، وأن عرش الرب تعالى كان حينئذٍ على الماء.

(س ١٠٥): أي القولين السابقين هو الراجح، ولم؟.

(ج): القول الثاني هو الصحيح منهما، للوجوه التالية:

١ - أحدها: أن قول أهل اليمن: جئنا لنسألك عن أول هذا الأمر، وهو إشارة إلى حاضر مشهود موجود، والأمر هنا بمعنى المأمور، أي: الذي كونه الله بأمره، وقد أجابه النبي ﷺ عن بدء هذا العالم الموجود لا عن جنس المخلوقات؛ لأنهم لم يسألوه عنه، وقد أخبرهم عن خلق السماوات والأرض حال كون عرشه على الماء، ولم يخبرهم عن خلق العرش، وهو مخلوق قبل خلق السماوات والأرض.

٢ - أيضاً: فإنه قال: "كان الله ولم يكن شيء قبله" وقد روي "معه" روي "غيره" والمجلس كان واحداً، فعلم أنه قال أحد الألفاظ، والآخرا روي بالمعنى، ولفظ "القبْل" ثبت عنه في غير هذا الحديث.

ففي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه كان يقول في دعائه: "اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء" الحديث. واللفظان الآخران لم يثبت واحد منهما في موضع آخر، ولهذا كان كثير من أهل الحديث إنما يرويه بلفظ القبل كالحميدي والبعوي وابن الأثير، وإذا كان كذلك لم يكن في هذا اللفظ تعرض لابتداء الحوادث، ولا لأول مخلوق.

٣ - وأيضاً: فإنه قال: "كان الله ولم يكن شيء قبله" أو "معه" أو "غيره"، "وكان عرشه على الماء، وكتب في الذكر كل شيء". فأخبر عن هذه الثلاثة بالواو، "وخلق السماوات والأرض" زوي بالواو وبثم، فظهر أن مقصوده إخباره إياهم ببدء خلق السماوات والأرض وما بينهما، وهي المخلوقات التي خلقت في ستة أيام، لا ابتداء خلق ما خلقه الله قبل ذلك، وذكر السماوات والأرض بما يدل على خلقهما وذكر ما قبلهما بما يدل على كونه ووجوده، ولم يتعرض لابتداء خلقه له.

٤ - وأيضاً فإنه إذا كان الحديث قد ورد بهذا وهذا، فلا يجزم بأحدهما إلا بدليل، فإذا رجح أحدهما، فمن جزم بأن الرسول أراد المعنى الآخر، فهو مخطئ قطعاً، ولم يأت في الكتاب ولا في السنة ما يدل على المعنى الآخر، فلا يجوز إثباته بما يظن أنه معنى الحديث ولم يَرِدْ: "كان الله ولا شيء معه" مجرداً، وإنما ورد على السياق المذكور، فلا يظن أن معناه: الإخبار بتعطيل الرب تعالى دائماً عن الفعل حتى خلق السماوات والأرض.

٥ - وأيضاً فقلوه ﷺ: "كان الله ولم يكن شيء قبله" أو "معه" أو "غيره"، "وكان عرشه على الماء" لا يصح أن يكون المعنى أنه تعالى موجود وحده لا مخلوق معه أصلاً، لأن قوله: "وكان عرشه على الماء" يَرُدُّ ذلك، فإن هذه الجملة وهي: "وكان عرشه على الماء" إما حالية، أو معطوفة، وعلى كلا التقديرين، فهو مخلوق موجود في ذلك الوقت، فَعُلِمَ أن المراد: ولم يكن شيء من هذا العالم المشهود.

(س ١٠٦) قال الإمام الطحاوي: "له معنى الربوبية ولا مربوب، ومعنى الخالق ولا مخلوق"، فما معنى كلامه يرحمه الله؟

(ج:) يعني أن الله تعالى موصوفٌ بأنه "الرب" قبل أن يوجد مربوب، وموصوف بأنه "خالق" قبل أن يوجد مخلوق.

قال بعض المشايخ الشارحين: وإنما قال: "له معنى الربوبية ومعنى الخالق" دون الخالقية، لأن الخالق هو المُخْرِجُ للشيء من العدم إلى الوجود لا غير، والرب يقتضي معاني كثيرة، وهي الملك والحفظ والتدبير والتربية، وهي تبليغ الشيء كماله بالتدرّج، فلا جرم أن يأتي بلفظ يشمل هذه المعاني، وهو الربوبية. انتهى.

وفيه نظر، لأن الخلق يكون بمعنى التقدير أيضاً.

(س ١٠٧:) اشرح قول الطحاوي: "وكما أنه محيي الموتى بعد ما أحيا، استحق هذا الاسم قبل إحيائهم، كذلك استحق اسم الخالق قبل إنشائهم؟".

(ج:) يعني أنه سبحانه وتعالى موصوف بأنه محيي الموتى قبل إحيائهم، فكذلك يوصف بأنه خالق قبل خلقهم، إلزاماً للمعتزلة ومن قال بقولهم، كما حكينا عنهم فيما تقدم، وتقدم تقرير أنه تعالى لم يزل يفعل ما يشاء.

(س ١٠٨:) إلى ماذا أشار الشيخ بقوله: "ذلك بأنه على كل شيء قدير...؟".

(ج:) ذلك إشارة إلى ثبوت صفاته في الأزل قبل خلقه، والكلام على كل وشمولها، وشمول كل في كل مقام بحسب ما يحتف بها من قرائن، يأتي في مسألة الكلام إن شاء الله تعالى.

(س ١٠٩:) ما معتقد المعتزلة في قدرة الله تعالى؟ وبم يرد عليهم؟ وما معتقد أهل السنة في ذلك؟.

(ج:) حرفت المعتزلة المعنى المفهوم من قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ فقالوا: إنه قادر على ما هو مقدور له، وأما نفس أفعال العباد، فلا يقدر عليها عندهم، وتنازعوا: هل يقدر على مثلها أم لا؟ ولو كان المعنى على ما قالوا، لكان هذا بمنزلة أن يقال: هو عالم بكل ما يعلمه، وخالق

لكل ما يخلقه ونحو ذلك من العبارات التي لا فائدة فيها، فسلبوا صفة كمال قدرته على كل شيء.

وأما أهل السنة، فعندهم أن الله على كل شيء قدير، وكلُّ ممكن، فهو مندرج في هذا، وأما المحال لذاته، مثل: (كون الشيء الواحد موجوداً معدوماً في حالٍ واحدة)، فهذا لا حقيقة له، ولا يتصور وجوده، ولا يسمى شيئاً باتفاق العقلاء، ومن هذا الباب خلق مثل نفسه، وإعدام نفسه، وأمثال ذلك من المحال.

وهذا الأصل، هو الإيمان بربوبيته العامة التامة، فإنه لا يؤمن بأنه رب كل شيء إلا من آمن أنه قادر على تلك الأشياء، ولا يؤمن بتمام ربوبيته وكمالها إلا من آمن بأنه على كل شيء قدير.

س ١١٠: هل المعدوم الممكن له وجود في الخارج؟ وهل في قدرة الرب تعالى أن يكتبه ويعلمه ويذكره وهو كذلك؟.

ج: تنازع الناس في المعدوم الممكن هل هو شيء أم لا؟.

والتحقيق: أن المعدوم ليس بشيء في الخارج، ولكن الله يعلم ما يكون قبل أن يكون، ويكتبه، وقد يذكره ويخبر به، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ فيكون شيئاً في العلم والذكر والكتاب، لا في الخارج، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ أي: لم تكن شيئاً في الخارج، وإن كان شيئاً في علمه تعالى، وقال تعالى: ﴿هَذَا أَقْبَىٰ عَلَى الْإِنْسَانِ حِينَ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَّذْكُورًا﴾.

س ١١١: لم أورد الشيخ قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ في الموضع الآنف بعد قوله: "ذلك بأنه على كل شيء قدير...؟".

ج: أورد هذه الآية رداً على المشبهة والمعطلة فقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ رد على المشبهة وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ رد على المعطلة، فهو سبحانه وتعالى موصوف بصفات الكمال، وليس له فيها شبيه، فالمخلوق وإن كان يوصف بأنه سميع بصير، فليس سمعه وبصره كسمع الرب

وبصره، ولا يلزم من إثبات الصفة تشبيهه، إذ صفات المخلوق كما يليق به وصفات الخالق كما يليق به.

(س ١١٢) ما حكم من نفى عن الله ما وصف به نفسه؟ أو من شبه الله تعالى بخلقه؟

(ج) قال الشارح: ولا تنف عن الله ما وصف به نفسه، وما وصفه به أعرف الخلق بربه، وما يجب له وما يمتنع عليه، وأنصحهم لأمتهم وأفصحهم وأقدرهم على البيان فإنك إن نفيت شيئاً من ذلك، كنت كافراً بما أنزل على محمد ﷺ.

وإذا وصفته بما وصف به نفسه، فلا تشبهه بخلقه، فليس كمثله شيء، فإذا شبهته بخلقه، كنت كافراً به. قال نعيم بن حماد شيخ البخاري: "من شبه الله بخلقه فقد كفر، ومن جحد ما وصف الله به نفسه فقد كفر، وليس ما وصف الله به نفسه ولا ما وصفه به رسوله تشبيهاً".

(س ١١٣) اشرح قوله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوِّ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى﴾؟ وهل من نفى عن الله صفاته وسلبها قد جعل له مثل السوء؟ وضح ذلك.

(ج) وصف الله تعالى نفسه بأن له المثل الأعلى فقال تعالى: ﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوِّ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى﴾.

وقال تعالى: ﴿وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾، فجعل سبحانه مثل السوء - المتضمن للعيوب والنقائص وسلب الكمال - لأعدائه المشركين وأوثانهم، وأخبر أن المثل الأعلى - المتضمن لإثبات الكمال كله - لله وحده، فمن سلب صفات الكمال عن الله تعالى، فقد جعل له مثل السوء، ونفى عنه ما وصف به نفسه من المثل الأعلى، وهو الكمال المطلق المتضمن للأمور الوجودية والمعاني الثبوتية، التي كلما كانت أكثر في الموصوف وأكمل، كان بها أكمل وأعلى من غيره.

ولما كانت صفات الرب تعالى أكثر وأكمل، كان له المثل الأعلى، وكان أحق به من كل ما سواه، بل يستحيل أن يشترك في المثل الأعلى المطلق اثنان، لأنهما إن تكافأ من كل وجه، لم يكن أحدهما أعلى من

الآخر، وإن لم يتكافأ، فالموصوف به أحدهما وحده، فيستحيل أن يكون لمن له المثل الأعلى مثل أو نظير.

س ١١٤: دارت عبارات السلف في المراد بالمثل الأعلى، على معان عدة اذكرها؟.

ج: اختلفت عبارات المفسرين في المثل الأعلى، ووفق بين قولهم بعض من وفقه الله وهده، فقال: المثل الأعلى يتضمن:

الصفة العليا، وعلم العالمين بها، ووجودها العلمي، والخبر عنها، وذكرها، وعبادة الرب تعالى بواسطة العلم والمعرفة القائمة بقلوب عابديه وذاكره.

فها هنا أربعة أمور:

الأول: ثبوت الصفة العليا لله سبحانه، سواء علمها العباد أو لا، وهذا معنى من فسرهما بالصفة.

الثاني: وجودها في العلم والشعور، وهذا معنى قول من قال من السلف والخلف: إنه في قلوب عابديه وذاكره.

الثالث: ذكر صفاته والخبر عنها، وتنزيهها من العيوب والنقائص.

الرابع: محبة الموصوف بها وتوحيده والإخلاص له، والتوكل عليه، والإنابة إليه، وكلما كان الإيمان بالصفات أكمل، كان هذا الحب والإخلاص أقوى.

س ١١٥: أورد الشيخ الشارح مثليين لمن ابتدع ونفى الصفات، كيف أوصلتهم بدعتهم إلى الأمر بتحريف القرآن، اذكرهما؟.

ج: قال الشارح رحمه الله: فمن أضل ممن يعارض بين قول تعالى: ﴿وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى﴾ وبين قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾، ويستدل بقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ على نفي الصفات ويعمى عن تمام الآية، وهو قوله: ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾، حتى أفضى هذا الضلال ببعضهم - وهو أحمد بن أبي دؤاد القاضي - إلى أن أشار على الخليفة المأمون أن يكتب على ستر الكعبة: ليس كمثل شيء وهو العزيز الحكيم، حرف كلام الله لينفي وَضْفَهُ تعالى بأنه السميع البصير.

كما قال الضال الآخر جهم بن صفوان: وددت أني أحك من المصحف قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾، فنسأل الله العظيم السميع البصير أن يثبتنا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة، بمنه وكرمه.

(س ١١٦): ما إعراب "كمثله" في الآية الأنفة الذكر؟.

(ج): في إعراب "كمثله" وجوه:

أحدها: أن الكاف صلة زيدت للتأكيد، فيكون "مثله" خبر "ليس" واسمها "شئ".

الثاني: أن الزائد "مثل" أي: ليس كهو شيء، وهذا القول بعيد.

الثالث: أنه ليس ثم زيادة أصلاً، بل هذا من باب قولهم: مثلك لا يفعل كذا، أي: أنت لا تفعله، وأتى بمثل للمبالغة، وقالوا في معنى المبالغة هنا: أي: ليس لمثله مثل لو فرض المثل، فكيف ولا مثل له. وقيل غير ذلك والأول أولى.

(س ١١٧): اشرح قول الطحاوي رحمه الله: "خلق الخلق بعلمه"؟.

(ج): خلق: أي أوجد وأنشأ وأبدع، ويأتي "خلق" أيضاً بمعنى: قدر.

والخلق: مصدر، وهو هنا بمعنى المخلوق، وقوله: "بعلمه" في محل نصب على الحال، أي: خلقهم عالماً بهم، قال تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ (١٤) وقال تعالى: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِى ظُلُمَتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَآسٌ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ (٥٩) وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّنَكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ، وفي ذلك رد على المعتزلة.

(س ١١٨): ما قول المعتزلة في علم الله، والآيات التي تثبت؟.

(ج): تنفي المعتزلة علم الله تعالى، وتحرف الآيات التي تثبت الصفات، فيقولون: لا يجهل! فهل هذا إثبات؟، ولا يعترفون أنه تعالى عالم بعلم.

قال الإمام عبد العزيز المكي، صاحب الإمام الشافعي رحمه الله وجليسه، في كتاب "الحيدة" الذي حكى فيه مناظرته بشراً المريسي عند

المؤمنون حين سأله عن علمه تعالى: فقال بشر: أقول لا يجهل، فجعل يكرر السؤال عن صفة العلم تقريراً له وبشر يقول: لا يجهل، ولا يعترف أنه عالم بعلم، فقال الإمام عبد العزيز: نفى الجهل لا يكون صفة مدح، فإن قولي: هذه الاسطوانة لا تجهل، ليس هو إثبات العلم لها، وقد مدح الله تعالى الأنبياء والملائكة والمؤمنين بالعلم، لا بنفي الجهل، فمن أثبت العلم، فقد نفى الجهل، ومن نفى الجهل، لم يثبت العلم، وعلى الخلق أن يثبتوا ما أثبتته الله تعالى لنفسه، وينفوا ما نفاه، ويمسكوا عما أمسك عنه.

(س ١١٩) الآيات الدالة على علم الله تعالى كثيرة، فهل لك بذكر دليل عقلي على علمه تعالى؟

(ج) الدليل العقلي على علمه تعالى:

* أنه يستحيل إيجاد الأشياء مع الجهل، ولأن إيجاده الأشياء بإرادته، والإرادة تستلزم تصور المراد، وتصور المراد: هو العلم بالمراد، فكان الإيجاد مستلزماً للإرادة، والإرادة مستلزمة للعلم، فالإيجاد مستلزم للعلم.

* ولأن المخلوقات فيها من الإحكام والإتقان ما يستلزم علم الفاعل لها، لأن الفعل المحكم المتقن يمتنع صدوره عن غير عالم.

* ولأن من المخلوقات ما هو عالم، والعلم صفة كمال، ويمتنع أن لا يكون الخالق عالماً.

(س ١٢٠) ذكر الشارح يرحمه الله في الدليل العقلي على علم الله؛ أن من المخلوقات ما هو عالم، والعلم صفة كمال ويمتنع أن لا يكون الخالق عالماً، وذكر طريقان لهذا الدليل العقلي، ما هما؟

(ج) أحدهما: أن يقال: نحن نعلم بالضرورة أن الخالق أكمل من المخلوق، وأن الواجب أكمل من الممكن، ونعلم ضرورة أنا لو فرضنا شيئين، أحدهما عالم والآخر غير عالم، كان العالم أكمل فلو لم يكن الخالق عالماً، لزم أن يكون الممكن (المخلوق) أكمل منه، وهو ممتنع.

الثاني: أن يقال: كل علم في الممكنات التي هي المخلوقات فهو منه، ومن الممتنع أن يكون فاعل الكمال ومبدعه عارياً منه، بل هو أحق به، والله

تعالى له المثل الأعلى، لا يستوي هو والمخلوقات لا في قياس تمثيل^(١)،
ولا في قياس شمول^(٢)، بل كل ما ثبت للمخلوق من كمال، فالخالق أحق
به، وكل نقص تنزه عنه مخلوق ما، فتنزيه الخالق عنه أولى.



(١) سبق التعريف به، ص ٤٧.

(٢) سبق التعريف به، ص ٤٧.

الفصل الثالث

القدر

القدر

س ١٢١: هات أدلة من الكتاب والسنة على القدر؟.

ج: قال تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ نَقْدِيرًا﴾.

وقال تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ (٤٩).

وقال تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ (٢) وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ (٣)﴾.

وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ أنه قال: "قدر الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، وكان عرشه على الماء".

س ١٢٢: هل الآجال مقدرة مضروبة، مع الاستدلال لما تقول؟.

ج: نعم هي كذلك، قال الطحاوي رحمه الله: "وضرب لهم آجالاً"، يعني أن الله سبحانه وتعالى قدر آجال الخلائق، بحيث إذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون، قال تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾.

وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كَذَبُوا مُوََجَّلًا﴾.

وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن مسعود قال: "قالت أم حبيبة زوج النبي ﷺ: اللهم أمتعني بزوجي رسول الله، وبأبي أبي سفيان، وبأخي معاوية، قال: فقال النبي ﷺ: قد سألت الله لآجال مضروبة، وأيام معدودة،

وأرزاق مقسومة، لن يُعَجَّل شيئاً قبل حله، ولن يؤخر شيء عن حله، ولو كنت سألت الله أن يعيدك من عذاب في النار وعذاب في القبر، كان خيراً وأفضل".

س ١٢٣: ما قول المعتزلة في الآجال وأسبابها؟

ج: من المعلوم أن لكل أجل سبب، فالمقتول ميت بأجله، فعلم الله تعالى وقدّر وقضى أن هذا يموت بسبب القتل، وهذا بسبب الهدم، وهذا بالحرق، وهذا بالغرق، إلى غير ذلك من الأسباب، والله سبحانه خلق الموت والحياة، وخلق سبب الموت والحياة.

وعند المعتزلة: المقتول مقطوع عليه أجله، ولو لم يقتل، لعاش إلى أجله، فكان له أجلان، وهذا باطل، لأنه لا يليق أن ينسب إلى الله تعالى أنه جعل له أجلاً يعلم أنه لا يعيش إليه ألبتة، أو يجعل أجله أحد الأمرين، كفعل الجاهل بالعواقب، ووجوب القصاص، والضمان على القاتل، لارتكابه المنهي عنه، ومباشرته السبب المحظور، وعلى هذا يخرج قوله ﷺ: "صلة الرحم تزيد في العمر" أي: هي سبب طول العمر، وقد قدر الله أن هذا يصل رحمه، فيعيش بهذا السبب إلى هذه الغاية، ولولا ذلك السبب لم يعيش إلى تلك الغاية، ولكن قدر الله هذا السبب وقضاه، وكذلك قدر أن هذا يقطع رحمه، فيعيش إلى كذا، كما قلنا في القتل وعدمه.

س ١٢٤: ما معنى قوله ﷺ: "صلة الرحم تزيد في العمر"؟

ج: أي: هي سبب طول العمر، وقد قدر الله أن هذا يصل رحمه، فيعيش بهذا السبب إلى هذه الغاية، ولولا ذلك السبب لم يعيش إلى تلك الغاية، ولكن قدر الله هذا السبب وقضاه، وكذلك قدر أن هذا يقطع رحمه، فيعيش إلى كذا، كما قلنا في القتل وعدمه.

س ١٢٥: هل يلزم من تأثير صلة الرحم في زيادة العمر ونقصانه تأثير الدعاء في ذلك أم لا؟

ج: ذلك غير لازم، لقوله ﷺ: "لأم حبيبة رضي الله عنها: "قد سألت الله

تعالى لآجالٍ مضروبة " الحديث، كما تقدم.

فعلم أن الأعمار مقدرة، لم يشرع الدعاء بتغييرها، بخلاف النجاة من عذاب الآخرة، فإن الدعاء مشروع له نافع فيه، ألا ترى أن الدعاء بتغيير العمر لما تضمن النفع الأخروي، شرع كما في الدعاء الذي رواه النسائي من حديث عمار بن ياسر رضي الله عنه أنه قال: "اللهم بعلمك الغيب، وقدرتك على الخلق، أحيني ما كانت الحياة خيراً لي، وتوفني إذا كانت الوفاة خيراً لي" إلى آخر الدعاء.

ويؤيد هذا ما رواه الحاكم في صحيحه من حديث ثوبان رضي الله عنه عن النبي ﷺ: "لا يرد القدر إلا الدعاء، ولا يزيد في العمر إلا البر، وإن الرجل ليحرم الرزق بالذنوب يصيبه".

(س ١٢٦) يظن بعض الناس أن النذر سبب في دفع البلاء، بم يرد عليهم؟
(ج) يرد عليهم بالحديث الآنف الذكر "لا يرد القدر إلا الدعاء، ولا يزيد في العمر إلا البر، وإن الرجل ليحرم الرزق بالذنوب يصيبه" وفيه رد على من يظن أن النذر سبب في دفع البلاء وحصول النعماء، وقد ثبت في الصحيحين عن النبي ﷺ أنه نهى عن النذر، وقال: "إنه لا يأتي بخير، وإنما يستخرج به من البخيل".

(س ١٢٧) لمن يعود الضمير في قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْزَرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقَصُ مِنْ عُمرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ؟﴾.

(ج) قيل الضمير المذكور في قوله تعالى: ﴿مِنْ عُمرِهِ﴾ إنه بمنزلة قولهم: عندي درهم ونصفه، أي ونصف درهم آخر، فيكون المعنى: ولا ينقص من عمر معمر آخر.

وقيل الزيادة والنقصان في الصحف التي في أيدي الملائكة.

(س ١٢٨) علام حمل قوله تعالى: ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾ (٣٨) يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ (٣٩)؟.

(ج) ١ - حملت هذه الآية، على أن المحو والإثبات من الصحف التي في أيدي

الملائكة، وأن قوله: ﴿وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ (٣٩)، اللوح المحفوظ، ويدل على هذا الوجه سياق الآية، وهو قوله تعالى: ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾ ثم قال: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ﴾ أي من ذلك الكتاب، ﴿وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ (٣٩) أي: أصله، وهو اللوح المحفوظ.

٢ - وقيل: يمحو الله ما يشاء من الشرائع وينسخه، ويثبت ما يشاء، فلا ينسخه، والسياق أدل على هذا الوجه من الوجه الأول، وهو قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِحَاكِيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾، فأخبر أن الرسول لا يأتي بالآيات من قبل نفسه، بل من عند الله، ثم قال: ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾ (٣٨) يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ﴾ أي: أن الشرائع لها أجل وغاية تنتهي إليها، ثم تنسخ بالشريعة الأخرى، فينسخ الله ما يشاء من الشرائع عند انقضاء الأجل، ويثبت ما يشاء.

وفي الآية أقوال أخرى، والله أعلم بالصواب.

(س ١٢٩): قال الطحاوي: "لم يخف عليه شيء قبل أن يخلقهم، وعلم ما هم عاملون قبل أن يخلقهم" ما معنى قوله هذا؟.

(ج): أي أنه يعلم سبحانه ما كان، وما يكون، وما لم يكن أن لو كان كيف يكون، كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ (٢٨)، وإن كان يعلم أنهم لا يُرَدُّون، ولكن أخبر أنهم لو رُدُّوا، لعادوا، كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾ (٢٣).

(س ١٣٠): لم أورد الطحاوي قوله الآنف: "لم يخف عليه شيء قبل أن يخلقهم"؟.

(ج): لأن في ذلك رد على الرافضة والقدرية الذين قالوا: إنه لا يعلم الشيء قبل أن يخلقه ويوجده، وهي من فروع مسألة القدر، وسيأتي لها زيادة بيان إن شاء الله تعالى.

(س ١٣١): لم ذكر الشيخ الأمر والنهي في قوله: "وأمرهم بطاعته.. " بعد ذكره الخلق والقدر؟.

(ج:) ذكر الشيخ رحمه الله الأمر والنهي، بعد ذكره الخلق والقدر، إشارة إلى أن الله تعالى خلق الخلق لعبادته، كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (٥٦).

وقال تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾.

(س ١٣٢:) قال الإمام الطحاوي: " وكل شيء يجري بتقديره ومشيئته، ومشيئته تنفذ لا مشيئة للعباد، إلا ما شاء لهم، فما شاء لهم كان، وما لم يشأ لم يكن " اشرح قوله مع الاستدلال؟.

(ج:) قال تعالى: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ (٣٠). وقال: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ (٢٩).

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّا زَلَنَّا إِلَىٰ آلِهَتِهِمُ الْمَلَكُوتَ وَلَكُمُ الْوَقْتُ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾.

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مَن فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا﴾.

وقال تعالى: ﴿مَنْ يَشَأِ اللَّهُ يُضِلَّهُ وَمَنْ يَشَأِ يُجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾.

إلى غير ذلك من الأدلة على أنه ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن. وكيف يكون في ملكه ما لا يشاؤه! ومن أضل سبيلاً وأكفر ممن يزعم أن الله شاء الإيمان من الكافر، والكافر شاء الكفر، فغلبت مشيئة الكافر مشيئة الله! تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

(س ١٣٣:) إن قيل يشكل على ما ذكرت آنفاً أنه ما لم يشأ الله لم يكن، وما شاءه كان واستدللت عليه، باحتجاج أهل الشرك بالمشيئة كما في قوله تعالى: ﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا﴾ وبقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ﴾. وقد ذمهم الله على أن جعلوا الشرك كائناً بمشيئة الله، فبم تجيب على هذا الإشكال؟.

(ج:) أجيب على هذا بأجوبة من أحسنها:

* أنه أنكر عليهم ذلك، لأنهم احتجوا بمشيئته على رضاه ومحبته،

وقالوا: لو كره ذلك وسخطه، لما شاءه، فجعلوا مشيئته دليل رضاه، فرد الله عليهم ذلك.

* أو أنه أنكر عليهم اعتقادهم أن مشيئة الله دليل على أمره به.

* أو أنه أنكر عليهم معارضة شرعه، وأمره الذي أرسل به رسله وأنزل به كتبه بقضائه وقدره، فجعلوا المشيئة العامة دافعةً للأمر، فلم يذكروا المشيئة على جهة التوحيد، وإنما ذكروها معارضين بها لأمره، دافعين بها لشرعه، كفعل الزنادقة والجهال، إذا أمروا أو نهوا احتجوا بالقدر.

وقد احتج سارق على عمر رضي الله عنه بالقدر، فقال: وأنا أقطع يدك بقضاء الله وقدره، يشهد لذلك قوله تعالى في الآية: ﴿كَذَلِكَ كَذَبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾، فعلم أن مرادهم التكذيب، فهو من قبل الفعل، من أين له أن الله لم يُقدِّره؟ أطلع الغيب؟!.

(س ١٣٤): إن احتج محتج على شركه أو معاصيه بالقدر، وقال: قد احتج آدم على موسى بالقدر، فغلبه بالحجة، فأنا كأدم لما احتج بالقدر، أحتج به؟.

(ج): يقال له: الحديث صحيح نتلقاه بالقبول والطاعة، لا بالرد والتكذيب لراويه، كما فعلت القدرية، ولا بالتأويلات الباردة.

بل الصحيح أن آدم لم يحتج بالقضاء والقدر على الذنب، وهو كان أعلم بربه وذنبيه، بل آحاد بنيهِ من المؤمنين لا يحتج بالقدر، فإنه باطل، وموسى عليه السلام كان أعلم بأبيه وذنبيه من أن يلوم آدم عليه السلام على ذنب قد تاب منه، وتاب الله عليه، واجتبه وهداه، وإنما وقع اللوم على المصيبة التي أخرجت أولاده من الجنة، فاحتج آدم عليه السلام بالقدر على المصيبة، لا على الخطيئة، فإن القدر يحتج به عند المصائب، لا عند المعاييب.

(س ١٣٥): قال إبليس محتجاً على ربه: ﴿رَبِّ إِنَّمَا أَعُوذُ بِكَ وَأُحْتَجُّ بِكَ﴾، بأن الله تعالى أغواه، فما الجواب؟.

(ج): الله تعالى ذم إبليس على احتجاجه بالقدر، لا على اعترافه بالقدر، وإثباته له، ألم تسمع قول نوح عليه السلام: ﴿وَلَا يَفْعَلُكُمْ نُصَحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ﴾

لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٤﴾ ، وإبليس لم يحتج بالقدر لإيمانه به، وإنما لدفع الأوامر الشرعية به، ولقد أحسن القائل:
فما شئتَ كان وإن لم أشأَ وما شئتُ إن لم تشأَ لم يكن
وعن وهب بن منبه، أنه قال: نظرت في القدر فتحيرت، ثم نظرت فيه فتحيرت، ووجدت أعلم الناس بالقدر، أكفهم عنه، وأجهل الناس بالقدر أنطقهم فيه.

(س ١٣٦) لِمَ أورد الطحاوي قوله: "يهدي من يشاء، ويعصم ويعافي فضلاً، ويضل من يشاء ويخذل ويبتلي عدلاً؟".

(ج) أوردته رداً على المعتزلة الذين يقولون بوجوب فعل الأصلح للعبد على الله، وهي مسألة الهدى والضلال.

(س ١٣٧) ما قول المعتزلة في مسألة الهدى والضلال، وعلى ما بنوا هذا؟.

(ج) قالت المعتزلة: الهدى من الله: بيان طريق الصواب، والإضلال: تسمية العبد ضالاً، وحكمه تعالى على العبد بالضلال، عند خلق العبد الضلال في نفسه.

وهذا مبني على أصلهم الفاسد: أن أفعال العباد مخلوقة لهم.

(س ١٣٨) ما قول أهل السنة والجماعة في مسألة الهدى والضلال، مع الاستدلال؟.

(ج) تقدم قولهم آنفاً، وهو أن الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء. ومن الأدلة على ذلك، قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾، ولو كان الهدى بيان الطريق، لما صح هذا النفي عن نبيه، لأنه ﷺ بين الطريق لمن أحب وأبغض، وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدًى﴾.

وقوله: ﴿يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾.

وقوله: ﴿مَنْ يَشَأِ اللَّهُ يُضِلَّهُ وَمَنْ يَشَأِ يُجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾.

س ١٣٩: ما معنى قول الإمام الطحاوي: "وكلهم يتقلبون في مشيئته، بين فضله وعدله ؟".

ج: هم كما قال الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَنُكِّمُ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ﴾، فمن هداه الله إلى الإيمان، فبفضله وله الحمد، ومن أضله فبعده، وله الحمد، وسيأتي لهذا المعنى زيادة إيضاح إن شاء الله تعالى، فإن الشيخ رحمه الله لم يجمع الكلام في القدر في مكان واحد، بل فرقه فأتيت به على ترتيبه.

س ١٤٠: قال الطحاوي: "وهو متعال عن الأضداد والأنداد"، ما معنى الأضداد والأنداد؟.

ج: الضد: المخالف.

والند: المثل.

فهو سبحانه لا معارض له، بل هو كما قال تعالى: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾.

س ١٤١: لم أشار الشيخ بقوله: "وهو متعال عن الأضداد والأنداد"؟.

ج: يشير الشيخ رحمه الله بنفي الضد والند، إلى الرد على المعتزلة في زعمهم أن العبد يخلق فعله.

س ١٤٢: اشرح قول الطحاوي يرحمه الله: "لا راد لقضائه، ولا معقب لحكمه، ولا غالب لأمره"؟.

ج: أي لا يرد قضاء الله راداً.

ولا يعقب، أي: لا يؤخر حكمه مؤخر.

ولا يغلب أمره غالب، بل هو الله الواحد القهار.

س ١٤٣: ما معنى قول الطحاوي: "وأيقنا أن كلاً من عنده"؟.

ج: الإيقان: الاستقرار، من يقن الماء في الحوض: إذا استقر، والتنوين في "كلّ" بدل الإضافة، أي: كل كائن محدث من عند الله، أي: بقضائه وقدره وإرادته ومشيئته وتكوينه. وسيأتي الكلام على ذلك في موضعه، إن شاء الله تعالى.

الفصل الرابع

الإيمان بالرسول

الإيمان بالرسول

س ١٤٤: علام عطف قول الإمام الطحاوي: " وإن محمداً عبده المصطفى، ونبيه المجتبي... ؟".

ج: قوله: " وإن محمداً" بكسر الهمزة عطفاً على قوله: " إن الله واحد لا شريك له " لأن الكل معمول القول، أعني: قوله: "نقول في توحيد الله".

س ١٤٥: بين فضل العبودية جملةً وفضلها لعبد الله محمد بن عبد الله ﷺ في ضوء قول الطحاوي: " وإن محمداً عبده المصطفى، ونبيه المجتبي... ؟".

ج: اعلم أن كمال المخلوق في تحقيق عبوديته لله تعالى، وكلما ازداد العبد تحقيقاً للعبودية، ازداد كماله، وعلت درجته، ومن توهم أن المخلوق يخرج عن العبودية بوجه من الوجوه، وأن الخروج عنها أكمل، فهو من أجهل الخلق وأضلهم، قال تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَنَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾، إلى غير ذلك من الآيات.

وذكر الله نبيه باسم العبد في أشرف المقامات، فقال في ذكر الإسراء: ﴿سُبْحَنَ الَّذِي أَمَرَنِي بِعِبَادِهِ﴾.

وقال تعالى: ﴿وَأَنْتُمْ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ﴾.

وقال تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾.

وبذلك استحق التقديم على الناس في الدنيا والآخرة، ولذلك يقول

المسيح ﷺ يوم القيامة، إذا طلبوا منه الشفاعة بعد الأنبياء عليهم السلام: "اذهبوا إلى محمد، عبد غُفِرَ له ما تقدم من ذنبه وما تأخر " فحصلت له تلك المرتبة بتكميل عبوديته لله تعالى.

س ١٤٦: ما الطريقة المشهورة عند أهل الكلام في تقرير نبوة الأنبياء؟.

ج: الطريقة المشهورة عند أهل الكلام والنظر هي تقرير نبوة الأنبياء بالمعجزات، لكن كثير منهم لا يعرف نبوة الأنبياء إلا بالمعجزات، وقرروا ذلك بطرق مضطربة، والتزم كثير منهم إنكار خرق العادات لغير الأنبياء، حتى أنكروا كرامات الأولياء والسحر، ونحو ذلك.

س ١٤٧: بم تعرف نبوة الأنبياء؟.

ج: تعرف نبوة الأنبياء بالمعجزات وبدلائل عقلية أخرى كثيرة، وبقرائن أحواله وأفعاله.

س ١٤٨: هل لك بذكر بعض الدلائل والقرائن التي يعرف بها الصادق من الكاذب في دعوى النبوة؟.

ج: لا ريب أن المعجزات دليل صحيح، لكن الدليل غير محصور في المعجزات، فإن النبوة إنما يدعيها أصدق الصادقين، أو أكذب الكاذبين، ولا يلبس هذا بهذا إلا على أجهل الجاهلين، بل قرائن أحوالهما تعرب عنهما، وتُعرفُ بهما، والتمييز بين الصادق والكاذب له طرق كثيرة فيما دون دعوى النبوة، فكيف بدعوى النبوة؟ وما أحسن ما قال حسان عليه السلام:

لو لم تكن فيه آيات مبينة

كانت بديهته تأتيك بالخبر

وما من أحد ادعى النبوة من الكاذبين، إلا وقد ظهر عليه من الجهل والكذب والفجور واستحواذ الشياطين عليه ما ظهر لمن له أدنى تمييز، فإن الرسول لا بد أن يخبر الناس بأمور، ولا بد أن يفعل أموراً يبين بها صدقه، والكاذب يظهر في نفس ما يأمر به، وما يخبر عنه، وما يفعله ما يبين به كذبه من وجوه كثيرة، والصادق ضده.

بل كل شخصين ادعيا أمراً: أحدهما صادق والآخر كاذب، لا بد أن يظهر صدق هذا وكذب هذا ولو بعد مدة، إذ الصدق مستلزم للبر، والكذب مستلزم للفجور كما في الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال: "عليكم بالصدق، فإن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، ولا يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً، وإياكم والكذب فإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، ولا يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عن الله كذاباً".

ولهذا قال الله تعالى: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾ يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثُرُهُمْ كَاذِبُونَ ﴿٢٢٣﴾ وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾﴾.

فالكهان ونحوهم، وإن كانوا أحياناً يخبرون بشئ من المغيبات ويكون صدقاً، فمعهم من الكذب والفجور ما يبين أن الذي يخبرون به ليس عن ملك، وليسوا بأنبياء. ولهذا لما قال النبي ﷺ لابن صياد: "قد خبأت لك خبيئاً" وقال: الدخ قال له النبي ﷺ: "أخساً فلن تعدو قدرك". يعني إنما أنت كاهن. وقد قال للنبي ﷺ: يأتيني صادق وكاذب. وقال: أرى عرشاً على الماء، وذلك هو عرش الشيطان، وبين أن الشعراء يتبعهم الغاؤون، والغاوي: الذي يتبع هواه وشهوته، وإن كان ذلك مضراً له في العاقبة.

فمن عرف الرسول وصدقه ووفاءه ومطابقة قوله لعمله، علم علماً يقينياً أنه ليس بشاعر ولا كاهن.

والناس يميزون بين الصادق والكاذب بأنواع من الأدلة، حتى في المدعي للصناعات والمقالات، كمن يدعي الفلاحة والنساجة والكتابة، أو علم النحو والطب والفقه وغير ذلك.

(س ١٤٩) قال الشارح رحمه الله: "ولا ريب أن المحققين على أن خبر الواحد والاثنين والثلاثة قد يقترن به من القرائن ما يحصل معه العلم الضروري" وضح هذا المعنى؟.

(ج:) النبوة مشتملة على علوم وأعمال لا بد أن يتصف الرسول بها، وهي

أشرف العلوم وأشرف الأعمال. فكيف يشبه الصادق فيها بالكاذب؟!.

ولا ريب أن المحققين على أن خبر الواحد والاثنين والثلاثة قد يقترن به من القرائن ما يحصل معه العلم الضروري، كما يعرف الرجل رضى الرجل وحبه وبغضه وفرحه وحزنه وغير ذلك مما في نفسه بأمور تظهر على وجهه، قد لا يمكن التعبير عنها، كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسَمِهِمْ﴾، ثم قال: ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ﴾.

وقد قيل: ما أسر الإنسان سريرة إلا أظهرها الله على صفحات وجهه وفلتات لسانه.

فإذا كان صدق المخبر وكذبه يعلم بما يقترن به من القرائن، فكيف بدعوى المدعي أنه رسول الله؟! كيف يخفى صدق هذا من كذبه؟! وكيف لا يتميز الصادق في ذلك من الكاذب بوجوه من الأدلة؟!

(س ١٥٠) عدد أربعة من (الأدلة العقلية) على صدق الرسول ﷺ وما احتف برسالته من قرائن تدل على صدقه؟.

(ج: ١) - قصته ﷺ مع أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها، لما كانت تعلم من صدق النبي ﷺ أنه الصادق البار، قال لها لما جاءه الوحي: "إني خشيت على نفسي، فقالت: كلا، والله لا يخزيك الله أبداً، إنك لتصل الرحم، وتصدق الحديث، وتحمل الكل، وتقري الضيف، وتكسب المعدوم، وتعين على نوائب الحق".

٢ - وكذلك قال النجاشي لما استخبرهم عما يُخبر به، واستقراهم القرآن فقرؤوه عليه: "إن هذا والذي جاء به موسى ليخرج من مشكاة واحدة".

٣ - وكذلك ورقة بن نوفل، لما أخبره النبي ﷺ بما رآه، كان ورقة قد تنصر وكان يكتب الإنجيل بالعربية، فقالت له خديجة: "أي عم اسمع من ابن أخيك ما يقول، فأخبره النبي ﷺ بما رأى، فقال: هذا هو الناموس^(١) الذي كان يأتي موسى".

(١) الناموس: صاحب السر، والمراد به جبريل عليه السلام.

٤ - وكذلك هرقل ملك الروم، فإن النبي ﷺ لما كتب إليه كتاباً يدعو فيه إلى الإسلام، طلب من كان هناك من العرب، وكان أبو سفيان قد قدم في طائفة من قريش في تجارة إلى الشام، وسألهم عن أحوال النبي ﷺ، فسأل أبا سفيان، وأمر الباقيين إن كذب أن يكذبوه، فصاروا بسكوتهم موافقين له في الأخبار:

١ - سألهم: هل كان في آبائه من ملك؟.

فقالوا: لا.

٢ - قال: هل قال هذا القول أحد قبله؟.

فقالوا: لا.

٣ - وسألهم: أهو ذو نسب فيكم؟.

فقالوا: نعم.

٤ - وسألهم: هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟.

فقالوا: ما جربنا عليه كذباً.

٥ - وسألهم: هل اتبعه ضعاف الناس أم أشrafهم؟.

فذكروا أن الضعفاء اتبعوه.

٦ - وسألهم: هل يزيدون أم ينقصون؟.

فذكروا أنهم يزيدون.

٧ - وسألهم: هل يرجع أحد منهم عن دينه سخطاً له بعد أن يدخل

فيه؟.

فقالوا: لا.

٨ - وسألهم: هل قاتلتموه؟.

قالوا: نعم.

٩ - وسألهم: عن الحرب بينهم وبينه.

فقالوا: يُدال علينا مرة، ونُدال عليه أخرى.

١٠ - وسألهم: هل يغدر؟.

فذكروا أنه لا يغدر.

١١ - وسألهم: بماذا يأمركم؟.

فقالوا: يأمرنا أن نعبد الله وحده لا نشرك به شيئاً، وبنهانا عما كان يعبد آباؤنا، ويأمرنا بالصلاة والصدق والعفاف والصلة.
وهذه أكثر من عشر مسائل، ثم بين لهم ما في هذه المسائل من الأدلة، فقال:

١ - سألتكم: هل كان في آبائه من ملك؟ فقلتم: لا.

قلت: لو كان في آبائه ملك، لقلت: رجل يطلب ملك أبيه.

٢ - وسألتكم: هل قال هذا القول فيكم أحدٌ قبله؟ فقلتم: لا.

فقلت: لو قال هذا القول أحدٌ قبله، لقلت: رجلٌ اتهم بقولٍ قيل قبله.

٣ - وسألتكم: هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ فقلتم:

لا.

فقلت: قد علمت أنه لم يكن ليدع الكذب على الناس، ثم يذهب، فيكذب على الله.

٤ - وسألتكم: أضعفاء الناس يتبعونه أم أشرافهم؟ فقلتم: ضعفاؤهم.

وهم أتباع الرسل، يعني في أول أمرهم.

٥ - ثم قال: وسألتكم: هل يزيدون أم ينقصون؟ فقلتم: يزيدون.

وكذلك الإيمان حتى يتم.

٦ - وسألتكم: هل يرتد أحدٌ منهم عن دينه سخطةً له بعد أن يدخل

فيه؟ فقلتم: لا.

وكذلك الإيمان إذا خالطت بشاشته القلوب لا يسخطه أحد.

وهذا من أعظم علامات الصدق والحق، فإن الكذب والباطل لا بد أن

ينكشف في آخر الأمر، فيرجع عنه أصحابه، ويمتنع عنه من لم يدخل فيه، والكذب لا يروج إلا قليلاً ثم ينكشف.

٧ - وسألتكم: كيف الحرب بينكم وبينه؟ فقلتم: إنها دول.

وكذلك الرسل تبتلى، وتكون العاقبة لها.
٨ - قال: وسألتكم: هل يغدر؟ فقلتم: لا.
وكذلك الرسل لا تغدر.

وهو لما كان عنده من علمه بعادة الرسل وسنة الله فيهم، أنه تارة ينصرهم وتارة يبتليهم، وأنهم لا يغدرون، علم أن هذه علامات الرسل، وأن سنة الله في الأنبياء والمؤمنين أن يبتليهم بالسراء والضراء، لينالوا درجة الشكر والصبر.

٩ - قال: وسألتكم: عما يأمر به؟ فذكرتم أنه يأمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً، ويأمركم بالصلاة والزكاة والصدق والعفاف والصلة، وينهاكم عما كان يعبد آباؤكم، وهذه صفة نبي.
وقد كنت أعلم أن نبياً يبعث، ولم أكن أظنه منكم، ولوددت أني أخلص إليه، ولولا ما أنا فيه من الملك، لذهبت إليه، وإن يكن ما تقول حقاً، فسيملك موضع قدمي هاتين.

وكان المخاطب بذلك أبو سفيان بن حرب، وهو حينئذ كافر من أشد الناس بغضاً وعداوة للنبي ﷺ.

قال أبو سفيان بن حرب: فقلت لأصحابي ونحن خروج: لقد أمر أمر ابن أبي كبشة، إنه ليعظمه ملك بني الأصفر، وما زلت موقناً بأن أمر النبي ﷺ سيظهر، حتى أدخل الله علي الإسلام وأنا كاره.

س ١٥١: في استدلال الناس على نبوة الأنبياء بقرائن أحوالهم وأفعالهم، ما يفيد أن ذلك يزيد بتظافر الأدلة، وضح ذلك؟.

ج: نعم، فما يحصل في القلب بمجموع أمور، قد لا يستقل بعضها به، بل ما يحصل للإنسان من شبع وري وشكر وفرح وغم بأمور مجتمعة، لا يحصل ببعضها، لكن ببعضها قد يحصل بعض الأمر.

وكذلك العلم بخبر من الأخبار، فإن خبر الواحد يحصل للقلب نوع ظن، ثم الآخر يقويه، إلى أن ينتهي إلى العلم، حتى يتزايد ويقوى، وكذلك الأدلة على الصدق والكذب، ونحو ذلك.

س ١٥٢: مما يؤيد صدق الأنبياء أن الله أبقى بعض الآثار الدالة على صدقهم، اذكر بعض هذه الآثار؟.

ج: نعم، فإن الله سبحانه أبقى في العالم الآثار الدالة على ما فعله بأنبيائه والمؤمنين من الكرامة، وما فعله بمكذبيهم من العقوبة.
* كثبوت الطوفان.

* وإغراق فرعون وجنوده.

* ولما ذكر سبحانه قصص الأنبياء نبياً بعد نبي في سورة الشعراء، كقصّة موسى وإبراهيم ونوح ومن بعده، يقول في آخر كل قصة: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾ (٨) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٩﴾.

وبالجملة، فالعلم بأنه كان في الأرض من يقول: إنه رسول الله، وأن أقواماً اتبعوهم، وأن أقواماً خالفوهم، وأن الله نصر الرسل والمؤمنين، وجعل العاقبة لهم، وعاقب أعداءهم، وهو من أظهر العلوم المتواترة وأجلاها.
ونقل أخبار هذه الأمور أظهر وأوضح من نقل أخبار من مضى من الأمم، من ملوك الفرس، وعلماء الطب، كبقراط، وجالينوس وبطليموس وسقراط وأفلاطون وأرسطو، وأتباعه.

س ١٥٣: نحن اليوم نعلم بالتواتر من أحوال الأنبياء وأوليائهم وأعدائهم، علماً يقيناً أنهم كانوا صادقين على الحق من وجوه متعددة، اذكر هذه الوجوه؟.

ج: ١ - منها: أنهم أخبروا الأمم بما سيكون من انتصارهم وخذلان أولئك، وبقاء العاقبة لهم.

٢ - ومنها: ما أحدثه الله لهم من نصرهم، وإهلاك عدوهم، إذا عرف الوجه الذي حصل عليه، كغرق فرعون، وغرق قوم نوح، وبقيّة أحوالهم، عرف صدق الرسل.

٣ - ومنها: أن من عرف ما جاء به الرسل من الشرائع وتفصيل أحوالها، تبين له أنهم أعلم الخلق، وأنه لا يحصل مثل ذلك من كذاب جاهل، وأن ما جاؤوا به من الرحمة والمصلحة والهدى والخير، ودلالة

الخلق على ما ينفعهم، ومنع ما يضرهم ما يبين أنه لا يصدر إلا عن راحم بر يقصد غاية الخير والمنفعة للخلق.

س ١٥٤: إنكار رسالة النبي ﷺ طعن في الرب تعالى، كيف يكون ذلك؟.

ج: إنكار رسالة النبي ﷺ طعن في الرب تبارك وتعالى، ونسبته إلى الظلم والسفه، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، بل جحد للرب بالكلية وإنكار.

وبيان ذلك: أنه إذا كان محمدٌ عندهم ليس بنبي صادق، بل ملك ظالم، فقد تهيأ له أن يفتری على الله، ويتقول عليه، ويستمر حتى يحلحل ويحرم، ويفرض الفرائض، ويشرع الشرائع، وينسخ الملل، ويضرب الرقاب، ويقتل أتباع الرسل وهم أهل الحق، ويسبي نساءهم، ويغنم أموالهم وديارهم، ويتم له ذلك، حتى يفتح الأرض، وينسب ذلك كله إلى أمر الله له به، ومحبته له، والرب تعالى يشاهده وهو يفعل بأهل الحق، وهو مستمر في الافتراء عليه ثلاثاً وعشرين سنة، وهو مع ذلك كله يؤيده وينصره، ويعلي أمره، ويمكن له من أسباب النصر الخارجة عن حاجة البشر، وأبلغ من ذلك أنه يجيب دعواته ويهلك أعداءه، ويرفع له ذكره، هذا وهو عندهم في غاية الكذب والافتراء والظلم، فإنه لا أظلم ممن كذب على الله، وأبطل شرائع أنبيائه، وبدلها، وقتل أوليائه، واستمرت نصرته عليهم دائماً، والله تعالى يقره على ذلك، ولا يأخذ منه باليمين، ولا يقطع منه الوتين.

فيلزمهم أن يقولوا: لا صانع للعالم، ولا مدبر، ولو كان له مدبر قدير حكيم، لأخذ على يديه، ولقابله أعظم مقابلة، وجعله نكالا للصالحين، إذ لا يليق بالملوك غير ذلك، فكيف بملك الملوك، وأحكم الحاكمين؟.

ولا ريب أن الله تعالى قد رفع له ذكره، وأظهر دعوته، والشهادة له بالنبوة على رؤوس الأشهاد في سائر البلاد، ونحن لا ننكر أن كثيراً من الكذابين قام في الوجود، وظهرت له شوكة، ولكن لم يتم أمره ولم تطل مدته، بل سلط الله عليه رسله وأتباعهم، فقطعوا دابره واستأصلوه، هذه سنة الله التي خلت من قبل.

س ١٥٥: ما الفرق بين النبي والرسول؟.

ج: ذكروا فروقاً بين النبي الرسول، وأحسنها:

* أن من نبأه الله بخبر السماء، إن أمره أن يبلغ غيره، فهو نبي رسول.

* وإن لم يأمره أن يبلغ غيره، فهو نبي وليس برسول^(١).

فالرسول أخص من النبي، فكل رسول نبي، وليس كل نبي رسولاً.

س ١٥٦: أوضح قول الشارح: "الرسالة أعم من جهة نفسها، وأخص من جهة أهلها"؟.

ج: نعم، فالرسول أخص من النبي، فكل رسول نبي، وليس كل نبي رسولاً، ولكن الرسالة أعم من جهة نفسها، فالنبوة جزء من الرسالة، إذ الرسالة تتناول النبوة وغيرها، بخلاف الرسل، فإنهم لا يتناولون الأنبياء وغيرهم، بل الأمر بالعكس. فالرسالة أعم من جهة نفسها، وأخص من جهة أهلها.

س ١٥٧: إرسال الرسل وخصوصاً محمد بن عبد الله ﷺ من أعظم نعم الله على خلقه، ما الدليل على ذلك؟.

ج: الأدلة على ذلك كثيرة، منها قوله تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَزَكَّيَهُمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ (١٦٦). وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (١٧).

س ١٥٨: ما الدليل على ختم النبوة بمحمد ﷺ من الكتاب والسنة؟.

ج: الأدلة كثيرة، ومنها قوله تعالى: ﴿وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾. وقوله ﷺ: "مثلي ومثل الأنبياء كمثل قصر أحسن بنيانه، وترك منه

(١) ويُعرف النبي والرسول بتعاريف منها:

النبي: إنسان، حر، ذكر، أوحى الله إليه بشرع سابق وأمر بتبليغه.

الرسول: إنسان، حر، أوحى الله إليه بشرع جديد وأمر بتبليغه.

موضع لبنة، فطاف به النظار يتعجبون من حسن بنائه، إلا موضع تلك اللبنة، لا يعيرون سواها، فكنت أنا سدوت موضع تلك اللبنة، ختم بي البنيان، وختم بي الرسل"، خرجاه في الصحيحين.

وقال ﷺ: "إن لي أسماء: أنا محمد، وأنا أحمد، وأنا الماحي، يمحو الله بي الكفر، وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي، وأنا العاقب، والعاقب الذي ليس بعده نبي". متفق عليه.

وفي صحيح مسلم عن ثوبان، قال رسول الله ﷺ: "وإنه سيكون من أمتي كذابون ثلاثون، كلهم يزعم أنه نبي، وأنا خاتم النبيين، لا نبي بعدي".

ولمسلم: أن رسول الله ﷺ قال: "فضلت على الأنبياء بست، أعطيت جوامع الكلم، ونصرت بالرعب، وأحلت لي الغنائم، وجعلت لي الأرض طهوراً ومسجداً، وأرسلت إلى الخلق كافة، وختم بي النبيون".

س ١٥٩: ما معنى قول الطحاوي: "وإمام الأتقياء"؟.

ج: الإمام الذي يؤتم به، أي: يقتدون به، والنبي ﷺ إنما بعث للاقتداء به، لقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾، وكل من اتبعه واقتدى به، فهو من الأتقياء.

س ١٦٠: استدل على قول الإمام الطحاوي في وصف المصطفى ﷺ: "وسيد المرسلين"؟.

ج: قال ﷺ: "أنا سيد ولد آدم يوم القيامة، وأول من ينشق عنه القبر، وأول شافع وأول مشفع" رواه مسلم.

وفي أول حديث الشفاعة: "أنا سيد الناس يوم القيامة".

وروى مسلم والترمذي عن واثلة بن الأسقع رضي الله عنه، قال: قال ﷺ: "إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قريشاً من كنانة، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم".

س ١٦١: قال ﷺ: " لا تفضلوني على موسى ، فإن الناس يصعقون يوم القيامة ، فأكون أول من يفيق ، فأجد موسى باطشاً بساق العرش ، فلا أدري أفاق قبلي ، أو كان ممن استثنى الله " . خرجاه في الصحيحين . وقال ﷺ: " أنا سيد ولد آدم ولا فخر " ، وهذا فيه إشكال ، فكيف يجمع بينهما؟ .

ج ١: أن هذا كان له سبب ، فإنه كان قد قال يهودي : لا والذي اصطفى موسى على البشر ، فلطمه مسلم وقال : أتقول هذا ورسول الله بين أظهرنا! ، فجاء اليهودي فاشتكى من المسلم الذي لطمه ، فقال النبي ﷺ هذا . لأن التفضيل إذا كان على وجه الحمية والعصبية وهوى النفس ، كان مذموماً بل نفس الجهاد إذا قاتل الرجل حمية وعصبية كان مذموماً ، فإن الله حرم الفخر ، وقد قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ ﴾ ، فعلم أن المذموم إنما هو التفضيل على وجه الفخر ، أو على وجه الانتقاص بالمفضول ، وعلى هذا يحمل أيضاً قوله ﷺ : " لا تفضلوا بين الأنبياء " إن كان ثابتاً ، فإن هذا قد روي في نفس حديث موسى ، وهو في البخاري وغيره ، لكن بعض الناس يقول : إن فيه علة بخلاف حديث موسى ، فإنه صحيح لا علة فيه باتفاقهم .

٢ - وقد أجاب بعضهم بجواب آخر ، وهو : أن قوله ﷺ : " لا تفضلوني على موسى " ، وقوله : " لا تفضلوا بين الأنبياء " ، نهى عن التفضيل الخاص ، أي : لا يفضل بعض الرسل على بعض بعينه ، بخلاف قوله : " أنا سيد ولد آدم ولا فخر " ، فإنه تفضيل عام ، فلا يمنع منه ، وهذا كما لو قيل : فلان أفضل أهل البلد ، لا يصعب على أفرادهم ، بخلاف ما لو قيل : لأحدهم : فلان أفضل منك .

وقد أجاب بهذا الطحاوي يرحمه الله في شرح معاني الآثار .

س ١٦٢: روي عن النبي ﷺ أنه قال : " لا تفضلوني على يونس " وفسره

بعضهم، أن قرب يونس من الله وهو في بطن الحوت، كقرب النبي ﷺ من الله ليلة المعراج، بين الحق والصواب في ذلك؟.

(ج:) قال الشارح: أما ما يروى أن النبي ﷺ قال: " لا تفضلوني على يونس " وأن بعض الشيوخ قال: لا يفسر لهم هذا الحديث حتى يعطى مالا جزيلا، فلما أعطوه، فسر به بأن قرب يونس من الله، وهو في بطن الحوت كقربي من الله ليلة المعراج، وعدوا هذا تفسيراً عظيماً.

وهذا يدل على جهلهم بكلام الله وبكلام رسوله لفظاً ومعنى. فإن هذا الحديث بهذا اللفظ لم يروه أحد من أهل الكتب التي يعتمد عليها، وإنما اللفظ الذي في الصحيح: " لا ينبغي لعبد أن يقول: أنا خير من يونس بن متى ". وفي رواية: " من قال: إني خير من يونس بن متى، فقد كذب ".

وهذا اللفظ يدل على العموم، أي لا ينبغي لأحد أن يفضل نفسه على يونس بن متى، وذلك لأن الله تعالى قد أخبر عنه أنه التقمه الحوت وهو مليم، أي: فاعل ما يلام عليه. فمقام الذي أسري به إلى ربه، وهو مقرب معظم ليس كمقام الذي ألقى في بطن الحوت وهو مليم! وأين معظم المقرب من الممتحن المؤدب!، فهذا في غاية التقريب، وهذا في غاية التأديب.

فانظر إلى هذا الاستدلال بهذا المعنى المحرف للفظ لم يقله الرسول، وهل يقاوم هذا الدليل على نفي علو الله تعالى على خلقه الأدلة الصحيحة الصريحة القطعية على علو الله تعالى على خلقه، التي تزيد على ألف دليل.

(س ١٦٣) لم نهى النبي ﷺ عن تفضيل العبد نفسه على يونس؟.

(ج:) الله تعالى أخبر عنه أنه التقمه الحوت وهو مليم، أي: فاعل ما يلام عليه، فقال تعالى: ﴿وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغْضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَكَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ (٨٧)، فقد يقع في نفس بعض الناس أنه أكمل من يونس، فلا يحتاج إلى هذا المقام، إذ لا يفعل ما يلام عليه، ومن ظن هذا فقد كذب، بل كل عبد من عباد الله يقول ما قال يونس: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾،

كما قال أول الأنبياء وآخرهم، فأولهم آدم، قد قال: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ ، وآخرهم وأفضلهم وخاتمهم وسيدهم: محمد ﷺ كان يقول في حديث الاستفتاح: "...وأنا عبدك ظلمت نفسي، واعترفت بذنبي، فاغفر لي..." رواه مسلم.

وكذا قال موسى عليه السلام: ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّكَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ .

وفي صحيح مسلم عن النبي ﷺ أنه قال: "أوحى إلي أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد، ولا يبغي أحد على أحد".

فالله تعالى نهى أن يفخر على عموم المؤمنين، فكيف على نبي كريم!، فلهذا قال: "لا ينبغي لعبد أن يقول: أنا خير من يونس بن متى". فهذا نهى عام لكل أحد أن يتفضل ويفخر على يونس.

(س ١٦٤): بم فسر الشارح قوله ﷺ: "من قال: إني خير من يونس بن متى فقد كذب؟".

(ج): قال الشارح: وقوله: "من قال إني خير من يونس بن متى فقد كذب"، فإنه لو قدر أنه كان أفضل، فهذا الكلام يصير أنقص، فيكون كاذباً، وهذا لا يقوله نبي كريم، بل هو تقدير مطلق، أي: من قال هذا، فهو كاذب، وإن كان لا يقوله نبي، كما قال تعالى: ﴿لَئِنْ أَشْرَكَكَ لَيَحْطَبَنَّ عَمَلُكَ﴾، وإن كان ﷺ معصوماً من الشرك، لكن الوعد والوعيد لبيان مقادير الأعمال.

وإنما أخبر ﷺ أنه سيد ولد آدم، لأننا لا يمكننا أن نعلم ذلك إلا بخبره، إذ لا نبي بعده يخبرنا قدره عند الله، كما أخبرنا هو بفضائل الأنبياء قبله.

(س ١٦٥): لم أخبر الرسول ﷺ عن نفسه بأنه سيد ولد آدم؟.

(ج): قال الشارح: وإنما أخبر ﷺ أنه سيد ولد آدم، لأننا لا يمكننا أن نعلم ذلك إلا بخبره، إذ لا نبي بعده يخبرنا بعظيم قدره عند الله، كما أخبرنا هو بفضائل الأنبياء قبله، صلى الله عليهم وسلم أجمعين. ولهذا أتبعه بقوله: "ولا فخر" كما جاء في رواية.

س ١٦٦: قال الطحاوي: " وحبيب رب العالمين "، من المقصود، ولم أورد هذا القول؟.

ج: المقصود بذلك هو الرسول ﷺ ، فقد ثبت له أعلى مراتب المحبة، وأورده رداً على من قال: الخلّة لإبراهيم والمحبة لمحمد، فإبراهيم خليل الله ومحمد حبيبه.

س ١٦٧: ما الدليل على ثبوت الخلّة لنبينا محمد ﷺ ؟.

ج: صح عنه ﷺ أنه قال: " إن الله اتخذني خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً"، وقال: " ولو كنت متخذاً من أهل الأرض خليلاً، لاتخذت أبا بكر خليلاً، ولكن صاحبكم خليل الرحمن ". والحديثان في الصحيح. وهما يبطلان قول من قال: الخلّة لإبراهيم والمحبة لمحمد، فإبراهيم خليل الله ومحمد حبيبه. وفي الصحيح أيضاً: " إني أبرأ إلى كل خليل من خلته ". فبطل قول من خص الخلّة بإبراهيم، والمحبة بمحمد، بل الخلّة خاصة بهما، والمحبة عامة.

س ١٦٨: يستدل من يثبت الخلّة لإبراهيم، والمحبة لمحمد ﷺ بما رواه الترمذي من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، الذي قال فيه: " إن إبراهيم خليل الله، ألا وأنا حبيب الله ولا فخر ".

ج: هذا حديث ضعيف لا يثبت، ولا يستدل به في باب العقائد.

س ١٦٩: ما أعلى مراتب المحبة؟ ولمن ثبتت؟.

ج: أعلى مراتب المحبة، الخلّة، وثبتت لإبراهيم عليه السلام ولمحمد ﷺ.

س ١٧٠: ما مراتب المحبة؟.

ج: للمحبة مراتب:

أولها: العلاقة، وهي تعلق القلب بالمحبوب.

والثانية: الإرادة، وهي ميل القلب إلى محبوه، وطلبه له.

الثالثة: الصباية، وهي انصباب القلب إليه، بحيث لا يملكه صاحبه،

كانصباب الماء في الحدور.

الرابعة: الغرام، وهي الحب اللازم للقلب، ومنه الغريم لملازمته، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ عَذَابُهَا كَانَ غَرَامًا﴾.

الخامسة: المودة، والود، وهي صفو المحبة وخالصها ولبها، قال تعالى: ﴿سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾.

السادسة: الشغف، وهي وصول المحبة إلى شغاف القلب.

السابعة: العشق، وهو الحب المفرط، الذي يخاف على صاحبه منه.

الثامنة: التتيم، وهو بمعنى التعبد.

التاسعة: التعبد.

العاشرة: الخلة، وهي المحبة التي تخللت روح المحب وقلبه.

وقيل في ترتيبها غير ذلك، وهذا الترتيب تقريب حسن، يعرف حسنه بالتأمل في معانيه.

س ١٧١: هل يوصف الرب تعالى بالعشق؟ وهل يوصف به العبد في محبة ربه، ولم؟.

ج: لا يوصف الرب تعالى بالعشق، ولا العبد في محبة ربه، وإن كان قد أطلقه بعضهم. واختلف في سبب المنع، فقيل: عدم التوقيف، وقيل غير ذلك، ولعل امتناع إطلاقه أن العشق محبة مع شهوة.

س ١٧٢: هل يوصف الرب تعالى بالمحبة والخلة؟.

ج: قال الشارح: واعلم أن وصف الله تعالى بالمحبة والخلة، هو كما يليق بجلال الله تعالى وعظمته، كسائر صفاته تعالى، وإنما يوصف الله تعالى من هذه الأنواع بالإرادة، والود، والمحبة، والخلة، حسبما ورد النص.

س ١٧٣: ما حد المحبة؟.

ج: اختلف في تحديد المحبة على أقوال، نحو ثلاثين قولاً. ولا تحد المحبة بحد أوضح منها، فالحدود لا تزيدها إلا خفاءً، وهذه الأشياء الواضحة لا تحتاج إلى تحديد، كالماء والهواء والتراب والجوع والشبع، ونحو ذلك.

س ١٧٤: لم كانت كل دعوة بعد النبي ﷺ غيًى وهوى؟ وما الغي والهوى؟ .

ج: لَمَّا ثبت أنه خاتم النبيين، علم أن من ادعى بعده النبوة فهو كاذب .
والغي: ضد الرشاد .

والهوى: عبارة عن شهوة النفس، أي: أن تلك الدعوة بسبب هوى النفس، لا عن دليل، فتكون باطلة .

س ١٧٥: لو جاء المدعي للنبوة - بعد النبي ﷺ - بالمعجزات الخارقة والبراهين الصادقة، كيف يقال بتكذيبه؟ .

ج: نقول: هذا لا يتصور أن يوجد، وهو من باب فرض المحال، لأن الله تعالى لما أخبر أنه خاتم النبيين، فمن المحال أن يأتي مدع يدعي النبوة، ولا تظهر أمانة كذبه في دعواه .

س ١٧٦: قال الطحاوي: " وهو المبعوث إلى عامة الجن، وكافة الورى . .
" ما الدليل على ذلك؟ .

ج: الدليل عليه، قوله تعالى حكاية عن الجن: ﴿يَقَوْمًا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ﴾ .
وكذا سورة الجن تدل على أنه أرسل إليهم أيضاً .

س ١٧٧: ما صحة قول مقاتل: لم يبعث الله رسولا إلى الإنس والجن قبل الرسول ﷺ؟ .

ج: هذا قول بعيد، فقد قال تعالى: ﴿يَمْعَشَرُ الْغِي وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رَسُولٌ مِّنْكُمْ﴾ . ويدل عليه قوله تعالى حكاية عن الجن: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى﴾ .

س ١٧٨: هل في الجن رسل، أم الرسل من الإنس فقط؟ .

ج: الرسل من الأنس فقط، وليس من الجن رسول، كذا قال مجاهد وغيره من السلف والخلف . وقال ابن عباس رضي الله عنهما: الرسل من بني آدم، ومن الجن نذر . وظاهر قوله تعالى حكاية عن الجن: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى﴾ . يدل على أن موسى مرسل إليهم أيضاً . والله أعلم .

س ١٧٩: يستدل من قال إن في الجن رسلاً بقوله تعالى: ﴿يَمَعَشَرُ الْجِنُّ وَالْإِنسُ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنْكُمْ﴾، فما جوابك؟

ج: في الاستدلال بهذه الآية الكريمة على أن في الجن رسلاً، نظر، لأنها محتملة وليست بصريحة، وهي - والله أعلم - كقوله تعالى: ﴿يَخْرُجُ مِنْهَا الْوُثُوءُ وَالْمَرْحَاتُ﴾. والمراد من أحدهما.

س ١٨٠: ما الدليل على بعثة النبي ﷺ إلى كافة الورى وجميع الناس؟

ج: الأدلة على ذلك كثيرة، منها:

- قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾.
- وقوله تعالى: ﴿قُلْ يَتَّيْنُهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾.
- وقوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ (١).
- وقوله ﷺ: " أعطيت خمساً لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي: نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً، فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل، وأحلت لي الغنائم، ولم تحل لأحد قبلي، وأعطيت الشفاعة، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة". أخرجاه في الصحيحين.
- وقوله ﷺ: " والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني، ثم يموت، ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار " رواه مسلم.

س ١٨١: يزعم بعض النصارى أن الرسول ﷺ أرسل إلى العرب خاصة. فبم يرد عليهم؟

ج: قول بعض النصارى: إنه رسول إلى العرب خاصة، ظاهر البطلان، فإنهم لما صدّقوا بالرسالة، لزمهم تصديقه في كل ما يخبر به، وقد قال: إنه رسول الله إلى الناس عامة، والرسول لا يكذب، فلزم تصديقه حتماً، فقد أرسل رسله، وبعث كتبه في أقطار الأرض إلى كسرى وقيصر والنجاشي والمقوقس، وسائر ملوك الأطراف، يدعو إلى الإسلام.

س ١٨٢ : ما إعراب "كافة" في قوله تعالى : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ﴾ ؟ .

ج : اختلفوا في إعرابها على ثلاثة أقوال :

١ - أحدها : أنها حال من "الكاف" في "أرسلناك" وهي اسم فاعل ،
والناء فيها للمبالغة ، أي : إلا كافاً للناس عن الباطل .

وقيل : هي مصدر "كف" فهي بمعنى كفأ ، أي : إلا أن تكف الناس
كفأ ، ووقوع المصدر حالاً كثيراً .

٢ - الثاني : أنها حال من "الناس" ، واعترض بأن حال المجرور لا
يتقدم عليه عند الجمهور ، وأجيب بأنه قد جاء عن العرب كثيراً ، فوجب
قبوله ، وهو اختيار ابن مالك رحمه الله ، أي : وما أرسلناك إلا للناس كافة .

٣ - أنها صفة لمصدر محذوف ، أي : إرسالاً كافة ، واعترض بما تقدم
أنها لم تستعمل إلا حالاً .

س ١٨٣ : ما معنى قول الطحاوي : " بالحق والهدى ، وبالنور والضيء " ؟ .

ج : هذه أوصاف ما جاء به النبي ﷺ من الدين والشرع ، المؤيد بالبراهين
الباهرة ، من القرآن وسائر الأدلة . والضيء : أكمل من النور ، قال تعالى : ﴿هُوَ
الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا﴾ .



الفصل الخامس

القرآن كلام الله تعالى
ليس بمخلوق

القرآن كلام الله تعالى ليس بمخلوق



س ١٨٤ : ما المعتقد الحق الذي دلت عليه الأدلة، من الكتاب والسنة، والعقل والفطرة، في القرآن الكريم؟.

ج : المعتقد الحق الذي قال به أهل السنة في القرآن الكريم، ما ذكره الإمام الطحاوي بقوله: " وإن القرآن كلام الله، منه بدا بلا كيفية قولاً، وأنزله على رسوله وحياً، وصدقه المؤمنون على ذلك حقاً، وأيقنوا أنه كلام الله تعالى بالحقيقة، ليس بمخلوق ككلام البرية. فمن سمعه فزعم أنه كلام البشر، فقد كفر، وقد ذمه الله تعالى، وعابه، وأوعده بسقر، حيث قال تعالى: ﴿سَأَصْلِيهِ سَعَرَ﴾ (٢١) فلما أوعد الله بسقر لمن قال: ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ﴾ (٢٥) علمنا وأيقنا أنه قول خالق البشر، ولا يشبه قول البشر ".

س ١٨٥ : افرق الناس في مسألة كلام الله تعالى على أقوال، اذكرها؟.

ج : افرق الناس في مسألة الكلام على تسعة أقوال:

١ - أحدها: قول الصابئة والمتفلسفة: أن كلام الله هو ما يفيض على النفوس من المعاني، إما من العقل الفعال^(١) عند بعضهم، أو من غيره.

(١) العقل الفعال: عند بعض الفلاسفة؛ حركة من حركات بعض الأفلاك صدر عنها فلک القمر ونفسه والعناصر التي تحته، مع اختلاف أنواعها وصفاتها وأقدارها، وقد يطلقه بعضهم على جبريل عليه السلام. انظر (درء تعارض العقل والنقل ٩/٢٥٣، ١٠/٢١٨)

- ٢ - وثانيها: قول المعتزلة: أنه مخلوق خلقه الله منفصلاً عنه .
- ٣ - وثالثها: قول الكلابية والأشاعرة: أنه معنى واحد قائم بذات الله ، هو الأمر والنهي والخبر والاستخبار ، إن عبر عنه بالعربية ، كان قرآنًا ، وإن عبر عنه بالعبرية ، كان توراة .
- ٤ - ورابعها: قول طائفة من أهل الكلام ، ومن أهل الحديث: أنه حروف وأصوات أزلية مجتمعة في الأزل .
- ٥ - وخامسها: قول الكرامية: أنه حروف وأصوات تكلم الله بها بعد أن لم يكن متكلماً .
- ٦ - وسادسها: قول أبي البركات صاحب "المعتبر" والرازي: أن كلامه يرجع إلى ما يحدثه من علمه وإرادته القائم بذاته .
- ٧ - وسابعها: قول الماتريدية: أن كلامه يتضمن معنى قائماً بذاته ، هو ما خلقه في غيره .
- ٨ - وثامنها: قول أبي المعالي ومن تبعه: أنه مشترك بين المعنى القديم القائم بالذات ، وبين ما يخلقه في غيره من الأصوات .
- ٩ - تاسعها: قول أئمة الحديث والسنة: أنه تعالى لم يزل متكلماً ، إذا شاء ، ومتى شاء ، وكيف شاء ، وهو يتكلم بصوت يُسمعُ ، وأن نوع الكلام قديم ، وإن لم يكن الصوت المعين قديماً . وهذا ما دل عليه كلام الله وسنة رسوله ، وهو المأثور عن أئمة الحديث والسنة .
- س ١٨٦: لم كسر الشيخ الهمزة في قوله: " وإن القرآن كلام الله ؟" .
- ج: قول الشيخ رحمه الله: وإن القرآن كلام الله ، " إن " بكسر الهمزة عطف على قوله: إن الله واحد لا شريك له ، ثم قال: وإن محمداً عبده المصطفى وكسر همزة إن في هذه المواضع الثلاثة ، لأنها معمول القول ، أعني قوله في أول كلامه: نقول في توحيد الله .
- س ١٨٧: ما فائدة قول الإمام الطحاوي: " كلام الله ، منه بدا بلا كيفية قولاً ؟" .

(ج:) هذا رد على المعتزلة وغيرهم، فإن المعتزلة تزعم أن القرآن لم يَبْدُ منه، كما تقدم حكاية قولهم، قالوا: وإضافته إليه إضافة تشريف، كبيت الله وناقاة الله، يحرفون الكلم عن مواضعه، وقولهم باطل.

(س ١٨٨:) زعمت المعتزلة أن القرآن مخلوق، وإنما يضاف إلى الله إضافة تشريف، كبيت الله، وناقاة الله، فبم يُرد عليهم؟.

(ج:) هذا تحريف للكلم عن مواضعه، وهو قول باطل، فإن المضاف إلى الله تعالى، معان، وأعيان.

فإضافة الأعيان إلى الله للتشريف، وهي مخلوقة له، كبيت الله وناقاة الله. بخلاف إضافة المعاني، كعلم الله، وقدرته، وعزته، وجلاله، وكبريائه، وكلامه، وحياته وعلوه، وقهره، فإن هذا كله من صفاته، لا يمكن أن يكون شيء من ذلك مخلوقاً.

(س ١٨٩:) من الذي استدل بقوله تعالى: ﴿وَأَخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلاً جَسَداً لَهُ خُوارٌ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلاً﴾ وعلام استدل به، ولم؟.

(ج:) استدل بهذه الآية أهل السنة والجماعة، على كلام الله تعالى. رداً على المعتزلة، فالوصف بالتكلم من أوصاف الكمال، وضده من أوصاف النقص قال تعالى: ﴿وَأَخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلاً جَسَداً لَهُ خُوارٌ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلاً﴾. فكان عباد العجل مع كفرهم، أعرف بالله من المعتزلة، فإنهم لم يقولوا لموسى: وربك لا يتكلم أيضاً. وقال تعالى: ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ صَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾ (٨٩). فعلم أن نفي رجوع القول، ونفي التكلم، نقص يستدل به على عدم ألوهية العجل.

(س ١٩٠:) ما أهم شبهة تحتج بها المعتزلة على نفي كلام الرب تعالى، وبم يرد عليهم؟.

(ج:) غاية شبهتهم أنهم يقولون: يلزم من الكلام التشبيه والتجسيم. فيقال لهم: إذا قلنا: إنه تعالى يتكلم كما يليق بجلاله، انتفت شبهتهم،

ألا ترى أنه قال: ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَشَهِدُ أَرْجُلُهُمْ﴾. فنحن نؤمن أنها تتكلم، وكذا قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لِيُجُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ وكذلك تسبيح الحصى والطعام، وسلام الحجر، كل ذلك بلا فم يخرج منه الصوت الصاعد من الرئة، المعتمد على مقاطع الحروف.

س ١٩١: ما معنى قول الإمام الطحاوي: "منه بدا بلا كيفية قولاً" وإلام أشار بقوله هذا؟

ج: أشار بقوله هذا إلى إثبات صفة الكلام لله تعالى كما يليق بجلاله. ومعنى قوله: منه بدا بلا كيفية قولاً، أي ظهر منه، ولا يدرى كيفية تكلمه به، وأكد هذا المعنى بقوله: "قولاً" أتى بالمصدر المعرف للحقيقة، كما أكد الله تعالى التكليم بالمصدر المثبت للحقيقة النافي للمجاز في قوله: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾. فماذا بعد الحق إلا الضلال؟!.

س ١٩٢: في أي سياق أورد الشارح رحمه الله قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمُهُ رَبُّهُ﴾؟

ج: أورد هذه الآية في سياق إثبات صفة الكلام لله تعالى كما يليق به والرد على المعتزلة. قال الشارح: ولقد قال بعضهم لأبي عمرو بن العلاء، أحد القراء السبعة: أريد أن تقرأ: وكَلَّمَ الله موسى، بنصب اسم الله، ليكون موسى هو المتكلم لا الله، فقال أبو عمرو: هب أني قرأت هذه الآية كذا، فكيف تصنع بقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمُهُ رَبُّهُ﴾، فبهت المعتزلي!.

س ١٩٣: ما الأدلة من الكتاب والسنة على تكليم الله تعالى لأهل الجنة وغيرهم؟

ج: الأدلة على ذلك كثيرة، منها قوله تعالى: ﴿سَلَامٌ قَوْلًا مِّن رَّبِّ رَجِيمٍ﴾ (٥٨). عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "بينا أهل الجنة في نعيمهم إذ سطع لهم نور، فرفعوا أبصارهم، فإذا الرب جل

جلاله قد أشرف عليهم من فوقهم، فقال: السلام عليكم يا أهل الجنة، وهو قول الله تعالى: ﴿سَلَامٌ قَوْلًا مِّن رَّبِّ رَحِيمٍ﴾ (٥٨)، قال: فينظر إليهم وينظرون إليه فلا يلتفتون إلى شيء مما هم فيه من النعيم، ما داموا ينظرون إليه، حتى يحتجب عنهم، وتبقى بركته ونوره عليهم في ديارهم" رواه ابن ماجه^(١) وغيره.

ففي الحديث إثبات صفة الكلام، وإثبات الرؤية، وإثبات العلو، وكيف يصح مع هذا أن يكون كلام الرب كله معنى واحداً!.

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ﴾، فأهانهم بترك تكليمهم. والمراد أنه لا يكلمهم تكليم تكريم، هو الصحيح، إذ قد أخبر في الآية الأخرى أنه يقول لهم في النار: ﴿أَخْسَأُ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونُ﴾. فلو كان لا يكلم عباده المؤمنين لكانوا هم وأعداؤه سواء، ولم يكن في تخصيص أعدائه بأنه لا يكلمهم فائدة أصلاً.

وقال البخاري في صحيحه: باب كلام الرب تبارك وتعالى مع أهل الجنة، وساق فيه عدة أحاديث^(٢). فأفضل نعيم أهل الجنة رؤية وجهه تبارك وتعالى، وتكليمه لهم، فإنكار ذلك إنكار لروح الجنة، وأعلى نعيمها، وأفضله، الذي ما طابت لأهلها إلا به.

س ١٩٤: من استدل بقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ﴾ وعلى ماذا استدل به، ولم؟.

ج: استدل بهذه الآية أهل السنة والجماعة على إثبات صفة الكلام لله

(١) إسناده ضعيف، وفي سنده أبو عاصم العباداني لين الحديث كما في التقريب.

(٢) منها: حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: "إن الله يقول لأهل الجنة: يا أهل الجنة، فيقولون: لبيك ربنا وسعديك، والخير في يديك، فيقول: هل رضيتم؟ فيقولون: وما لنا لا نرضى يا رب وقد أعطيتنا ما لم تعط أحداً من خلقك..." الحديث.

تعالى، ورداً على المعتزلة الذين ينفون هذه الصفة.

وفي الآية بيان أن الله أهانهم بترك تكليمهم. والمراد أنه لا يكلمهم تكليم تكريم، هو الصحيح، إذ قد أخبر في الآية الأخرى أنه يقول لهم في النار: ﴿أَخَشُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾. فلو كان لا يكلم عباده المؤمنين لكانوا هم وأعداؤه سواء، ولم يكن في تخصيص أعدائه بأنه لا يكلمهم فائدة أصلاً.

(س ١٩٥) من الذي يستدل بقوله تعالى: ﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ وعلام يستدل بها؟ وكيف ترد عليه؟.

(ج:) تستدل المعتزلة بهذه الآية على نفي صفة الكلام، والقول بخلق القرآن. قال الشارح: وأما استدلالهم بقوله تعالى: ﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾، والقرآن شيء، فيكون داخلاً في عموم "كل" فيكون مخلوقاً!! فمن أعجب العجب، وذلك أن أفعال العباد كلها عندهم غير مخلوقة لله تعالى، وإنما يخلقها العباد جميعها، لا يخلقها الله، فأخرجوها من عموم "كل"، وأدخلوا كلام الله في عمومها، مع أنه صفة من صفاته، به تكون الأشياء المخلوقة، إذ بأمره تكون المخلوقات، قال تعالى: ﴿وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِ رَبِّهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾. ففرق بين الخلق والأمر، فلو كان الأمر مخلوقاً للزم أن يكون مخلوقاً بأمر آخر، والآخر بآخر، إلى ما لا نهاية، فيلزم التسلسل^(١) وهو باطل. وطرد باطلهم: أن تكون جميع صفاته مخلوقة، كالعلم والقدرة وغيرهما، وذلك صريح الكفر، فإن علمه شيء وقدرته شيء، وحياته شيء، فيدخل ذلك في عموم "كل"، فيكون مخلوقاً بعد أن لم يكن، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

(س ١٩٦) لم استدل أهل السنة والجماعة بقوله تعالى: ﴿وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِ رَبِّهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾؟.

(ج:) استدل أهل السنة والجماعة بهذا الدليل لإثبات صفة الكلام. رداً على المعتزلة الذين نفوا هذه الصفة عن الخالق تعالى.

(١) انظر تعريفه، ص ٤٠.

قال الشارح عند إيراد الآية: إذ بأمره تكون المخلوقات، قال تعالى: ﴿وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ ۗ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ۗ﴾. ففرق بين الخلق والأمر، فلو كان الأمر مخلوقاً للزم أن يكون مخلوقاً بأمر آخر، والآخر بآخر، إلى ما لا نهاية، فيلزم التسلسل وهو باطل. وطرد باطلهم: أن تكون جميع صفاته مخلوقة، كالعلم والقدرة وغيرهما، وذلك صريح الكفر، فإن علمه شيء وقدرته شيء، وحياته شيء، فيدخل ذلك في عموم "كل"، فيكون مخلوقاً بعد أن لم يكن، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

(س ١٩٧): من الذي قال في صفة الكلام: أن الله تعالى متكلم بكلام يقوم بغيره، وبم يرد عليه، وما خطورة هذا القول؟.

(ج): قالت المعتزلة هذا القول لتنفي صفة الكلام عن الله تعالى، وتقول بخلق القرآن، وأنه مخلوق خلقه الله في غيره. وكيف يصح أن يكون متكلماً بكلام يقوم بغيره؟ ولو صح ذلك، للزم أن يكون ما أحدثه من الكلام في الجمادات كلامه! وكذلك أيضاً ما خلقه في الحيوانات، ولا يفرق حينئذ بين نطق وأنطق، وإنما قالت الجلود: ﴿أَنْطَقَنَا اللَّهُ ۖ﴾، ولم تقل: نطق الله، بل يلزم أن يكون متكلماً بكل كلام خلقه في غيره، زوراً كان أو كذباً، أو كفراً، أو هذياناً!! تعالى الله عن ذلك، وقد طرد ذلك الاتحادية فقال ابن عربي:

وكل كلام في الوجود كلامه سواء علينا نشره ونظامه ولو صح أن يوصف أحد بصفة قامت بغيره، لصح أن يقال للبصير: أعمى، وللأعمى: بصير!، لأن البصير قد قام وصف العمى بغيره! ولصح أن يوصف الله تعالى بالصفات التي خلقها في غيره، من الألوان والروائح والطعوم والطول والقصر ونحو ذلك.

(س ١٩٨): كيف ألزم الإمام عبد العزيز المكي من قال: إن القرآن مخلوق في أي شيء من مخلوقاته، أو هو قائم بغيره من مخلوقاته؟.

(ج:) ألزم الإمام عبد العزيز المكي بشراً المريسي بين يدي المأمون، بعد أن تكلم معه ملتزماً أن لا يخرج عن نص التنزيل، وألزمه الحجة.

فقال بشر: يا أمير المؤمنين، ليدع مطالبتي بنص التنزيل، ويناظرني بغيره، فإن لم يدع قوله، ويرجع عنه، ويقر بخلق القرآن الساعة وإلا فدمي حلال.

قال عبد العزيز: تسألني أم أسألك؟.

فقال بشر: اسأل أنت، وطمع في.

فقلت له: يلزمك واحدة من ثلاث، لا بد منها:

١ - إما أن تقول: إن الله خلق القرآن في نفسه.

٢ - أو خلقه قائماً بذاته ونفسه.

٣ - أو خلقه في غيره؟.

قال: أقول: خلقه كما خلق الأشياء كلها. وحاد عن الجواب.

فقال المأمون: اشرح أنت هذه المسألة، ودع بشراً، فقد انقطع.

فقال عبد العزيز: إن قال: خلق كلامه في نفسه، فهذا محال، لأن الله لا يكون محلاً للحوادث المخلوقة، ولا يكون منه شيء مخلوقاً.

وإن قال: خلقه في غيره، فيلزمه في النظر والقياس أن كل كلام خلقه الله في غيره، فهو كلامه.

وإن قال: خلقه قائماً بنفسه وذاته، فهذا محال، لا يكون الكلام إلا من متكلم، كما لا تكون الإرادة إلا من مريد، ولا العلم إلا من عالم، ولا يعقل كلام قائم بنفسه يتكلم بذاته، فلما استحال من هذه الجهات أن يكون مخلوقاً، علم أنه صفة لله.

(س ١٩٩:) استدلت المعتزلة بقوله تعالى: ﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ على القول بخلق القرآن، رد هذا القول؟.

(ج:) قال الشارح: وأما استدلالهم بقوله تعالى: ﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾، والقرآن شيء، فيكون داخلاً في عموم "كل" فيكون مخلوقاً!! فمن أعجب العجب، وذلك أن أفعال العباد كلها عندهم غير مخلوقة لله تعالى، وإنما

يخلقها العباد جميعها، لا يخلقها الله، فأخرجوها من عموم "كل"، وأدخلوا كلام الله في عمومها، مع أنه صفة من صفاته، به تكون الأشياء المخلوقة، إذ بأمره تكون المخلوقات، قال تعالى: ﴿وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِ رَبِّهِ ۚ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ۚ﴾. ففرق بين الخلق والأمر، فلو كان الأمر مخلوقاً للزم أن يكون مخلوقاً بأمر آخر، والآخر بآخر، إلى ما لا نهاية، فيلزم التسلسل وهو باطل. وطرد باطلهم: أن تكون جميع صفاته مخلوقة، كالعلم والقدرة وغيرهما، وذلك صريح الكفر، فإن علمه شيء وقدرته شيء، وحياته شيء، فيدخل ذلك في عموم "كل"، فيكون مخلوقاً بعد أن لم يكن، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

وعوم "كل" في كل موضع بحسبه، ويعرف ذلك بالقرائن، ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿تُدْمِرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَىٰ إِلَّا مَسَكِنُهُمْ ۚ﴾، ومساكنهم شيء ولم تدخل في عموم كل شيء دمرته الريح، وذلك لأن المراد: تدمر كل شيء يقبل التدمير بالريح عادةً، وما يستحق التدمير، وكذا قوله تعالى حكاية عن بلقيس: ﴿وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ ۚ﴾، المراد من كل شيء يحتاج إليه الملوك، وهذا القيد يفهم من قرائن الكلام، إذ مراد الهدهد أنها ملكة كاملة في أمر الملك، غير محتاجة إلى ما يكمل به أمر ملكها، ولهذا نظائر كثيرة.

والمراد من قوله تعالى: ﴿خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾، أي: كل شيء مخلوق، وكل موجود سوى الله تعالى، فهو مخلوق، فدخل في هذا العموم أفعال العباد حتماً، ولم يدخل في العموم الخالق تعالى، وصفاته ليست غيره؛ لأنه سبحانه وتعالى هو الموصوف بصفات الكمال، وصفاته ملازمة لذاته المقدسة، لا يتصور انفصال صفاته عنه، كما تقدم الإشارة إلى هذا المعنى، بل نفس ما استدلوا به يدل عليهم، فإذا كان قوله تعالى: ﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾، مخلوقاً، لا يصلح أن يكون دليلاً.

(س ٢٠٠) تستدل المعتزلة بقوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾، على القول بخلق القرآن، وتقول: جعلناه، أي خلقناه، فنَد هذا القول؟.

﴿ج﴾ أما استدلالهم بقوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾ فما أفسده من استدلال!.

١ - فإن "جعل" بمعنى "خلق" يتعدى إلى مفعول واحد، كقوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾، وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيًّا أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ ﴿٣١﴾ وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ .

٢ - وإذا تعدى إلى مفعولين لم يكن بمعنى "خلق" قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْضُوا الْآيَاتِنَا بَدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَيْدًا﴾ وقال تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْدِيكُمْ﴾ وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ﴾ ﴿٩١﴾ وقال تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ﴾ وقال تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾ وقال تعالى: ﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبْدُ الرَّحْمَنِ إِنثًا﴾ ونظائره كثيرة، فكذا قوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾ .

﴿س ٢٠١﴾ من الذي يستدل بقوله تعالى: ﴿تُودِيكَ مِنْ شَطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبْرَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ﴾، مع بيان القول الصحيح الحق؟.

﴿ج﴾ تستدل المعتزلة بها على أن القرآن مخلوق، ويستدل بها أهل السنة والجماعة على إثبات صفة الكلام، وأن القرآن كلام الله غير مخلوق.

وما أفسد استدلال المعتزلة بقوله تعالى: ﴿تُودِيكَ مِنْ شَطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبْرَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ﴾، على أن الكلام خلقه الله تعالى في الشجرة، فسمعه موسى منها!، وعموا عما قبل هذه الكلمة وما بعدها، فإن الله تعالى قال: ﴿فَلَمَّا أَنْتَهَا تُوْدِيكَ مِنْ شَطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ﴾ والنداء: هو الكلام من بعد، فسمع موسى ^{عليه السلام} النداء من حافة الوادي، ثم قال: ﴿فِي الْبُقْعَةِ الْمُبْرَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ﴾، أي: أن النداء كان في البقعة المباركة من عند الشجرة، كما تقول: سمعت كلام زيد من البيت، يكون "من البيت" لابتداء الغاية، لا أن البيت هو المتكلم، ولو كان الكلام مخلوقاً في الشجرة، لكانت الشجرة هي القائلة: ﴿يَسْمُوعِي إِنْتَ أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ وهل قال: ﴿إِنْتَ أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ غير رب العالمين؟.

ولو كان هذا الكلام بدا من غير الله، لكان قول فرعون: ﴿أَنَا رَبُّكُمْ﴾

الْأَعْلَى ﴿ صدقاً، إذ كل من الكلامين عندهم مخلوق قد قاله غير الله!.

س ٢٠٢: ما قول المعتزلة إذا ألزموا بقوله تعالى، حكاية عن فرعون: ﴿أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى﴾، أن فرعون لم يقل باطلاً على مذهبكم في الكلام وقيامه بغير الله كخلقه في الشجرة، إذ كل من الكلامين مخلوق قاله غير الله؟.

ج: نعم هذا إلزام لهم، لكنهم فرقوا بين الكلامين على أصلهم الفاسد: أن ذاك كلام خلقه الله في الشجرة، وهذا كلام خلقه فرعون!! فحرفوا وبدلوا واعتقدوا خالقاً غير الله. وسيأتي الكلام على مسألة أفعال العباد، إن شاء الله تعالى.

س ٢٠٣: مما تستدل به المعتزلة على القول بخلق القرآن، بقوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾، وهذا يدل على أن الرسول أحدثه. فبم تجيب؟.

ج: الجواب عن ذلك من عدة أوجه:

١ - قيل: ذكر الرسول معرّف أنه مبلغ عن مرسله، لأنه لم يقل: إنه قول مَلِكٍ أو نبي، فعلم أنه بلغه عن مرسله به، لا أنشأه من جهة نفسه.

٢ - وأيضاً: فالرسول في إحدى الآيتين جبريل، وفي الأخرى محمد، فإضافته إلى كل منهما تبين أن الإضافة للتبليغ، إذ لو أحدثه أحدهما امتنع أن يحدثه الآخر.

٣ - وأيضاً: فقوله: رسول أمين، دليل على أنه لا يزيد في الكلام الذي أرسل بتبليغه، ولا ينقص منه، بل هو أمين على ما أرسل به، يبلغه عن مرسله.

٤ - وأيضاً: فإن الله كفر من جعله قول البشر، ومحمد ﷺ بشر، فمن جعل قول محمد بمعنى أنه أنشأه، فقد كفر، ولا فرق بين أن يقول: إنه قول بشر، أو جني، أو مَلِك، والكلام كلام من قاله مبتدئاً لا من قاله مبلغاً. ومن سمع قائلاً يقول:

قفنا بك من ذكرى حبيب ومنزل

قال: هذا شعر امرئ القيس، ومن سمعه يقول: "إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى" قال: هذا كلام الرسول، وإن سمعه يقول: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (٢) الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (٣) مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ (٤) إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ (٥) ، قال: هذا كلام الله، إن كان عنده خبر ذلك، وإلا قال: لا أدري كلام من هذا؟ ولو أنكر عليه أحد ذلك لكذبه. ولهذا من سمع من غيره نظماً أو نثراً، يقول له: هذا كلام من؟ أهذا كلامك أو كلام غيرك؟.

(س ٢٠٤): هل اتفق أهل السنة والجماعة من أهل المذاهب الأربعة على أن القرآن كلام الله غير مخلوق؟.

(ج): قال الشارح رحمه الله: وبالجمله فأهل السنة كلهم، من أهل المذاهب الأربعة وغيرهم من السلف والخلف متفقون على أن القرآن كلام الله غير مخلوق.

ولكن بعد ذلك تنازع المتأخرون في أن كلام الله هل هو معنى واحد قائم بالذات أم أنه حروف وأصوات تكلم الله بها بعد أن لم يكن متكلماً إذا شاء، ومتى شاء وكيف شاء، وأن نوع الكلام قديم^(١).

(س ٢٠٥): ما مراد بعض المعتزلة إذا أطلقوا أن القرآن غير مخلوق؟.

(ج): قد يطلق بعض المعتزلة على القرآن أنه غير مخلوق، ومرادهم أنه غير مختلق مفترى مكذوب، بل هو حق وصدق، ولا ريب أن هذا المعنى منتفٍ باتفاق المسلمين.

والنزاع بين أهل القبلة إنما هو في كونه مخلوقاً خلقه الله، أو هو كلامه الذي تكلم به وقام بذاته؟ وأهل السنة سئلوا عن هذا، وإلا فكونه مكذوباً مفترى مما لا ينازع فيه مسلم في بطلانه.

(١) هذا قول مرجوح، والحق فيما قاله سلف هذه الأمة وإليه أشار الشارح بقوله: "لم يزل متكلماً إذا شاء، وهو يتكلم به بصوت يسمع، وأن نوع الكلام قديم، وإن لم يكن الصوت المعين قديماً، وهذا المأثور عن أئمة الحديث والسنة".

س ٢٠٦: ما مصدر التلقي عند أهل البدع كالمعتزلة وغيرهم، في باب العقائد؛ التوحيد والصفات والقدر؟.

ج: قال الشارح: ولا شك أن مشايخ المعتزلة وغيرهم من أهل البدع، معترفون بأن اعتقادهم في التوحيد والصفات والقدر لم يتلقوه من كتاب ولا سنة، ولا عن أئمة الصحابة والتابعين لهم بإحسان، وإنما يزعمون أن العقل دلهم عليه، وإنما يزعمون أنهم تلقوا من الأئمة الشرائع.

ولو ترك الناس على فطرتهم السليمة وعقولهم المستقيمة، لم يكن بينهم نزاع، ولكن ألقى الشيطان إلى بعض الناس أغلوطة من أغاليطه، فرق بها بينهم:

﴿وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَوِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾.

س ٢٠٧: ما معتقد الإمام أبي حنيفة في القرآن؟.

ج: قال الشارح: والذي يدل عليه كلام الطحاوي رحمه الله: أنه تعالى لم يزل متكلماً إذا شاء كيف شاء، وأن نوع كلامه قديم، وكذلك ظاهر كلام الإمام أبي حنيفة رحمته الله في "الفقه الأكبر" فإنه قال: والقرآن كلام الله في المصاحف مكتوب، وفي القلوب محفوظ، وعلى الألسن مقروء، وعلى النبي ﷺ منزل، ولفظنا بالقرآن مخلوق، وما ذكره الله في القرآن حكاية عن موسى وغيره من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وعن فرعون وإبليس، فإن ذلك كله كلام الله إخبار عنهم، كلام الله غير مخلوق، وكلام موسى وغيره من المخلوقين مخلوق، والقرآن كلام الله لا كلامهم، وسمع موسى ﷺ كلام الله تعالى: فلما كلم موسى، كلمه بكلامه الذي هو من صفاته لم يزل، وصفاته كلها خلاف صفات المخلوقين، يعلم لا كعلمنا ويقدر لا كقدرتنا، ويرى لا كرؤيتنا، ويتكلم لا ككلامنا. انتهى.

س ٢٠٨: ماذا يفهم من قول الإمام أبي حنيفة في الفقه الأكبر: ولما كلم موسى، كلمه بكلامه الذي هو من صفاته؟.

ج: قال الشارح: فقلوه: ولما كلم موسى كلمه بكلامه الذي هو من صفاته. يعلم منه أنه حين جاء كلمه، لا أنه لم يزل ولا يزال أزلاً وأبداً

يقول: يا موسى، كما يفهم ذلك من قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾ ففهم منه الرد على من يقول من أصحابه: أنه معنى واحد قائم بالنفس لا يتصور أن يُسمع، وإنما يخلق الله الصوت في الهواء، كما قال أبو منصور الماتريدي وغيره.

(س ٢٠٩) على من رد الإمام بقوله: كلمه بكلامه الذي هو من صفاته لم يزل؟

(ج) هذا رد على من يقول: إنه حدث له وصف الكلام بعد أن لم يكن متكلماً.

(س ٢١٠) تقول بعض الفرق شيئاً من الحق وتخلطه بباطل في مسألة الكلام، فما موقف السني من ذلك؟

(ج) قال الشارح: وبالجملية: فكل ما تحتج به المعتزلة مما يدل على أنه كلام متعلق بمشيتته وقدرته، وأنه يتكلم إذا شاء، وأنه يتكلم شيئاً بعد شيء، فهو حق يجب قبوله.

وما يقول به من يقول: إن كلام الله قائم بذاته^(١)، وأنه صفة له، والصفة لا تقوم إلا بالموصوف، فهو حق يجب قبوله والقول به، فيجب الأخذ بما في قول كل من الطائفتين من الصواب، والعدول عما يرده الشرع والعقل من قول كل منهما.

(س ٢١١) كيف يُرد على من قال لمن أثبت صفة الكلام لله: يلزم أن تكون الحوادث قامت به؟

(ج) إذا قالوا لنا: يلزم أن تكون الحوادث قامت به.

قلنا: هذا القول مجمل، ومن أنكر قبلكم قيام الحوادث بهذا المعنى به تعالى من الأئمة؟ ونصوص القرآن والسنة تتضمن ذلك، ونصوص الأئمة أيضاً مع صريح العقل.

ولا شك أن الرسل الذين خاطبوا الناس، وأخبروهم أن الله قال ونادي وناجى ويقول، لم يفهموهم أن هذه مخلوقات منفصلة عنه، بل الذي

(١) هذا قول الكلاية والأشاعرة والماتريدية.

أفهمهم إياه: أن الله نفسه هو الذي تكلم، والكلام قائم به لا بغيره، وأنه هو الذي تكلم به وقاله، كما قالت عائشة رضي الله عنها في حديث الإفك: "ولشأني في نفسي كان أحقر من أن يتكلم الله فيّ بوحى يتلى"، ولو كان المراد من ذلك كله خلاف مفهومه، لوجب بيانه، إذ تأخير البيان عن وقت الحاجة لا يجوز.

ولا يعرف في لغة ولا عقل قائل متكلم لا يقوم به القول والكلام وإنما قام الكلام بغيره، وإن زعموا أنهم فروا من ذلك حذراً من التشبيه فلا يثبتوا صفةً غيره، فإنهم إذا قالوا: يعلم لا كعلمنا. قلنا: ويتكلم لا كتكلمنا، وكذلك سائر الصفات. وهل يعقل قادر لا تقوم به القدرة، أو حي لا تقوم به الحياة؟!.

(س ٢١٢) من الذي استدل بقول النبي ﷺ: "أعوذ بكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن برٌّ ولا فاجر" وعلام استدل به؟.

(ج) استدل أهل السنة والجماعة بهذا الدليل وهو قوله ﷺ: "أعوذ بكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر" على إثبات صفة الكلام لله تعالى فهل يقول عاقل: إنه ﷺ عاذ بمخلوق! بل هذا كقوله ﷺ: "أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك" وكقوله: "أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر". وكقوله: "وأعوذ بعظمتك أن نغتال من تحتنا". كل هذه من صفات الله تعالى، وهذه المعاني مبسوبة في مواضعها، وإنما أشير إليها هنا إشارة.

(س ٢١٣) ما قول كثير من متأخري الحنفية في كلام الله، وبماذا رد الإمام الشارح قولهم؟.

(ج) قال الشارح: وكثير من متأخري الحنفية على أنه معنى واحد، والتعدد والتكثر والتجزؤ والتبعض حاصل، في الدلالات لا في المدلول، وهذه العبارات مخلوقة، وسميت "كلام الله" لدلالاتها عليه، وتأديه بها، فإن عبر بالعربية فهو قرآن، وإن عبر بالعبرية فهو تورا، فاختلفت العبارات لا الكلام.

قالوا: وتسمى هذه العبارات كلام الله مجازاً.

وهذا كلام فاسد، فإن لازمه أن معنى قوله: ﴿وَلَا تَقْرُبُوا الزِّنَى﴾ هو معنى قوله: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾، ومعنى آية الكرسي هو معنى آية الدين! ومعنى سورة الإخلاص هو معنى: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ (١١) وكلمتا تأمل الإنسان هذا القول، تبين له فسادُه وعلم أنه مخالف لكلام السلف.

والحق أن التوراة والإنجيل والزبور من كلام الله حقيقةً، وكلام الله لا يتناهى، فإنه لم يزل يتكلم بما شاء إذا شاء كيف شاء، ولا يزال كذلك. قال تعالى: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِي لَافْتَدَى الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتِي رَبِّي وَلَوْ جِثَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾ (١٦٩) وقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (٢٧). ولو كان ما في المصحف عبارة عن كلام الله، وليس هو كلام الله، لما حرم على الجنب والمحدث مسه، ولو كان ما يقرؤه القارئ ليس كلام الله، لما حرم على الجنب قراءة القرآن.

س ٢١٤: قال الإمام أبو حنيفة في "الفقه الأكبر": كلام الله محفوظ في الصدور، مقروء بالألسن، مكتوب في المصاحف. بين هذا القول؟

ج: نعم هو في هذه المواضع كلها حقيقة.

وإذا قيل: المكتوب في المصحف كلام الله، فهم منه معنى حقيقي.

وإذا قيل: فيه خط فلان وكتابه، فهم منه معنى صحيح حقيقي.

وإذا قيل: فيه مداد قد كتب به، فهم منه معنى صحيح حقيقي.

وإذا قيل: المداد في المصحف، كانت الظرفية فيه غير الظرفية المفهومة

من قول القائل: فيه السماوات والأرض، وفيه محمد وعيسى، ونحو ذلك.

وهذان المعنيان مغايران لمعنى قول القائل: فيه خط فلان الكاتب، وهذه

المعاني الثلاثة مغايرة لمعنى قول القائل: فيه كلام الله. ومن لم ينتبه للفروق

بين هذه المعاني، ضل، ولم يهتد للصواب.

وكذلك الفرق بين القراءة التي هي فعل القارئ، والمقروء الذي هو قول

الباري، ومن لم يهتد له فهو ضال أيضاً، ولو أن إنساناً وجد في ورقة مكتوباً:

ألا كل شيء ما خلا الله باطل

من خط كاتب معروف لقال: هذا كلام لبيد حقيقة، وهذا كلام فلان حقيقة، وهذا كل شيء حقيقة، وهذا خبر حقيقة، ولا تشتبه هذه الحقيقة بالأخرى.

وحقيقة كلام الله تعالى الخارجية: هي ما يسمع منه، أو من المبلغ عنه، فإذا سمعه السامع، علمه وحفظه، فكلام الله مسموع له معلوم محفوظ، فإذا قال السامع، فهو مقروء له متلو، فإن كتبه فهو مكتوب له مرسوم، وهو حقيقة في هذه الوجوه كلها.

(س ٢١٥) ما الفرق بين كون القرآن في زبر الأولين، وبين كونه في رق منشور، أو في كتاب مكنون، هل يعني هذا أنه أنزل على أولئك؟.

(ج) قال الشارح رحمه الله: وأما الكلام فإنه ليس بينه وبين المصحف واسطة، بل هو الذي يكتب بلا واسطة ذهن ولا لسان، والفرق بين كونه في زبر الأولين، وبين كونه في رق منشور، أو في كتاب مكنون: واضح.

فقوله عن القرآن: ﴿وَإِنَّمَا لَفِي زُبرِ الْأَوَّلِينَ﴾ (١٩٦) أي: ذكره ووصفه والإخبار عنه، إذ القرآن أنزله الله على محمد، ولم ينزله على غيره أصلاً، ولهذا قال: "في الزبر" ولم يقل في المصحف، ولا في الرق، لأن "الزبر" جمع "زبور" و "الزُّبُرُ" هو: الكتابة والجمع، فقوله: ﴿وَإِنَّمَا لَفِي زُبرِ الْأَوَّلِينَ﴾ (١٩٦)، أي: مزبور الأولين، ففي نفس اللفظ واشتقاقه ما يبين المعنى المراد، ويبين كمال بيان القرآن وخلوصه من اللبس، وهذا مثل قوله: ﴿الَّذِي يَحْدُوثُهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ﴾ أي ذكره بخلاف قوله: ﴿فِي رَقٍ مَّنْشُورٍ﴾ (٣) أو ﴿لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ﴾ أو ﴿كِتَابٍ مَّكْنُونٍ﴾ لأن العامل في الظرف إما أن يكون من الأفعال العامة، مثل الكون والاستقرار والحصول ونحو ذلك، أو يُقدَّر: مكتوب في كتاب، أو في رق.

والكتاب: تارة يذكر ويراد به محل الكتابة، وتارة يذكر ويراد به الكلام المكتوب، ويجب التفريق بين كتابة الكلام في الكتاب، وكتابة الأعيان الموجودة في الخارج فيه، فإن تلك إنما يُكتب ذكرها، وكلما تدبر الإنسان هذا المعنى، وضح له الفرق.

س ٢١٦: ما حقيقة كلام الله تعالى الخارجية، عندما يسمعه السامع، أو يقرؤه القارئ، أو يكتبه الكاتب؟

ج: حقيقة كلام الله تعالى الخارجية: هي ما يُسمع منه، أو من المبلغ عنه، فإذا سمعه السامع، علمه وحفظه، فكلام الله مسموع له معلوم محفوظ، فإذا قال السامع، فهو مقروء له متلو، فإن كتبه فهو مكتوب له مرسوم، وهو حقيقة في هذه الوجوه كلها، لا يصح نفيه، والمجاز يصح نفيه، فلا يجوز أن يقال: ليس في المصحف كلام الله، ولا: ما قرأ القارئ كلام الله، وقد قال تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ﴾ وهو لا يسمع كلام الله من الله، وإنما يسمعه عن مبلغه عن الله.

والآية تدل على فساد قول من قال: إن المسموع عبارة عن كلام الله، وليس هو كلام الله، فإنه تعالى قال: ﴿حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ﴾ ولم يقل حتى يسمع ما هو عبارة عن كلام الله، والأصل الحقيقة.

ومن قال: إن المكتوب في المصاحف عبارة عن كلام الله، أو حكاية كلام الله، وليس فيها كلام الله: فقد خالف الكتاب والسنة، وسلف الأمة، وكفى بذلك ضلالاً.

س ٢١٧: على من رد الطحاوي بقوله عن كلام الله: "منه بدا"؟

ج: رد الطحاوي بقوله هذا على من قال: إنه معنى واحد لا يتصور سماعه منه، وأن المسموع المنزل المقروء المكتوب ليس كلام الله، وإنما هو عبارة عنه، فإن الطحاوي رحمه الله يقول: كلام الله منه بدا. وكذلك قال غيره من السلف، ويقولون منه بدا وإليه يعود.

وإنما قالوا: منه بدا، لأن الجهمية من المعتزلة وغيرهم كانوا يقولون: إنه خلق الكلام في محل، فبدا الكلام من ذلك المحل، فقال السلف: "منه بدا" أي: هو المتكلم به، فمنه بدا، لا من بعض المخلوقات، كما قال تعالى: ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ ﴿وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي﴾ ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ﴾.

س ٢١٨: ما معنى قول السلف في القرآن: "... وإليه يعود"؟

(ج:٢١٩) معنى قول السلف وإليه يعود: أنه يرفع من الصدور والمصاحف، فلا يبقى في الصدور منه آية، ولا في المصاحف، كما جاء ذلك في عدة آثار^(١).

س ٢١٩: لم قال الطحاوي في القرآن وأنه بدا من الله: "بلا كيفية"؟.

(ج:٢٢٠) قول الطحاوي يرحمه الله: "بلا كيفية" أي: لا تعرف كيفية تكلمه به قولاً ليس بالمجاز.

س ٢٢٠: ما معنى قول الإمام الطحاوي: "وأنزله على رسوله وحياً"؟.

(ج:٢٢١) أي: أنزله إليه على لسان المَلَك، فسمعه المَلَكُ جبريل من الله، وسمعه الرسول محمد ﷺ من المَلَك، وقرأه على الناس، قال تعالى: ﴿وَقَرَأْنَا لَهُ فَرَقَهُ لِلْقَرَأَةِ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكِّيٍّ وَنَزَّلْنَاهُ نَزِيلًا﴾ (١٠٦)، وقال تعالى: ﴿نَزَّلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾ (١٩٣) عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴿١٩٥﴾ وفي ذلك إثبات صفة العلو لله تعالى.

س ٢٢١: يحتاج من ينفي صفة العلو لله تعالى، وإنزال القرآن من الله العلي، في كثير من الآيات أن إنزال القرآن نظير إنزال المطر، وإنزال الحديد، وإنزال ثمانية أزواج من الأنعام. فكيف الجواب؟.

(ج:٢٢٢) ١ - أن إنزال القرآن فيه مذكور أنه من الله، قال تعالى: ﴿حَمَّ﴾ (١) نَزِيلُ الْكِتَابِ مِنْ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٢﴾ وقال تعالى: ﴿نَزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ (٢) وقال تعالى: ﴿نَزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ (٢) وقال تعالى: ﴿نَزِيلٌ مِنَ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ وقال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَرَّكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ﴾ (٣) فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿٤﴾ أَمْرًا مِنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٥﴾ وقال تعالى: ﴿فَأَتَوْا بِكِتَابٍ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَا أَتَّبِعُهُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ وقال

(١) روى ابن ماجه بسنده عن حذيفة بن اليمان، قال: قال رسول الله ﷺ: " يدرس الإسلام كما يدرس وشي الثوب، حتى لا يدرى ما صيام ولا صلاة ولا نسك ولا صدقة، وليسرى على كتاب الله ﷻ في ليلة، فلا يبقى في الأرض منه آية.. " الحديث، وإسناده صحيح ورجاله ثقات، قاله الحاكم ووافقه الذهبي.

تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنَتْهُمْ أَكْتَئِبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنْزَلٌ مِّن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ﴾ وقال تعالى: ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ﴾.

٢ - وإنزال المطر مقيد بأنه منزل من السماء قال تعالى: ﴿أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ والسماء العلو، وقد جاء في مكان آخر: أنه منزل من المزن، والمزن السحاب، وفي مكان آخر: أنه منزل من المعصرات.

٣ - وإنزال الحديد والأنعام مطلق، فكيف يشتبه هذا الإنزال بهذا الإنزال، وهذا الإنزال بهذا الإنزال؟! فالحديد إنما يكون من المعادن التي في الجبال، وهي عالية على الأرض، وقد قيل: إنه كلما كان معدنه أعلى كان حديدته أجود، والأنعام تخلق بالتوالد المستلزم إنزال الذكور الماء من أصلابها إلى أرحام الإناث، ولهذا يقال: أنزل ولم ينزل، ثم الأجنة تنزل من بطون الأمهات إلى وجه الأرض، ومن المعلوم أن الأنعام تعلق فحولها إناثها عند الوطاء، وينزل ماء الفحل من علو إلى رحم الأنثى، وتلقي ولدها عند الولادة من علو إلى سفلى، وعلى هذا فيحتمل قوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ﴾ وجهين:

أحدهما: أن تكون "من" لبيان الجنس.

الثاني: أن تكون "من" لابتداء الغاية، وهذان الوجهان يُحتملان في قوله: ﴿جَعَلَ لَكُمْ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا﴾.

(س ٢٢٢) إلى أي شيء أشار الطحاوي بقوله: "وصدقه المؤمنون على ذلك حقاً؟".

(ج) الإشارة إلى ما ذكره من التكلم به على الوجه المذكور وإنزاله، أي: هذا قول الصحابة، والتابعين لهم بإحسان، وهم السلف الصالح، وأن هذا حق وصدق.

(س ٢٢٣) على من رد الطحاوي بقوله: "وأيقنوا أنه كلام الله تعالى على الحقيقة ليس بمخلوق ككلام البرية؟".

(ج) رده على المعتزلة وغيرهم بهذا القول ظاهر.

وفي قوله بالحقيقة، رد على من قال: إنه معنى واحد قام بذات الله^(١) لم يُسمع منه، وإنما هو الكلام النفساني، لأنه لا يقال لمن قام به الكلام النفساني ولم يتكلم به: إن هذا كلامٌ حقيقةً، وإلا للزم أن يكون الأخرس متكلماً، ولزم أن يكون الذي في المصحف عند الإطلاق هو القرآن، ولا كلام الله، ولكن عبارة عنه ليست هي كلام الله، كما لو أشار أخرس إلى شخص بإشارة فهم بها مقصوده، فكتب ذلك الشخص عبارته عن المعنى الذي أوحاه إليه ذلك الأخرس، فالمكتوب: هو عبارة ذلك الشخص عن ذلك المعنى، وهذا المثل مطابق غاية المطابقة لما يقولونه، وإن كان الله تعالى لا يسمي أحد "أخرس" لكن عندهم أن المَلَك فهم منه معنى قائماً بنفسه، ولم يسمع منه حرفاً ولا صوتاً، بل فهم معنى مجرداً، ثم عبر عنه، فهو الذي أحدث نظم القرآن وتأليفه العربي، أو أن الله خلق في بعض الأجسام كالهواء الذي هو دون المَلَك هذه العبارة.

س ٢٢٤: وضح لنا قول الأشاعرة: أن كلام الله معنى واحد قائم بالذات، ثم بين فساد قولهم؟.

ج: قولهم عن القرآن إنه معنى قام بذات الله لم يُسمع منه، وإنما هو الكلام النفساني، لأنه لا يقال لمن قام به الكلام النفساني ولم يتكلم به: إن هذا كلامٌ حقيقةً، وإلا للزم أن يكون الأخرس متكلماً، ولزم أن يكون الذي في المصحف عند الإطلاق هو القرآن، ولا كلام الله، ولكن عبارة عنه ليست هي كلام الله، كما لو أشار أخرس إلى شخص بإشارة فهم بها مقصوده، فكتب ذلك الشخص عبارته عن المعنى الذي أوحاه إليه ذلك الأخرس، فالمكتوب: هو عبارة ذلك الشخص عن ذلك المعنى، وهذا المثل مطابق غاية المطابقة لما يقولونه، وإن كان الله تعالى لا يسمي أحد "أخرس" لكن عندهم أن المَلَك فهم منه معنى قائماً بنفسه، ولم يسمع منه حرفاً ولا صوتاً، بل فهم معنى مجرداً، ثم عبر عنه، فهو الذي أحدث نظم القرآن وتأليفه العربي، أو أن الله خلق في بعض الأجسام

(١) هذا قول الأشعرية والماتريدية.

كالهواء الذي هو دون المَلَكِ هذه العبارة.

١ - ويقال لمن قال: أنه معنى واحد: هل سمع موسى ﷺ جميع المعنى أو بعضه؟.

فإن قال: سمعه كله، فقد زعم أنه سمع جميع كلام الله! وفساد هذا ظاهر.
وإن قال: بعضه، فقد قال: يتبع بعض، وكذلك كل من كلمه الله، أو أنزل إليه شيئاً من كلامه.

٢ - ولما قال تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ ولما قال لهم: ﴿أَسْجُدُوا لِلْآدَمِ﴾ وأمثال ذلك: هل هذا جميع كلامه أو بعضه؟.
فإن قال: إنه جميعه، فهذا مكابرة.

وإن قال: بعضه، فقد اعترف بتعده، فبطل بذلك قوله: أنه معنى واحد قائم بالرب.

(س ٢٢٥) ما مذاهب الناس في مسمى الكلام والقول عند الإطلاق؟.

(ج) للناس في مسمى الكلام والقول عند الإطلاق: أربعة أقوال:

١ - أحدها: قول السلف، أنه يتناول اللفظ والمعنى جميعاً، كما يتناول لفظ الإنسان للروح والبدن معاً.

٢ - الثاني: قول جماعة من المعتزلة وغيرهم، أنه اسم لللفظ فقط، والمعنى ليس جزء مسماه، بل هو مدلول مسماه.

٣ - الثالث: قول الكلائية، أنه اسم للمعنى فقط، وإطلاقه على اللفظ مجاز، لأنه دال عليه.

٤ - الرابع: قول بعض المتأخرين من الكلائية: أنه مشترك بين اللفظ والمعنى وللکلائية قول ثالث: أنه مجاز في كلام الله، حقيقة في كلام الآدميين.

(س ٢٢٦) من الذي يستدل بقول الشاعر:

إن الكلام لفي الفؤاد وإنما جعل اللسان على الفؤاد دليلاً

وعلام استدل به؟ ثم بين تهافت وفساد هذا الاستدلال؟.

(ج:) تستدل بهذا القول الأشاعرة وغيرهم ممن زعموا أن الكلام معنى واحد، وهذا قول فاسد.

١ - ولو استدل مستدل بحديث في الصحيحين لقالوا: هذا خبر واحد! ويكون مما اتفق العلماء على تصديقه، وتلقيه بالقبول والعمل به، فكيف وهذا البيت قد قيل: إنه مصنوع منسوب إلى الأخطل، وليس هو في ديوانه؟!

٢ - وقيل: إنما قال: إن البيان لفي الفؤاد. وهذا أقرب إلى الصحة، وعلى تقدير صحته عنه، فلا يجوز الاستدلال به، فإن النصارى قد ضلوا في معنى الكلام، وزعموا أن عيسى عليه السلام نفس كلمة الله، واتحد اللاهوت بالناسوت! أي: شيء من الإله بشيء من الناس! أفستدل بقول نصراني قد ضل في معنى الكلام على معنى الكلام، ويترك ما يعلم من معنى الكلام في لغة العرب!.

٣ - وأيضاً: فمعناه غير صحيح، إذ لازمه أن الأخرس يسمى متكلماً، لقيام الكلام بقلبه، وإن لم ينطق به، ولم يسمع منه. والكلام على ذلك مبسوط في موضعه.

(س ٢٢٧:) ما وجه الشبه بين قول النصارى في اللاهوت والناسوت، وبين قول من قال: إن كلام الله هو المعنى القائم بذات الله لا يمكن سماعه؟.

(ج:) قال الشارح: وهنا معنى عجيب، وهو: أن هذا القول له شبه قوي بقول النصارى القائلين باللاهوت والناسوت! فإنهم يقولون: كلام الله هو المعنى القائم بذات الله الذي لا يمكن سماعه، وإنما النظم المسموع مخلوق، فإفهام المعنى القديم بالنظم المخلوق يشبه امتزاج اللاهوت بالناسوت الذي قالته النصارى في عيسى عليه السلام. فانظر إلى هذا الشبه ما أعجبه!.

(س ٢٢٨:) رد على من قال بأن الكلام هو المعنى القائم بالنفس، بأدلة شرعية من السنة؟.

(ج:) يرد قول من قال: بأن الكلام هو المعنى القائم بالنفس قوله ﷺ:

١ - " إن صلاتنا هذه لا يصلح فيها شيء من كلام الناس " .

٢ - وقال: " إن الله يحدث من أمره ما يشاء ، وإن مما أحدث أن لا تكلموا في الصلاة " . واتفق العلماء على أن المصلي إذا تكلم في الصلاة عامداً لغير مصلحتها، بطلت صلاته، واتفقوا كلهم على أن ما يقوم بالقلب من تصديق بأمر ديني وطلب، لا يُبطل الصلاة، وإنما يبطلها التكلم بذلك، فعلم اتفاق المسلمين على أن هذا ليس بكلام.

٣ - وأيضاً ففي الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال: " إن الله تجاوز لأمتي عما حدثت به أنفسها ما لم تتكلم به أو تعمل به " ، فقد أخبر أن الله عفا عن حديث النفس إلا أن تتكلم، ففرق بين حديث النفس وبين الكلام، وأخبر أنه لا يؤاخذ به حتى يتكلم به، والمراد: حتى ينطق به اللسان، باتفاق العلماء، فعلم أن هذا هو الكلام في اللغة، لأن الشارع إنما خاطبنا بلغة العرب.

٤ - وأيضاً ففي السنن: أن معاذاً رضي الله عنه قال: يا رسول الله، وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به؟ فقال: " وهل يكب الناس في النار على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم " .

فبين أن الكلام إنما هو باللسان، فلفظ " القول " و " الكلام " وما تصرف منهما من فعل ماض ومضارع وأمر واسم فاعل، إنما يعرف في القرآن والسنة وسائر كلام العرب إذا كان لفظاً ومعنى.

س ٢٢٩: متى حصل النزاع في مسمى الكلام؟.

ج: لم يكن في مسمى " الكلام " نزاع بين الصحابة والتابعين لهم بإحسان، وإنما حصل النزاع بين المتأخرين من علماء أهل البدع، ثم انتشر.

س ٢٣٠: من زعم أن كلام الله معنى واحد قائم بنفسه، فقد قال بخلق القرآن وهو لا يشعر! أوضح هذا المعنى؟.

ج: قال الشارح رحمه الله: ولا شك أن من قال: إن كلام الله معنى واحد قائم بنفسه تعالى، وأن المتلو المحفوظ المكتوب المسموع من القارئ حكاية كلام الله وهو مخلوق، فقد قال بخلق القرآن في المعنى وهو لا يشعر،

فإن الله تعالى يقول: ﴿قُلْ لِّينِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَيَّ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ﴾، أفتراه سبحانه وتعالى يشير إلى ما في نفسه أو إلى هذا المتلو المسموع؟ ولا شك أن الإشارة إنما هي إلى هذا المتلو المسموع، إذ ما في ذات الله غير مشار إليه، ولا منزل ولا متلو ولا مسموع.

وقوله: ﴿لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ﴾، أفتراه سبحانه يقول: لا يأتون بمثل ما في نفسي مما لم يسمعه ولم يعرفوه، وما في نفس الباري ﷻ لا حيلة إلى الوصول إليه، ولا إلى الوقوف عليه.

س ٢٣١: هات دليلاً من القرآن على إبطال قول من قال: إن كلام الله هو معنى واحد قائم بنفس الرب...؟.

ج: الدليل قوله تعالى: ﴿قُلْ لِّينِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَيَّ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ﴾، أفتراه سبحانه وتعالى يشير إلى ما في نفسه أو إلى هذا المتلو المسموع؟ ولا شك أن الإشارة إنما هي إلى هذا المتلو المسموع، إذ ما في ذات الله غير مشار إليه، ولا منزل ولا متلو ولا مسموع.

وقوله: ﴿لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ﴾، أفتراه سبحانه يقول: لا يأتون بمثل ما في نفسي مما لم يسمعه ولم يعرفوه، وما في نفس الباري ﷻ لا حيلة إلى الوصول إليه، ولا إلى الوقوف عليه.

فإن قالوا: إنما أشار إلى حكاية ما في نفسه وعبارته وهو المتلو المكتوب المسموع، فأما أن يشير إلى ذاته فلا، فهذا صريح القول بأن القرآن مخلوق، بل هم في ذلك أكفر من المعتزلة، فإن حكاية الشيء مثله وشبهه، وهذا تصريح بأن صفات الله تعالى محكية، ولو كانت هذه التلاوة حكاية لكان الناس قد أتوا بمثل كلام الله، فأين عجزهم؟! ويكون التالي في - زعمهم - قد حكى بصوت وحرف ما ليس بصوت وحرف، وليس القرآن إلا سوراً مسورة، وآيات مسطرة، في صحف مطهرة. قال تعالى: ﴿فَأَنزَلْنَا بِعَشْرِ سُوْرٍ مِّثْلَهُ مُقَرَّنَاتٍ﴾ ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ يِّنَتٌ فِي صُودِرِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَحْكُدُ شَايِنَتَا إِلَّا الظَّالِمُونَ﴾ ﴿فِي صُحُفٍ مُّكْرَمَةٍ﴾ ﴿١٣﴾ تَرْفَعُهُمْ مَّطَهَّرَةً ﴿١٤﴾. ويكتب لمن قرأه بكل حرف منه عشر حسنات،

قال ﷺ: " أما إني لا أقول ألم حرف، ولكن ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف ". وهو المحفوظ في صدور الحافظين المسموع من ألسن التالين .

س ٢٣٢: ما حكم من قرأ القرآن في الصلاة بغير العربية؟ .

ج: قال الشارح: وما ينسب إلى أبي حنيفة رحمه الله: أن من قرأ في الصلاة بالفارسية أجزأه، فقد رجع عنه، وقال: لا تجوز القراءة مع القدرة بغير العربية .

وقالوا: لو قرأ بغير العربية، فإما أن يكون مجنوناً فيداوى، أو زنديقاً فيقتل، لأن الله تكلم به بهذه اللغة، والإعجاز حصل بنظمه ومعناه .

س ٢٣٣: بين قول الطحاوي: " ومن سمعه، وقال: إنه كلام البشر، فقد كفر "؟ .

ج: لا شك في تكفير من أنكر أن القرآن كلام الله، بل قال: إنه كلام محمد أو غيره من الخلق، ملكاً كان أو بشراً، وأما إذا أقر أنه كلام الله، ثم أول وحرّف، فقد وافق قول من قال: ﴿إِنَّ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ﴾ (٢٥) في بعض ما به كفر، وأولئك الذين استزلهم الشيطان، وسيأتي الكلام عليه عند قول الشيخ: " ولا نكفر أحداً من أهل القبلة بذنب ما لم يستحلّه " إن شاء الله تعالى .

س ٢٣٤: لم قال الإمام الطحاوي عن القرآن: " ولا يشبه قول البشر "؟ .

ج: لأنه أشرف وأفصح وأصدق، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾ وقال تعالى: ﴿قُلْ لِّئِنْ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُوا بِمِثْلِهِ﴾ وقال تعالى: ﴿قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوْرٍ مِثْلِهِ﴾ وقال تعالى: ﴿قُلْ فَأْتُوا بِسُوْرِ مِثْلِهِ﴾ فلما عجزوا - وهم فصحاء العرب، مع شدة العداوة - عن الإتيان بسورة مثله، تبين صدق الرسول ﷺ أنه من عند الله، وإعجازه من جهة نظم ومعناه، لا من جهة أحدهما فقط، هذا مع أنه قرآن عربي غير ذي عوج بلسان عربي مبين، أي: باللغة العربية .

ففي المشابهة من حيث التكلم ومن حيث النظم والمعنى، لا من حيث الكلمات والحروف. وإلى هذا وقعت الإشارة بالحروف المقطعة في أوائل السور، أي: أنه في أسلوب كلامهم وبلغتهم التي يتخاطبون بها، ألا ترى أنه يأتي بعد الحروف المقطعة بذكر القرآن؟ كما في قوله تعالى: ﴿الْم ۝ ذَلِك ۝ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ ۝﴾ ﴿الْم ۝﴾ ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ۝ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ۝﴾ ﴿زَلَّ عَلَيْكَ ۝﴾ ﴿الْكِتَابَ بِالْحَقِّ ۝﴾ الآية. ﴿الْمَص ۝﴾ ﴿كِتَابٌ أَنْزَلَ إِلَيْكَ ۝﴾ الآية. ﴿الرَّ ۝﴾ ﴿تِلْكَ آيَاتُ ۝﴾ ﴿الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ۝﴾، وكذلك الباقي بينهم أن هذا الرسول الكريم لم يأتيكم بما لا تعرفونه، بل خاطبكم بلسانكم.

ولكن أهل المقالات الفاسدة يتذرعون بمثل هذا إلى نفي تكلم الله به، وسماع جبريل منه، كما يتذرعون بقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ۝﴾ إلى نفي الصفات. وفي الآية ما يرد عليهم قولهم، وهو قوله تعالى: ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ۝﴾ كما في قوله تعالى: ﴿فَأَنزَلْنَا سُورَةَ مِثْلِهِ ۝﴾ ما يرد على من ينفي الحرف، فإنه قال: ﴿فَأَنزَلْنَا سُورَةَ ۝﴾ ولم يقل بحرف أو بكلمة، وأقصر سورة في القرآن ثلاث آيات، ولهذا قال أبو يوسف ومحمد الشيباني صاحباً أبي حنيفة رحمهما الله: إن أدنى ما يجزي في الصلاة ثلاث آيات قصار، أو آية طويلة، لأنه لا يقع الإعجاز بدون ذلك. والله أعلم.

(س ٢٣٥): ما حكم من وصف الله بمعنى من معاني البشر؟

(ج): قال الإمام الطحاوي: "ومن وصف الله بمعنى من معاني البشر فقد كفر".

(س ٢٣٦): ماذا أفاد قول الإمام الطحاوي: "ومن وصف الله بمعنى من معاني البشر، فقد كفر، فمن أبصر هذا اعتبر، وعن مثل قول الكفار انزجر، وعلم أن الله بصفاته ليس كالbشر"؟

(ج): أفاد أن الله تعالى بصفاته ليس كالbشر، نفيًا للتشبيه عقيب الإثبات، يعني: أنه تعالى وإن وصف بأنه متكلم، لكن لا يوصف بمعنى من معاني البشر التي يكون الإنسان بها متكلمًا، فإن الله ليس كمثله شيء وهو السميع البصير.

وما أحسن المثل المضروب للمثبت للصفات من غير تشبيه ولا تعطيل،
باللبن الخالص السائغ للشاربين، يخرج من بين فرث التعطيل، ودم التشبيه،
والمعطل يعبد عدماً، والمشبه يعبد صنماً. ويأتي في كلام الشيخ: "ومن لم
يتوق النفي والتشبيه، زل ولم يصب التنزيه" وكذا قوله: "وهو بين التشبيه
والتعطيل" أي: دين الإسلام، ولا شك أن التعطيل شر من التشبيه، لما
سأذكره إن شاء الله تعالى.

وليس ما وصف الله به نفسه ولا ما وصفه به رسوله تشبيهاً، بل صفات
الخالق كما يليق به.

وقوله: "فمن أبصر هذا اعتبر" أي: من نظر بعين بصيرته فيما قاله
من إثبات الوصف، ونفي التشبيه، ووعيد المشبهة، اعتبر وانزجر عن مثل
قول الكفار.



الفصل السادس

الرؤية

الرؤية

س ٢٣٧: من الذي أنكر رؤية أهل الجنة لربهم تعالى، ومن الذي أثبتها؟ .

ج: أنكرت الجهمية والمعتزلة، ومن تبعهم من الخوارج والإمامية، وقولهم باطل مردود بالكتاب والسنة، وقد قال بثبوت الرؤية الصحابة والتابعون، وأئمة الإسلام المعروفون بالإمامة في الدين، وأهل الحديث، وسائر طوائف أهل الكلام المنسوبون إلى السنة والجماعة.

س ٢٣٨: ما منزلة مسألة الرؤية من الدين؟ .

ج: هذه المسألة من أشرف مسائل أصول الدين وأجلها، وهي الغاية التي شمر إليها المشمرون، وتنافس فيها المتنافسون، وحرمها الذين هم عن ربهم محجوبون، وعن بابه مطرودون.

س ٢٣٩: ما أظهر دليل يستدل به أهل السنة والجماعة على إثبات الرؤية، وما موقف من نفاها، منه ومن غيره؟ .

ج: ذكر الطحاوي رحمه الله من الأدلة قوله تعالى: ﴿وَجُودٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرٌ﴾ (٢٢) إِلَى رَبِّهَا نَاطِرَةٌ ﴿٢٣﴾ وهي من أظهر الأدلة، وأما من أبى إلا تحريفها بما يسميه تأويلاً، فتأويل نصوص المعاد والجنة والنار والحساب، أسهل من تأويلها على أرباب التأويل، ولا يشاء مبطل أن يتأول النصوص، ويحرفها عن مواضعها إلا وجد إلى ذلك من السبيل ما وجده متأول هذه النصوص.

س ٢٤٠: ماذا جنى التأويل الفاسد على الدين وأهله، ولماذا ذكره الشارح؟.

ج: هذا الذي أفسد الدنيا والدين، وهكذا فعلت اليهود والنصارى في نصوص التوراة والإنجيل، وحذرنا الله أن نفعل مثلهم، وأبى المبطلون إلا سلوك سبيلهم، وكم جنى التأويل الفاسد على الدين وأهله من جناية، فهل قتل عثمان رضي الله عنه إلا بالتأويل الفاسد! وكذا ما جرى في يوم الجمل، وصفين، ومقتل الحسين رضي الله عنه والحرّة؟ وهل خرجت الخوارج، واعتزلت المعتزلة، ورفضت الروافض، واختلفت الأمة على ثلاث وسبعين فرقة، إلا بالتأويل الفاسد؟!

وذكره الشارح ليبين خطر هذا النهج الفاسد في تأويل النصوص بلا دليل لما ذكر مسألة الرؤية وتأويل أهل البدع لها بلا دليل، من نقل أو عقل.

س ٢٤١: ماذا قالت المعتزلة وأهل التحريف في استدلال المثبتين للرؤية في قوله تعالى: ﴿وَجُودٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ﴾ (٢٢) إِلَىٰ رِبِّهَا نَظَرَةٌ ﴿٢٣﴾؟.

ج: قالوا بعدم الرؤية، وأولوا الآية بلا دليل، فقالوا: المعنى منتظرة ثواب ربها؟! فنفوا ما أثبتته الله تعالى لنفسه وما أثبتته له رسوله وما أجمعت عليه الأمة.

وإضافة النظر إلى الوجه الذي هو محله في هذه الآية، وتعديته بأداة " إلى " الصريحة في نظر العين، وإخلاء الكلام من قرينة تدل على خلاف حقيقته وموضوعه، صريح في أن الله أراد بذلك نظر العين التي في الوجه إلى الرب جل جلاله.

س ٢٤٢: للنظر عدة استعمالات في القرآن ما هي، وفي أي سياق ذكرها الشارح يرحمه الله؟.

ج: للنظر عدة استعمالات، بحسب صلاته وتعديه بنفسه:

١ - فإن عدي بنفسه، فمعناه: التوقف والانتظار، كقوله: ﴿انظُرُونَا نَقْضِ مِن تَوْرِكُمْ﴾.

٢ - وإن عدي بـ " في "، فمعناه: التفكير والاعتبار، كقوله تعالى:

﴿أَوَّلَ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾.

٣ - وإن عدي بـ " إلى " فمعناه: المعاينة بالأبصار، كقوله تعالى: ﴿انْظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ﴾. فكيف إذا أضيف إلى الوجه الذي هو محل البصر!.

وقد أوردها المؤلف في سياق الرد على أهل البدع، لما أنكروا الرؤية، وزعموا أن الآية تعني الانتظار، فأوضح أن الآية تعني النظر لأنها عُدت بـ إلى.

س ٢٤٣: هل لك أن تذكر بعض كلام السلف في إثبات الرؤية؟.

ج: ١ - روى ابن مردويه بسنده إلى ابن عمر، قال: قال رسول الله ﷺ - في قوله تعالى: ﴿وَبُيُوتُهُمْ يُؤْمَرُ نَاصِرُهُ﴾ (٢٢) - قال: من البهاء والحسن ﴿إِلَى رِبَّهَا نَاطِرُهُ﴾ (٢٢) قال: في وجهه الله ﷻ.

٢ - عن الحسن قال: نظرت إلى ربها فَنَضَّرْتُ بنوره.

٣ - وقال أبو صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿إِلَى رِبَّهَا نَاطِرُهُ﴾ (٢٢) قال: تنظر إلى وجه ربها ﷻ.

٤ - وقال عكرمه: ﴿وَبُيُوتُهُمْ يُؤْمَرُ نَاصِرُهُ﴾ (٢٢) - قال: من النعيم ﴿إِلَى رِبَّهَا نَاطِرُهُ﴾ (٢٢) قال: تنظر إلى ربها نظراً، ثم حكى عن ابن عباس رضي الله عنهما مثله. وهذا قول كل مفسر من أهل السنة والحديث.

س ٢٤٤: استدل ببعض الأدلة من القرآن على إثبات الرؤية؟.

ج: ١ - قال تعالى: ﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ (٣٥). قال الطبري: قال علي بن أبي طالب، وأنس بن مالك رضي الله عنهما: هو النظر إلى وجهه الله ﷻ.

٢ - وقال تعالى: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا لِمُتَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾، فالحسنى: الجنة، والزيادة: هي النظر إلى وجهه الكريم، فسرّها بذلك رسول الله ﷺ والصحابة من بعده، كما روى مسلم في صحيحه عن صهيب، قال: قرأ رسول الله ﷺ: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا لِمُتَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾، قال: إذا دخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، نادى مناد: يا أهل الجنة إن لكم عند الله موعداً ويريد أن

ينجزكموه، فيقولون: ما هو؟ ألم يثقل موازيننا، ويبيض وجوهنا، ويدخلنا الجنة، ويجرنا من النار؟ فيكشف الحجاب، فينظرون إليه، فما أعطاهم شيئاً أحب إليهم من النظر إليه وهي الزيادة".

وكذلك فسرهما الصحابة رضي الله عنهم، وروى ابن جرير ذلك عن جماعة منهم: أبو بكر الصديق، وحذيفة وأبو موسى الأشعري، وابن عباس رضي الله عنهم.

٣ - وقال تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوءُونَ﴾ (١٥)، احتج الشافعي رحمه الله وغيره من الأئمة بهذه الآية على الرؤية لأهل الجنة. ذكر الطبري وغيره عن المزني، عن الشافعي، وقال الحاكم: حدثنا الأصم، حدثنا الربيع بن سليمان قال: حضرت محمد بن إدريس الشافعي رحمه الله، وقد جاءته رقعة من الصعيد فيها: ما تقول في قول الله ﷻ: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوءُونَ﴾ (١٥)، فقال الشافعي: لما حجب هؤلاء في السخط، كان في هذا دليل على أن أولياءه يرونه في الرضا.

٤ - وقوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ﴾ (٢٢) إِلَى رَبِّهَا نَاطِرَةٌ (٢٣) وهي من أظهر الأدلة على إثبات الرؤية، وقد سبق الكلام عليها آنفاً.

(س ٢٤٥) اذكر آية واحدة تحتج بها المعتزلة وأهل البدع على نفي الرؤية، من القرآن الكريم؟ وكيف ترد عليهم؟.

(ج) يحتجون بقوله تعالى: ﴿قَالَ لَنْ تَرَنِی﴾، والآية دليل عليهم واستدل بها على ثبوت رؤيته من وجوه:

أحدها: أنه لا يظن بكليم الله ورسوله الكريم، وأعلم الناس بربه في وقته أن يسأل ما لا يجوز عليه، بل هو عندهم من أعظم المحال.

الثاني: أن الله لم ينكر عليه سؤاله، ولما سأل نوح عليه السلام ربه نجاة ابنه أنكر عليه سؤاله، وقال: ﴿إِنِّي أَعْطُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾.

الثالث: أنه تعالى قال: ﴿لَنْ تَرَنِی﴾، ولم يقل: إني لا أرى، أو لا تجوز رؤيتي، أو لست بمرئي، والفرق بين الجوابين ظاهر، ألا ترى أن من كان في كفه حجر، فظنه رجل طعماً، فقال: أطعمنيه، فالجواب الصحيح:

إنه لا يؤكل، أما إذا كان طعاماً، صح أن يقال: إنك لن تأكله. وهذا يدل على أنه سبحانه مرئي، ولكن موسى ﷺ لا تحتل قواه رؤيته في هذه الدار، لضعف قوى البشر فيها عن رؤيته تعالى. يوضحه:

الوجه الرابع: وهو قوله: ﴿وَلَكِنْ أَنْظِرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنْ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَوْنِي﴾، فأعلمه أن الجبل مع قوته وصلابته لا يثبت للتجلي في هذه الدار، فكيف بالبشر الذي خلق من ضعف؟.

الخامس: أن الله سبحانه قادر على أن يجعل الجبل مستقراً، وذلك ممكن، وقد علق به الرؤية، ولو كانت محالاً، لكان نظير أن يقول: إن استقر الجبل، فسوف آكل وأشرب وأنام، والكل عندهم (المعتزلة) سواء.

السادس: قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَخَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا﴾، فإذا جاز أن يتجلي للجبل الذي هو جماد لا ثواب له ولا عقاب، فكيف يمتنع أن يتجلي لرسله وأوليائه في دار كرامته! ولكن الله تعالى أعلم موسى ﷺ أن الجبل إذا لم يثبت لرؤيته في هذه الدار، فالبشر أضعف.

السابع: أن الله كلم موسى وناداه وناجاه، ومن جاز عليه التكلم والتكليم، وأن يسمع مخاطبه كلامه بغير واسطة، فرؤيته أولى بالجواز، ولهذا لا يتم إنكار رؤيته إلا بإنكار كلامه، وقد جمعوا بينهما.

وأما دعواهم تأييد النفي بـ "لن" وأن ذلك يدل على نفي الرؤية في الآخرة، ففساد، فإنها لو قيدت بالتأييد لا يدل على دوام النفي في الآخرة. فكيف إذا أطلقت! قال تعالى: ﴿وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا﴾ مع قوله: ﴿وَنَادَا يَمَلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ ولأنها لو كانت للتأييد المطلق، لما جاز تحديد الفعل بعدها، وقد جاء ذلك، قال تعالى: ﴿فَلَنْ أُنْزِلَ الْأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِلِ آيَةٍ﴾. فثبت أن "لن" لا تقتضي النفي المؤبد.

قال الشيخ جمال الدين بن مالك رحمه الله تعالى:

ومن رأى النفي بلن مؤبداً فقلوه اردد وسواه فاعضدا
 (س ٢٤٦) من الذي استدل بقوله تعالى: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ وعلام
 استدل بها؟ فصل القول في ذلك؟.

﴿ج﴾ استدلت بها المعتزلة على نفي رؤية الله في الآخرة، واستدل بها أهل السنة والجماعة على رؤيته تعالى في الآخرة. والاستدلال بها على الرؤية من وجه حسن لطيف، وهو أن الله تعالى إنما ذكرها في سياق التمدح، ومعلوم أن المدح إنما يكون بالصفات الثبوتية، وأما العدم المحض، فليس بكمال، فلا يمدح به، وإنما يمدح الرب تعالى بالنفي إذا تضمن أمراً وجودياً، كمدحه بنفي السنة والنوم، المتضمن كمال القيومية، ونفي الموت المتضمن كمال الحياة، ونفي اللغوب والإعياء، المتضمن كمال القدرة، ونفي الشريك والصاحبة والولد والظهير، المتضمن كمال ربوبيته وإلهيته وقهره، ونفي الأكل والشرب المتضمن كمال صمديته وغناه، ونفي الشفاعة عنده إلا بأذنه المتضمن كمال توحيده وغناه عن خلقه، ونفي الظلم المتضمن كمال عدله وعلمه وغناه، ونفي النسيان، وعزوب شيء عن علمه المتضمن كمال علمه وإحاطته، ونفي المثل المتضمن لكمال ذاته وصفاته.

ولهذا لم يتمدح بعدم محض لا يتضمن أمراً ثبوتياً، فإن المعدوم يشارك الموصوف في ذلك العدم، ولا يوصف الكامل بأمر يشترك هو والمعدوم فيه، فإذن: المعنى: أنه يرى ولا يدرك ولا يحاط به، فقلوه: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْبَصَرُ﴾ يدل على كمال عظمته، وأنه أكبر من كل شيء، وأنه لكمال عظمته لا يدرك بحيث يحاط به، فإن "الإدراك" هو الإحاطة بالشيء، وهو قدر زائد على الرؤية، كما قال تعالى: ﴿فَلَمَّا تَرَاكَ الْجَنَانِ قَالَ أَصْحَبُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرِكُونَ﴾ (١١) قَالَ كَلَّا ۖ، فلم ينف موسى ﷺ الرؤية، وإنما نفى الإدراك، فالرؤية والإدراك كل منهما وجد مع الآخر وبدونه، فالرب تعالى يرى ولا يدرك، كما يعلم ولا يحاط به علماً، وهذا هو الذي فهمه الصحابة والأئمة من الآية، كما ذكرت أقوالهم في تفسير الآية. بل هذه الشمس المخلوقة لا يتمكن رائيها من إدراكها على ما هي عليه.

س ٢٤٧: ما صحة أحاديث الرؤية التي يستدل بها أهل السنة والجماعة على إثباتها، واذكر بعضاً منها؟.

﴿ج﴾ الأحاديث عن النبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم الدالة على الرؤية، متواترة، رواها أصحاب الصحاح والمسانيد والسنن. فمنها:

١ - حديث أبي هريرة رضي الله عنه: "أن أناساً قالوا: يا رسول الله، هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال رسول الله ﷺ: هل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر؟ قالوا: لا يا رسول الله، قال: هل تضارون في الشمس ليس دونها سحاب؟ قالوا: لا، قال: فإنكم ترونه كذلك". الحديث أخرجاه في الصحيحين بطوله. وحديث أبي سعيد الخدري أيضاً في الصحيحين نظيره.

٢ - وحديث جرير بن عبد الله البجلي، قال: "كنا جلوساً مع النبي ﷺ، فنظر إلى القمر ليلة أربع عشرة، فقال: إنكم سترون ربكم عياناً، كما ترون هذا، لا تضامون في رؤيته". الحديث أخرجاه في الصحيحين. وحديث صهيب رضي الله عنه المتقدم، رواه مسلم وغيره.

٣ - ومن حديث عدي بن حاتم رضي الله عنه: "وليلتين الله أحدكم يوم يلقاه، وليس بينه وبينه حجاب ولا ترجمان يترجم له، فليقولن: ألم أبعث إليك رسولاً فيبلغك؟ فيقول: بلى يا رب، فيقول: ألم أعطك مالاً وأفضل عليك؟ فيقول: بلى يا رب" رواه البخاري.

وقد روى أحاديث الرؤية نحو ثلاثين صحابياً، ومن أحاط بها معرفةً يقطع بأن الرسول ﷺ قالها.

(س ٢٤٨): كيف يقف المسلم على الصفات الإلهية؟.

(ج): من أراد الوقوف عليها فليواضب، سماع الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية، فإن فيها مع إثبات الرؤية أنه يكلم من شاء إذا شاء، وأنه يأتي الخلق لفصل القضاء يوم القيامة، وأنه فوق العالم، وأنه يناديهم بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب، وأنه يتجلى لعباده، وأنه يضحك إلى غير ذلك من الصفات التي سماعها على الجهمية بمنزلة الصواعق.

(س ٢٤٩): كيف يعرف المسلم أصول دين الإسلام، مع الاستدلال؟.

(ج): قال الشارح: وكيف يعرف المسلم أصول دين الإسلام من غير كتاب الله وسنة رسوله! وكيف يُفسر كتاب الله بغير ما فسره به رسول الله ﷺ وأصحاب رسوله، الذين نزل القرآن بلغتهم! وقد قال ﷺ: "من قال في القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار"، وفي رواية: "من قال في القرآن بغير

علم فليتبوأ مقعده من النار". وسئل أبو بكر الصديق رضي الله عنه عن قوله تعالى: ﴿وَفَكَهْمُهُ وَأَبَاً﴾ (٣٦)، ما الأب؟ فقال: أي سماء تظلني وأي أرض تقلني، إذا قلت في كتاب الله ما لا أعلم.

(س ٢٥٠): يزعم من ينفي الرؤية أن الأحاديث التي أثبتت الرؤية فيها تشبيه، ويزعم من أثبتها أنه يرى لا في جهة، فبم يُرد عليهم؟.

(ج ٣): ليس تشبيه رؤية الله تعالى برؤية الشمس والقمر تشبيهاً لله، بل هو تشبيه الرؤية بالرؤية، لا تشبيه المرئي بالمرئي، ولكن في هذا دليل على علو الله على خلقه، وإلا فهل تعقل رؤية بلا مقابلة! ومن قال: يرى لا في جهة!!، فليراجع عقله، فإما أن يكون مكابراً لعقله، أو أن يكون في عقله شيء، وإلا فإذا قال: يرى لا أمام الرائي، ولا خلفه، ولا عن يمينه ولا عن يساره ولا فوقه ولا تحته، رد عليه كل من سمعه بفطرته السليمة.

ولهذا ألزم المعتزلة من نفى العلو بالذات بنفي الرؤية، وقالوا: كيف تعقل رؤية بغير جهة؟.

وإنما لم نره في الدنيا لعجز أبصارنا، لا لامتناع الرؤية، فهذه الشمس إذا حذق الرائي البصر في شعاعها، ضعف عن رؤيتها، لا لامتناع في ذات المرئي، بل لعجز الرائي، فإذا كان في الدار الآخرة، أكمل الله قوى الآدميين حتى أطاقوا رؤيته، ولهذا لما تجلى الله للجبل ﴿وَحَرَّ مُوسَى صَعِقاً فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَنكَ بُتْ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾، بأنه لا يراك حي إلا مات ولا يابس إلا تدهده، ولهذا كان البشر يعجزون عن رؤية المَلَك في صورته، إلا من أيده الله كما أيد نبينا، قال تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَقُضِيَ الْأَمْرُ﴾، قال غير واحد من السلف: لا يطيقون أن يروا الملك في صورته، فلوا أنزلنا إليه ملكاً، لجعلناه في صورة بشر، وحينئذ يشبهه عليهم: هل هو بشر أو مَلَك؟ ومن تمام نعمة الله علينا أن بعث فينا رسولاً منا.

وما ألزمهم المعتزلة هذا الإلزام إلا لما وافقوهم على أنه لا داخل العالم ولا خارجه، لكن قول من أثبت موجوداً يرى لا في جهة، أقرب إلى العقل

من قول من أثبت موجوداً قائماً بنفسه لا يُرى ولا في جهة.

(س ٢٥١) بم يرد على من نفى الرؤية لانتفاء لازمها وهو الجهة؟

(ج) يقال لمن قال بنفي الرؤية لانتفاء لازمها وهو الجهة: أتريد بالجهة أمراً وجودياً؟ أو أمراً عديمياً؟

فإن أردت بها أمراً وجودياً، كان التقدير:

كل ما ليس في شيء موجود لا يرى، وهذه المقدمة ممنوعة، ولا دليل على إثباتها، بل هي باطلة، فإن سطح العالم يمكن أن يُرى، وليس العالم في عالم آخر، وإن أردت بالجهة، أمراً عديمياً، كانت المقدمة الثانية ممنوعة، فلا نسلم أنه في جهة بهذا الاعتبار.

(س ٢٥٢) من هم الذين تكلموا في أصول الدين بلا دليل من كتاب أو سنة وما حكم ذلك؟

(ج) الذين تكلموا في أصول الدين بلا دليل من كتاب أو سنة هم أهل البدع من الجهمية والمعتزلة والرافضة وغيرهم، وقد حكموا العقل وأئمتهم من أهل البدع بدلاً من النصوص الشرعية فضلوا وأضلوا، وكيف يتكلم في أصول الدين من لا يتلقاه من الكتاب والسنة، وإنما يتلقاه من قول فلان!، وإذا زعم أنه يأخذه من كتاب الله لا يتلقى تفسير كتاب الله من أحاديث رسول الله ولا ينظر فيها، ولا فيما قاله الصحابة والتابعون لهم بإحسان، المنقول إلينا عن الثقات النقلة، الذين تخيرهم النقاد، فإنهم لم ينقلوا نظم القرآن وحده، بل نقلوا نظمه ومعناه، ولا كانوا يتعلمون القرآن كما يتعلم الصبيان، بل يتعلمونه بمعانيه. ومن لا يسلك سبيلهم، فإنه يتكلم برأيه، وما يظنه دين الله ولم يتلق ذلك من الكتاب والسنة، فهو مأثوم وإن أصاب، ومن أخذ من الكتاب والسنة، فهو مأجور وإن أخطأ، لكن إن أصاب يضاعف له أجره.

(س ٢٥٣) لم خصص الإمام الطحاوي أهل الجنة بالرؤية في قوله: "والرؤية حق لأهل الجنة؟"

(ج) تخصيص أهل الجنة بالذكر، يفهم نفي الرؤية عن غيرهم، ولا شك في

رؤية أهل الجنة لربهم في الجنة، وكذلك يرونه في المحشر قبل دخولهم الجنة، كما ثبت في الصحيحين عن رسول الله ﷺ. ويدل عليه قوله تعالى: ﴿يَجِئُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ﴾.

س ٢٥٤: هل يرى أهل المحشر ربهم تعالى؟

ج: اختلف في رؤية أهل المحشر لربهم تعالى، على ثلاثة أقوال: أحدها: أنه لا يراه إلا المؤمنون.

الثاني: يراه أهل الموقف؛ مؤمنهم وكافرهم، ثم يحتجب عن الكفار ولا يرونه بعد ذلك.

الثالث: يراه مع المؤمنين المنافقون دون بقيه الكفار. وكذلك الخلاف في تكليمه لأهل الموقف.

س ٢٥٥: هل رأى أحد من الناس ربه في الدنيا بعينه؟

ج: اتفقت الأمة على أنه لا يراه أحد في الدنيا بعينه، ولم يتنازعوا في ذلك إلا في نبينا ﷺ خاصة.

س ٢٥٦: اذكر الأقوال في رؤية محمد ﷺ ربه في الدنيا؟

ج: اختلف الصحابة رضي الله عنهم، فمنهم من نفى رؤيته بالعين، ومنهم من أثبتها له ﷺ، وحكى القاضي عياض في كتابه "الشفاء" اختلاف الصحابة ومن بعدهم في رؤيته ﷺ، وإنكار عائشة رضي الله عنها أن يكون ﷺ رأى ربه بعين رأسه، وأنها قالت لمسروق حين سألها: هل رأى محمد ربه؟ فقالت: لقد قف شعري مما قلت، ثم قالت: من حدثك أن محمداً رأى ربه فقد كذب.

ثم قال: وقال جماعة بقول عائشة رضي الله عنها وهو المشهور عن ابن مسعود وأبي هريرة، واختلف عنه، وقال بإنكار هذا وامتناع رؤيته في الدنيا جماعة من المحدثين والفقهاء والمتكلمين.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما: أنه ﷺ رأى ربه بعينه، وروى عطاء عنه: رآه بقلبه، ثم ذكر أقوالاً وفوائد، ثم قال:

وأما وجوبه لنبينا ﷺ والقول بأنه رآه بعينه، فليس فيه قاطع ولا نص، والمعول فيه على آية النجم، والتنازع فيها ماثور، والاحتمال لها ممكن.

س ٢٥٧: هل رؤية الرب تعالى ممكنة في الدنيا؟

ج: القول الذي ذكره القاضي عياض آنفاً بقوله: فليس فيه قاطع... إلخ. هو الحق، فإن الرؤية في الدنيا ممكنة، إذ لو لم تكن ممكنة، لما سألها موسى عليه السلام، لكن لم يرد نص بأنه رأى ربه بعين رأسه.

س ٢٥٨: ما القول الراجح في رؤيته ﷺ لربه في الدنيا؟

ج: لم يرد نص بأنه ﷺ رأى ربه بعين رأسه. بل ورد ما يدل على نفي الرؤية، وهو ما رواه مسلم في "صحيحه":

١ - عن أبي ذر رضي الله عنه قال: سألت رسول الله ﷺ هل رأيت ربك؟ فقال: "نور أنى أراه". وفي رواية: "رأيت نوراً".

٢ - وقد روى مسلم أيضاً عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أنه قال: قام فينا رسول الله ﷺ بخمس كلمات، فقال: "إن الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام، يخفض القسط ويرفعه، يُرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار، وعمل النهار قبل عمل الليل، حجابه النور - وفي رواية النار - لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه".

فيكون - والله أعلم - معنى قوله لأبي ذر: "رأيت نوراً": أنه رأى الحجاب، ومعنى قوله: "نور أنى أراه": النور الذي هو الحجاب يمنع من رؤيته، فأنى أراه! أي: فكيف أراه والنور حجاب بيني وبينه يمنعني من رؤيته، فهذا صريح في نفي الرؤية، والله أعلم.

وحكى عثمان بن سعيد الدارمي اتفاق الصحابة على ذلك.

ونحن إلى تقرير رؤيته لجبريل أحوج منا إلى تقرير رؤيته لربه تعالى، وإن كانت رؤية الرب تعالى أعظم وأعلى، فإن النبوة لا يتوقف ثبوتها عليها ألبته.

س ٢٥٩: لم قيد الطحاوي الرؤية بقوله: "بغير إحاطة ولا كيفية"؟

ج: قيد الرؤية بقوله: " بغير إحاطة ولا كيفية " لكمال عظمتة وبهائه سبحانه وتعالى، لا تدركه الأبصار ولا تحيط به، كما يعلم ولا يحاط به علماً، قال تعالى: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْبَصَرُ﴾ وقال تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ﴾ عَلَمًا ﴿﴾.

س ٢٦٠: قال الطحاوي يرحمه الله: " . لا ندخل في ذلك متأولين بآرائنا ولا متوهمين بأهوائنا "، ما مقصود الإمام بالعبارة السابقة، وعلى من رد بها؟.

ج: مقصوده بها إثبات نصوص الصفات الواردة في الكتاب والسنة كالرؤية والعلو وغيرها، وتفسيرها على ما أراد الله وَعَلِمَهُ، وكل ما جاء عن رسول الله ﷺ وصح، فهو كما قال ومعناه على ما أراد، لا ندخل في ذلك متأولين بآرائنا ولا متوهمين بأهوائنا، كما فعلت المعتزلة بنصوص الكتاب والسنة في الرؤية، وذلك تحريف لكلام الله وكلام رسوله عن مواضعه.

فالتأويل الصحيح هو الذي يوافق ما جاءت به السنة، والفاسد المخالف له.

فكل تأويل بمعنى لم يدل عليه دليل من السياق، ولا معه قرينة تقتضيه، فإن هذا لا يقصده المبين الهادي بكلامه، إذ لو قصده لحف بالكلام قرائن تدل على المعنى المخالف لظاهره، حتى لا يوقع السامع في اللبس والخطأ، فإن الله أنزل كتابه بياناً وهدى، فإذا أراد به خلاف ظاهره، ولم يحف به قرائن تدل على المعنى الذي يتبادر غيره إلى فهم كل أحد، لم يكن بياناً ولا هدى، فالتأويل إخبار بمراد المتكلم، لا إنشاء.

وفي هذا الموضع يغلط كثير من الناس، فإن المقصود فهم مراد المتكلم بكلامه، فإذا قيل: معنى اللفظ كذا وكذا، كان إخباراً بالذي عناه المتكلم، فإن لم يكن الخبر مطابقاً، كان كذباً على المتكلم.

س ٢٦١: ما الطرق التي يعرف بها مراد المتكلم؟ ولم ذكر الشارح هذه الطرق؟.

ج: يعرف مراد المتكلم بطرق متعددة:

١ - منها: أن يصرح بإرادة ذلك المعنى .

٢ - منها: أن يستعمل اللفظ الذي له معنى ظاهر بالوضع، ولا يبين بقرينة تصحب الكلام أنه لم يرد ذلك المعنى، فكيف إذا حُف كلامه ما يدل على أنه إنما أراد حقيقته وما وضع له، كقوله: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾. و"إنكم ترون ربكم عياناً، كما ترون الشمس في الظهيرة ليس دونها سحب". فهذا مما يقطع السامع فيه بمراد المتكلم، فإذا أخبر عن مراده بما دل عليه حقيقة لفظه الذي وضع له مع القرائن المؤكدة، كان صادقاً في إخباره. وأما إذا تأول الكلام بما لا يدل عليه، ولا اقترن به ما يدل عليه، فإخباره بأن هذا مراده كذبٌ عليه، وهو تأويل بالرأي، وتوهم بالهوى.

وذكر الشارح هذه الطرق ليرد على المعتزلة وغيرهم من أهل البدع الذين أنكروا الصفات أو بعضها، ولم يردوا ما جاء عن الله ورسوله إلى ما أراد الله ورسوله، ودخلوا في ذلك متأولين بآرائهم متوهمين بأهوائهم، فأبان بهذه الطرق أن التأويل لنصوص الكتاب والسنة لم يدل عليه دليل من السياق، وليس معه قرينة تقتضيه، فإن هذا لا يقصده الهادي بكلامه، حتى لا يوقع السامع في اللبس والخطأ، فإن الله أنزل كتابه بياناً وهدى، فإذا أراد به خلاف ظاهره، ولم يحف به قرائن تدل على المعنى الذي يتبادر غيره إلى فهم كل أحد، لم يكن بياناً ولا هدى، فالتأويل إخبار بمراد المتكلم، لا إنشاء.

وفي هذا الموضع يغلط كثير من الناس، فإن المقصود فهم مراد المتكلم بكلامه، فإذا قيل: معنى اللفظ كذا وكذا، كان إخباراً بالذي عناه المتكلم، فإن لم يكن الخبر مطابقاً، كان كذباً على المتكلم. ثم أورد الشارح يرحمه الله الطرق التي يعرف بها مراد المتكلم.

(س ٢٦٢) ما حقيقة تأويل المؤولة (أهل التحريف) لنصوص الكتاب والسنة؟.

(ج) حقيقة الأمر: أن قول القائل منهم - أي أهل التحريف -: نحمله على كذا

وكذا، أو نتأوله بكذا، إنما هو من باب دفع (ردّ) دلالة اللفظ عما وضع له، فإن منازعه (المثبت للصفات) لما احتج عليه به (بالدليل) ولم يمكنه دفع وروده (ثبوته)، دفع معناه، وقال: أحمله على خلاف ظاهره.

س ٢٦٣: بماذا يرد على أهل التحريف لو قالوا: إن النص لما ورد، ولا يمكن تعطيله، استحال أن يراد به حقيقته وظاهره، على أن مجازه هو المراد؟.

ج: فإن قيل: إن اللفظ لما استحال أن يراد به حقيقته وظاهره، ولا يمكن تعطيله، استدللنا بوروده وعدم إرادة ظاهره (التأويل) على أن مجازه هو المراد، فحملنا عليه دلالة لا ابتداء.

قيل: فهذا المعنى هو الإخبار عن المتكلم (الله ورسوله) أنه أراد، وهو إما صدق وإما كذب كما تقدم، ومن الممتنع أن يريد خلاف حقيقته وظاهره، ولا يبين للسامع المعنى الذي أراد، بل يقرن بكلامه ما يؤكد إرادة الحقيقة. ونحن لا نمنع أن المتكلم قد يريد بكلامه خلاف ظاهره، إذا قصد التعمية على السامع حيث يسوغ ذلك (التأويل)، ولكن المنكر أن يريد بكلامه خلاف حقيقته وظاهره إذا قصد البيان والإيضاح، وإفهام مراده!. كيف والمتكلم (الله ورسوله) يؤكد كلامه بما ينفي المجاز، ويكرره غير مرة، ويضرب له الأمثال.

س ٢٦٤: ما معنى قول الطحاوي: " فإنه ما سلم في دينه إلا من سلم لله ﷻ ولرسوله ﷺ ورد علم ما اشتبه عليه إلى عالمه؟.

ج: أي: سلم لنصوص الكتاب والسنة، ولم يعترض عليها بالشكوك والشبه والتأويلات الفاسدة، أو يقول: العقل يشهد بضد ما دل عليه النقل! والعقل أصل النقل!! فإذا عارضه قدمنا العقل!.

س ٢٦٥: هل يكون تعارض بين العقل والنقل؟ وما العمل إذا جاء ما يوهم مثل ذلك؟.

ج: التعارض بين العقل والنقل لا يكون قط، لكن إذا جاء ما يوهم مثل

ذلك، فإن كان النقل صحيحاً، فذلك الذي يدعي أنه معقول إنما هو مجهول، ولو حقق النظر، لظهر ذلك، وإن كان النقل غير صحيح، فلا يصلح للمعارضة. فلا يتصور أن يتعارض عقل صريح، ونقل صحيح أبداً.

س ٢٦٦: ما الحكم إذا تعارض العقل والنقل؟.

ج: إذا تعارض العقل والنقل، وجب تقديم النقل، لأن الجمع بين المدلولين جمع بين النقيضين، ورفعهما رفع النقيضين، وتقديم العقل ممتنع، لأن العقل دل على صحة السمع، ووجوب قبول ما أخبر به الرسول ﷺ فلو أبطلنا النقل، لكنا قد أبطلنا دلالة العقل، ولو أبطلنا دلالة العقل، لم يصلح أن يكون معارضاً للنقل، لأن ما ليس بدليل لا يصلح لمعارضة شيء من الأشياء، فكان تقديم العقل موجباً عدم تقديمه، فلا يجوز تقديمه، وهذا بين واضح، فإن العقل هو الذي دل على صدق السمع وصحته، وأن خبره مطابق لمخبره، فإن جاز أن تكون الدلالة باطلة لبطلان النقل، لزم ألا يكون العقل دليلاً صحيحاً، وإذا لم يكن دليلاً صحيحاً، لم يجز أن يتبع بحال، فضلاً عن أن يقدم، فصار تقديم العقل على النقل قدحاً في العقل.

س ٢٦٧: ما الواجب على أهل العلم والعامة تجاه النصوص الشرعية؟.

ج: الواجب عليهم كمال التسليم للرسول ﷺ والانقياد لأمره، وتلقي خبره بالقبول والتصديق، دون أن يعارضه أحد بخيال باطل يسميه معقولاً، أو يحمله شبهة أو شكاً، أو يقدم عليه آراء الرجال، وزبالة أذهانهم، فيوحده بالتحكيم والتسليم والانقياد والإذعان، كما وحد المرسل بالعبادة والخضوع والذل والإنابة والتوكل.

س ٢٦٨: ذكر المؤلف توحيدين لا نجاة للعبد من عذاب الله إلا بهما، ما هما ولم ذكرهما؟.

ج: التوحيدان اللذان لا نجاة للعبد إلا بهما، هما:

١ - توحيد المرسل.

٢ - توحيد متابعة الرسول.

فلا يحاكم إلى غيره، ولا يرضى بحكم غيره، ولا يقف تنفيذ أمره، وتصديق خبره على عرضه على قول شيخه وإمامه وذوي مذهبه وطائفته ومن يعظمه، فإن أذنوا له، نقّذه وقبل خبره، وإلا فإن طلب السلامة، فوضه إليهم، وأعرض عن أمره وخبره وإلا حرفه عن مواضعه، وسمى تحريفه تأويلاً وحملًا، فقال: نؤوله ونحمله.

فلأن يلقي العبد ربه بكل ذنب - ما خلا الإشراك بالله - خير له من أن يلقاه بهذه الحال.

بل إذا بلغه الحديث الصحيح، يعد نفسه كأنه سمعه من رسول الله ﷺ، فهل يسوغ له أن يؤخر قبوله والعمل به، حتى يعرضه على رأي فلان وكلامه ومذهبه! بل كان الفرض المبادرة إلى امتثاله، من غير التفات إلى سواه، ولا يستشكل قوله لمخالفته رأي فلان، بل تستشكل الآراء لقوله، ولا يعارض نصه بقياس، بل تهدر الأقيسة، وتلغى لنصوصه، ولا يحرف كلامه عن حقيقته، لخيال يسميه أصحابه معقولاً، نعم هو مجهول، وعن الصواب معزول، ولا يوقف قبوله على موافقة فلان وفلان، كائناً من كان.

وذكرهما الإمام الشارح ليحاج بهما أهل البدع الذين يسلمون لأحدهما ولا يسلمون للآخر بل ينقصونه وبخاصة في باب العقائد.

س ٢٦٩: هات دليلاً واحداً من السنة في النهي عن الجدال في القرآن والنصوص الشرعية بلا علم وبغير دليل؟.

ج: عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: لقد جلست أنا وأخي مجلساً ما أحب أن لي به حمر النعم، أقبلت أنا وأخي، وإذا مشيخة من أصحاب رسول الله ﷺ جلوس عند باب من أبوابه، فكرهنا أن نفرق بينهم، فجلسنا حجرة^(١)، إذ ذكروا آية من القرآن، فتماروا فيها، حتى ارتفعت أصواتهم، فخرج رسول الله ﷺ مغضباً قد احمر وجهه، يرميهم بالتراب، ويقول: " مهلاً يا قوم، بهذا أهلكتم الأمم من قبلكم باختلافهم على

(١) أي: في ناحية منفردين.

أنبيائهم، وضربهم الكتب بعضها ببعض، إن القرآن لم ينزل يكذب بعضه بعضاً، وإنما يصدق بعضه بعضاً، فما عرفتم منه فاعملوا به، وما جهلتم منه فردوه إلى عالمه".

(س ٢٧٠) هات دليلين من القرآن في تحريم القول على الله بغير علم؟.

(ج) لا شك أن الله قد حرم القول عليه بغير علم.

- ١ - قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا نَعْمُونَ ﴿٣٣﴾﴾.
- ٢ - وقال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾.

فعلى العبد أن يجعل ما بعث الله به رسله، وأنزل به كتبه هو الحق الذي يجب اتباعه، فيصدق بأنه حق وصدق، وما سواه من سائر كلام الناس يعرض عليه، فإن وافقه فهو حق، وإن خالفه فهو باطل، وإن لم يعلم: هل خالفه أو وافقه، لكون ذلك الكلام مجملاً لا يعرف مراد صاحبه، أو قد عرف مراده لكن لم يعرف، هل جاء الرسول بتصديقه أو بتكذيبه، فإنه يمسك عنه، ولا يتكلم إلا بعلم.

(س ٢٧١) ما العلم النافع؟ وهل يجوز أخذ العلم من سائر الناس؟.

(ج) العلم ما قام عليه الدليل، والنافع منه ما جاء به الرسول، وقد يكون علم عن غير الرسول، لكن في الأمور الدنيوية، مثل الطب والحساب والفلاحة، وأما الأمور الإلهية والمعارف الدينية، فهذه العلم فيها ما أخذ عن الرسول لا غير.

(س ٢٧٢) ما معنى قول الإمام الطحاوي: "ولا تثبت قدم الإسلام إلا على ظهر التسليم والاستسلام"؟.

(ج) هذا من باب الاستعارة، إذ القدم الحسي لا تثبت إلا على ظهر شيء. أي: لا يثبت إسلام من لم يسلم لنصوص الوحيين، وينقاد إليها، ولا يعترض عليها، ولا يعارضها برأيه ومعقوله وقياسه، روى البخاري عن الإمام محمد بن شهاب الزهري رحمه الله أنه قال: من الله الرسالة، وعلى الرسول البلاغ، وعلىنا التسليم. وهذا كلام جامع نافع.

س ٢٧٣: ما المثل المضروب، للعقل مع النقل؟.

ج: قال الشارح: وما أحسن المثل المضروب للنقل مع العقل، وهو:

أن العقل مع النقل، كالعامي المقلد مع العالم المجتهد، بل هو دون ذلك بكثير، فإن العامي يمكنه أن يصير عالماً، ولا يمكن للعالم أن يصير نبياً رسولاً.

فإذا عرف العامي المقلد عالماً، فدل عليه عامياً آخر، ثم اختلف المفتي والدال، فإن المستفتي يجب عليه قبول قول المفتي دون الدال. فلو قال الدال: الصواب معي دون المفتي، لأنني أنا الأصل في علمك بأنه مفت، فإذا قدمت قوله على قولي، قدحت في الأصل الذي به عرفت أنه مفت، فلزم القدح في فرعه، فيقول له المستفتي: أنت لما شهدت له بأنه مفت، ودلت عليه، شهدت له بوجوب تقليده دونك، فموافقتي لك في هذا العلم المعين، لا يستلزم موافقتك في كل مسألة، وخطؤك فيما خالفت في المفتي الذي هو أعلم منك، لا يستلزم خطأك في علمك بأنه مفت، هذا مع علمه أن ذلك المفتي قد يخطئ.

س ٢٧٤: هل يعلم العقل أن الرسول معصوم في الإخبار عن الله؟ وماذا يجب عليه تجاه ذلك؟.

ج: العقل يعلم أن الرسول معصوم في خبره عن الله تعالى، لا يجوز عليه الخطأ، فيجب عليه التسليم له، والانقياد لأمره، وقد علمنا بالاضطرار من دين الإسلام أن الرجل لو قال للرسول: هذا القرآن الذي تلقينه علينا، والحكمة التي جئتنا بها، قد تضمن كل منهما أشياء كثيرة تناقض ما علمناه بعقولنا، ونحن إنما علمنا صدقك، فلو قبلنا جميع ما تقوله مع أن عقولنا تناقض ذلك، لكان ذلك قدحاً في ما علمنا به صدقك، فنحن إنما علمنا صدقك بعقولنا، فلو قبلنا جميع ما تقوله مع أن عقولنا تناقض ذلك، لكان ذلك قدحاً في ما علمنا به صدقك، فنحن نعتقد موجب الأقوال المناقضة لما ظهر من كلامك، وكلامك نعرض عنه، لا نتلقى منه هدياً ولا علماً، لم يكن مثل هذا الرجل مؤمناً بما جاء به الرسول، ولم يرض من الرسول بهذا، بل

يعلم أن هذا لو ساغ، لأمكن كل أحد أن لا يؤمن بشئ مما جاء به الرسول، إذ العقول متفاوتة، والشبهات كثيرة، والشياطين لا تزال تلقي الوسوس في النفوس، فيمكن كل أحد أن يقول مثل هذا في كل ما أخبر به الرسول وما أمر به!! وقد قال تعالى: ﴿مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا أَلْبَلُغُ﴾ وقال: ﴿فَهَلْ عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا أَلْبَلُغُ الْمُبِينِ﴾ وقال: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا يَلْسَانُ قَوْمِهِ، لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلَّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِيَ مَنْ يَشَاءُ﴾ ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾ ﴿حَمِّ﴾ ﴿وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ ﴿وَالَّذِينَ يَبْتِغُونَ الْكِبَارَ الْمُبِينِ﴾ ﴿مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾. ونظائر ذلك كثيرة في القرآن.

فأمر الإيمان بالله واليوم الآخر: إما أن يكون الرسول قد تكلم فيه بما يدل على الحق، أم لا، والثاني باطل، وإن كان قد تكلم بما يدل على الحق بالفاظ مجملة محتملة، فما بلغ البلاغ المبين، وقد شهد له خير القرون بالبلاغ، وأشهد الله عليهم في الموقف الأعظم، فمن يدعي أنه في أصول الدين لم يبلغ البلاغ المبين، فقد افترى عليه ﷺ.

س ٢٧٥: هات أدلة من الكتاب والسنة في النهي عن التكلم في أصول الدين وغيرها بغير علم؟.

ج: الأدلة على ذلك كثيرة منها:

١ - قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ﴾ ﴿كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَى عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾.

٢ - وقال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ ﴿ثَانِيَ عِطْفِهِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَمَّا فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَنَذِيرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عَذَابُ الْحَرِيقِ﴾.

٣ - وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾.

٤ - وقال تعالى: ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ الْهُدَى﴾.

إلى غير ذلك من الآيات الدالة على هذا المعنى.

٥ - وعن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: " ما ضل قوم بعد هدي كانوا عليه إلا أوتوا الجدل " ثم تلا قوله تعالى: ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا﴾. رواه الترمذي وقال: حديث حسن.

٦ - وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: " إن أبغض الرجال إلى الله الألد الخصم " خرجاه في الصحيحين.

س ٢٧٦: كيف ينقص توحيد من لم يسلم للرسول؟.

(ج:) في ضوء الآيات والأحاديث السابقة، لا شك أن من لم يسلم للرسول، نقص توحيده، فإنه يقول برأيه وهواه، أو يقلد ذا رأي وهوى بغير هدى من الله، فينقص من توحيده بقدر خروجه عما جاء به الرسول، فإنه قد اتخذ في ذلك إلهاً غير الله، قال تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهُهُ هَوًى﴾. أي: عبد ما تهواه نفسه.

س ٢٧٧: ما سبب فساد العالم؟.

(ج:) قال الشارح: وإنما دخل الفساد في هذا العالم من ثلاث فرق، كما قال عبدالله بن المبارك، رحمة الله عليه:

رأيت الذنوب تमित القلوب	وقد يورث الذل إدمانها
وترك الذنوب حياة القلوب	وخير لنفسك عصيانها
وهل أفسد الدين إلا الملوك	وأحبار سوء ورهبانها

س ٢٧٨: أوضح مقالات الفرق الثلاث؟ ولم ذكرها الشيخ الشارح؟.

(ج:) ١ - الملوك الجائرة: يعترضون على الشريعة بالسياسات الجائرة،

ويعارضونها بها، ويقدمونها على حكم الله ورسوله.

٢ - وأحبار السوء: وهم العلماء الخارجون على الشريعة بآرائهم وأقيستهم الفاسدة، المتضمنة تحليل ما حرم الله ورسوله، وتحريم ما أباحه،

واعتبار ما ألغاه، وإلغاء ما اعتبره، وإطلاق ما قيده، وتقييد ما أطلقه، ونحو ذلك.

٣ - والرهبان: وهم جهال المتصوفة، المعترضون على حقائق الإيمان والشرع، بالأذواق والمواجيد والخيالات والكشوفات الباطلة الشيطانية المتضمنة شرع دين لم يأذن به الله، وإبطال دينه الذي شرعه على لسان رسوله ﷺ والتعوض عن حقائق الإيمان بخدع الشيطان وحفظ النفس.

- فقال الأولون: إذا تعارضت السياسة والشرع، قدمنا السياسة!.

- وقال الآخرون: إذا تعارض العقل والنقل قدمنا العقل.

- وقال أصحاب الذوق: إذا تعارض الذوق والكشف وظاهر الشرع،

قدمنا الذوق والكشف.

وأورد الشيخ الشارح هذه الفرق ليبين أن الذين يقدمون العقل على النقل هم من الذين أفسدوا الدين، وأنكروا ما أقره الله ورسوله، وأجمعت عليه الأمة، وأن طريقتهم فاسدة لا يجوز اتباعها والأخذ بها.



الفصل السابع

علم الكلام

علم الكلام

(س ٢٧٩): ذكر أبو حامد الغزالي في كتابه "الإحياء" أقوال الناس في حكم علم الجدل والكلام فما هي؟.

(ج): قال الشارح: ومن كلام أبي حامد الغزالي رحمه الله في كتابه الذي سماه: "إحياء علوم الدين": فإن قلت: فعلم الجدل والكلام مذموم كعلم النجوم، أو هو مباح مندوب إليه؟.

فاعلم أن للناس في هذا غلوّاً وإسرافاً في أطراف، فمن قائل:

١ - إنه بدعة وحرام، وإن العبد أن يلقي الله بكل ذنب سوى الشرك خير له من أن يلقاه بالكلام.

٢ - إنه فرض إما على الكفاية، وإما على الأعيان، وإنه أفضل الأعمال وأعلى القربات، فإنه تحقيق لعلم التوحيد، ونضال عن دين الله.

قال: وإلى التحريم ذهب الشافعي ومالك وأحمد بن حنبل وسفيان وجميع أئمة الحديث من السلف، وساق ألفاظ هؤلاء.

(س ٢٨٠): لم شدد السلف وأهل الحديث في تحريم علم الكلام؟ اذكر ذلك من خلال كلام أبي حامد الغزالي؟.

(ج): أورد الشارح قوله: قال: وقد اتفق أهل الحديث من السلف على هذا، ولا ينحصر ما نقل عنهم من التشديدات فيه، قالوا:

١ - ما سكت عنه الصحابة - مع أنهم أعرف بالحقائق، وأفصح بترتيب الألفاظ من غيرهم - إلا لما يتولد منه من الشر. ولذلك قال النبي ﷺ: "هلك المتنطعون" أي: المتعمقون في البحث والاستقصاء.

٢ - واحتجوا أيضاً بأن ذلك لو كان من الدين، لكان أهم ما يأمر به رسول الله ﷺ ويعلم طريقه، يثني على أربابه، ثم ذكر بقية استدلالهم، ثم ذكر استدلال الفريق الآخر، إلى أن قال:

فإن قلت: فما المختار عندك؟.

فأجاب بالتفصيل، فقال: فيه منفعة وفيه مضرة: فهو في وقت الانتفاع حلال، أو مندوب، أو واجب، كما يقتضيه الحال، وهو في وقت الاستضرار ومحله حرام.

(س ٢٨١): اذكر مضرة علم الكلام ومنفعته إن وجدت! من كلام أبي حامد الغزالي رحمه الله؟.

(ج): قال: فأما مضرته، فإثارة الشبهات، وتحريك العقائد، وإزالتها عن الجزم والتصميم، وذلك ما يحصل بالابتداء، ورجوعها بالدليل مشكوك فيه، ويختلف فيه الأشخاص. فهذا ضرره في اعتقاد الحق، وله ضرره في تأكيد اعتقاد المبتدعة، وتثبيتها في صدورهم، بحيث تنبعث دواعيهم، ويشد حرصهم على الإصرار عليه، ولكن هذا الضرر بواسطة التعصب الذي يثور من الجدل.

قال: وأما منفعته فقد يُظن أن فائدته كشف الحقائق ومعرفتها على ما هي عليه، وهيهات فليس في الكلام وفاء بهذا المطلب الشريف، ولعل التخطيط والتضليل فيه أكثر من الكشف والتعريف.

قال: وهذا إذا سمعته من محدث أو حشوي(!) ربما خطر ببالك أن الناس أعداء ما جهلوا، فاسمع هذا ممن خبر الكلام، ثم قلاه بعد حقيقة الخبرة وبعد التغلغل فيه إلى درجة المتكلمين، وجاوز ذلك إلى التعمق في علوم أخرى تناسب علم الكلام، وتحقق أن الطريق إلى حقائق المعرفة من هذا الوجه مسدود. ولعمري لا ينفك الكلام عن كشف وتعريف، وإيضاح لبعض الأمور، ولكن على الدور. انتهى.

س ٢٨٢: لِمَ كره السلف واذموا علم الكلام؟.

ج: كرهوه لاشتماله على أمور كاذبة مخالفة للحق. ومن ذلك:

مخالفتها للكتاب والسنة وما فيها من علوم صحيحة، فقد وعروا الطريق إلى تحصيلها، وأطالوا الكلام في إثباتها مع قلة نفعها، فهي لحم جمل غثٌ على رأس جبل وَغِرٍ، لا سهل فيرتقى ولا سمينٌ فيُنْتَقَل.

س ٢٨٣: بين حقيقة علم الكلام، وزعم أربابه فيه؟.

ج: قال الشارح: وأحسن ما عندهم، فهو في القرآن أصح تقريراً، وأحسن تفسيراً، فليس عندهم إلا التكلف والتطويل والتعقيد، كما قيل:

لولا التنافس في الدنيا لما وضعت كتب التناظر لا المغني ولا العمد
يحللون بزعم منهم عقداً وبالذي وضعوه زادت العقد
فهم يزعمون أنهم يدفعون بالذي وضعوه الشبه والشكوك، والفاضل
الذكي يعلم أن الشبه والشكوك زادت بذلك.

ومن المحال أن لا يحصل الشفاء والهدى والعلم واليقين من كتاب الله وكلام رسوله، ويحصل من كلام هؤلاء المتحيرين، بل الواجب أن يجعل ما قاله الله ورسوله هو الأصل، ويتدبر معناه ويعقله، ويعرف برهانه ودليله العقلي والخبري السمعي، ويعرف دلالته على هذا وهذا، ويجعل أقوال الناس التي توافقه وتخالفه متشابهة في الجملة، فيقال لأصحابها: هذه الألفاظ تحتمل كذا وكذا، فإن أرادوا بها ما يوافق خبر الرسول، قُبِلَ، وإن أرادوا بها ما يخالفه رُدَّ.

س ٢٨٤: ما حكم الألفاظ المجملة؟.

ج: قال الشارح: يقال لأصحابها: هذه الألفاظ تحتمل كذا وكذا، فإن أرادوا بها ما يوافق خبر الرسول، قُبِلَ، وإن أرادوا بها ما يخالفه رُدَّ.

وهذا مثل لفظ المركب^(١)

(١) المركب: هو التركيب من متباينين فأكثر، أو هو التركيب من الأجزاء المتماثلة، وهذا =

والجسم^(١)، والمتحيز^(٢) والجوهر^(٣) والجهة والحيز والعرض^(٤)، ونحو ذلك، فإن هذه الألفاظ لم تأت في الكتاب والسنة بالمعنى الذي يريده أهل هذا الاصطلاح، بل ولا في اللغة، بل هم يختصون بالتعبير بها عن معان لم يعبر بها غيرهم عنها بها، فتفسر تلك المعاني بعبارات أخرى، وينظر ما دل عليه القرآن من الأدلة العقلية والسمعية، وإذا وقع الاستفسار والتفصيل تبين الحق من الباطل.

س ٢٨٥: مثل للألفاظ المجملة بمثال، وفصله؟.

ج: مثال ذلك: في " التركيب " فقد صار له معان:

- ١ - أحدها: التركيب من متباينين فأكثر، ويسمى تركيب مزج، كتركيب الحيوان من الطبائع الأربع والأعضاء ونحو ذلك.
- ٢ - الثاني: تركيب الجوار، كمصراعي الباب ونحو ذلك.
- ٣ - الثالث: التركيب من الأجزاء المتماثلة، وتسمى الجواهر المفردة.
- ٤ - الرابع: التركيب من الهيولى^(٥) والصورة، كالخاتم مثلاً، هيولاه: الفضة، وصورته معروفة.
- ٥ - الخامس: التركيب من الذات والصفات؟!، وهو قول باطل لا دليل عليه.

= لفظ مجمل قال به نفاة استواء الله على عرشه، والله تعالى منزّه عن هذه التراكيب، وهو أنواع سيأتي ذكرها من كلام الشارح يرحمه الله.

(١) الجسم: سبق تعريفه، ص ١٤.

(٢) المتحيز: لفظ مبتدع محدث مجمل مشتبه لا يحق حقاً ولا يبطل باطلاً، لا يجوز الاستدلال به ونفيه أو ما شابهه - كالتجسيم - على تنزيه الله عما لا يليق به، ولذلك لم تذكر فيما وصف الله وسمى به نفسه لا نفياً ولا إثباتاً لا في كتاب الله تعالى ولا في سنة رسوله، ولم يسلكها أحد من سلف الأمة وأئمتها.

(٣) الجوهر: سبق تعريفه، ص ١٤.

(٤) العرض: سبق تعريفه، ص ١٤.

(٥) الهيولى: مادة الشئ التي يصنع منها، كالخشب للكرسي، والحديد للمسمار، والقطن للملابس القطنية.

٦ - السادس: التركيب من الماهية^(١) ووجودها، وهذا فرض ذهني لا غير.

س ٢٨٦: هل يلزم من وصف الله بالعلو ونحوه من صفات الكمال أن يكون مركباً بهذا المعنى؟

ج: هذا يسمى تركيب المزج كتركيب الحيوان من الطبائع الأربع والأعضاء ونحو ذلك، وهذا المعنى منفي عن الله سبحانه وتعالى، ولا يلزم من وصف الله تعالى بالعلو ونحوه من صفات الكمال أن يكون مركباً بهذا المعنى المذكور.

س ٢٨٧: مثل لتركيب الجوار، وهل يلزم من ثبوت صفات الله إثبات هذا التركيب؟

ج: مثال تركيب الجوار، كمصراعي الباب، ونحو ذلك، ولا يلزم أيضاً من ثبوت صفاته تعالى إثبات هذا التركيب.

س ٢٨٨: ما هو تركيب الأجزاء المتماثلة؟ وهل هذا التركيب لازماً لثبوت صفاته تعالى؟

ج: تركيب الأجزاء المتماثلة هو تركيب الجواهر المفردة، وأهل الكلام قالوا: إن الجسم يكون مركباً من الجواهر المفردة، ولهم كلام في ذلك يطول، ولا فائدة فيه، وهو أنه: هل يمكن التركيب من جزئين، أو من أربعة، أو من ستة، أو من ثمانية، أو من ستة عشر؟

وليس هذا التركيب لازماً لثبوت صفاته تعالى وعلوه على خلقه. والحق أن الجسم ليس مركباً من هذه الأشياء، وإنما قولهم مجرد دعوى.

س ٢٨٩: ما قولك في التركيب من الذات والصفات؟ فصل القول فيه؟

ج: التركيب من الذات والصفات؟!، وهو قول باطل لا دليل عليه. وهذا سموه تركيباً، لينفوا به صفات الرب تعالى، وهذا اصطلاح منهم لا يعرف في

(١) الماهية: سبق تعريفها، ص ٢٠.

اللغة، ولا في استعمال الشارع، فلسنا نوافقهم على هذه التسمية ولا كرامة، ولئن سموا إثبات الصفات تركيباً، فنقول لهم: العبرة للمعاني لا للألفاظ، سموه ما شئتم، فلا يترتب على التسمية بدون المعنى حكم، فلو اصطُلِحَ على تسمية اللبن خمراً، لم يحرم بهذه التسمية.

س ٢٩٠: هل يمكن ذات مجردة عن وجودها ووجودها مجرد عنها؟ ومن الذي قال بهذا القول؟

ج: قال الشارح: التركيب من الماهية ووجودها، وهذا يفرضه الذهن أنهما غيران، وأما في الخارج، هل يمكن ذات مجردة عن وجودها، ووجودها مجرد عنها! هذا محال، فترى أهل الكلام يقولون: هل ذات الرب وجوده أم غير وجوده؟

ولهم في ذلك خبط كثير، وأمثلهم طريقة رأي الوقف والشك في ذلك.

س ٢٩١: ما سبب الانحراف في باب العقائد؟

ج: سبب الضلال في هذا، الإعراض عن تدبر كلام الله وكلام رسوله والاشتغال بكلام اليونان وغيرهم والآراء المختلفة.

س ٢٩٢: لم سمي أهل الكلام بهذا الاسم؟

ج: سمي هؤلاء أهل الكلام لأنهم لم يفيدوا علماً لم يكن معروفاً، وإنما أتوا بزيادة. كلام قد لا يفيد، وهو ما يضربونه من القياس لإيضاح ما علم بالحس، وإن كان هذا القياس وأمثاله ينتفع به في موضع آخر ومع من ينكر الحس.

س ٢٩٣: ما حكم من قال برأيه أو ذوقه أو سياسته مع وجود النص الشرعي؟

ج: كل من قال برأيه أو ذوقه أو سياسته، مع وجود النص - أو عرض النص بالمعقول - فقد ضاهى إبليس، حيث لم يُسَلِّمْ لأمر ربه، بل قال: ﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾ وقال تعالى: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا﴾ (٨٠) وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (٣١) وقال تعالى: ﴿فَلَا

وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ . أقسم سبحانه بنفسه أنهم لا يؤمنون حتى يحكموا بنيه، ويرضوا بحكمه، ويسلموا تسليماً.

س ٢٩٤: صف حال من أعرض عن الكتاب والسنة وعدل عنها إلى علم الكلام؟.

ج: قال الطحاوي: " فيتذبذب بين الكفر والإيمان، والتصديق والتكذيب، والإقرار والإنكار، موسوساً تائهاً، شاكاً زائغاً، لا مؤمناً مصداقاً ولا جاحداً مكذباً".

يتذبذب: يضطرب ويتردد، وهذه الحالة التي وصفها الشيخ رحمه الله تعالى حال كل من عدل عن الكتاب والسنة إلى علم الكلام المذموم، أو أراد أن يجمع بينه وبين الكتاب والسنة، وعند التعارض يتأول النص، ويرده إلى الرأي والآراء المختلفة، فيؤول أمره إلى الحيرة والضلال والشك.

س ٢٩٥: هل تحير بعض من درس علم الكلام وتعمق فيه؟.

ج: نعم وهم كثر، ومنهم:

ابن رشد الحفيد، والآمدي، والغزالي، والرازي، والشهرستاني، والجويني، وشمس الدين الخسروشاهي، وابن أبي الحديد، والخونجي، وغيرهم.

س ٢٩٦: اذكر بعض النصوص التي ذكرها الشارح، تبين ندم من أخذ بعلم الكلام، وترك الكتاب والسنة، من كلامهم أنفسهم؟.

ج: ١ - منهم الغزالي الذي انتهى في آخر أمره إلى الوقوف والحيرة في المسائل الكلامية، ثم أعرض عن تلك الطرق، وأقبل على أحاديث رسول الله ﷺ فمات و"البخاري" على صدره.

٢ - وكذلك أبو عبد الله محمد بن عمر الرازي الذي قال في كتابه الذي صنفه في أقسام اللذات:

نهاية إقدام العقول عقلاً وغاية سعي العالمين ضلال

وأرواحنا في وحشةٍ من جُسومنا وحاصل دنيانا أذى ووبال
ولم نستفد من وقتنا طول عمرنا سوى أن جمعنا فيه قيل وقالوا
فكم قد رأينا من رجال ودولةٍ فبادوا جميعاً مسرعين وزالوا
وكم من جبال قد علت شرفاتها رجال فزالوا والجبال جبال

لقد تأملت الطرق الكلامية، والمناهج الفلسفية، فما رأيتها تشفي
عليلاً، ولا تروي غليلاً، ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن، اقرأ في
الإثبات: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴿٥﴾﴾. ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾. وأقرأ
في النفي: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾. ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾. ثم قال:
ومن جرب مثل تجربتي عرف مثل معرفتي.

٣ - وكذلك قال الشيخ أبو عبد الله محمد بن عبد الكريم الشهرستاني
أنه لم يجد عند الفلاسفة والمتكلمين إلا الحيرة والندم، حيث قال:

لعمري لقد طفت المعاهد كلها وسيرت طرفي بين تلك المعالم
فلم أرَ إلا واضعاً كف حائر على ذقن أو قارعاً سن نادم
٤ - وكذلك قال أبو المعالي الجويني رحمه الله: يا أصحابنا لا تشتغلوا
بالكلام، فلو عرفت أن الكلام يبلغ بي ما بلغ ما اشتغلت به.

وقال عند موته: لقد خضت البحر الخضم، وخلّيت أهل الإسلام
وعلومهم، ودخلت في الذي نهوني عنه، والآن فإن لم يتداركني ربي
برحمته، فالويل لابن الجويني، وها أنا ذا أموت على عقيدة أُمي، أو قال:
على عقيدة عجائز نيسابور.

٥ - ولابن أبي الحديد، الفاضل المشهور بالعراق:

فيك يا أغلوطة الفكرِ حار أمري وانقضى عمري
سافرت فيك العقول فما ربحت إلا أذى السفر
فلحى الله الألى زعموا أنك المعروف بالنظر
كذبوا إن الذي ذكروا خارج عن قوة البشر

(س ٢٩٧) بين خطورة الانشغال بعلم الكلام، من كلام أهل العلم؟.

(ج) قال الشارح: وقال آخر (أي ممن انشغل بعلم الكلام): أضطجع على فراشي، وأضع الملحفة على وجهي، وأقابل بين حجج هؤلاء وهؤلاء حتى يطلع الفجر، ولم يترجح عندي منها شيء.

ومن يصل إلى مثل هذه الحال إن لم يتداركه الله برحمته وإلا تزندق، كما قال أبو يوسف رحمه الله: من طلب الدين بالكلام تزندق، ومن طلب المال بالكيمياء أفلس، ومن طلب غريب الحديث، كذب.

- وقال الشافعي رحمه الله تعالى: حكمي في أهل الكلام أن يضربوا بالجريد والنعال، ويطاف بهم في القبائل والعشائر، ويقال: هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة، وأقبل على الكلام.

- وقال: لقد اطلعت من أهل الكلام على شيء ما ظننت مسلماً يقوله، ولأن يبتلى العبد بكل ما نهى الله عنه - ما خلا الشرك - خير له من أن يبتلى بالكلام.

وتجد أحد هؤلاء عند الموت يرجع إلى مذهب العجائز، فيقر بما أقروا به، ويعرض عن تلك الدقائق المخالفة لذلك، التي كان يقطع بها، ثم تبين له فسادها، أو لم يتبين له صحتها، فيكونون في نهاياتهم - إذا سلموا من العذاب - بمنزلة أتباع أهل العلم من الصبيان والنساء والأعراب.

(س ٢٩٨) ما الدواء النافع لمن أصيب بمرض علم الكلام؟.

(ج) الدواء النافع لمثل هذا المرض ما كان طيبب القلوب صلوات الله عليه وسلامه يقوله إذا قام من الليل يفتتح صلاته: "اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل، فاطر السماوات والأرض، عالم الغيب والشهادة، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم". خرجه مسلم.

توسل ﷺ إلى ربه برؤية جبريل وميكائيل وإسرافيل أن يهديه لما اختلف فيه من الحق بإذنه، إذ حياة القلب بالهداية، وقد وكل الله سبحانه هؤلاء الثلاثة بالحياة:

- فجبريل موكل بالوحي الذي هو سبب حياة القلوب.

- وميكائيل بالقطر الذي هو سبب حياة الأبدان وسائر الحيوان.
- وإسرافيل بالنفخ في الصور الذي هو سبب حياة العالم وعود الأرواح
إلى أجسادها.
فالتوسل إلى الله سبحانه بربوبية هذه الأرواح العظيمة الموكلة بالحياة،
له تأثير عظيم في حصول المطلوب. والله المستعان.



الفصل الثاني

التأويل

التأويل

س ٢٩٩: ما مراد الشيخ بقوله: " ولا يصح الإيمان بالرؤية لأهل دار السلام لمن اعتبرها منهم بوهم... ومن لم يتوق النفي والتشبيه زل ولم يصب التنزيه "؟

ج: يشير الشيخ رحمه الله إلى الرد على المعتزلة ومن يقول بقولهم في نفي الرؤية، وعلى من يشبه الله بشئ من مخلوقاته.

س ٣٠٠: اشرح قوله ﷺ: " إنكم ترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر " ولم أوردته الشارح رحمه الله؟

ج: قوله ﷺ: " إنكم ترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر " الحديث، أدخل "كاف" التشبيه على "ما" المصدرية الموصولة بـ "ترون" التي تنحلّ إلى المصدر الذي هو الرؤية، فيكون التشبيه في الرؤية لا في المرئي، وهذا بين واضح في أن المراد إثبات الرؤية وتحقيقها، ودفع الاحتمالات عنها، وماذا بعد هذا البيان وهذا الإيضاح!، فإذا سلط التأويل على مثل هذا النص، كيف يستدل بنص من النصوص!.

وقد أوردته الشارح يرحمه الله ليرد به على أهل التأويل الفاسد كالمعتزلة وغيرهم.

س ٣٠١: ماذا تقول المؤولة في قوله ﷺ: " إنكم ترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر " وبم يستدلون، وكيف ترد عليهم قولهم؟

(ج) يقولون إن معناه: إنكم تعلمون ربكم كما تعلمون القمر لية البدر!، ويستشهدون لهذا التأويل الفاسد بقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ آلِ فِيلٍ﴾ (١) ونحو ذلك مما استعمل فيه "رأى" التي من أفعال القلوب! ولا شك أن "رأى" تارة تكون بصرية، وتارة قلبية، وتارة من رؤيا الحلم، وغير ذلك، ولكن ما يخلو الكلام من قرينة تخلص أحد معانيه من الباقي، وإلا لو أدخل المتكلم كلامه من القرينة المخلصة لأحد المعاني، لكان مجملًا ملغزًا، لا مبينًا موضحًا، وأي بيان وقرينة فوق قوله: "ترون ربكم كما ترون الشمس في الظهيرة ليس دونها سحب"؟! فهل مثل هذا مما يتعلق برؤية البصر، أو برؤية القلب؟ وهل يخفى مثل هذا إلا على من أعمى الله قلبه؟!.

(س ٣٠٢) إن قال أهل التأويل: ألجأنا إلى تأويل الرؤية ونفيها، حكم العقل بأن رؤيته لا يتصور إمكانها! فيم تجيب؟.

(ج) الجواب: أن هذه دعوى منكم، خالفكم فيها أكثر العقلاء، وليس في العقل ما يحيلها، بل لو عرض على العقل موجود قائم بنفسه لا يمكن رؤيته، لحكم بأن هذا محال.

(س ٣٠٣) ما معنى قول الإمام الطحاوي: "لمن اعتبرها منهم بوهم"؟.

(ج) أي توهم أن الله تعالى يرى على صفة كذا، فيتوهم تشبيهًا، ثم بعد هذا التوهم إن أثبت ما توهمه من الوصف، فهو مشبه، وإن نفى الرؤية من أصلها لأجل ذلك التوهم فهو جاحد معطل، بل الواجب دفع ذلك الوهم وحده، ولا يعم بنفيه الحق والباطل، فينفيهما رداً على من أثبت الباطل، بل الواجب رد الباطل، وإثبات الحق.

(س ٣٠٤) إلى أي شيء أشار الطحاوي بقوله: "ومن لم يتوق النفي والتشبيه زل ولم يصب التنزيه" وعلى من رد بقوله هذا؟.

(ج) أشار إلى قوله: "... لمن اعتبرها منهم بوهم" وأن الواجب دفع ذلك الوهم، وإثبات الحق، قال بعد ذلك: "ومن لم يتوق النفي والتشبيه، زل ولم يصب التنزيه" فإن هؤلاء المعتزلة يزعمون أنهم ينزهون الله بهذا النفي! وهل يكون التنزيه بنفي صفة الكمال؟! فإن نفي الرؤية ليس بصفة كمال، إذ المعدوم

لا يرى، وإنما الكمال في إثبات الرؤية ونفي إدراك الرائي له إدراك إحاطة، كما في العلم، فإن نفي العلم به ليس بكمال، وإنما العلم في إثبات العلم، ونفي الإحاطة به علماً، فهو سبحانه لا يحاط به رؤية، كما لا يحاط به علماً.

(س ٣٠٥) ما معنى قول الإمام الطحاوي عن الرؤية: "أو تأولها بفهم"؟

(ج) أي: ادعى أنه فهم لها تأويلاً يخالف ظاهرها. وما يفهمه كل عربي من معناها. وهذا هو التحريف الذي سموه تأويلاً، وحذر منه العلماء وسموه تحريفاً.

(س ٣٠٦) ما هو اصطلاح المتأخرين في معنى التأويل، وماذا جنوا بهذا على النصوص الشرعية؟

(ج) اصطلاح المتأخرين في معنى التأويل: أنه صرف اللفظ عن ظاهره، وبهذا تسلط المحرفون على النصوص، وقالوا: نحن نؤول ما يخالف قولنا، فسموا التحريف: تأويلاً، تزييناً له، وزخرفةً ليقبل، وقد ذم الله الذين زخرفوا الباطل، قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَفٍ عَدُوًّا شَيطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرَفَ الْقَوْلِ غُرُورًا﴾. والعبرة للمعاني لا للألفاظ، فكم من باطل قد أقيم عليه دليلٌ مزخرفٌ عورض بدليل الحق.

(س ٣٠٧) هل أراد الإمام الطحاوي بترك التأويل جملةً في قوله: "إذ كان تأويل الرؤية، وتأويل كل معنى يضاف إلى الربوبية، ترك التأويل، ولزوم التسليم...؟"

(ج) مراده ترك التأويل الذي يسمونه تأويلاً، وهو تحريف، ولكن الشيخ رحمه الله تعالى تأدب وجادل بالتي هي أحسن كما أمر الله بقوله: ﴿وَحَدِّثْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ وليس مراده ترك كل ما يسمى تأويلاً، ولا ترك شيء من الظواهر لبعض الناس لدليل راجح من الكتاب والسنة، وإنما مراده ترك التأويلات الفاسدة المبتدعة، المخالفة لمذهب السلف، التي يدل الكتاب والسنة على فسادها، وترك القول على الله بلا علم.

ثم قد صار لفظ "التأويل" مستعملاً في غير معناه الأصلي.

س ٣٠٨: مثل للتأويلات الفاسدة؟.

ج: من التأويلات الفاسدة، تأويل أدلة الرؤية، وأدلة العلو، وأنه لم يكلم موسى تكليماً، ولم يتخذ إبراهيم خليلاً.

س ٣٠٩: ما أنواع التأويل؟.

ج: ١ - التأويل في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ: هو الحقيقة التي يؤول إليها الكلام: - فتأويل الخبر: هو عين المُخْبَرُ به.

- وتأويل الأمر: نفس الفعل المأمور به.

٢ - وتأويل الرؤيا، وتأويل العمل.

٣ - والتأويل بمعنى التفسير، عند كثير من المفسرين، كابن جرير ونحوه، يريدون به تفسير الكلام وبيان معناه.

٤ - والتأويل في كلام المتأخرين من الفقهاء والمتكلمين: هو صرف اللفظ عن الاحتمال الراجع إلى الاحتمال المرجوح لدلالة توجب ذلك.

س ٣١٠: استدل للتأويل في الكتاب والسنة؟.

ج: التأويل في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ: هو الحقيقة التي يؤول إليها الكلام.

- فتأويل الأمر: هو نفس الفعل المأمور به، كما قالت عائشة رضي الله عنها: كان رسول الله ﷺ يقول في ركوعه: "سبحانك اللهم ربنا وبحمدك، اللهم اغفر لي" يتأول قوله تعالى لما أمره: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ﴾.

- أما تأويل الخبر: الذي هو عين المُخْبَرُ به، كقوله تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ يَقُولُ الَّذِي نَسُوهُ مِنْ قَبْلٍ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ﴾.

س ٣١١: ما الدليل على تأويل الرؤيا وتأويل العمل؟.

ج: كقوله تعالى: ﴿هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ﴾ وقوله: ﴿وَيَعْلَمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾ وقوله: ﴿ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ وقوله: ﴿سَأُنَبِّتُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾ إلى قوله: ﴿ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾.

(س ٣١٢) استدل على نوع التأويل بمعنى التفسير؟

(ج) قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ .

(س ٣١٣) ما التأويل الذي لا يعلمه إلا الله؟

(ج) التأويل الذي لا يعلمه إلا الله، ما كان خبراً عن الله واليوم الآخر، فهذا لا يعلم تأويله (حقيقته) التي هو عليها إلا الله. كما ذكره الله تعالى في أول سورة آل عمران في إحدى القراءتين.

(س ٣١٤) هل يلزم من نفي العلم بالتأويل (حقيقته) في الكتاب والسنة، نفي العلم بالمعنى؟

(ج) ما كان خبراً عن الله واليوم الآخر، فهذا قد لا يعلم تأويله، الذي هو حقيقته، إذ كانت لا تعلم بمجرد الإخبار، فإن المُخْبَرَ إن لم يكن قد تصور المُخْبَرُ به، أو ما يعرفه قبل ذلك، لم يعرف حقيقته، التي هي تأويله بمجرد الإخبار، وهذا هو التأويل الذي لا يعلمه إلا الله، لكن لا يلزم من نفي العلم بالتأويل نفي العلم بالمعنى الذي قصد المخاطب إفهام المُخَاطَب إياه، فما في القرآن آية إلا وقد أمر الله بتدبرها، وما أنزل آية إلا وهو يحب أن يعلم ما عنى بها، وإن كان من تأويله ما لا يعلمه إلا الله.

(س ٣١٥) في قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ قراءتان، ما هما، وماذا يراد بكل قراءة منها؟

(ج) قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾، فيها قراءتان: قراءة من يقف على قوله: ﴿إِلَّا اللَّهُ﴾ وقراءة من لا يقف عندها، وكلتا القراءتين حق، ويراد بالأولى: المتشابه في نفسه الذي استأثر الله بعلم تأويله. ويراد بالثانية: المتشابه الإضافي الذي يعرف الراسخون تفسيره، وهو تأويله.

(س ٣١٦) ما الفرق بين التأويل المتشابه في نفسه، والتأويل المتشابه الإضافي؟

(ج) التأويل المتشابه في نفسه: الذي استأثر الله بعلم تأويله.

والتأويل المتشابه الإضافي: الذي يعرف الراسخون تفسيره، وهو تأويله.

(س ٣١٧): ماذا لو أراد من وقف على قوله تعالى: ﴿إِلَّا اللَّهُ﴾ أن يكون التأويل بمعنى التفسير للمعنى؟.

(ج): هذا المعنى غير مراد لمن وقف على قوله تعالى: ﴿إِلَّا اللَّهُ﴾ أن يكون التأويل بمعنى التفسير للمعنى، فإن لازم هذا أن يكون الله أنزل على رسوله كلاماً لا يعلم معناه جميع الأمة ولا الرسول، ويكون الراسخون في العلم لا حظ لهم في معرفة معناها سوى قولهم: ﴿هَامَتَا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾ وهذا القدر يقوله غير الراسخ في العلم من المؤمنين، والراسخون في العلم يجب امتيازهم عن عوام المؤمنين في ذلك، وقد قال ابن عباس رضي الله عنهما: أنا من الراسخين في العلم الذين يعلمون تأويله، ولقد صدق ﷺ فإن النبي ﷺ دعا له وقال: "اللهم فقهه في الدين، وعلمه التأويل". رواه البخاري وغيره.

ودعائه ﷺ لا يرد. قال مجاهد: عرضت المصحف على ابن عباس، من أوله إلى آخره، أفقه عند كل آية وأسأله عنها. وقد تواترت النقول أنه تكلم في جميع معاني القرآن، ولم يقل عن آية: إنها من المتشابه الذي لا يعلم أحد تأويله إلا الله.

(س ٣١٨): هل الحروف المقطعة في أوائل السور من المتشابه؟.

(ج): قال الشارح: وقول الأصحاب رحمهم الله في الأصول: إن المتشابه: الحروف المقطعة في أوائل السور، ويروى هذا عن ابن عباس. مع أن هذه الحروف قد تكلم في معناها أكثر الناس، فإن كان معناها معروفاً، فقد عرف معنى المتشابه، وإن لم يكن معروفاً، وهي المتشابه، كان ما سواها معلوم المعنى، وهذا المطلوب.

وأيضاً فإن الله قال: ﴿مِنْهُ ءَايَاتٌ تُنْكَرُ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخْرُ مُتَشَبِهَاتٌ﴾ وهذه الحروف ليست آيات عند جمهور العاديين.

(س ٣١٩): ما التأويل الذي يتنازع الناس فيه في كثير من الأمور الخبرية والطلبية .
وما التأويل الصحيح منه ، والفاقد منه؟ وما حقيقة قول المؤولة؟ .

(ج): التأويل الذي يتنازع الناس فيه ، هو: التأويل في كلام المتأخرين من الفقهاء والمتكلمين: وهو صرف اللفظ عن الاحتمال الراجح إلى الاحتمال المرجوح لدلالة توجب ذلك .

فالتأويل الصحيح منه: الذي يوافق ما دلت عليه نصوص الكتاب والسنة ، وما خالف ذلك فهو التأويل الفاسد، وهذا مبسوط في موضعه . وذكر في " التبصرة " أن نصر بن يحيى البلخي روى عن عمر بن إسماعيل بن حماد بن أبي حنيفة عن محمد بن الحسن رحمهم الله: أنه سُئل عن الآيات والأخبار التي فيها من صفات الله تعالى ما يؤدي ظاهره إلى التشبيه، فقال: نمرها كما جاءت، ونؤمن بها، ولا نقول: كيف وكيف .

ويجب أن يُعلم أن المعنى الفاسد الكفري ليس هو ظاهر النص ولا مقتضاه، وأن من فهم ذلك منه، فهو لقصور فهمه، ونقص علمه، وإذا كان قد قيل في قول بعض الناس:

وكم من عائبٍ قولاً صحيحاً وآفته من الفهم السقيم
وقيل:

عليّ نحت القوافي من معادنها وما عليّ إذا لم تفهم البقر
فكيف يقال في قول الله، الذي هو أصدق الكلام وأحسن الحديث، وهو الكتاب الذي: ﴿أُخْكِمْتُ آيَاتُهُ ثُمَّ فَصَّلْتُ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَيْرٍ﴾ . إن حقيقة قولهم: إن ظاهر القرآن والحديث هو الكفر والضلال، وأنه ليس فيه بيان لما يصلح من الاعتقاد، ولا فيه بيان التوحيد والتنزيه؟! هذا حقيقة قول المتأولين .

(س ٣٢٠): لا شك أن الحق ما دل عليه القرآن، وأن ما كان باطلاً، لم يدل عليه، والمنازعون يدعون دلالة على الباطل الذي يتعين صرفه؟! فماذا يقال لهم؟ .

(ج): يقال لهم: هذا الباب الذي فتحتموه، وإن كنتم ترعمون أنكم تنتصرون

به على إخوانكم المؤمنين في مواضع قليلة خفية؛ فقد فتحتم عليكم باباً لأنواع المشركين والمبتدعين، لا تقدرون على سده، فإنكم إذا سوغتم صرف القرآن عن دلالاته المفهومة بغير دليل شرعي، فما الضابط فيما يسوغ تأويله وما لا يسوغ؟!.

فإن قلتم: ما الدليل القاطع العقلي على استحالة تأويلناه، وإلا أقررناه!.

قل لكم: وبأي عقل نزن القاطع العقلي؟! فإن القرمطي^(١) الباطني يزعم قيام القواطع على بطلان ظواهر الشرع! ويزعم الفيسلوف قيام القواطع على بطلان حشر الأجساد! ويزعم المعتزلي قيام القواطع على امتناع رؤية الله تعالى، وعلى امتناع قيام علم أو كلام أو رحمة به تعالى!! وباب التأويلات التي يدعي أصحابها وجوباً بالمعقولات أعظم من أن تنحصر في هذا المقام.

س ٣٢١: التأويلات التي يدعي أصحابها وجوبها بالمعقولات أعظم من أن تنحصر في مقام واحد، ويلزم من فتح باب التأويل محذوران عظيمان ما هما؟.

ج: يلزم محذوران عظيمان من فتح باب التأويل:

أحدهما: أن لا نفر بشئ من معاني الكتاب والسنة حتى نبحت قبل ذلك بحوثاً طويلة عريضة في إمكان ذلك بالعقل، وكل طائفة من المختلفين في الكتاب يدعون أن العقل يدل على ما ذهبوا إليه، فيؤول الأمر إلى الحيرة.

المحذور الثاني: أن القلوب تنحل عن الجزم بشئ تعتقده مما أخبر به الرسول، إذ لا يوثق بأن الظاهر هو المراد، والتأويلات مضطربة، فيلزم عزل الكتاب والسنة عن الدلالة والإرشاد إلى ما أنبأ الله به العباد، وخاصة النبي هي الإنباء، والقرآن: هو النبأ العظيم. ولهذا نجد أهل التأويل إنما يذكرون

(١) القرامطة: هم أتباع حمدان قرمط، وقيل غير ذلك. وأهم ما يميز دعوتهم، القول بالإمامة وأن الشريعة لها باطن وظاهر. وهي نحلة باطنية غالية. انظر (أخبار القرامطة ص ١٠٩) وكتاب (كشف أسرار الباطنية).

نصوص الكتاب والسنة للاعتضاد لا للاعتماد، إن وافقت ما ادّعوا أن العقل دل عليه، وإن خالفت أولوه! وهذا فتح باب الزندقة والانحلال، نسأل الله العافية.

(س ٣٢٢) ما معنى قول الإمام: "ومن لم يتوق النفي والتشبيه، زل ولم يصب التنزيه"؟.

(ج) النفي والتشبيه مرضان من أمراض القلوب، فإن أمراض القلوب نوعان:
١ - مرض شبهة.

٢ - ومرض شهوة.

والذين نفوا صفات الرب تعالى، أو شبهوها بصفات المخلوقات، وقعوا في النوع الأول نسأل الله العافية، وكلاهما مخطئ، على خطر عظيم.

(س ٣٢٣) أمراض القلوب في القرآن نوعان، ما هما مستدلاً لكل نوع، مبيناً أخطرهما على دين المرء؟.

(ج) أمراض القلوب نوعان ذكرت في القرآن:

١ - مرض شهوة: قال تعالى: ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ﴾.

٢ - ومرض شبهة: قال تعالى: ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا﴾ وقال تعالى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ﴾ فهذا مرض الشبهة، وهو ألد من مرض الشهوة، ومرض الشبهة لا شفاء له إن لم يتداركه الله برحمته.

والشبهة التي في مسألة الصفات نفيها وتشبيهها، وشبه النفي ألد من شبهة التشبيه، فإن شبهة النفي رد وتكذيب لما جاء به الرسول ﷺ وشبهة التشبيه غلو ومجاوزة للحد فيما جاء به الرسول ﷺ. وتشبيه الله بخلقه كفر، فإن الله تعالى يقول: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ ونفي الصفات كفر، فإن الله تعالى يقول: ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾.

(س ٣٢٤) ما نوعا التشبيه؟ وأيها أكثر في الناس؟.

ج: التشبيه نوعان:

١ - تشبيه الخالق بالمخلوق: وهذا الذي يَتَعَبُ أهل الكلام في رده وإبطاله وأهله في الناس أقل من النوع الثاني.

٢ - النوع الثاني: هم أهل تشبيه المخلوق بالخالق، كعباد المسيح، وعزير، والشمس والقمر، والأصنام، والملائكة، والنار، والماء، والعجل، والقبور، والجن، وغير ذلك، وهؤلاء هم الذين أرسلت إليهم الرسل يدعونهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له.

س ٣٢٥: إلام أشار الشيخ بقوله: " . . فإن ربنا جل وعلا موصوف بصفات الوجدانية . . ؟".

ج: أشار بقوله هذا إلى أن تنزيه الرب تعالى هو وصفه كما وصف نفسه نفياً وإثباتاً.

س ٣٢٦: كلام الطحاوي في قوله: " . . فإن ربنا جل وعلا موصوف بصفات الوجدانية، منعوت بنعوت الفردانية، ليس في معناه أحد من البرية " من أي آيات القرآن الكريم اقتبسه؟.

ج: كلام الشيخ هنا مأخوذ من معنى سورة الإخلاص، فقله: - موصوف بصفات الوجدانية: مأخوذ من قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾.

- وقوله: منعوت بنعوت الفردانية، من قوله تعالى: ﴿اللَّهُ الصَّمَدُ﴾ لَمْ يَكِلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٢﴾. - وقوله: ليس في معناه أحد من البرية، من قوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَمْ كُفُوا أَحَدٌ﴾.

وهو أيضاً مؤكد لما تقدم من إثبات الصفات ونفي التشبيه.

س ٣٢٧: قال الطحاوي رحمه الله: " . . فإن ربنا جل وعلا موصوف بصفات الوجدانية، منعوت بنعوت الفردانية، ليس في معناه أحد من البرية "، ما معنى الوصف، والنعوت، والوجدانية، والفردانية؟.

ج: الوصف والنعته مترادفان، وقيل: متقاربان، فالوصف للذات، والنعته للفعل وكذلك الوجدانية والفردانية. وقيل في الفرق بينهما:
إن الوجدانية للذات، والفردانية للصفات، فهو تعالى متوحد في ذاته، متفرد بصفاته.

س ٣٢٨: لم كرر الطحاوي العبارات المترادفات المتقاربات في متن العقيدة هذا؟.

ج: قال الشارح: ولكن في اللفظ نوع تكرير، وللشيخ رحمه الله نظير هذا التكرير في مواضع من العقيدة، وهو بالخطب والأدعية أشبه منه بالعقائد، والتسجيع بالخطب أليق.

س ٣٢٩: ماذا استدرك الشارح على الطحاوي في قوله: "فإن ربنا جل وعلا موصوف بصفات الوجدانية، منعوت بنعوت الفردانية، ليس في معناه أحد من البرية"؟.

ج: استدرك عليه قوله: "ليس في معناه أحد من البرية" فقال: وقيل في الفرق بينهما: إن الوجدانية للذات، والفردانية للصفات، فهو تعالى متوحد في ذاته، متفرد بصفاته. ولكن في اللفظ نوع تكرير، وللشيخ رحمه الله نظير هذا التكرير في مواضع من العقيدة، وهو بالخطب والأدعية أشبه منه بالعقائد، والتسجيع بالخطب أليق.

و ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ أكمل في التنزيه من قوله: "ليس في معناه أحد من البرية".

س ٣٣٠: قال الطحاوي: "وتعالى عن الحدود والغايات والأركان والأعضاء والأدوات". ما أقوال الناس في إطلاق هذه الألفاظ؟.

ج: للناس في إطلاق مثل هذه الألفاظ ثلاثة أقوال:

- طائفة تنفيها.
- وطائفة تثبتها.
- وطائفة تفصل.

(س ٣٣١) أي الطوائف الثلاث الآنفة، هو المتبع لمنهج السلف؟.

(ج) الطائفة التي تفصل، هم المتبعون للسلف، فلا يطلقون نفيها ولا إثباتها إلا إذا بُيِّنَ ما أثبت بها، فهو ثابت، وما نفى بها فهو منفي، لأن المتأخرين قد صارت هذه الألفاظ في اصطلاحهم فيها إجمال وإبهام، كغيرها من الألفاظ الاصطلاحية، فليس كلهم يستعملها في معناها اللغوي، ولهذا كان النفاة ينفون بها حقاً وباطلاً، ويذكرون عن مثبتتها ما لا يقولون به، وبعض المثبتين لها يدخل فيها معنى باطلاً مخالفاً لقول السلف، ولما دل عليه الكتاب والميزان، ولم يرد نص من الكتاب، ولا من السنة بنفيها ولا إثباتها، وليس لنا أن نصف الله تعالى بما لم يصف به نفسه، ولا وصفه به رسوله نفيًا ولا إثباتًا، وإنما نحن متبعون لا مبتدعون.

فالواجب أن ينظر في هذا الباب، أعني باب الصفات، فما أثبتته الله ورسوله أثبتناه، وما نفاه الله ورسوله نفيناه، والألفاظ التي ورد بها النص يُعتصم بها في الإثبات والنفي، فنثبت ما أثبتته الله ورسوله من الألفاظ والمعاني، وننفي ما نفتته نصوصهما من الألفاظ والمعاني.

(س ٣٣٢) ما حكم الألفاظ التي لم يرد نفيها ولا إثباتها؟.

(ج) الألفاظ التي لم يرد نفيها ولا إثباتها لا تطلق حتى ينظر في مقصود قائلها، فإن كان معنى صحيحاً، قُبِلَ، لكن ينبغي التعبير عنه بالألفاظ النصوص دون الألفاظ المجملة إلا عند الحاجة، مع قرائن تبين المراد والحاجة، مثل أن يكون الخطاب مع من لا يتم المقصود معه إن لم يخاطب بها، ونحو ذلك.

(س ٣٣٣) لم أورد الإمام الطحاوي قوله: "وتعالى عن الحدود والغايات والأركان والأعضاء والأدوات...؟".

(ج) الشيخ رحمه الله تعالى أراد الرد بهذا الكلام على المشبهة، كداود الجواربي وأمثاله القائلين: إن الله جسم، وإنه جثة وأعضاء، وغير ذلك! تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

(س ٣٣٤) هل مراد الطحاوي رحمه الله في قوله: "وتعالى عن الحدود والغايات والأركان والأعضاء والأدوات.. " نفي الصفات الإلهية، أو حد شيء من صفاته؟

(ج) المعنى الذي أراده الشيخ رحمه الله من النفي الذي ذكره هنا حق، ولكن حدث بعده من أدخل في عموم نفيه حقاً وباطلاً، فيحتاج إلى بيان ذلك، وهو: أن السلف متفقون على أن البشر لا يعلمون لله حداً، وأنهم لا يحدون شيئاً من صفاته. وليس مراد الشيخ رحمه الله نفي الصفات.

قال أبو داود الطيالسي: كان سفيان وشعبة، وحماد بن زيد، وحماد بن سلمة وشريك وأبو عوانة، لا يحدّون ولا يشبهون ولا يمثلون، يرون الحديث لا يقولون: كيف، وإذا سئلوا قالوا بالأثر. وسيأتي في كلام الشيخ: "وقد أعجز عن الإحاطة خلقه"، فعلم أن مراده: أن الله يتعالى عن أن يحيط أحد بحده، لا أن المعنى أنه غير متميز عن خلقه، منفصل عنهم، مباين لهم. سئل عبد الله بن المبارك: بم نعرف ربنا؟ قال: بأنه على العرش، بائن من خلقه، قيل: بحد؟ قال: بحد. انتهى.

(س ٣٣٥) في قول الطحاوي: "وتعالى عن الحدود.. " ما الحد عند أهل العلم إذا ورد في كلامهم؟

(ج) قال الشارح: من المعلوم أن الحد يقال على ما ينفصل به الشيء ويتميز به عن غيره، والله تعالى غير حال في خلقه، ولا قائم بهم، بل هو الحي القيوم القائم بنفسه، المقيم لما سواه. فالحد بهذا المعنى لا يجوز أن يكون فيه منازعة في نفس الأمر أصلاً، فإنه ليس وراء نفيه إلا نفي وجود الرب، ونفي حقيقته.

وأما الحد بمعنى العلم والقول، وهو أن يحده العباد، فهذا منتف بلا منازعة بين أهل السنة. قال أبو القاسم القشيري في "رسالته" - وساق إسناده - سمعت سهل بن عبد الله التستري يقول، وقد سئل عن ذات الله؟ فقال: ذات الله موصوفة بالعلم، غير مدركة بالإحاطة، ولا مرئية بالأبصار في دار

الدنيا، وهي موجودة بحقائق الإيمان، من غير حد ولا إحاطة ولا حلول، وتراه العيون في العقبى، ظاهراً في ملكه وقدرته، قد حجب الخلق عن معرفة كنه ذاته، ودلهم عليه بآياته، فالقلوب تعرفه، والعيون لا تدركه، ينظر إليه المؤمنون بالأبصار، من غير إحاطة، ولا إدراك نهاية.

س ٣٣٦: بَمَ تسلط النفاة بلفظ الأركان والأعضاء والأدوات؟

ج: لفظ الأركان والأعضاء والأدوات، يتسلط بها النفاة على نفي بعض الصفات الثابتة بالأدلة القطعية، كاليد والوجه. قال أبو حنيفة رحمته الله في "الفقه الأكبر": له يدٌ ووجهٌ ونفسٌ، كما ذكر تعالى في القرآن من ذكر الوجه واليد والنفس، فهو له صفة بلا كيف، ولا يقال: إن يده قدرته ونعمته، لأن فيه إبطال الصفة. انتهى.

وهذا الذي ذكره الإمام رحمته الله ثابت بالأدلة القاطعة. قال تعالى: ﴿مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتَ بِدَيِّكَ﴾. ﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾. ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾. ﴿وَبَقِيَ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ (٢٧). وقال تعالى: ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾. وقال تعالى: ﴿وَيُعَذِّبُكُمُ اللَّهُ نَفْسُكَ﴾.

وقال رحمته الله في حديث الشفاعة لما يأتي الناس آدم فيقولون له: "خلقك الله بيده.. " وقال النبي رحمته الله عن ربه رحمته الله: "حجابه النور، لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه".

س ٣٣٧: كيف يُرد على من قال: إن المراد باليد في الآيات، القدرة؟

ج: لا يصح تأويل من قال: إن المراد باليد: القدرة، فإن قوله: ﴿مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتَ بِدَيِّكَ﴾ لا يصح أن يكون معناه بقدرتي مع تثنية اليد، ولو صح ذلك، لقال إبليس: وأنا أيضاً خلقتني بقدرتك فلا فضل له عليّ بذلك، فإبليس - مع كفره - كان أعرف بربه من الجهمية.

س ٣٣٨: بَمَ يُرد على من تأول اليد بالقدرة، واستدل بقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِنَّا عَمَلَتَ أَيْدِيًا أَنْعَمْنَا فَهُمْ لَهَا مُلْكُونَ﴾ (٧١)؟

(ج) لا دليل لهم في قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِيَانَا أَنْعَمًا فَهُمْ لَهَا مَلَكَوْنَ﴾ (٧٦) لأنه تعالى جمع الأيدي لما أضافها إلى ضمير الجمع، ليتناسب الجمعان اللفظيان للدلالة على الملك والعظمة، ولم يقل: "أيدي" مضاف إلى ضمير المفرد، ولا "يدينا" بتثنية اليد مضافة إلى ضمير الجمع، فلم يكن قوله: ﴿مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِيَانَا﴾ نظير قوله: ﴿لِإِذَا خَلَقْتُ يَدَيَّ﴾.

(س ٣٣٩): هل يقال للصفات إنها أعضاء، أو جوارح، أو أدوات، أو أركان؟ ولماذا؟.

(ج) لا يقال للصفات: إنها أعضاء، أو جوارح، أو أدوات، أو أركان، لأن الركن جزء الماهية، والله تعالى هو الأحد الصمد لا يتجزأ، سبحانه وتعالى، والأعضاء فيها معنى التفريق والتعضية، تعالى الله عن ذلك، ومن هذا المعنى قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ جَعَلُوا الْفُرْعَانَ عِزِينَ﴾ (٩١). والجوارح فيها معنى الاكتساب والانتفاع، وكذلك الأدوات التي هي الآلات التي ينتفع بها في جلب المنفعة، ودفع المضرة، وكل هذه المعاني متفية عن الله تعالى، ولهذا لم يرد ذكرها في صفات الله تعالى، فالألفاظ الشرعية صحيحة المعاني، سالمة من الاحتمالات الفاسدة، فلذلك يجب ألا يُعدل عن الألفاظ الشرعية نفياً ولا إثباتاً، لئلا يثبت معنى فاسد، أو ينفي معنى صحيح.

وكل هذه الألفاظ المجملة عرضة للمحق والمبطل.

(س ٣٤٠): ماذا يراد بلفظ الجهة؟.

(ج) لفظ الجهة، قد يراد به ما هو موجود، وقد يراد به ما هو معدوم، ومن المعلوم أنه لا موجود إلا الخالق والمخلوق، فإذا أريد بالجهة أمر موجود غير الله تعالى كان مخلوقاً، والله تعالى لا يحصره شيء، ولا يحيط به شيء من المخلوقات، تعالى الله عن ذلك، وإن أريد بالجهة أمر عديم، وهو ما فوق العالم، فليس هناك إلا الله وحده.

فإذا قيل: إنه في جهة بهذا الاعتبار، فهو صحيح، ومعناه: أنه فوق العالم، حيث انتهت المخلوقات، فهو فوق الجميع، عالٍ عليه.

س ٣٤١: ماذا يريد نفاة لفظ " الجهة " ، وبم يستدلون؟.

ج: نفاة لفظ " الجهة " يريدون بذلك نفي العلو.

ويذكرون من أدلتهم: أن الجهات كلها مخلوقة، وأنه كان قبل الجهات، وأن من قال: إنه في جهة يلزمه القول بقدم شيء في العالم، أو أنه كان مستغنياً عن الجهة، ثم صار فيها. وهذه الألفاظ ونحوها إنما تدل على أنه ليس في شيء من المخلوقات، سواء سمي جهة أو لم يسم، وهذا حق. ولكن الجهة ليست أمراً وجودياً، بل أمر اعتباري، ولا شك أن الجهات لا نهاية لها، وما لا يوجد فيها لا نهاية له، فليس بموجود.

س ٣٤٢: ما المراد من قول الطحاوي: " لا تحويه الجهات الست كسائر

المبتدعات "؟.

ج: قول الشيخ رحمه الله: " لا تحويه الجهات الست كسائر المبتدعات " هو حق، باعتبار أنه لا يحيط به شيء من مخلوقاته، بل هو محيط بكل شيء وفوقه. وهذا المعنى الذي أراده الشيخ رحمه الله، لما يأتي في كلامه: " أنه محيط بكل شيء وفوقه " فإذا جُمع بين كلاميه، وهو قوله: " لا تحويه الجهات الست كسائر المبتدعات ". وبين قوله: "محيط بكل شيء وفوقه " علم أن مراده أن الله تعالى لا يحويه شيء، ولا يحيط به شيء، كما يكون لغيره من المخلوقات، وأنه تعالى هو المحيط بكل شيء، العالي على كل شيء.

س ٣٤٣: استدرك الشارح على قول الإمام الطحاوي: " لا تحويه الجهات

الست كسائر المبتدعات "، أوضح هذا الاستدراك؟.

ج: قال الشارح رحمه الله: في كلامه شيان:

أحدهما: أن إطلاق مثل هذا اللفظ - مع ما فيه من الإجمال والاحتمال - كان تركه أولى، وإلا تُسلط عليه، وألزم بالتناقض في إثبات الإحاطة والفوقية من جهة العلو، وإن أجيب عنه بما تقدم من أنه إنما نفى أن يحويه شيء من مخلوقاته، فالاعتصام بالألفاظ الشرعية أولى.

الثاني: أن قوله: " كسائر المبتدعات " يفهم منه أنه ما من مُبتدع إلا وهو محوي، وفي هذا نظر.

(س ٣٤٤): في قوله: " لا تحويه . . . كسائر المبتدعات " يفهم منه أنه ما من مبتدع إلا وهو محوي، وفي هذا نظر، فإذا أراد أنه محوي بأمر محوي وجودي، فممنوع، فإن العالم ليس في عالم آخر، وإلا لزم التسلسل. وإن أراد أمراً عديمياً، فليس كل مبتدع في العدم، قطعاً للتسلسل. فكيف يجاب عن هذا؟.

(ج): يمكن أن يجاب عن هذا الإشكال، بأن "سائر" بمعنى البقية، لا بمعنى الجميع، هذا أصل معناها، ومنه " السور"، وهو ما يقيه الشارب في الإناء، فيكون مراده غالب المخلوقات، لا جميعها، إذ " السائر" على الغالب أدل منه على الجميع، فيكون المعنى: أن الله تعالى غير محوي كما يكون أكثر المخلوقات محوياً، بل هو غير محوي بشيء، تعالى الله عن ذلك. ولا يظن بالشيخ رحمه الله تعالى أنه ممن يقول: إنه ليس داخل العالم ولا خارجه بنفي التقيضين، كما ظنه بعض الشارحين، بل مراده: أن الله تعالى منزّه عن أن يحيط به شيء من مخلوقاته، أو أن يكون مفتقراً إلى شيء منها، العرش أو غيره.

(س ٣٤٥): ذكر الشارح خطورة كلام نسب إلى الإمام أبي حنيفة، فما هو، وما خطورته؟.

(ج): الكلام الذي بينه الشارح وهو قوله: " تعالى عن الحدود والغايات، والأركان والأعضاء والأدوات، لا تحويه الجهات الست كسائر المبتدعات" (١).

قال الشارح: وفي ثبوت هذا الكلام عن الإمام أبي حنيفة رحمته نظر، فإن أصداده قد شنعوا عليه بأشياء أهون منه، فلو سمعوا مثل هذا الكلام، لشاع عنهم تشنيعهم عليه به، وقد نقل أبو مطيع البلخي عنه إثبات العلو، كما سيأتي ذكره إن شاء الله تعالى. وظاهر هذا الكلام يقتضي نفيه، ولم يرد بمثله كتاب ولا سنة، فلذلك قلت: إن في ثبوته عن الإمام نظراً، وإن الأولى

(١) هذا كلام الطحاوي في المتن، ولعله نسبه أو أخذه من أبي حنيفة، كما ورد ما يفهم منه من كلام الشارح!

التوقف في إطلاقه، فإن الكلام بمثله خطراً بخلاف الكلام بما ورد عن الشارع، كالاستواء والنزول ونحو ذلك. ومن ظن من الجهال أنه إذا نزل إلى سماء الدنيا كما أخبر الصادق عليه السلام، يكون العرش فوقه ويكون محصوراً بين طبقتين من العالم! فقلوه مخالف لإجماع السلف، مخالف للكتاب والسنة.

وقال شيخ الإسلام أبو عثمان الصابوني: سمعت الأستاذ أبا منصور بن حماد - بعد روايته حديث النزول - يقول: سئل أبو حنيفة، فقال: ينزل بلا كيف. انتهى.

س ٣٤٦: لِمَ توقف بعض الناس في نفي أن يكون العرش فوق الرب تعالى أو أن يكون محصوراً بين طبقتين من العالم؟

ج: إنما توقف في نفي ذلك، لضعف علمه بمعاني الكتاب والسنة وأقوال السلف، ولذلك ينكر بعضهم أن يكون فوق العرش، بل يقول: لا مباين ولا محايت، لا داخل العالم ولا خارجه، فيصفونه بالعدم والممتنع، ولا يصفونه بما وصف به نفسه من العلو والاستواء على العرش، ويقول بعضهم بحلوله في كل موجود، أو يقول: هو وجود كل موجود ونحو ذلك، تعالى الله عما يقول الظالمون والجاحدون علواً كبيراً.

وسيأتي لإثبات صفة العلو لله تعالى زيادة بيان، عند الكلام على قول الشيخ رحمه الله: "محيط بكل شيء وفوقه" إن شاء الله تعالى.



الفصل التاسع

الإسراء والمعراج

الإسراء والمعراج

س ٣٤٧: استدل على الإسراء من الكتاب؟.

ج: قال تعالى: ﴿سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا﴾.

س ٣٤٨: ما المعراج، وكيف هو؟.

ج: "المعراج": مفعال، من العروج، أي: الآلة التي يُعْرَجُ فيها، أي يُصْعَدُ، وهو بمنزلة السلم، لكن لا نعلم كيف هو، وحكمه كحكم غيره من المغيبات، نؤمن به ولا نشغل بكيفيته.

س ٣٤٩: ما أقوال الناس في الأسراء؟.

ج: اختلف الناس في الإسراء على أقوال:

١ - ف قيل: كان الإسراء بروحه (أي أسري بروحه دون جسده، وليست رؤيا منام) ولم يُفَقَدْ جَسَدُهُ. وهذا روي عن عائشة ومعاوية رضي الله عنهما.

٢ - وقيل: كان الإسراء مرتين: مرة يقظة، ومرة مناماً.

٣ - أنه أسري بجسده في اليقظة، من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى.

س ٣٥٠: ما القول الصحيح في الإسراء به ﷺ؟.

ج: الصحيح هو القول الثالث الذي دلت عليه السنة، أنه أسري بجسده في

اليقظة، من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، كما في حديث الإسراء والمعراج الذي سيأتي بيانه ورواه البخاري ومسلم، وغيرهما.

(س ٣٥١): في القول الذي نقله ابن إسحاق عن عائشة ومعاوية رضي الله عنهما، أن الإسراء كان بروحه ولم يُفقد جسده، فما الفرق بينه وبين الإسراء مناماً؟

(ج): ينبغي أن يعرف الفرق بين أن يقال: كان الإسراء مناماً، وبين أن يقال: كان بروحه دون جسده، وبينهما فرق عظيم.

فعائشة ومعاوية رضي الله عنهما لم يقلوا: كان مناماً، وإنما قالوا: أُسري بروحه ولم يُفقد جسده، وفرق ما بين الأمرين، إذ ما يراه النائم قد يكون أمثالاً مضروبة للمعلوم في الصورة المحسوسة، فيرى كأنه قد عرج به إلى السماء، وذهب به إلى مكة، وروحه لم تصعد ولم تذهب، وإنما ملك الرؤيا ضرب له المثل، فما أراد أن الأسراء كان مناماً، وإنما أراد أن الروح ذاتها أُسري بها، ففارقت الجسد، ثم عادت إليه، ويجعلان هذا من خصائصه، فإن غيره لا تنال ذات روحه الصعود الكامل إلى السماء إلا بعد الموت.

(س ٣٥٢): من أقوال الناس في الإسراء أنه أُسري به ﷺ مرتين، مرة يقظة ومرة مناماً، فهل يصح هذا، وما الداعي لقول مثل هذا القول؟

(ج): من قال: إن الإسراء كان مرتين: مرة يقظة، ومرة مناماً، وأصحاب هذا القول كأنهم أرادوا الجمع بين حديث شريك وقوله: "ثم استيقظت" وبين سائر الروايات. وهذا لا يصح.

(س ٣٥٣): ما صحة قول من قال: إن الإسراء كان مرتين، مرة قبل الوحي ومرة بعده، أو من قال: بل ثلاث مرات، مرة قبل الوحي، وبعده مرتين، مع بيان الراجع؟

(ج): قال الشارح: وكذلك منهم من قال: بل كان مرتين: مرة قبل الوحي ومرة بعده، ومنهم من قال: بل ثلاث مرات: مرة قبل الوحي، ومرتين بعده. وكلما اشتبه عليهم لفظ زادوا مرة للتوفيق! وهذا يفعله ضعفاء أهل الحديث،

وإلا فالذي عليه أئمة النقل: أن الإسراء كان مرة واحدة بمكة.

(س ٣٥٤) متى كان الإسراء بالنبي ﷺ ، وكيف يرد على من عدّد الإسراء؟.

(ج) كان الإسراء بالنبي ﷺ بعد البعثة، قبل الهجرة بسنة وشهرين، ذكره ابن عبد البر.

قال الشيخ شمس الدين ابن القيم: يا عجباً لهؤلاء الذين زعموا أنه كان مراراً وكيف ساغ لهم أن يظنوا أنه في كل مرة تُفرض عليهم الصلوات خمسين، ثم يتردد بين ربه وبين موسى حتى تصير خمساً، فيقول: "أمضيت فريضتي، وخففت عن عبادي" ثم يعيدها في المرة الثانية إلى خمسين، ثم يحطها إلى خمس!!.

وقد غلّط الحفاظ شريكاً في ألفاظ من حديث الإسراء، ومسلم أورد المسند منه، ثم قال: "فقدم وأخر وزاد ونقص". ولم يسرد الحديث، فأجاد رحمه الله. انتهى كلام الشيخ ابن القيم رحمه الله.

(س ٣٥٥) ما الدليل من السنة على الإسراء والمعراج برسول الله ﷺ؟.

(ج) الدليل من السنة ما رواه البخاري ومسلم وأحمد والنسائي وغيرهم، من حديث طويل، واختصره الشارح رحمه الله بقوله:

وكان من حديث الإسراء: أنه ﷺ أُسري بجسده في اليقظة، على الصحيح، من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، راكباً على البراق، صحبة جبريل عليه السلام، فنزل هناك، وصلى بالأنبياء إماماً، وربط البراق بحلقة المسجد. وقد قيل: إنه نزل بيت لحم وصلى فيه، ولا يصلح ذلك ألبتة.

ثم عرج به من بيت المقدس تلك الليلة إلى سماء الدنيا، فاستفتح له جبريل، ففتح له، فرأى هناك آدم أبا البشر، فسلم عليه، فرحب به، ورد عليه السلام، وأقر بنبوته، ثم عرج به إلى السماء الثانية، فاستفتح له، فرأى فيها يحيى بن زكريا، وعيسى ابن مريم، فلقيهما، فسلم عليهما، فردا عليه السلام، ورحبا به، وأقرا بنبوته، ثم عرج به إلى السماء الثالثة، فرأى فيها يوسف، فسلم عليه فرد عليه السلام، ورحب به، وأقر بنبوته، ثم عرج به إلى السماء الرابعة، فرأى فيها إدريس، فسلم عليه، ورحب به، وأقر بنبوته،

ثم عرج به إلى السماء الخامسة، فرأى فيها هارون بن عمران، فسلم عليه، ورحب به، وأقر بنبوته، ثم عرج به إلى السماء السادسة، فلقي فيها موسى، فقليل له: ما يبكيك؟ قال: أبكي، لأن غلاماً بعدي يدخل الجنة من أمته أكثر مما يدخلها من أمتي، ثم عرج به إلى السماء السابعة، فلقي فيها إبراهيم، فسلم عليه، ورحب به، وأقر بنبوته، ثم رفع إلى سدرة المنتهى، ثم رفع إلى البيت المعمور، ثم عرج بهم إلى الجبار، جل جلاله وتقدست أسماؤه، فدنا منه حتى قاب قوسين أو أدنى، فأوحى إلى عبده ما أوحى، وفرض عليه خمسين صلاة، فرجع حتى مر على موسى، فقال: بم أمرت؟ قال: بخمسين صلاة، فقال: إن أمتك لا تطيق ذلك، ارجع إلى ربك، فأسأله التخفيف لأمتك، فالتفت إلى جبريل كأنه يستشير في ذلك، فأشار أن: نعم، إن شئت، فعلا به جبريل حتى أتى به الجبار تبارك وتعالى وهو في مكانه - هذا لفظ البخاري في صحيحه، وفي بعض الطرق - فوضع منه عشراً، ثم نزل حتى مر بموسى، فأخبره، فقال: ارجع إلى ربك، فأسأله التخفيف، فلم يزل يتردد بين موسى وبين الله تبارك وتعالى، حتى جعلها خمساً، فأمره موسى بالرجوع وسؤال التخفيف، فقال: قد استحيت من ربي ولكن أرضى وأسلم فلما نفذ نادى مناد: قد أمضيت فريضتي وخففت عن عبادي "

س ٣٥٦: هل رأى رسول الله ﷺ ربه ﷻ بعين رأسه؟.

ج: تقدم ذكر اختلاف الصحابة في رؤيته ﷺ ربه ﷻ بعين رأسه، وأن الصحيح أنه رآه بقلبه، ولم يره بعين رأسه.

س ٣٥٧: من المرئي في قوله تعالى: ﴿مَا كَذَّبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى﴾ (١١) وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى﴾ (١٣)؟.

ج: صح عن النبي ﷺ أن هذا المرئي جبريل، رآه مرتين على صورته التي خلق عليها.

س ٣٥٨: ما المراد بقوله تعالى: ﴿ثُمَّ دَنَا فَدَدَكَ﴾ (٨)؟.

ج: قوله تعالى: ﴿ثُمَّ دَنَا فَدَدَكَ﴾ (٨)، هذا غير الدنو والتدلي المذكورين في قصة الإسراء، فإن الذي في سورة النجم هو دنو جبريل وتدليه، كما قالت

عائشة وابن مسعود رضي الله عنهما، فإنه قال: ﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى﴾ (٥) ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى (٦) وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى (٧) ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى (٨)، فالضمائر كلها راجعة إلى هذا المعلم الشديد القوى، وأما الدنو والتدلي الذي في حديث الإسراء، فذلك صريح في أنه دنو الرب وتدليه.

وأما الذي في سورة النجم: أنه رآه نزلةً أخرى عند سدرة المنتهى، فهذا هو جبريل، رآه مرتين، مرةً في الأرض، ومرة عند سدرة المنتهى.

(س ٣٥٩) ما الدليل على أن الإسراء كان بجسده ﷺ في القيظة؟

(ج) مما يدل على أن الإسراء بجسده في القيظة قوله تعالى: ﴿سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا﴾. والعبد عبارة عن مجموع الجسد والروح، كما أن الإنسان اسم لمجموع الجسد والروح، هذا هو المعروف عند الإطلاق، وهو الصحيح، فيكون الإسراء بهذا المجموع، ولا يمتنع ذلك عقلاً، ولو جاز استبعاد صعود البشر، لجاز استبعاد نزول الملائكة، وذلك يؤدي إلى إنكار النبوة وهو كفر.

(س ٣٦٠) ما الحكمة في الإسراء إلى بيت المقدس أولاً؟

(ج) أن ذلك كان إظهاراً لصدق دعوى الرسول ﷺ المعراج حين سأله قريش عن نعت بيت المقدس، فنعتهم لهم، وأخبرهم عن غيرهم التي مر عليها في طريقه، ولو كان عروجه إلى السماء من مكة لما حصل ذلك، إذ لا يمكن اطلاعهم على ما في السماء لو أخبرهم عنه، وقد اطلعوا على بيت المقدس، فأخبرهم بنعته.

وفي حديث المعراج دليل على ثبوت صفة العلو لله تعالى من وجوه لمن تدبره، وبالله التوفيق.



الفصل العاشر

الحوض

الحوض

س ٣٦١: ما صحة الأحاديث الواردة في الحوض؟.

(ج) الأحاديث الواردة في الحوض تبلغ حد التواتر، رواها من الصحابة بضعة وثلاثون صحابياً رضي الله عنهم، ولقد استقصى طرقها شيخنا عماد الدين ابن كثير، تغمدته الله برحمته، في آخر تاريخه الكبير المسمى بـ "البداية والنهاية".

س ٣٦٢: أورد بعض الأحاديث في حوض نبينا محمد ﷺ؟.

(ج) ١ - منها ما رواه البخاري رحمه الله تعالى، عن أنس بن مالك ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: "إن قدر حوضي كما بين أيلة إلى صنعاء من اليمن، وإن فيه من الأباريق كعدد نجوم السماء" رواه البخاري.

٢ - وعنه أيضاً عن النبي ﷺ قال: "ليردن عليّ ناس من أصحابي الحوض، حتى إذا عرفتهم اختلجوا دوني، فأقول: أصحابي، فيقول: لا تدري ما أحدثوا بعدك". رواه مسلم.

٣ - وروى الإمام أحمد عن أنس بن مالك ﷺ قال: أغفى رسول الله ﷺ إغفاءة فرفع رأسه مبتسماً، إما قال لهم، وإما قالوا له: لم ضحكْتَ؟ فقال رسول الله ﷺ: "إنه نزلت عليّ آنفاً سورة"، فقرأ: ﴿يَسِّرْ اللَّهُ الرِّجْزَ﴾ **﴿١﴾** حتى ختمها ثم قال: "هل تدرون ما الكوثر؟" قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: "هو نهر أعطانيه ربي ﷺ في

الجنة، عليه خير كثير، ترد عليه أمتي يوم القيامة، آيته عدد الكواكب، يُختلج العبد منهم، فأقول: يا رب، إنه من أمتي، فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك".

٤ - ورواه مسلم، ولفظه: "هو نهر وعدنيه ربي، عليه خير كثير، هو حوض ترد عليه أمتي يوم القيامة"، والباقي مثله.

٥ - وروى البخاري ومسلم عن جندب بن عبد الله البجلي رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "أنا فَرَطُكُمْ على الحوض". والفرط: الذي يسبق إلى الماء.

٦ - وروى البخاري عن سهل بن سعد الأنصاري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "إني فرطكم على الحوض، من مر علي، شرب، ومن شرب، لم يظمأ أبداً، ليردن عليّ أقوام أعرفهم ويعرفوني، ثم يحال بيني وبينهم". قال أبو حازم: فسمعني النعمان بن أبي عياش وأنا أحدثهم هذا، فقال: هكذا سمعت من سهل؟ فقلت: نعم، فقال: أشهد على أبي سعيد الخدري، لسمعته وهو يزيد فيها، فأقول: "إنهم من أمتي فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك. فأقول: سحقاً سحقاً لمن غير بعدي".

س ٣٦٣: ماذا أفاد الحديث الذي رواه مسلم وأحمد، وذُكر آنفاً، وفيه ذكر نهر الكوثر والحوض؟.

ج: قال الشارح: معنى ذلك أنه يشخب فيه ميزابان من ذلك الكوثر إلى الحوض، والحوض في العرصات قبل الصراط، لأنه يختلج عنه، ويمنع عنه أقوام قد ارتدوا على أعقابهم، مثل هؤلاء، لا يجاوزون الصراط.

س ٣٦٤: ما صفة الحوض؟.

ج: قال الشارح: والذي يتلخص من الأحاديث الواردة في صفة الحوض:

أنه حوض عظيم، ومورد كريم، يمد من شراب الجنة، من نهر الكوثر الذي هو أشد بياضاً من اللبن، وأبرد من الثلج، وأحلى من العسل، وأطيب

ريحاً من المسك، وهو في غاية الاتساع، عرضه وطوله سواء، كل زاوية من زواياه مسيرة شهر. وفي بعض الأحاديث، أنه كلما شرب منه فهو في زيادة واتساع.

س ٣٦٥: أيهما قبل الآخر، الميزان أم الحوض؟.

ج: قال العلامة القرطبي رحمه الله تعالى في " التذكرة " : واختلف في الميزان والحوض، أيهما يكون قبل الآخر؟، فقل: الميزان قبل، وقيل: الحوض. قال أبو الحسن القابسي: والصحيح أن الحوض قبل، قال القرطبي: والمعنى يقتضيه، فإن الناس يخرجون عطاشاً من قبورهم، كما تقدم، فيقدم قبل الميزان والصراط.

قال أبو حامد الغزالي رحمه الله، في كتاب " كشف علوم الآخرة " : حكى بعض السلف من أهل التصنيف، أن الحوض يورد بعد الصراط وهو غلط من قائله.

قال القرطبي: هو كما قال، ثم قال القرطبي: ولا يخطر ببالك أنه في هذه الأرض، بل في الأرض المبدلة، أرض بيضاء كالفضة، لم يسفك فيها دم، ولم يظلم على ظهرها أحد قط، تظهر لنزول الجبار جل جلاله لفصل القضاء. انتهى.



الفصل الحادي عشر

الشفاعة

الشفاعة

س ٣٦٦: قال الإمام الطحاوي: " والشفاعة التي ادخرها لهم حق، كما روي في الأخبار "، ما أنواع الشفاعة، وهل اتفقت الأمة عليها؟ .

ج: الشفاعة أنواع: منها ما هو متفق عليه بين الأمة، ومنها ما خالف فيه المعتزلة ونحوهم من أهل البدع:

١ - النوع الأول: الشفاعة الأولى، وهي العظمى، الخاصة بنبينا ﷺ من بين سائر إخوانه من الأنبياء والمرسلين، صلوات الله عليهم أجمعين.

٢ - النوع الثاني: شفاعته ﷺ في أقوام قد تساوت حسناتهم وسيئاتهم، فيشفع فيهم ليدخلوا الجنة.

٣ - النوع الثالث: شفاعته ﷺ في آخرين قد أمر بهم إلى النار أن لا يدخلوها.

٤ - النوع الرابع: شفاعته ﷺ في رفع درجات من يدخل الجنة فيها فوق ما كان يقتضيه ثواب أعمالهم.

٥ - النوع الخامس: الشفاعة في أقوام أن يدخلوا الجنة بغير حساب.

٦ - النوع السادس: الشفاعة في تخفيف العذاب عمن يستحقه، كشفاعته في عمه أبي طالب أن يخفف عنه عذابه.

٧ - النوع السابع: شفاعته أن يؤذن لجميع المؤمنين في دخول الجنة.

٨ - النوع الثامن: شفاعته في أهل الكبائر من أمته، ممن دخل النار، فيخرجون منها.

س ٣٦٧: ما هي الشفاعة التي تُشارك فيها نبينا ﷺ الملائكة والنبيون والمؤمنون؟.

ج: هي النوع الثامن: شفاعته في أهل الكبائر من أمته، ممن دخل النار، فيخرجون منها. وهو المقدم فيها ﷺ.

س ٣٦٨: ما دليل الشفاعة العظمى له ﷺ؟.

ج: دليل الشفاعة العظمى في " الصحيحين " وغيرهما عن جماعة من الصحابة رضي الله عنهم أجمعين، منها حديث أبي هريرة: " أتى رسول الله ﷺ بلحم، فدفع إليه منها الذراع، وكانت تعجبه، فنهس منها نهسة، ثم قال: أنا سيد الناس يوم القيامة - الى قوله ﷺ عن عيسى عليه السلام - اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى محمد ﷺ فيأتوني، فيقولون: يا محمد، أنت رسول الله، وخاتم الأنبياء، غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، فاشفع لنا إلى ربك، ألا ترى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما قد بلغنا؟ فأقوم فأتي تحت العرش، فأقع ساجداً لربي ﷻ، ثم يفتح الله عليّ، ويلهمني من محامده، وحسن الثناء عليه ما لم يفتحه على أحد قبلي، فيقال: يا محمد، ارفع رأسك، سل تعطه، اشفع تشفع، فأقول: يارب أمتي أمتي، فيقال: أدخل من أمتك من لا حساب عليه من الباب الأيمن من أبواب الجنة، وهم شركاء الناس فيما سواه من الأبواب، ثم قال: والذي نفسي بيده، لما بين مصراعين من مصاريع الجنة كما بين مكة وهجر، أو كما بين مكة وبصرى".

س ٣٦٩: لماذا اقتصر العلماء على ذكر الشفاعة في عصاة الأمة، ولا يذكرون أمر الشفاعة العظمى إذا أوردوا طرق حديث الشفاعة؟.

ج: قال الشارح: والعجب كل العجب، من إيراد الأئمة لهذا الحديث من أكثر طرقه، لا يذكرون أمر الشفاعة الأولى في أن يأتي الرب تعالى لفصل القضاء، كما ورد في حديث الصور. فإنه المقصود في هذا المقام، ومقتضى سياق أول الحديث، فإن الناس إنما يستشفعون إلى آدم فمن بعده من الأنبياء في أن يفصل بين الناس، ويستريحوا من مقامهم، كما دلت عليه سياقاته من سائر طرقه، فإذا وصلوا إلى الجزء. إنما يذكرون الشفاعة

في عصاة الأمة وإخراجهم من النار.

وكان مقصود السلف في الاقتصار على هذا المقدار من الحديث، هو الرد على الخوارج ومن تابعهم من المعتزلة، الذين أنكروا خروج أحد من النار بعد دخولها، فيذكرون هذا القدر من الحديث الذي فيه النص الصريح في الرد عليهم، فيما ذهبوا إليه من البدعة المخالفة للأحاديث.

(س ٣٧٠) ما الشفاعة التي وافقت فيها المعتزلة أهل السنة والجماعة؟

(ج) قال الشارح: شفاعته ﷺ في رفع درجات من يدخل الجنة فيها فوق ما كان يقتضيه ثواب أعمالهم. وقد وافقت المعتزلة على هذه الشفاعة خاصة، وخالفوا فيما عداها من المقامات، مع تواتر الأحاديث فيها.

(س ٣٧١) ما الدليل على شفاعته ﷺ في أقوام أن يدخلوا الجنة بغير حساب؟

(ج) قال الشارح: ويحسن أن يستشهد لهذا النوع بحديث عُكَّاشَةَ بن محصن، حين دعا له رسول الله ﷺ أن يجعله من السبعين ألفاً الذين يدخلون الجنة بغير حساب، والحديث مخرج في الصحيحين.

(س ٣٧٢) إن قال قائل أن الشفاعة في تخفيف العذاب عمن يستحقه من أهل النار لا تنفع واستدل بقوله تعالى: ﴿فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَعَةُ الشَّافِعِينَ﴾ (٤٨). فبم تجيب؟

(ج) قيل له: كما أجاب القرطبي في "التذكرة": لا تنفعه في الخروج من النار كما تنفع عصاة الموحدين الذين يخرجون منها ويدخلون الجنة.

(س ٣٧٣) ذكر الشارح شفاعته ﷺ أربع مرات، فما هي؟

(ج) هي النوع الثامن: شفاعته في أهل الكبائر من أمته، ممن دخل النار، فيخرجون منها.

(س ٣٧٤) ما الدليل على النوع الثامن من الشفاعة، الشفاعة في أهل الكبائر؟

(ج: ١) - من أحاديث هذا النوع حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي" رواه الإمام أحمد رحمه الله.

٢ - وما رواه البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه في حديث الشفاعة الطويل، وفيه: "... فيقال: يا محمد، أرفع رأسك، وقل يسمع لك، واشفع تشفع، وسل تعط، فأقول: يا رب، أمتي أمتي، فيقال: انطلق فأخرج من كان في قلبه ذرة، أو خردلة من إيمان، فأنتقل فأفعل، ثم أعود فأحمده بتلك المحامد، ثم أقر له ساجداً، فيقال: يا محمد، أرفع رأسك، وقل يسمع لك، واشفع تشفع، وسل تعط، فأقول: يا رب، أمتي أمتي، فيقول: انطلق فأخرج من كان في قلبه أدنى أدنى مثقال حبة خردل من إيمان، فأخرجه من النار، فأنتقل فأفعل، قال: فلما خرجنا من عند أنس، قلت: لو مررنا بالحسن وهو متوار في منزل أبي خليفة، فحدثناه بما حدثنا أنس بن مالك، فأتيناه فسلمنا عليه، فأذن لنا، فقلنا له: يا أبا سعيد، جئناك من عند أخيك أنس بن مالك، فلم نر مثلاً ما حدثنا في الشفاعة، فقال: هيه، فقلنا: لم يزد لنا على هذا، فقال: حدثني وهو جميع، منذ عشرين سنة، فما أدري، أنسي أم كره أن تتكلموا؟ فقلنا: يا أبا سعيد فحدثنا، فضحك وقال: خلق الإنسان عجولاً، ما ذكرته إلا وأنا أريد أن أحدثكم حديثي كما حدثكم، قال: ثم أعود الرابعة، فأحمده بتلك المحامد، ثم أقر له ساجداً، فيقال: يا محمد، أرفع رأسك، وقل يسمع لك، وسل تعطه، واشفع تشفع، فأقول: يا رب، ائذن لي فيمن قال: لا إله إلا الله، فيقول: وعزتي وجلالي وكبريائي وعظمتي، لأخرجن منها من قال: لا إله إلا الله ". وهكذا رواه مسلم.

س ٣٧٥: هات دليلاً من السنة على شفاعته غير الأنبياء من الملائكة والعلماء والشهداء، وغيرهم؟.

(ج: ١) - روى الحافظ أبو يعلى عن عثمان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "يشفع يوم القيامة ثلاثة: الأنبياء، ثم العلماء، ثم الشهداء ". (قلت: وفي إسناده ضعف).

٢ - وفي الصحيح من حديث أبي سعيد رضي الله عنه مرفوعاً، قال: " فيقول الله تعالى: شفعت الملائكة، وشفع النبيون، وشفع المؤمنون، ولم يبق إلا أرحم الراحمين، فيقبض قبضةً من النار، فيخرج منها قوماً لم يعملوا خيراً قط ". الحديث.

س ٣٧٦: ما أقوال الناس في الشفاعة؟ .

ج: قال الشارح: ثم إن الناس في الشفاعة على أقوال:

١ - فالمشركون والنصارى والمبتدعون من الغلاة في المشايخ وغيرهم: يجعلون شفاعة من يعظمونه عند الله كالشفاعة في الدنيا.

٢ - والمعتزلة والخوارج أنكروا شفاعة نبينا ﷺ وغيره في أهل الكبائر.

٣ - وأما أهل السنة والجماعة، فيقرون بشفاعة نبينا ﷺ في أهل الكبائر، وشفاعة غيره. لكن لا يشفع أحد حتى يأذن الله لمن يشاء.

س ٣٧٧: ما الدليل على أن الشفاعة لا تكون حتى يأذن الله لمن يشاء، ويحد له حداً؟ .

ج: من القرآن:

١ - قوله تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ .

٢ - وقال تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾ .

٣ - وقال تعالى: ﴿مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ﴾ .

٤ - وقال تعالى: ﴿قُلْ لِلَّهِ الشَّفَعَةُ جَمِيعًا﴾ وغيرها من الآيات.

٥ - وفي الحديث الصحيح، حديث الشفاعة: " إنهم يأتون آدم ثم نوحاً ثم إبراهيم، ثم موسى، ثم عيسى، فيقول لهم عيسى عليه السلام: اذهبوا إلى محمد، فإنه عبد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فيأتوني، فأذهب، فإذا رأيت ربي، خررت له ساجداً، فأحمد ربي بمحمد يفتحها علي، لا أحسنها الآن، فيقول: أي محمد، ارفع رأسك، وقل يسمع، واشفع تشفع، فأقول: ربي أمتي، فيحد لي حداً ". ذكر هذا ثلاث مرات.

س ٣٧٨: ما حكم الاستشفاع بالنبي ﷺ وغيره في الدنيا إلى الله تعالى في الدعاء؟.

ج: الاستشفاع بالنبي ﷺ وغيره في الدنيا إلى الله تعالى في الدعاء، ففيه تفصيل: فإن الداعي تارة يقول: بحق نبيك، أو بحق فلان، يقسم على الله بأحد من مخلوقاته، فهذا محذور من وجهين: أحدهما: أنه أقسم بغير الله.

والثاني: اعتقاده أن لأحد على الله حقاً. ولا يجوز الحلف بغير الله، وليس لأحد على الله حق إلا ما أحقه على نفسه. فهذا حق وجب بكلماته التامة، ووعد الصادق، لا أن العبد نفسه يستحق على الله شيئاً كما يكون للمخلوق على المخلوق.

س ٣٧٩: ما الحق الذي أحقه الله على نفسه، والحق الذي أحقه على عباده؟.

ج: الحق الذي أحقه الله على نفسه، كقوله تعالى:

١ - ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾. وعلى عباده:

٢ - كذلك ما ثبت في الصحيحين، من قوله ﷺ لمعاذ رضي الله عنه، وهو رديفه: "يا معاذ أتدري ما حق الله على عباده؟ قال: قلت: الله ورسوله أعلم، قال: حقه عليهم أن يعبدوه لا يشركوا به شيئاً، أتدري ما حق العباد على الله إذا فعلوا ذلك؟ قلت: الله ورسوله أعلم، قال: حقهم عليه أن لا يعذبهم".

س ٣٨٠: إن قال قائل: إن لنا حقاً على الله، فنحن نسأله بهذا الحق، ونتوسل بهذا الحق! فماذا يجاب؟.

ج: الله تعالى هو المنعم على عباده بكل خير، وحقهم الواجب بوعده هو أن لا يعذبهم، وترك تعذيبهم معنى لا يصلح أن يُقسم به، ولا أن يسأل بسببه، ويتوسل به، لأن السبب هو ما نصبه الله سبباً.

(س ٣٨١): إن احتج بالحديث: "أسألك بحق ممشي هذا، وبحق السائلين عليك" على جواز السؤال بهذا الحق، فكيف تجيب؟.

(ج): الحديث في مسند الإمام أحمد من حديث أبي سعيد رضي الله عنه عن النبي ﷺ في قول الماشي إلى الصلاة: "أسألك بحق ممشي هذا، وبحق السائلين عليك" ^(١).

فالحديث لا يحتج به لضفعه، وإن ثبت فهذا حق السائلين، هو أوجه على نفسه، فهو الذي أحق للسائلين أن يجيبهم، وللعابدين أن يثيبهم، ولقد أحسن القائل:

ما للعباد عليه حق واجب كلا ولا سعي لديه ضائع
إن عذبوا فبعده، أو نعموا فبفضله وهو الكريم الواسع

(س ٣٨٢): إن احتج فقال: فما الفرق بين قول الداعي: "بحق السائلين عليك" وبين قوله: "بحق نيك" أو نحو ذلك؟.

(ج): يجاب أن معنى قوله: "بحق السائلين عليك" أنك وعدت السائلين بالإجابة، وأنا من جملة السائلين، فأجب دعائي، بخلاف قوله: بحق فلان، فإن فلاناً وإن كان له حق على الله بوعده الصادق، فلا مناسبة بين ذلك وبين إجابة دعاء هذا السائل، فكأنه يقول: لكون فلان من عبادك الصالحين أجب دعائي! وأي مناسبة في هذا وأي ملازمة؟ وإنما هذا من الاعتداء في الدعاء، وقد قال تعالى: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُمْ لَا يُحِبُّ الْمَعْدِيَةَ﴾ (٥٥). وهذا ونحوه من الأدعية المبتدعة، ولم ينقل عن النبي ﷺ ولا عن الصحابة، ولا عن التابعين، ولا عن أحد من الأئمة رضي الله عنهم، وإنما يوجد مثل هذا في الحروز والهيكل التي يكتبها الجهال والطريقة.

والدعاء من أفضل العبادات، والعبادات مبناه على السنة والاتباع لا على الهوى والابتداع.

(١) إسناده ضعيف.

س ٣٨٣: إن كان مراد هذا السائل الإقسام على الله بحق فلان، فما الحكم؟

ج: إن كان مراده الإقسام على الله بحق فلان، فذلك محذور أيضاً، لأن الإقسام بالمخلوق على المخلوق لا يجوز، فكيف على الخالق؟! وقد قال ﷺ: "من حلف بغير الله فقد أشرك". ولهذا قال أبو حنيفة وصاحباؤه رضي الله عنهم: يكره أن يقول الداعي: أسألك بحق فلان، أو بحق أنبيائك ورسلك، وبحق البيت الحرام، والمشعر الحرام، ونحو ذلك. حتى كره أبو حنيفة ومحمد رضي الله عنهما أن يقول الرجل: اللهم إني أسألك بمعقد العز من عرشك، ولم يكرهه أبو يوسف رحمه الله لما بلغه الأثر فيه^(١).

س ٣٨٤: ما حكم قول القائل: بجاه فلان عندك، أو نتوسل إليك بأنبيائك ورسلك وأوليائك؟

ج: مراد هذا السائل: لأن فلاناً عندك ذو وجهة وشرف ومنزلة، فأجب دعاءنا، وهذا أيضاً محذور، فإنه لو كان هذا التوسل الذي كان الصحابة يفعلون في حياة النبي ﷺ، لفعلوه بعد موته، وإنما كانوا يتوسلون في حياته بدعائه، يطلبون منه أن يدعوا لهم، وهم يؤمنون على دعائه، كما في الاستسقاء وغيره، فلما مات ﷺ قال عمر رضي الله عنه - لما خرجوا يستسقون -: "اللهم إنا كنا إذا أجدبنا نتوسل إليك بنبينا فتسقيننا، وإننا نتوسل إليك بعم نبينا".

معناه بدعائه هو ربّه وشفاعته وسؤاله، ليس المراد أنا نقسم عليك به، أو نسألك بجاهه عندك، إذ لو كان ذلك مراداً، لكان جاه النبي ﷺ أعظم وأعظم من جاه العباس.

س ٣٨٥: ما حكم التوسل إلى الله بالإيمان به واتباعه لرسوله ﷺ؟

ج: التوسل بالإيمان بالله واتباع رسوله ﷺ والإيمان به ومحبته، والإيمان بسائر الأنبياء والرسل وتصديقه لهم، ونحو ذلك، فهذا من أحسن ما يكون من الدعاء والتوسل والاستشفاع.

(١) وهو أثر لا يثبت لضعفه الشديد، وهو: "اللهم إني أسألك بمعقد العز من عرشك".

(س ٣٨٦): ذكر الشارح أن لفظ التوسل بالشخص والتوجه به فيه إجمال غلط بسببه من لم يفهم معناه، أوضح هذا المعنى؟.

(ج): قال الشارح: فلفظ التوسل بالشخص والتوجه به فيه إجمال، غلط بسببه مَنْ لم يفهم معناه، فإن أريد به التسبب به لكونه داعياً وشافعاً، وهذا في حياته يكون، أو لكون الداعي محباً له، مطيعاً لأمره، مقتدياً به، وذلك أهلٌ للمحبة والطاعة والافتداء، فيكون التوسل إما بدعاء الوسيلة وشفاعته. وإما بمحبته السائل واتباعه، ويراد به الإقسام به والتوسل بذاته، فهذا الثاني هو الذي كرهوه، ونهوا عنه.

(س ٣٨٧): ما حكم التوسل بصالح الأعمال، وما الدليل على ذلك؟.

(ج): حكمه جائز، والدليل عليه: حديث الثلاثة الذين أووا إلى الغار، وهو حديث مشهور في الصحيحين وغيرهما، فإن الصخرة انطبقت عليهم، فتوسلوا إلى الله بذكر أعمالهم الصالحة الخالصة، وكل واحد منهم يقول: فإن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك، فافرج عنا ما نحن فيه، فانفرجت الصخرة، فخرجوا يمشون.

فهؤلاء دعوا الله بصالح الأعمال، لأن الأعمال الصالحة هي أعظم ما يتوسل به العبد إلى الله، ويتوجه به إليه، ويسأله به، لأنه وعد أن يستجيب للذين آمنوا وعملوا الصالحات، ويزيدهم من فضله.

(س ٣٨٨): هل الشفاعة عند الله كالشفاعة عند البشر؟.

(ج): الشفاعة عند الله ليست كالشفاعة عند البشر، فإن الشفيع عند البشر كما أنه شافع للطالب شفاعة في الطلب، بمعنى أنه صار شفيعاً فيه بعد أن كان وترّاً، فهو أيضاً قد شفع المشفوع إليه، فبشفاعته صار فاعلاً للمطلوب، فقد شفع الطالب والمطلوب منه، والله تعالى وترٌّ، لا يشفعه أحدٌ، فلا يشفع عنده أحدٌ إلا بإذنه، فالأمر كله إليه، فلا شريك له بوجه. فسيد الشفعاء يوم القيامة إذا سجد وحمد الله تعالى: ، فقال له الله: «ارفع رأسك، وقل يسمع، وسل تعط، واشفع تشفع"، فيحد له حداً فيدخلهم الجنة. فالأمر كله لله، كما قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ﴾ وقال تعالى: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ وقال تعالى: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾. فإذا كان لا يشفع عنده

أحدٌ إلا بإذنه لمن يشاء، ولكن يكرم الشفيع بقبول شفاعته، كما قال ﷺ: "اشفعوا تؤجروا، ويقضي الله على لسان نبيه ما يشاء".

(س ٣٨٩) ما الدليل على أن الرسول لا يملك لأحد من البشر شيئاً إلا أن يشاء الله؟

(ج) ما تقدم من أدلة الكتاب الكريم:

- ١ - كقوله تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾.
- ٢ - وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾.
- ٣ - وقوله تعالى: ﴿مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ﴾.
- ٤ - وقوله تعالى: ﴿قُلْ لِلَّهِ الشَّفَعَةُ جَمِيعًا﴾.
- ٥ - وقوله تعالى: ﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى﴾ (٢٦). وغيرها من الآيات.

ومن السنة:

- ٦ - في الصحيح قوله ﷺ: "يا بني عبد مناف، لا أملك لكم من الله من شيء، يا صفية عمة رسول الله لا أملك لك من الله من شيء، يا عباس عم رسول الله، لا أملك لك من الله من شيء".
- ٧ - وفي الصحيح أيضاً: "لا أُلْفِينُ أحدكم يأتي يوم القيامة على رقبته بغير له رغاء، أو شاة لها يعار، أو رقاع تخفق، فيقول: أغثني أغثني، فأقول: قد أبلغتك، لا أملك لك من الله من شيء".

فإذا كان سيد الخلق وأفضل الشفعاء يقول لأخص الناس به: "لا أملك لكم من الله من شيء" فما الظن بغيره؟! وإذا دعاه الداعي، وشفع عنده الشفيع، فسمع الدعاء، وقبل الشفاعة، لم يكن هذا هو المؤثر فيه كما يؤثر المخلوق في المخلوق، فإنه سبحانه وتعالى هو الذي جعل هذا يدعو ويشفع، وهو الخالق لأفعال العباد، فهو الذي وفق العبد للتوبة ثم قبلها، وهو الذي وفقه للعمل، ثم أثابه، وهو الذي وفقه للدعاء ثم أجابه، وهذا مستقيم على أصول أهل السنة المؤمنين بالقدر، وأن الله خالق كل شيء.



الفصل الثاني عشر

الميثاق

الميثاق

س ٣٩٠: ما الميثاق؟

ج: الميثاق الحق الذي أخذه الله تعالى من آدم وذريته، قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ۖ﴾. يخبر سبحانه أنه استخرج ذرية بني آدم من أصلابهم شاهدين على أنفسهم أن الله ربهم ومليكمهم، وأنه لا إله إلا هو.

س ٣٩١: ما الدليل من السنة على أخذ الميثاق من بني آدم؟

ج: وردت أحاديث في أخذ الذرية من صلب آدم ﷺ، وتمييزهم إلى أصحاب اليمين، وإلى أصحاب الشمال، وفي بعضها الإشهاد عليهم بأن الله ربهم، فمنها:

١ - ما رواه الإمام أحمد عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: "إن الله أخذ الميثاق من ظهر آدم ﷺ بنعمان - يعني عرفة - فأخرج من صلبه كل ذرية ذراها، فنثرها بين يديه، ثم كلمهم قبلاً، قال: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا﴾ إلى قوله: ﴿الْمُطَّلُونَ﴾.

٢ - وروى الإمام أحمد أيضاً عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه: أنه سئل عن هذه الآية، فقال: سمعت رسول الله ﷺ سئل عنها، فقال: "إن الله خلق آدم ﷺ، ثم مسح ظهره بيمينه، فاستخرج منه ذرية، قال: خلقت هؤلاء

للجنة ويعمل أهل الجنة يعملون، ثم مسح على ظهره، فاستخرج منه ذرية، قال: خلقت هؤلاء للنار ويعمل أهل النار يعملون، فقال رجل: يا رسول الله، فقيم العمل؟ قال رسول الله ﷺ: إن الله ﷻ إذا خلق العبد للجنة استعمله بعمل أهل الجنة حتى يموت على عمل من أعمال أهل الجنة، وإذا خلق العبد للنار، استعمله بعمل أهل النار، حتى يموت على عمل من أعمال أهل النار، فيدخل به النار". ورواه أبو داود، والترمذي، والنسائي، وابن أبي حاتم، وابن جرير، وابن حبان في صحيحه.

٣ - وروى الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "لما خلق الله آدم مسح ظهره فسقط من ظهره كل نَسَمَةٍ هو خالقها من ذريته إلى يوم القيامة، وجعل بين عيني كل إنسان منهم وبيصاً من نور، ثم عرضهم على آدم، فقال: أي رب، مَنْ هؤلاء؟ قال: هؤلاء ذريتك، فرأى رجلاً منهم، فأعجبه وبيص عيني، فقال: أي رب، مَنْ هذا؟ قال: هذا رجل من آخر الأمم من ذريتك يقال له: داود، قال: رب كم عمره؟ قال: ستون سنة، قال: أي رب؛ زده من عمري أربعين سنة، فلما انقضى عمر آدم، جاء ملك الموت، قال: أو لم يبق من عمري أربعون سنة؟ قال: أو لم تعطها ابنك داود؟ قال: فجحد! فجحدت ذريته، ونسي آدم، فنسيت ذريته، وخطئ آدم فخطئت ذريته".

ثم قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح، ورواه الحاكم، وقال: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه.

٤ - وروى الإمام أحمد أيضاً عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: "يقال للرجل من أهل النار يوم القيامة: أرايت لو كان لك ما على الأرض من شيء، أكنت مفتدياً به؟ قال: فيقول: نعم، قال: فيقول: قد أردت منك أهون من ذلك، قد أخذت عليك في ظهر آدم أن لا تشرك بي شيئاً، فأبيت إلا أن تشرك بي". وأخرجاه في الصحيحين أيضاً.

وفي ذلك أحاديث أخر أيضاً كلها دالة على أن الله استخرج ذرية آدم من صلبه، وميز بين أهل النار وأهل الجنة.

س ٣٩٢: هل تدل الأحاديث الآتية - أحاديث أخذ الميثاق على ذرية آدم - على أن الأرواح مخلوقة قبل الأجساد؟.

ج: قال الشارح - بعد إيراد هذه الأحاديث -: من هنا قال من قال: إن الأرواح مخلوقة قبل الأجساد. وهذه الآثار لا تدل على سبق الأرواح الأجساد سبقاً مستقراً ثابتاً، وغايتها تدل على أن بارئها وفاطرها سبحانه صوّر النسمة، وقدر خلقها وأجلها وعملها، واستخرج تلك الصور من مادتها، ثم أعادها إليها، وقدر خروج كل فرد من أفرادها في وقته المقدر له، ولا يدل على أنها خلقت خلقاً مستقراً، واستمرت موجودةً ناطقةً كلها في موضع واحد، ثم يرسل منها إلى الأبدان جملةً بعد جملة، كما قال ابن حزم. فهذا لا تدل الآثار عليه. نعم الرب يخلق منها جملةً بعد جملة، على الوجه الذي سبق به التقدير أولاً، فيجيء الخلق الخارجي مطابقاً للتقدير السابق، كشأنه سبحانه في جميع مخلوقاته، فإنه قدر لها أقداراً وآجالاً وصفاتٍ وهيآت، ثم أبرزها إلى الوجود مطابقةً لذلك التقدير السابق.

فالآثار المروية في ذلك إنما تدل على القدر السابق، وبعضها يدل على أنه سبحانه استخرج أمثالهم وصورهم، وميز أهل السعادة من أهل الشقاوة.

س ٣٩٣: ما المراد بالإشهاد على بني آدم؟.

ج: قال الشارح: وأما الإشهاد عليهم هناك، فإنما هو في حديثين موقوفين على ابن عباس وابن عمرو رضي الله عنهم، ومن ثم قال قائلون من السلف: الخلف: ١ - إن المراد بهذا الإشهاد إنما هو فطريهم على التوحيد، كما تقدم في حديث أبي هريرة رضي الله عنه. ومعنى قوله: ﴿شَهِدْنَا﴾: أي قالوا: بلى شهدنا أنك ربنا، وهذا قول ابن عباس وأبي بن كعب.

٢ - وقال ابن عباس أيضاً: أشهد بعضهم على بعض.

٣ - وقيل: ﴿شَهِدْنَا﴾: من قول الملائكة، والوقوف على قوله: ﴿بَلَى﴾، وهذا قول مجاهد والضحاك والسدي.

٤ - وقال السدي أيضاً: هو خبر من الله تعالى عن نفسه وملائكته شهدوا على إقرار بني آدم.

والأول أظهر، وما عداه احتمال لا دليل عليه، وإنما يشهد ظاهر الآية للأول.

(س ٣٩٤) ماذا قال بعض أهل التفسير، في المراد بالإشهاد المذكور، وهل هي أقوال أهل السنة؟

(ج) قال الشارح: واعلم أن من المفسرين من لم يذكر سوى القول:

١ - بأن الله استخرج ذرية آدم من ظهره، وأشهدهم على أنفسهم ثم أعادهم، كالثعلبي والبغوي وغيرهما.

٢ - ومنهم من لم يذكره، بل ذكر أنه نصب لهم الأدلة على ربوبيته ووحدانيته.

وشهدت بها عقولهم وبصائرهم التي ركبها الله فيهم، كالزمخشري وغيره.

٣ - ومنهم من ذكر القولين كالواحدي والرازي والقرطبي وغيرهم.

لكن نسب الرازي القول الأول إلى أهل السنة، والثاني إلى المعتزلة.

(س ٣٩٥) ماذا رجح ابن أبي العز من الأقوال الثلاثة الآتية، وماذا رجح في قول من قال بالإشهاد عليهم هناك؟

(ج) قال رحمه الله: ولا ريب أن الآية لا تدل على القول الأول، أعني أن الأخذ من ظهر آدم، وإنما فيها أن الأخذ من ظهور بني آدم، وإنما ذكر الأخذ من ظهر آدم والإشهاد عليهم هناك في بعض الأحاديث، وفي بعضها الأخذ والقضاء بأن بعضهم إلى الجنة، وبعضهم إلى النار، كما في حديث عمر رضي الله عنه وفي بعضها الأخذ وإراءة آدم إياهم من غير قضاء ولا إشهاد، كما في حديث أبي هريرة.

والذي فيه الإشهاد - على الصفة التي قالها أهل القول الأول - موقوف على ابن عباس وابن عمرو، وتكلم فيه أهل الحديث، ولم يخرج أحداً من أهل الصحيح غير الحاكم في "المستدرک على الصحيحين" والحاكم معروف تساهله رحمه الله.

(س ٣٩٦): ورد في حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه الآنف: " . . خلقت هؤلاء للجنة ويعمل أهل الجنة يعملون . . . وخلقت هؤلاء للنار ويعمل أهل النار يعملون " فماذا أفاد لفظ الحديث؟ .

(ج): قال الشارح: والذي فيه القضاء بأن بعضهم إلى الجنة وبعضهم إلى النار، دليل على مسألة القدر، وذلك شواهد كثيرة، ولا نزاع فيه بين أهل السنة، وإنما يخالف فيه القدرية المبطلون المبتدعون .

(س ٣٩٧): هل اتفق أهل السنة والجماعة على القول الأول: بأن الله استخرج ذرية آدم من ظهره، وأشهدهم على أنفسهم؟ .

(ج): لم يتفق أهل السنة والجماعة على هذا، والنزاع فيه بينهم من السلف والخلف، وسيأتي ذكر الأقوال فيها قريباً .

(س ٣٩٨): ما أقوال العلماء في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ...﴾ الآية؟ .

(ج): قال القرطبي: وهذه الآية مشكلة، وقد تكلم العلماء في تأويلها، فنذكر ما ذكره من ذلك حسب ما وقفنا عليه، فقال قوم:

١ - معنى الآية: أن الله أخرج من ظهر بني آدم بعضهم من بعض . قالوا: ومعنى: ﴿وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ . دلهم بخلقه على توحيده، لأن كل بالغ يعلم ضرورة أن له رباً واحداً ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ . أي: قال، فقام ذلك مقام الإشهاد عليهم والإقرار منهم، كما قال تعالى في السماوات والأرض: ﴿قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ ، ذهب إلى هذا القفال وأطنب .

٢ - وقيل: إنه سبحانه أخرج الأرواح قبل خلق الأجساد، وأنه جعل فيها من المعرفة ما علمت به ما خاطبها .

ثم ذكر القرطبي بعد ذلك الأحاديث الواردة في ذلك إلى آخر كلامه . وأقوى ما يشهد لصحة القول الأول: حديث أنس المخرج في الصحيحين، الذي فيه: " قد أردت منك أهون من ذلك، قد أخذت عليك في ظهر آدم أن لا تشرك بي شيئاً، فأبيت إلا أن تشرك بي " . ولكن قد روي

من طريق أخرى: " قد سألتك أقل من ذلك وأيسر فلم تفعل، فيرد إلى النار". وليس فيه: في ظهر آدم، وليس في الرواية الأولى إخراجهم من ظهر آدم على الصفة التي ذكرها أصحاب القول الأول.

س ٣٩٩: ذكر الشارح أن القول الأول تضمن أمرين عجيبين، فما هما؟.

ج: ١ - أحدهما: كون الناس تكلموا حينئذٍ، وأقروا بالإيمان، وأنه بهذا تقوم الحجة عليهم يوم القيامة.

٢ - الثاني: أن الآية دلت على ذلك، والآية لا تدل عليه لوجوه عدة.

س ٤٠٠: ذكر الشارح أن الآية لا تدل على القول الأول، بأن الله دلهم على

توحيده، وأنهم أقروا بالإيمان به، من وجوه عدة ما هي؟.

ج: أحدها: أنه قال: ﴿مِنْ بَنِيَّ ءَادَمَ﴾ ولم يقل: من آدم.

الثاني: أنه قال: ﴿مِنْ ظُهُورِهِمْ﴾ ولم يقل: من ظهره، وهذا بدل بعض أو بدل اشتمال، وهو أحسن.

الثالث: أنه قال: ﴿ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ ولم يقل ذريته.

الرابع: أنه قال: ﴿وَأَشْهَدُهُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ﴾ أي: جعلهم شاهدين على أنفسهم، ولا بد أن يكون الشاهد ذاكراً لما شهد به، وهو إنما يذكر شهادته بعد خروجه إلى هذه الدار، كما تأتي الإشارة إلى ذلك، لا يذكر شهادة قبله.

الخامس: أنه سبحانه أخبر أن حكمة هذا الإشهاد إقامة الحجة عليهم لثلاث يقولوا يوم القيامة: ﴿إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾ (١٧٢)، والحجة إنما قامت عليهم بالرسول والفطرة التي فطروا عليها، كما قال تعالى: ﴿رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾.

السادس: تذكيرهم بذلك، لثلاث يقولوا يوم القيامة: ﴿إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾ (١٧٢)، ومعلوم أنهم غافلون عن الإخراج لهم من صلب آدم كلهم وإشهادهم جميعاً ذلك الوقت، فهذا لا يذكره أحد منهم.

السابع: قوله تعالى: ﴿أَوْ نَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ﴾، فذكر حكمتين في هذا الأخذ والإشهاد: ١ - أن لا يدعوا الغفلة،

٢- أو يدعوا التقليد، فالغافل لا شعور له، والمقلد متبع في تقليده لغيره، ولا تترتب هاتان الحكمتان إلا على ما قامت به الحجة من الرسل والفطرة.

الثامن: قوله: ﴿أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ﴾، أي: لو عذبهم بجحودهم وشركهم، لقالوا ذلك، وهو سبحانه إنما يهلكهم لمخالفة رسله وتكذيبهم، فلوا أهلكهم بتقليد آبائهم في شركهم من غير إقامة الحجة عليهم بالرسل، لأهلكهم بما فعل المبطلون، أو أهلكهم مع غفلتهم عن معرفة بطلان ما كانوا عليه، وقد أخبر سبحانه أنه لم يكن ليهلك القرى بظلم وأهلها غافلون، وإنما يهلكهم بعد الإعذار والإنذار بإرسال الرسل.

التاسع: أنه سبحانه أشهد كل واحد على نفسه أنه ربه وخالقه، واحتج عليه بهذا الإشهاد في غير موضع من كتابه، كقوله: ﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾، فهذه هي الحجة التي أشهدهم على أنفسهم بمضمونها، وذكرتهم بها رسله بقولهم: ﴿أَفَى اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾.

العاشر: أنه جعل هذا آية، وهي الدلالة البينة المستلزمة لمدلولها بحيث لا يتخلف عنها المدلول، وهذا شأن آيات الرب تعالى، فإنها أدلة معينة على مطلوب معين مستلزمة للعلم به، فقال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نَفْصِلُ الْآيَاتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ (١٧٤)، وإنما ذلك بالفطرة التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله، فما من مولود إلا يولد على الفطرة، لا يولد مولود على غير هذه الفطرة، هذا أمر مفروغ منه، لا يتبدل ولا يتغير. وقد تقدمت الإشارة إلى هذا. والله أعلم.

(س ٤٠١): لماذا ترك ابن عطية وغيره القول على ظاهره في أن الرب تعالى أخرجهم وأشهدهم على أنفسهم، ثم أعادهم؟

(ج): قال الشارح: وقد تفتن لهذا ابن عطية وغيره لكن هابوا مخالفة ظاهر تلك الأحاديث التي فيها التصريح بأن الله أخرجهم وأشهدهم على أنفسهم ثم أعادهم، وكذلك حكى القولين الشيخ أبو منصور الماتريدي في "شرح التأويلات" ورجح القول الثاني^(١)، وتكلم عليه ومال إليه.

(١) هو قولهم: أنه سبحانه أخرج الأرواح قبل الأجساد، وإنه جعل فيها من المعرفة ما علمت به ما خاطبها.

س ٤٠٢: هل الإقرار بالربوبية أمر طارئ والشرك فطري أم العكس؟ .

ج: لا شك أن الإقرار بالربوبية أمر فطري، والشرك حادث طارئ، والأبناء تقلدوه عن الآباء، فإذا احتجوا يوم القيامة بأن الآباء أشركوا، ونحن جرينا على عادة آبائهم في المطاعم والملابس والمساكن، يقال لهم: أنتم كنتم معترفين بالصانع، مقرين بأن الله ربكم لا شريك له، وقد شهدتم بذلك على أنفسكم، فإن شهادة المرء على نفسه هي إقراره بالشيء ليس إلا، قال الله تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا كُؤُوتًا قَوْمِينَ يَأْلُفُ سِطَ شَهَدَاءَ اللَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ ۖ﴾ . وليس المراد أن يقول: أشهد على نفسي بكذا، بل من أقر بشيء فقد أقر على نفسه به، فَلِمَ عدلتم عن هذه المعرفة والإقرار الذي شهدتم به على أنفسكم إلى الشرك؟ بل عدلتم عن المعلوم المتيقن إلى ما لا يعلم له حقيقة، تقليداً لمن لا حجة معه، بخلاف اتباعهم في العادات الدنيوية، فإن تلك لم يكن عندكم ما يُعلم به فسادها، وفيه مصلحة لكم، بخلاف الشرك، فإنه كان عندكم من المعرفة والشهادة على أنفسكم ما يُبين فساده وعدولكم فيه عن الصواب، فإن الدين الذي يأخذه الصبي عن أبويه دين التربية والعادة، وهو لأجل مصلحة الدنيا، فإن الطفل لا بد له من كافل، وأحق الناس به أبواه، ولهذا جاءت الشريعة بأن الطفل مع أبويه على دينهما في أحكام الدنيا الظاهرة، وهذا الدين لا يعاقبه الله عليه - على الصحيح - حتى يبلغ ويعقل، وتقوم عليه الحجة، وحينئذٍ فعليه أن يتبع دين العلم والعقل، وهو الذي يعلم بعقله هو أنه دين صحيح .

فإن كان آباؤه مهتدين، كيوسف الصديق مع آبائه، قال: ﴿وَأَتَيْتُ مِلَّةَ ءَابَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ ۖ﴾ ، وقال ليعقوب بنوه: ﴿نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ ءَابَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ ۖ﴾ .

وإن كان الآباء مخالفين للرسل، كان عليه أن يتبع الرسل، كما قال تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَلَدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ﴾ الآية .

فمن اتبع دين آبائه بغير بصيرة وعلم، بل يعدل عن الحق المعلوم إليه، فهذا اتبع هواه، كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ

قَالُوا بَلْ نَنبَغُ مَا آَلَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَتْ ءَابَاؤُهُمْ لَا يَفْقَهُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾ .

س ٤٠٣ : ما المراد بمسلمة الدار ومسلمة الاختيار؟ .

ج : قال الشارح - بعد الإسهاب في ذكر الفطرة وأن المرء يولد عليها، ثم يتغير بتأثير والديه - : وهذه حال كثير من الناس من الذين ولدوا على الإسلام، يتبع أحدهم أباه فيما كان عليه من اعتقاد ومذهب، وإن كان خطأ ليس هو فيه على بصيرة بل هو من مسلمة الدار، لا مسلمة الاختيار، وهذا إذا قيل له في قبره : من ربك؟ قال : هاه هاه، لا أدري، سمعت الناس يقولون شيئاً فقلته .



الفصل الثالث عشر

علم الله وتقديره المقادير

علم الله وتقديره المقادير

(س ٤٠٤) هل علم الله أزلاً أهل الجنة وأهل النار، وهل علم عدد من يدخل الجنة وعدد من يدخل النار، مع الاستدلال؟

(ج) نعم يعلم ذلك.

١ - قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَكُلُّ شَيْءٍ عَلَيْهِ﴾. ﴿وَكَانَ اللَّهُ يَكُلُّ شَيْءٍ عَلَيْهِ﴾. فالله تعالى موصوف بأنه بكل شيء عليم أزلاً وأبداً، لم يتقدم علمه بالأشياء جهالة: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾.

٢ - وعن علي بن أبي طالب عليه السلام، قال: كنا في جنازة في بقيع الغرقد، فأتانا رسول الله ﷺ فقعده وقعدنا حوله، ومعه مخرصة، فنكس رأسه، فجعل ينكت بمخرصته، ثم قال: ما منكم من أحد - أو قال - ما من نفس منفوسة إلا قد كتب الله مكانها من الجنة والنار، وإلا قد كتبت شقية أو سعيدة، قال: فقال رجل: يا رسول الله، أفلا نمكث على كتابنا، وندع العمل؟ فقال: من كان من أهل السعادة، فسيصير إلى عمل أهل السعادة، ومن كان من أهل الشقاوة، فسيصير إلى عمل أهل الشقاوة، ثم قال: اعملوا فكل ميسر لما خلق له، أما أهل السعادة، فييسرون لعمل أهل السعادة، وأما أهل الشقاوة فييسرون لعمل أهل الشقاوة " ثم قرأ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُعْطِيَ وَاتَّقَى﴾ (٥) ﴿وَصَدَقَ بِالْحَقِّ﴾ (٦) ﴿فَسَيَرْجُوهُ رَبُّهُ لِيُبْسِرَهُ﴾ (٧) ﴿وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى﴾ (٨) ﴿وَكَذَبَ بِالْحَقِّ﴾ (٩) ﴿فَسَيَرْجُوهُ رَبُّهُ لِيُعَسِّرَهُ﴾ (١٠).

خرجاه في الصحيحين.

س ٤٠٥ : استدل لقول الطحاوي: " وكل ميسر لما خلق له، والأعمال بالخواتيم، والسعيد من سعد بقضاء الله، والشقي من شقي بقضاء الله".

ج: ١ - تقدم حديث علي عليه السلام، وقوله عليه السلام: " اعملوا فكل ميسر لما خلق له".

٢ - وعن زهير عن أبي الزبير عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، قال: جاء سراق بن مالك بن جعشم، فقال: يا رسول الله، بين لنا ديننا كأننا خلقنا الآن، فيم العمل اليوم؟ أفيما جفت به الأقلام، وجرت به المقادير، أم فيما يستقبل؟ قال: "لا، بل فيما جفت به الأقلام، وجرت به المقادير" قال: ففيم العمل؟ قال زهير: ثم تكلم أبو الزبير بشئ لم أفهمه، فسألت: ما قال؟ فقال: " اعملوا فكل ميسر". رواه مسلم.

٣ - وعن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: " إن الرجل ليعمل عمل أهل الجنة فيما يبدو للناس، وهو من أهل النار، وإن الرجل ليعمل عمل أهل النار فيما يبدو للناس وهو من أهل الجنة" خرجاه في الصحيحين، وزاد البخاري: " وإنما الأعمال بالخواتيم".

٤ - وفي الصحيحين أيضاً عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق: " إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً، ثم يكون علقةً مثل ذلك، ثم يكون مضغةً مثل ذلك، ثم يرسل إليه الملك فينفخ فيه الروح ويؤمر بأربع كلمات: يَكْتُبُ رزقه وأجله وعمله وشقي أم سعيد، فوالذي لا إله غيره، إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب، فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب، فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها". والأحاديث في هذا الباب كثيرة، وكذلك الآثار عن السلف.

س ٤٠٦ : هل أهل السنة مجمعون على الإيمان بالقدر والآثار التي وردت فيه، ومن الذي نقل هذا الإجماع؟

ج: قال أبو عمر بن عبد البر في " التمهيد ": " قد أكثر الناس من تخريج

الآثار في هذا الباب، وأكثر المتكلمون من الكلام فيه، وأهل السنة مجتمعون على الإيمان بهذه الآثار واعتقادها، وترك المجادلة فيها، وبالله العصمة والتوفيق.

س ٤٠٧ : ما معنى قول الشارح: " وأصل القدر سر الله في خلقه، لم يطلع على ذلك ملك مقرب.. ؟".

ج : أصل القدر سر الله في خلقه، وهو كونه أوجد وأفنى، وأفقر وأغنى، وأمات وأحيا، وأضل وهدى. قال علي عليه السلام: القدر سر الله فلا تكشفه.

س ٤٠٨ : هل هناك نزاع في مسألة القدر، وما قول أهل السنة فيه، ومن أشهر من خالفهم فيه؟.

ج : قال الشارح: والنزاع بين الناس في مسألة القدر مشهور، والذي عليه أهل السنة والجماعة: أن كل شيء بقضاء الله وقدره، وأن الله تعالى خلق أفعال العباد، قال تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ **(٤٩)** وقال تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ بَدَلًا﴾. وأن الله تعالى يريد الكفر من الكافر ويشاؤه، ولا يرضاه ولا يحبه، فيشاؤه كوناً ولا يرضاه ديناً.

وخالف في ذلك القدرية والمعتزلة.

س ٤٠٩ : لم أنكرت المعتزلة والقدرية، أن يكون الله قدر الكفر على الكافر؟.

ج : وخالف في ذلك القدرية والمعتزلة، وزعموا أن الله شاء الإيمان من الكافر، ولكن الكافر شاء الكفر، فروا إلى هذا لثلا يقولوا: شاء الكفر من الكافر وعذبه عليه! ولكن صاروا كالمستجير من الرمضاء بالنار! فإنهم هربوا من شيء، فوقعوا فيما هو شر منه، فإنه يلزمهم أن مشيئة الكافر غلبت مشيئة الله تعالى، فإن الله قد شاء الإيمان منه - على قولهم - والكافر شاء الكفر، ف وقعت مشيئة الكافر دون مشيئة الله تعالى! وهذا من أقبح الاعتقاد، وهو قول لا دليل عليه، بل هو مخالف للدليل.

وروى عمر بن الهيثم قال: خرجنا في سفينة وصحبنا فيها قدر

ومجوسي، فقال القدري للمجوسي: أَسْلِم، قال المجوسي: حتى يريد الله، فقال القدري: إن الله يريد، ولكن الشيطان لا يريد، قال المجوسي: أراد الله وأراد الشيطان، فكان ما أراد الشيطان! هذا شيطان قوي!!، وفي رواية أنه قال: فأنا مع أقواهما!.

ووقف أعرابي على حلقة فيها عمرو بن عبيد، فقال: يا هؤلاء إن ناقتي سرقت، فادعوا الله أن يردها عليّ، فقال عمرو بن عبيد: اللهم إنك لم ترد أن تسرق ناقتي فسرقت، فارددها عليه، فقال الأعرابي: لا حاجة لي في دعائك. قال: ولم؟ قال: أخاف - كما أراد أن لا تسرق فسرقت - أن يريد ردها فلا تُردّها!.

وقال رجل لأبي عاصم القسطلاني: أرايت إن منعني الهدى وأوردني الضلال ثم عذبنني، أأكون منصفاً؟ فقال له أبو عاصم: إن يكن شيئاً هو له، فله أن يعطيه من يشاء، ويمنعه من يشاء.

س ٤١٠: ما الأدلة من الكتاب على القدر؟.

ج: الأدلة من الكتاب كثيرة، منها:

١ - قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدًى وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ (١٣).

٢ - وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعاً أَفَأَنْتَ تَكْذِبُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ (٩٩).

٣ - وقوله تعالى: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ (٢٩).

٤ - وقوله تعالى: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً﴾ (٣٠).

٥ - وقوله تعالى: ﴿مَنْ يَشَأِ اللَّهُ يُضِلَّهُ وَمَنْ يَشَأِ يُجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾.

٦ - وقوله تعالى: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً كَأَنَّمَا يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ﴾.

س ٤١١: ما منشأ الضلال عند من ضل في القدر؟.

ج: منشأ الضلال: من التسوية بين:

المشيئة والإرادة وبين: المحبة والرضى

فسوى بينهما الجبرية والقدرية، ثم اختلفوا.

- فقالت الجبرية: الكون كله بقضائه وقدره، فيكون محبوباً مرضياً!

- وقال القدرية النفاة: ليست المعاصي محبوبةً لله، ولا مرضيةً له، فهي

خارجة عن مشيئته وخلقه.

س ٤١٢: هل هناك فرق بين المشيئة والمحبة، مع الاستدلال؟.

ج: نعم هناك فرق، وقد دل الكتاب والسنة والفطرة الصحيحة، أما نصوص المشيئة والإرادة من الكتاب فقد تقدم ذكر بعضها، وأما نصوص المحبة والرضا،

١ - فقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ﴾.

٢ - وقال تعالى: ﴿وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ﴾.

٣ - وقال تعالى، عقيب ما نهى عنه من الشرك والظلم والفواحش:

﴿كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا﴾ (٢٨)، ومن السنة:

٤ - في الصحيح عن النبي ﷺ: "إن الله كره لكم ثلاثاً: قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال".

٥ - وفي المسند: "إن الله يحب أن يؤخذ برخصه، كما يكره أن تؤتى معصيته".

٦ - وكان من دعائه ﷺ: "اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك،

وأعوذ بمعافاتك من عقوبتك، وأعوذ بك منك".

س ٤١٣: اشرح قوله ﷺ: "اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك، وأعوذ

بمعافاتك من عقوبتك، وأعوذ بك منك".؟.

ج: قال الشارح: فتأمل ذكر استعاذته بصفة الرضا من صفة السخط، وبفعل

المعافاة من فعل العقوبة، فالأول للصفة، والثاني لأثرها المرتب عليها، ثم ربط

ذلك كله بذاته سبحانه، وأن ذلك كله راجع إليه وحده لا إلى غيره، فما أعوذ منه

واقع بمشيئتك وإرادتك، وما أعوذ به من رضاك ومعافاتك هو بمشيئتك وإرادتك، إن شئت أن ترضى عن عبدك وأن تعافيه، وإن شئت أن تغضب عليه وتعاقبه، فأعاذتي مما أكره، ومنعه أن يحل بي، هي بمشيئتك أيضاً، فالمحجوب والمكروه كله بقضائك ومشيئتك، فعياذي بك منك، وعياذي بحولك وقوتك ورحمتك مما يكون بحولك وقوتك وعدلك وحكمتك، فلا أستعيذ بغيرك من غيرك، ولا أستعيذ بك من شيء صادر عن غير مشيئتك، بل هو منك، فلا يعلم ما في هذه الكلمات من التوحيد والمعرفة والعبودية إلا الراسخون في العلم بالله ومعرفته وعبوديته.

س ٤١٤. إن قال قائل: كيف يريد الله أمراً ولا يرضاه ولا يحبه؟ وكيف يشاؤه ويكُونه؟ وكيف يجتمع إرادته له وبغضه وكرهه؟.

ج: قيل: هذا السؤال هو الذي افترق الناس لأجله فرقاً، وتباينت طرقهم وأقوالهم.

فاعلم أن المراد نوعان: مراد لنفسه، ومراد لغيره.

١ - فالمراد لنفسه: مطلوب محبوب لذاته وما فيه من الخير، فهو مراد إرادة الغايات والمقاصد.

٢ - والمراد لغيره: قد لا يكون مقصوداً للمريد، ولا فيه مصلحة له بالنظر إلى ذاته، وإن كان وسيلةً إلى مقصوده ومراده، فهو مكروه له من حيث نفسه وذاته، مراد له من حيث إفضاؤه وإيصاله إلى مراده. فيجتمع فيه الأمران:

بغضه وإرادته، ولا يتنافيان، لاختلاف متعلقهما، وهذا كالدواء الكريه، إذا علم المتناول له أن فيه شفاءه، وقطع العضو المتآكل، إذا علم أن في قطعه بقاء جسده، وكقطع المسافة الشاقة، إذا علم أنها توصل إلى مراده ومحجوبه. بل العاقل يكتفي في إثارة هذا المكروه وإرادته بالظن الغالب، وإن خفيت عنه عاقبته، فكيف بمن لا يخفى عليه خافية.

فهو سبحانه يكره الشيء، ولا ينافي ذلك إرادته لأجل غيره، وكونه سبباً إلى أمر هو أحب إليه من فوته.

س ٤١٥: اضرب مثالاً على أن الله تعالى يكره الشيء، ولا ينافي ذلك إرادته لأجل غيره، وكونه سبباً إلى أمر هو أحب إليه من فوته؟.

ج: من ذلك: أنه خلق إبليس، الذي هو مادة لفساد الأديان والأعمال والاعتقادات والإرادات، وهو سبب لشقاوة كثير من العباد، وعملهم بما يغضب الرب تبارك وتعالى، وهو الساعي في وقوع خلاف ما يحبه الله ويرضاه، ومع هذا، فهو وسيلة إلى محاب كثيرة للرب تعالى ترتبت على خلقه، ووجودها أحب إليه من عدمها.

س ٤١٦: وقوع خلاف ما يحبه الله ويرضاه، وسيلة إلى محاب كثيرة للرب تعالى، اذكر بعضاً منها؟.

ج: ١ - منها: أنه تظهر للعباد قدرة الرب تعالى على خلق المتضادات المتقابلات فخلق هذه الذات (إبليس) التي هي أخبث الذوات وشرها، وهي سبب كل شر في مقابلة ذات جبريل، التي هي من أشرف الذوات وأطهرها وأزكاها، وهي مادة كل خير، فتبارك خالق هذا وهذا. كما ظهرت قدرته في خلق الليل والنهار، والداء والدواء، والحياة والموت، والحسن والقبيح، والخير والشر.

٢ - ومنها: ظهور آثار أسمائه القهرية، مثل: القهار، والمنتقم، والعدل، والضار، والشديد العقاب، والسريع العقاب، وذو البطش الشديد، والخافص، والمذل، فإن هذه الأسماء والأفعال كمال، لا بد من وجود متعلقها، ولو كان الجن والإنس على طبيعة الملائكة لم يظهر أثر هذه الأسماء.

٣ - ومنها: ظهور أسمائه المتضمنة لحلمه وعفوه ومغفرته وستره وتجاوزه عن حقه وعتقه لمن يشاء من عبیده. فلولا خلق ما يكرهه من الأسباب المفضية إلى ظهور آثار هذه الأسماء، لتعطلت الحكم والفوائد، وقد أشار النبي ﷺ إلى هذا بقوله: "لو لم تذنبوا، لذهب الله بكم، ولجاء بقوم يذنبون، ويستغفرون، فيغفر لهم".

٤ - ومنها: ظهور آثار أسماء الحكمة والخبرة. فإنه الحكيم الخبير، الذي يضع الأشياء مواضعها، وينزلها منازلها اللائقة بها، فلا يضع الشيء في

غير موضعه، ولا ينزله في غير منزلته التي يقتضيها كمال علمه وحكمته وخبرته، فهو أعلم حيث يجعل رسالاته، وأعلم بمن يصلح لقبولها، ويشكره على انتهائها إليه، وأعلم بمن لا يصلح لذلك. فلو قدر عدم الأسباب المكروهة، لتعطلت حكم كثيرة، ولفات مصالح عديدة، ولو عطلت تلك الأسباب لما فيها من الشر، لتعطل الخير الذي هو أعظم من الشر الذي في تلك الأسباب، وهذا كالشمس والمطر والرياح، التي فيها من المصالح ما هو أضعاف أضعاف ما يحصل بها من الشر.

٥ - ومنها: حصول العبودية المتنوعة. التي لولا خلق إبليس لما حصلت، فإن عبودية الجهاد من أحب أنواع العبودية إليه سبحانه، ولو كان الناس كلهم مؤمنين، لتعطلت هذه العبودية وتوابعها من الموالاة لله سبحانه وتعالى والمعاداة فيه، وعبودية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعبودية الصبر ومخالفة الهوى وإيثار محاب الله تعالى، وعبودية التوبة والاستغفار، وعبودية الاستعاذة بالله أن يجيره من عدوه ويعصمه من كيده وأذاه. إلى غير ذلك من الحكم التي تعجز العقول عن إدراكها.

س ٤١٧: إن قيل: هل كان يمكن وجود تلك الحكم (الآئفة) بدون هذه الأسباب؟.

ج: هذا سؤال فاسد، وهو فرض وجود الملزوم بدون لازمه، كفرض وجود الابن بدون الأب، والحركة بدون المتحرك، والتوبة بدون التائب.

س ٤١٨: إن قيل: إذا كانت هذه الأسباب مرادة لما تفضي (توصل) إليه من الحكم، فهل تكون مرضية محبوبية من هذا الوجه؟ أم هي مسخوطة من جميع الوجوه؟.

ج: يقال: هذا السؤال يرد على وجهين:

أحدهما: من جهة الرب تعالى، وهل يكون محباً لها من جهة إفضائها إلى محبوبه، وإن كان يبغضها لذاتها؟ (وسيكون الكلام عليه).

والثاني: من جهة العبد، وهو أنه هل يسوغ له الرضا بها من تلك الجهة أيضاً؟ فهذا السؤال له شأن.

فاعلم أن الشر كله يرجع إلى العدم، أعني عدم الخير، وأسبابه المفضية إليه، وهو من هذه الجهة شر، وأما من جهة وجوده المحض، فلا شر فيه، مثاله:

أن النفوس الشريرة وجودها خير من حيث هي موجودة، وإنما حصل لها الشر بقطع مادة الخير عنها، فإنها خلقت في الأصل متحركة، فإن أعينت بالعلم وإلهام الخير تحركت به، وإن تركت تحركت بطبعها إلى خلافه. وحركتها من حيث هي حركة: خير، وإنما تكون شراً بالإضافة، لا من حيث هي حركة، والشر كله ظلم، وهو وضع الشيء في غير محله، فلو وضع في موضعه لم يكن شراً، فعلم أن جهة الشر فيه نسبية إضافية.

ولهذا كانت العقوبات الموضوعة في محالها خير في نفسها، وإن كانت شراً بالنسبة إلى المحل الذي حلت به، لما أحدثت فيه من الألم الذي كانت الطبيعة قابلة لضده من اللذة، مستعدة له، فصار ذلك الألم شراً بالنسبة إليها، وهو خير بالنسبة إلى الفاعل حيث وضعه في موضعه، فإن الله لم يخلق شراً محضاً من جميع الوجوه والاعتبارات، فإن حكمته تأبى ذلك. فلا يمكن في جناب الحق تعالى أن يريد شيئاً يكون فساداً من كل وجه، لا مصلحة في خلقه بوجه ما، هذا من أبين المحال، فإنه سبحانه الخير كله بيده، والشر ليس إليه، فلو كان إليه لم يكن شراً، فتأمل. فانقطاع نسبته إليه هو الذي صيره شراً.

فإن قيل: لم تَنقَطع نسبته إليه خلقاً ومشينة؟.

قيل: هو من هذه الجهة ليس بشر، والشر الذي فيه من عدم إمداده بالخير وأسبابه، والعدم ليس بشئ حتى ينسب إلى من بيده الخير.

(س ٤١٩): ما أسباب الخير؟ ولم ذكرها الشارح؟.

(ج): أسباب الخير ثلاثة: الإيجاد، والإعداد، والإمداد، فإيجاد هذا خير، وهو إلى الله، وكذلك إعداده وإمداده، وإذا لم يحدث فيه إعداد ولا إمداد، حصل فيه الشر بسبب هذا العدم الذي ليس إلى الفاعل، وإنما إليه ضده.

وقد أورده المؤلف، لمزيد الإيضاح أن الشر الذي وقع، إنما كان في

الشيء من عدم إمداده بالخير وأسبابه، ثم ذكر أسباب الخير الثلاثة الآنفه الذكر.

س ٤٢٠: لو قيل: هلا أمد الشيء (بالخير) إذ أوجده؟ فكيف الجواب؟.

ج: يقال: ما اقتضت الحكمة إيجاده وإمداده، وإنما اقتضت الحكمة إيجاده وترك إمداده، فإيجاده خير، والشر وقع من عدم إمداده.

س ٤٢١: إن قيل: فهلا أمد الموجودات كلها بالخير؟ فكيف الجواب؟.

ج: هذا سؤال فاسد، يظن موردته أن التسوية بين الموجودات أبلغ في الحكمة! وهذا عين الجهل! بل الحكمة كل الحكمة في هذا التفاوت العظيم الذي بين الأشياء، وليس في خلق كل نوع منها تفاوت، فكل نوع منها ليس في خلقه تفاوت، والتفاوت إنما وقع بأمور عدمية لم يتعلق بها الخلق، وإلا فليس في الخلق من تفاوت، فإن اعتاص عليك هذا ولم تفهمه حق الفهم، فراجع قول القائل:

إذا لم تستطع شيئاً فدعه وجاوزه إلى ما تستطيع

س ٤٢٢: إن قال قائل: كيف يرضى لعبده شيئاً ولا يعينه عليه. فبم تجيب؟.

ج: قيل: لأن أعانته عليه قد تستلزم فوات محبوب له أعظم من حصول تلك الطاعة التي رضيها له، وقد يكون وقوع تلك الطاعة منه يتضمن مفسدة هي أكره إليه سبحانه من محبته لتلك الطاعة. وقد أشار تعالى إلى ذلك في قوله: ﴿وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ﴾. الآيتين، فأخبر سبحانه أنه كره انبعاثهم إلى الغزو مع رسول الله، وهو طاعة، فلما كرهه منهم، ثبطهم عنه، ثم ذكر سبحانه بعض المفاصد التي كانت تترتب على خروجهم مع رسوله، فقال: ﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا﴾ أي: فساداً وشرّاً، ﴿وَلَا وَضَعُوا لِخَلْقِكُمْ﴾ أي: سعوا بينكم بالفساد والشر، ﴿يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمْعُونُ لَهُمْ﴾ أي: قابلون منهم مستجيبون لهم، فيتولد من سعي هؤلاء وقبول هؤلاء من الشر ما هو أعظم من مصلحة

خروجهم، فاقتضت الحكمة والرحمة أن أقعدهم عنه.
فاجعل هذا المثال أصلاً، وقس عليه.

س ٤٢٣ : إن قيل : إذا كانت هذه الأسباب مرادة لما تفضي (توصل) إليه من الحكم، فهل تكون مرضية محبوبة من هذا الوجه؟ أم هي مسخوطة من جميع الوجوه؟.

ج : يقال : هذا السؤال يرد على وجهين :

أحدهما : من جهة الرب تعالى، وهل يكون محباً لها من جهة إفنائها إلى محبوبة، وإن كان يبغضها لذاتها؟ (وقد سبق الكلام عليه).

والثاني : من جهة العبد، وهو أنه هل يسوغ له الرضا بها من تلك الجهة أيضاً؟ فهذا السؤال له شأن. (وسيكون الكلام عليه).

أما الوجه الثاني : وهو الذي من جهة العبد : فهو أيضاً ممكن، بل واقع، فإن العبد يسخط الفسوق والمعاصي ويكرهها من حيث هي فعل العبد واقعة بكسبه وإرادته وأمره الكوني، فيرضى بما من الله، ويسخط ما هو منه، فهذا مسلك طائفة من أهل العرفان. وطائفة كرهتها مطلقاً، وقولهم يرجع إلى هذا القول، لأن إطلاقهم للكره لا يريدون به شمولهم لعلم الرب وكتابته ومشئته. وسر المسألة : أن الذي إلى الرب منها غير مكروه، والذي إلى العبد مكروه.

فإن قيل : ليس إلى العبد شيء منها.

قيل : هذا هو الجبر الباطل الذي لا يمكن صاحبه التخلص من هذا المقام الضيق، والقدري المنكر أقرب إلى التخلص منه من الجبري، وأهل السنة المتوسطون بين القدرية والجبرية أسعد بالتخلص من الفريقين.

س ٤٢٤ : إن قال قائل : كيف يتأتى الندم والتوبة مع شهود الحكمة في التقدير ومع شهود القيومية والمشئة النافذة؟.

ج : يقال : هذا هو الذي أوقع من عميت بصيرته في شهود الأمر على خلاف ما هو عليه، فرأى تلك الأفعال طاعات، لموافقته فيها المشئة والقدر،

وقال: إن عصيت أمره فقد أظعت إرادته؟! وفي ذلك قيل:

أصبحت منفعلاً لما تختاره مني ففعلي كله طاعات
وهؤلاء أعمى الخلق بصائر، وأجهلهم بالله وأحكامه الدينية والكونية،
فإن الطاعة هي موافقة الأمر الديني الشرعي، لا موافقة القدر والمشئة، ولو
كان موافقة القدر طاعةً، لكان إبليس من أعظم المطيعين له، ولكان قوم نوح
وهود وصالح ولوط وشعيب وقوم فرعون كلهم مطيعين! وهذا غاية الجهل.

لكن إذا شهد العبد عجز نفسه، ونفوذ الأقدار فيه، وكمال فقره إلى
ربه، وعدم استغنائه عن عصمته وحفظه طرفة عين: كان بالله في هذه الحال
لا بنفسه، ففوق الذنب منه لا يتأتى في هذه الحال ألبته، فإن عليه حصناً
حصيناً من: " فبي يسمع، وببي يبصر، وببي يبطش، وببي يمشي " فلا يتصور
منه الذنب في هذه الحال، فإذا حجب عن هذا المشهد، وبقي بنفسه،
استولى عليه حكم النفس، فهناك نصبت عليه الشباك والأشراك، وأرسلت
عليه الصيادون، فإذا انقشع عنه ضباب ذلك الوجود الطبيعي، فهناك يحضره
الندم والتوبة والإنابة، فإنه كان في المعصية محجوباً بنفسه عن ربه، فلما
فارق ذلك الوجود، صار في وجود آخر، فبقي بربه لا بنفسه.

س ٤٢٥: إذا كان الكفر بقضاء الله وقدره، ونحن مأمورون بقضاء الله
وقدره، فكيف ننكره ونكرهه؟.

ج: ١ - يقال أولاً: نحن غير مأمورين بالرضى بكل ما يقضيه الله ويقدره،
ولم يرد بذلك كتاب ولا سنة، بل من المقضي ما يرضى به، ومنه ما يسخط
ويمقت، كما لا يرضى به القاضي لأقضيته سبحانه، بل من القضاء ما
يسخط، كما أن من الأعيان المقضية ما يُغضب عليه ويمقت ويلعن ويذم.

٢ - ويقال ثانياً: هنا أمران: قضاء الله، وهو فعل قائم بذات الله
تعالى، ومقضي: وهو المفعول المنفصل عنه، فالقضاء كله خير وعدل
وحكمة، فيُرضى به كله، والمقضي قسман: منه ما يُرضى به، ومنه ما لا
يرضى به.

٣ - ويقال ثالثاً: القضاء له وجهان:

أحدهما: تعلقه بالرب تعالى ونسبته إليه، فمن هذا الوجه يُرضى به.
والوجه الثاني: تعلقه بالعبد ونسبته إليه، فمن هذا الوجه ينقسم إلى ما يُرضى به، وإلى ما لا يرضى به.

(س ٤٢٦): ما المثل الذي ضربه الشارح على أن القضاء وتعلقه بالعبد ونسبته إليه ينقسم إلى ما يُرضى به، وإلى ما لا يُرضى به؟.

(ج): مثال ذلك: قتل النفس له اعتباران: فمن حيث قدره الله وقضاه وكتبه وشاءه، وجعله أجلاً للمقتول ونهاية لعمره، نرضى به، ومن حيث صَدَرَ من القاتل وباشره وكسبه، وأقدم عليه باختياره، وعصى الله بفعله، نسخطه ولا نرضى به.

(س ٤٢٧): ما معنى قول الإمام الطحاوي: " والتعمق والنظر في ذلك ذريعة الخذلان "؟.

(ج): قال الشارح: التعمق: هو المبالغة في طلب الشيء، والمعنى: أن المبالغة في طلب القدر والغوص في الكلام فيه ذريعة الخذلان.

الذريعة: الوسيلة، والذريعة والدرجة والسلم، متقاربة المعنى أيضاً.

وكذلك الخذلان والحرمان والطغيان متقاربة المعنى أيضاً، لكن الخذلان في مقابلة النصر، والحرمان في مقابلة الظفر، والطغيان في مقابلة الاستقامة.

(س ٤٢٨): قال الطحاوي: " فالحذر كل الحذر من ذلك، نظراً وفكراً ووسوسة " ما الذي يُحذر منه؟ وما الدليل عليه؟.

(ج): الحذر من المبالغة في الكلام في القدر والتعمق فيه.
والدليل عليه:

١ - عن أبي هريرة رضي الله عنه قال جاء ناس من أصحاب النبي ﷺ إلى رسول الله ﷺ، فسألوه: إنا نجد في أنفسنا ما يتعاظم أحدنا أن يتكلم به؟ قال: " وقد وجدتموه؟ " قالوا: نعم، قال: " ذلك صريح الإيمان ". رواه

مسلم . الإشارة بقوله : " ذاك صريح الإيمان " إلى تعاضمهم أن يتكلموا به .
٢ - ولمسلم أيضاً عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : سئل رسول الله ﷺ عن الوسوسة؟ فقال : " تلك محض الإيمان " . وهو بمعنى حديث أبي هريرة ، فإن وسوسة النفس ومدافعة وسواسها بمنزلة المحادثة الكائنة بين اثنين ، فمدافعة الوسوسة الشيطانية ، واستعظامها صريح الإيمان ، ومحض الإيمان .

س ٤٢٩ : ما هي طريقة الصحابة وسلف الأمة في الكلام والتعمق في القدر نظراً وفكراً؟ وطريقة من عداهم من بعض الخلف؟ .

ج : طريقتهم رضي الله عنهم الحذر من المبالغة في الكلام في القدر والتعمق فيه .

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال جاء ناس من أصحاب النبي ﷺ إلى رسول الله ﷺ ، فسألوه : إنا نجد في أنفسنا ما يتعاظم أحدنا أن يتكلم به؟ قال : " وقد وجدتموه؟ " قالوا : نعم ، قال : " ذاك صريح الإيمان " . رواه مسلم . الإشارة بقوله : " ذاك صريح الإيمان " إلى تعاضمهم أن يتكلموا به .

ولمسلم أيضاً عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : سئل رسول الله ﷺ عن الوسوسة؟ فقال : " تلك محض الإيمان " . وهو بمعنى حديث أبي هريرة ، فإن وسوسة النفس ومدافعة وسواسها بمنزلة المحادثة الكائنة بين اثنين ، فمدافعة الوسوسة الشيطانية ، واستعظامها صريح الإيمان ، ومحض الإيمان .

هذه طريقة الصحابة رضي الله عنهم ، والتابعين لهم بإحسان ، ثم خلف من بعدهم خلف ، سودوا الأوراق بتلك الوسواس ، التي هي شكوك وشبه ، بل وسودوا القلوب ، وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق ، ولذلك أطنب الشيخ رحمه الله في ذم الخوض في الكلام في القدر والفحص عنه ، وعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت :

قال رسول الله ﷺ : " إن أبغض الرجال إلى الله الألد الخصم " .
وروى الإمام أحمد بإسناده عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال : خرج رسول الله ﷺ ذات يوم والناس يتكلمون في القدر ، قال : فكأنما تفتقأ في

وجهه حب الرمان من الغضب، قال: فقال: " ما لكم تضربون كتاب الله بعضه ببعض؟! بهذا هلك من كان قبلكم " قال: فما غبطت نفسي بمجلس فيه رسول الله لم أشهده، بما غبطت نفسي بذلك المجلس أني لم أشهده. ورواه ابن ماجه أيضاً.

وقال تعالى: ﴿فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلَائِقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلَائِقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا﴾، الخلاق: النصيب قال تعالى: ﴿وَمَا لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ﴾، أي: استمتعتم بنصيبكم من الدنيا، كما استمتع الذين من قبلكم بنصيبهم، وخضتم كالذي خاضوا، أي: كالخوض الذي خاضوه، أو كالفوج، أو الصنف، أو الجيل الذي خاضوا.

(س ٤٣٠) لِمَ جَمَعَ سَبْحَانَهُ بَيْنَ الِاسْتِمْتَاعِ بِالْخَلْقِ وَبَيْنَ الْخَوْضِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلَائِقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلَائِقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا﴾؟

(ج) جمع سبحانه بين الاستمتاع بالخلاق وبين الخوض، لأن فساد الدين: إما في العمل، وإما في الاعتقاد، فالأول من جهة الشهوات، والثاني من جهة الشبهات.

- وروى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: " لتأخذن أمتي مآخذ القرون قبلها شبراً بشبر، وذراعاً بذراع " قالوا: فارس والروم؟ قال: " فمن الناس إلا أولئك؟ " .

- وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: " ليأتين على أمتي ما أتى على بني إسرائيل حذو النعل بالنعل، حتى إن كان منهم من أتى أمه علانية، كان في أمتي يصنع ذلك، وإن بني إسرائيل تفرقوا على ثنتين وسبعين ملة، وتفرق أمتي على ثلاث وسبعين ملة، كلهم في النار إلا ملة واحدة، قالوا: من هي يا رسول الله؟ قال: ما أنا عليه وأصحابي " . رواه الترمذي.

- وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: " تفرقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة أو اثنتين وسبعين فرقة، والنصارى مثل ذلك، وتفرقت

أمّتي على ثلاث وسبعين فرقة". رواه أبو داود، وابن ماجه، والترمذي، وقال: حديث حسن صحيح.

- وعن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "إن أهل الكتابين افرقوا في دينهم على ثنتين وسبعين ملة، وإن هذه الأمة ستفرق على ثلاث وسبعين ملة - يعني الأهواء - كلها في النار إلا واحدة، وهي الجماعة". وأكبر المسائل التي وقع فيها الخلاف بين الأمة مسألة القدر، وقد اتسع الكلام فيها غاية الاتساع.

س ٤٣١: قال الطحاوي: "فمن سأل: لم فعل؟ فقد رد حكم الكتاب، ومن رد حكم الكتاب كان من الكافرين". علام بنيت العبودية؟ أجب عن ذلك في ضوء كلام الإمام الطحاوي؟.

ج: قال الشارح: اعلم أن مبنى العبودية والإيمان بالله وكتبه ورسله، على التسليم وعدم الأسئلة عن تفاصيل الحكمة في الأوامر والنواهي والشرائع، ولهذا لم يحك الله سبحانه عن أمة نبي صدقت بنبيها، وآمنت بما جاء به أنها سألت عن تفاصيل الحكمة فيما أمرها به، ونهاها عنه، وبلغها عن ربها، ولو فعلت ذلك، لما كانت مؤمنة بنبيها، بل انقادت وسلمت وأذعنت، وما عرفت من الحكمة عرفته، وما خفي عنها، لم تتوقف في انقيادها وتسليمها على معرفته، ولا جعلت ذلك من شأنها، وكان رسولها أعظم عندها من أن تسأله عن ذلك، كما في الإنجيل: "يا بني إسرائيل لا تقولوا: لم أمر ربنا؟ ولكن قولوا: بم أمر ربنا؟"، ولهذا كان سلف الأمة - التي هي أكمل الأمم عقولاً ومعارف وعلوماً - لا تسأل نبيها: لم أمر الله بكذا؟ ولم نهى عن كذا؟ ولم قدّر كذا؟ ولم فعل كذا؟ لعلمهم أن ذلك مضاد للإيمان والاستسلام، وأن قدم الإسلام لا تثبت إلا على درجة التسليم.

فأول مراتب تعظيم الأمر: التصديق به، ثم العزم الجازم على امتثاله، ثم المسارعة إليه والمبادرة به، والحذر عن القواطع والموانع، ثم بذل الجهد والنصح في الإتيان به على معرفة حكمته، فإن ظهرت له، فعله وإلا عطّله، فإن هذا ينافي الانقياد، ويقدح في الامتثال.

قال القرطبي: ناقلاً عن ابن عبد البر: فمن سأل مستفهماً راعياً في العلم ونفي الجهل عن نفسه، باحثاً عن معنى يجب الوقوف في الديانة عليه، فلا بأس به، فشفاء العي السؤال، ومن سأل متعنتاً غير متفقه ولا متعلم، فهو الذي لا يحل قليل سؤاله ولا كثيره.

قال ابن العربي: الذي ينبغي للعالم أن يشتغل به هو بسط الأدلة، وإيضاح سبل النظر، وتحصيل مقدمات الاجتهاد، وإعداد الآلة المعينة على الاستمداد، قال: فإذا عرضت نازلة، أتيت من بابها، ونشدت من مظانها، والله يفتح وجه الصواب فيها. انتهى.

وقال رحمه الله: "من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه". رواه الترمذي وغيره.

(س ٤٣٢): ما حكم من رد حكم الكتاب؟ ومتى يدرأ عنه ذلك؟.

(ج): قال الشارح: ولا شك في تكفير من رد حكم الكتاب، ولكن من تأول حكم الكتاب لشبهة عرضت له، بين له الصواب ليرجع إليه. والله سبحانه وتعالى لا يسأل عما يفعل، لكمال حكمته ورحمته وعدله، لا لمجرد قهره وقدرته، كما يقول جهم وأتباعه، وسيأتي لذلك زيادة بيان عند قول الشيخ: "ولا نكفر أحداً من أهل القبلة بذنب ما لم يستحلّه".

(س ٤٣٣): إلام أشار الإمام الطحاوي بقوله: "فهذا جملة ما يحتاج إليه من هو منور قلبه..؟".

(ج): الإشارة بقوله: "فهذا..". إلى ما تقدم ذكره مما يجب اعتقاده أو العمل به، مما جاءت به الشريعة.

(س ٤٣٤): ما معنى قول الشيخ: "وهي درجة الراسخين في العلم"؟.

(ج): أي: علم ما جاء به الرسول ﷺ جملةً وتفصيلاً، نفيًا وإثباتاً.

(س ٤٣٥): ما مراد الشيخ بقوله: "لأن العلم علمان: علم في الخلق موجود، وعلم في الخلق مفقود"؟.

(ج) قال الشارح: يعني بالعلم المفقود: علم القدر الذي طواه الله عن أنامه، ونهاهم عن مرامه، ويعني بالعلم الموجود: علم الشريعة أصولها وفروعها.

(س ٤٣٦): ما حكم من أنكر شيئاً من العلم الموجود (علم الشريعة)؟ أو ادعى معرفة العلم المفقود (علم القدر)، مع الاستدلال؟

(ج) قال الشارح: فمن أنكر شيئاً مما جاء به الرسول كان من الكافرين، ومن ادعى علم الغيب كان من الكافرين، قال تعالى: ﴿عَلِمَ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا ۖ (٢٦) إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ ۖ﴾، وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ۖ (٣١)﴾.

(س ٤٣٧): هل يلزم من خفاء حكمة الله علينا عدمها؟ أو انتفاؤها جهلنا لها؟

(ج) قال الشارح: ولا يلزم من خفاء حكمة الله علينا عدمها ولا انتفاؤها جهلنا حكمته، ألا ترى أن خفاء حكمة الله علينا في خلق الحيات والعقارب والفأر والحشرات، التي لا يعلم منها إلا المضرة^(١): لم ينف أن يكون الله خالقاً لها، ولا يلزم أن لا يكون فيها حكمة خفيت علينا، لأن عدم العلم لا يكون علماً بالمعدوم.

(س ٤٣٨): ما الدليل على اللوح والقلم، وما هما؟

(ج) قال تعالى: ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ ۖ (٢١) فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ ۖ (٢٢)﴾.

وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "أَوَّلُ مَا خَلَقَ اللَّهُ تَعَالَى الْقَلَمَ، فَقَالَ لَهُ: اكْتُبْ، قَالَ: يَا رَبِّ، وَمَا أَكْتُبُ؟"

(١) أما في زماننا هذا فقد تبين لنا فائدة هذه المخلوقات وحكمة الله تعالى في إيجادها من إحداث التوازن البيئي وغيره. وأما ما خفي ما علينا حكمته اليوم، فكثير؛ كالفيروسات والبكتيريا والكائنات المجهرية القاتلة وغيرها ولا يلزم من جهلنا لها أن لا يكون فيها حكمة خفيت علينا كما قال الشارح يرحمه الله.

قال: اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة ".
اللوح المذكور: هو الذي كتب الله مقادير الخلائق فيه .
والقلم المذكور: هو الذي خلقه الله ، وكتب به في اللوح المذكور المقادير .

(س ٤٣٩) ما أول مخلوق خلقه الله ﷻ؟ .

(ج) اختلف العلماء: هل القلم أول المخلوقات أو العرش؟ على قولين، ذكرهما الحافظ أبو العلاء الهمداني، أحدهما:
أن العرش قبل القلم، لما ثبت في الصحيح من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: " قدر الله مقادير الخلق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة، وعرشه على الماء ".
فهذا صريح أن التقدير وقع بعد خلق العرش، والتقدير وقع عند أول خلق القلم، بحديث عبادة هذا .

(س ٤٤٠) ذكر الشارح يرحمه الله، أن حديث عبادة الأنف: " أول ما خلق الله القلم . . " لا يخلو إما أن يكون جملة أو جملتين، فما هما؟ .

(ج) قال رحمه الله: . . إما أن يكون جملة أو جملتين، فإن كان جملة - وهو الصحيح - كان معناه: أنه عند أول خلقه قال له: " اكتب " كما في اللفظ: "أَوَّل ما خلق الله تعالى القلم، فقال له: اكتب " بنصب "أَوَّل" والقلم ".
وإن كان جملتين، وهو مروى برفع "أَوَّل" و "القلم"، فيتعين حمله على أنه أول المخلوقات من هذا العالم، فيتفق الحديثان، إذ حديث عبد الله بن عمرو صريح في أن العرش سابق على التقدير، والتقدير مقارن لخلق القلم، وفي اللفظ الآخر: " لما خلق الله القلم قال له: اكتب ".
(س ٤٤١) هل هناك أقلام غير قلم اللوح؟ وما أفضلها؟ .

(ج) نعم، ولكن هذا القلم أول الأقلام وأجلها، وقد قال غير واحد من أهل التفسير: إنه القلم الذي أقسم الله به في قوله تعالى: ﴿لَئِنْ وَدَّعْنَاكَ وَمَا يُسْطَرُّونَ﴾ .

والقلم الثاني: قلم الوحي: وهو الذي يُكتب به وحي الله إلى أنبيائه ورسله، وأصحاب هذا القلم هم الحكام على العالم . والأقلام كلها خدم

لأقلامهم، وقد رُفِعَ النبي ﷺ إلى مستوى يسمع فيه صريف الأقلام، فهذه الأقلام هي التي تكتب ما يوحيه تبارك وتعالى من الأمور التي يدبر بها أمر العالم العلوي والسفلي.

(س ٤٤٢): استدل على قول الطحاوي: " جف القلم بما هو كائن إلى يوم القيامة "؟.

(ج: ١) - تقدم حديث جابر عن رسول الله ﷺ قال: جاء سراقه بن مالك بن جعشم، فقال: يا رسول الله، بين لنا ديننا كأنا خلقنا الآن، فيم العمل اليوم؟ أفيما جفت به الأقلام، وجرت به المقادير، أم فيما يستقبل؟ قال: " لا، بل فيما جفت به الأقلام، وجرت به المقادير " قال: ففيم العمل؟ قال زهير: ثم تكلم أبو الزبير بشئ لم أفهمه، فسألت: ما قال؟ فقال: " اعملوا فكل ميسر " . رواه مسلم.

٢ - وعن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: كنت خلف النبي ﷺ يوماً، فقال: " يا غلام ألا أعلمك كلمات؟: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشئ لم ينفعوك إلا بشئ قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك لم يضروك إلا بشئ قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف " . رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح.

٣ - وفي رواية غير الترمذي: " احفظ الله تجده أمامك، تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة، واعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك، وما أصابك لم يكن ليخطئك، واعلم أن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسراً " .

(س ٤٤٣): ذكر الشارح رحمه الله تعالى أقلاماً أربعة فما هذه الأقلام؟.

(ج: ١) قال رحمه الله: والذي دلت عليه السنة أن الأقلام أربعة، وهذا التقسيم غير التقسيم المقدم ذكره:

القلم الأول: العام الشامل لجميع المخلوقات، وهو الذي تقدم ذكره مع اللوح المحفوظ.

القلم الثاني: حين خلق آدم ﷺ وهو قلم عام أيضاً، لكن لبني آدم، ورد في هذا آيات تدل على أن الله قدر أعمال بني آدم وأرزاقهم وآجالهم وسعادتهم، عقيب خلق أبيهم.

القلم الثالث: حين يرسل الملك إلى الجنين في بطن أمه، فينفخ فيه الروح، ويؤمر بأربع كلمات: يُكْتَبُ رزقه، وأجله، وعمله، وشقي أو سعيد، كما ورد ذلك في الأحاديث الصحيحة.

القلم الرابع: الموضوع على العبد عند بلوغه، الذي بأيدي الكرام الكاتبين، الذين يكتبون ما يفعله بنو آدم، كما ورد ذلك في الكتاب والسنة.

س ٤٤٤: ما الواجب على العبد إذا علم أن كل شيء من عند الله؟.

ج: إذا علم العبد أن كلاً من عند الله، فالواجب إفراده سبحانه بالخشية والتقوى. قال تعالى: ﴿فَلَا تَخْشَوُا الْكَاسَ وَأَخْشَوْا﴾. ﴿وَإِنِّي فَأَزْهَبُون﴾. ﴿وَإِنِّي فَأَتَّقُون﴾. ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾. ﴿هُوَ أَهْلُ الْقُوَى وَأَهْلُ الْغَفَرَةِ﴾. ونظائر هذا المعنى في القرآن كثيرة. ولا بد لكل عبد أن يتقي أشياء، فإنه لا يعيش وحده، ولو كان ملكاً مطاعاً، فلا بد أن يتقي أشياء يراعي بها رعيته، فحينئذ فلا بد لكل إنسان أن يتقي، فإن لم يتق الله، اتقى المخلوق، والخلق لا يتفق حبهم كلهم وبغضهم، بل الذي يريده هذا يبغضه هذا، فلا يمكن إرضائهم كلهم، كما قال الشافعي رحمه الله: رضى الناس غاية لا تدرك، فعليك بالأمر الذي يصلحك فالزمه، ودع ما سواه، فلا تعانه، وإرضاء الخلق لا مقدور، ولا مأمور، وإرضاء الخالق مقدور ومأمور.

وأيضاً فالمخلوق لا يغني عنه من الله شيئاً، فإذا اتقى العبد ربه كفاه مؤونة الناس، كما كتبت عائشة إلى معاوية رضي الله عنهما، روي مرفوعاً وروي موقوفاً عليها: "من أرضى الله بسخط الناس، رضي الله عنه وأرضى عنه الناس، ومن أرضى الناس بسخط الله، عاد حامده من الناس ذاماً". فمن أرضى الله كفاه الله مؤونة الناس ورضي عنه، ثم فيما بعد يرضون، إذ العاقبة للتقوى، ويحببه الله، فيحبه الناس، كما في الصحيحين عن النبي ﷺ

أنه قال: " إذا أحب الله العبد، نادى: يا جبريل إني أحب فلاناً فأحبه، فيحبه جبريل، ثم ينادي جبريل في السماء: إن الله يحب فلاناً فأحبه، فيحبه أهل السماء، ثم يوضع له القبول في الأرض "، وقال في البغض مثل ذلك.

فقد بين أنه لا بد لكل مخلوق من أن يتقي إما المخلوق، وإما الخالق، وتقوى المخلوق ضررها راجع على نفعها من وجوه كثيرة، وتقوى الله هي التي يحصل بها سعادة الدنيا والآخرة، فهو سبحانه أهل للتقوى، وهو أيضاً أهل للمغفرة، فإنه هو الذي يغفر الذنوب ويجير من عذابها غيره، وهو الذي يجير ولا يجار عليه. قال بعض السلف: ما احتاج تقي قط، لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾، فقد ضمن الله للمتقين أن يجعل لهم مخرجاً مما يضيق على الناس، وأن يرزقهم من حيث لا يحتسبون، فإذا لم يحصل ذلك، دل على أن في التقوى خللاً، فليستغفر الله، وليتب إليه، ثم قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾، أي: فهو كافيه، لا يحوجه إلى غيره.

س ٤٤٥: هل الاكتساب ينافي التوكل؟.

ج: قال الشارح: وقد ظن بعض الناس أن التوكل ينافي الاكتساب وتعاطي الأسباب، وأن الأمور إذا كانت مقدرة، فلا حاجة إلى الأسباب!. وهذا فاسد، فإن الاكتساب: منه ما هو فرض، ومنه مستحب، ومنه مباح، ومنه مكروه، ومنه حرام، كما قد عُرف في موضعه. وقد كان النبي ﷺ أفضل المتوكلين، يلبس لأمة الحرب، ويمشي في الأسواق للاكتساب، حتى قال الكافرون: ﴿مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَبْتَئِي فِي الْأَسْوَاقِ﴾، ولهذا تجد كثيراً ممن يرى أن الاكتساب ينافي التوكل يُرزقون على يد من يعطيهم، إما صدقة، وإما هدية، وقد يكون ذلك من مكاس^(١)، أو والي شرطة، أو نحو ذلك، وهذا مبسوط في موضعه، لا يسعه هذا المختصر. وقد تقدمت الإشارة إلى بعض الأقوال التي في تفسير قوله تعالى: ﴿يَمَحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾.

(١) هم أعوان السلطان الذين يأخذون أموال الناس ظلماً عند البيع والشراء.

س ٤٤٦ : ما معنى قوله تعالى : ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ ؟ .

ج : قال البغوي : قال مقاتل : نزلت في اليهود حين قالوا : إن الله لا يقضي يوم السبت شيئاً ، قال المفسرون : من شأنه أنه يحيي ويميت ، ويرزق ، ويعز قوماً ، ويذل آخرين ، ويشفي مريضاً ، ويفك عانياً ، ويفرج مكروباً ، ويجيب داعياً ، ويعطي سائلاً ، ويغفر ذنباً ، إلى ما لا يحصى من أفعاله وإحداثه في خلقه ما يشاء .

س ٤٤٧ : علام بنى الشيخ قوله : " وما أخطأ العبد لم يكن ليصيبه ، وما أصابه لم يكن ليخطئه " ؟ .

ج : هذا بناء على ما تقدم من أن المقدور كائن لا محالة ، ولقد أحسن القائل :
ما قضى الله كائن لا محاله والشقي الجهول من لام حاله
والقائل الآخر :

اقنع بما ترزق يا ذا الفتى فليس ينسى ربنا نملة
إن أقبل الدهر فقم قائماً وإن تولى مدبراً نم له
س ٤٤٨ : ما معتقد أهل السنة في علم الله تعالى وقدره ؟ ومن أشهر من خالفهم في ذلك ؟ .

ج : معتقد أهل السنة والجماعة ؛ أن الله تعالى قد سبق علمه بالكائنات ، وأنه قدر مقاديرها قبل خلقها ، كما قال ﷺ : " قدر الله مقادير الخلق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة ، وعرشه على الماء " . فيعلم أن الله قد علم أن الأشياء تصير موجودة لأوقاتها ، على ما اقتضته حكمته البالغة ، فكانت كما علم ، فإن حصول المخلوقات على ما فيها من غرائب الحكم لا يتصور إيجادها إلا من عالم قد سبق علمه على إيجادها ، قال تعالى : ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ (١٤) .

وأنكر غلاة المعتزلة أن الله كان عالماً في الأزل ! ، وقالوا : إن الله تعالى لا يعلم أفعال العباد حتى يفعلوا ! تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً ، قال الإمام الشافعي رحمه الله تعالى : ناظروا القدرية بالعلم ، فإن أقروا به

خصموا، وإن أنكروا كفروا، فإله تعالى يعلم أن هذا مستطيع يفعل ما استطاعه، فيثبته، وهذا مستطيع لا يفعل ما استطاعه، فيعذبه، فإنما يعذبه، لأنه لا يفعل مع القدرة، وقد علم الله ذلك منه، ومن لا يستطيع لا يأمره ولا يعذبه على ما لم يستطعه.

س ٤٤٩ : إذا قال منكر القدر للسني الميثب لعلم الله : يلزم أن يكون العبد قادراً على تغيير علم الله، لأن الله علم أنه لا يفعل، فإذا قدر على الفعل، قدر على تغيير علم الله!، فبم يجب؟.

ج : هذه مغلطة، وذلك أن مجرد قدرته على الفعل لا تستلزم تغيير العلم، وإنما يظن من يظن تغيير العلم إذا وقع الفعل، ولو وقع الفعل، لكان المعلوم وقوعه لا عدم وقوعه، فيمتنع أن يحصل وقوع الفعل مع علم الله بعدم وقوعه، بل إن وقع، كان الله قد علم أنه يقع، وإن لم يقع، كان الله قد علم أنه لا يقع، ونحن لا نعلم علم الله إلا بما يظهر، وعلم الله مطابق للواقع، فيمتنع أن يقع شيء يستلزم تغيير العلم، بل أي شيء وقع كان هو المعلوم، والعبد الذي لم يفعل لم يأت بما يغير العلم، بل هو قادر على فعل لم يقع، ولو وقع، لكان الله قد علم أنه يقع، لا أنه لا يقع.

وإذا قيل: فمع عدم وقوعه يعلم الله أنه لا يقع، فلو قدر العبد على وقوعه، قدر على تغيير العلم؟.

قيل: ليس الأمر كذلك، بل العبد يقدر على وقوعه وهو لم يوقعه، ولو أوقعه لم يكن المعلوم إلا وقوعه، فمقدور العبد إذا وقع، لم يكن المعلوم إلا وقوعه، وهؤلاء فرضوا وقوعه مع العلم بعدم وقوعه! وهو فرض محال، وذلك بمنزلة من يقول: افرض وقوعه مع عدم وقوعه! وهو جمع بين النقيضين.

فإن قيل: فإذا كان وقوعه مع علم الرب بعدم وقوعه محالاً لم يكن مقدوراً؟.

قيل: لفظ المحال مجمل، وهذا ليس محالاً لعدم استطاعته له، ولا لعجزه عنه، ولا لامتناعه في نفسه، بل هو ممكن مقدور مستطاع، ولكن إذا وقع، كان الله عالماً بما يقع، وإذا لم يقع كان الله عالماً بأنه لا يقع، فإذا فرض وقوعه مع انتفاء لازم الوقوع، صار محالاً من جهة إثبات الملزوم بدون

لازمه . وكل الأشياء بهذا الاعتبار هي محال .

ومما يلزم هؤلاء : أن لا يبقى أحد قادراً على شيء ، لا الرب ولا الخلق ، فإن الرب إذا علم من نفسه أنه سيفعل كذا لا يلزم من علمه ذلك انتفاء قدرته على تركه ، وكذلك إذا علم من نفسه أنه لا يفعله لا يلزم منه انتفاء قدرته على فعله ، فكذلك ما قدره من أفعال عباده . والله تعالى أعلم .

(س ٤٥٠) إلام أشار الإمام الطحاوي بقوله : " وذلك من عقد الإيمان ، وأصول المعرفة ، والاعتراف بتوحيد الله تعالى .. ؟ " .

(ج) : قال الشارح : الإشارة إلى ما تقدم من الإيمان بالقدر ، وسبق علمه بالكائنات قبل خلقها ، قال رحمته في جواب السائل عن الإيمان : " أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وتؤمن بالقدر خيره وشره " . وقال رحمته في آخر الحديث : " يا عمر ، أتدري من السائل ؟ قال : الله ورسوله أعلم ، قال : فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم " . رواه مسلم .

(س ٤٥١) على من رد الإمام الطحاوي بقوله : " والاعتراف بتوحيد الله وربوبيته ، كما قال تعالى : ﴿وَحَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ مَقْدَرًا﴾ ؟ .

(ج) : قوله : " والاعتراف بتوحيد الله وربوبيته " أي : لا يتم التوحيد والاعتراف بالربوبية إلا بالإيمان بصفاته تعالى ، فإنه من زعم خالقاً غير الله فقد أشرك ، فكيف بمن يزعم - وهم المعتزلة - أن كل أحد يخلق فعله؟! ولهذا كانت القدرية مجوس هذه الأمة^(١) .

(س ٤٥٢) اذكر بعض الأحاديث في ذم القدرية؟ .

(ج) : ١ - روى أبو داود عن ابن عمر ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " القدرية مجوس هذه الأمة ، إن مرضوا فلا تعودوهم ، وإن ماتوا فلا تشهدوهم " ^(٢) .

(١) سميت القدرية مجوساً؛ لأنهم أشبهوا المجوس ، الذين يقولون : إن لهذا الكون خالقين ، فللخير خالق ، وللشر خالق ، والقدرية تقول : إن الله خلق الخير ، والشر خلقه الإنسان أو الشيطان .. الخ ، فأثبتوا خالقين مع الله .

(٢) إسناده ضعيف .

٢ - وروى أبو داود أيضاً عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "لكل أمة مجوس، ومجوس هذه الأمة الذين يقولون: لا قدر، من مات منهم، فلا تشهدوا جنازته، ومن مرض منهم فلا تعودوهم، وهم شيعة الدجال، وحق على الله أن يلحقهم بالدجال". (١).

٣ - وروى أبو داود أيضاً عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: "لا تجالسوا أهل القدر ولا تفتاحوهم". (٢).

٤ - وروى الترمذي عن عباس رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: "صنفان من بني آدم ليس لهما في الإسلام نصيب: المرجئة والقدرية" (٣).

لكن كل أحاديث القدرية المرفوعة ضعيفة، وإنما يصح الموقوف منها:

١ - فعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: القدر نظام التوحيد، فمن وحد الله وكذب بالقدر، نقض تكذيبه توحيدَه. وهذا لأن الإيمان بالقدر يتضمن الإيمان بعلم الله القديم، وما أظهر من علمه بخطابه وكتابته مقادير الخلائق، وقد ضل في هذا الموضع خلائق من المشركين والصابئين والفلاسفة وغيرهم، ممن ينكر علمه بالجزئيات أو بغير ذلك، فإن ذلك كله مما يدخل في التكذيب بالقدر.

س ٤٥٣: ما الشيء الذي تكذب به القدرية جملة؟.

ج: قال الشارح: وأما قدرة الله على كل شيء، فهو الذي يكذب به القدرية جملة، حيث جعلوه لم يخلق أفعال العباد، فأخرجوها عن قدرته وخلقته.

س ٤٥٤: ما الذي أنكرت القدرية المحضة؟.

ج: قال الشارح: والقدر الذي لا ريب في دلالة الكتاب والسنة والإجماع عليه، وأن الذي جحدوه هم القدرية المحضة بلا نزاع: هو ما قدره الله من مقادير العباد. وعامة ما يوجد من كلام الصحابة والأئمة في ذم القدرية يعني

(١) إسناده ضعيف.

(٢) إسناده ضعيف أيضاً.

(٣) إسناده ضعيف أيضاً.

به هؤلاء، كقول ابن عمر رضي الله عنهما، لما قيل له: يزعمون أن الأمر أنف: أخبرهم أنني منهم بريء، وأنهم مني برآء.

س ٤٥٥: ما الأصول العظيمة التي تضمنها القدر؟.

ج: القدر الذي هو التقدير المطابق للعلم؛ يتضمن أصولاً عظيمة:

١ - أحدها: أنه عالم بالأمور المقدرة قبل كونها، فيثبت علمه القديم، وفي ذلك الرد على من ينكر علمه القديم.

٢ - الثاني: أن التقدير يتضمن مقادير المخلوقات، ومقاديرها هي صفاتها المعينة المختصة بها، فإن الله قد جعل لكل شيء قدراً، قال تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ مَقْدَرًا﴾.

٣ - الثالث: أنه يتضمن أنه أخبر بذلك وأظهره قبل وجود المخلوقات إخباراً مفصلاً، فيقتضي أنه يمكن أن يعلم العباد الأمور قبل وجودها علماً مفصلاً، فيدل ذلك بطريقة التنبيه على أن الخالق أولى بهذا العلم، فإنه إذا كان يعلم عباده بذلك، فكيف لا يعلمه هو؟!

٤ - الرابع: أنه يتضمن أنه مختار لما يفعله، محدث له بمشيئته وإرادته، ليس لازماً لذاته.

٥ - الخامس: أنه يدل على حدوث هذا المقدور، وأنه كان بعد أن لم يكن، فإنه يقدره، ثم يخلقه.

س ٤٥٦: ماذا تضمن الخلق في قوله تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ مَقْدَرًا﴾؟.

ج: الخلق يتضمن التقدير: تقدير الشيء في نفسه، بأن يجعل له قدر، وتقديره قبل وجوده، فإذا كان قد كتب لكل مخلوق قدره الذي يخصه في كميته وكيفيته، كان ذلك أبلغ في الأمور الجزئية المعينة، خلافاً لمن أنكر ذلك، وقال: إنه يعلم الكليات دون الجزئيات! فالقدر يتضمن العلم القديم والعلم بالجزئيات.

س ٤٥٧: كيف يرد على من قال إن الله يعلم الجزئيات دون الكليات؟.

ج: يرد عليه بقوله تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ مَقْدَرًا﴾. فالخلق يتضمن التقدير:

تقدير الشيء في نفسه، بأن يجعل له قدرًا، وتقديره قبل وجوده، فإذا كان قد كتب لكل مخلوق قدره الذي يخصه في كميته وكيفيته، كان ذلك أبلغ في الأمور الجزئية المعينة، خلافاً لمن أنكر ذلك، وقال: إنه يعلم الكلّيات دون الجزئيات! فالقدر يتضمن العلم القديم والعلم بالجزئيات.

س ٤٥٨: بين خطر التكذيب بالقدر، في ضوء قول الطحاوي: "ويل لمن ضاع له في القدر قلباً سليماً، لقد التمس بوهمه في فحص الغيب سراً كتيماً، وعاد بما قال فيه أفاكاً أثيماً؟".

ج: قال الشارح: القلب له حياة وموت، ومرض وشفاء، وذلك أعظم مما للبدن، وقال تعالى: ﴿أَوْ مَن كَانَ مَيِّتًا فَأُحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّتَلَهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾. أي: كان ميتاً بالكفر فأحييناه بالإيمان، فالقلب الصحيح الحي إذا عرض عليه الباطل والقبايح، نفر منها بطبعه، وأبغضها، ولم يلتفت إليها، بخلاف القلب الميت، فإنه لا يفرق بين الحسن والقيح، كما قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: هلك من لم يكن له قلب يعرف به المعروف والمنكر.

وكذلك القلب المريض بالشهوة، فإنه لضعفه يميل إلى ما يعرض له من ذلك بحسب قوة المرض وضعفه.

ومرض القلب نوعان كما تقدم: مرض شهوة، ومرض شبهة.

وأردؤهما مرض الشبهة، وأردأ الشبه ما كان من أمر القدر، وقد يمرض القلب، ويشتد مرضه، ولا يعرف به صاحبه، لاشتغاله وانصرافه عن صحته وأسبابها، بل قد يموت وصاحبه لا يشعر بموته، وعلامة ذلك أنه لا تؤلمه جراحات القبايح، ولا يوجعه جهله بالحق وعقائده الباطلة، فإن القلب إذا كان فيه حياة، تألم بورود القيح عليه، وتألم بجهله بالحق بحسب حياته:

وما لجرح بميت إيلام

وقد يشعر بمرضه، ولكن يشتد عليه تحمل مرارة الدواء والصبر عليها، فيؤثر بقاء ألمه على مشقة الدواء، فإن دواءه في مخالفة الهوى، وذلك أصعب على النفس، وليس له أنفع منه.

وتارةً يوطن نفسه على الصبر، ثم ينفسخ عزمه ولا يستمر معه، لضعف علمه وبصيرته وصبره، كمن دخل في طريق مخوف مفض إلى غاية الأمن، وهو يعلم أنه إن صبر عليه، انقضى الخوف، وأعقبه الأمن، فهو محتاج إلى قوة صبر، وقوة يقين بما يصير إليه، ومتى ضعف صبره ويقينه، رجع من الطريق، ولم يتحمل مشقتها، ولا سيما إن عدم الرفيق، واستوحش من الوحدة، وجعل يقول: أين ذهب الناس فلي أسوة بهم! وهذه حال أكثر الخلق، وهي التي أهلكتهم. فالبصير الصادق، لا يستوحش من قلة الرفيق، ولا من فقدته إذا استشعر قلبه مراعاة الرعيل الأول: ﴿الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾. وما أحسن ما قال أبو محمد عبد الرحمن بن إسماعيل المعروف بأبي شامة: في كتاب الحوادث والبدع: " حيث جاء الأمر بلزوم الجماعة، فالمراد لزوم الحق واتباعه، وإن كان المتمسك به قليلاً والمخالف له كثيراً، لأن الحق الذي كانت عليه الجماعة الأولى من عهد النبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم، ولا ننظر إلى كثرة أهل الباطل بعدهم "

وعن الحسن البصري رحمه الله أنه قال: " السنة - والله الذي لا إله إلا هو - بين الغالي والجافي، فاصبروا عليها رحمكم الله، فإن أهل السنة كانوا أقل الناس فيما مضى، وهم أقل الناس فيما بقي، الذين لم يذهبوا مع أهل الإتراف في إترافهم، ولا مع أهل البدع في بدعهم، وصبروا على سنتهم حتى لقوا ربهم، فكذلك فكونوا "

وعلاوة مرض القلب عدوله عن الأغذية النافعة الموافقة له إلى الأغذية الضارة، وعدوله عن دوائه النافع إلى دوائه الضار.

فها هنا أربعة أشياء:

- ١ - غذاء نافع.
- ٢ - ودواء شافٍ.
- ٣ - وغذاء ضار.
- ٤ - ودواء مهلك.

فالقلب الصحيح يؤثر النافع الشافي على الضار المؤذي، والقلب المريض بضد ذلك.

(س ٤٥٩): ما أنفع الأغذية والأدوية لقلوب الناس وأبدانهم؟ ومتى يكون هذا الدواء نافعا؟.

(ج): أنفع الأغذية غذاء الإيمان، وأنفع الأدوية دواء القرآن، وكل منهما فيه الغذاء والدواء، فمن طلب الشفاء في غير الكتاب والسنة فهو من أجهل الجاهلين، وأضل الضالين، فإن الله تعالى يقول: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَٰئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾ وقال تعالى: ﴿وَنُزِّلَ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ (٨٧) و "من" في قوله: ﴿مِنَ الْقُرْآنِ﴾ لبيان الجنس لا للتبعض، وقال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ (٥٧).

فالقرآن هو الشفاء التام من جميع الأدوية القلبية والبدنية، وأدواء الدنيا والآخرة، وما كل أحد يؤهل للاستشفاء به، وإذا أحسن العليل التداوي به، ووضعه على دائه بصدق وإيمان، وقبول تام، واعتقاد جازم، واستيفاء شروطه، لم يقم الداء أبداً، وكيف تقاوم الأدوية كلام رب الأرض والسماء الذي لو نزل على الجبال لصدّعها أو على الأرض لقطعها، فما من مرض من أمراض القلوب والأبدان إلا في القرآن سبيل الدلالة على دوائه وسببه والحماية منه لمن رزقه الله فهماً في كتابه.

وقوله: "لقد التمس بوهمه في فحص الغيب سرّاً كتيماً". أي: طلب بوهمه في البحث عن الغيب سرّاً مكتوماً، إذ القدر سر الله في خلقه، فهو يروم بحثه الاطلاع على الغيب، وقد قال تعالى: ﴿عَلِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا﴾ (٢٦). إلى آخر السورة.

وقوله: "وعاد بما قال فيه" أي: في القدر: "أفاكاً": كذاباً. "أثيماً" أي: مأثوماً.



الفصل الرابع عشر

العرش والكرسي

العرش والكرسي

س ٤٦٠: استدل لقول الطحاوي: " والعرش والكرسي حق ؟".

- ١ - قال تعالى: ﴿ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ ۝١٥﴾.
- ٢ - وقال تعالى: ﴿رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ﴾.
- ٣ - وقال تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ۝٥﴾.
- ٤ - وقال تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾.
- ٥ - وقال تعالى في غير ما آية من القرآن: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ﴾.
- ٦ - وقال تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ۝٢٦﴾.
- ٧ - وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَجُلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ﴾.
- ٨ - وقال تعالى: ﴿وَيَجُلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ﴾.
- ٩ - وقال تعالى: ﴿وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِئِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾.
- ١٠ - وفي دعاء الكرب المروي في الصحيح: " لا إله إلا الله العظيم الحليم، لا إله إلا الله رب العرش العظيم، لا إله إلا الله رب السماوات ورب الأرض رب العرش الكريم".

١١ - وروى الإمام أحمد في حديث الأوعال عن العباس بن عبدالمطلب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "هل تدرون كم بين السماء والأرض؟ قال: قلنا: الله ورسوله أعلم، قال: بينهما مسيرة خمس مئة سنة، ومن كل سماء إلى سماء مسيرة خمس مئة سنة، وكثف كل سماء مسيرة خمس مئة سنة، وفوق السماء السابعة بحر بين أسفله وأعلاه كما بين السماء والأرض، والله فوق ذلك، ليس يخفى عليه من أعمال بني آدم شيء" ^(١).
ورواه أبو داود، والترمذي، وابن ماجه.

١٢ - وروى أبو داود بسنده إلى رسول الله ﷺ، من حديث الأوطي، أنه ﷺ قال: "إن عرشه على سماواته لهكذا، وقال بأصبعه، مثل القبة" ^(٢) الحديث.

١٣ - وفي صحيح البخاري عن رسول الله ﷺ أنه قال: "إذا سألتم الله الجنة فسلوه الفردوس، فإنه أعلى الجنة، وأوسط الجنة، وفوقه عرش الرحمن". يروى: "وفوقه" بالنصب على الظرفية، وبالرفع على الابتداء، أي: وسقفه.

١٤ - وروى أبو داود عن النبي ﷺ أنه قال: "أذن لي أن أحدث عن ملك من ملائكة الله ﷻ من حملة العرش: إن ما بين أذنيه إلى عاتقه مسيرة سبع مئة عام". ورواه ابن أبي حاتم، ولفظه: "مخفق الطير سبع مئة عام".

س ٤٦١: ما قول بعض أهل الكلام في العرش؟ وهل يصح؟ وبم يرد عليهم؟

ج: ذهب طائفة من أهل الكلام إلى أن العرش فلك مستدير من جميع جوانبه محيط بالعالم من كل جهة، وربما سموه: الفلك الأطلس، والفلك التاسع.

وهذا ليس بصحيح، لأنه قد ثبت في الشرع أن له قوائم تحمله الملائكة، كما قال ﷺ: "فإن الناس يصعقون، فأكون أول من يفيق، فإذا أنا بموسى آخذ بقائمة من قوائم العرش، فلا أدري أفاق قبلي أم جوزي بصعقة الطور". متفق عليه.

(١) إسناده ضعيف.

(٢) إسناده ضعيف أيضاً.

س ٤٦٢ : ما هو العرش؟ .

(ج) العرش في اللغة: عبارة عن السرير الذي للملك، كما قال تعالى عن بلقيس: ﴿وَلَمَّا عَزَّشَ عَظِيمٌ﴾. وليس هو فلکاً، ولا تفهم منه العرب ذلك، والقرآن إنما نزل بلغة العرب، فهو سرير ذو قوائم، تحمله الملائكة، وهو كالقبة على العالم، وهو سقف المخلوقات، فمن شعر أمية بن أبي الصلت:

مجدوا الله فهو للمجد أهل ربنا في السماء أمسى كبيراً
بالبناء العالي الذي بهر النا س وسوى فوق السماء سريراً
شرجعاً لا يناله بصر العي ن تُرى حوله الملائك صوراً

والصور هنا: جمع أصور: وهو المائل العنق لنظره إلى العلو.

والشرجع: هو العالي المنيف.

والسرير: هو العرش في اللغة.

ومن شعر عبد الله بن رواحة رضي الله عنه، الذي عرّض به عن القراءة لامرأته حين اتهمته بجاريته.

شهدت بأن وعد الله حق وأن النار مشوى الكافرينا
وأن العرش فوق الماء طاف وفوق العرش رب العالمينا
وتحمله ملائكة شداً ملائكة الإله مسؤمينا

ذكره ابن عبد البر وغيره من الأئمة.

س ٤٦٣ : ماذا قال بعض أهل التحريف في العرش؟ وهل يصح؟ .

(ج) قال الشارح: وأما من حرف كلام الله، وجعل العرش عبارة عن الملك، كيف يصنع بقوله تعالى: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ﴾ وقوله: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾. أيقول: ويحمل ملكه يومئذ ثمانية؟! وكان ملكه على الماء! ويكون موسى عليه السلام آخذاً بقائمة من قوائم الملك؟! هل يقول هذا عاقل يدري ما يقول؟! .

س ٤٦٤ : ما هو الكرسي؟ .

(ج) قال تعالى: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾.

وقد قيل: هو العرش، والصحيح أنه غيره، نقل ذلك عن ابن عباس رضي الله عنهما، وغيره، روى ابن أبي شيبة في كتاب صفة العرش والحاكم في مستدركه، وقال إنه على شرط الشيخين، ولم يخرجاه، عن سعيد بن جبير عن ابن عباس، في قوله تعالى: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾. أنه قال: الكرسي موضع القدمين، والعرش لا يقدر قدره إلا الله تعالى. وقد روي مرفوعاً، والصواب أنه موقوف على ابن عباس.

وقال السدي: السماوات والأرض في جوف الكرسي، والكرسي بين يدي العرش.

(س ٤٦٥): أوضح حجم الكرسي، مستدلاً لذلك من السنة المطهرة؟.

(ج) قال ابن جرير: قال أبو ذر رضي الله عنه: سمعت رسول الله ﷺ يقول: " ما الكرسي في العرش إلا كحلقة من حديد ألقيت بين ظهري فلاة من الأرض".

(س ٤٦٦): هل يصح قول من قال: إن كرسيه هو علمه تعالى؟.

(ج) قال الشارح: وقيل: كرسيه علمه، وينسب إلى ابن عباس، والمحفوظ عنه ما رواه ابن أبي شيبة، كما تقدم، ومن قال غير ذلك، فليس له دليل إلا مجرد الظن، والظاهر أنه من جراب الكلام المذموم، كما قيل في العرش. وإنما هو كما قال غير واحد من السلف: بين يدي العرش كالمراقبة إليه.

(س ٤٦٧): هل الرب تعالى محتاج إلى العرش؟ أوضح ذلك مع الاستدلال،

ولم ذكر هذا صاحب المتن يرحمه الله، في هذا الموضع؟.

(ج) قال الطحاوي: " وهو مستغن عن العرش وما دونه، محيط بكل شيء وفوقه، وقد أعجز عن الإحاطة خلقه".

قال الشارح: أما قوله: " وهو مستغن عن العرش وما دونه " فقال تعالى: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ وقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾. وإنما قال الشيخ رحمه الله هذا الكلام هنا، لأنه لما ذكر العرش والكرسي، ذكر بعد ذلك غناه سبحانه عن العرش وما دون العرش، ليبين أن خلقه

للعرش واستواءه عليه ليس لحاجته إليه، بل له في ذلك حكمة اقتضته.

س ٤٦٨ : يزعم نفاة العلو والعرش أنا لو أثبتناهما للرب لكان محتاجاً إليهما، فبم يُرد عيهم؟.

ج: قال الشارح يرحمه الله: وإنما قال الشيخ رحمه الله هذا الكلام هنا، لأنه لما ذكر العرش والكرسي، ذكر بعد ذلك غناه سبحانه عن العرش وما دون العرش، ليبين أن خلقه للعرش واستواءه عليه ليس لحاجته إليه، بل له في ذلك حكمة اقتضته. وكون العالي فوق السافل لا يلزم أن يكون السافل حائياً للعالي، محيطاً به حاملاً له ولا أن يكون الأعلى مفتقراً إليه. فانظر إلى السماء، كيف هي فوق الأرض وليست مفتقرة إليهما؟ فالرب تعالى أعظم شأنًا، وأجل من أن يلزم من علوه ذلك، بل لوازم علوه من خصائصه، وهي حمله بقدرته للسافل، وفقر السافل، وغناه هو سبحانه عن السافل، وإحاطته به، فهو فوق العرش مع حمله بقدرته للعرش وحملته، وغناه عن العرش، وفقر العرش إليه، وإحاطته بالعرش، وعدم إحاطة العرش به، وحصره للعرش، وعدم حصر العرش له، وهذه اللوازم منتفية عن المخلوق.

ونفاة العلو أهل التعطيل لو فصلوا هذا التفصيل، لَهْدُوا إلى سواء السبيل، وعلموا مطابقة العقل للتنزيل، ولسلكوا خلف الدليل، ولكن فارقوا الدليل، فضلوا عن سواء السبيل، والأمر في ذلك كما قال الإمام مالك رحمه الله، لما سئل عن قوله تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾: كيف استوى؟ فقال: الاستواء معلوم والكيف مجهول. ويروى هذا الجواب عن أم سلمة رضي الله عنها موقوفاً ومرفوعاً إلى النبي ﷺ.

س ٤٦٩ : ما معنى قول الطحاوي: "محيط بكل شيء وفوقه"؟.

ج: قال الشارح: وأما قوله: "محيط بكل شيء وفوقه" وفي بعض النسخ: "محيط بكل شيء فوقه". بغير واو من قوله: "فوقه". والنسخة الأولى هي الصحيحة، ومعناها: أنه تعالى محيط بكل شيء وفوق كل شيء.

ومعنى الثانية: أنه محيط بكل شيء فوق العرش. وهذا - والله أعلم - إما أن يكون أسقطها بعض النساخ سهواً، ثم استنسخ بعض الناس من تلك

النسخة، أو أن بعض المحرفين الضالين أسقطها قصداً للفساد، وإنكاراً لصفة الفوقية، وإلا فقد قام الدليل على أن العرش فوق المخلوقات، فلا يبقى لقوله: محيط بكل شيء فوق العرش - والحالة هذه - معنى؛ إذ ليس فوق العرش من المخلوقات ما يحاط به؛ فتعين ثبوت الواو. ويكون المعنى: أنه سبحانه محيط بكل شيء، وفوق كل شيء.

أما كونه محيطاً بكل شيء، فقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ﴾ (٢٥) ﴿أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ﴾ ﴿وَاللَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطاً﴾ (٢٦). وليس المراد من إحاطته بخلقه أنه كالفلك، وأن المخلوقات داخل ذاته المقدسة، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، وإنما المراد: إحاطة عظمة وسعة وعلم وقدرة، وأنها بالنسبة إلى عظمته كالخردلة، كما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: ما السماوات السبع وما فيهن وما بينهن في يد الرحمن، إلا كالخردلة في يد أحدكم.

ومن المعلوم - ولله المثل الأعلى - أن الواحد منا إذا كان عنده خردلة، إن شاء قبضها وأحاطت قبضته بها، وإن شاء جعلها تحته، وهو في الحالين مباين لها، عالٍ عليها فوقها من جميع الوجوه، فكيف بالعظيم الذي لا يحيط بعظمته وصف واصل، فلو شاء لقبض السماوات والأرض اليوم، وفعل بها كما يفعل بها يوم القيامة، فإنه لا يتجدد له إذ ذاك قدرة ليس عليها الآن، فكيف يستبعد العقل مع ذلك أنه يدنو سبحانه من بعض أجزاء العالم وهو على عرشه فوق سماواته؟ فمن نفى ذلك، لم يقدره حق قدره، وفي حديث أبي رزين: كيف يسعنا - يا رسول الله - وهو واحد ونحن جميع؟ فقال: "سأنبئك بمثل ذلك في آلاء الله: هذا القمر، آية من آيات الله، كلكم يراه مخلياً به، والله أكبر من ذلك". وإذ قد تبين أنه أعظم وأكبر من كل شيء. فهذا يزيل كل إشكال، ويبطل كل خيال.



الفصل الخامس عشر

العلو

العلوّ

س ٤٧٠ : ما الدليل على كون الخالق سبحانه فوق المخلوقات؟ .

ج : الأدلة على ذلك كثيرة، من الكتاب والسنة :

١ - قال تعالى : ﴿وَهُوَ أَلْفَاهُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾ .

٢ - وقال تعالى : ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾ .

٣ - وفي حديث الأوعال المتقدم : " والعرش فوق ذلك ، والله فوق ذلك كله " .

٤ - وقد أنشد عبد الله بن رواحة رضي الله عنه شعره المذكور بين يدي النبي ﷺ ، وأقره على ما قال ، وضحك منه . وكذا أنشده حسان بن ثابت رضي الله عنه قوله :

شهدت بإذن الله أن محمداً رسول الذي فوق السماوات من عل
وأن أبا يحيى ويحيى كلاهما له عمل من ربه متقبل
وأن الذي عادى اليهود ابن مريم رسول أتى من عند ذي العرش مرسل
وأن أخا الأحقاف إذ قام فيهم يجاهد في ذات الإله ويعدل
فقال النبي ﷺ : " وأنا أشهد " .

٥ - وعن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ أنه قال : " لما قضى الله الخلق ، كتب في كتاب فهو عنده فوق العرش : إن رحمتي سبقت غضبي " وفي رواية " تغلب غضبي " رواه البخاري وغيره .

٦ - وفي قصة سعد بن معاذ يوم بني قريضة، لما حكم فيهم أن تقتل مقاتلتهم، وتسبى ذراريهم، فقال النبي ﷺ: " لقد حكمت فيهم بحكم الملك من فوق سبع سماوات ". وهو حديث صحيح أخرجه الأموي في مغازيه، وأصله في الصحيحين .

٧ - وروى البخاري عن زينب رضي الله عنها: " أنها كانت تفخر على أزواج النبي ﷺ، وتقول: زوجكن أهاليكن، وزوجني الله من فوق سبع سماوات " .

ومن سمع أحاديث الرسول ﷺ وكلام السلف، وجد منه في إثبات الفوقية ما لا ينحصر .

(س ٤٧١) ورد في الآية المحكمة: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾ وفي الحديث الشريف: " . . وأنت الظاهر فليس فوقك شيء " فما المراد بـ " الظاهر " في هذه النصوص الشريفة؟ .

(ج) روى مسلم عن النبي ﷺ، في تفسير قوله تعالى: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾ . بقوله: " أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر، فليس فوقك شيء، وأنت الباطن، فليس دونك شيء " .

والمراد بالظهور هنا: العلو، ومنه قوله تعالى: ﴿فَمَا أَطْلَعُوا أَنْ يُظْهَرُوهُ﴾ . أي: يعلوه . فهذه الأسماء الأربعة متقابلة: اسمان منها لأزلية الرب سبحانه وتعالى وأبديته، واسمان لعلوه وقربه .

(س ٤٧٢) هات رداً عقلياً تفند به قول المنكرين لعلو الرب سبحانه؟ .

(ج) قال الشارح - رحمه الله - بعد إيراد الأدلة الشرعية على علوه تعالى: لا ريب أن الله سبحانه لما خلق الخلق، لم يخلقهم في ذاته المقدسة، تعالى الله عن ذلك، فإنه الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد، فتعين أنه خلقهم خارجاً عن ذاته، ولو لم يتصف سبحانه بفوقية الذات - مع أنه قائم بنفسه، غير مخالط للعالم - لكان متصفاً بضد ذلك؛ لأن القابل للشيء لا يخلو منه، أو من ضده، وضد الفوقية: السفول، وهو مذموم على الإطلاق، لأنه مستقر إبليس وأتباعه وجنوده .

فإن قيل: لا نسلم أنه قابل للفوقية حتى يلزم من نفيها ثبوت ضدها.

قيل: لو لم يكن قابلاً للعلو والفوقية، لم يكن له حقيقة قائمة بنفسها، فمتى أقررتم بأنه ذات قائم بنفسه، غير مخالط للعالم، وأنه موجود في الخارج، ليس وجوده ذهنياً فقط، بل وجوده خارج الأذهان قطعاً. وقد علم العقلاء كلهم بالضرورة أن ما كان وجوده كذلك، فهو؛ إما داخل العالم، وإما خارج عنه، وإنكار ذلك ما هو أجلي وأظهر من الأمور البديهيات الضرورية بلا ريب، فلا يستدل على ذلك بدليل إلا كان العلم بالمباينة أظهر منه، وأوضح وأبين، وإذا كان صفة العلو والفوقية صفة كمال، لا نقص فيه، ولا يستلزم نقصاً، ولا يوجب محذوراً، ولا يخالف كتاباً ولا سنة ولا إجماعاً، فنفي حقيقته يكون عين الباطل والمحال الذي لا تأتي به شريعة أصلاً. فكيف إذا كان لا يمكن الإقرار بوجوده وتصديق رسله، والإيمان بكتابه وبما جاء به رسوله إلا بذلك؟! فكيف إذا انضم إلى ذلك شهادة العقول السليمة، والفطر المستقيمة، والنصوص الواردة المتنوعة المحكمة على علو الله على خلقه، وكونه فوق عباده.

(س ٤٧٣): ذكر الشارح أن النصوص الواردة المتنوعة الدالة على علو الله على خلقه، تقرب من عشرين نوعاً اذكر عشرها منها؟.

(ج: ١) - أحدها: التصريح بالفوقية مقروناً بأداة " من " المعينة للفوقية بالذات، كقوله تعالى: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾.

٢ - الثاني: ذكرها مجردة عن الأداة، كقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾.

٣ - الثالث: التصريح بالعروج إليه نحو: ﴿تَخْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ﴾. وقوله ﷺ: "فيعرج الذين باتوا فيكم فيسألهم".

٤ - الرابع: التصريح بالصعود إليه، كقوله تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾.

٥ - الخامس: التصريح برفعه بعض المخلوقات إليه، كقوله تعالى: ﴿بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾ وقوله: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾.

٦ - السادس: التصريح بالعلو المطلق الدال على جميع مراتب العلو،

ذاتاً وقدرأً وشرفاً، كقوله تعالى: ﴿وَهُوَ أَلْعَلُّ الْعَظِيمُ﴾. ﴿وَهُوَ أَلْعَلُّ الْكَبِيرُ﴾. ﴿إِنَّهُ عَلَىٰ حَكِيمٍ﴾.

٧ - السابع: التصريح بتنزيل الكتاب منه، كقوله تعالى: ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ (١). ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ (٢). ﴿تَنْزِيلُ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ (٣). ﴿تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾. ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ﴾. ﴿حَمْدٌ﴾ (٤). ﴿وَالْكِتَابُ الْمُبِينُ﴾ (٥). ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَرَّكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ﴾ (٦). ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ (٧). ﴿أَمْرًا مِّنْ عِندِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾ (٨).

٨ - الثامن: التصريح باختصاص بعض المخلوقات بأنها عنده، وأن بعضها أقرب إليه من بعض، كقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ﴾. ﴿وَلَهُمْ مِّنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ﴾. ففرق بين "من له" عموماً وبين "من عنده" من مماليكه وعبيده خصوصاً، وقول النبي ﷺ في الكتاب الذي كتبه الرب تعالى على نفسه: "أنه عنده فوق العرش".

٩ - التاسع: التصريح بأنه تعالى في السماء، وهذا عند المفسرين من أهل السنة على أحد وجهين:

* إما أن تكون "في" بمعنى "على".

* وإما أن يراد بالسماء العلو، لا يختلفون في ذلك، ولا يجوز الحمل على غيره.

١٠ - العاشر: التصريح بالاستواء مقروناً بأداة "على" مختصاً بالعرش، الذي هو أعلى المخلوقات، مصاحباً في الأكثر لأداة "ثم" الدالة على الترتيب والمهلة.

١١ - الحادي عشر: التصريح برفع الأيدي إلى الله تعالى، كقوله ﷺ: "إن الله يستحي من عبده إذا رفع إليه يديه أن يردهما صفراً". والقول بأن العلو قبلة الدعاء فقط، باطل بالضرورة والفطرة، وهذا يجده من نفسه كل داع. كما يأتي إن شاء الله تعالى.

١٢ - الثاني عشر: التصريح بنزوله كل ليلة إلى سماء الدنيا، والنزول المعقول عند جميع الأمم، إنما يكون من علو إلى سفلى.

١٣ - الثالث عشر: الإشارة إليه حساً إلى العلو، كما أشار إليه من هو أعلم به وبما يجب له، ويمتنع عليه من جميع البشر، لما كان بالجمع الأعظم الذي لم يجتمع لأحد مثله، في اليوم الأعظم، في المكان الأعظم، قال لهم: " أنتم مسؤولون عني، فماذا أنتم قائلون؟ " قالوا: نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت. فرفع أصبعه الكريمة إلى السماء، رافعاً لها إلى من هو فوقها وفوق كل شيء، قائلاً: "اللهم اشهد". فكانا شاهداً تلك الأصبع الكريمة وهي مرفوعة إلى الله، وذلك اللسان الكريم وهو يقول لمن رفع أصبعه إليه: "اللهم اشهد " ونشهد أنه بلغ البلاغ المبين، وأدى رسالة ربه كما أمر، ونصح أمته غاية النصيحة، فلا يحتاج مع بيانه وتبيلغه وكشفه وإيضاحه إلى تَنْطُع المتنطعين، وحذلقه المتحذلقين، والحمد لله رب العالمين.

١٤ - الرابع عشر: التصريح بلفظ " الأين " كقول أعلم الخلق به، وأنصحهم لأمته، وأفصحهم بياناً عن المعنى الصحيح، بلفظ لا يوهم باطلاً بوجه: " أين الله " في غير موضع.

١٥ - الخامس عشر: شهادته ﷺ لمن قال: إن ربه في السماء بالإيمان.

١٦ - السادس عشر: إخباره تعالى عن فرعون أنه رام الصعود إلى السماء ليطلع إلى إله موسى، فيكذبه فيما أخبره من أنه سبحانه فوق السماوات، فقال: ﴿يَهْمَنُ آيُنَ لِي مَرَمًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لأَظُنُّهُ كَذِبًا﴾. فمن نفى العلو من الجهمية فهو فرعوني، ومن أثبته، فهو موسوي محمدي.

١٧ - السابع عشر: إخباره ﷺ أنه تردد بين موسى ﷺ وبين ربه ليلة المعراج بسبب تخفيف الصلاة، فيصعد إلى ربه، ثم يعود إلى موسى عدةً مرار.

١٨ - الثامن عشر: النصوص الدالة على رؤية أهل الجنة له تعالى من الكتاب والسنة، وإخبار النبي ﷺ أنهم يرونه كروية الشمس والقمر ليلة البدر ليس دونه سحاب، ولا يرونه إلا من فوقهم، كما قال ﷺ: "بيننا أهل الجنة في نعيمهم إذ سطع لهم نور، فرفعوا أبصارهم، فإذا الرب جل جلاله قد أشرف عليهم من فوقهم، فقال: السلام عليكم يا أهل الجنة، وهو قول الله

تعالى: ﴿سَلَامٌ قَوْلًا مِّن رَّبِّ رَجِيمٍ﴾ (٥٨)، قال فينظر إليهم وينظرون إليه فلا يلتفتون إلى شيء مما هم فيه من النعيم، ما داموا ينظرون إليه، حتى يحتجب عنهم، وتبقى بركته ونوره عليهم في ديارهم " رواه الإمام أحمد في المسند^(١) وغيره من حديث جابر رضي الله عنه.

وهذه الأنواع من الأدلة لو بسطت أفرادها لبلغت نحو ألف دليل، فعلى المتأول أن يجيب عن ذلك كله! وهيئات له بجواب صحيح عن بعض ذلك!.

س ٤٧٤: هل يمكن إنكار الفوقية وإثبات الرؤية؟ وما حال من فعل ذلك؟.

ج: قال الشارح: ولا يتم إنكار الفوقية إلا بإنكار الرؤية، ولهذا طرد الجهمية النفيين، وصدق أهل السنة بالأمرين معاً، وأقروا بهما، وصار من أثبت الرؤية ونفى العلو مذبذباً بين ذلك، لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء.

س ٤٧٥: هات بعض كلام السلف في إثبات صفة العلو لله تعالى؟.

ج: كلام السلف في إثبات صفة العلو كثير جداً:

فمنه: ما روى شيخ الإسلام أبو إسماعيل الأنصاري في كتابه " الفاروق " بسنده إلى أبي مطيع البلخي: أنه سأل أبا حنيفة عمن قال: لا أعرف ربي في السماء أم في الأرض؟ فقال: قد كفر؛ لأن الله يقول: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ (٥). وعرشه فوق سبع سماوات. قلت: فإنه قال: إنه على العرش، ولكن يقول: لا أدري العرش في السماء أم في الأرض؟ قال: هو كافر، لأنه أنكر أنه في السماء، فمن أنكر أنه في السماء، فقد كفر. وزاد غيره: لأن الله في أعلى عليين، وهو يُدعى من أعلى لا من أسفل. انتهى.

ولا يلتفت إلى من أنكر ذلك ممن ينتسب إلى مذهب أبي حنيفة، فقد انتسب إليه طوائف معتزلة وغيرهم، مخالفون له في كثير من اعتقاداته، وقد ينسب إلى مالك والشافعي وأحمد من يخالفهم في بعض اعتقاداتهم. وقصة أبي يوسف في استتابته لبشر المريسي لما أنكر أن يكون الله فوق العرش

(١) في إسناده ضعف، وتقدمت الإشارة إليه، وقد عزاه الشارح لأحمد وليس فيه هذا الحديث.

مشهورة. رواها عبدالرحمن بن أبي حاتم وغيره.

(س ٤٧٦): يقول بعض أهل التحريف أن معنى: "فوق عباده"، بأنه خير من عباده وأفضل منهم، وأنه خير من العرش. فكيف يُرد عليهم؟.

(ج): قال ابن أبي العز: ومن تأول "فوق"، بأنه خير من عباده وأفضل منهم، وأنه خير من العرش وأفضل منه، كما يقال: الأمير فوق الوزير، والدينار فوق الدرهم. فذلك مما تنفر عنه العقول السليمة، وتشمئز منه القلوب الصحيحة.

فإن قول القائل ابتداءً: الله خير من عباده، وخير من عرشه؛ من جنس قوله: الثلج بارد، والنار حارة، والشمس أضوأ من السراج، والسماء أعلى من سقف الدار، والجبل أثقل من الحصى، ورسول الله أفضل من فلان اليهودي، والسماء فوق الأرض!!.. وليس في ذلك تمجيد ولا تعظيم ولا مدح، بل هو من أرذل الكلام، وأسمجه، وأهجنه! فكيف يليق بكلام الله، الذي لو اجتمع الإنس والجن على أن يأتوا بمثله، لما أتوا بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً، بل في ذلك تنقص، كما قيل في المثل السائر:

ألم تر أن السيف ينقص قدره إذا قيل إن السيف أمضى من العصي ولو قال قائل: الجَوْهَرُ فوق قشر البصل وقشر السمك! لضحك منه العقلاء، للتفاوت الذي بينهما. فالتفاوت الذي بين الخالق والمخلوق أعظم وأعظم، بخلاف ما إذا كان المقام يقتضي ذلك، بأن كان احتجاجاً على مبطل، كما في قول يوسف الصديق عليه السلام: ﴿أَزْيَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهِ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ وقوله تعالى: ﴿اللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ ﴿وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾.

وإنما يثبت هذا المعنى من الفوقية في ضمن ثبوت الفوقية المطلقة من كل وجه، فله سبحانه فوقية القهر، وفوقية القدر، وفوقية الذات، ومن أثبت البعض، ونفى البعض، فقد تنقص.

(س ٤٧٧): رد رداً عقلياً على من زعم: أن علو الرب، هو علو المكانة لا المكان، أو أن علوه في القلوب أعلى من كل شيء؟.

(ج:) علو الرب تعالى مطلق من كل الوجوه، فإن قالوا: بل علو المكانة لا المكان؛ فالمكانة: تأنيث المكان، والمنزلة: تأنيث المنزل، فلفظ: "المكانة والمنزلة" يستعمل في المكانات النفسانية والروحانية، كما يستعمل لفظ: "المكان المنزل" في الأمكنة الجسمانية، فإذا قيل: لك في قلوبنا منزلة، ومنزلة فلان في قلوبنا وفي نفوسنا أعظم من منزلة فلان، كما جاء في الأثر: إذا أحب أحدكم أن يعرف كيف منزلته عند الله فليُنظر كيف منزلة الله في قلبه، فإن الله ينزل العبد من نفسه حيث أنزله العبد من قلبه. فقولُه: منزلة الله في قلبه؛ هو ما يكون في قلبه من معرفة الله ومحبه وتَعْظيمه وغير ذلك، فإذا عُرف أن "المكانة والمنزلة"، تأنيث المكان والمنزل، والمؤنث فرع على المذكر في اللفظ والمعنى، وتابع له، فعلو المثل الذي يكون في الذهن يتبع علو الحقيقة، إذا كان مطابقاً كان حقاً، وإلا كان باطلاً.

فإن قيل: المراد علوه في القلوب، وأنه أعلى في القلوب من كل شيء. قيل: وكذلك هو، وهذا العلو مطابق لعلوه في نفسه على كل شيء، فإن لم يكن عالياً بنفسه على كل شيء، كان علوه في القلوب غير مطابق، كمن جعل ما ليس بأعلى أعلى.

(س ٤٧٨:) أثبت علو الرب سبحانه، بالعقل من وجوه عدة؟.

(ج:) علو الرب سبحانه، ثابت بالسمع ثابت بالعقل والفطرة، أما ثبوته بالعقل فمن وجوه:

١ - أحدها: العلم البديهي القاطع بأن كل موجود، إما أن يكون أحدهما سارياً في الآخر، قائماً به كالصفات، وإما أن يكون قائماً بنفسه بائناً من الآخر.

٢ - الثاني: أنه لما خلق العالم، فلما أن يكون خلقه في ذاته، أو خارجاً عن ذاته، والأول باطل، أما أولاً: فبالاتفاق، وأما ثانياً: فلأنه يلزم أن يكون محلاً للخسائس والقاذورات، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

والثاني: يقتضي كون العالم واقعاً خارج ذاته، فيكون منفصلاً، فتعينت المبانيّة، لأن القول بأنه غير متصل بالعالم، وغير منفصل عنه غير معقول.

٣ - الثالث: أن كونه تعالى لا داخل العالم ولا خارجه يقتضي نفي وجوده بالكلية؛ لأنه غير معقول، فيكون موجوداً إما داخله وإما خارجه، والأول باطل، فتعين الثاني، فلزمت المباشرة.

س ٤٧٩: بماذا اعترض على الدليل العقلي في إثبات علو الرب سبحانه؟ وبماذا أجيب عنه؟

ج: قال الشارح: وقد اعترض على الدليل العقلي بإنكار بدايته، لأنه أنكره جمهور العقلاء، فلو كان بديهياً، لما كان مختلفاً فيه بين العقلاء، بل هو قضية وهمية خيالية.

والجواب عن هذا الاعتراض مبسوط في موضعه، ولكن أشير إليه هنا إشارة مختصرة، وهو أن يقال: إن العقل إن قَبِلَ قولكم، فهو لقولنا أَقْبَلُ، وإن رد العقل قَوْلنا، فهو لقولكم أعظم رداً، فإن كان قولنا باطلاً في العقل، فقولكم أبطل، وإن كان قولكم حقاً مقبولاً في العقل، فقولنا أولى أن يكون مقبولاً في العقل، فإن دعوى الضرورة مشتركة.

فإننا نقول: نعلم بالضرورة بطلان قولكم، وأنتم تقولون كذلك، فإذا قلتم: تلك الضرورة التي تحكم ببطلان قولنا هي من حكم الوهم لا من حكم العقل، قابلناكم بنظير قولكم، وعامة فطر الناس - ليسوا منا ولا منكم - يوافقونا على هذا، فإن كان حكم فطر بني آدم مقبولاً ترجحنا عليكم، وإن كان مردوداً غير مقبول، بطل قولكم بالكلية، فإنكم إنما بنيتم قولكم على ما تدعون أنه مقدمات معلومة بالفطرة الآدمية، وبطلت عقليتنا أيضاً، وكان السمع الذي جاءت به الأنبياء معنا لا معكم، فنحن مختصون بالسمع دونكم، والعقل مشترك بيننا وبينكم.

فإن قلتم: أكثر العقلاء يقولون بقولنا، قيل: ليس الأمر كذلك، فإن الذين يصرحون بأن صانع العالم ليس هو فوق العالم، وليس فوق العالم شيء موجود وأنه لا مباين للعالم ولا حال في العالم، طائفة من النظار، وأول من عرف عنه ذلك في الإسلام جهم بن صفوان وأتباعه.

س ٤٨٠: كيف ثبت علو الرب سبحانه بالفطرة؟

ج: أما علوه بالفطرة؛ فإن الخلق جميعاً بطباعهم وقلوبهم السليمة يرفعون أيديهم عند الدعاء، ويقصدون جهة العلو بقلوبهم عند التضرع إلى الله تعالى. وذكر محمد بن طاهر المقدسي أن الشيخ أبا جعفر الهمداني حضر مجلس الأستاذ أبي المعالي الجويني المعروف بإمام الحرمين، وهو يتكلم في نفي صفة العلو، ويقول: كان الله ولا عرش وهو الآن على ما كان! فقال الشيخ أبو جعفر: أخبرنا يا أستاذ عن هذه الضرورة التي نجدها في قلوبنا؟ فإنه ما قال عارف قط: يا الله، إلا وجد في قلبه ضرورة تطلب العلو، لا يلتفت بمنة ولا يسرة، فكيف ندفع هذه الضرورة عن أنفسنا؟ قال: فلطم أبو المعالي على رأسه ونزل، وأظنه قال: وبكى! وقال: حيرني الهمداني حيرني الهمداني!، أراد الشيخ: أن هذا أمر فطر الله عليه عباده من غير أن يتلقوه من المعلمين، يجدون في قلوبهم طلباً ضرورياً يتوجه إلى الله، ويطلبه في العلو.

س ٤٨١: بماذا اعترض على الدليل الفطري في إثبات علو الرب سبحانه؟ وبماذا أجيب عنه؟

ج: اعترض على الدليل الفطري: أن ذلك إنما لكون السماء قبلة للدعاء، كما أن الكعبة قبلة للصلاة، ثم هو منقوض (أي العلو) بوضع الجبهة على الأرض مع أنه ليس في جهة الأرض. وأجيب عن هذا الاعتراض من وجوه:

١ - أحدها: أن قولكم: أن السماء قبلة الدعاء لم يقله أحد من سلف الأمة، ولا أنزل الله به من سلطان، وهذا من الأمور الشرعية الدينية، فلا يجوز أن يخفى على جميع سلف الأمة وعلمائها.

٢ - الثاني: أن قبلة الدعاء هي قبلة الصلاة، فإنه يستحب للداعي أن يستقبل القبلة، وكان النبي ﷺ يستقبل القبلة في دعائه في مواطن كثيرة، فمن قال: إن للدعاء قبلة غير قبلة الصلاة، أو له قبلتين: إحداهما الكعبة، والأخرى السماء، فقد ابتدع في الدين، وخالف جماعة المسلمين.

٣ - الثالث: أن القبلة هي ما يستقبله العابد بوجهه، كما تستقبل الكعبة في الصلاة والدعاء والذكر والذبح، وكما يُوجّه المحتضر والمدفون، ولذلك

سُميت وجهة، والاستقبال خلاف الاستدبار، فالاستقبال بالوجه، والاستدبار بالدبر، فأما ما حاذاه الإنسان برأسه أو يديه أو جنبه، فهذا لا يسمى قبلة، لا حقيقة ولا مجازاً، فلو كانت السماء قبلة الدعاء، لكان المشروع أن يوجه الداعي وجهه إليها، وهذا لم يشرع، والموضع الذي ترفع إليه اليد لا يسمى قبلة، لا حقيقة ولا مجازاً، ولأن القبلة في الدعاء أمر شرعي تتبع فيه الشرائع، ولم تأمر الرسل أن الداعي يستقبل السماء بوجهه، بل نهوا عن ذلك، ومعلوم أن التوجه بالقلب، واللجأ والطلب الذي يجده الداعي من نفسه أمر فطري، يفعله المسلم والكافر، والعالم والجاهل، وأكثر ما يفعله المضطر والمستغيث بالله، كما فُطِر على أنه إذا مسه الضر يدعو الله، مع أن أمر القبلة مما يقبل النسخ والتحويل، كما تحولت القبلة من الصخرة إلى الكعبة.

وأمر التوجه في الدعاء إلى الجهة العلوية مركز في الفِطْر، والمستقبل للكعبة يعلم أن الله تعالى ليس هناك، بخلاف الداعي، فإنه يتوجه إلى ربه وخالقه، ويرجو الرحمة أن تنزل من عنده.

وأما النقض بوضع الجبهة، فما أفسده من نقض؛ فإن واضع الجبهة إنما قصده الخضوع لمن فوقه بالذل له، لا بأن يميل إليه إذ هو تحته، هذا لا يخطر في قلب ساجد، لكن يحكى عن بشر المريسي أنه سَمِعَ وهو يقول في سجوده: سبحان ربي الأسفل!! تعالى الله عما يقول الظالمون والجاحدون علواً كبيراً. وإن من أفضى به النفي إلى هذا الحال لحري أن يَتَزَنَّدَقَ، إن لم يتداركه الله برحمته، وبعيد من مثله الصلاح، قال تعالى: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾.

فمن لم يطلب الاهتداء من مظائه، يعاقب بالحرمان، نسأل الله العفو والعافية.

(س ٤٨٢): ما معنى قول الطحاوي: "وقد أعجز عن الإحاطة خلقه"؟.

(ج): قوله: "وقد أعجز عن الإحاطة خلقه" أي: لا يحيطون به علماً ولا رؤية، ولا غير ذلك من وجوه الإحاطة، بل هو سبحانه محيط بكل شيء،

ولا يحيط به شيء.



الفصل السادس عشر

الْخُلَّة

الخُلَّة

س ٤٨٣ : استدل على ثبوت صفة الخُلَّة للرب تعالى ؟ .

ج : ١ - قال تعالى : ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ .

٢ - وثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال : " لو كنت متخذاً من أهل الأرض خليلاً ، لاتخذت أبا بكر خليلاً ، ولكن صاحبكم خليل الرحمن " .

٣ - وفي رواية : " إني أبرأ إلى كل خليل من خلته ، ولو كنت متخذاً من أهل الأرض خليلاً ، لاتخذت أبا بكر خليلاً " .

٤ - وفي رواية : " إن الله اتخذني خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً " .

س ٤٨٤ : ما حقيقة الخُلَّة؟ ومن الذي أنكرها؟ .

ج : الخُلَّة : كمال المحبة المستغرقة للمحب ، كما قيل :

قد تخللت مسلكَ الرّوح مني ولذا سُمّي الخليلُ خليلاً وأنكرتها الجهمية .

س ٤٨٥ : ما شبهة من أنكر الخلة؟ وما التسلسل التاريخي لهذه البدعة؟ .

ج : أنكرت الجهمية حقيقة المحبة من الجانبين ، زعماً منهم أن المحبة لا تكون إلا لمناسبة بين المحب والمحبوب ، وأنه لا مناسبة بين القديم والمحدث توجب المحبة! وكذلك أنكروا حقيقة التكليم ، كما تقدم . وكان

أول من ابتدع هذا في الإسلام هو:

١ - الجعد بن درهم، في أوائل المئة الثانية؛ فضحى به خالد بن عبد الله القسري، أمير العراق والمشرق بواسط، خطب الناس يوم الأضحى، فقال: أيها الناس ضحوا، تقبل الله ضحاياكم، فإني مضح بالجعد بن درهم، إنه زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلاً، ولم يكلم موسى تكليماً، ثم نزل فذبحه. وكان ذلك بفتوى أهل زمانه من علماء التابعين رضي الله عنهم، فجزاه الله عن الدين وأهله خيراً. وأخذ هذا المذهب عن الجعد:

٢ - الجهم بن صفوان، فأظهره وناظر عليه، وإليه أضيف قول الجهمية، فقتله سلم بن أحوز أمير خراسان بها، ثم انتقل ذلك إلى :

٣ - المعتزلة أتباع عمرو بن عبيد، وظهر قولهم في أثناء خلافة المأمون، حتى امتحن أئمة الإسلام، ودعوهم إلى الموافقة على ذلك.

٤ - وأصل هذا مأخوذ عن المشركين والصابئة، وهم ينكرون أن يكون إبراهيم خليلاً وموسى كليماً.

س ٤٨٦: كيف يُرد على من أنكر ثبوت صفة الخلّة للرب ﷻ؟ .

ج: ١) يرد عليه بقوله تعالى: ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ .

وبقوله ﷻ في الصحيح: " لو كنت متخذاً من أهل الأرض خليلاً، لاتخذت أبا بكر خليلاً، ولكن صاحبكم خليل الرحمن " .

وفي رواية: " إني أبرأ إلى كل خليل من خلته، ولو كنت متخذاً من أهل الأرض خليلاً، لاتخذت أبا بكر خليلاً " .

وفي رواية: " إن الله اتخذني خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً " .

ولكن محبة الله وخلته كما يليق به تعالى، كسائر صفاته، ويشهد لذلك الأدلة الصريحة الصحيحة من الكتاب والسنة .

فبين ﷻ أنه لا يصلح له أن يتخذ من المخلوقين خليلاً، وأنه لو أمكن ذلك، لكان أحق الناس به أبو بكر الصديق، مع أنه ﷻ قد وصف نفسه بأنه يحب أشخاصاً، كقوله لمعاذ: " والله إني لأحبك " . وكذلك قوله للأنصار،

وكان زيد بن حارثة حب رسول الله ﷺ وابنه أسامة حبّه، وأمثال ذلك، وقال له عمرو بن العاص: أيّ الناس أحب إليك؟ قال: " عائشة " قال: فمن الرجال؟ قال: " أبوها ".

فعلم أن الخلّة أخص من مطلق المحبة، والمحجوب بها لكمالها يكون محبباً لذاته، لا لشيء آخر، إذ المحجوب لغيره هو مؤخر في الحب عن ذلك الغير، ومن كمالها لا تقبل الشركة ولا المزاحمة، لتخللها المحب، ففيها كمال التوحيد وكمال الحب، ولذلك لما اتخذ الله إبراهيم خليلاً، وكان إبراهيم قد سأل ربه أن يهب له ولدًا صالحاً، فوهب له إسماعيل، فأخذ هذا الولد شعباً من قلبه، فغار الخليل على قلب خليله أن يكون فيه مكاناً لغيره؛ فامتحنه بذبحه، ليظهر سر الخلّة في تقديمه محبة خليله على محبة ولده، فلما استسلم لأمر ربه، وعزم على فعله، وظهر سلطان الخلّة في الإقدام على ذبح الولد إيثاراً لمحبة خليله على محبته، نسخ الله ذلك عنه، وفداه بالذبح العظيم؛ لأن المصلحة في الذبح كانت ناشئة من العزم، وتوطين النفس على ما أمر، فلما حصلت هذه المصلحة، عاد الذبح نفسه مفسدة، فنسخ في حقه، وصارت الذبائح والقرايين من الهدايا، والضحايا سنة في أتباعه إلى يوم القيامة.

وكما أن منزلة الخلّة الثابتة لإبراهيم صلوات الله عليه قد شاركه فيها نبينا ﷺ كما تقدم، كذلك منزلة التكليم الثابتة لموسى صلوات الله وسلامه عليه، قد شاركه فيها نبينا ﷺ، كما ثبت ذلك في حديث الإسراء.

س ٤٨٧ : ذكر الشارح إشكالاً متوهماً في الصلاة الإبراهيمية، فما هو وكيف يجاب عنه؟

ج: الإشكال هنا، سؤال مشهور، وهو: أن النبي ﷺ أفضل من إبراهيم عليه السلام، فكيف طلب له من الصلاة مثل ما لإبراهيم، مع أن المشبه به أصله أن يكون فوق المشبه؟ وكيف الجمع بين هذين الأمرين المتنافيين؟

وقد أجاب عنه العلماء بأجوبة عديدة، يضيق هذا المكان عن بسطها. وأحسنها:

١ - أن آل إبراهيم فيهم الأنبياء الذين ليس في آل محمد مثلهم، فإذا طَلَبَ للنبي ﷺ ولآله من الصلاة مثل ما لإبراهيم وآله وفيهم الأنبياء، حصل لآل محمد ما يليق بهم، فإنهم لا يبلغون مراتب الأنبياء، وتبقى الزيادة التي للأنبياء، وفيهم إبراهيم لمحمد صلى الله عليهما وسلم، فيحصل له من المزية ما لم يحصل لغيره.

٢ - وأحسن من هذا: أن النبي محمداً ﷺ من آل إبراهيم، بل هو أفضل آل إبراهيم، فيكون قولنا: " كما صليت على آل إبراهيم " متناولاً للصلاة عليه وعلى سائر النبيين من ذرية إبراهيم، بل هو متناول إبراهيم أيضاً، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ (٣٣) فأبراهيم وعمران دخلا في آل إبراهيم وآل عمران، وكما في قول تعالى: ﴿إِلَّا آلَ لُوطٍ إِنَّا جَنَيْنَهُمْ بِسَرِّهِ﴾ فإن لوطاً داخل في آل لوط، وكما في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَاكَ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ﴾ وقوله: ﴿أَدْخَلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾. فإن فرعون داخل في آل فرعون. ولهذا - والله أعلم - أكثر روايات حديث الصلاة على النبي ﷺ إنما فيها: كما صليت على آل إبراهيم، وفي كثير منها: كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إلا في القليل من الروايات، وما ذلك - والله أعلم - إلا لأن في قوله: كما صليت على إبراهيم، يدخل آله تبعاً، وفي قوله: كما صليت على آل إبراهيم، هو داخل في آل إبراهيم.

وكذلك لما جاء أبو أوفى رضي الله عنه بصدقته إلى النبي ﷺ، دعا له النبي ﷺ وقال: "اللهم صل على آل أبي أوفى"، فعلى رواية من روى: " كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم " لا يدخل فيهم لإفراده بالذكر.

س ٤٨٨ ما الخصائص التي اختص الله بها بيت إبراهيم عليه السلام ؟ .

ج: لما كان بيت إبراهيم عليه السلام أشرف بيوت العالم على الإطلاق، خصهم الله بخصائص منها:

١ - أنه جعل فيهم النبوة والكتاب، فلم يأت بعد إبراهيم نبي إلا من أهل بيته.

٢ - أنه سبحانه جعلهم أئمة يهدون بأمره إلى يوم القيامة، فكل من

دخل الجنة من أولياء الله بعدهم، فإنما دخل من طريقهم وبدعوتهم.

٣ - أنه سبحانه اتخذ منهم الخليلين، كما تقدم ذكره.

٤ - أنه جعل صاحب هذا البيت إماماً للناس، قال تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۚ قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ۝﴾.

٥ - أنه جرى على يديه بناء بيته الذي جعله قياماً للناس، ومثابة للناس وأمناء، وجعله قبلة لهم وحجاً، فكان ظهور هذا البيت من أهل هذا البيت الأكرمين.

٦ - أنه أمر عباده أن يصلّوا على أهل هذا البيت. إلى غير ذلك من الخصائص.



الفصل السابع عشر

الإيمان بالملائكة والكتب

الإيمان بالملائكة والكتب



(س ٤٨٩): استدل لأصول الإيمان التي وردت في قول الطحاوي: " ونؤمن بالملائكة والنبیین، والكتب المنزلة على المرسلین، ونشهد أنهم كانوا على الحق المبين؟".

(ج:) هذه الأمور من أركان الإيمان، قال تعالى: ﴿ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ﴾ الآيات، وقال تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ﴾.

فجعل الله سبحانه وتعالى الإيمان هو الإيمان بهذه الجملة، وسمى من آمن بهذه الجملة مؤمنين، كما جعل الكافرين من كفر بهذه الجملة، بقوله: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾. وقال ﷺ في الحديث المتفق على صحته، حديث جبريل وسؤاله للنبي ﷺ عن الإيمان، فقال: " أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره ".

فهذه الأصول التي اتفقت عليها الأنبياء والرسل صلوات الله عليهم وسلامه، ولم يؤمن بها حقيقة الإيمان إلا أتباع الرسل.

(س ٤٩٠): ما معتقد من خالف الرسل في الإيمان بالله؟.

(ج:) قال الشارح: وأما أعداؤهم ومن سلك سبيلهم من الفلاسفة وأهل

البدع، فهم متفاوتون في جحدها وإنكارها، وأعظم الناس لها إنكاراً الفلاسفة المُسمَّون عند من يعظمهم بالحكماء، فإن من علم حقيقة قولهم، علم أنهم لم يؤمنوا بالله ولا رسله ولا كتبه ولا ملائكته ولا باليوم الآخر، فإن مذهبهم أن الله سبحانه وجود مجرد لا ماهية له ولا حقيقة، فلا يعلم الجزئيات بأعيانها، وكل موجود في الخارج، فهو جزئي، ولا يفعل عندهم بقدرته ومشيتته، وإنما العالم عندهم لازم له أزلاً وأبداً، وإن سمَّوه مفعولاً له؛ فمصانعةً ومصالحةً للمسلمين في اللفظ، وليس عندهم بمفعول، ولا مخلوق، ولا مقدورٍ عليه، وينفون عنه سمعه وبصره وسائر صفاته! فهذا إيمانهم بالله.

س ٤٩١: ما معتقد أعداء الرسل من الفلاسفة ومن سلك سبيلهم من أهل البدع في الإيمان بالكتب ب(كلام الله، الوحي)؟.

ج: أما كتبه عندهم، فإنهم لا يصفون بالكلام، فلا تكلم ولا يتكلم، ولا قال ولا يقول، والقرآن عندهم فيضٌ فاضٌ من العقل الفعال على قلب بشرٍ زاكي النفس طاهر، متميز عن النوع الإنساني بثلاث خصائص:

- ١ - قوة الإدراك وسرعته؛ لينال العلم أعظم مما يناله غيره!.
- ٢ - وقوة النفس؛ ليؤثر بها في هيولى^(١) العالم بقلب صورة إلى صورة.

٣ - وقوة التخيل؛ ليخيل بها القوى العقلية في أشكال محسوسة، وهي الملائكة عندهم! وليس في الخارج ذاتٌ منفصلةٌ تصعد وتنزل، وتذهب وتجيء وترى وتخطب الرسول، وإنما ذلك عندهم أمور ذهنية لا وجود لها في الأعيان.

س ٤٩٢: ما معتقد أعداء الرسل من الفلاسفة ومن سلك سبيلهم من أهل البدع في الإيمان بالملائكة؟.

ج: الملائكة عندهم عبارة عن قوة التخيل التي تميز بها الرسول عن البشر وليس في الخارج ذاتٌ منفصلةٌ تصعد وتنزل، وتذهب وتجيء، وترى

(١) الهيولى: سبق تعريفه، ص ١٦٢.

وتخاطب الرسول، وإنما ذلك عندهم أمور ذهنية لا وجود لها في الأعيان.
فهذا إيمانهم بالملائكة.

س ٤٩٣ : ما معتقد أعداء الرسل من الفلاسفة وغيرهم في الإيمان باليوم الآخر؟.

ج: أما اليوم الآخر، فهم أشد الناس تكذيباً به وإنكاراً له، وعندهم أن هذا العالم لا يخرب، ولا تنشق السماوات ولا تنفطر، ولا تنكدر النجوم، ولا تكور الشمس والقمر، ولا يقوم الناس من قبورهم، ويبعثون إلى جنة ونار! كل هذا عندهم أمثال مضروبة لتفهيم العوام، لا حقيقة لها في الخارج، كما يفهم منها أتباع الرسل.

فهذا إيمان الطائفة - الحقيرة الذليلة - بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر. وهذه هي أصول الدين الخمسة.

س ٤٩٤ : ما الأصول الخمسة عند أتباع الرسل، وما هي عند المعتزلة، وعلامة بنوا هذه الأصول؟.

ج: الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر. وهذه هي أصول الدين الخمسة عند أتباع الرسل، وقد أبدلتها المعتزلة بأصولهم الخمسة التي هدموا بها كثيراً من الدين، فإنهم بنوا أصل دينهم على الجسم والعرض الذي هو الموصوف والصفة عندهم.

* واحتجوا بالصفات التي هي الأعراض على حدوث الموصوف الذي هو الجسم، وتكلموا في التوحيد على هذا الأصل، فنفوا عن الله كل صفة، تشبيهاً بالصفات الموجودة في الموصوفات التي هي الأجسام.
* ثم تكلموا بعد ذلك في أفعاله التي هي القدر، وسموا ذلك "العدل".

* ثم تكلموا في النبوة والشرائع، والأمر والنهي، والوعد والوعيد، وهي مسائل الأسماء والأحكام، التي هي المنزلة بين المنزلتين.
* ومسألة إنفاذ الوعيد.

* ثم تكلموا في إلزام الغير بذلك، الذي هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وضمنوه جواز الخروج على الأئمة بالقتال.
فهذه أصولهم الخمسة، التي وضعوها بإزاء أصول الدين الخمسة التي بعث بها الرسول.

س ٤٩٥: ما هي أصول الدين عند الرافضة المتأخرين؟.

ج: أصول الدين عند الرافضة المتأخرين أربعة:

* التوحيد * العدل * النبوة * الإمامة.

س ٤٩٦: ما مستند أهل السنة والجماعة في الإيمان بأصول الدين، وما أصل الدين عند أتباع الرسل؟.

ج: مستند أهل السنة والجماعة في أصول الدين كتاب الله وسنة رسوله ﷺ كما تقدم ذكر الأدلة على ذلك، وأصول أهل السنة تابعة لما جاء به الرسول.

وأصل الدين: الإيمان بما جاء به الرسول، كم تقدم بيان ذلك، ولهذا كانت الآيتان من آخر سورة البقرة - لما تضمنتا هذا الأصل - لهما شأن عظيم ليس لغيرهما، ففي الصحيحين عن أبي مسعود عقبة بن عمرو عن النبي ﷺ قال: "من قرأ الآيتين من سورة البقرة في ليلة كفتاه".

وفي صحيح مسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: "بيننا جبريل قاعد عند النبي ﷺ سمع نقيضاً من فوقه، فرفع رأسه، فقال: هذا باب من السماء فُتِحَ اليوم، لم يُفْتَح قط إلا اليوم، فنزل منه ملك، فقال: هذا ملك نزل إلى الأرض، لم ينزل قط إلا اليوم، فسَلِمَ وقال: أبشر بنورين أُوتِيَتْهُمَا لم يُوْتِها نبي قبلك: فاتحة الكتاب، وخواتيم سورة البقرة، لن تقرأ بحرف منهما إلا أُوتِيَتْهُ".

وقال أبو طالب المكي: أركان الإيمان سبعة؛ يعني هذه الخمسة، والإيمان بالقدر، والإيمان بالجنة والنار. وهذا حق، والأدلة عليه ثابتة محكمة قطعية، وقد تقدم الإشارة إلى دليل التوحيد والرسالة.

س ٤٩٧: ما أعمال الملائكة في هذا العالم، في معتقد أهل الحق، وفي

معتقد المكذبين بالرسل، من الفلاسفة وغيرهم؟.

ج: الملائكة هم المُوَكَّلون بالسموات والأرض، فكل حركة في العالم، فهي ناشئة عن الملائكة، كما قال تعالى: ﴿فَالْمُدْرَتِ أَمْرًا﴾ ﴿٥﴾ ﴿فَالْمَقْسَمَتِ أَمْرًا﴾ ﴿٦﴾. وهم الملائكة عند أهل الإيمان وأتباع الرسل.

وأما المكذبون بالرسل المنكرون للصانع، فيقولون: هي النجوم.

وقد دل الكتاب والسنة على أصناف الملائكة، وأنها موكلة بأصناف المخلوقات وأنه سبحانه وكل بالجبـال ملائكة، ووكـل بالسحاب والمطر ملائكة، ووكـل بالرحم ملائكة تدبر أمر النطفة حتى يتم خلقها، ثم وكل بالعبد ملائكة لحفظ ما يعملـه وإحصائه وكتابتـه، ووكـل بالموت ملائكة، ووكـل بالسؤال في القبر ملائكة، ووكـل بالأفلاك ملائكة يحركونها، ووكـل بالشمس والقمر ملائكة، ووكـل بالنار وإيقادها وتعذيب أهلها وعمارتها ملائكة، ووكـل بالجنة وعمارتها وغراسها وعمل آلاتها ملائكة.

فالملائكة أعظم جنود الله، ومنهم: المرسلات عرفاً، والناشرات نشرأً، والفارقات فرقاً، والملقيات ذكراً.

ومنهم: النازعات غرقاً، والناشطات نشطاً، والسابحات سبحاً، فالسابقات سبقاً.

ومنهم: الصافات صفأً، فالزاجرات زجراً، فالتاليات ذكراً. ومعنى جمع التأنيث في ذلك كله: الفرق والطوائف والجماعات التي مفردها "فرقة" و"طائفة" و"جماعة".

ومنهم: ملائكة الرحمة وملائكة العذاب، وملائكة قد وكلوا بحمل العرش، وملائكة قد وكلوا بعمارة السماوات بالصلاة والتسبيح والتقديس، إلى غير ذلك من أصناف الملائكة التي لا يحصيها إلا الله تعالى.

س ٤٩٨: أوضح مدى طاعة الملائكة لربها تعالى، مع الاستدلال؟

ج: لفظ "الملك" يشعر بأنه رسول منقذ لأمر مرسله، فليس لهم من الأمر شيء، بل الأمر كله للواحد القهار، وهم ينفذون أمره: ﴿لَا يَسْقُونَهُ إِلَّا لِمِنْ أَرَضَىٰ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَتَمَطُّونَ﴾ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ أَرَضَىٰ وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفَعُونَ ﴿٢٨﴾ ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْفِهِمْ وَيَقْعَلُونَ مَا

يُؤْمَرُونَ ﴿٥٠﴾ . فهم عباد مُكْرَمُونَ، منهم الصّافون ومنهم المسيّحون، ليس منهم إلا له مقام معلوم، لا يتخطاه، وهو على عمل قد أمر به، لا يقصر عنه، ولا يتعده، وأعلامهم الذين عنده: ﴿لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ. وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ﴾ ﴿١٩﴾ يَسْتَحْسِرُونَ أَيْلَ وَالتَّهَارَ لَا يَقْتَرُونَ ﴿٦١﴾ .

س ٤٩٩: من هم رؤساء الملائكة؟ وما أعمالهم؟

ج: رؤسائهم الأملاك الثلاثة: جبريل وميكائيل وإسرافيل، الموكلون بالحياة.

* فجبريل موكل بالوحي الذي به حياة القلوب والأرواح.

* وميكائيل موكل بالقطر الذي به حياة الأرض والنبات والحيوان.

* وإسرافيل موكل بالنفخ في الصور الذي به حياة الخلق بعد مماتهم.

فهم رسل الله في خلقه وأمره، وسفراؤه بينه وبين عباده، ينزلون بالأمر من عنده في أقطار العالم، ويصعدون إليه بالأمر، قد "أطت السماوات بهم، وحُق لها أن تثط، ما فيها موضع أربع أصابع إلا وملك قائم أو راقع أو ساجد لله". ويدخل البيت المعمور منهم كل يوم سبعون ألفاً لا يعودون إليه آخر ما عليهم.

س ٥٠٠: وردت آيات كثيرة في ذكر الملائكة وأوصافهم وأصنافهم ومراتبهم، فهل لك أن تذكر بعض هذه الآيات؟

ج: القرآن مملوء بذكر الملائكة وأصنافهم ومراتبهم، فتارةً يقرن الله تعالى اسمه باسمهم، وصلاته بصلاتهم، ويضيفهم إليه في مواضع التشريف. وتارةً يصفهم بالإكرام والكرام، والتقريب والعلو، والطهارة والقوة والإخلاص.

١ - قال تعالى: ﴿كُلُّ ءَامَنٍ بِاللَّهِ وَمَلَكِيَّهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ﴾ .

٢ - وقال تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأَوَّلُوا الْحَمْدَ﴾ .

٣ - وقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ .

٤ - وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ .

٥ - وقال تعالى: ﴿وَرَأَى الْمَلِكَةَ حَاقِبَةً مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ .

٦ - وقال تعالى: ﴿بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ﴾ .

٧ - وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ﴾ ﴿٢٠٦﴾ .

٨ - وقال تعالى: ﴿فَإِنْ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْئَمُونَ﴾ ﴿٢٨﴾ .

٩ - وقال تعالى: ﴿كَرَامًا كَثِيرًا﴾ ﴿١١﴾ .

١٠ - وقال تعالى: ﴿كَرَامٍ بَرَرًا﴾ ﴿١٦﴾ .

١١ - وقال تعالى: ﴿يَشْهَدُهُ الْمَلَكُونَ﴾ ﴿٢١﴾ .

١٢ - وقال تعالى: ﴿لَا يَسْمَعُونَ إِلَى آلَمٍ إِلَّا أَعْلَى﴾ .

١٣ - وقال تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَكِئَةِ رُسُلًا أُولَئِكَ أَجْنَحَقٌ مَتْنٌ وَتِلْكَ وَرِثَةُ زَيْدٍ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ﴾ . وغير ذلك من الآيات .

وكذلك الأحاديث النبوية طافحة بذكرهم، فلهذا كان الإيمان بالملائكة أحد الأصول الخمسة التي هي أركان الإيمان .

س ٥٠١ : تكلم الناس في المفاضلة بين الملائكة وصالحى البشر، فما مذاههم في ذلك؟ .

ج : تكلم الناس في المفاضلة بين الملائكة وصالحى البشر .

١ - وينسب إلى أهل السنة تفضيل صالحى البشر أو الأنبياء فقط على الملائكة .

٢ - وإلى المعتزلة تفضيل الملائكة .

٣ - وأتباع الأشعري على قولين :

* منهم من يفضل الأنبياء والأولياء .

* ومنهم من يقف ولا يقطع في ذلك قولاً وحكى عن بعضهم ميلهم

إلى تفضيل الملائكة، وحُكي ذلك عن غيرهم من أهل السنة وبعض الصوفية.

٣ - وقالت الشيعة: إن جميع الأئمة أفضل من جميع الملائكة.

٤ - ومن الناس من فضل تفصيلاً آخر، ولم يقل أحد ممن له قول يؤثر: إن الملائكة أفضل من بعض الأنبياء دون بعض.

(س ٥٠٢) تكلم الناس في المفاضلة بين الملائكة وصالحى البشر، فهل لذلك ثمرة؟.

(ج) قال الشارح: وكنت ترددت في الكلام على هذه المسألة، لقلّة ثمرتها، وأنها قريب مما لا يعني، و "من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه".

والشيخ رحمه الله لم يتعرض إلى هذه المسألة بنفي ولا إثبات، ولعله يكون قد ترك الكلام فيها قصداً، فإن الإمام أباً حنيفة رحمه الله وقف في الجواب عنها، على ما ذكره في "مآل الفتاوى"؛ فإنه ذكر مسائل لم يقطع أبو حنيفة فيها بجواب، وعدّ منها: التفضيل بين الملائكة والأنبياء.

(س ٥٠٣) ما الواجب علينا تجاه الملائكة والنبين في المفاضلة؟.

(ج) الواجب علينا الإيمان بالملائكة والنبين، وليس علينا أن نعتقد أيّ الفريقين أفضل، فإن هذا لو كان من الواجبات، لبين لنا نصاً، وقد قال تعالى: ﴿أَيُّوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُم دِينَكُم﴾. ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾.

وفي الصحيح: "إن الله فرض فرائض فلا تضيعوها، وحدّ حدوداً فلا تعتدوها، وحرم أشياء فلا تنتهكوها، وسكت عن أشياء - رحمة بكم غير نسيان - فلا تسألوا عنها".

فالسكوت عن الكلام في هذه المسألة نفياً وإثباتاً - والحالة هذه - أولى.

(س ٥٠٤) لم تكلم الشارح في مسألة المفاضلة بين الملائكة وصالحى البشر، وقد أوضح أنه لا ثمرة ترجى من وراء الكلام فيها؟.

(ج) قال الشارح يرحمه الله: ولا يقال: إن هذه المسألة نظير غيرها من المسائل المستنبطة من الكتاب والسنة، لأن الأدلة متكافئة - على ما أشير إليه - إن شاء الله تعالى.

وحملني على بسط الكلام هنا: أن بعض الجاهلين يسيئون الأدب بقولهم: كان المَلَكُ خادماً للنبي ﷺ! أو: أن بعض الملائكة خُدَّام بني آدم!! يعنون الملائكة الموكِّلين بالبشر، ونحو ذلك من الألفاظ المخالفة للشرع، المجانبة للأدب.

س ٥٠٥: هل مسألة المفاضلة بين الملائكة وصالحي البشر، نظير مسألة المفاضلة بين الأنبياء؟.

ج: قال الشارح: وليس هذه المسألة نظير المفاضلة بين الأنبياء، فإن تلك قد وُجد فيها نص، وهو قوله تعالى: ﴿تِلْكَ أَرْسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾... الآية. وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ﴾. وقد تقدم الكلام في ذلك عند قول الشيخ: "وسيد المرسلين". يعني النبي ﷺ.

س ٥٠٦: ما المعتبر به في مسألة المفاضلة هذه؟ وعلام تدل الأدلة في هذه المسألة؟.

ج: قال الشارح: والمعتبر رجحان الدليل، ولا يهجر القول، لأن بعض أهل الأهواء وافق عليه، بعد أن تكون المسألة مختلفاً فيها بين أهل السنة، وقد كان أبو حنيفة رحمه الله يقول أولاً بتفضيل الملائكة على البشر، ثم قال بعكسه، والظاهر أن القول بالتوقف أحد أقواله.

والأدلة في هذه المسألة من الجانبين إنما تدل على الفضل، لا على الأفضلية، ولا نزاع في ذلك.

س ٥٠٧: اذكر كلام الشيخ تاج الدين الفزاري رحمه الله، في مسألة التفضيل بين الملائكة وصالحي البشر؟.

ج: للشيخ تاج الدين الفزاري رحمه الله مصنف سماه "الإشارة في البشارة في تفضيل البشر على الملك"، قال في آخره:

اعلم أن هذه المسألة من بدع علم الكلام، التي لم يتكلم فيها الصدر الأول من الأمة، ولا من بعدهم من أعلام الأئمة، ولا يتوقف عليها أصل من أصول العقائد، ولا يتعلق بها من الأمور الدينية كثير من المقاصد، ولهذا خلا

عنها طائفة من مصنفات هذا الشأن، وامتنع من الكلام فيها جماعة من الأعيان، وكل متكلم فيها من علماء الظاهر بعلمه، لم يخل كلامه عن ضعف واضطراب. انتهى.

(س ٥٠٨) استدل على تفضيل الأنبياء على الملائكة: أن الله أمر الملائكة أن يسجدوا لآدم؛ وذلك دليل على تفضيله عليهم...، أكمله، ثم أجب بماذا رد عليه؟.

(ج) مما استدل به على تفضيل الأنبياء على الملائكة: أن الله أمر الملائكة أن يسجدوا لآدم؛ وذلك دليل على تفضيله عليهم، ولذلك امتنع إبليس واستكبر وقال: ﴿أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ﴾.

قال الآخرون: إن سجود الملائكة كان امتثالاً لأمر ربهم، وعبادةً وانقياداً وطاعةً له، وتكريماً لآدم وتعظيماً، ولا يلزم من ذلك الأفضلية، كما لم يلزم من سجود يعقوب لابنه يوسف عليهما السلام تفضيل ابنه عليه، ولا تفضيل الكعبة على بني آدم بسجودهم إليها امتثالاً لأمر ربهم.

وأما امتناع إبليس، فإنه عارض النص برأيه وقياسه الفاسد بأنه خير منه، وهذه المقدمة الصغرى، والكبرى محذوفة، تقديرها: والفاضل لا يسجد للمفضول! وكلتا المقدمتين فاسدة:

أما الأولى: فإن التراب يفوق النار في أكثر صفاته، ولهذا خان إبليس عنصره، فأبى واستكبر، فإن من صفات النار طلب العلو والخفة والطيش والرعون، وإفساد ما تصل إليه ومحقة وإهلاكه وإحراقه، ونفع آدم عنصره في التوبة والاستكانة، والانقياد والاستسلام لأمر الله والاعتراف وطلب المغفرة، فإن من صفات التراب الثبات والسكون والرصانة، والتواضع والخشوع والتذلل، وما دنا منه ينبت ويزكو وينمى ويبارك فيه، ضد النار.

وأما المقدمة الثانية - وهي: أن الفاضل لا يسجد للمفضول -: فباطلة، فإن السجود طاعة لله، وامتثال لأمره، ولو أمر الله عباده أن يسجدوا لحجر، لوجب عليهم الامتثال والمبادرة، ولا يدل ذلك على أن المسجود له أفضل من الساجد، وإن كان فيه تكريمه وتعظيمه، وإنما يدل على فضله.

قالوا: وقد يكون قوله: ﴿أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ﴾ . بعد طرده لامتناعه عن السجود له، لا قبله، فينتفي الاستدلال به.

(س ٥٠٩): استدِلَّ على تفضيل الأنبياء على الملائكة: أن الملائكة لهم عقول، وليست لهم شهوات...، أكمل ما استدلوا به، وبماذا أجاب عنهم الآخرون؟.

(ج): دليلهم: أن الملائكة لهم عقول، وليست لهم شهوات، والأنبياء لهم عقول وشهوات، فلما نهوا أنفسهم عن الهوى، ومنعوها عما تميل إليه الطباع، كانوا بذلك أفضل.

قال الآخرون: يجوز أن يقع من الملائكة من مداومة الطاعة، وتحمل العبادة، وترك الونى والفتور فيها، ما يفي بتجنب الأنبياء شهواتهم، مع طول مدة عبادة الملائكة.

(س ٥١٠): من الذي استدل بأن الله جعل الملائكة رسلاً إلى الأنبياء، وسفراء بينه وبينهم، وبماذا أجيب عنه؟.

(ج): هذا الكلام اعتل به من قال: إن الملائكة أفضل، واستدلوا بهم به أقوى، فإن الأنبياء المرسلين، إن ثبت تفضيلهم على المرسل إليهم بالرسالة، ثبت تفضيل الرسل من الملائكة إليهم عليهم، فإن الرسول الملكي رسولاً إلى الرسول البشري.

ولم يذكر الشارح جواباً عن هذا، كما هو الحال في تفضيل الأنبياء.

(س ٥١١): من الذي استدل بقوله تعالى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ وبماذا أجيب عنه؟.

(ج): الذي استدل بهذا الدليل؛ هو المفضل للأنبياء على الملائكة. وأجيب عنه: أن هذا دليل على الفضل، لا على التفضيل، والملائكة والأنبياء لا يعلمون إلا ما علمهم الله، وليس الخضر أفضل من موسى، بكونه عليم ما لم يعلمه موسى، وقد سافر موسى وفتاه في طلب العلم إلى

الخضر، وتزودوا لذلك، وطلب موسى منه العلم صريحاً، وقال له الخضر: إنك على علم من الله إلى آخر كلامه، ولا الهدهد أفضل من سليمان عليه السلام بكونه أحاط بما لم يُحِط به سليمان علماً.

س ٥١٢: من الذي استدل بقوله تعالى: ﴿مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتَ بِيدَيَّ﴾ وبماذا أجيب عنه؟

ج: الذي استدل بهذا الدليل؛ هو المفضل للأنبياء على الملائكة. وأجيب عنه: أن هذا دليل الفضل لا الأفضلية، وإلا لزم تفضيله على محمد ﷺ فإن قلت: هو من ذريته، فمن ذريته البر والفاجر، بل يوم القيامة إذا قيل لآدم: "ابعث من ذريتك بعثاً إلى النار، يبعث من كل ألف تسع مئة وتسعة وتسعين إلى النار، وواحداً إلى الجنة". فما بال هذا التفضيل سرى إلى هذا الواحد من الألف فقط.

س ٥١٣: استدل من يفضل الأنبياء على الملائكة بقول عبد الله بن سلام رضي الله عنه: ما خلق الله خلقاً أكرم عليه من محمد ﷺ؟ وبماذا أجيب عنه؟

ج: الشأن في ثبوته، وإن صح عنه، فالشأن في ثبوته في نفسه، فإنه يحتمل أن يكون من الإسرائيليات^(١).

س ٥١٤: استدل من يفضل الأنبياء على الملائكة بحديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ قال: "إن الملائكة قالت: يا ربنا أعطيت بني آدم الدنيا...، أكمل استدلالهم، وبماذا رد عليه؟

ج: حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ قال: "إن الملائكة قالت: يا ربنا أعطيت بني آدم الدنيا يأكلون فيها، ويشربون ويلبسون، ونحن نسبح بحمدك، ولا نأكل ولا نشرب ولا نلهو، فكما جعلت لهم الدنيا، فاجعل لنا الآخرة؟ قال: لا أجعل صالح ذرية من خلقت بيدي

(١) هذا لا يسلم للشارح يرحمه الله، فإن الأثر رواه البيهقي في دلائل النبوة، والحاكم في مستدركه وصححه ووافقه الذهبي. فهذا رأي عبد الله بن سلام رضي الله عنه لم يرفعه للنبي ﷺ وليس هو من المغيبات، وليس من الإسرائيليات.

كمن قلت له: كن فكان " أخرجه الطبراني^(١).

وأخرجه عبد الله بن أحمد بن حنبل عن عروة بن رويم أنه قال: أخبرني الأنصاري عن النبي ﷺ: " أن الملائكة قالوا: ... " الحديث وفيه: " وينامون ويستريحون، فقال الله تعالى: " لا " فأعادوا القول ثلاث مرات، كل ذلك يقول: " لا"^(٢).

والشأن في ثبوتهما أن في سندهما مقالاً، وفي متنها شيئاً، فكيف يُظن بالملائكة الاعتراض على الله تعالى مرات عديدة؟! وقد أخبر الله تعالى عنهم: ﴿لَا يَسْقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾ (٢٧). وهل يظن بهم أنهم بأحوالهم، متشفون إلى ما سواها من شهوات بني آدم؟ والنوم أخو الموت، فكيف يغبطونهم به؟ وكيف يظن بهم أنهم يغبطونهم باللهو وهو من الباطل؟.

قالوا: بل الأمر بالعكس، فإن إبليس إنما وسوس إلى آدم، ودلاه بغرور، إذ أطمعه في أن يكون ملكاً بقوله: ﴿مَا تَهْنِكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَينِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ﴾. فدل أن فضيلة الملك أمر معلوم مستقر في الفطرة، يشهد لذلك قوله تعالى، حكاية عن النسوة اللاتي قطعن أيديهن عند رؤية يوسف: ﴿وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾.

وقال تعالى: ﴿قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ﴾. قال الأولون: إن هذا إنما كان لما هو مركز في النفوس: أن الملائكة خلق جميل عظيم، مقتدر في الأفعال الهائلة، خصوصاً العرب، فإن الملائكة كانوا في نفوسهم من العظمة بحيث قالوا: إن الملائكة بنات الله، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

(س ٥١٥) من استدل بهذا الدليل، وهو قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ أَمَلَ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ (٣٢). المفضلون للأنبياء، أم المفضلون للملائكة، مع ذكر الجواب عنه؟.

(١) إسناده ضعيف.

(٢) إسناده ضعيف أيضاً.

﴿ج﴾: المفضلون للأنبياء هم المستدلون بهذه الآية.

قال الآخرون: قد يذكر "العالمون"، ولا يقصد به العموم المطلق بل في كل مكان بحسبه، كما في قوله تعالى: ﴿لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ ﴿قَالُوا أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿٧٠﴾ ﴿أَتَأْتُونَ الذِّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿١٦٥﴾ ﴿وَلَقَدْ آخَرْتَهُمْ عَلَى عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ ﴿٣٦﴾.

﴿س ٥١٦﴾: استدل من يفضل الصالحين على الملائكة بقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾ ﴿٧﴾. أكمل استدلالهم، وبماذا أجيب عنه؟

﴿ج﴾: نعم فقد استدلوا بقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾ ﴿٧﴾. والبرية: مشتقة من البرء، بمعنى الخلق، فثبت أن صالحى البشر خير الخلق.

قال الآخرون: إنما صاروا خير البرية؛ لكونهم آمنوا وعملوا الصالحات، والملائكة في هذا الوصف أكمل، فإنهم لا يسأمون ولا يفترون، فلا يلزم أن يكونوا خيراً من الملائكة. هذا على قراءة من قرأ "البريئة"، بالهمز، وعلى قراءة من قرأ بالياء، إن قلنا: إنها مخففة من الهمزة، وإن قلنا: إنها نسبة إلى البرى: وهو التراب، كما قاله الفراء، فيما نقله عنه الجوهري في الصحاح؛ يكون المعنى: أنهم خير من خلق التراب، فلا عموم فيها إذ الغير من خلق من التراب.

﴿س ٥١٧﴾: ما الدليل العقلي الذي استدل به من يفضل صالحى البشر على الملائكة؟ وبماذا أجيب عليه؟

﴿ج﴾: قالوا: إنما تكلمنا في تفضيل صالحى البشر إذا كملوا ووصلوا إلى غايتهم، وأقصى نهايتهم، وذلك إنما يكون إذا دخلوا الجنة، ونالوا الزلفى، وسكنوا الدرجات العُلا، وحباهم الرحمن بمزيد قربه، وتجلى لهم، ليستمتعوا بالنظر إلى وجهه الكريم.

قال الآخرون: الشأن في أنهم هل صاروا إلى حالة يفوقون فيها الملائكة أو يساوونهم فيها؟ فإن كان قد ثبت أنهم يصيرون إلى حالٍ

يفوقون الملائكة، سَلَّمَ المُدْعَى، وإلا فلا.

(س ٥١٨) من استدل بهذا الدليل، وهو قوله تعالى: ﴿لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ﴾. المفضلون للبشر، أم المفضلون للملائكة، مع شرح هذا الدليل، وذكر الجواب عنه؟.

(ج) المفضلون للملائكة هم المستدلون بهذه الآية: ﴿لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ﴾... وقد ثبت من طريق اللغة أن مثل هذا الكلام يدل على أن المعطوف أفضل من المعطوف عليه؛ لأنه لا يجوز أن يقال: لن يستنكف الوزير أن يكون خادماً للملك ولا الشرطي أو الحارس!، وإنما يقال: لن يستنكف الشرطي أن يكون خادماً للملك ولا الوزير، ففي مثل هذا التركيب يترقى من الأدنى إلى الأعلى، فإذا ثبت تفضيلهم على عيسى عليه السلام ثبت في حق غيره، إذ لم يقل أحد: إنهم أفضل من بعض الأنبياء دون بعض.

أجاب الآخرون بأجوبة، أحسنها، أو من أحسنها: أنه لا نزاع في فضل قوة الملك وقدرته وشدته وعظم خلقه، وفي العبودية خضوعٌ وذلٌّ وانقيادٌ، وعيسى عليه السلام لا يستنكف عنها ولا من هو أقدر منه وأقوى وأعظم خلقاً، ولا يلزم من مثل هذا التركيب الأفضلية المطلقة من كل وجه.

(س ٥١٩) من استدل بهذا الدليل، وهو قوله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ﴾. المفضلون للبشر، أم المفضلون للملائكة، مع شرح هذا الدليل، وذكر الجواب عنه؟.

(ج) المفضلون للملائكة هم المستدلون بهذه الآية: ﴿قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ﴾. ومثل هذا يقال بمعنى: إني لو قلت ذلك، لادعيت فوق منزلي، ولست ممن يدعي ذلك.

أجاب الآخرون: أن الكفار كانوا قد قالوا: ﴿مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَبْتَشِي فِي الْأَسْوَاقِ﴾. فأمر أن يقول لهم: إني بشر مثكم أحتاج إلى ما يحتاج إليه البشر من الاكتساب والأكل والشرب، لست من الملائكة الذين

لم يجعل الله لهم حاجة إلى الطعام والشراب، فلا يلزم حينئذ الأفضلية المطلقة.

(س ٥٢٠) من استدل بحديث: المؤمن الضعيف، والمؤمن القوي، المفضلون للبشر، أم المفضلون للملائكة، مع شرح هذا الدليل، وذكر الجواب عنه؟.

(ج) المفضلون للملائكة هم المستدلون بالحديث، وهو مارواه مسلم بإسناده: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: " المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير ". ومعلوم أن قوة البشر لا تداني قوة المَلَك ولا تقاربها.

قال الآخرون: الظاهر أن المراد المؤمن من البشر - والله أعلم - فلا تدخل الملائكة في العموم.

(س ٥٢١) من استدل بالحديث القدسي: " يقول الله تعالى: أنا عند ظن عبدي بي... "، المفضلون للبشر، أم المفضلون للملائكة، مع إكمال هذا الدليل، وذكر الجواب عنه؟.

(ج) المفضلون للملائكة هم المستدلون بالحديث القدسي: الذي ثبت في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: فيما يرويه عن ربه ﷻ قال: " يقول الله تعالى: أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه، ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ، ذكرته في ملأ خير منهم " الحديث. وهذا نص في الأفضلية.

قال الآخرون: يحتمل أن يكون المراد " خير " منه للمذكور، لا الخيرية المطلقة.

(س ٥٢٢) من استدل بالحديث: " بينا أنا جالس إذ جاء جبريل، فوكز بين كتفي " المفضلون للبشر، أم المفضلون للملائكة، مع إكمال هذا الدليل، وذكر الجواب عنه؟.

(ج) المفضلون للملائكة هم المستدلون بالحديث الذي رواه ابن خزيمة

بسنده عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: " بينا أنا جالس إذ جاء جبريل، فوكز بين كتفيّ فقمّت إلى شجرة مثل وكري الطير، فقعد في أحدهما، وقعدت في الأخرى، فسَمَت وارتفعت حتى سدت الخافقين، وأنا أقلب بصري، ولو شئتُ أن أمس السماء مسست، فنظرت إلى جبريل كأنه جالسٌ لاطئ، فعرفت فضل علمه بالله عليّ" ^(١).

قال الآخرون: في سنده مقال، فلا نسلم الاحتجاج به إلا بعد ثبوته.

س ٥٢٣: ماذا رجح الشارح بعد إيراد الأدلة وأجوبتها في مسألة المفاضلة بين الملائكة وصالحي البشر؟.

ج: قال يرحمه الله: وحاصل الكلام: أن هذه المسألة من فضول المسائل، ولهذا لم يتعرض لها كثير من أهل الأصول، وتوقف أبو حنيفة رحمه الله في الجواب عنها، كما تقدم، والله أعلم بالصواب.

س ٥٢٤: ما الواجب علينا تجاه النبيين والمرسلين؟.

ج: الواجب علينا تجاه النبيين والمرسلين، الإيمان بمن سمى الله تعالى في كتابه من رسله، والإيمان بأن الله أرسل رسلاً سواهم، وأنبياء لا يعلم أسماءهم وعددهم إلا الله تعالى الذي أرسلهم.

فعلينا الإيمان بهم جملة؛ لأنه لم يأت في عددهم نص. وقد قال تعالى: ﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ﴾ وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾.

وعلىنا الإيمان بأنهم بلغوا جميع ما أرسلوا به على ما أمرهم الله به، وأنهم بينوه بياناً لا يسع أحداً ممن أرسلوا إليه جهله، ولا يحل له خلافه، قال تعالى: ﴿فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ ﴿وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾.

وأما الإيمان بمحمد ﷺ فتصديقه واتباع ما جاء به من الشرائع إجمالاً وتفصيلاً.

(١) إسناده ضعيف.

(س ٥٢٥) من هم أولو العزم من الرسل، مع الاستدلال؟.

(ج) قال الشارح: وأما أولو العزم من الرسل، فقد قيل فيهم أقوال، أحسنها: ما نقله البغوي وغيره عن ابن عباس وقتادة: أنهم نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمد صلوات الله وسلامه عليهم. قال: وهم المذكورون في قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾ وفي قوله تعالى: ﴿سَرَّعَ لَكُمْ مِنَ الَّذِينَ مَكَرَ بِكُمْ وَصَحَّ بِهِمْ نُوحًا وَآلِيزَارَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِمْ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾.

(س ٥٢٦) ما الواجب علينا تجاه الكتب المنزلة على الأنبياء؟.

(ج) الواجب علينا الإيمان بالكتب المنزلة على المرسلين، فنؤمن بما سمي الله تعالى منها في كتابه، من التوراة والإنجيل والزيور، ونؤمن بأن لله تعالى سوى ذلك كتباً أنزلها على أنبيائه، لا يعرف أسمائها وعددها إلا الله تعالى.

وأما الإيمان بالقرآن، فالإقرار به، واتباع ما فيه، وذلك أمر زائد على الإيمان بغيره من الكتب. فعلينا الإيمان بأن الكتب المنزلة على رسل الله أنهم من عند الله، وأنها حق ونور وبيان وشفاء، قال تعالى: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا﴾ إلى قوله: ﴿وَمَا أَوْفَى النَّبِيتُ مِنْ رَبِّهِمْ﴾. ﴿آلَهُ (١) اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ إلى قوله: ﴿وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ﴾ ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ﴾. ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفُرْقَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا (٨٢)﴾. إلى غير ذلك من الآيات الدالة على أن الله تكلم بها، وأنها نزلت من عنده. وفي ذلك إثبات صفة الكلام والعلو، وقال تعالى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ﴾. ﴿وَأَنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ (٤١) لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ (٤٢)﴾. ﴿وَبَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِينَ أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنَ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ﴾ ﴿يَتْلُوهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ (٥٧)﴾. ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ﴾ ﴿فَتَأْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلْنَا﴾. وأمثال ذلك في القرآن كثير.



الفصل الثامن عشر

الكفر، وتكفير المعين

الكفر، وتكفير المعين



س ٥٢٧: من هم أهل القبلة؟

ج: أهل القبلة هم الذين ورد فيهم الحديث الذي أخرجه البخاري بسنده، قال رسول الله ﷺ: " من صلى صلاتنا، واستقبل قبلتنا، وأكل ذبيحتنا، فهو المسلم، له ما لنا وعليه ما علينا " .

س ٥٢٨: إلى أي شيء أشار الإمام الطحاوي بقوله: " ونسمي أهل قبلتنا مسلمين مؤمنين، ما داموا بما جاء به النبي ﷺ معترفين، وله بكل ما قاله وأخبر مصدقين "؟

ج: يشير الشيخ رحمه الله بهذا الكلام إلى أن الإسلام والإيمان واحد، وأن المسلم لا يخرج من الإسلام بارتكاب الذنب ما لم يستحله .

س ٥٢٩: ما المراد بقول الطحاوي: " أهل قبلتنا "؟

ج: قال الشارح: والمراد بقوله: " أهل قبلتنا " من يدعي الإسلام، ويستقبل الكعبة، وإن كان من أهل الأهواء، أو من أهل المعاصي، ما لم يكذب بشئ مما جاء به الرسول ﷺ. وسيأتي الكلام على هذين المعنيين عند قول الشيخ: " ولا نكفر أحداً من أهل القبلة بذنب ما لم يستحله " وعند قوله: " والإسلام والإيمان واحد، وأهله في أصله سواء " .

س ٥٣٠: على من رد الشيخ بقوله: " ولا نخوض في الله، ولا نماري في دين الله "؟

(ج) قال الشارح: يشير الشيخ رحمه الله تعالى إلى الكف عن كلام المتكلمين الباطل، وذم علمهم؛ فإنهم يتكلمون في الإله بغير علم وغير سلطان أناهم: ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ الْهُدَى﴾.

وعن أبي حنيفة رحمه الله تعالى أنه قال: لا ينبغي لأحد أن ينطق في ذات الله بشيء، بل يصفه بما وصف به نفسه. وقال بعضهم: الحق سبحانه يقول: من ألزمته القيام مع أسمائي وصفاتي، ألزمته الأدب، ومن كشفت له حقيقة ذاتي، ألزمته العطب، ويشهد لهذا أنه سبحانه لما كشف للجبل عن ذاته، ساخ الجبل وتدكدك ولم يثبت على عظمة الذات. وقال الشبلي: الانبساط بالقول مع الحق ترك الأدب.

وقوله: "ولا نماري في دين الله" معناه: لا نخاصم أهل الحق بإلقاء شبهات أهل الأهواء عليهم، التماساً لامترائهم وميلهم؛ لأنه في معنى الدعاء إلى الباطل، وتلبس الحق، وإفساد الإسلام.

(س ٥٣١) ما المراد بقول الشيخ: "ولا نجادل في القرآن، ونشهد أنه كلام رب العالمين"؟

(ج) قوله: "ولا نجادل في القرآن" يحتمل أنه أراد:

١ - أنا لا نقول فيه كما قال أهل الزيغ واختلفوا، وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق، بل نقول: "إنه كلام رب العالمين، نزل به الروح الأمين" إلى آخر كلامه.

٢ - ويحتمل أنه أراد: أنا لا نجادل في القراءات الثابتة، بل نقرؤه بكل ما ثبت وصح، وكل من المعنيين حق.

(س ٥٣٢) ذكر الشارح أن من معاني قول الشيخ: "ولا نجادل في القرآن" النهي عن المجادلة في القراءات الثابتة، فما الدليل على ذلك؟ ولم نهى عنه؟

(ج) الدليل على ذلك ما روي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال: سمعت رجلاً قرأ آية سمعت رسول الله ﷺ يقرأ خلافاً، فأخذت بيده، فانطلقت إلى رسول الله ﷺ فذكرت ذلك له، فعرفت في وجهه الكراهة، وقال: "كلا كما

محسن، ولا تختلفوا، فإن من كان قبلكم اختلفوا فهلكوا" رواه مسلم.

نهى النبي ﷺ عن الاختلاف الذي فيه جحد كل واحد من المختلفين ما مع صاحبه من الحق؛ لأن كلا القارئين كان محسناً فيما قرأه، وعلل ذلك بأن من كان قبلنا اختلفوا، فهلكوا، ولهذا قال حذيفة رضي الله عنه لعثمان رضي الله عنه: أدرك هذه الأمة لا تختلف كما اختلفت الأمم قبلهم. فجمع الناس على حرف واحد اجتماعاً سائغاً، وهم معصومون أن يجتمعوا على ضلالة، ولم يكن في ذلك ترك لواجب، ولا فعل لمحذور، إذ كانت قراءة القرآن على سبعة أحرف جائزة لا واجبة، رخصة من الله تعالى، وقد جعل الاختيار إليهم في أي حرف اختاروه.

(س ٥٣٣): ما حكم ترتيب الآيات والسور في القرآن، هل نُص عليه؟

(ج): قال الشارح: كما أن ترتيب السور لم يكن واجباً عليهم منصوصاً، ولهذا كان ترتيب مصحف عبد الله على غير ترتيب المصحف العثماني، وكذلك مصحف غيره.

وأما ترتيب آيات السور، فهو ترتيب منصوص عليه، فلم يكن لهم أن يقدموا آية على آية، بخلاف السور، فلما رأى الصحابة أن الأمة تفترق وتختلف، وتتقاتل إن لم تجمع على حرف واحد، جمعهم الصحابة عليه. هذا قول جمهور السلف من العلماء والقراء. قاله ابن جرير وغيره.

(س ٥٣٤): ما حكم القراءة بالأحرف السبعة، هل رُخص فيه، أم نهى عنه؟

(ج): قال الشارح: ومنهم من يقول: إن الترخص في الأحرف السبعة كان في أول الإسلام، لما في المحافظة على حرف واحد من المشقة عليهم أولاً، فلما تذللت ألسنتهم بالقراءة، وكان اتفاقهم على حرف واحد يسيراً عليهم، وهو أوفق لهم؛ أجمعوا على الحرف الذي كان في العرضة الأخيرة.

وذهب طوائف من الفقهاء وأهل الكلام إلى أن المصحف مشتمل على الأحرف السبعة؛ لأنه لا يجوز أن يهمل شيء من الأحرف السبعة، وقد اتفقوا على نقل المصحف العثماني، وترك ما سواه. وقد تقدمت الإشارة إلى الجواب، وهو أن ذلك كان جائزاً لا واجباً، أو أنه صار منسوخاً.

وأما من قال عن ابن مسعود: إنه كان يجوز القراءة بالمعنى! فقد كذب عليه، وإنما قال: قد نظرت إلى القراء فرأيت قراءتهم متقاربة، وإنما هو كقول أحدكم: هلم، وأقبل، وتعال، فاقروا كما علمتم، أو كما قال.

(س ٥٣٥) قال الطحاوي: "ولا نجادل في القرآن..."، ما حكم مجادلة أهل البدع، وكيف تكون، وهل يكفرون عند مجادلتهم؟ فصل القول في ذلك؟.

(ج:) الله تعالى قد أمرنا أن لا نجادل أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم، فكيف بمناظرة أهل القبلة؟ فإن أهل القبلة من حيث الجملة خير من أهل الكتاب، فلا يجوز أن يُناظر من لم يظلم منهم إلا بالتي هي أحسن، وليس إذا أخطأ يقال: إنه كافر قبل أن تقام عليه الحجة التي حكم الرسول بكفر من تركها. والله تعالى قد عفا لهذه الأمة عن الخطأ والنسيان. ولهذا ذم السلف أهل الأهواء، وذكروا أن آخر أمرهم السيف، وسيأتي لهذا المعنى زيادة بيان إن شاء الله تعالى، عند قول الشيخ: "ونرى الجماعة حقاً وصواباً، والفرقة زيغاً وعذاباً".

(س ٥٣٦) ما المراد بقوله: "نزل به الروح الأمين"؟ ولم سمي بهذا الاسم؟.

(ج:) قوله: "نزل به الروح الأمين" هو جبريل عليه السلام، سمي روحاً؛ لأنه حامل الوحي الذي به حياة القلوب إلى الرسل من البشر صلوات الله عليهم أجمعين، وهو أمين حق أمين، صلوات الله عليه، قال تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾ (١٩٣) عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴿١٩٥﴾ وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ (١٩) ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴿٢١﴾ وهذا وصف جبريل بخلاف قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ (٢١) وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ﴿٢٢﴾. فإن الرسول هنا محمد ﷺ.

(س ٥٣٧) لمن يعود الضمير في قول الطحاوي: "فعلمه سيد المرسلين"، وعلى من رد بقوله هذا؟.

(ج:) قوله: "فعلمه سيد المرسلين" تصريح بتعليم جبريل إياه إبطالاً لتوهم

القرامطة وغيرهم أنه تصوره في نفسه إلهاماً.

(س ٥٣٨) ما المراد بقول الشيخ: "ولا نقول بخلقه، ولا نخالف جماعة المسلمين"؟

(ج) قوله: "ولا نقول بخلقه، ولا نخالف جماعة المسلمين"، تنبيه على أن من قال بخلق القرآن، فقد خالف جماعة المسلمين، فإن سلف الأمة كلهم متفقون على أن القرآن كلام الله بالحقيقة غير مخلوق، بل قوله: "ولا نخالف جماعة المسلمين" مجرى على إطلاقه: أنا لا نخالف جماعة المسلمين في جميع ما اتفقوا عليه، فإن خلافهم زيغ وضلال وبدعة.

(س ٥٣٩) على من رد الشيخ بقوله: "ولا نكفر أحداً من أهل القبلة بذنب، ما لم يستحلّه..؟"

(ج) يشير الشيخ رحمه الله إلى الرد على الخوارج القائلين بالتكفير بكل ذنب.

(س ٥٤٠) ما أقسام الناس في التكفير وعدمه، في أصحاب الذنوب؟

(ج) قال الشارح رحمه الله: واعلم - رحمك الله وإيانا - أن باب التكفير وعدم التكفير، باب عظمت الفتنة والمحنة فيه وكثر فيه الافتراق، وتشتت فيه الأهواء والآراء، وتعارضت فيه دلائلهم، فالناس فيه - في جنس تكفير أهل المقالات الفاسدة، المخالفة للحق الذي بعث الله به رسوله في نفس الأمر، أو المخالفة لذلك في اعتقادهم - على طرفين ووسط، من جنس الاختلاف في تكفير أهل الكبائر العملية.

١ - فطائفة تقول: لا نكفر من أهل القبلة أحداً، فتنفي التكفير نفيّاً عاماً، مع العلم بأن في أهل القبلة المنافقين، الذين فيهم من هو أكفر من اليهود والنصارى بالكتاب والسنة والإجماع، وفيهم من قد يظهر بعض ذلك حيث يمكنهم، وهم يتظاهرون بالشهادتين.

٢ - وطوائف من أهل الكلام والفقه والحديث، لا يقولون ذلك في الأعمال، لكن في الاعتقادات البدعية، وإن كان صاحبها متولاً، فيقولون:

يكفر كل من قال هذا القول، لا يفرقون بين المجتهد المخطئ وغيره، أو يقولون بكفر كل مبتدع، وهؤلاء يدخل عليهم في هذا الإثبات العام أمور عظيمة. فإن النصوص المتواترة قد دلت على أنه يخرج من النار من في قلبه مثقال ذرة من إيمان، ونصوص الوعيد التي يحتج بها هؤلاء تعارض نصوص الوعيد التي يحتج بها أولئك.

٣ - (قلت): وطائفة تفصل، فلا تكفر على الإطلاق، ولا تنفي الكفر على الإطلاق، بل من توفرت فيه الشروط وانتفت عنه الموانع، وقع عليه الحكم بالكفر.

(س ٥٤١): ما الحكم لو أظهر الرجل إنكار الواجبات الظاهرة المتواترة، والمحرمات الظاهرة المتواترة؟.

(ج): لا خلاف بين المسلمين أن الرجل لو أظهر إنكار الواجبات الظاهرة المتواترة، والمحرمات الظاهرة المتواترة، ونحو ذلك؛ فإنه يستتاب، فإن تاب وإلا قتل كافراً مرتداً.

(س ٥٤٢): ما مظنة الردة والنفاق؟.

(ج): النفاق والردة مظنتهما البدع والفجور، كما ذكره الخلال في كتاب السنة بسنده إلى محمد بن سيرين، أنه قال: إن أسرع الناس ردة أهل الأهواء، وكان يرى هذه الآية نزلت فيهم: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي ءَايَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾.

(س ٥٤٣): لماذا امتنع كثير من الأئمة عن القول: بأنا لا نكفر أحداً بذنوب؟.

(ج): لا شك أن للتكفير شروطاً وموانع يجب أن تتحقق حتى يُحكم بالتكفير على الشخص المعين، ولا خلاف بين المسلمين أن الرجل لو أظهر إنكار الواجبات الظاهرة المتواترة، والمحرمات الظاهرة المتواترة، ونحو ذلك؛ فإنه يستتاب، فإن تاب وإلا قتل كافراً مرتداً.

ولهذا امتنع كثير من الأئمة عن القول: بأنا لا نكفر أحداً بذنوب، بل يقال: لا نكفرهم بكل ذنب، كما تقول الخوارج، وفرق بين النفي العام ونفي العموم،

والواجب إنما هو نفي العموم مناقضة لقول الخوارج الذين يكفرون بكل ذنب.

(س ٥٤٤) لماذا قيد الشيخ قوله الآنف، في التكفير بالذنوب، بقوله: " ما لم يستحله "؟

(ج) من المعلوم أن التكفير لا يكون إلا بعد قيام الحجة على المكفر، ولا يقال في التكفير؛ أنا لا نكفر أحداً بذنب، بل يقال: لا نكفرهم بكل ذنب، كما تقول الخوارج، وفرق بين النفي العام ونفي العموم، والواجب إنما هو نفي العموم مناقضة لقول الخوارج الذين يكفرون بكل ذنب.

ولهذا - والله أعلم - قيده الشيخ رحمه الله بقوله: " ما لم يستحله"، وفي قوله: " ما لم يستحله " إشارة إلى أن مراده من هذا النفي العام لكل ذنب من الذنوب العملية لا العلمية.

(س ٥٤٥) ذكر الشارح إشكالاً في قول الطحاوي رحمه الله: " ما لم يستحله " فما هو؟ وبم أجاب عليه؟

(ج) قال الشارح - بعد أن أورد قول الطحاوي -: " ما لم يستحله " : أشار إلى مراده من هذا النفي العام لكل ذنب، الذنوب العملية (الأعمال) لا العلمية (المعتقدات). وفيه إشكال، فإن الشارح لم يكتف من المكلف في العمليات بمجرد العمل دون العلم، ولا في العلميات بمجرد العلم دون العمل، وليس العمل مقصوراً على عمل الجوارح، بل أعمال القلوب أصل لعمل الجوارح، وأعمال الجوارح تبع إلا أن يضمن قوله: " يستحله " بمعنى: يعتقده، أو نحو ذلك.

(س ٥٤٦) على من رد الشيخ بقوله: " ولا نقول لا يضر مع الإيمان ذنب لمن عمله... "؟

(ج) قال الشارح: وقوله: " ولا نقول لا يضر مع الإيمان ذنب لمن عمله " .. إلى آخر كلامه: رد على المرجئة، فإنهم يقولون: لا يضر مع الإيمان ذنب، كما لا ينفع مع الكفر طاعة.

(س ٥٤٧) من الذي قابل المرجئة في قضية الإيمان؟

(ج) قال الشارح: فهؤلاء (المرجئة) في طرف، والخوارج في طرف، فإنهم

يقولون: نكفر المسلم بكل ذنب، أو بكل ذنب كبير، وكذلك المعتزلة الذين يقولون: يخرج من الإيمان ولا يدخل في الكفر. وهذه المنزلة بين المنزلتين!! وبقولهم بخروجه من الإيمان أوجبوا له الخلود في النار!.

س ٥٤٨ : لماذا لا يُكفر أصحاب البدع من أهل القبلة بالذنوب العلمية تكفيراً من أول وهلة نعرف بها ابتداعهم؟.

ج: قال الشارح: والمقصود هنا: أن البدع هي من هذا الجنس، فإن الرجل يكون مؤمناً ظاهراً وباطناً، لكن تأول تأويلاً أخطأ فيه، إما مجتهداً، وإما مفرطاً مذنّباً، فلا يقال: إن إيمانه خبط بمجرد ذلك، إلا أن يدل على ذلك دليل شرعي، بل هذا (أي التكفير بلا دليل) من جنس قول الخوارج والمعتزلة، ولا نقول: لا يكفر، بل العدل هو الوسط، وهو: أن الأقوال الباطلة المبتدعة المحرمة المتضمنة نفي ما أثبتته الرسول، أو إثبات ما نفاه، أو الأمر بما نهى عنه، أو النهي بما أمر به؛ يقال فيها الحق، ويثبت لها الوعيد الذي دلت عليه النصوص، ويبين أنها كفر، ويقال: من قالها فهو كافر، ونحو ذلك، كما يُذكر من الوعيد في الظلم في النفوس والأموال، وكما قد قال كثير من أهل السنة المشاهير بتكفير من قال بخلق القرآن، وأن الله لا يرى في الآخرة، ولا يعلم الأشياء قبل وقوعها. وعن أبي يوسف رحمه الله، أنه قال: ناظرت أبا حنيفة رحمه الله مدةً، حتى اتفق رأيي ورأيه: أن من قال بخلق القرآن؛ فهو كافر.

س ٥٤٩ : إذا قيل: هل تشهدون أن الشخص المعين من أهل الوعيد، وأنه كافر؟ وما حكمه في الدنيا؟.

ج: أما الشخص المعين، إذا قيل: هل تشهدون أنه من أهل الوعيد، وأنه كافر؟ فهذا لا نشهد عليه إلا بأمر تجوز معه الشهادة، فإنه من أعظم البغي أن يشهد على معين أن الله لا يغفر له، ولا يرحمه، بل يخلده في النار، فإن هذا حكم الكافر بعد الموت. ولأن الشخص المعين يمكن أن يكون مجتهداً مخطئاً مغفوراً له، أو يمكن أن يكون ممن لم يبلغه ما وراء ذلك من النصوص، ويمكن أن يكون له إيمان عظيم وحسنات أوجبت له رحمة الله، كما غفر للذي قال: "إذا مت فاسحقوني ثم ذروني، ثم غفر الله له

لخشيتـه" وكان يظن أن الله لا يقدر على جمعه وإعادته، أو شك في ذلك، لكن هذا التوقف في أمر الآخرة لا يمنعنا أن نعاقبه في الدنيا، لمنع بدعته، وأن نستتيبه، فإن تاب وإلا قتلناه.

(س ٥٥٠): ما الدليل الذي استدل به الشارح في النهي عن البغي، وما المراد بالبغي في قول الشارح؟

(ج): المراد بالبغي في قول الشارح؛ تكفير المعين والحكم عليه بأن الله لا يغفر له ولا يرحمه، بل يخلده في النار، والدليل ما رواه أبو داود في سننه في كتاب الأدب: باب النهي عن البغي، وذكر فيه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

"كان رجلان في بني إسرائيل متواخين، فكان أحدهما يذنب، والآخر مجتهد في العبادة، فكان لا يزال المجتهد يرى الآخر على الذنب، فيقول: أقصر. فقال: خلني وربّي، أبعثت عليّ رقيباً؟ فقال: والله لا يغفر الله لك، أو لا يدخلك الجنة، فقبض أرواحهما، فاجتمعا عند رب العالمين، فقال لهذا المجتهد: أكنت بي عالماً؟ أو كنت على ما في يديّ قادراً؟ وقال للمذنب: اذهب فادخل الجنة برحمتي، وقال للآخر: اذهبوا به إلى النار" قال أبو هريرة: والذي نفسي بيده، لتكلم بكلمة أوبقت دنياه وآخرته. وهو حديث حسن.

(س ٥٥١): ما الحكم إذا كان القول في نفسه كفراً، هل يكفر القائل له؟

(ج): إذا كان القول في نفسه كفراً، قيل: إنه كفرٌ والقائل له يكفر بشروط وانتفاء موانع^(١) ولا يكون ذلك إلا إذا صار منافقاً زنديقاً، فلا يتصور أن يكفر

- ومن الموانع:
- ١ - الجهل.
 - ٢ - فقدان العقل.
 - ٣ - عدم التبين.
 - ٤ - التأويل.

- (١) من الشروط:
- ١ - البلوغ.
 - ٢ - العقل.
 - ٣ - العلم.
 - ٤ - التبين.
 - ٥ - الاختيار.
 - ٦ - الإكراه.

أحد من أهل القبلة المظهرين للإسلام إلا من يكون منافقاً زنديقاً، وكتاب الله يبين، فإن الله صنف الخلق فيه ثلاثة أصناف:

* صنف كفار من المشركين ومن أهل الكتاب، وهم الذين لا يقرون بالشهادتين.

* وصنف مؤمنون باطناً وظاهراً.

* وصنف أقروا به ظاهراً لا باطناً.

وهذه الأقسام الثلاثة مذكورة في أول سورة البقرة، وكل من ثبت أنه كافر في نفس الأمر وكان مقراً بالشهادتين، فإنه لا يكون إلا زنديقاً، والزنديق هو المنافق.

(س ٥٥٢) ما الدليل الذي استدل به الشارح على عدم تكفير كل من قال القول المبتدع؟ وهل وجد مثل من قال هذا القول من الطوائف وأئمة العلم؟.

(ج) قال الشارح: وهنا يظهر غلط الطرفين، فإنه من كفر كُلف من قال القول المبتدع في الباطن، يلزمه أن يكفر أقواماً ليسوا في الباطن منافقين، بل هم في الباطن يحبون الله ورسوله ويؤمنون بالله ورسوله، وإن كانوا مذنبين، كما ثبت في صحيح البخاري عن أسلم مولى عمر رضي الله عنه عن عمر: أن رجلاً كان على عهد النبي ﷺ كان اسمه عبد الله، وكان يُلقَّب حماراً، وكان يضحك رسول الله ﷺ وكان رسول الله ﷺ قد جلده في الشراب، فأتى به يوماً، فأمر به فجلد، فقال رجل من القوم: اللهم العنه، ما أكثر ما يُؤتى به؟! فقال رسول الله ﷺ: " لا تلعه، فإنه يحب الله ورسوله ".

(س ٥٥٣) هل وجد مثل من قال هذا القول المبتدع - الذي أوضح الشارح أنه لا يكفر إلا بالدليل - من الطوائف وأئمة العلم؟.

(ج) قال الشارح: وهذا أمر متيقن به في طوائف كثيرة، وأئمة في العلم والدين، وفيهم بعض مقالات الجهمية، أو المرجئة، أو القدرية، أو الشيعة، أو الخوارج، ولكن الأئمة في العلم والدين لا يكونون قائمين بجملة تلك البدعة، بل بفرع منها، ولهذا انتحل أهل هذه الأهواء لطوائف من السلف المشاهير.

فمن عيوب أهل البدع تكفير بعضهم بعضاً، ومن مبادئ أهل العلم أنهم يُخطئون ولا يكفرون.

(س ٥٥٤) ذكر الشارح إشكالاً يرد على كلام الشيخ الأنف: " ولا نكفر أحداً من أهل القبلة... " فما الإشكال مع الاستدلال؟.

(ج) قال الشارح: ولكن بقي هنا إشكال يرد على كلام الشيخ رحمه الله تعالى، وهو أن الشارع قد سمى بعض الذنوب كفراً.

١ - قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾.

٢ - وقال ﷺ: "سباب المسلم فسوق وقتاله كفر" متفق عليه، من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

٣ - وقال ﷺ: " لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض".

٤ - وقال ﷺ: " وإذا قال الرجل لأخيه: يا كافر، فقد باء بها أحدهما". متفق عليه من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

٥ - وقال ﷺ: " أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً، ومن كانت فيه خصلةٌ منهن، كان فيه خصلةٌ من النفاق حتى يدعها: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر ". متفق عليه من حديث عبد الله بن عمرو.

٦ - وقال ﷺ: " لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن، والتوبة معروضة بعد".

٧ - وقال ﷺ: " بين المسلم وبين الكفر ترك الصلاة " رواه مسلم عن جابر رضي الله عنه.

٨ - وقال ﷺ: " من أتى كاهناً فصدقه، أو أتى امرأة في دبرها، فقد كفر بما أنزل على محمد ".

٩ - وقال ﷺ: " من حلف بغير الله فقد كفر " رواه الحاكم بهذا اللفظ.

١٠ - وقال ﷺ: " ثنتان في أمتي هما كفر: الطعن في النسب، والنياحة على الميت "، ونظائر ذلك كثيرة.

س ٥٥٥: كيف الجواب عن الإشكال السابق الذي ذكره الشارح؟.

ج: الجواب: أن أهل السنة متفقون كلهم على أن مرتكب الكبيرة لا يكفر كفراً ناقلاً عن الملة بالكلية، كما قالت الخوارج، إذ لو كفر كفراً ينقل عن الملة، لكان مرتداً يقتل على كل حال، ولا يقبل عفو ولي القصاص، ولا تجري الحدود في الزنى والسرقة، وشرب الخمر، وهذا القول معلوم بطلانه وفساده بالضرورة من دين الإسلام. ويقال كذلك: إن الكفر على مراتب، كفراً دون كفر، والمذكور في الأحاديث الآتية، هو من نوع الكفر الأصغر، أو من كبائر الذنوب، التي لا يخرج صاحبها من الإسلام.

س ٥٥٦: ما معتقد أهل السنة والجماعة في حكم مرتكب الكبيرة؟ ومن الذي قال بكفره؟ وكيف يرد عليه؟.

ج: أهل السنة متفقون كلهم على أن مرتكب الكبيرة لا يكفر كفراً ناقلاً عن الملة بالكلية، كما قالت الخوارج، إذ لو كفر كفراً ينقل عن الملة، لكان مرتداً يقتل على كل حال، ولا يقبل عفو ولي القصاص، ولا تجري الحدود في الزنى والسرقة، وشرب الخمر، وهذا القول معلوم بطلانه وفساده بالضرورة من دين الإسلام.

ومتفقون على أنه لا يخرج من الإسلام والإيمان، ولا يدخل في الكفر، ولا يستحق الخلود في النار مع الكافرين، كما قالت المعتزلة، فإن قولهم باطل أيضاً، إذ قد جعل الله مرتكب الكبيرة من المؤمنين.

١ - قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُذِّبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ﴾ إلى أن قال: ﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَأُولَئِكَ بِالْمَعْرُوفِ﴾ فلم يخرج القاتل من الذين آمنوا، وجعله أخاً لولي القصاص، والمراد أخوة الدين بلا ريب.

٢ - وقال تعالى: ﴿وَأِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا﴾ إلى أن قال: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾.

ونصوص الكتاب والسنة والإجماع تدل على أن الزاني والسارق

والقاذف لا يُقتل، بل يقام عليه الحد، فدل ذلك على أنه ليس بمرتد.

٣ - وقد ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: " من كانت عنده لأخيه مظلمة من عرض أو شيء، فليتحلله منه اليوم، قبل أن لا يكون درهم ولا دينار، إن كان له عمل صالح، أخذ منه بقدر مظلمته، وإن لم تكن له حسنات، أخذ من سيئات صاحبه فطرحت عليه، ثم ألقي في النار ". أخرجاه في الصحيحين.

فثبت أن الظالم يكون له حسنات يستوفي المظلوم منها حقه.

٤ - وكذلك ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: " ما تعدون المفلس فيكم؟ قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا دينار، قال: المفلس من يأتي يوم القيامة وله حسنات أمثال الجبال قد شتم هذا وأخذ مال هذا، وسفك دم هذا، وقذف هذا، وضرب هذا، فيقتص هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإذا فنيت حسناته قبل أن يُقضى ما عليه أخذ من خطاياهم، فطرحت عليه، ثم طرح في النار " رواه مسلم.

٥ - وقد قال تعالى: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ أَلْسِيَّاتٍ﴾. فدل ذلك على أنه في حال إساءته يفعل حسنات تمحو سيئاته، وهذا مبسوط في موضعه.

س ٥٥٧: ما الفرق بين مذهب المعتزلة والخوارج في حكم مرتكب الكبيرة؟ وما قول المرجئة كذلك في مرتكب الكبيرة؟.

ج: المعتزلة موافقون للخوارج هنا في حكم الآخرة، فإنهم وافقوهم على أن مرتكب الكبيرة مخلد في النار، لكن قالت الخوارج: نسميه كافراً، وقالت المعتزلة: نسميه فاسقاً، فالخلاف بينهم لفظي فقط.

وأهل السنة أيضاً متفقون على أنه يستحق الوعيد المرتب على ذلك الذنب، كما وردت به النصوص، لا كما يقوله المرجئة من أنه لا يضر مع الإيمان ذنب، ولا ينفع مع الكفر طاعة! وإذا اجتمعت نصوص الوعد التي استدلت بها المرجئة، ونصوص الوعيد، التي استدلت بها الخوارج والمعتزلة؛ تبين لك فساد القولين. ولا فائدة في كلام هؤلاء سوى أنك تستفيد من كلام كل طائفة فساد مذهب الطائفة الأخرى.

س ٥٥٨ : هل اتفق السلف من أهل السنة في كون الكفر على مراتب؟ وإن لم يتفقوا، فهل ترتب عليه مفسدة؟.

ج : اختلفوا خلافاً لفظياً لا يترتب عليه فساد، وهو أنه: هل يكون الكفر على مراتب، ككفر دون كفر؟ كما اختلفوا: هل يكون الإيمان على مراتب، إيماناً دون إيمان؟.

س ٥٥٩ : مم نشأ الاختلاف بين السلف، في أن للكفر مراتب أم لا، وأن للإيمان مراتب أم لا؟.

ج : هذا الاختلاف نشأ من اختلافهم في مسمى الإيمان: هل قول وعمل يزيد وينقص، أم لا؟ بعد اتفاقهم على أن من سماه الله تعالى ورسوله كافراً نسميه كافراً، إذ من غير الممتنع أن يسمي الله سبحانه الحكم بغير ما أنزل الله كافراً، ويسمي رسوله من تقدم ذكره كافراً، ولا نطلق عليهما اسم الكفر، ولكن من قال: إن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص، قال: هو كفر عملي لا اعتقادي، والكفر عنده على مراتب، كفر دون كفر، كالإيمان عنده.

ومن قال: إن الإيمان: هو التصديق، ولا يدخل العمل في مسمى الإيمان، والكفر: هو الجحود، ولا يزيدان ولا ينقصان، قال: هو كفر مجازي غير حقيقي، إذ الكفر الحقيقي هو الذي ينقل عن الملة.

وكذلك يقول في تسمية بعض الأعمال بالإيمان، كقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضَيِّعَ إِيمَانَكُمْ﴾. أي: صلاتكم إلى بيت المقدس، إنها سميت إيماناً مجازاً، لتوقف صحتها على الإيمان، أو لدلاتها على الإيمان، إذ هي دالة على كون مؤديها مؤمناً. ولهذا يحكم بإسلام الكافر إذا صلى كصلاتنا، فليس بين فقهاء الملة نزاع في أصحاب الذنوب، إذا كانوا مقرين باطناً وظاهراً بما جاء به الرسول وما تواتر عنهم أنهم من أهل الوعيد. ولكن الأقوال المنحرفة قول من يقول بتخليدهم في النار، كالخوراج والمعتزلة.

س ٥٦٠ : ذكر الشارح أن الخلاف بين أهل السنة في مراتب الإيمان ومرتبات الكفر، لفظي، ولا يترتب عليه مفسده، وذكر بعده شيئاً رديئاً في هذا الخلاف، فما هو، وما الواجب؟.

(ج) قال الشارح رحمه الله: .. ولكن أردأ ما في ذلك التعصب من بعضهم، وإلزامه بما يخالف قوله بما لا يلزمه، والتشنيع عليه!

وإذا كنا مأمورين بالعدل في مجادلة الكافرين، وأن يجادلوا بالتي هي أحسن، فكيف لا يعدل بعضنا على بعض في مثل هذا الخلاف؟! قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ﴾.

(س ٥٦١) ما حكم الحكم بغير ما أنزل الله؟.

(ج) الحكم بغير ما أنزل الله قد يكون كفراً ينقل عن الملة، وقد يكون معصية كبيرة أو صغيرة، ويكون كفراً، إما مجازياً، وإما كفراً أصغر على القولين المذكورين. وذلك بحسب حال الحاكم:

* فإنه إن اعتقد أن الحكم بما أنزل الله غير واجب، وأنه مخير فيه، أو استهان به مع تيقنه أنه حكم الله؛ فهذا كفر أكبر.

* وإن اعتقد وجوب الحكم بما أنزل الله، وعلمه في هذه الواقعة، وعدل عنه مع اعترافه بأنه مستحق للعقوبة؛ فهذا عاص، ويسمى كافراً كفراً مجازياً، أو كفراً أصغر.

* وإن جهل حكم الله فيها، مع بذل جهده واستفراغ وسعه في معرفة الحكم وأخطأه، فهذا مخطئ، له أجرٌ على اجتهاده، وخطؤه مغفور.

(س ٥٦٢) على من رد الشيخ بقوله: "ولا نقول: لا يضر مع الإيمان ذنب...؟"

(ج) في كلامه رد على المرجئة، الذين يقولون: لا يضر مع الإيمان معصية، كما لا ينفع مع الكفر طاعة.

(س ٥٦٣) ذكر الشارح أن شبهة المرجئة قد وقعت لبعض الأولين، فما هي؟ وماذا حكم الصحابة عليهم؟.

(ج) شبهتهم كانت وقعت لبعض الأولين، فاتفق الصحابة على قتلهم إن لم يتوبوا من ذلك، فإن قدامة بن مظعون شرب الخمر بعد تحريمها هو وطائفة،

وتأولوا قوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعُمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾. الآية، فلما ذكر ذلك لعمر بن الخطاب رضي الله عنه، اتفق هو وعلي بن أبي طالب وسائر الصحابة على أنهم إن اعترفوا بالتحريم، جلدوا، وإن أصروا على استحلالها قتلوا، وقال عمر لقدامة: أخطأت إستك الحفرة، أما إنك لو اتقيت، وآمنت، وعملت الصالحات، لم تشرب الخمر.

وذلك أن هذه الآية نزلت بسبب أن الله سبحانه لما حرم الخمر، وكان تحريمها بعد وقعة أحد، قال بعض الصحابة: فكيف بأصحابنا الذين ماتوا وهم يشربون الخمر؟ فأنزل الله تعالى هذه الآية، بين فيها أن من طعم الشيء في الحال التي لم يُحَرِّم فيها، فلا جناح عليه إذا كان من المؤمنين المتقين المصلحين، كما كان من أمر استقبال بيت المقدس، ثم إن أولئك الذين فعلوا ذلك ندموا وعلموا أنهم أخطؤوا، وأيسوا من التوبة، فكتب عمر إلى قدامة يقول له: ﴿حَمَّ﴾ تَزِيلُ الْكَتَبِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٢﴾ غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ﴿٣﴾. ما أدري أي ذنبك أعظم؟ استحلالك المحرم أولاً؟ أم بأسك من رحمة الله ثانياً؟ وهذا الذي اتفق عليه الصحابة هو متفق عليه بين أئمة الإسلام.

س ٥٦٤: استدل لقول الإمام الطحاوي: " ونرجو للمحسنين من المؤمنين أن يعفو عنهم ويدخلهم الجنة برحمته، ولا نأمن عليهم، ولا نشهد لهم بجنة ولا نار. "، وما الواجب على المؤمن في هذا الباب؟

ج: على المؤمن أن يعتقد هذا الذي قاله الشيخ رحمه الله في حق نفسه، وفي حق غيره:

١ - قال تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾.

٢ - وقال تعالى: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾.

٣ - وقال تعالى: ﴿وَإِنِّي فَأَتَّقُونَ﴾.

٤ - وقال تعالى: ﴿فَلَا تَخْشَوْا الْكَاسَ وَأَخْشَوْا﴾.

٥ - وفي المسند والترمذي عن عائشة رضي الله عنها، قالت: قلت: يا رسول الله، ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ﴾، أهو الذي يزني ويشرب الخمر ويسرق؟ قال: " لا يا ابنة الصديق، ولكنه الرجل يصوم ويصلي ويتصدق ويخاف أن لا يقبل منه " قال الحسن عليه السلام: عملوا - والله - بالطاعات، واجتهدوا فيها، وخافوا أن ترد عليهم، إن المؤمن جمع إحساناً وخشية، والمنافق جمع إساءة وأمناً.

٦ - وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾. فتأمل كيف جعل رجاءهم مع إتيانهم بهذه الطاعات فالرجاء إنما يكون مع الإتيان بالأسباب التي اقتضتها حكمة الله تعالى، شرعه وقدره وثوابه وكرامته.

س ٥٦٥: هل من يرجو شيئاً لا بد أن يقدم سبباً، أم لا يلزم من ذلك تقديم السبب، مع الاستدلال والتوضيح؟

ج: قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾. فتأمل كيف جعل رجاءهم مع إتيانهم بهذه الطاعات فالرجاء إنما يكون مع الإتيان بالأسباب التي اقتضتها حكمة الله تعالى، شرعه وقدره وثوابه وكرامته. ولو أن رجلاً له أرض يؤمل أن يعود عليه من مغلها ما ينفعه، فأهملها ولم يحراثها ولم يبذرها، ورجا أنه يأتي من مغلها مثل ما يأتي من حرث وزرع وتعاهد الأرض؛ لعدّه الناس من أسفه السفهاء! وكذا لو رجا، وحسن ظنه أن يجيئه ولد من غير جماع! أو يصير أعلم أهل زمانه من غير طلب العلم وحرص تام! وأمثال ذلك. فكذلك من حسن ظنه، وقوي رجاءه في الفوز بالدرجات العلى، والنعيم المقيم من غير طاعة ولا تقرب إلى الله تعالى بامثال أوامره، واجتناب نواهيه.

س ٥٦٦: ذكر الشارح أن من رجا شيئاً استلزم رجاءه أموراً، فما هي؟

ج: مما ينبغي أن يعلم أن من رجا شيئاً، استلزم أموراً:

١ - أحداها: محبة ما يرجوه.

٢ - الثاني: خوفه من فواته.

٣ - الثالث: سعيه في تحصيله بحسب الإمكان.

وأما رجاء لا يقارنه شيء من ذلك، فهو من باب الأمانى، والرجاء شيء، والأمانى شيء آخر، فكل راجٍ خائفٌ، والسائر على الطريق إذا خاف أسرع السير مخافة الفوات.

وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾. فالمشرك لا ترجى له المغفرة لأن الله نفى عنه المغفرة، وما سواه من الذنوب في مشيئة الله، إن شاء الله غفر له، وإن شاء عذبه.

س ٥٦٧: هل اتفقت عبارات السلف في التفريق بين الكبائر والصغائر؟.

ج: اختلفت عبارات السلف في الفرق بين الكبائر والصغائر، وستأتي الإشارة إلى ذلك عند قول الشيخ رحمه الله: "وأهل الكبائر من أمة محمد في النار لا يخلدون".

ولكن ثم أمرٌ ينبغي التفطن له، وهو: أن الكبيرة قد يقترن بها من الحياء والخوف والاستعظام لها ما يلحقها بالصغائر، وقد يقترن بالصغيرة، من قلة الحياء، وعدم المبالاة، وترك الخوف والاستهانة بها ما يلحقها بالكبائر، وهذا أمر مرجعه إلى ما يقوم بالقلب، وهو قدر زائد على مجرد الفعل، والإنسان يعرف ذلك من نفسه وغيره.

س ٥٦٨: اذكر الأسباب التي قد تسقط العقوبة بها عن المسيء، وكيف عُرِفَتْ؟.

ج: قد يُعفى لصاحب الإحسان العظيم ما لا يعفى لغيره، فإن فاعل السيئات تسقط عنه عقوبة جهنم بنحو عشرة أسباب، عُرِفَتْ بالاستقراء من الكتاب والسنة:

١ - السبب الأول: التوبة، قال تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ﴾ ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا﴾.

٢ - السبب الثاني: الاستغفار، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَتْ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾.

٣ - السبب الثالث: الحسنات، فإن الحسنات بعشر أمثالها، والسيئة بمثلها، فالويل لمن غلبت آحاده أعشاره، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ أَلْسِفَاتٍ﴾. وقال ﷺ: "وأُتبع السيئة الحسنة تمحها".

٤ - السبب الرابع: المصائب الدنيوية، قال ﷺ: "ما يصيب المؤمن من وصب ولا نصب، ولا غم ولا هم، ولا حزن حتى الشوكة يشاكها إلا كفر بها من خطاياها".

٥ - السبب الخامس: عذاب القبر. ويأتي الكلام عليه إن شاء الله.

٦ - السبب السادس: دعاء المؤمنين واستغفارهم في الحياة وبعد الممات.

٧ - السبب السابع: ما يُهدى إليه بعد الموت، من ثواب وصدقة، أو قراءة، أو حج ونحو ذلك، ويأتي الكلام على ذلك إن شاء الله تعالى.

٨ - السبب الثامن: أهوال يوم القيامة وشدائده.

٩ - السبب التاسع: ما ثبت في الصحيحين: أن المؤمنين "إذا عبروا الصراط وقفوا على قنطرة بين الجنة والنار، فيقتص لبعضهم من بعض، فإذا هذبوا ونُقوا أذن لهم في دخول الجنة".

١٠ - السبب العاشر: شفاعة الشافعين، كما تقدم عند ذكر الشفاعة وأقسامها.

١١ - السبب الحادي عشر: عفو أرحم الراحمين من غير شفاعة، كما قال تعالى: ﴿وَيَعْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾.

س ٥٦٩: ذكر الشارح أن العقوبة تسقط بعشرة أسباب، وذكر منها: التوبة النصوح، فما هي؟ وهل تتوقف صحتها على أن تكون عامة؟.

ج: التوبة النصوح: هي الخالصة، لا يختص بها ذنب دون ذنب، لكن هل تتوقف صحتها على أن تكون عامة؟ حتى لو تاب من ذنب وأصر على آخر لا تقبل؟.

والصحيح أنها تقبل. وهل يجب الإسلام ما قبله من الشرك وغيره من الذنوب، وإن لم يتب منها؟ أم لا بد مع الإسلام من توبة من غير الشرك؟

حتى لو أسلم وهو مصر على الزنى وشرب الخمر مثلاً، هل لا يؤاخذ بما كان منه في كفره من الزنى، وشرب الخمر؟ أم لا بد أن يتوب من ذلك الذنب مع إسلامه؟ أو يتوب توبة عامة من كل ذنب؟ وهذا هو الأصح: أنه لا بد من التوبة مع الإسلام، وكون التوبة سبباً لغفران الذنوب، وعدم المؤاخذة بها، مما لا خلاف فيه بين الأمة، وليس يكون سبباً لغفران جميع الذنوب إلا التوبة، قال تعالى: ﴿قُلْ يَعْبادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (٥٣) وهذا لمن تاب، ولهذا قال: ﴿لَا تَقْنَطُوا﴾ وقال بعدها: ﴿وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ﴾.

س ٥٧٠: ذكر الشارح أن العقوبة تسقط بعشرة أسباب، وذكر منها: الاستغفار، فهل هناك من فرق بينه وبين التوبة؟.

ج: الاستغفار تارة يذكر وحده، وتارة يُقرن بالتوبة، فإذا ذكر وحده دخلت معه التوبة، كما إذا ذكرت التوبة وحدها شملت الاستغفار، فالتوبة تتضمن الاستغفار، والاستغفار يتضمن التوبة، وكل واحد منهما يدخل في مسمى الآخر عند الإطلاق، وأما عند اقتران إحدى اللفظتين بالأخرى. فالاستغفار: طلب وقاية شر ما مضى.

والتوبة: الرجوع وطلب وقاية شر ما يخافه في المستقبل من سيئات أعماله.

ونظير هذا: الفقير والمسكين، إذا ذكر أحد اللفظين شمل الآخر، وإذا ذكرا معاً، كان لكل منهما معنى، قال تعالى: ﴿إِطْعَامُ عَشْرَةِ مَسْكِينٍ﴾ ﴿فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مَسْكِيناً﴾ ﴿وَلِإِن تَخَفُوهَا يُؤْتُواهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾. لا خلاف أن لكل واحد من الاسمين في هذه الآيات لما أفرد شمل المقل والمعدم، ولما قرن أحدهما بالآخر، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ﴾. كان المراد بأحدهما المقل، والآخر المعدم، على خلاف فيه.

وكذلك: الإثم والعدوان، والبر والتقوى، و الفسوق والعصيان. ويقرب من هذا المعنى: الكفر والنفاق، فإن الكفر أعم، فإذا ذكر الكفر

شمل النفاق، وإن ذكرنا معاً، كان لكل منهما معنى.

وكذلك الإيمان والإسلام، على ما يأتي الكلام فيه إن شاء الله تعالى.

س ٥٧١: ذكر الشارح أن العقوبة تسقط بعشرة أسباب، وذكر منها: عفو أرحم الراحمين من غير شفاعة، فإن لم يكن ممن لم يشأ الله أن يغفر له جرمه، فما مصيره، ومعه أصل الإيمان؟.

ج: إن كان ممن لم يشأ الله أن يغفر له لعظم جرمه، فلا بد من دخوله إلى الكبر، ليخلص طيب إيمانه من خبث معاصيه، فلا يبقى في النار من في قلبه أدنى أدنى مثقال ذرة من إيمان، بل من قال: لا إله إلا الله كما تقدم من حديث أنس رضي الله عنه.

س ٥٧٢: استدل على تكفير الذنوب بالمصائب، بدليل من السنة المطهرة، ثم أوضح هل الأجر يغفر الذنوب؟.

ج: في مسند الإمام أحمد: أنه لما نزل قوله تعالى: ﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ﴾. قال أبو بكر: يا رسول الله نزلت قاصمة الظهر، وأينا لم يعمل سوءاً؟ فقال: "يا أبا بكر، أأنت تنصب؟ أأنت تحزن؟ أأنت يصيبك اللاؤاء؟ فذلك ما تجزون به". فالمصائب نفسها مكفرة، وبالصبر عليها يثاب العبد وبالتسخط يأثم، فالصبر والتسخط أمر آخر غير المصيبة، فالمصيبة من فعل الله لا من فعل العبد، وهي جزاء من الله للعبد على ذنبه، ويكفر ذنبه بها، وإنما يثاب المرء ويأثم على فعله، وإن كان الثواب والأجر قد يحصل بغير عمل من العبد، بل هدية من الغير، أو فضلاً من الله من غير سبب، قال تعالى: ﴿وَيُؤْتِي مَن لَّذَنَّهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾. فنفس المرض جزاء وكفارة لما تقدم.

وكثيراً ما يفهم من الأجر غفران الذنوب، وليس ذلك مدلوله، وإنما يكون من لازمه؟.

س ٥٧٣: قال الطحاوي: "والأمن والإياس ينتقلان عن ملة الإسلام، وسبيل الحق بينهما لأهل القبلة"، ما هو الخوف المحمود، والرجاء المحمود في كلامه الآن؟.

(ج) يجب أن يكون العبد خائفاً راجياً. * فإن الخوف المحمود الصادق ما حال بين صاحبه وبين محارم الله، فإذا تجاوز ذلك، خيف منه اليأس والقنوط.

* والرجاء المحمود: رجاء رجل عمل بطاعة الله على نور من الله، فهو راج لثوابه، أو رجل أذنب ذنباً، ثم تاب منه إلى الله، فهو راج لمغفرته، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَلِلَّهِ أَكْبَرُ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (٢١٨).

أما إذا كان الرجل متمادياً في التفريط والخطايا، يرجو رحمة الله بلا عمل، فهذا هو الغرور والتمني والرجاء الكاذب. قال أبو علي الروذباري رحمه الله: الخوف والرجاء كجناحي الطائر، إذا استويا، استوى الطير، وتم طيرانه، وإذا نقص أحدهما، وقع فيه النقص، وإذا ذهب، صار الطائر في حد الموت.

(س ٥٧٤): الله تعالى امتدح أهل الخوف والرجاء، فاستدل لذلك، وهل يستلزم كل منهما الآخر؟

(ج) امتدح الله أهل الخوف والرجاء بقوله: ﴿أَمَنْ هُوَ قَنْتٌ ءَانَاءَ أَيْلٍ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ﴾ الآية، وقال تعالى: ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾. فالرجاء يستلزم الخوف ولولا ذلك لكان أمناً، والخوف يستلزم الرجاء، ولولا ذلك، لكان قنوطاً ويأساً، وكل أحد إذا خفته هربت منه، إلا الله تعالى، فإنك إذا خفته هربت إليه، فالخائف هارب من ربه إلى ربه.

(س ٥٧٥): قال صاحب منازل السائرين (أبو إسماعيل الهروي): الرجاء أضعف منازل المريد، فهل يصح قوله، مع الاستدلال؟

(ج) قال الشارح: وقال صاحب منازل السائرين رحمه الله: الرجاء أضعف منازل المريد، وفي كلامه نظر، بل الرجاء والخوف على الوجه المذكور من أشرف منازل المريد، وفي الصحيح عن النبي ﷺ: " يقول الله ﷻ: أنا عند

ظن عبدي بي، فليظن عبدي بي ما شاء " .

وفي صحيح مسلم عن جابر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول قبل موته بثلاث: " لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بربه "، ولهذا قيل: إن العبد ينبغي أن يكون رجاءه في مرضه أرجح من خوفه، بخلاف زمن الصحة، فإنه يكون خوفه أرجح من رجائه .

(س ٥٧٦): ما الواجب على المسلم تجاه ربه، هل يعبد بالحب، أم الخوف أم الرجاء، في الحياة وعند الممات؟ وما الحكم في عبادة الله تعالى بأحدها فقط؟ .

(ج): روى مسلم في صحيحه عن جابر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول قبل موته بثلاث: " لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بربه "، ولهذا قيل: إن العبد ينبغي أن يكون رجاءه في مرضه أرجح من خوفه، بخلاف زمن الصحة، فإنه يكون خوفه أرجح من رجائه .

وقال بعضهم: من عبد الله بالحب وحده، فهو زنديق، ومن عبده بالخوف وحده فهو حروري (أي: من الخوارج)، ومن عبده بالرجاء وحده، فهو مرجئ، ومن عبده بالحب والخوف والرجاء، فهو مؤمن موحد. ولقد أحسن محمود الوراق في قوله:

لو قد رأيت الصغير من عمل الـ خير ثواباً عجبت من كبره
أو قد رأيت الحقير من عمل الشـ ر جزاء أشفقت من حذره

(س ٥٧٧): على من رد الشيخ بقوله: " ولا يخرج العبد من الإيمان إلا بجحود ما أدخله فيه "؟ .

(ج): يشير الشيخ رحمه الله إلى الرد على الخوارج والمعتزلة في قولهم بخروجه من الإيمان بارتكاب الكبيرة. وفيه تقرير لما قال أولاً: إنه لا يكفر أحد من أهل القبلة بذنب ما لم يستحله، وتقدم الكلام على هذا المعنى.



الفصل التاسع عشر

**زيادة الإيمان ونقصانه
ودخول العمل فيه**

زيادة الإيمان ونقصانه ودخول العمل فيه



(س ٥٧٨) قال الطحاوي: " والإيمان: هو الإقرار باللسان، والتصديق بالجنان، وجميع ما صح عن رسول الله كله حق.. " أوضح ما في هذا القول من خطأ؟ .

(ج) الخطأ في هذا القول: أن الإمام الطحاوي أخرج العمل من مسمى الإيمان فخالف بذلك قول أهل السنة والجماعة الذين أدخلوا العمل في مسمى الإيمان، وهم أسعد بالدليل، وقد اعتذر ابن أبي العز لشيوخه، وقال: إن الخلاف بينه وبين أهل السنة والجماعة صوري، وسيأتي بيانه إن شاء الله .

(س ٥٧٩) ما أقوال الناس فيما يقع عليه اسم الإيمان؟ .

(ج) اختلف الناس فيما يقع عليه اسم الإيمان اختلافاً كثيراً:

١ - فذهب مالك والشافعي وأحمد والأوزاعي وإسحاق بن راهويه، وسائر أهل الحديث، وأهل المدينة رحمهم الله، وأهل الظاهر، وجماعة من المتكلمين: إلى أنه تصديق بالجنان، وإقرار باللسان، وعمل بالأركان .

٢ - وذهب كثير من أصحابنا (الأحناف) إلى ما ذكره الطحاوي: أنه الإقرار باللسان، والتصديق بالجنان .

٣ - ومنهم من يقول: إن الإقرار باللسان ركن زائد ليس بأصلي، وإلى هذا ذهب أبو منصور الماتريدي رحمه الله، ويروى عن أبي حنيفة رحمته الله .

٤ - وذهب الكرامية: إلى أن الإيمان هو الإقرار باللسان فقط!

فالمنافقون عندهم مؤمنون كاملو الإيمان، لكن يقولون: بأنهم يستحقون الوعيد الذي أوعدهم الله به، وقولهم ظاهر الفساد.

٥ - وذهب الجهم بن صفوان، وأبو الحسين الصالحي - أحد رؤساء القدرية - إلى أن الإيمان: هو المعرفة بالقلب!، وهذا القول أفسد مما قبله.

وبين هذه المذاهب مذاهب أخرى، بتفاصيل وقيود، أعرضت عن ذكرها اختصاراً ذكر هذه المذاهب أبو المعين النسفي في: تبصرة الأدلة، وغيره.

وحاصل الكل يرجع إلى أن الإيمان:

* إما أن يكون ما يقوم بالقلب واللسان وسائر الجوارح، كما ذهب إليه جمهور السلف من الأئمة الثلاثة وغيرهم رحمهم الله، كما تقدم.

* أو بالقلب واللسان دون الجوارح، كما ذكره الطحاوي عن أبي حنيفة وأصحابه رحمهم الله.

* أو بالقلب وحده، وهو: إما المعرفة، كما قاله الجهم. أو التصديق، كما قاله أبو منصور الماتريدي رحمه الله. وفساد قول الكرامية والجهم بن صفوان ظاهر.

س ٥٨٠: ما قول الجهم ومن وافقه في الإيمان؟ وبم يُرد عليهم؟.

ج: ذهب الجهم بن صفوان، وأبو الحسين الصالحي - أحد رؤساء القدرية - إلى أن الإيمان: هو المعرفة بالقلب!، وهذا القول ظاهر الفساد.

وقول الجهم بن صفوان إلى أن الإيمان: هو المعرفة بالقلب! وهذا القول أظهر فساداً من قول الكرامية!، فإن لازمه أن فرعون وقومه كانوا مؤمنين، فإنهم عرفوا صدق موسى وهارون عليهما الصلاة والسلام، ولم يؤمنوا بهما، ولهذا قال موسى لفرعون: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بِصَآئِرَ﴾ ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ (١٤). وأهل الكتاب كانوا يعرفون النبي ﷺ كما يعرفون أبناءهم، ولم يكونوا مؤمنين به، بل كافرين به، معادين له، وكذلك أبو طالب عنده يكون مؤمناً، فإنه قال:

ولقد علمت بأن دين محمد من خير أديان البرية ديناً
لولا الملامة أو حذار مسبة لوجدتني سمحاً بذاك مبيناً

بل إبليس عند الجهم يكون مؤمناً كامل الإيمان! فإنه لم يجهل ربه،
بل هو عارف به ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ (٣٦) ﴿قَالَ رَبِّ إِنَّمَا
أَعُوذُ بِكَ لَأَعْرِضَنَّهُمْ لَاجِدِينَ﴾ (٨٢). والكفر عند الجهم: هو الجهل
بالرب تعالى، ولا أحد أجهل منه بربه! فإنه جعله الوجود المطلق، وسلب
عنه جميع صفاته، ولا جهل أكبر من هذا، فيكون كافراً بشهادته على
نفسه!.

س ٥٨١: هل الخلاف فيما يقع عليه اسم الإيمان، بين أبي حنيفة وسائر أهل
السنة حقيقي يترتب عليه مفسدة، أم صوري لا يترتب عليه شيء؟.

ج: قال الشارح: والاختلاف الذي بين أبي حنيفة والأئمة الباقيين من أهل
السنة اختلاف صوري، فإن كون أعمال الجوارح لازمة لإيمان القلب، أو
جزءاً من الإيمان - مع الاتفاق على أن مرتكب الكبيرة لا يخرج من الإيمان،
بل هو في مشيئة الله، إن شاء عذبه، وإن شاء عفا عنه - نزاع لفظي، لا
يترتب عليه فساد اعتقاد، والقائلون بتكفير تارك الصلاة، ضموا إلى هذا
الأصل أدلة أخرى، وإلا فقد نفى النبي ﷺ الإيمان عن الزاني والسارق
وشارب الخمر والمنتهب، ولم يوجب ذلك زوال اسم الإيمان عنهم بالكلية،
اتفاقاً.

ولا خلاف بين أهل السنة أن الله تعالى أراد من العباد القول والعمل،
وأعني بالقول: التصديق بالقلب، والإقرار باللسان، وهذا الذي يُعنى به عند
إطلاق قولهم: الإيمان قول وعمل، لكن هذا المطلوب من العباد: هل يشمل
اسم الإيمان أم الإيمان أحدها، وهو القول وحده، والعمل مغاير له لا يشمل
اسم الإيمان عند إفراده بالذكر، وإن أطلق عليهما كان مجازاً؟ هذا محل
النزاع.

وقد أجمعوا على أنه لو صدق بقلبه وأقر بلسانه، وامتنع عن العمل

بجوارحه: أنه عاص لله ورسوله، مستحق الوعيد، لكن فيمن يقول: إن الأعمال غير داخله في مسمى الإيمان مَنْ قال: لما كان الإيمان شيئاً واحداً، فإيماني كإيمان أبي بكر الصديق وعمر رضي الله عنهما! بل قال: كإيمان الأنبياء والمرسلين وجبريل وميكائيل عليهم السلام! وهذا غلو منه، فإن الكفر مع الإيمان كالعمى مع البصر، ولا شك أن البصراء يختلفون في قوة البصر وضعفه، فمنهم الأخفش، والأعشى، ومن يرى الخط الثخين دون الرفيع إلا بزجاجة ونحوها، ومن يرى عن قرب زائد على العادة، وآخر بضده.

(س ٥٨٢): لم قال الطحاوي: "وأهله في أصله سواء"؟.

(ج) قول الشيخ رحمه الله: "وأهله في أصله سواء" يشير إلى أن التساوي إنما هو في أصله، ولا يلزم منه التساوي من كل وجه، بل تفاوت نور: لا إله إلا الله في قلوب أهلها لا يحصيه إلا الله تعالى، فمن الناس من نورها في قلبه كالشمس، ومن الناس من نورها في قلبه كالكوكب الدري، وآخر كالمشعل العظيم، وآخر كالسراج الضعيف، ولهذا تظهر الأنوار يوم القيامة بأيانهم وبين أيديهم على هذا المقدار، بحسب ما في قلوبهم من نور الإيمان والتوحيد علماً وعملاً، وكلما اشتد نور هذه الكلمة وعظم أحرق من الشبهات والشهوات بحسب قوته، بحيث إنه ربما وصل إلى حال لا يصادف شهوة ولا شبهة ولا ذنباً إلا أحرقه، وهذه حال الصادق في توحيده، فسماء إيمانه قد حرست بالرجوم من كل سارق، ومن عرف هذا، عرف معنى قول النبي ﷺ: "إن الله حرم على النار من قال: لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله تعالى".

وقوله: "لا يدخل النار من قال: لا إله إلا الله" وما جاء من هذا النوع من الأحاديث التي أشكلت على كثير من الناس، حتى ظننها بعضهم منسوخة، وظننها بعضهم قبل ورود الأوامر والنواهي، وحملها بعضهم على نار المشركين والكفار، وأول بعضهم الدخول بالخلود، ونحو ذلك.

والشارع صلوات الله عليه لم يجعل ذلك حاصلاً بمجرد قول اللسان فقط، فإن هذا من المعلوم بالاضطرار من دين الإسلام، فإن المنافقين

يقولونها بالسنتهم، وهم تحت الجاحدين في الدرك الأسفل من النار، فإن الأعمال لا تتفاضل بصورها وعددها، وإنما تتفاضل بتفاضل ما في القلوب.

وتأمل حديث البطاقة التي توضع في كفة، ويقابلها تسعة وتسعون سجلاً، كل سجل منها مد البصر، فتثقل البطاقة، وتطيش السجلات، فلا يعذب صاحبها. ومعلوم أن كل موحد له مثل هذه البطاقة، وكثير منهم يدخل النار.

وتأمل ما قام بقلب قاتل المئة من حقائق الإيمان، التي لم تشغله عند السياق عن السير إلى القرية، وحملته وهو في تلك الحال أن جعل ينوء ب صدره وهو يعالج سكرات الموت.

وتأمل ما قام بقلب البغي من الإيمان، حين نرعت موقعها، وسقت الكلب من الركية، فغفر لها.

وهكذا العقل أيضاً، فإنه يقبل التفاضل، وأهله في أصله سواء، مستوون في أنهم عقلاء غير مجانيين، وبعضهم أعقل من بعض.

وكذلك الإيجاب والتحريم، فيكون إيجاب دون إيجاب، وتحريم دون تحريم، هذا هو الصحيح، وإن كان بعضهم قد طرد ذلك في العقل والوجوب.

س ٥٨٣: ما القول في زيادة الإيمان من جهة الإجمال والتفصيل؟

ج: قال الشارح: وأما زيادة الإيمان من جهة الإجمال والتفصيل، فمعلوم أنه لا يجب في أول الأمر ما وجب بعد نزول القرآن كله، ولا يجب على كل أحد من الإيمان المفصل مما أخبر به الرسول ما يجب على من بلغه خبره، كما في حق النجاشي وأمثاله.

وأما الزيادة بالعمل والتصديق، المستلزم لعمل القلب والجوارح، فهو أكمل من التصديق الذي لا يستلزمه، فالعلم الذي يعمل به صاحبه أكمل من العلم الذي لا يعمل به، فإذا لم يحصل اللازم دل على ضعف الملزوم. ولهذا قال النبي ﷺ: " ليس المخبر كالمعاین "، وموسى عليه السلام لما أخبر أن قومه عبدوا العجل لم يلق الألواح، فلما رآهم قد عبدوها ألقاها، وليس

ذلك لشك موسى في خبر الله، لكن المُخْبَر به في نفسه، كما يتصوره إذا عاينه، كما قال إبراهيم الخليل عليه السلام: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أُولَئِكَ تُؤْمِنُ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قُلُوبِي﴾.

وأيضاً فمن وجب عليه الحج والزكاة مثلاً، يجب عليه من الإيمان أن يعلم ما أمر به، ويؤمن بأن الله أوجب عليه ما لا يجب على غيره إلا مجملاً، وهذا يجب فيه الإيمان المفصل.

وكذلك الرجل أول ما يسلم، إنما يجب عليه الإقرار المجمل، ثم إذا جاء وقت الصلاة كان عليه أن يؤمن بوجوبها ويؤديها، فلم يتساو الناس فيما أمروا به من الإيمان.

ولا شك أن من قام بقلبه التصديق الجازم، الذي لا يقوى على معارضته شهوة ولا شبهة، لا تقع معه معصية، ولولا ما حصل له من الشهوة والشبهة، أو أحدهما، لما عصى، بل يشتغل قلبه ذلك الوقت بما يواقعه من المعصية، فيغيب عنه التصديق والوعيد، فيعصى. ولهذا - والله أعلم - قال عليه السلام: " لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ". الحديث. فهو حين يزني يغيب عنه تصديقه بحرمة الزنى، وإن بقي أصل التصديق في قلبه، ثم يعاوده، فإن المتقين كما وصفهم الله تعالى بقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾ (٢١).

س ٥٨٤: هل زيادة الإيمان بالعمل والتصديق، أكمل من التصديق الذي لا يستلزمه عمل؟.

ج: قال الشارح: وأما الزيادة بالعمل والتصديق، المستلزم لعمل القلب والجوارح، فهو أكمل من التصديق الذي لا يستلزمه، فالعلم الذي يعمل به صاحبه أكمل من العلم الذي لا يعمل به، فإذا لم يحصل اللازم دل على ضعف الملزوم. ولهذا قال النبي عليه السلام: " ليس المخبر كالمعائن "، وموسى عليه السلام لما أخبر أن قومه عبدوا العجل لم يلق الألواح، فلما رآهم قد عبدوها ألقاها، وليس ذلك لشك موسى في خبر الله، لكن المُخْبَر به في نفسه، كما يتصوره إذا عاينه، كما قال إبراهيم الخليل عليه السلام: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أُولَئِكَ تُؤْمِنُ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قُلُوبِي﴾.

الْمُؤْمِنُ قَالَ أَوْلَمْ تُؤْمِنُ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ لَّيَطْمِينَ قَلْبِي ﴿٥٨٥﴾

س ٥٨٥ : ما معنى قول الرسول ﷺ : " لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن "؟ وهل يزول إيمانه بالكلية؟

ج : لا شك أن من قام بقلبه التصديق الجازم، الذي لا يقوى على معارضته شهوة ولا شبهة، لا تقع معه معصية، ولولا ما حصل له من الشهوة والشبهة، أو أحدهما، لما عصى، بل يشتغل قلبه ذلك الوقت بما يواقعه من المعصية، فيغيب عنه التصديق والوعيد، فيعصى. ولهذا - والله أعلم - قال ﷺ : " لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ". الحديث. فهو حين يزني يغيب عنه تصديقه بحرمة الزنى، وإن بقي أصل التصديق في قلبه، ثم يعاوده، فإن المتقين كما وصفهم الله تعالى بقوله : ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾ (٢٠١). قال ليث عن مجاهد: هو الرجل يهيم بالذنب، فيذكر الله فيدعه، والشهوة والغضب مبدأ السيئات، فإذا أبصر رجع، ثم قال تعالى : ﴿وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّوهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ﴾ (٢٠٢). أي: وإخوان الشياطين تمدهم الشياطين في الغي، ثم لا يقصرون. قال ابن عباس رضي الله عنهما: لا الإنس تقصر عن السيئات، ولا الشياطين تمسك عنهم، فإذا لم يبصر يبقى في قلبه عمى، والشيطان يمدّه في غيه، وإن كان التصديق في قلبه لم يكذب، فذلك النور والإبصار، وتلك الخشية والخوف تخرج من قلبه، وهذا كما أن الإنسان يغمض عينيه، فلا يرى، وإن لم يكن أعمى، فكذلك القلب بما يغشاه من رين الذنوب، لا يبصر الحق وإن لم يكن أعمى كعمى الكافر، وجاء هذا المعنى مرفوعاً إلى النبي ﷺ " إذا زنى العبد نزع منه الإيمان، فإن تاب، أعيد إليه ".

س ٥٨٦ : ما تفسير قوله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾ (٢٠١) وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّوهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ (٢٠٢)

ج : قال ليث عن مجاهد: هو الرجل يهيم بالذنب، فيذكر الله فيدعه، والشهوة والغضب مبدأ السيئات، فإذا أبصر رجع، ثم قال تعالى : ﴿وَإِخْوَانُهُمْ

يَمُدُّوْنَهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ ﴿٢٠٧﴾ أي: وإخوان الشياطين تمدهم الشياطين في الغي، ثم لا يقصرون. قال ابن عباس رضي الله عنهما: لا الإنس تقصر عن السيئات، ولا الشياطين تمسك عنهم، فإذا لم يبصر يبقى في قلبه عمى، والشيطان يمدّه في غيه، وإن كان التصديق في قلبه لم يكذب، فذلك النور والإبصار، وتلك الخشية والخوف تخرج من قلبه، وهذا كما أن الإنسان يغمض عينيه، فلا يرى، وإن لم يكن أعمى، فكذلك القلب بما يغشاه من رين الذنوب، لا يبصر الحق وإن لم يكن أعمى كعمى الكافر، وجاء هذا المعنى مرفوعاً إلى النبي ﷺ "إذا زنى العبد نزع منه الإيمان، فإن تاب، أعيد إليه". وأورده الشارح في هذا الموضع، ليبين مسألة زيادة الإيمان ونقصانه في قلب المؤمن، وأن المسلم لا يخرج من الإسلام بارتكابه بعض الكبائر.

(س ٥٨٧): ذكر الشارح أن النزاع بين أهل السنة والجماعة، وبين جملة الأحناف، في مسألة الإيمان لفظي، فما المحذور الذي يقع بينهم؟.

(ج): قال الشارح: وإذا كان النزاع في هذه المسألة بين أهل السنة نزاعاً لفظياً، فلا محذور فيه سوى ما يحصل من عدوان إحدى الطائفتين على الأخرى والافتراق بسبب ذلك، وأن يصير ذلك ذريعة إلى بدع أهل الكلام المذموم من أهل الإرجاء ونحوهم، وإلى ظهور الفسق والمعاصي، بأن يقول: أنا مؤمن مسلم حقاً كامل الإيمان والإسلام، وليّ من أولياء الله! فلا يبالي بما يكون منه من المعاصي، وبهذا المعنى قالت المرجئة: لا يضر مع الإيمان ذنب لمن عمله! وهذا باطل قطعاً.

فالإمام أبو حنيفة رحمه الله نظر إلى حقيقة الإيمان لغةً مع أدلة من كلام الشارع، وبقية الأئمة رحمهم الله نظروا إلى حقيقته في عرف الشارع، فإن الشارع ضمّ إلى التصديق أوصافاً وشرائط، كما في الصلاة والصوم والحج ونحو ذلك.

(س ٥٨٨): من أدلة أصحاب أبي حنيفة في قولهم بأن الإيمان هو التصديق لا غير، أن الإيمان في اللغة: عبارة عن التصديق. أكمل قولهم واستدلّاهم، وبماذا ردّ عليهم؟.

﴿ج﴾ من أدلة الأصحاب لأبي حنيفة رحمه الله: أن الإيمان في اللغة عبارة عن التصديق، قال تعالى خبراً عن إخوة يوسف: ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا﴾ أي: بمصدق لنا، ومنهم من ادعى إجماع أهل اللغة على ذلك. ثم هذا المعنى اللغوي - وهو التصديق بالقلب - هو الواجب على العبد حقاً لله، وهو أن يصدق الرسول ﷺ فيما جاء به من عند الله، فمن صدق الرسول فيما جاء به من عند الله، فهو مؤمن فيما بينه وبين الله تعالى، والإقرار شرط إجراء أحكام الإسلام في الدنيا. هذا على أحد القولين كما تقدم، ولأنه ضد الكفر؛ وهو التكذيب والجحود، وهما يكونان بالقلب، وكذا ما يضادهما، وقوله: ﴿إِلَّا مَنْ أَكْزَرَهُ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾ يدل على أن القلب هو موضع الإيمان، لا اللسان، ولأنه لو كان مركباً من قول وعمل، لزال كله بزوال جزئه، ولأن العمل قد عطف على الإيمان، والعطف يقتضي المغايرة، قال تعالى: ﴿ءَامِنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾. في مواضع من القرآن.

وقد اعترض على استدلالهم بأن الإيمان في اللغة عبارة عن التصديق بمنع الترادف بين التصديق والإيمان، وهب أن الأمر يصح في موضع، فلم قلت: إنه يوجب الترادف مطلقاً؟ وكذلك اعترض على دعوى الترادف بين الإسلام والإيمان، ومما يدل على عدم الترادف: أنه يقال للمخبر إذا صدق صدقه، ولا يقال: آمنه، ولا آمن به، بل يقال: آمن له، كما قال تعالى: ﴿فَأَمِنْ لَمْ يَظُتْ﴾ ﴿فَمَا ءَامِنْ لِمُوسَىٰ إِلَّا ذُرِّيَّتُهُ مِنْ قَوْمِهِ﴾ وقال تعالى: ﴿يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾. ففرق بين المعدي بالباء والمعدى باللام، فالأول يقال للمخبر به، والثاني للمخبر، ولا يرد كونه لا يجوز أن يقال: ما أنت بمصدق لنا، لأن دخول اللام لتقوية العامل، كما إذا تقدم المعمول، أو كان العامل اسم فاعل، أو مصدرأ على ما عرف في موضعه.

فالحاصل أنه لا يقال قط: آمنته ولا صدقت له، وإنما يقال: آمنت له، كما يقال: أقررت له، فكان تفسيره بأقررت أقرب من تفسيره بصدقت، مع الفرق بينهما، ولأن الفرق بينهما ثابت في المعنى، فإن كل مخبر عن مشاهدة أو غيب، يقال في اللغة: صدقت، كما يقال له: كذبت، فمن قال: السماء فوقنا، قيل له: صدقت.

وأما لفظ الإيمان، فلا يستعمل إلا في الخبر عن الغائب، فيقال لمن قال: طلعت عليه الشمس: صدقناه، ولا يقال: آمنا له، فإن فيه أصل معنى الأمن، والائتمان إنما يكون في الخبر عن الغائب، فالأمر الغائب هو الذي يؤتمن عليه المُخْبِرُ، ولهذا لم يأت في القرآن وغيره لفظ آمن له، إلا في هذا النوع. ولأنه لم يقابل لفظ الإيمان قط بالتكذيب كما يقابل لفظ التصديق، وإنما يقابل بالكفر، والكفر لا يختص بالتكذيب، بل لو قال: أنا أعلم أنك صادق، ولكن لا أتبعك، بل أعاديك وأبغضك وأخالفك؛ لكان كفره أعظم، فعلم أن الإيمان ليس هو التصديق فقط، بل إذا كان الكفر يكون تكديباً، ويكون مخالفةً ومعادةً بلا تكذيب، فكذلك الإيمان، يكون تصديقاً وموافقةً وموالاةً وانقياداً، ولا يكفي مجرد التصديق، فيكون الإسلام جزء مسمى الإيمان.

ولو سُلِمَ الترادف، فالتصديق يكون بالأفعال أيضاً، كما ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: "العينان تزنيان وزناهما النظر، والأذن تزني وزناها السمع" إلى أن قال: "والفرج يصدق ذلك ويكذبه". وقال الحسن البصري رحمه الله: ليس الإيمان بالتحلي ولا بالتمني، ولكنه ما وقر في الصدر، وصدقته الأعمال. ولو كان تصديقاً، فهو تصديق مخصوص، كما في الصلاة ونحوها كما تقدم، وليس هذا نقلاً للفظ، ولا تغييراً له، فإن الله لم يأمرنا بإيمان مطلق، بل بإيمان خاص، وصفه وبينه، فالتصديق الذي هو الإيمان أدنى أحواله أن يكون نوعاً من التصديق العام، فلا يكون مطابقاً له في العموم والخصوص، من غير تغيير للبيان ولا قلبه، بل يكون الإيمان في كلام الشارع مؤلفاً من العام والخاص، كالإنسان الموصوف بأنه حيوان ناطق، أو لأن التصديق التام القائم بالقلب مستلزم لما وجب من أعمال القلب والجوارح، فإن هذه لوازم الإيمان التام، وانتفاء اللازم دليل على انتفاء الملزوم.

ونقول: إن هذه اللوازم تدخل في مسمى اللفظ تارة، وتخرج عنه أخرى، أو أن اللفظ باق على معناه في اللغة، ولكن الشارع زاد فيه أحكاماً، أو أن يكون الشارع استعمله في معناه المجازي، فهو حقيقة شرعية، مجاز

لغوي، أو أن يكون قد نقله الشارع، وهذه أقوال لمن سلك هذه الطريق.

وقالوا: إن الرسول قد وقفنا على معاني الإيمان، علمنا من مراده علماً ضرورياً أن من قيل: إنه صدق ولم يتكلم بلسانه بالإيمان، مع قدرته على ذلك، ولا صلى، ولا صام، ولا أحب الله ورسوله، ولا خاف الله، بل كان مبغضاً للرسول، معادياً له يقاتله؛ أن هذا ليس بمؤمن.

(س ٥٨٩): استدل على دخول الأعمال في مسمى الإيمان بأدلة؟.

(ج): ١ - قوله ﷺ: "الإيمان بضع وسبعون شعبة، فأفضلها قول لا إله إلا الله، وأدناها إمطة الأذى عن الطريق". رواه مسلم.

٢ - وقال أيضاً: "الحياء شعبة من الإيمان".

٣ - وقال أيضاً: "أكمل المؤمنين إيماناً، أحسنهم خلقاً".

٤ - وقال أيضاً: "البذاذة من الإيمان".

(س ٥٩٠): ذكرت آنفاً أدلة على دخول الأعمال في مسمى الإيمان، فهل يزول الإيمان بزوال بعضها؟ أوضح ذلك بالتفصيل؟.

(ج): قال الشارح - بعد إيراد الأدلة على دخول الأعمال في مسمى الإيمان -: فإذا كان الإيمان أصلاً له شعبٌ متعددة، وكل شعبة منها تسمى إيماناً؛ فالصلاة من الإيمان، وكذلك الزكاة والصوم والحج والأعمال الباطنة، كالحياء والتوكل والخشية من الله والإنابة إليه، حتى تنتهي هذه الشعب إلى إمطة الأذى عن الطريق، فإنه من شعب الإيمان، وهذه الشعب منها ما يزول الإيمان بزوالها، كشعبة الشهادة، ومنها ما لا يزول بزوالها، كترك إمطة الأذى عن الطريق، وبينهما شعبٌ متفاوتة تفاوتاً عظيماً، منها ما يقرب من شعبة الشهادة، ومنها ما يقرب من شعبة إمطة الأذى، وكما أن شعب الإيمان إيمانٌ، فكذا شعب الكفر كفرٌ، فالحكم بما أنزل الله - مثلاً - من شعب الإيمان، والحكم بغير ما أنزل الله كفرٌ، وقد قال ﷺ: "من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان" رواه مسلم.

س ٥٩١: علام استدل الطحاوي بقوله ﷺ: " من أحب لله وأبغض لله . .
" وما معنى الحديث؟

ج: استدل الشارح بهذا الحديث - وهو قوله ﷺ: " من أحب لله، وأبغض لله، وأعطى لله، ومنع لله: فقد استكمل الإيمان " - على دخول الأعمال في مسمى الإيمان . - ومعناه والله أعلم - أن الحب والبغض أصل حركة القلب، وبذل المال ومنعه هو كمال ذلك، فإن المال آخر المتعلقات بالنفس، والبدن متوسط بين القلب والمال، فمن كان أول أمره وآخره كله لله، كان الله إلهه في كل شيء، فلم يكن فيه شيء من الشرك، وهو إرادة غير الله وقصده ورجاؤه، فيكون مستكمل الإيمان، إلى غير ذلك من الأحاديث الدالة على قوة الإيمان وضعفه بحسب العمل.

ويأتي في كلام الشيخ رحمه الله في شأن الصحابة رضي الله عنهم: " وحبهم دين وإيمان وإحسان، وبغضهم كفر ونفاق وطغيان "، فسمى حب الصحابة إيماناً، وبغضهم كفراً.

س ٥٩٢: من الذي رد حديث شعب الإيمان الأنف؟ ولم؟ وبم رد عليه؟

ج: قال الشارح: وما أعجب ما أجاب به أبو المعين النسفي وغيره عن استدلالهم بحديث شعب الإيمان المذكور، وهو: أن الراوي قال: " بضع وستون أو بضع وسبعون"، فقد شهد الراوي بغفلة نفسه، حيث شك فقال: بضع وستون، أو بضع وسبعون، ولا يُظن برسول ﷺ الشك في ذلك! وأن هذا الحديث مخالف للكتاب. فطعن فيه بغفلة الراوي ومخالفته الكتاب، فانظر إلى هذا الطعن ما أعجبه! فإن تردد الراوي بين الستين والسبعين لا يلزم منه عدم ضبطه، مع أن البخاري رحمه الله إنما رواه: " بضع وستون " من غير شك.

وأما الطعن بمخالفة الكتاب، فأين في الكتاب ما يدل على خلافه؟ وإنما فيه ما يدل على وفاقه، وإنما هذا الطعن من ثمرة شؤم التقليد والتعصب.

س ٥٩٣: من الذي قسم القول إلى قسمين، والعمل إلى قسمين؟ مع إكماله هذا القول وتوضيحه؟ وماذا أفاد هذا التقسيم؟

(ج:) الذي قسم القول إلى قسمين والعمل إلى قسمين، هم أهل السنة والجماعة، قال الشارح رحمه الله: وقالوا أيضاً: وهنا أصل آخر، وهو أن القول قسمان: قول القلب وهو الاعتقاد، وقول اللسان، وهو التكلم بكلمة الإسلام.

والعمل قسمان: عمل القلب وهو نيته وإخلاصه، وعمل الجوارح، فإذا زالت هذه الأربعة، زال الإيمان بكماله، وإذا زال تصديق القلب، لم ينفع بقية الأجزاء، فإن تصديق القلب شرط في اعتبارها وكونها نافعة. وإذا بقي تصديق القلب، وزال الباقي، فهذا موضع المعركة!!.

ولا شك أنه يلزم من عدم طاعة الجوارح عدم طاعة القلب، إذ لو أطاع القلب وانقاد، لأطاعت الجوارح وانقادت، ويلزم من عدم طاعة القلب وانقياده عدم التصديق المستلزم للطاعة، قال ﷺ: "إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح لها سائر الجسد، وإذا فسدت فسد لها سائر الجسد، ألا وهي القلب". فمن صلح قلبه، صلح جسده قطعاً، بخلاف العكس.

وأفاد هذا التقسيم دخول أعمال القلب والجوارح في مسمى الإيمان.

س ٥٩٤: من الذي قال: يلزم من زوال جزء الإيمان زوال كله، وهل يلزم ذلك؟.

(ج:) الذي قاله هم أهل البدع من الخوارج والمعتزلة ومن تبعهم، وبناء عليه فهو مخلد في نار جهنم. أما كونه يلزم من زوال جزئه زوال كله، فإن أريد أن الهيئة الاجتماعية لم تبق مجتمعة كما كانت، فمسلم، ولكن لا يلزم من زوال بعضها زوال سائر الأجزاء، فيزول عنه الكمال فقط.

س ٥٩٥: هل يزيد الإيمان وينقص؟ مع الاستدلال بأدلة من كتاب الله تعالى؟.

(ج:) لا شك أن الإيمان يزيد وينقص، والأدلة على زيادة الإيمان ونقصانه من الكتاب والسنة والآثار السلفية كثيرة جداً، فمن أدلة الكتاب:

١ - قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ثَلِثْتَ عَلَيْهِمْ ءَايَتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾.

٢ - قوله تعالى: ﴿وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى﴾.

٣ - قوله تعالى: ﴿وَيَزِدَادَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِيمَانًا﴾.

٤ - قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ﴾.

٥ - قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ (١٧٣).

وكيف يقال في هذه الآية والتي قبلها: إن الزيادة باعتبار زيادة المؤمن به؟ فهل في قول الناس: ﴿قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ﴾. زيادة مشروع؟ وهل في إنزال السكينة في قلوب المؤمنين زياد مشروع؟ وإنما أنزل الله السكينة في قلوب المؤمنين مرجعهم من الحديبية ليزدادوا طمأنينةً و يقيناً، ويؤيد ذلك قوله تعالى: ﴿هُمْ لِلْكَافِرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ﴾.

٦ - وقال تعالى: ﴿وَإِذَا مَا أَنْزَلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَن يَقُولُ أَيْتُكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ (١٧٤) وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ (١٧٥).

(س ٥٩٦) يستدل من ينفي زيادة الإيمان ونقصانه بالحديث: " . . الإيمان مكمل في القلب، زيادته ونقصانه كفرٌ "، فبماذا يجاب عليه؟.

(ج) قال الشارح: أما ما رواه الفقيه السمرقندي رحمه الله في تفسيره عند هذه الآية (الأنفة الذكر) فقال: حدثنا محمد بن الفضل - وساق الشارح إسناده - عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء وفد ثقيف إلى رسول الله ﷺ فقالوا: يا رسول الله الإيمان يزيد وينقص؟ فقال: " لا، الإيمان مكمل في القلب، زيادته ونقصانه كفرٌ " .

فقد سئل شيخنا الشيخ عماد الدين بن كثير رحمه الله تعالى عن هذا الحديث، فأجاب: بأن الإسناد من أبي الليث إلى أبي مطيع مجهولون لا يُعرفون في شيء من كتب التواريخ المشهورة، وأما أبو مطيع، فهو: الحكم بن عبد الله بن مسلمة البلخي، ضعفه أحمد بن حنبل، ويحيى بن معين، وعمر بن الفلاس، والبخاري، وأبو داود، والنسائي، والعقيلي، وابن عدي، والدارقطني، وغيرهم. وأما أبو المهزم، الراوي عن أبي هريرة، وقد تُصَحَّفَ على الكاتب، واسمه يزيد بن سفيان، فقد ضعفه أيضاً غير واحد،

وتركه شعبة بن الحجاج، وقال النسائي: متروك، وقد اتهمه شعبة بالوضع، حيث قال: لو أعطوه فلسين لحدثهم بسبعين حديثاً!!.

(س ٥٩٧): استدل من السنة على زيادة الإيمان ونقصانه؟.

(ج): ١ - وصف النبي ﷺ النساء بنقصان العقل والدين.

٢ - وقال ﷺ: " لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين ". والمراد نفي الكمال. ونظائره كثيرة.

٣ - وحديث شعب الإيمان. (الأنف الذكر).

٤ - وحديث الشفاعة؛ وأنه يخرج من النار من في قلبه أدنى أدنى مثقال ذرة من إيمان. فكيف يقال بعد هذا: إن إيمان أهل السماوات والأرض سواء؟! وإنما التفاضل بينهم بمعان أخر غير الإيمان؟!.

(س ٥٩٨): استدل بأقوال الصحابة على زيادة الإيمان ونقصانه؟.

(ج): كلام الصحابة رضي الله عنهم في هذا المعنى كثير أيضاً، منه:

١ - قول أبي الدرداء رضي الله عنه: من فقه العبد أن يتعاهد إيمانه وما نقص منه، ومن فقه العبد أن يعلم: أيزداد هو أم يتقص؟.

٢ - وكان عمر رضي الله عنه يقول لأصحابه: هلموا نزدد إيماناً، فيذكرون الله ﷻ.

٣ - وكان ابن مسعود رضي الله عنه يقول في دعائه: اللهم زدنا إيماناً و يقيناً وفقهاً.

٤ - وكان معاذ بن جبل رضي الله عنه يقول لرجل: اجلس بنا نؤمن ساعة. ومثله عن عبدالله بن رواحة رضي الله عنه.

٥ - وصح عن عمار بن ياسر رضي الله عنه أنه قال: ثلاث من كن فيه، فقد استكمل الإيمان: إنصاف من نفسه، والإنفاق من إقتار، وبذل السلام للعالم. ذكره البخاري رحمه الله في "صحيحه"، وفي هذا كفاية وبالله التوفيق.

(س ٥٩٩): استدل من يقول بإخراج العمل من الإيمان بأن الله عطف العمل

على الإيمان، كما في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾. فاقضى التغاير؟ فكيف تجيب؟.

(ج) أما كون عطف العمل على الإيمان يقتضي المغايرة، فلا يكون العمل داخلاً في مسمى الإيمان: فلا شك أن الإيمان تارة يُذكر مطلقاً عن العمل وعن الإسلام، وتارة يقرن بالعمل الصالح، وتارة يُقرن بالإسلام، فالمطلق مستلزم للأعمال، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا﴾ ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ ﴿وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِآتِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَا أَخَذُوهُمْ أُولَئِكَ﴾ وقال ﷺ: "لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن"، الحديث. "لا تؤمنوا حتى تحابوا".

"من غشنا، فليس منا" "من حمل علينا السلاح، فليس منا" وما أبعد قول من قال: إن معنى قوله: أي: فليس مثلنا! فليت شعري، فمن لم يغش يكون مثل النبي ﷺ وأصحابه. وأما إذا عطف عليه العمل الصالح، فاعلم أن عطف الشيء على الشيء يقتضي المغايرة بين المعطوف والمعطوف عليه مع الاشتراك في الحكم الذي ذكر لهما، والمغايرة على مراتب:

١ - أعلاها: أن يكونا متباينين، ليس أحدهما هو الآخر، ولا جزءه، ولا بينهما تلازم، كقوله تعالى: ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾ ﴿وَأَنْزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾. وهذا هو الغالب.

٢ - ويليها: أن يكون بينهما تلازم، كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَلْسُؤُوا الْحَقَّ بِالْأَبْطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ﴿٤٧﴾. ﴿وَاطِيعُوا اللَّهَ وَاطِيعُوا الرَّسُولَ﴾.

٣ - الثالث: عطف بعض الشيء عليه، كقوله تعالى: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى﴾. ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ﴾ ﴿مِنَ النَّارِ يَشْفَقُهُمْ ذُنُوبُهُمْ وَمِنْكُمْ﴾ وفي مثل هذا وجهان:

١ - أحدهما: أن يكون داخلاً في الأول، فيكون مذكوراً مرتين.

٢ - والثاني: أن عطفه عليه يقتضي أنه ليس داخلاً فيه هنا، وإن كان داخلاً فيه منفرداً، كما قيل مثل ذلك في لفظ: الفقراء والمساكين، ونحوه مما تتنوع دلالاته بالإفراد والاقتران.

٤ - الرابع: عطف الشيء على الشيء لاختلاف الصفتين، كقوله تعالى:

﴿غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ﴾ . وقد جاء في الشعر العطف لاختلاف اللفظ فقط ،
كقوله :

..... فألفى قولها كذباً وميناً

ومن الناس من زعم أن في القرآن مثل ذلك قوله تعالى : ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ . والكلام على ذلك معروف في موضعه .

فإذا كان العطف في الكلام يكون على هذه الوجوه ، نظرنا في كلام
الشارع : كيف ورد فيه الإيمان ، فوجدناه إذا أطلق يراد به ما يراد بلفظ البر ،
والتقوى ، والدين ، ودين الإسلام .

س ٦٠٠ : ما تفسير قوله تعالى : ﴿لَيْسَ إِلَهٌ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قَبْلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾ ؟ .

ج : قال الشارح : ذكر في أسباب النزول أنهم سألوا عن الإيمان فأنزل الله
هذه الآية : ﴿لَيْسَ إِلَهٌ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قَبْلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾ . الآيات .

قال محمد بن نصر : حدثنا إسحاق (وساق الشارح إسناده) جاء رجل
إلى أبي ذر رضي الله عنه فسأله عن الإيمان ، فقرأ : ﴿لَيْسَ إِلَهٌ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قَبْلَ
الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾ . إلى آخر الآية ، فقال الرجل ليس عن هذا سألتك ، فقال :
جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فسأله عن الذي سألتني عنه فقرأ عليه الذي قرأت
عليك ، فقال له الذي قلت لي ، فلما أبى أن يرضى ، قال : " إن المؤمن إذا
عمل الحسنة سرته ورجا ثوابها ، وإذا عمل السيئة ساءته وخاف عقابها " .
وكذلك أجاب جماعة من السلف بهذا الجواب .

س ٦٠١ : من الذي استدل بحديث وفد عبد القيس؟ وما هو؟ وماذا أفاد؟ .

ج : الذي استدل بحديث وفد عبد القيس هم أهل السنة والجماعة ، الذين
يقولون بأن الأعمال داخلة في الإيمان ، والحديث هو ما أخرجه البخاري
ومسلم وغيرهما عن ابن عباس رضي الله عنهما ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله
لوفد عبد القيس : " أمركم بالإيمان بالله وحده ، أتدرون ما الإيمان بالله؟
شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وأن
تؤدوا الخمس من المغنم " .

ومعلوم أنه لم يُرد أن هذه الأعمال تكون إيماناً بالله بدون إيمان القلب، لما قد أخبر في مواضع أنه لا بد من إيمان القلب، فعلم أن هذه مع إيمان القلب، فعلم أن هذه مع إيمان القلب هو الإيمان.

وأي دليل على أن الأعمال داخلة في مسمى الإيمان فوق هذا الدليل؟ فإنه فسر الإيمان بالأعمال، ولم يذكر التصديق، للعلم بأن هذه الأعمال لا تفيد مع الجحود، وفي المسند عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: "الإسلام علانية والإيمان في القلب" ^(١).

س ٦٠٢: هل هناك تباين بين الإسلام والإيمان والإحسان، وما الدليل؟

ج: نعم هناك مغايرة بينهما، ويؤيده حديث جبريل عليه السلام. وقد قال فيه النبي ﷺ: "هذا جبريل أتاكم يعلمكم دينكم" فجعل الدين هو الإسلام والإيمان والإحسان، فبين أن ديننا يجمع الثلاثة. لكن هو درجات ثلاث:

مسلم، ثم مؤمن، ثم محسن. والمراد بالإيمان ما ذكر مع الإسلام قطعاً، كما أنه أريد بالإحسان ما ذكر مع الإيمان والإسلام، لا أن الإحسان يكون مجرداً عن الإيمان، هذا محال. وهذا كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذْنِ اللَّهِ﴾. والمقتصد والسابق كلاهما يدخل الجنة بلا عقوبة، بخلاف الظالم لنفسه، فإنه معرض للوعيد.

وهكذا من أتى بالإسلام الظاهر مع التصديق بالقلب، لكن لم يقم بما يجب عليه من الإيمان الباطن؛ فإنه معرض للوعيد.

فأما الإحسان فهو أعم من جهة نفسه، وأخص من جهة أهله، والإيمان أعم من جهة نفسه، وأخص من جهة أهله من الإسلام، فالإحسان يدخل فيه الإيمان، والإيمان يدخل فيه الإسلام. والمحسنون أخص من المؤمنين، والمؤمنون أخص من المسلمين، وهذا كالرسالة والنبوة، فالنبوة داخلة في الرسالة، والرسالة أعم من جهة نفسها، وأخص من جهة أهلها، فكل رسول نبي، ولا ينعكس.

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده، وإسناده ضعيف.

س ٦٠٣: ما أقوال الناس في مسمى الإسلام؟.

ج: الناس في مسمى الإسلام على ثلاثة أقوال:

١ - طائفة جعلت الإسلام هو الكلمة.

٢ - وطائفة أجابوا بما أجاب به النبي ﷺ حين سئل عن الإسلام والإيمان، حيث فسر الإسلام بالأعمال الظاهرة، والإيمان بالإيمان بالأصول الخمسة.

٣ - وطائفة جعلوا الإسلام مرادفاً للإيمان، وجعلوا معنى قول الرسول ﷺ: "إن الإسلام شهادة أن لا إله إلا الله وإقام الصلاة"، الحديث: شعائر الإسلام.

وقد قال النبي ﷺ: "اللهم لك أسلمت، وبك آمنت". وفسر الإسلام بالأعمال الظاهرة، والإيمان بالإيمان بالأصول الخمسة، فليس لنا إذا جمعنا بينهما أن نجيب بغير ما أجاب به النبي ﷺ.

س ٦٠٤: ما التناقض الذي وقع فيه من زعم أن الإيمان هو التصديق بالقلب، ثم جعل الإسلام مرادفاً للإيمان؟.

ج: قال الشارح: وطائفة جعلوا الإسلام مرادفاً للإيمان، وجعلوا معنى قول الرسول ﷺ: "إن الإسلام شهادة أن لا إله إلا الله وإقام الصلاة"، الحديث: شعائر الإسلام. والأصل عدم التقدير، مع أنهم قالوا: إن الإيمان هو التصديق بالقلب، ثم قالوا: الإسلام والإيمان شيء واحد، فيكون الإسلام هو التصديق! وهذا لم يقله أحد من أهل اللغة، وإنما هو الانقياد والطاعة، وقد قال النبي ﷺ: "اللهم لك أسلمت، وبك آمنت". وفسر الإسلام بالأعمال الظاهرة، والإيمان بالإيمان بالأصول الخمسة، فليس لنا إذا جمعنا بينهما أن نجيب بغير ما أجاب به النبي ﷺ.

وأما إذا أفرد اسم الإيمان، فإنه يتضمن الإسلام، وإذا أفرد الإسلام، فقد يكون مع الإسلام مؤمناً بلا نزاع، وهذا هو الواجب، وهل يكون مسلماً ولا يقال له: مؤمن؟ وقد تقدم الكلام فيه.

س ٦٠٥ : على ماذا وعد بالجزاء في الآخرة بالجنة على الإسلام، أم الإيمان مع الاستدلال؟.

ج : قال الشارح : وكذلك هل يستلزم الإسلام الإيمان؟ فيه النزاع المذكور، وإنما وعد بالجنة في القرآن، وبالنجاة من النار باسم الإيمان، كما قال تعالى : ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلَىٰ آلَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۖ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ۖ﴾ وقال تعالى : ﴿سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ۖ﴾.

وأما اسم الإسلام مجرداً، فما عُلق به في القرآن دخول الجنة، لكنه فرضه، وأخبر أن دينه الذي لا يقبل من أحد سواه، وبه بعث النبيين : ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ ۖ﴾.

س ٦٠٦ : هل إذا اقترن الإسلام بالإيمان يفرق بينهما أم لا؟ أوضح ذلك.

ج : حالة اقتران الإسلام بالإيمان غير حالة أفراد أحدهما عن الآخر، فمثل الإسلام من الإيمان كمثل الشهادتين إحداهما من الأخرى، فشهادة الرسالة غير شهادة الوجدانية، فهما شيئان في الأعيان، وإحداهما مرتبطة بالأخرى في المعنى والحكم، كشيء واحد، كذلك الإسلام والإيمان، لا إيمان لمن لا إسلام له، ولا إسلام لمن لا إيمان له، إذ لا يخلو المؤمن من إسلام به يتحقق إيمانه، ولا يخلو المسلم من إيمان به يصح إسلامه.

ونظائر ذلك في كلام الله ورسوله، وفي كلام الناس كثيرة، أعني في الأفراد والاقتران.

منها: لفظ الكفر والنفاق، فالكفر إذا ذكر مفرداً في وعيد الآخرة دخل فيه المنافقون، كقوله تعالى : ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَسِرِينَ ۖ﴾. ونظائره كثيرة. وإذا قُرن بينهما، كان الكافر من أظهر كفره، والمنافق من آمن بلسانه ولم يؤمن قلبه.

وكذلك لفظ البر والتقوى، ولفظ الإثم والعدوان، ولفظ الفقير والمسكين... إلخ.

استدل للفرق بين الإسلام والإيمان بأدلة، مع الشرح والتوضيح؟

(ج) قال الشارح: ويشهد للفرق بين الإسلام والإيمان قوله تعالى: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ مَآءًا قَلٌّ لَمْ تَزِمُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا﴾. إلى آخر السورة، وقد اعترض على هذا بأن معنى الآية: ﴿قُولُوا أَسْلَمْنَا﴾: انقذنا بظواهرنا، فهم منافقون في الحقيقة، وهذا أحد قولي المفسرين في هذه الآية الكريمة، وأجيب بالقول الآخر، ورجح، وهو أنهم ليسوا بمؤمنين كاملي الإيمان، لا أنهم منافقون، كما نفى الإيمان عن القاتل، والزاني، والسارق ومن لا أمانة له. ويؤيد هذا سياق الآية، فإن السورة من أولها إلى هنا في النهي عن المعاصي، وأحكام بعض العصاة ونحو ذلك، وليس فيها ذكر المنافقين. ثم قال بعد ذلك: ﴿وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا﴾. ولو كانوا منافقين ما نفعتهم الطاعة، ثم قال: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا﴾. الآية، يعني - والله أعلم - أن المؤمنين كاملي الإيمان، هم هؤلاء، لا أنتم، بل أنتم منفي عنكم الإيمان الكامل. يؤيد هذا: أنه أمرهم، أو أذن لهم، أن يقولوا: أسلمنا، والمنافق لا يقال له ذلك، ولو كانوا منافقين لنفى عنهم الإسلام، كما نفى عنهم الإيمان، ونهاهم أن يمتنعوا بإسلامهم، فأثبت لهم إسلاماً، ونهاهم أن يمتنعوا به على رسوله، ولو لم يكن إسلاماً صحيحاً، لقال: لم تسلموا، بل أنتم كاذبون، كما كذبهم في قولهم: ﴿شَهِدْ إِنَّكَ لِرَسُولِ اللَّهِ﴾. والله أعلم بالصواب.

وينتفي بعد هذا التقرير والتفصيل دعوى الترادف، وتشنيع من ألزم بأن الإسلام لو كان هو الأمور الظاهرة، لكان ينبغي أن لا يقبل إلا ذلك، ولا يقبل إيمان المخلص! وهذا ظاهر الفساد، فإنه قد تقدم تنظير الإيمان والإسلام بالشهادتين وغيرهما، وأن حالة الاقتران غير حالة الانفراد. فانظر إلى كلمة الشهادة، فإن النبي ﷺ قال: "أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله"، الحديث، فلو قالوا: لا إله إلا الله، وأنكروا الرسالة؛ ما كانوا يستحقون العصمة، بل لا بد أن يقولوا: لا إله إلا الله قائمين بحقها، ولا يكون قائماً بـ "لا إله إلا الله" حق القيام، إلا من صدق بالرسالة، وكذا من شهد أن محمداً رسول الله، لا يكون قائماً بهذه الشهادة حق القيام، إلا من صدق هذا الرسول في كل ما جاء به. فانتظمت التوحيد، وإذا ضمت شهادة

أن لا إله إلا الله إلى شهادة أن محمداً رسول الله كان المراد من شهادة أن لا إله إلا الله إثبات التوحيد، ومن شهادة أن محمداً رسول الله إثبات الرسالة، كذلك الإسلام والإيمان إذا قرن أحدهما بالآخر، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾. وقوله ﷺ: "اللهم لك أسلمت، وبك آمنت"، كان المراد من أحدهما غير المراد من الآخر، وكما قال ﷺ: "الإسلام علانية، والإيمان في القلب". وإذا انفرد أحدهما، شمل معنى الآخر وحكمه، وكما في الفقير والمسكين ونظائره، فإن لفظي الفقير والمسكين إذا اجتمعا، افترقا، وإذا افترقا، اجتمعا، فهل يقال في قوله تعالى: ﴿إِطْعَمُوا عَشْرَةَ مَسْكِينٍ﴾ أنه يعطى المقل دون المعدم، أو بالعكس؟! وكذا في قوله تعالى: ﴿وَلَنْ تَخْفَوْهَا وَتُوْقُوْهَا أَلْفُقْرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾. ويندفع أيضاً تشنيع من قال: ما حكم من آمن ولم يسلم، أو أسلم ولم يؤمن في الدنيا والآخرة؟ فمن أثبت لأحدهما حكماً ليس بثابت للآخر، ظهر بطلان قوله.

ويقال له في مقابلة تشنيعه: أنت تقول: المسلم هو المؤمن، والله تعالى يقول: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾. فجعلهما غيرين، وقد قيل لرسول الله ﷺ: مالك عن فلان، والله إنني لأراه مؤمناً؟ قال: "أو مسلماً"، قالها ثلاثاً، فاثبت له اسم الإسلام، وتوقف في اسم الإيمان، فمن قال: هما سواء، كان مخالفاً، والواجب ردّ موارد النزاع إلى الله ورسوله، وقد يتراءى في بعض النصوص معارضة، ولا معارضة بحمد الله تعالى، ولكن الشأن في التوفيق، وبالله التوفيق.

(س ٦٠٨) **يحتج من يقول بترادف الإيمان والإسلام، بقوله تعالى: ﴿فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (٢٥) فَا وَحَدَّثَنَا فِيهَا عَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ (٢٦). فبم يُجاب عليه؟**

(ج) قال الشارح: وأما الاحتجاج بقوله تعالى: ﴿فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (٢٥) فَا وَحَدَّثَنَا فِيهَا عَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ (٢٦). على ترادف الإسلام والإيمان، فلا حجة فيه، لأن البيت المُخْرَج كانوا موصوفين بالإسلام والإيمان، ولا يلزم من الاتصاف بهما ترادفهما.

س ٦٠٩: المعارضات التي ذكرها الأحناف في مسألة الإسلام والإيمان، هل ثبتت عن الإمام أبي حنيفة رحمه الله؟.

ج: قال الشارح: والظاهر أن هذه المعارضات لم تثبت عن أبي حنيفة رحمه الله وإنما هي من الأصحاب، فإن غالبها ساقط لا يرتضيه أبو حنيفة، وقد حكى الطحاوي حكاية أبي حنيفة مع حماد بن زيد، وأن حماد بن زيد لما روي له حديث: "أي الإسلام أفضل" إلى آخره، قال له: ألا تراه يقول: أي الإسلام أفضل، قال: الإيمان، ثم جعل الهجرة والجهاد من الإيمان؟ فسكت أبو حنيفة، فقال بعض أصحابه: ألا تجيبه يا أبا حنيفة؟ قال: بم أجيبه؟ وهو يحدثني بهذا عن رسول الله ﷺ.

س ٦١٠: هل للخلاف في مسألة الإيمان والإسلام ثمرة؟.

ج: قال الشارح: ومن ثمرات هذا الاختلاف: مسألة الاستثناء في الإيمان، وهو أن يقول الرجل: أنا مؤمن إن شاء الله.

س ٦١١: ما أقوال الناس في مسألة الاستثناء في الإيمان؟.

ج: قال الشارح: والناس فيه على ثلاث أقوال: طرفان ووسط.

* منهم من يوجهه.

* ومنهم من يحرمه.

* ومنهم من يجيزه باعتبار ويمنعه باعتبار، وهذا أصح الأقوال.

س ٦١٢: ما المآخذ التي أخذ بها من يوجب الاستثناء في الإيمان؟.

ج: أما من يوجهه، فلهم مأخذان:

١ - أن الإيمان هو ما مات الإنسان عليه، والإنسان إنما يكون عند الله مؤمناً أو كافراً باعتبار الموافاة، وما سبق في علم الله أنه يكون عليه، وما قبل ذلك لا عبرة به، قالوا: والإيمان الذي يتعقبه الكفر فيموت صاحبه كافراً: ليس بإيمان، كالصلاة التي أفسدها صاحبها قبل الكمال، والصيام الذي يفطر صاحبه قبل الغروب، وهذا مأخذ كثير من الكلائية وغيرهم، وعند هؤلاء أن الله يُحبُّ في الأزل من كان كافراً إذا علم منه أنه يموت مؤمناً، فالصحابه ما زالوا

محبوبين قبل إسلامهم، وإبليس ومن ارتد عن دينه ما زال الله يبغضه، وإن كان لم يكفر بعد، وليس هذا قول السلف، ولا كان يعلل بهذا من يستثني من السلف في إيمانه، وهو فاسد، فإن الله تعالى قال: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾، فأخبر أنه يحبهم إن اتبعوا الرسول، فاتباع الرسول شرط المحبة، والمشروط يتأخر عن الشرط، وغير ذلك من الأدلة.

ثم صار إلى هذا القول طائفة، حتى صار الرجل منهم يستثني في الأعمال الصالحة، يقول: صليت إن شاء الله! ونحو ذلك، يعني القبول، ثم صار كثير منهم يستثنون في كل شيء، فيقول أحدهم: هذا ثوب إن شاء الله! هذا حبل إن شاء الله! فإذا قيل لهم: هذا لا شك فيه. يقولون: نعم، لكن إذا شاء الله أن يغيره غيره!!.

٢ - المأخذ الثاني: أن الإيمان المطلق يتضمن فعل ما أمر الله به عبده كله، وترك ما نهاه عنه كله، فإذا قال الرجل: أنا مؤمن، بهذا الاعتبار: فقد شهد لنفسه أنه من الأبرار المتقين، القائمين بجميع ما أمروا به، وترك كل ما نهوا عنه، فيكون من أولياء الله المقربين. وهذا من تزكية الإنسان لنفسه، ولو كانت هذه الشهادة صحيحة، لكان ينبغي أن يشهد لنفسه بالجنة إن مات على هذه الحال.

(س ٦١٣) من الذين غلوا في القول بالاستثناء في الإيمان، وزعموا أن الله يحب في الأزل من كان كافراً إذا علم أنه يموت مؤمناً، والعكس كذلك، وبم يرد عليهم؟.

(ج) وهذا مأخذ كثير من الكلابية وغيرهم، وعند هؤلاء أن الله يُحب في الأزل من كان كافراً إذا علم أنه يموت مؤمناً، فالصحابه ما زالوا محبوبين قبل إسلامهم، وإبليس ومن ارتد عن دينه ما زال الله يبغضه، وإن كان لم يكفر بعد، وليس هذا قول السلف، ولا كان يعلل بهذا من يستثني من السلف في إيمانه، وهو فاسد، فإن الله تعالى قال: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾، فأخبر أنه يحبهم إن اتبعوا الرسول، فاتباع الرسول شرط المحبة، والمشروط يتأخر عن الشرط، وغير ذلك من الأدلة.

(س ٦١٤) هل قال بالاستثناء في الإيمان أحد من السلف؟ وإن كان بالإيجاب فما مأخذهم في ذلك؟.

(ج) قال الشارح: وهذا مأخذ (المأخذان السابقان) عامة السلف الذين كانوا يستثنون، وإن جوزوا ترك الاستثناء، بمعنى آخر، كما سنذكره إن شاء الله تعالى. ويحتجون أيضاً بجواز الاستثناء فيما لا شك فيه، كما قال تعالى: ﴿لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ﴾. وقال ﷺ حين وقف على المقابر: "وإنا إن شاء الله بكم لاحقون". وقال أيضاً: "إني لأرجو أن أكون أخشاكم لله". ونظائر هذا.

(س ٦١٥) هل يسوغ الاستثناء فيما لا شك فيه، مع الاستدلال؟.

(ج) نعم يسوغ والسلف يحتجون بجواز الاستثناء فيما لا شك فيه، كما قال تعالى: ﴿لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ﴾. وقال ﷺ حين وقف على المقابر: "وإنا إن شاء الله بكم لاحقون". وقال أيضاً: "إني لأرجو أن أكون أخشاكم لله". ونظائر هذا.

(س ٦١٦) ما المأخذ الذي أخذ به من حرم الاستثناء في الإيمان؟.

(ج) وأما من يحرمه، فكل من جعل الإيمان شيئاً واحداً، فيقول: أنا أعلم أنني مؤمن، كما أعلم أنني تكلمت بالشهادتين، فقولني: أنا مؤمن، كقولني: أنا مسلم، فمن استثنى في إيمانه، فهو شاك فيه، وسموا الذين يستثنون في إيمانهم الشكّاكة.

(س ٦١٧) بماذا أجاب من يقول بتحريم الاستثناء على قوله تعالى: ﴿لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ﴾؟ وبماذا يجاب عنه؟.

(ج) أجابوا عن الاستثناء الذي في قوله تعالى: ﴿لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ﴾. بأنه يعود إلى الأمن والخوف، فأما الدخول، فلا شك فيه. وقيل: لتدخلن جميعكم أو بعضكم، لأنه علم أن بعضهم يموت.

وفي كلا الجوابين نظر، فإنهم وقعوا فيما فروا منه، فأما الأمن والخوف، فقد أخبر أنهم يدخلون آمنين، مع علمه بذلك، فلا شك في الدخول، ولا في الأمن، ولا في دخول الجميع أو البعض، فإن الله قد علم من يدخل، فلا شك فيه أيضاً، فكان قول: إن شاء الله هنا تحقيقاً للدخول، كما يقول الرجل فيما عزم على أن يفعله لا محالة: والله لأفعلن كذا إن

شاء الله، لا يقولها لشك في إرادته وعزمه، ولكن إنما لا يحث الحالف في مثل هذه اليمين لأنه لا يجزم بحصول مراده.

وأجيب بجواب آخر لا بأس به، وهو: أنه قال ذلك تعليماً لنا كيف نستثني إذا أخبرنا عن مستقبل. وفي كون هذا المعنى مراداً من النص نظر، فإنه ما سيق الكلام له إلا أن يكون مراداً من إشارة النص.

س ٦١٨: بماذا أجاب الزمخشري على من أجاب على قوله تعالى: ﴿لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ءَامِينَ﴾ بأنه يعود إلى الأمن والخوف، وما صحة جوابه؟

ج: أجاب الزمخشري بجوابين آخرين باطلين، وهما:
أن يكون المَلَك قد قاله، فأثبت قرآناً! أو أن الرسول قاله!!.

س ٦١٩: أي الأقوال أصوب في مسألة الاستثناء في الإيمان؟
ج: قال الشارح: وأما من يجوز الاستثناء وتركه، فهم أسعد بالدليل من الفريقين الآخرين، وخير الأمور أوسطها:
* فإن أراد المستثني الشك في أصل إيمانه مُنِع من الاستثناء، وهذا مما لا خلاف فيه.

* وإن أراد أنه مؤمن من المؤمنين الذين وصفهم الله في قوله: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ (٢) الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ (٣) أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ (٤). وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ (١٥). فالاستثناء حينئذ جائز.

* وكذلك من استثنى وأراد عدم علمه بالعاقبة.
* وكذلك من استثنى تعليقاً للأمر بمشيئة الله، لا شكاً في إيمانه، وهذا القول في القوة كما ترى.



الفصل العشرون

خير الآحاد

خبر الآحاد

س ٦٢٠: على من رد الشيخ بقوله: " وجميع ما صح عن رسول الله ﷺ من الشرع والبيان كله حق ؟".

ج: قال الشارح: يشير الشيخ رحمه الله بذلك إلى الرد على الجهمية والمعتزلة والمعتزلة والرافضة، القائلين: بأن خبر الآحاد قسمان: متواتر وآحاد.

فالمتواتر: - وإن كان قطعي السند - لكنه غير قطعي الدلالة، فإن الأدلة اللفظية لا تفيد اليقين!! وبهذا قدحوا في دلالة القرآن على الصفات!، قالوا: والآحاد لا تفيد العلم، ولا يحتج بها من جهة طريقها، ولا من جهة متنها! فسَدُوا على القلوب معرفة الرب تعالى وأسمائه وصفاته وأفعاله من جهة الرسول، وأحالوا الناس على قضايا وهمية، ومقدمات خيالية، سموها قواطع عقلية، وبراہين يقينية!! وهي في التحقيق: ﴿ كَرَّابٌ يَقِيعُهُ يَحْسَبُهُ الظَّمْثَانُ مَاءً حَقًّا إِذَا جَاءَهُمْ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّيْتُهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾ (٣٩) أَوْ كَطَلْمُتٍ فِي بَحْرِ لُجِّي يَمْشِيهِ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ مَحَابٌّ طَلْمُتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَكْدُمُ لَمْ يَكْدِرْنَهَا وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ ﴿٤٠﴾ .

ومن العجب أنهم قدموها على نصوص الوحي، وعزلوا لأجلها النصوص، فأفقرت قلوبهم من الاهتداء بالنصوص، ولم يظفروا بقضايا العقول الصحيحة المؤيدة بالفطرة السليمة والنصوص النبوية، ولو حكموا نصوص الوحي، لفازوا بالمعقول الصحيح، الموافق للفطرة السليمة.

س ٦٢١: ما موقف أهل البدع من النصوص الشرعية، وموقف أهل السنة والجماعة منها؟.

ج: قال الشارح - بعد ذكر موقف أهل البدع من خبر الآحاد -: بل كل فريق من أرباب البدع يعرض النصوص على بدعته، وما ظنه معقولاً: فما وافقه قال: إنه محكم، وقبله واحتج به!! وما خالفه قال: إنه متشابه، ثم رده تفويضاً! أو حرفة، وسمى تحريفه تأويلًا! فلذلك اشتد إنكار أهل السنة عليهم.

وطريق أهل السنة: أن لا يعدلوا عن النص الصحيح، ولا يعارضوا بمعقول ولا قول فلان، كما أشار إليه الشيخ، وكما قال البخاري رحمه الله: سمعت الحميدي يقول: كنا عند الشافعي رحمه الله، فأتاه رجل فسأله عن مسألة، فقال: قضى فيها رسول الله ﷺ كذا وكذا، فقال رجل للشافعي: ما تقول أنت؟ فقال: سبحان الله! تراني في كنسية! تراني في بيعة! ترى على وسطي زناراً؟! أقول لك: قضى رسول الله ﷺ وأنت تقول: ما تقول أنت؟! ونظائر ذلك في كلام السلف كثير.

س ٦٢٢: خبر الواحد إذا تلقته الأمة بالقبول هل يفيد العلم اليقيني، مع الاستدلال؟.

ج: قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾.

وخبر الواحد إذا تلقته الأمة بالقبول، عملاً به وتصديقاً له: يفيد العلم اليقيني عند جماهير الأمة، وهو أحد قسمي المتواتر، ولم يكن بين سلف الأمة في ذلك نزاع:

- ١ - كخبر عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "إنما الأعمال بالنيات".
- ٢ - وخبر ابن عمر رضي الله عنهما: "نهى عن بيع الولاء وهبته".
- ٣ - وخبر أبي هريرة رضي الله عنه: "لا تنكح المرأة على عمتها ولا على خالتها".
- ٤ - وكقوله: "يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب".
- ٥ - وأمثال ذلك، وهو نظير خبر الذي أتى مسجد قباء، وأخبر أن القبلة تحولت إلى الكعبة، فاستداروا إليها.

٦ - وكان رسول الله ﷺ يرسل رسله آحاداً، ويرسل كتبه مع الآحاد، ولم يكن المرسل إليهم يقولون: لا نقبله، لأنه خير واحداً! وقد قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾. فلا بد أن يحفظ الله حججه وبيناته على خلقه، لئلا تبطل حججه وبيناته.

ولهذا فضح الله من كذب على رسوله في حياته وبعد وفاته، وبين حاله للناس، قال سفيان بن عيينة: ما ستر الله أحداً يكذب في الحديث. وقال عبدالله بن المبارك: لو هم رجل في البحر أن يكذب في الحديث، لأصبح والناس يقولون: فلان كذاب.

س ٦٢٣: خبر الواحد هل يحتمل الصدق والكذب؟ ومن الذي يعرف ذلك؟.

ج: قال الشارح: وخبر الواحد وإن كان يحتمل الصدق والكذب، ولكن التفريق بين صحيح الأخبار وسقيمها لا يناله أحد إلا بعد أن يكون معظم أوقاته مشغولاً بالحديث، والبحث عن سيرة الرواة؛ ليقف على أحوالهم وأقوالهم، وشدة حذرهم من الطغيان والزلل، وكانوا بحيث لو قُتلوا لم يسامحوا أحداً في كلمة يتقوّلها على رسول الله ﷺ، ولا فعلوا هم بأنفسهم ذلك. وقد نقلوا هذا الدين إلينا كما نُقل إليهم، فهم يَزُكُ الإسلام وعصاة الإيمان، وهم نقاد الأخبار، وصيارفة الأحاديث، فإذا وقف المرء على هذا من شأنهم، وعرف حالهم، وخبر صدقهم وورعهم وأمانتهم، ظهر له العلم فيما نقلوه ورووه.

ومن له عقل ومعرفة يعلم أن أهل الحديث لهم من العلم بأحوال نبيهم وسيرته وأخباره ما ليس لغيرهم به شعور، فضلاً أن يكون معلوماً لهم أو مظنوناً، كما أن النحاة عندهم من أخبار سيويه والخليل وأقوالهما ما ليس عند غيرهم، وعند الأطباء من كلام بقراط وجالينوس ما ليس عند غيرهم، وكل ذي صنعة هو أخبر بها من غيره، فلو سألت البقال عن أمر العطر، أو العطار عن أمر البز، ونحو ذلك، لعد ذلك جهلاً كبيراً.

س ٦٢٤: يستدل نفاة الأحاديث بقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾.

فلماذا يستدلون بها، وكيف يجاب عنهم؟.

﴿ج﴾ قال الشارح: ولكن النفاة قد جعلوا قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾. مستنداً لهم في رد الأحاديث الصحيحة، فكلما جاءهم حديث يخالف قواعدهم وآراءهم، وما وضعته خواطرهم وأفكارهم ردوه بـ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾. تلبساً منهم وتدليساً على من هو أعمى قلباً منهم، وتحريفاً لمعنى الآية عن مواضعه.

ففهموا من أخبار الصفات ما لم يرده الله ولا رسوله، ولا فهمه أحد من أئمة الإسلام، أنه يقتضي إثباتها التمثيل بما للمخلوقين! ثم استدلوا على بطلان ذلك بـ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾. تحريفاً للنصين!! ويصنفون الكتب ويقولون: هذا أصول دين الإسلام الذي أمر الله به، وجاء من عنده، ويقروون كثيراً من القرآن ويفوضون معناه إلى الله تعالى من غير تدبر لمعناه الذي بينه الرسول، وأخبر أنه معناه الذي أراده الله.

وقد ذم الله تعالى أهل الكتاب الأول على هذه الصفات الثلاث، وقص علينا ذلك من خبرهم لنعتبر ونزجر عن مثل طريقتهم، فقال تعالى: ﴿أَنْظِمُوهُمْ أَنْ يُولَئُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَدٍ مَا عَقَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (٧٥) ﴿إِلَى أَنْ قَالَ: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانٍ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَطْلُونُ﴾ (٧٨) ﴿وَالْأَمَانِيُّ: التلاوة المجردة، ثم قال تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾ (٧٦). فذمهم على نسبة ما كتبوه إلى الله، وعلى اكتسابهم بذلك، فكلا الوصفين ذميم: أن ينسب إلى الله ما ليس من عنده، وأن يأخذ بذلك عوضاً من الدنيا مالاً أو رياسةً، نسأل الله تعالى أن يعصمنا من الزلل في القول والعمل، بمنه وكرمه.

﴿س ٦٢٥﴾ ما مراد الشيخ من قوله: " من الشرع والبيان ؟".

﴿ج﴾ قال الشارح: ويشير الشيخ رحمه الله تعالى بقوله: " من الشرع والبيان " إلى أن ما صح عن النبي ﷺ نوعان: شرع ابتدائي، وبيان لما شرعه الله

تعالى في كتابه العزيز، وجميع ذلك حق واجب الاتباع.

س ٦٢٦: اشرح قول الطحاوي: "وأهله في أصله سواء، والتفاضل بينهم بالحقيقة ومخالفة الهوى، وملازمة الأولى"؟.

ج: قال الشارح: وقوله: "وأهله في أصله سواء، والتفاضل بينهم بالحقيقة ومخالفة الهوى، وملازمة الأولى" وفي بعض النسخ: بالخشية والتقوى، بدل قوله: بالحقيقة، ففي العبارة الأولى يشير إلى أن الكل مشتركون في أصل التصديق، ولكن التصديق يكون بعضه أقوى من بعض وأثبت، كما تقدم تنظيره بقوة البصر وضعفه. وفي العبارة الأخرى يشير إلى أن التفاوت بين المؤمنين بأعمال القلوب، وأما التصديق فلا تفاوت فيه، والمعنى الأول أظهر قوة، والله أعلم بالصواب.



الفصل الحادي والعشرون

الولاية

الولاية

س ٦٢٧: من هو الولي؟ مع الاستدلال.

ج: قال الطحاوي: "المؤمنون كلهم أولياء الرحمن".

١ - قال تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ (٦٣). الولي: من الولاية بفتح الواو، التي هي ضد العداوة، وقد قرأ حمزة: ﴿مَا لَكُمْ مِنْ وَلِيَّتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾. بكسر الواو والباقون بفتحها، فليل: هما لغتان. وقيل: بالفتح، النصرة، وبالكسر الإمارة، قال الزجاج: وجاز الكسر، لأن في تولي بعض القوم بعضاً جنساً من الصناعة والعمل، وكل ما كان ذلك مكسوراً، مثل الخياطة ونحوها.

فالمؤمنون أولياء الله، والله تعالى وليهم.

٢ - قال تعالى: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَائُهُمُ الظُّلُمَاتُ يُخْرِجُوهُمْ مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ﴾.

٣ - وقال تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ﴾ (١١). والمؤمنون بعضهم أولياء بعض.

٤ - قال تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾. الآية.

٥ - وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَّهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَاوُوا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾. إلى آخر السورة.

٦ - وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ

الزَّكَاةَ وَهُمْ ذَاكُمُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ﴿٥٦﴾ .

س ٦٢٨ : ورد في الأدلة الأنفة الذكر ولاية الله تعالى لعباده، فهل هذه الولاية كولاية المخلوق للمخلوق؟ .

ج : قال الشارح : فهذه النصوص كلها ثبت فيها موالاته المؤمنين بعضهم لبعض، وأنهم أولياء الله، وأن الله وليهم ومولاهم، فالله يتولى عباده المؤمنين، فيحبهم ويحبونه، ويرضى عنهم ويرضون عنه، ومن عادى له ولياً، فقد بارزه بالمحاربة، وهذه الولاية من رحمته وإحسانه، ليست كولاية المخلوق للمخلوق لحاجته إليه، قال تعالى : ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَداً وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذَّلِّ وَكَبِيرٌ تَكْبِيْرًا﴾ ﴿١١١﴾ . فالله تعالى ليس له ولي من الذل، بل لله العزة جميعاً، خلاف الملوك وغيرهم ممن يتولاه لذاته وحاجته إلى ولي ينصره .

س ٦٢٩ : هل الولاية كالإيمان تزيد وتنقص؟ .

ج : قال الشارح : والولاية أيضاً نظير الإيمان، فيكون مراد الشيخ : أن أهلها في أصلها سواء، وتكون كاملة وناقصة، فالكاملة تكون للمؤمنين المتقين، كما قال تعالى : ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ ﴿٦٢﴾ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ﴿٦٤﴾ . فـ ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ ﴿٦٣﴾ ، منصوب على أنه صفة أولياء الله، أو بدل منه، أو بإضمار " أمدح "، أو مرفوع بإضمار " هم " أو خبر ثان لـ " إن " وأجيز فيه الجر، بدلاً من ضمير " عليهم " .

وعلى هذه الوجوه كلها، فالولاية لمن كان من الذين آمنوا وكانوا يتقون، وهم أهل الوعد المذكور في الآيات الثلاث، وهي عبارة عن موافقة الولي الحميد في محابه ومساخطة، ليست بكثرة صوم ولا صلاة ولا تملق ولا رياضة، وقيل : الذين آمنوا مبتدأ والخبر : ﴿لَهُمُ الْبُشْرَى﴾ . وهو بعيد لقطع الجملة عما قبلها، وانتشار نظم الآية .

س ٦٣٠ : هل يمكن أن تجتمع في المؤمن ولاية وعداوة؟ .

(ج) يجتمع في المؤمن ولاية من وجه، وعداوة من وجه، كما قد يكون فيه كفر وإيمان، وشرك وتوحيد، وتقوى وفجور، ونفاق وإيمان.

(س ٦٣١) هل من دليل يدل على اجتماع الولاية والعداوة، والإيمان والنفاق، والشرك في المؤمن؟.

(ج) قال الشارح: وإن كان في هذا الأصل نزاع معنوي بينهم وبين أهل البدع، كما تقدم في الإيمان، ولكن موافقة الشارع في اللفظ والمعنى، أولى من موافقته في المعنى وحده.

١ - قال تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾.

٢ - وقال تعالى: ﴿قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسَلَمْنَا﴾. الآية. وقد تقدم الكلام على هذه الآية، وأنهم ليسوا منافقين على أصح القولين.

٣ - وقال ﷺ: "أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً، ومن كانت فيه خلة منها كان فيه خلة من النفاق حتى يدعها. إذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا وعد أخلف، وإذا خاصم فجر". وفي رواية: "وإذا ائتمن خان" بدل: "وإذا وعد أخلف" أخرجاه في الصحيحين.

٤ - وحديث شعب الإيمان تقدم.

٥ - وقوله ﷺ: "يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان".

فعلم أن من كان معه من الإيمان أقل القليل لم يخلد في النار، وإن كان معه كثير من النفاق، فهو يعذب في النار على قدر ما معه من ذلك، ثم يُخرج من النار.

فالطاعات من شعب الإيمان، والمعاصي من شعب الكفر، وإن كان رأس شعب الكفر الجحود، ورأس شعب الإيمان التصديق.

(س ٦٣٢) ما صحة ما روي عن النبي ﷺ: "ما من جماعة اجتمعت إلا فيهم ولي لله..؟".

(ج) قال الشارح: وأما ما يُروى مرفوعاً إلى النبي ﷺ أنه قال: "ما من جماعة اجتمعت إلا فيهم ولي لله، لا هم يدرون به ولا هو يدري بنفسه".

فلا أصل له، وهو كلام باطل، فإن الجماعة قد يكونون كفاراً، وقد يكونون فساقاً يموتون على الفسق.

س ٦٣٣: من هم أولياء الله الكاملون؟.

ج: قال الشارح: وأما أولياء الله الكاملون، فهم الموصوفون في قوله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۚ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ۚ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ۚ﴾، الآية.

والتقوى: هي المذكورة في قوله تعالى: ﴿وَلَكِنَّ الْإِيمَانَ مِنْ ءَمَنِ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۚ وَلِئَلَّكَ أَتَىٰكَ الْكُفْرُ وَالنِّيَاسُ ۚ﴾، إلى قوله: ﴿وَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ۚ﴾.

وهم قسمان: مقتصدون، ومقربون، فالمقتصدون: الذين يتقربون إلى الله بالفرائض من أعمال القلوب والجوارح، والسابقون: الذين يتقربون إلى الله بالنوافل بعد الفرائض، كما في "صحيح البخاري" عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال رسول الله ﷺ: "يقول الله تعالى: من عاد لي ولياً، فقد بارزني بالمحاربة، وما تقرب إلي عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته، كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، ولئن سألني، لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه، وما ترددت في شيء أنا فاعله ترددي عن قبض نفس عبدي المؤمن، يكره الموت وأكره مساءته".

والولي: خلاف العدو، وهو مشتق من الولي، وهو الدنو والتقرب، فولّي الله: هو من وإلى الله بموافقة في محبوباته، والتقرب إليه بمرضاته، وهولاء كما قال الله تعالى فيهم: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ﴾ قال أبو ذر رضي الله عنه لما نزلت هذه الآية، قال النبي ﷺ: "يا أبا ذر لو عمل الناس بهذه الآية لكفتهم". فالمتقون يجعل الله لهم مخرجاً مما ضاق على الناس، ويرزقهم من حيث لا يحتسبون، فيدفع الله عنهم المضار، ويجلب لهم المنافع، ويعطيهم الله أشياء يطول شرحها من المكاشفات والتأثيرات.

س ٦٣٤: ما مراد الشيخ بقوله: "وأكرمهم عند الله أطوعهم وأتبعهم للقرآن؟".

ج: قال الشارح: أي: أكرم المؤمنين هو الأطوع لله، والأتبع للقرآن، وهو الأتقى، والأتقى الأكرم، قال تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَى﴾. وفي السنن عن النبي ﷺ أنه قال: "لا فضل لعربي على عجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا لأبيض على أسود، ولا لأسود على أبيض، إلا بالتقوى، الناس من آدم وآدم من تراب" وبهذا الدليل يظهر ضعف تنازعهم في مسألة الفقير الشاكر والغني الشاكر، وترجيح أحدهما على الآخر، وأن التحقيق أن التفضيل لا يرجع إلى ذات الفقر والغنى، وإنما يرجع إلى الأعمال والأحوال والحقائق، فالمسألة فاسدة في نفسها، فإن التفضيل عند الله بالتقوى وحقائق الإيمان، لا بفقر ولا غنى، ولهذا - والله أعلم - قال عمر رضي الله عنه: الغنى والفقر مطيتان، لا أبالي أيهما ركبت. والفقر والغنى ابتلاء من الله تعالى لعبده، كما قال تعالى: ﴿فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْنَلَهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ﴾. الآية، فإن استوى الفقير الصابر والغني الشاكر في التقوى، استويا في الدرجة، وإن فضل أحدهما فيها، فهو الأفضل عند الله، فإن الفقر والغنى لا يوزنان، وإنما يوزن الصبر والشكر.

س ٦٣٥: ما هي أصول الدين؟ وما الدليل عليها؟.

ج: قال الطحاوي: "والإيمان: هو الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خير وشره، وحلوه ومره من الله تعالى". قال الشارح: تقدم أن هذه الخصال هي أصول الدين، وبها أجاب النبي ﷺ في حديث جبريل المشهور المتفق على صحته، حين جاء إلى النبي ﷺ على صورة رجل أعرابي، وسأله عن الإسلام، فقال: "أن تشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً"، وسأله عن الإيمان، فقال: "أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر، خيره وشره"، وسأله عن الإحسان، فقال: "أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه، فإنه يراك". وقد ثبت في الصحيح عنه ﷺ أنه كان يقرأ في ركعتي الفجر تارة بسورتي الإخلاص: ﴿قُلْ بَيَّأْتُهَا الْكَافِرُونَ﴾ و﴿قُلْ هُوَ

اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾. وتارةً بآيتي الإيمان والإسلام: التي في سورة البقرة: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا﴾ الآية، والتي في آل عمران: ﴿قُلْ يَتَاهَلْ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ الآية.

وفسر ﷺ الإيمان في حديث وفد عبد القيس، المتفق على صحته، حيث قال لهم: "أمركم بالإيمان بالله وحده، أتدرون ما الإيمان بالله؟ شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وأن تؤدوا خمس ما غنمتم".

ومعلوم أنه لم يرد أن هذه الأعمال تكون إيماناً بالله بدون إيمان القلب، لما قد أخبر في غير موضع أنه لا بد من إيمان القلب، فعلم أن هذه مع إيمان القلب هو الإيمان، وقد تقدم الكلام على هذا.

(س ٦٣٦): هل يثبت حكم الإيمان بالتصديق دون العمل، أو العمل دون التصديق مع الاستدلال؟.

(ج): قال الشارح: والكتاب والسنة مملوءان بما يدل على أن الرجل لا يثبت له حكم الإيمان إلا بالعمل مع التصديق، وهذا أكثر من معنى الصلاة والزكاة، فإن تلك إنما فسرتها السنة، والإيمان بين معناه الكتاب والسنة، فمن الكتاب قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾، وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا﴾، وقوله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا سَلِيمًا﴾ (٦٥)، نفي الإيمان حتى توجد هذه الغاية: دل على أن هذه الغاية فرض على الناس، فمن تركها، كان من أهل الوعيد، لم يكن قد أتى بالإيمان الواجب الذي وعد أهله بدخول الجنة بلا عذاب.

(س ٦٣٧): إن قال قائل: إن النبي ﷺ فسر الإيمان بتفسيرين مختلفين، في حديث جبريل، وفي حديث وفد عبد القيس، فبماذا يجاب؟.

(ج): قال الشارح: ولا يقال: إن بين تفسير النبي ﷺ الإيمان في حديث جبريل وتفسيره إياه في حديث وفد عبد القيس معارضة، لأنه فسر الإيمان في

حديث جبريل بعد تفسير الإسلام، فكان المعنى أنه الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر مع الأعمال التي ذكرها في تفسير الإسلام، كما أن الإحسان متضمن للإيمان الذي قدم تفسيره قبل ذكره، بخلاف حديث وفد عبد القيس، لأنه فسر ابتداءً، لم يتقدم قبله تفسير الإسلام، ولكن هذا الجواب لا يتأتى على ما ذكره الشيخ رحمه الله من تفسير الإيمان، فحديث وفد عبد القيس مشكل عليه.

س ٦٣٨ إن سأل سائل فقال: أنه إذا كان ما أوجبه الله من الأعمال الظاهرة أكثر من الخصال الخمس التي أجاب بها النبي ﷺ في حديث جبريل المذكور، فلم قال: إن الإسلام هذه الخصال الخمس؟.

ج: قال الشارح: ومما يسأل عنه: أنه إذا كان ما أوجبه الله من الأعمال الظاهرة أكثر من الخصال الخمس التي أجاب بها النبي ﷺ في حديث جبريل المذكور، فلم قال: إن الإسلام هذه الخصال الخمس؟ وقد أجاب بعض الناس بأن هذه أظهر شعائر الإسلام وأعظمها، وبقيامه بها يتم استسلامه، وتركه لها يشعر بانحلال قيد انقياده.

والتحقيق: أن النبي ﷺ ذكر الدين الذي هو استسلام العبد لربه مطلقاً الذي يجب لله عبادة محضة على الأعيان، فيجب على كل من كان قادراً عليه، ليعبد الله بها مخلصاً له الدين، وهذه هي الخمس، وما سوى ذلك، فإنما يجب بأسباب مصالح، فلا يعم وجوبها جميع الناس، بل إما أن يكون فرضاً على الكفاية، كالجهاد والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وما يتبع ذلك من إمارة، وحكم، وفُتيا، وإقراء، وتحديث، وغير ذلك.

وإما أن يجب بسبب حق الآدميين، فيختص به من وجب له وعليه، وقد يسقط بإسقاطه، من قضاء الديون، ورد الأمانات والمغصوب، والإنصاف من المظالم من الدماء والأموال والأعراض، وحقوق الزوجة والأولاد، وصلة الأرحام، ونحو ذلك، فإن الواجب من ذلك على زيد غير الواجب على عمرو، بخلاف صوم رمضان، وحج البيت، والصلوات الخمس، والزكاة، فإن الزكاة وإن كانت حقاً مالياً، فإنها واجبة لله، والأصناف الثمانية مصارفها،

ولهذا وجبت فيها النية، ولم يجز أن يفعلها الغير عنه بلا إذنه، ولم تطلب من الكفار. وحقوق العباد لا يشترط لها النية، ولو أداها غيره عنه بغير إذنه، برئت ذمته، ويطالب بها الكفار، وما يجب حقاً لله تعالى، كالكفارات، هو بسبب من العبد، وفيها معنى العقوبة، ولهذا كان التكليف شرطاً في الزكاة، فلا تجب على الصغير والمجنون عند أبي حنيفة وأصحابه رحمهم الله تعالى، على ما عرف في موضعه.

(س ٦٣٩) قال الطحاوي: "والقدر خيره وشره، وحلوه ومره من الله تعالى"، استدل لقوله؟.

(ج) تقدم قوله ﷺ في حديث جبريل عليه السلام: "وتؤمن بالقدر خيره وشره"، وقال تعالى: ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا﴾ وقال تعالى: ﴿وَإِنْ تُصِيبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِيبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَإِنَّ هَؤُلَاءِ أَقْوَمُ لَا يَكَاذُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾ (٧٨) مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنَ نَفْسِكَ.

(س ٦٤٠) مر آنفاً قوله تعالى: ﴿كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾. فكيف تجمع بينها وبين قوله تعالى: ﴿فَمِنَ نَفْسِكَ﴾؟.

(ج) قال الشارح: فإن قيل: كيف الجمع بين قوله: ﴿كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ وبين قوله: ﴿فَمِنَ نَفْسِكَ﴾؟ قيل: قوله: ﴿كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾: الخصب والجذب، والنصر والهزيمة، كلها من عند الله، وقوله: ﴿فَمِنَ نَفْسِكَ﴾، أي: ما أصابك من سيئة من الله، فبذنب نفسك عقوبة لك، كما قال: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبْتُمْ أَيْدِيَكُمْ﴾. يدل على ذلك ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما: أنه قرأ: ﴿وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنَ نَفْسِكَ﴾، "وأنا كتبتها عليك".

* والمراد بالحسنة هنا: النعمة، وبالسّيئة: البلية، في أصح الأقوال.

* وقد قيل: الحسنة: الطاعة، والسّيئة: المعصية.

* وقيل: الحسنة: ما أصابه يوم بدر، والسّيئة: ما أصابه يوم أحد.

والقول الأول شامل لمعنى القول الثالث، والمعنى الثاني ليس مراداً دون الأول قطعاً، ولكن لا منافاة بين أن تكون سيئة العمل وسيئة الجزاء من

نفسه، مع أن الجميع مقدر، فإن المعصية الثانية قد تكون عقوبة الأولى، فتكون من سيئات الجزاء، مع أنها من سيئات العمل، والحسنة الثانية قد تكون من ثواب الأولى، كما دل على ذلك الكتاب والسنة.

س ٦٤١: هل للقدرية أن تحتج بقوله تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ سَيِّئَةٍ مِنْ نَفْسِكُمْ﴾. على أن العبد يخلق فعل نفسه؟.

ج: ليس للقدرية أن يحتجوا بقوله تعالى: ﴿وَمِنْ نَفْسِكَ﴾، فإنهم يقولون: إن فعل العبد - حسنة كان أو سيئة - فهو منه لا من الله! والقرآن قد فرق بينهما، وهم لا يفرقون، ولأنه قال تعالى: ﴿كُلُّ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾، فجعل الحسنات من عند الله، كما جعل السيئات من عند الله، وهم لا يقولون بذلك في الأعمال، بل في الجزاء. وقوله بعد هذا: ﴿مَا أَصَابَكُمْ مِنْ حَسَنَةٍ وَ مِنْ سَيِّئَةٍ﴾ مثل قوله: ﴿وَإِنْ تُصِيبْهُمْ حَسَنَةٌ﴾ و﴿وَإِنْ تُصِيبْهُمْ سَيِّئَةٌ﴾، وفرق سبحانه وتعالى بين الحسنات التي هي النعم، وبين السيئات التي هي المصائب، فجعل هذه من الله، وهذه من نفس الإنسان، لأن الحسنة مضافة إلى الله، إذ هو أحسن بها من كل وجه، فما من وجه من وجوهها إلا وهو يقتضي الإضافة إليه، وأما السيئة، فهو إنما يخلقها لحكمة، وهي باعتبار تلك الحكمة من إحسانه، فإن الرب لا يفعل سيئة قط، بل فعله كله حسن وخير.

س ٦٤٢: ما معنى قول النبي ﷺ: "والشر ليس إليك"؟.

ج: ولهذا كان النبي ﷺ يقول في الاستفتاح: "والخير كله بيدك، والشر ليس إليك" أي: فإنك لا تخلق شراً محضاً، بل كل ما تخلقه، ففيه حكمة، هو باعتبارها خيراً، ولكن قد يكون فيه شرٌ لبعض الناس، فهذا شرٌّ جزئي إضافي، فأما شر كلي، أو شرٌ مطلق، فالرب سبحانه وتعالى منزّه عنه، وهذا هو الشر الذي ليس إليه.

س ٦٤٣: هل يضاف الشر إلى الله تعالى مفرداً؟ أوضح ذلك مع الاستدلال.

ج: لا يضاف الشر إلى الله مفرداً قط، بل إما أن يدخل في عموم المخلوقات، كقوله تعالى: ﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ ﴿كُلُّ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾. وإما أن يضاف إلى السبب كقوله: ﴿مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ ﴿وَمَا أَنْ يُحْذَفَ فاعله،

كقول الجن: ﴿وَأَنَا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ ﴿١٠﴾ .

(س ٦٤٤) إذا وقع في المخلوقات ما هو شر جزئي بالإضافة، هل يكون شراً كلياً عاماً؟ أوضح ذلك.

(ج) قال الشارح: وليس إذا خلق ما يتأذى به بعض الحيوان لا يكون فيه حكمة، بل لله من الرحمة والحكمة ما لا يقدر قدره إلا الله تعالى، وليس إذا وقع في المخلوقات ما هو شر جزئي بالإضافة، يكون شراً كلياً عاماً، بل الأمور العامة الكلية لا تكون إلا خيراً ومصلحةً للعباد، كالمطر العام، وكإرسال رسول عام.

(س ٦٤٥) في قضية الشر الجزئي والشر الكلي، ما يستدل به على صدق النبوة...، وأن الله تعالى قد يمكن للملك الظالم مدة طويلاً، بخلاف المدعي للنبوة، أوضح ذلك؟.

(ج) قال الشارح: وهذا مما يقتضي أنه لا يجوز أن يؤيد كذاباً عليه بالمعجزات التي أيد بها الصادقين، فإن هذا شرٌ عامٌ للناس يضلهم، فيفسد عليهم دينهم ودنياهم وأخراهم.

وليس هذا كالملك الظالم والعدو، فإن الملك الظالم لا بد أن يدفع الله به من الشر أكثر من ظلمه، وقد قيل: ستون سنةً بإمام ظالم خيرٌ من ليلة واحدة بلا إمام، وإذا قدر كثرة ظلمه، فذاك خيرٌ في الدين، كالمصائب، تكون كفارةً لذنوبهم، ويثابون على الصبر عليه، ويرجعون فيه إلى الله، ويستغفرونه ويتوبون إليه، وكذلك ما يسلط عليهم من العدو، ولهذا قد يمكن الله كثيراً من الملوك الظالمين مدةً، وأما المتنبؤون الكذابون، فلا يطيل تمكينهم، بل لا بد أن يهلكهم؛ لأن فسادهم عام في الدين والدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿وَلَوْ نَفَوَّلْ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ﴾ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ .

(س ٦٤٦) اذكر ما في قوله تعالى: ﴿فَإِنْ نَفْسِكَ﴾ . من الفوائد؟.

(ج) وفي قوله تعالى: ﴿فَإِنْ نَفْسِكَ﴾ . من الفوائد: أن العبد لا يطمئن إلى

نفسه ولا يسكن إليها، فإن الشر كامن فيها، لا يجيء إلا منها، ولا يشتغل بملام الناس ولا ذمهم إذا أساءوا إليه فإن ذلك من السيئات التي أصابته، وهي إنما أصابته بذنوبه، فيرجع إلى الذنوب، ويستعيز بالله من شر نفسه وسيئات عمله، ويسأل الله أن يعينه على طاعته، فبذلك يحصل كل خير، ويندفع عنه كل شر.

س ٦٤٧: ما أنفع الأدعية؟

(ج) قال الشارح: أنفع الدعاء وأعظمه وأحكمه دعاء الفاتحة: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ ١ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ٢. فإنه إذا هداه هذا الصراط، أعانه على طاعته وترك معصيته، فلم يصبه شر، لا في الدنيا والآخرة.

لكن الذنوب هي لوازم نفس الإنسان، وهو محتاج إلى الهدى كل لحظة، وهو إلى الهدى أحوج منه إلى الطعام والشراب، ليس كما يقوله بعض المفسرين: أنه قد هداه! فلماذا يسأله الهدى؟! وأن المراد التثبيت، أو مزيداً من الهداية! بل العبد محتاج إلى أن يعلمه الله ما يفعله من تفاصيل أحواله، وإلى ما يتركه من تفاصيل الأمور في كل يوم، وإلى أن يلهمه أن يعمل ذلك، فإنه لا يكفي مجرد علمه إن لم يجعله مريداً للعمل بما يعلمه، وإلا كان العلم حجةً عليه، ولم يكن مهتدياً، والعبد محتاج إلى أن يجعله الله قادراً على العمل بتلك الإرادة الصالحة، فإن المجهول لنا من الحق أضعاف المعلوم، وما لا نريد فعله تهاوناً وكسلاً مثل ما نريد أو أكثر منه أو دونه، وما لا نقدر عليه مما نريده كذلك، وما نعرف جملة ولا نهتدي لتفاصيله، فأمر يفوت الحصر، ونحن محتاجون إلى الهداية التامة، فمن كملت له هذه الأمور كان سؤاله سؤال تثبيت، وهي آخر الرتب.

وبعد ذلك كله هداية أخرى، وهي الهداية إلى طريق الجنة في الآخرة. ولهذا كان الناس مأمورين بهذا الدعاء في كل صلاة، لفرط حاجتهم إليه، فليسوا إلى شيء أحوج منهم إلى هذا الدعاء، فيجب أن يعلم أن الله بفضل رحمته جعل هذا الدعاء من أعظم الأسباب المقتضية للخير المانعة من الشر،

فقد بين القرآن أن السيئات من النفس، وإن كانت بقدر الله، وأن الحسنات كلها من الله تعالى.

وإذا كان الأمر كذلك وجب أن يشكر الله سبحانه، وأن يستغفره العبد من ذنوبه، وألا يتوكل إلا عليه وحده، فلا يأتي بالحسنات إلا هو، فأوجب ذلك توحيده، والتوكل عليه وحده، والاستغفار من الذنوب.

وهذه الأمور كان النبي ﷺ يجمعها في الصلاة، كما ثبت عنه في الصحيح: أنه كان إذا رفع رأسه من الركوع يقول: "ربنا لك الحمد حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه ملء السماوات وملء الأرض، وملء ما شئت من شيء بعد، أهل الثناء والمجد أحق ما قال العبد، وكلنا لك عبد". فهذا حمد وهو شكر لله تعالى، وبيان أن حمده أحق ما قاله العبد، ثم يقول بعد ذلك: "لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت، ولا ينفع ذا الجد منك الجد".

وهذا تحقيق لوحديته، لتوحيد الربوبية، خلقاً وقدرًا، وبدايةً وهدايةً، هو المعطي المانع، لا مانع لها أعطى ولا معطي لما منع، ولتوحيد الإلهية، شرعاً وأمرًا ونهيًا، وهو أن العباد، وإن كانوا يعطون جدًّا ملكاً وعظمةً وبختاً ورياسةً في الظاهر، أو في الباطن، كأصحاب المكاشفات والتصرفات الخارقة، فلا ينفع ذا الجد منك الجد، أي لا ينجيه ولا يخلصه، ولهذا قال: "لا ينفعه منك" ولم يقل: "ولا ينفعه عندك"، لأنه لو قيل ذلك أُوهم أنه لا يتقرب به إليك، لكن قد لا يضره.

فتضمن هذا الكلام تحقيق التوحيد، وتحقيق قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾. فإنه لو قدر أن شيئاً من الأسباب يكون مستقلاً بالمطلوب، وإنما يكون بمشيئة الله وتيسيره، لكان الواجب ألا يرجى إلا الله، ولا يتوكل إلا عليه، ولا يسأل إلا هو، ولا يستغاث إلا به، ولا يستعان إلا هو، فله الحمد وإليه المشتكى، وهو المستعان، وبه المستغاث، ولا حول ولا قوة إلا به. فكيف وليس شيء من الأسباب مستقلاً بمطلوب، بل لا بد من انضمام أسباب آخر إليه، ولا بد أيضاً من صرف الموانع والمعارضات عنه، حتى يحصل المقصود، فكل سبب، فله شريك، وله ضد، فإن لم يعاونه شريكه، ولم ينصرف عنه ضده، لم تحصل مشيئته.

والمطر وحده لا ينبت النبات إلا بما ينضم إليه من الهواء والتراب وغير ذلك، ثم الزرع لا يتم حتى تصرف عنه الآفات المفسدة له، والطعام والشراب لا يغذي إلا بما جعل في البدن من الأعضاء والقوى، ومجموع ذلك لا يفيد إن لم تصرف عنه المفسدات.

والمخلوق الذي يعطيك أو ينصرك فهو - مع أن الله يجعل فيه الإرادة والقوة والفعل - فلا يتم ما يفعله إلا بأسباب كثيرة، خارجة عن قدرته، وتعاونه على مطلوبه، ولو كان ملكاً مطاعاً، ولا بد أن يصرف عن الأسباب المتعاونة ما يعارضها ويمانعها، فلا يتم المطلوب إلا بوجود المقتضي وعدم المانع.

وكل سبب معين، فإنما هو جزء من المقتضي، فليس في الوجود شيء واحد هو مقتض تام، وإن سمي مقتضياً، وسمي سائر ما يعينه شروطاً، فهذا نزاع لفظي. وأما أن يكون في المخلوقات علّة تامّة تستلزم معلولها، فهذا باطل.

ومن عرف هذا حق المعرفة، انفتح له باب توحيد الله، وعلم أنه لا يستحق أن يسأل غيره، فضلاً عن أن يعبد غيره، ولا يتوكل على غيره ولا يرجى غيره.

س ٦٤٨ : ما مراد الشيخ بقوله: " ونحن نؤمن بذلك كله، لا نفرق بين أحد من رسله، ونصدقهم كلهم على ما جاؤوا به ؟".

ج: قال الشارح: الإشارة بذلك إلى ما تقدم مما يجب الإيمان به تفصيلاً، وقوله: " لا نفرق بين أحد من رسله " إلى آخر كلامه، أي: لا نفرق بينهم بأن نؤمن ببعض، ونكفر ببعض، بل نؤمن بهم، ونصدقهم كلهم، فإن من آمن ببعض، وكفر ببعض، كافر بالكل، قال تعالى: ﴿وَقَوْلُوا تَوْفِيقُ بَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ۝١٥٠﴾ أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا. فإن المعنى الذي لأجله آمن بمن آمن منهم، موجود في الذي لم يؤمن به، وذلك الرسول الذي آمن به قد جاء بتصديقه بقية المرسلين، فإذا لم يؤمن ببعض المرسلين، كان كافراً حقاً، وهو يظن أنه مؤمن، فكان من الأخسرين أعمالاً؛ الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا.



الفصل الثاني والعشرون

الكبيرة وأحكامها

الكبيرة وأحكامها

(س ٦٤٩) على من رد الشيخ بقوله: " وأهل الكبائر من أمة محمد ﷺ في النار لا يخلدون إذا ماتوا وهم موحدون ؟".

(ج) قال الشارح: " وأهل الكبائر من أمة محمد ﷺ في النار لا يخلدون إذا ماتوا وهم موحدون " رد لقول الخوارج والمعتزلة، القائلين بتخليد أهل الكبائر في النار، لكن الخوارج تقول بتكفيرهم، والمعتزلة بخروجهم من الإيمان، لا بدخولهم في الكفر، بل لهم منزلة بين منزلتين، كما تقدم عند الكلام على قول الشيخ رحمه الله: "ولا نكفر أحداً من أهل القبلة بذنب ما لم يستحله".

وقوله: "في النار"، معمول لقوله: " لا يخلدون " وإنما قدمه لأجل السجعة، لا أن يكون "في النار" خبراً لقوله: " وأهل الكبائر " كما ظنه بعض الشارحين.

(س ٦٥٠) ماذا يفهم من قول الطحاوي: "وأهل الكبائر من أمة محمد " وهل يصح ما فهم منه؟.

(ج) قال الشارح: وقوله: " وأهل الكبائر من أمة محمد " تخصيصه أمة محمد، يفهم منه أن أهل الكبائر من أمة غير محمد ﷺ قبل نسخ تلك الشرائع به، حكمهم مخالف لأهل الكبائر من أمة محمد، وفي ذلك نظر، فإن النبي ﷺ أخبر أنه: " يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان ". ولم يخص أمته بذلك، بل ذكر الإيمان مطلقاً، فتأمل، وليس في بعض النسخ ذكر الأمة.

س ٦٥١: ما أقوال العلماء في تحديد الكبيرة؟ .

ج: اختلف العلماء في الكبائر على أقوال:

- ١ - فقليل : سبعة .
- ٢ - وقيل : سبعة عشر .
- ٣ - وقيل : ما اتفقت الشرائع على تحريمه .
- ٤ - وقيل : ما يسد باب المعرفة بالله .
- ٥ - وقيل : ذهاب الأموال والأبدان .
- ٦ - وقيل : سميت كبائر بالنسبة والإضافة إلى ما دونها .
- ٧ - وقيل : لا تعلم أصلاً ، أو : أنه أخفيت كليلة القدر .
- ٨ - وقيل : إنها إلى السبعين أقرب .
- ٩ - وقيل : كل ما نهى الله فهو كبيرة .
- ١٠ - وقيل : إنها ما يترتب عليها حدّ ، أو تُوعَدَ عليها بالنار ، أو اللعنة ، أو الغضب .

س ٦٥٢: ما أمثل الأقوال في حد الكبيرة المذكورة آنفاً؟ .

ج: أمثل الأقوال في حد الكبيرة القول العاشر، وهو: إنها ما يترتب عليها حدّ، أو تُوعَدَ عليها بالنار، أو اللعنة، أو الغضب .

وهذا الضابط يسلم من القوادح الواردة على غيره، فإنه يدخل فيه كل ما ثبت بالنص أنه كبيرة، كالشرك، والقتل، والزنى، والسحر، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات، ونحو ذلك، كالفرار من الزحف، وأكل مال اليتيم، وأكل الربا، وعقوق الوالدين، واليمين الغموس، وشهادة الزور، وأمثال ذلك .

س ٦٥٣: ما قول العلماء في حد الصغيرة؟ .

ج: اختلفت عبارات قائله:

- ١ - منهم من قال: الصغيرة ما دون الحدين: حد الدنيا وحد الآخرة .
- ٢ - ومنهم من قال: كل ذنب لم يختم بلعنة، أو غضب، أو نار .
- ٣ - ومنهم من قال: الصغيرة ما ليس فيها حد في الدنيا ولا وعيد في

الآخرة، والمراد بالوعيد: الوعيد الخاص بالنار، أو اللعنة، أو الغضب، فإن الوعيد الخاص في الآخرة كالعقوبة الخاصة في الدنيا، أعني المقدرة، فالتعزير في الدنيا نظير الوعيد بغير النار، أو اللعنة أو الغضب.

(س ٦٥٤): ما المرجحات التي ترجح بها التعريف الأمثل للكبيرة؟.

(ج): ترجيح هذا القول من وجوه:

١ - أحدها: أنه هو المأثور عن السلف، كابن عباس، وابن عيينة، وابن حنبل وغيرهم.

٢ - الثاني: أن الله تعالى قال: ﴿إِنْ تَجَتَبَوُا كِبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلَكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا﴾ (٣١). فلا يستحق هذا الوعد الكريم من أوعد بغضب الله ولعنته وناره، وكذلك من استحق أن يقام عليه الحد لم تكن سيئاته مكفرة عنه باجتناب الكبائر.

٣ - الثالث: أن هذا الضابط مرجعه إلى ما ذكره الله ورسوله من الذنوب، فهو حد متلقى من خطاب الشارع.

٤ - الرابع: أن هذا الضابط يمكن الفرق به بين الكبائر والصغائر، بخلاف تلك الأقوال، فإن من قال: سبعة، أو سبعة عشر، أو إلى السبعين أقرب، مجرد دعوى.

(س ٦٥٥): ما الذي يردُّ على قول من قال: إن الكبيرة ما اتفقت الشرائع على تحريمه دون ما اختلف فيه؟.

(ج): من قال: ما اتفقت الشرائع على تحريمه دون ما اختلف فيه -: يقتضي أن شرب الخمر والفرار من الزحف، والتزوج ببعض المحارم، والمحرّم بالرضاعة والصهرية، ونحو ذلك - ليس من الكبائر! وأن الحبة من مال اليتيم، والسرقه لها، والكذبة الواحدة الخفيفة، ونحو ذلك من الكبائر، وهذا فاسد.

(س ٦٥٦): ما الذي يردُّ على قول من قال: إن الكبيرة ما سد باب المعرفة بالله أو ذهاب الأموال والأبدان؟.

(ج): من قال: ما سد باب المعرفة بالله، أو ذهاب الأموال والأبدان، يقتضي

أن شرب الخمر، وأكل الخنزير والميتة والدم، وقذف المحصنات، ليس من الكبائر! وهذا فاسد.

س ٦٥٧: ما الذي يردُّ على قول من قال: إن الكبيرة ما نهى الله عنه، أو أنها سميت كبيرة بالنسبة لما دونها؟

ج: من قال: إنها سميت كبائر بالنسبة إلى ما دونها، أو كل ما نهى الله عنه فهو كبيرة، يقتضي أن الذنوب في نفسها لا تنقسم إلى صغائر وكبائر! وهذا فاسد، لأنه خلاف النصوص الدالة على تقسيم الذنوب إلى صغائر وكبائر.

س ٦٥٨: بم يردُّ على من قال: إن الكبيرة لا تعلم أصلاً، أو أنها مبهمة؟

ج: من قال: إنها لا تعلم أصلاً، أو أنها مبهمة، فإنما أخبر عن نفسه أنه لا يعلمها، فلا يمنع أن يكون قد علمها غيره. والله أعلم.

س ٦٥٩: لم قيد الشيخ قوله: "وأهل الكبائر من أمة محمد ﷺ لا يخلدون" بقوله: "وإن لم يكونوا تائبين"؟

ج: لأن التوبة لا خلاف أنها تمحو الذنوب، وإنما الخلاف في غير التائب.

س ٦٦٠: ماذا استدرك الشارح على الإمام الطحاوي في قوله: "بعد أن لقوا الله تعالى عارفين"، وقوله: "ذلك أن الله مولى أهل معرفته"؟

ج: قال الشارح: وقوله: "بعد أن لقوا الله تعالى عارفين"، لو قال: مؤمنين، بدل قوله: "عارفين" كان أولى؛ لأن من عرف الله ولم يؤمن به فهو كافر. وإنما اكتفى بالمعرفة وحدها الجهم، وقوله مردودٌ باطلٌ، كما تقدم، فإن إبليس عارف بربه: ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ (٢٦). ﴿قَالَ فِعْرَنُكَ لَا غُورَ لَهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (٨٢) إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ (٨٣). وكذلك فرعون وأكابر الكافرين، قال تعالى: ﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾. ﴿قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (٨٤) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ. إلى غير ذلك من الآيات الدالة على هذا المعنى.

وكان الشيخ رحمه الله أراد المعرفة الكاملة المستلزمة للاهتمام، التي

يشير إليها أهل الطريقة، وحاشا أولئك أن يكونوا من أهل الكبائر، بل هم سادة الناس وخاصتهم.

(س ٦٦١): اشرح قول الإمام الطحاوي: "وهم في مشيئة الله وحكمه، إن شاء غفر لهم وعفا عنهم بفضلهم؟".

(ج) قال الشارح: وقوله: "وهم في مشيئة الله وحكمه، إن شاء غفر لهم، وعفا عنهم بفضلهم" إلى آخر كلامه، فصلَّ الله تعالى بين الشرك وغيره، لأن الشرك أكبر، كما قال ﷺ، وأخبر الله تعالى أن الشرك غير مغفور، وعلّق غفران ما دونه بالمشيئة، والجائز يعلق بالمشيئة دون الممتنع، ولو كان الكل سواء لما كان للتفصيل معنى، ولأنه علق هذا الغفران بالمشيئة، وغفران الكبائر والصغائر بعد التوبة مقطوع به، غير معلق بالمشيئة، كما قال تعالى: ﴿قُلْ يَبْعَادَى الَّذِينَ أَشْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (٥٣). فوجب أن يكون الغفران المعلق بالمشيئة هو غفران الذنوب سوى الشرك قبل التوبة.

(س ٦٦٢): لم ختم الإمام الطحاوي كلامه الأنف بقوله: "اللهم يا ولي الإسلام وأهله مسكننا بالإسلام حتى نلقاك به؟".

(ج) قال الشارح: وقوله: "اللهم يا ولي الإسلام - وفي نسخة: ثبتنا على الإسلام - حتى نلقاك به"، روى شيخ الإسلام أبو إسماعيل الأنصاري في كتابه "الفاروق" بسنده عن أنس رضي الله عنه قال: "كان من دعاء رسول الله ﷺ يقول: "يا ولي الإسلام وأهله، مسكني بالإسلام حتى ألقاك عليه".

ومناسبة ختم الكلام المتقدم بهذا الدعاء ظاهرة، وبمثل هذا الدعاء دعا يوسف صلوات الله عليه، حيث قال: ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحَقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ (١٠١). وبه دعا السحرة الذين كانوا أول من آمن بموسى صلوات الله على نبينا وعليه، حيث قالوا: ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَاهُنَا صَاحِبِهَا وَتَقَاتْنَا مَسْلُمِينَ﴾. ومن استدل بهاتين الآيتين على جواز تمنى الموت فلا دليل فيه، فإن الدعاء إنما هو بالموت على الإسلام، لا بمطلق الموت، ولا بالموت الآن، والفرق ظاهر.

س ٦٦٣: ما حكم الصلاة خلف الفاجر من أهل القبلة؟

ج: قال الطحاوي رحمه الله: "ونرى الصلاة خلف كل برّ وفاجر من أهل القبلة، وعلى من مات منهم". قال الشارح:

١ - قال عليه السلام: "صلوا خلف كل بر وفاجر" رواه مكحول عن أبي هريرة رضي الله عنه وأخرجه الدارقطني، وقال: مكحول لم يلق أبا هريرة، وفي إسناده معاوية بن صالح، متكلم فيه، وقد احتج به مسلم في صحيحه، وخرج له الدارقطني أيضاً، وأبو داود عن مكحول عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "الصلاة واجبة عليكم مع كل مسلم بر أو فاجر، وإن هو عمل بالكبائر، والجهاد واجب مع كل أمير بر أو فاجر، وإن عمل الكبائر".

٢ - وفي صحيح البخاري: أن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما كان يصلي خلف الحجاج بن يوسف الثقفي، وكذا أنس بن مالك، وكان الحجاج فاسقاً ظالماً.

٣ - وفي صحيحه أيضاً، أن النبي ﷺ: قال: "يصلون لكم، فإن أصابوا فلكم ولهم، وإن أخطؤوا فلكم وعليهم".

٤ - وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "صلوا خلف من قال: لا إله إلا الله، وصلوا على من مات من أهل لا إله إلا الله". أخرجه الدارقطني من طرق وضعفها.

س ٦٦٤: ما حكم الصلاة خلف مستور الحال من أهل القبلة؟

ج: قال الشارح: اعلم رحمك الله وإيانا: أنه يجوز للرجل أن يصلي خلف من لم يعلم منه بدعة ولا فسقاً، باتفاق الأئمة، وليس من شروط الانتماء أن يعلم المأموم اعتقاد إمامه، ولا أن يمتحنه، فيقول: ماذا تعتقد؟! بل يصلي خلف المستور الحال.

ولو صلى خلف مبتدع يدعو إلى بدعته، أو فاسق ظاهر الفسق، وهو الإمام الراتب الذي لا يمكنه الصلاة إلا خلفه، كإمام الجمعة والعيدين، والإمام في صلاة الحج بعرفة، ونحو ذلك، فإن المأموم يصلي خلفه، عند عامة السلف والخلف.

س ٦٦٥: ما حكم من ترك الجمعة والجماعة خلف الإمام الفاجر، بذريعة فجوره؟.

ج: قال الشارح: ومن ترك الجمعة والجماعة خلف الإمام الفاجر، فهو مبتدع عند أكثر العلماء، والصحيح أنه يصليها ولا يعيدها، فإن الصحابة رضي الله عنهم، كانوا يصلّون الجمعة والجماعة خلف الأئمة الفُجّار، ولا يعيدون، كما كان عبد الله بن عمر يصلي خلف الحجاج بن يوسف، وكذلك أنس رضي الله عنه، كما تقدم، وكذلك كان عبدالله بن مسعود رضي الله عنه يصلي خلف الوليد بن عقبة بن أبي معيط، وكان يشرب الخمر، حتى أنه صلى بهم الصبح مرةً أربعاً، ثم قال: أزيدكم؟! فقال له ابن مسعود: ما زلنا معك منذ اليوم في زيادة؟!.

وفي الصحيح: أن عثمان بن عفان رضي الله عنه لما حُصرَ صلى بالناس شخصاً، فسأل سائل عثمان: إنك إمام عامة، وهذا الذي يصلي بالناس إمام فتنة؟! فقال: يا ابن أخي، إن الصلاة من أحسن ما يعمل الناس، فإذا أحسنوا فأحسن معهم، وإذا أسأؤوا فاجتنب إساءتهم.

والفاسق والمبتدع صلاته في نفسها صحيحة، فإذا صلى المأموم خلفه لم تبطل صلاته، لكن إنما كَرِهَ مَنْ كَرِهَ الصلاة خلفه، لأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب.

س ٦٦٦: ما حكم من أظهر بدعته، هل يُرتب إماماً للمسلمين؟ وما حكم الصلاة خلفه؟.

ج: قال الشارح: ومن ذلك أن من أظهر بدعةً وفجوراً لا يُرتب إماماً للمسلمين، فإنه يستحق التعزير حتى يتوب، فإذا أمكن هجره حتى يتوب كان حسناً، وإذا كان بعض الناس إذا ترك الصلاة خلفه وصلى خلف غيره، أثر ذلك في إنكار المنكر حتى يتوب أو يعزل، أو ينتهي الناس عن مثل ذنبه فمثل هذا إذا ترك الصلاة خلفه، كان في ذلك مصلحة شرعية، ولم تفت المأموم جمعةً ولا جماعةً.

وأما إذا كان ترك الصلاة خلفه يفوت المأموم الجمعة والجماعة، فهذا لا يترك الصلاة خلفه إلا مبتدع مخالف للصحابة رضي الله عنهم.

وكذلك إذا كان الإمام قد رتبته ولاية الأمور، ليس في ترك الصلاة خلفه مصلحة شرعية، فهذا لا يترك الصلاة خلفه، بل الصلاة خلف الأفضل أفضل، فإذا أمكن الإنسان أن لا يقدم مظهراً للمنكر في الإمامة، وجب عليه ذلك، لكن إذا ولاه غيره، ولم يمكنه صرفه عن الإمامة، أو إن كان لا يتمكن من صرفه عن الإمامة إلا بشر أعظم ضرراً من ضرر ما أظهر من المنكر، فلا يجوز دفع الفساد القليل بالفساد الكثير، ولا دفع أخف الضررين بحصول أعظمهما، فإن الشرائع جاءت بتحصيل المصالح وتكميلها، وتعطيل المفاسد وتقليلها، بحسب الإمكان، فتفويت الجمع والجماعات أعظم فساداً من الاقتداء فيهما بالإمام الفاجر، لا سيما إذا كان التخلف عنها لا يدفع فجوراً، فيبقى تعطيل المصلحة الشرعية بدون دفع تلك المفسدة.

س ٦٦٧: ما الحكم إذا أمكن فعل الجمعة والجماعة خلف البرّ، ولكن صلى خلف الفاجر، من غير عذر؟.

ج: قال الشارح: وأما إذا أمكن فعل الجمعة والجماعة خلف البرّ، فهذا أولى من فعلها خلف الفاجر، وحينئذٍ، فإذا صلى خلف الفاجر من غير عذر، فهو موضع اجتهاد للعلماء. منهم من قال: يعيد، ومنهم من قال: لا يعيد، وموضع بسط ذلك في كتب الفروع.

س ٦٦٨: ما الحكم إن نسي الإمام أو أخطأ، ولم يعلم المأموم بحاله؟.

ج: قال الشارح: وأما الإمام إذا نسي أو أخطأ، ولم يعلم المأموم بحاله، فلا إعادة على المأموم، للحديث المتقدم، وقد صلى عمر رضي الله عنه وغيره وهو جنب ناسياً للجنب، فأعاد الصلاة، ولم يأمر المأمومين بالإعادة، ولو علم بعد فراغه أن إمامه كان على غير طهارة، أعاد عند أبي حنيفة، خلافاً لمالك والشافعي وأحمد في المشهور عنه. وكذلك لو فعل الإمام ما لا يسوغ عند المأموم، وفيه تفاصيل موضعها كتب الفروع، ولو علم أن إمامه يصلي على غير وضوء!! فليس له أن يصلي خلفه؛ لأنه لاعب، وليس بمصل.

س ٦٦٩: ذكر الشارح: الْمُطَاعُونَ فِي مَوَاضِعِ الاجتهاد، فمن هم، وما حكم مخالفتهم؟.

ج: قال الشارح: وقد دلت نصوص الكتاب والسنة، وإجماع سلف الأمة:

* أن ولي الأمر.

* وإمام الصلاة.

* والحاكم.

* وأمير الحرب.

* وعامل الصدقة: يطاع في مواضع الاجتهاد، وليس عليه أن يطيع أتباعه في موارد الاجتهاد، بل عليهم طاعته في ذلك، وترك رأيهم لرأيه، فإن مصلحة الجماعة والائتلاف، ومفسدة الفرقة والاختلاف، أعظم من أمر المسائل الجزئية، ولهذا لم يجز للحكام أن يَنْقُضَ بعضهم حكم بعض. والصواب المقطوع به صحة صلاة بعض هؤلاء خلف بعض، ويروى عن أبي يوسف: أنه لما حج مع هارون الرشيد، فاحتجم الخليفة، وأفتاه مالك بأنه لا يتوضأ، وصلى بالناس، فقليل لأبي يوسف: أصليت خلفه؟ قال: سبحان الله أمير المؤمنين. يريد بذلك أن ترك الصلاة خلف ولاية الأمور من فعل أهل البدع، وحديث أبي هريرة الذي رواه البخاري، أن رسول الله ﷺ قال: "يصلون لكم، فإن أصابوا فلكم ولهم، وإن أخطؤوا فلكم وعليهم": نص صحيح صريح في أن الإمام إذا أخطأ فخطؤه عليه، لا على المأموم، والمجتهد غاية أنه أخطأ بترك واجب اعتقد أنه ليس واجباً، أو فعل محظوراً اعتقد أنه ليس محظوراً. ولا يحل لمن يؤمن بالله واليوم الآخر أن يخالف هذا الحديث الصريح الصحيح بعد أن يبلغه، وهو حجة إلى من يُطْلَقُ من الحنفية والشافعية والحنبلية أن الإمام إذا ترك ما يعتقد المأموم وجوبه، لم يصح اقتداؤه به!! فإن الاجتماع والائتلاف مما يجب رعايته وترك الخلاف المفضي إلى الفساد.

س ٦٧٠: ما حكم الصلاة على من مات من فجّار أهل القبلة؟ وهل يستثنى من ذلك أحد؟.

(ج) قال الشارح: وقوله: "وعلى من مات منهم" أي: ونرى الصلاة على من مات من الأبرار والفجار، وإن كان يستثنى من هذا العموم البغاة وقطاع الطريق، وكذا قاتل نفسه، خلافاً لأبي يوسف، لا الشهيد، خلافاً لمالك والشافعي رحمهما الله، على ما عرف في موضعه.

(س ٦٧١): لم ذكر الإمام الطحاوي - بعد قوله بجواز الصلاة خلف كل بر وفاجر من أهل القبلة - الصلاة على من مات منهم، بقوله: "وعلى من مات منهم"؟.

(ج) قال الشارح: لكن الشيخ إنما ساق هذا الكلام لبيان أنا لا نترك الصلاة على من مات من أهل البدع والفجور، لا للعموم الكلي.

(س ٦٧٢): ما حكم الصلاة على المنافقين؟.

(ج) قال الشارح: ولكن المظهرون للإسلام قسمان: إما مؤمن، وإما منافق.

* فمن علم نفاقه، لم تجز الصلاة عليه والاستغفار له.

* ومن لم يعلم ذلك منه، صَلَّى عليه، فإذا علم شخص نفاق شخص، لم يصل هو عليه، وصلى عليه من لم يعلم نفاقه، وكان عمر رضي الله عنه لا يصلي على من لم يصل عليه حذيفة؛ لأنه كان في غزوة تبوك قد عرف المنافقين، وقد نهى الله سبحانه رسوله صلى الله عليه وسلم عن الصلاة على المنافقين، وأخبر أنه لا يغفر لهم باستغفاره، وعلل ذلك بكفرهم بالله ورسوله، فمن كان مؤمناً بالله ورسوله، لم يُنه عن الصلاة عليه، ولو كان له من الذنوب الاعتقادية البدعية، أو العملية الفجورية ما له، بل قد أمره الله تعالى بالاستغفار للمؤمنين، فقال تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾. فأمره سبحانه بالتوحيد والاستغفار لنفسه وللمؤمنين والمؤمنات، فالتوحيد أصل الدين، والاستغفار له وللمؤمنين كماله، فالدعاء لهم بالمغفرة، والرحمة، وسائر الخيرات، إما واجب، وإما مستحب، وهو على نوعين:

عامٌ وخاصٌ، أما العام فظاهر، كما في هذه الآية، وأما الدعاء الخاص، فالصلاة على الميت، فما من مؤمن يموت إلا وقد أمر المؤمنون أن يصلّوا عليه صلاة الجنازة، وهم مأمورون في صلاتهم عليه أن يدعوا له، كما

روى أبو داود، وابن ماجه عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "إذا صليتم على الميت، فأخلصوا له الدعاء".

س ٦٧٣: هل يشهد للمعين بالجنة أو النار؟ ولماذا؟.

ج: قال الطحاوي رحمه الله: "ولا ننزل أحداً منهم جنةً ولا ناراً".

قال الشارح: يريد: أنا لا نقول عن أحدٍ معين من أهل القبلة: إنه من أهل الجنة، أو من أهل النار، إلا من أخبر الصادق عليه السلام أنه من أهل الجنة كالعشرة رضي الله عنهم، وإن كنا نقول: إنه لا بد أن يدخل النار من أهل الكبائر من يشاء الله إدخاله النار، ثم يخرج منها بشفاعة الشافعين، ولكننا نقف في الشخص المعين، فلا نشهد له بجنةٍ ولا نارٍ إلا عن علم، لأن حقيقة باطنه، وما مات عليه لا نحيط به، لكن نرجو للمحسن، ونخاف على المسيء. وللسلف في الشهادة بالجنة ثلاثة أقوال:

١ - أحدها: أن لا يشهد لأحدٍ إلا للأنبياء، وهذا ينقل عن محمد بن الحنفية، والأوزاعي.

٢ - والثاني: أنه يشهد بالجنة لكل مؤمن جاء فيه النص، وهذا قول كثير من العلماء وأهل الحديث.

٣ - والثالث: أنه يشهد بالجنة لهؤلاء وللمن شهد له المؤمنون، كما في "الصحيح": أنه مرَّ بجنة، فأتوا عليها بخير، فقال النبي ﷺ: "وجب" ومرَّ بأخرى فأتني عليها بشر، فقال: "وجب". وفي رواية كرر "وجب" ثلاث مرات، فقال عمر: يا رسول الله، ما وجبت؟ فقال رسول الله ﷺ: "هذا أثبتت عليه خيراً وجبت له الجنة، وهذا أثبتت عليه شراً وجبت له النار، أنتم شهداء الله في الأرض".

وقال عليه السلام: "توشكون أن تعلموا أهل الجنة من أهل النار، قالوا: بم يا رسول الله؟ قال: بالثناء الحسن والثناء السيء". فأخبر أن ذلك مما يعلم به أهل الجنة وأهل النار.

س ٦٧٤: متى يشهد على معين من أهل القبلة بكفر أو شرك أو نفاق؟.

(ج) يشهد عليه بما ذكر آنفاً إذا ظهر منه شيء من ذلك، وقامت عليه الحجة.

(س ٦٧٥) لم لا يُشهد على معين من أهل القبلة بكفر أو شرك أو نفاق، ما لم يظهر منه شيء من ذلك؟.

(ج) لأننا قد أمرنا بالحكم على الظاهر، ونهينا عن الظن واتباع ما ليس لنا به علم. قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّنْ قَوْمٍ﴾ الآية، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾ وقال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنهُ مَسْئُولًا﴾ (٣٦).

(س ٦٧٦) على من يجب السيف من أمة محمد ﷺ، مع الاستدلال؟.

(ج) قال الطحاوي: "ولا نرى السيف على أحد من أمة محمد ﷺ إلا من وجب عليه السيف".

قال الشارح: في الصحيح عن النبي ﷺ، أنه قال: "لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، إلا بإحدى ثلاث: الثيب الزاني، والنفس بالنفس، والتارك لدينه، المفارق للجماعة".



الفصل الثالث والعشرون

طاعة ولي الأمر
في غير معصية الله

طاعة ولي الأمر في غير معصية الله

قال الإمام الطحاوي: "ولا نرى الخروج على أئمتنا وولاة أمورنا، وإن جاروا، ولا ندعوا عليهم، ولا ننزع يداً من طاعتهم، ونرى طاعتهم من طاعة الله ﷻ فريضة، ما لم يأمرُوا بمعصية، وندعوا لهم بالصلاح والمعافة".

س ٦٧٧: استدل على طاعة ولي الأمر، وعدم الخروج عليه، وإن جارَ، ما لم يظهر منه كفراً بواحاً؟

- ج: ١ - قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ .
- ٢ - وفي الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: "من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني، فقد عصى الله، ومن يطع الأمير، فقد أطاعني، ومن يعص الأمير، فقد عصاني".
- ٣ - وعن أبي ذر رضى الله عنه قال: "إن خليلي أوصاني أن أسمع وأطيع وإن كان عبداً حبشياً مجدّع الأطراف". وعند البخاري: "ولو لعبد حبشي كأن رأسه زبيبة".

- ٤ - وفي الصحيحين أيضاً: "على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره، إلا أن يؤمر بمعصية، فإن أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة".
- ٥ - وفي الصحيحين من حديث حذيفة، الطويل: .. قلت يا رسول الله: فما ترى إن أدركني ذلك؟ قال: "تلزم جماعة المسلمين وإمامهم". الحديث.
- ٦ - وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: "من

رأى من أميره شيئاً يكرهه، فليصبر، فإنه من فارق الجماعة شبراً فمات، فميتة جاهلية".

وفي رواية: " فقد خلع ربة الإسلام من عنقه " .

٧ - وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: " إذا بويع لخليفتين فاقتلوا الآخر منهما " .

٨ - وعن عوف بن مالك رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: " خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم، وتصلون عليهم، ويصلون عليكم، وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم، وتلعنونهم ويلعنونكم " ، فقلنا: يا رسول الله، أفلا ننابذهم بالسيف عند ذلك؟ قال: " لا، ما أقاموا فيكم الصلاة، ألا من ولي عليه وال، فرآه يأتي شيئاً من معصية الله، فليكره ما يأتي من معصية الله، ولا ينزعن يداً من طاعة " . رواه مسلم وأحمد.

س ٦٧٨ : اشرح قوله تعالى: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ ؟ .

ج : قال الشارح: دل الكتاب والسنة على وجوب طاعة أولي الأمر، ما لم يأمرُوا بمعصية، فتأمل قوله تعالى: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ . كيف قال: ﴿أَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ ، ولم يقل: وأطيعوا أولي الأمر منكم؟ لأن أولي الأمر لا يُفردون بالطاعة، بل يطاعون فيما هو طاعة لله ورسوله، وأعاد الفعل مع الرسول لأنه من يطع الرسول، فقد أطاع الله، فإن الرسول لا يأمر بغير طاعة الله، بل ومعصوم في ذلك، وأما ولي الأمر، فقد يأمر بغير طاعة الله فلا يطاع إلا فيما هو طاعة لله ورسوله.

س ٦٧٩ : لم ألزم الشارع طاعة ولي الأمر ولو جار؟ .

ج : أما لزوم طاعتهم وإن جاروا، فلأنه يترتب على الخروج عن طاعتهم من المفساد أضعاف ما يحصل من جورهم، بل في الصبر على جورهم تكفير السيئات، ومضاعفة الأجور، فإن الله تعالى ما سلطهم علينا إلا لفساد أعمالنا، والجزاء من جنس العمل، فعلينا الاجتهاد في الاستغفار والتوبة وإصلاح العمل، قال تعالى: ﴿وَمَا أَصْبَحْكُمْ مِنْ مُّصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾ . وقال تعالى: ﴿أَوْ لَمَّا أَصَبْتَكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ

مِثْلَهَا قُلْتُمْ أَنِّي هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ ﴿١٢٩﴾. وقال تعالى: ﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنَ نَفْسِكَ﴾. وقال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نُؤَيِّنُ بِعَصَى الظَّالِمِينَ بَعْضًا يِمَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (١٢٩). فإذا أراد الرعية أن يتخلصوا من ظلم الأمير الظالم، فليتركوا الظلم.

وعن مالك بن دينار: أنه جاء في بعض كتب الله: أنا الله مالك الملوك، قلوب الملوك بيدي، فمن أطاعني، جعلتهم عليه رحمة، ومن عصاني جعلتهم عليه نقمة، فلا تشغلوا أنفسكم بسبب الملوك، لكن توبوا أعطفهم عليكم.

س ٦٨٠: ما معنى قول الإمام الطحاوي: "ونتبع السنة والجماعة، ونجتنب الشذوذ والخلاف والفرقة"؟

ج: قال الشارح: السنة: طريقة الرسول ﷺ، والجماعة: جماعة المسلمين، وهم الصحابة والتابعون لهم بإحسان إلى يوم الدين، فاتباعهم هدى، وخلافهم ضلال، قال الله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (٣١). وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ تُولِهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ (١١٥). وقال تعالى: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا أَلْبَانُ الْمَيْتِ﴾ (٥٤). وقال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّيْتُ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (١٥٣). وقال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (١٠٥). وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا أَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ (١٥٩).

وثبت في السنن الحديث الذي صححه الترمذي عن العرباض بن سارية قال: وعظنا رسول الله موعظةً بليغة، ذرفت منها العيون، ووجلت منها القلوب، فقال قائل: يا رسول الله، كأن هذه موعظة مودع؟ فماذا تعهد إلينا؟ فقال: "أوصيكم بالسمع والطاعة، فإنه من يعش منكم بعدي، فسيروا اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، تمسكوا بها،

وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل بدعة ضلالة ".
وقال ﷺ: "إن أهل الكتابين افرقوا في دينهم على ثنتين وسبعين ملة، وإن هذه الأمة ستفرق على ثلاث وسبعين ملة - يعني الأهواء - كلها في النار إلا واحدة، وهي الجماعة ".

وفي رواية: قالوا: من هي يا رسول الله؟ قال: "ما أنا عليه وأصحابي".
فبين ﷺ أن عامة المختلفين هالكون من الجانبين، إلا أهل السنة والجماعة. وما أحسن قول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، حيث قال: من كان منكم مستناً، فليست بمن قد مات، فإن الحي لا تؤمن عليه الفتنة، أولئك أصحاب محمد ﷺ، كانوا أفضل هذه الأمة، أبرها قلوباً، وأعمقها علماً، وأقلها تكلفاً، قوم اختارهم الله لصحبة نبيه، وإقامة دينه، فاعرفوا لهم فضلهم، واتبعوهم في آثارهم، وتمسكوا بما استطعتم من أخلاقهم ودينهم، فإنهم كانوا على الهدى المستقيم.

وسياتي لهذا المعنى زيادة بيان إن شاء الله تعالى، عند قول الشيخ:
"ونرى الجماعة حقاً وصواباً، والفرقة زيغاً وعذاباً".

(س ٦٨١): ما منزلة أهل العدل والأمانة، ومنزلة أهل الجور والخيانة، من الإيمان؟.

(ج): قال الطحاوي: "ونحب أهل العدل والأمانة، ونبغض أهل الجور والخيانة".

قال الشارح: وهذا من كمال الإيمان وتمام العبودية، فإن العبادة تتضمن كمال المحبة ونهايتها، وكمال الذل ونهايته، فمحبة رسل الله وأنبيائه وعبادته المؤمنين من محبة الله، وإن كانت المحبة التي لله لا يستحقها غيره، فغير الله يحب في الله، لا مع الله، فإن المحب يحب ما يحب محبوبه، ويبغض ما يبغض، ويوالي من يواليه، ويعادي من يعاديه، ويرضى لرضائه، ويغضب لغضبه، ويأمر بما يأمر به، وينهى عما ينهى عنه، فهو موافق لمحبوبه في كل حال. والله تعالى يحب المحسنين، ويحب المتقين، ويحب التوابين، ويحب المتطهرين، ونحن نحب من أحبه الله.

والله لا يحب الخائنين، ولا يحب المفسدين، ولا يحب المستكبرين، ونحن لا نحبهم أيضاً، ونبغضهم، موافقة له سبحانه وتعالى.

والحب والبغض بحسب ما فيهم من خصال الخير والشر، فإن العبد يجتمع فيه سبب الولاية وسبب العداوة، والحب والبغض، فيكون محبوباً من وجه مبغوضاً من وجه، والحكم للغالب، وكذلك حكم العبد عند الله، فإن الله قد يحب الشيء من وجه، ويكرهه من وجه آخر، كما قال ﷺ فيما يرويه عن ربه ﷻ: "وما ترددت في شيء أنا فاعله ترددي في قبض نفس عبدي المؤمن، يكره الموت وأنا أكره مساءته، ولا بد له منه".

فبين أنه يتردد؛ لأن التردد تعارض إرادتين، وهو سبحانه يحب ما يحبه عبده المؤمن، ويكره ما يكرهه، وهو يكره الموت فهو يكرهه، كما قال: "وأنا أكره مساءته" وهو سبحانه قضى بالموت، فهو يريد كونه، فسمى ذلك تردداً، ثم بين أنه لا بد من وقوع ذلك، إذ هو يفضي إلى ما هو أحب منه.

س ٦٨٢: استدل على المحبة في الله تعالى ؟.

ج: في الصحيحين عن النبي ﷺ: "ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان: من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، ومن كان يحب المرء لا يحبه إلا لله، ومن كان يكره أن يرجع في الكفر بعد أن أنقذه الله منه، كما يكره أن يلقي في النار".

فالمحبة التامة مستلزمة لموافقة المحبوب في محبوبه ومكروهه وولايته وعداوته. ومن المعلوم أن من أحب الله المحبة الواجبة، فلا بد أن يبغض أعداءه، ولا بد أن يحب ما يحبه من جهادهم، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًا كَانَهُمْ يُتَنَصَّرُونَ مَرْضُوعًا﴾.

والحب والبغض بحسب ما فيهم من خصال الخير والشر، فإن العبد يجتمع فيه سبب الولاية وسبب العداوة، والحب والبغض، فيكون محبوباً من وجه مبغوضاً من وجه، والحكم للغالب، وكذلك حكم العبد عند الله، فإن الله قد يحب الشيء من وجه، ويكرهه من وجه آخر، كما قال ﷺ فيما

يرويه عن ربه ﷻ: " وما ترددت في شيء أنا فاعله ترددي في قبض نفس عبدي المؤمن، يكره الموت وأنا أكره مساءته، ولا بد له منه " .

فبين أنه يتردد؛ لأن التردد تعارض إرادتين، وهو سبحانه يحب ما يحبه عبده المؤمن، ويكره ما يكرهه، وهو يكره الموت فهو يكرهه، كما قال: "وأنا أكره مساءته " وهو سبحانه قضى بالموت، فهو يريد كونه، فسمى ذلك تردداً، ثم بين أنه لا بد من وقوع ذلك، إذ هو يفضي إلى ما هو أحب منه .

(س ٦٨٣) ما معنى قوله ﷺ فيما يرويه عن ربه: " وما ترددت في شيء أنا فاعله، ترددي عن قبض نفس عبدي المؤمن... " الحديث؟ .

(ج:) قال ﷺ فيما يرويه عن ربه ﷻ: " وما ترددت في شيء أنا فاعله ترددي في قبض نفس عبدي المؤمن، يكره الموت وأنا أكره مساءته، ولا بد له منه " .

فبين أنه يتردد؛ لأن التردد تعارض إرادتين، وهو سبحانه يحب ما يحبه عبده المؤمن، ويكره ما يكرهه، وهو يكره الموت فهو يكرهه، كما قال: "وأنا أكره مساءته " وهو سبحانه قضى بالموت، فهو يريد كونه، فسمى ذلك تردداً، ثم بين أنه لا بد من وقوع ذلك، إذ هو يفضي إلى ما هو أحب منه .

(س ٦٨٤) ما الحكم فيما اشتبه علينا علمه؟ وما حكم من تكلم بغير علم؟ .

(ج:) قال الطحاوي: " ونقول: الله أعلم فيما اشتبه علينا علمه " .

قال الشارح: تقدم في كلام الشيخ رحمه الله تعالى أنه ما سلم في دينه إلا من سلم لله ﷻ ولرسوله ﷺ ورد علم ما اشتبه عليه إلى عالمه .

ومن تكلم بغير علم، فإنما يتبع هواه، وقد قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ﴾ وقال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَتَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ﴾ (٣) كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَن تَوَلَّاهُ فَإِنَّهُ يُعَذِّبُهُ وَيَهْدِيهِ إِلَى عَذَابِ الشَّعِيرِ (٤) وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَتْهُمْ كِبَرُ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ ءَامَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُّتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾ (٥) وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا نَعْمُونَ﴾ (٦) .

س ٦٨٥ : استشهد بالنصوص، وآثار السلف في اتهام الرأي في الدين، ورد ما اشتبه علمه إلى عالمه؟.

(ج) : أمر الله نبيه ﷺ أن يرد علم ما لا يعلم إليه، فقال تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَيْسُوا لَهُمْ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ﴿قُلِ رَبِّي أَعْلَمُ بِعِبَادَتِهِمْ﴾. وقد قال ﷺ لما سئل عن أطفال المشركين: "الله أعلم بما كانوا عاملين".

وقال عمر رضي الله عنه: اتهموا الرأي في الدين فلو رأيته يوم أبي جندل، فلقد رأيته وإنني لأرد أمر رسول الله ﷺ برأيي، فأجتهد ولا آلو وذلك يوم أبي جندل، والكتاب يكتب، وقال: "اكتب: بسم الله الرحمن الرحيم" قال اكتب: باسمك اللهم، فرضي رسول الله ﷺ وكتب وأبیت، فقال: "يا عمر، تراني قد رضيت وتأبى؟!".

وقال أيضاً رضي الله عنه: السنة: ما سنه الله ورسوله ﷺ، لا تجعلوا خطأ الرأي سنة للأمة.

وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: أي أرض تُقْلُنِي، وأي سماء تظلني، إن قلت في آية من كتاب الله برأيي، أو بما لا أعلم.

وذكر الحسن بن علي الحلواني، حدثنا عارم حدثنا حماد بن زيد عن سعيد بن أبي صدقة عن ابن سيرين قال: لم يكن أحدٌ أهيب لما لا يعلم من أبي بكر، ولم يكن بعد أبي بكر أهيب لما لا يعلم من عمر رضي الله عنهما، وإن أبا بكر نزلت به قضية، فلم يجد في كتاب الله منها أصلاً، ولا في السنة أثراً، فاجتهد برأيه، ثم قال: هذا رأيي، فإن يكن صواباً فمن الله، وإن يكن خطأً فمني وأستغفر الله.

س ٦٨٦ : ما حكم المسح على الخفين؟ ومن خالف في هذا؟.

(ج) : تواترت السنة عن رسول الله ﷺ بالمسح على الخفين وبغسل الرجلين، والرافضة تخالف هذه السنة المتواترة.

س ٦٨٧ : كيف يُرد على الرافضة الذين أنكروا هذه السنة المتواترة، وهي غسل الرجلين؟.

﴿ج﴾ يقال لهم: الذين نقلوا عن النبي ﷺ الوضوء قولاً وفعلاً، والذين تعلموا الوضوء منه، وتوضؤوا على عهده وهو يراهم ويُقرّهم، ونقلوه إلى من بعدهم، أكثر عدداً من الذين نقلوا لفظ هذه الآية، فإن جميع المسلمين كانوا يتوضؤون على عهده، ولم يتعلموا الوضوء إلا منه، فإن هذا العمل لم يكن معهوداً عندهم في الجاهلية، وهم قد رأوه يتوضأ ما لا يحصي عدده إلا الله تعالى، ونقلوا عنه غسل الرجلين في ما شاء الله من الحديث، حتى نقلوا عنه من غير وجه، في كتب الصحيح، وغيرها، أنه قال: " ويل للأعقاب وبطون الأقدام من النار " .

مع أن الفرض إذا كان مسح ظاهر القدم، كان غسل الجميع كلفة لا تدعو إليها الطباع، كما تدعو الطباع إلى طلب الرياسة والمال، فلو جاز الطعن في تواتر صفة الوضوء، لكان في لفظ آية الوضوء أقرب إلى الجواز.

س ٦٨٨ : إذا قال الرافضي: لفظ الآية ثبت بالتواتر بكسر لفظ أرجلكم، وأن الفرض مسح الرجلين، لا غسلهما، فبم يجب؟.

﴿ج﴾ وإذا قالوا: لفظ الآية ثبت بالتواتر الذي لا يمكن فيه الكذب ولا الخطأ. فثبوت التواتر في نقل الوضوء عنه أولى وأكمل، ولفظ الآية لا يخالف ما تواتر من السنة، فإن المسح كما يطلق ويراد به الإصابة، كذلك يطلق ويراد به الإسالة، كما تقول العرب: تمسحت للصلاة، وفي الآية ما يدل على أنه لم يرد بمسح الرجلين المسح الذي هو قسيم الغسل، بل المسح الذي الغسل قسم منه، فإنه قال: ﴿إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾ ولم يقل: إلى الكعاب، كما قال: ﴿إِلَى الْأَمْرَاقِ﴾. فدل على أنه ليس في كل رجل كعب واحد، كما في كل يد مرفق واحد، بل في كل رجل كعبان، فيكون تعالى قد أمر بالمسح إلى العظمين الناتئين، وهذا هو الغسل، فإن من يمسح المسح الخاص يجعل المسح لظهور القدمين، وجعل الكعبين في الآية غاية يرد قولهم. فدعواهم أن الفرض مسح الرجلين إلى الكعبين اللذين هما مجتمع الساق والقدم عند معقد الشراك، مردود بالكتاب والسنة.

وفي الآية قراءتان مشهورتان: النصب والخفض، وتوجيه إعرابهما

مبسوط في موضعه، وقراءة النصب نص في وجوب الغسل؛ لأن العطف على المحل إنما يكون إذا كان المعنى واحداً كقوله:

..... فلنسنا بالجبال ولا الحديد

وليس معنى: مسحت برأسي ورجلي، هو معنى، مسحت رأسي ورجلي، بل ذكر الباء يفيد معنى زائداً على مجرد المسح، وهو إلصاق شيء من الماء بالرأس، فتعين العطف على قوله: ﴿وَأَيِّدِيكُمْ﴾. فالسنة المتواترة تقضي على ما يفهمه بعض الناس من ظاهر القرآن ومعناه، كما قال أبو عبد الرحمن السلمي: حدثنا الذين كانوا يقرؤنا القرآن: عثمان بن عفان وعبد الله بن مسعود وغيرهما: أنهم كانوا إذا تعلموا من النبي ﷺ عشر آيات لم يتجاوزوها حتى يتعلموا معناها.

وفي ذكر المسح على الرجلين تنبيه على قلة الصب على الرجلين، فإن السرف يُعتاد فيهما كثيراً، والمسألة معروفة، والكلام عليها في كتب الفروع.

(س ٦٨٩): على من رد الشيخ بقوله: "والحج والجهاد ماضيان مع أولي الأمر من المسلمين.. ؟".

(ج): يشير الشيخ رحمه الله تعالى إلى الرد على الرافضة، حيث قالوا: لا جهاد في سبيل الله حتى يخرج الرضا من آل محمد ﷺ، وينادي مناد من السماء: اتبعوه!! وبطلان هذا القول أظهر من أن يُستدلّ عليه بدليل. وهم شرطوا في الإمام أن يكون معصوماً اشتراطاً بغير دليل! بل في "صحيح مسلم" عن عوف بن مالك الأشجعي، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم، وتصلون عليهم ويصلون عليكم، وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم، وتلعنونهم ويلعنونكم"، قال: قلنا: يا رسول الله، أفلا نناذبهم عند ذلك؟ قال: "لا، ما أقاموا فيكم الصلاة، ألا من ولي عليه وال، فرآه يأتي شيئاً من معصية الله، فليكره ما يأتي من معصية الله، ولا ينزع يداً من طاعته".

وقد تقدم بعض نظائر هذا الحديث في الإمامة، ولم يقل: إن الإمام يجب

أن يكون معصوماً، والرافضة أخسر الناس صفقةً في هذه المسألة، لأنهم جعلوا الإمام المعصوم هو الإمام المعدوم، الذي لم ينفعهم في دين ولا دنيا!! فإنهم يدعون أن الإمام المنتظر، محمد بن الحسن العسكري، الذي دخل السرداب في زعمهم سنة ستين ومثتين، أو قريباً من ذلك بسامراً! وقد يقيمون هناك دابة، إما بغلة وإما فرساً، ليركبها إذا خرج! ويقيمون هناك في أوقات عينوها لمن يُنادي عليه بالخروج: يا مولانا، اخرج! يا مولانا، اخرج! ويشهرون السلاح، ولا أحد هناك يقاتلهم! إلى غير ذلك من الأمور التي يضحك عليهم فيها العقلاء!!.

(س ٦٩٠) لم ذكر الشيخ بعد قوله الآنف - "والحج والجهاد ماضيان مع أولي الأمر من المسلمين - قال: مع أولي الأمر برهم وفاجرهم"؟.

(ج) قال الشارح: وقوله: "مع أولي الأمر برهم وفاجرهم" لأن الحج والجهاد فرضان يتعلقان بالسفر، فلا بد من سائس يسوس الناس فيهما، ويقاوم العدو، وهذا المعنى كما يحصل بالإمام البرّ يحصل بالإمام الفاجر.



الفصل الرابع والعشرون

الإيمان بالملائكة

الإيمان بالملائكة

س ٦٩١ : استدل لعنوان هذا الفصل ؟ .

ج : ١ - قال تعالى : ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كُنِينًا ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَلْفِظُونَ ﴿١٢﴾﴾ .

٢ - وقال تعالى : ﴿إِذْ بَلَغَى الْمَتْلَقَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾ .

٣ - وقال تعالى : ﴿لَهُمْ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِمْ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ .

٤ - وقال تعالى : ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَىٰ وَرُسُلْنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿٨٠﴾﴾ .

٥ - وقال تعالى : ﴿هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٩﴾﴾ .

٦ - قال تعالى : ﴿إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ﴾ .

٧ - وفي " الصحيح " عن النبي ﷺ أنه قال : " يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار، ويجتمعون في صلاة الصبح وصلاة العصر، فيصعد إليه الذين كانوا فيكم، فيسألهم - وهو أعلم بهم - : كيف تركتم عبادي؟ فيقولون : أتيناهم وهم يصلون، وفارقناهم وهم يصلون " .

٨ - وفي الحديث الآخر : " إن معكم من لا يفارقكم إلا عند الخلاء

وعند الجماع، فاستحيوهم وأكرمهم^(١).

جاء في التفسير: اثنان عن اليمين وعن الشمال يكتبان الأعمال: صاحب اليمين يكتب الحسنات، وصاحب الشمال يكتب السيئات، وملكان آخران يحفظانه ويحرسانه، واحد من ورائه، وواحد أمامه، فهو بين أربعة أملاك بالنهار، وأربعة آخرين بالليل بدلاً، حافظان وكاتبان.

وقال عكرمة، عن ابن عباس: ﴿يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾، قال: ملائكة يحفظونه من بين يديه ومن خلفه، فإذا جاء قدر الله، خلوا عنه.

٩ - وروى مسلم والإمام أحمد عن عبدالله، قال: قال رسول الله ﷺ: "ما منكم من أحد إلا وقد وكل به قرينه من الجن، وقرينه من الملائكة"، قالوا: وإياك يا رسول الله؟ قال: "وإيائي، ولكن أعانني الله عليه، فأسلم، فلا يأمرني إلا بخير". الرواية بفتح الميم من: "فأسلم" ومن رواه: "فأسلم" برفع الميم، فقد حرّف لفظه.

س ٦٩٢: ما معنى قوله ﷺ في الحديث الآنف: "... ولكن الله أعانني عليه فأسلم"؟

ج: قال الشارح: الرواية بفتح الميم من: "فأسلم" ومن رواه: "فأسلم" برفع الميم، فقد حرّف لفظه. ومعنى: "فأسلم"، أي: فاستسلم وانقاد لي، في أصح القولين، ولهذا قال: "فلا يأمرني إلا بخير"، ومن قال: إن الشيطان صار مؤمناً، فقد حرف معناه، فإن الشيطان لا يكون مؤمناً.

س ٦٩٣: ما معنى قوله تعالى: ﴿يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾؟

ج: قال الشارح: ومعنى: ﴿يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾. قيل: حفظهم له من أمر الله، أي: الله أمرهم بذلك، يشهد لذلك قراءة من قرأ يحفظونه بأمر الله.

س ٦٩٤: ما الذي تكتبه الملائكة، مع الاستدلال؟

(١) إسناده ضعيف.

﴿ج﴾ قال الشارح: قد ثبت بالنصوص المذكورة أن الملائكة تكتب القول والفعل، وكذلك النية؛ لأنها فعل القلب، فدخلت في عموم: ﴿يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ (١٢). ويشهد لذلك قوله ﷺ: " قال الله ﷻ: إذا هم عبدي بسيئة، فلا تكتبوها عليه، فإن عملها فاكتبوها عليه سيئة، وإذا هم عبدي بحسنة فلم يعملها، فاكتبوها له حسنة، فإن عملها فاكتبوها عشرًا ".

وقال رسول الله ﷺ: " قالت الملائكة: ذاك عبد يريد أن يعمل سيئة - وهو أبصر به - فقال: ارقبوه، فإن عملها، فاكتبوها بمثلها، وإن تركها فاكتبوها له حسنة إنما تركها من جرّاي ". خرجهما في الصحيحين واللفظ لمسلم.

قال تعالى: ﴿قُلْ يَتَوَفَّنَا مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ (١١). ولا تعارض هذه الآية قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدُكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفْرِطُونَ﴾ وقوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فِيمِمْسَلِ إِلَىٰ قَضِيٍّ عَلَيْهَا الْمَوْتُ وَرُسُلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾، لأن ملك الموت يتولى قبضها واستخراجها، ثم يأخذها منه ملائكة الرحمة، أو ملائكة العذاب، ويتولونها بعده، كل ذلك بإذن الله وقضائه وقدره، وحكمه فصحت إضافة التوفي إلى كل بحسبه.



الفصل الخامس والعشرون

حقيقة الروح، وعذاب القبر

حقيقة الروح، وعذاب القبر



س ٦٩٥: هل النفس جزء من أجزاء البدن، أو عرض من أعراضه؟.

ج: قال الشارح: وقد اختلف في حقيقة النفس ما هي؟ وهل هي جزء من أجزاء البدن، أو عرض من أعراضه^(١) أو جسم مساكن له مودع فيه؟ أو جوهر^(٢) مجرد؟ وهل هي الروح أو غيرها؟ وهل الأمانة، واللوامة، والمطمئنة نفس واحدة، أم هي ثلاثة أنفس؟ وهل تموت الروح، أو الموت للبدن وحده؟ وهذه المسألة تحتل مجلداً، ولكن أشير إلى الكلام عليها مختصراً إن شاء الله تعالى.

س ٦٩٦: هل الروح قديمة أم محدثة؟ ومن نقل إجماع أهل السنة على ذلك؟.

ج: قيل: إن الروح قديمة، وقد أجمعت الرسل على أنها محدثة مخلوقة مصنوعة مربوبة مدبرة، وهذا معلوم بالضرورة من دينهم، أن العالم محدث، ومضى على هذا الصحابة والتابعون، واتفق أهل السنة والجماعة على أنها مخلوقة، ومن نقل الإجماع على ذلك: محمد بن نصر المروزي، وابن قتيبة وغيرهما.

(١) تقدم تعريف العرض، ص ١٤.

(٢) تقدم تعريف الجوهر، ص ١٤.

س ٦٩٧: هل لك أن تذكر بعض الأدلة على أن الروح محدثة مخلوقة؟ .

ج: من الأدلة على أن الروح مخلوقة:

١ - قوله تعالى: ﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ . فهذا عام لا تخصيص فيه بوجه ما، ولا يدخل في ذلك صفات الله تعالى، فإنها داخلة في مسمى اسمه، فهو سبحانه بذاته وصفاته الخالق وما سواه مخلوق، ومعلوم قطعاً أن الروح ليست هي الله، ولا صفة من صفاته، وإنما هي من مصنوعاته.

٢ - ومنها قوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَّذْكُورًا﴾ .

٣ - وقوله تعالى لذكرياء: ﴿وَقَدْ خَلَقْتَنِي مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُنْ شَيْئًا﴾ . والإنسان اسم لروحه وجسده، والخطاب لذكرياء، لروحه وبدنه، والروح توصف بالوفاة والقبض، والإمساك والإرسال، وهذا شأن المخلوق المحدث.

س ٦٩٨: بماذا احتج من قال: إن الروح قديمة وليست محدثة؟ وبم يرد عليه؟ .

ج: احتج من زعم أن الروح قديمة: بأنها من أمر الله، وأمره غير مخلوق، وبأن الله أضافها إليه بقوله: ﴿قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ . وبقوله: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾ . كما أضاف إليه علمه وقدرته وسمعه وبصره ويده.

فأما احتجاجهم بقوله: ﴿مِنَ أَمْرِ رَبِّي﴾ ، فليس المراد هنا بالأمر الطلب، بل المراد به المأمور، والمصدر يذكر ويراد به اسم المفعول، وهذا معلوم مشهور.

وأما استدلالهم بإضافتها إليه بقوله: ﴿مِن رُّوحِي﴾ ، فينبغي أن يعلم أن المضاف إلى الله تعالى نوعان:

١ - صفات لا تقوم بأنفسها كالعلم والقدرة والكلام والسمع والبصر، فهذه إضافة صفة إلى الموصوف بها، فعلمه وكلامه وقدرته وحياته صفات له، وكذا وجهه ويده سبحانه.

٢ - والثاني: إضافة أعيان منفصلة عنه، كالبيت والذاقة والعبد والرسول والروح، فهذه إضافة مخلوق إلى خالقه، لكنها إضافة تقتضي تخصيصاً

وتشريعاً، يتميز بها المضاف عن غيره.

س ٦٩٩: هل الروح مخلوقة قبل الجسد أم بعده؟.

ج: اختلف في الروح: هل هي مخلوقة قبل الجسد أم بعده؟ وقد تقدم عند ذكر الميثاق الإشارة إلى ذلك.

س ٧٠٠: ما أقوال الناس في الروح؟.

ج: قال الشارح: واختلف في الروح: ما هي؟.

١ - فقليل: هي جسم.

٢ - وقيل: عرض.

٣ - وقيل: لا ندري ما الروح، أجوهر أم عرض؟.

٤ - وقيل: ليس الروح شيئاً أكثر من اعتدال الطبائع الأربع.

٥ - وقيل: هي الدم الصافي الخالص من الكدر والعفونات.

٦ - وقيل: هي الحرارة الغريزية، وهي الحياة.

٧ - وقيل: هو جوهر بسيط منبث في العالم كله من الحيوان على جهة الأعمال له والتدبير، وهي على ما وصفت من الانبساط في العالم، غير منقسمة الذات والبنية، وأنها في كل حيوان العالم بمعنى واحد لا غير.

٨ - وقيل: النفس هي النسيم الداخل والخارج بالتنفس.

٩ - وقيل غير ذلك.

س ٧٠١: ما أقوال الناس في مسمى الإنسان؟.

ج: قال الشارح: وللناس في مسمى الإنسان: هل هو الروح فقط، أو البدن فقط، أو مجموعهما، أو كلٌّ منهما؟ وهذه الأقوال الأربعة لهم في كلامه: هل هو اللفظ فقط، أو المعنى فقط، أو هما، أو كل منهما؟ فالخلاف بينهم في الناطق ونطقه.

والحق: أن الإنسان اسم لهما، وقد يطلق على أحدهما بقرينة، وكذلك الكلام.

س ٧٠٢: هل النفس جسم مخالف للجسم؟ مع الاستدلال.

ج: قال الشارح: والذي يدل عليه الكتاب والسنة وإجماع الصحابة، وأدلة العقل: أن النفس جسم مخالف بالماهية^(١) لهذا الجسم المحسوس، وهو جسم نوراني علوي، خفيف حي متحرك، ينفذ في جوهر الأعضاء، ويسري فيها سريان الماء في الورد، وسريان الدهن في الزيتون، والنار في الفحم. فما دامت هذه الأعضاء صالحة لقبول الآثار الفائضة عليها من هذا الجسم اللطيف، بقي ذلك الجسم اللطيف سارياً في هذه الأعضاء، وأفادها هذه الآثار من الحسن والحركة الإرادية، وإذا فسدت هذه، بسبب استيلاء الأخلاط الغليظة عليها، وخرجت عن قبول تلك الآثار، فارق الروح البدن، وانفصل إلى عالم الأرواح.

والدليل على ذلك:

١ - قوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾. ففيها الإخبار بتوفيتها وإمساكها وإرسالها.

٢ - وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ﴾. ففيها بسط الملائكة أيديهم لتناولها، ووصفها بالإخراج والخروج، والإخبار بعذابها ذلك اليوم،، والإخبار عن مجيئها إلى ربها.

٣ - وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ﴾. ففيها الإخبار بتوفي النفس بالليل، وبعثها إلى أجسادها بالنهار، وتوفي الملائكة لها عند الموت.

٤ - وقوله تعالى: ﴿يَتَابَعُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾ (٢٧) ﴿أَرْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً﴾ (٢٨) ﴿فَادْخُلِي فِي عِبَادِي﴾ (٢٩) ﴿وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾ (٣٠) ففيها وصفها بالرجوع والدخول والرضا.

٥ - وقال ﷺ: "إن الروح إذا قبض تبعه البصر" ففيه وصفه بالقبض، وأن البصر يراه.

(١) الماهية: سبق تعريفها، ص ٢٠.

٦ - وقال ﷺ في حديث بلال: " قبض أرواحكم حين شاء وردها عليكم حين شاء " .

٧ - وقال ﷺ: "نسمة المؤمن طائر يعلق في شجر الجنة " .

وسياتي في الكلام على عذاب القبر أدلة كثيرة من خطاب ملك الموت لها، وأنها تخرج تسيل كما تسيل القطرة من في السقاء، وأنها تصعد ويوجد منها، من المؤمن كأطيب ريح، ومن الكافر كأنتن ريح، إلى غير ذلك من الصفات، وعلى ذلك أجمع السلف، ودل العقل، وليس مع من خالف سوى الظنون الكاذبة، والشبه الفاسدة، التي لا يُعارض بها ما دل عليه نصوص الوحي والأدلة العقلية.

س ٧٠٣: علام استدل الشارح بقوله ﷺ: "إن الروح إذا قبض تبعه البصر"؟

ج: استدل الشارح بقوله ﷺ: " إن الروح إذا قبض تبعه البصر " على أن النفس جسم مخالف بالماهية للجسم المحسوس، وفي الحديث وصفها بالقبض، وأن البصر يراها.

س ٧٠٤: ما أقوال الناس في مسمى النفس والروح؟

ج: أما اختلاف الناس في مسمى النفس الروح: هل هما متغايران، أو مسماهما واحد؟ فالتحقيق: أن النفس تطلق على أمور، وكذلك الروح، فيتحد مدلولهما تارة، ويختلف تارة.

١ - فالنفس تطلق على الروح .

٢ - وتطلق على الدم .

٣ - والنفس: العين، يقال: أصابت فلاناً نفساً، أي: عين .

٤ - والنفس الذات .

٥ - أما الروح فلا تطلق على البدن، لا بانفراده ولا مع النفس .

٦ - وتطلق الروح على القرآن .

٧ - وعلى جبريل .

٨ - وتطلق الروح على الهواء المتردد في بدن الإنسان أيضاً.

٩ - وكذلك ما يؤيد الله به أوليائه.

١٠ - وكذلك الروح التي في البدن، فإنها تسمى أرواحاً، فيقال: الروح الباصر، والروح السامع، والروح الشام.

١١ - وتطلق الروح على أخص من هذا كله، وهو: قوة المعرفة بالله، والإنابة إليه ومحبه، وانبعاث الهمة إلى طلبه وإرادته.

١٢ - وقد وقع في كلام كثير من الناس أن لابن آدم ثلاث أنفس: مطمئنة، ولوامة، وأمارة.

س ٧٠٥: ذكر الشارح أن النفس تطلق على الروح، فمتى تسمى نفساً، ومتى تسمى روحاً؟.

ج: قال الشارح: ولكن غالب ما تسمى نفساً إذا كانت متصلةً بالبدن، وإما إذا أخذت مجردة، فتسمية الروح أغلب عليها.

س ٧٠٦: ما الدليل الذي ذكره الشارح على أن الروح تطلق على الدم؟.

ج: الدليل الذي ذكره الشارح هو: "ما لا نفس له سائلة لا ينجس الماء إذا مات فيه" (قلت): رواه الدارقطني وغيره، وفي إسناده ضعف.

س ٧٠٧: ما الدليل على أن النفس تطلق على الذات؟.

ج: الدليل قوله تعالى: ﴿فَسَلِمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ﴾ ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾. ونحو ذلك.

س ٧٠٨: ما الدليل على أن الروح تطلق على القرآن الكريم؟.

ج: الدليل قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَزْهَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾.

س ٧٠٩: ما الدليل على أن الروح تطلق على جبريل عليه السلام؟.

ج: الدليل قوله تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾ ﴿١٩٣﴾.

س ٧١٠: استدل على أن ما يؤيد الله به أوليائه يسمى روحاً؟.

ج: الدليل قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَتَدَّهَمُ رُوحٌ مِّنْهُ﴾.

س ٧١١: ذكر الشارح أرواحاً عدة للبدن، فهل الناس سواسية في هذه الأرواح؟.

ج: الناس متفاوتون في هذه الأرواح: فمن الناس من تغلب عليه هذه الأرواح، فيصير روحانياً، ومنهم من يفقدها أو أكثرها، فيصير أرضياً بهيمياً.

س ٧١٢: هل لابن آدم ثلاثة أنفس؛ مطمئنة ولوامة وأمارة؟.

ج: قال الشارح: وقد وقع في كلام كثير من الناس أن لابن آدم ثلاث أنفس: مطمئنة، ولوامة، وأمارة، قالوا: وإن منهم من تغلب عليه هذه، ومنهم من تغلب عليه هذه، ومنهم من تغلب عليه هذه، كما قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ (٢٧) وَلَا أَقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ (٢٨) إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾.

والتحقيق أنها نفس واحدة، لها صفات، فهي أمارة بالسوء، فإذا عارضها الإيمان، صارت لوامة، تفعل الذنب، ثم تلوم صاحبها، وتلوم بين الفعل وبين الترك، فإذا قوي الإيمان، صارت مطمئنة، ولهذا قال النبي ﷺ: "من سرته حسنة وسأته سيئة فهو مؤمن". مع قوله: "لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن".

س ٧١٣: هل تموت الروح أم لا؟ مع بيان القول الصحيح.

ج: اختلف الناس: هل تموت الروح أم لا؟ فقالت طائفة: تموت؛ لأنها نفس، وكل نفس ذائقة الموت، وقد قال تعالى: ﴿كُلُّ مَن عَلَيْهَا فَإِنَّ (٢٦) وَبَقَى وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ (٢٧)﴾ وقال تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾. قالوا: وإذا كانت الملائكة تموت، فالنفوس البشرية أولى بالموت.

وقال آخرون: لا تموت الأرواح، فإنها خلقت للبقاء، وإنما تموت الأبدان، قالوا: وقد دل على ذلك الأحاديث الدالة على نعيم الأرواح وعذابها بعد المفارقة إلى أن يرجعها الله في أجسادها.

والصواب أن يقال: موت النفس هو مفارقتها لأجسادها، وخروجها منها؛ فإن أريد بموتها هذا القدر، فهي ذائقة الموت، وإن أريد أنها تُعدم وتفنى بالكلية، فهي لا تموت بهذا الاعتبار، بل هي باقية بعد خلقها في نعيم أو في عذاب، كما سيأتي إن شاء الله تعالى.

س ٧١٤: ما المراد بالموتة في قوله تعالى: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى﴾؟.

ج: أخبر سبحانه أن أهل الجنة: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى﴾. وتلك الموتة هي مفارقة الروح للجسد.

س ٧١٥: هل تناقض الآية الآنفه قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا آمَنَّا أَتَيْنَ وَأَحْيَيْنَا أَتَيْنَ؟ وماذا أفادت هذه الآية؟.

ج: لا تناقض بينهما فهذا قول أهل النار: ﴿رَبَّنَا آمَنَّا أَتَيْنَ وَأَحْيَيْنَا أَتَيْنَ؟. وكذلك قوله تعالى: ﴿كَيْفَ نَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾. والمراد: أنهم كانوا أمواتاً وهم نطف في أصلاب آبائهم وفي أرحام أمهاتهم، ثم أحياهم بعد ذلك، ثم أماتهم، ثم يحييهم يوم النشور، وليس في ذلك إماته أراوحهم قبل يوم القيامة، وإلا كانت ثلاث موتات.

س ٧١٦: هل صعق الأرواح عند النفخ في الصور هو موتها؟.

ج: قال الشارح: وصعق الأرواح عند النفخ في الصور لا يلزم منه موتها، فإن الناس يُصعقون يوم القيامة إذا جاء الله لفصل القضاء، وأشرقت الأرض بنوره، وليس ذلك بموت. وسيأتي ذكر ذلك، إن شاء الله تعالى. وكذلك صعق موسى عليه السلام لم يكن موتاً، والذي يدل عليه أن نفخة الصعق - والله أعلم - موت كل من لم يذق الموت قبلها من الخلائق، وأما من ذاق الموت، أو لم يكتب عليه الموت من الحور والولدان وغيرهم، فلا تدل الآية على أنه يموت موتة ثانية، والله أعلم.

س ٧١٧: ما الدليل على عذاب القبر من الكتاب والسنة؟.

ج: ١ - قال تعالى: ﴿وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴿٤٦﴾﴾ .

٢ - وقال تعالى: ﴿فَذَرَهُمْ حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ ﴿٤٥﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٧﴾﴾ .

٣ - وفي الصحيحين عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ مرّ بقبرين فقال: "إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير، أما أحدهما، فكان لا يستتر من البول، وأما الآخر، فكان يمشي بالنميمة، فدعا بجريدة رطبة، فشقها نصفين، وقال: لعله يخفف عنهما ما لم ييبسا " .

٤ - وفي صحيح أبي حاتم عن أبي هريرة قال: قال النبي ﷺ: " إذا قبر الميت، أو الإنسان أتاه ملكان أسودان أزرقان، يقال لأحدهما: المنكر وللآخر: النكير. . " وذكر الحديث. . . إلخ .

٥ - وعن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: كنا في جنازة في بقيع الغرقد، فأتانا النبي ﷺ فقعد وقعدنا حوله، كأن على رؤوسنا الطير، وهو يلحد له، فقال: " أعوذ بالله من عذاب القبر " ثلاث مرات، ثم قال: " إن العبد المؤمن إذا كان في إقبال من الآخرة وانقطاع من الدنيا، نزلت إليه الملائكة، كأن على وجوههم الشمس، معهم كفن من أكفان الجنة، وحنوط من حنوط الجنة، فجلسوا منه مد البصر، ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه، فيقول: أيتها النفس الطيبة، اخرجي إلى مغفرة من الله ورضوان قال: فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من فيّ السقاء، فيأخذها فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين، حتى يأخذوها فيجعلوها في ذلك الكفن وذلك الحنوط، ويخرج منها كأطيب نفحة مسك وجدت على وجه الأرض، قال: فيصعدون بها، فلا يمرون بها - يعني على ملأ من الملائكة - إلا قالوا: ما هذه الروح الطيبة؟ فيقولون: فلان ابن فلان، بأحسن أسمائه التي كانوا يسمونه بها في الدنيا، حتى ينتهوا بها إلى السماء، فيستفتحون له، فيُفتح له، فيشيعه من كل سماء مقربوها، إلى السماء التي تليها، حتى يُنتهى بها إلى السماء السابعة، فيقول الله ﷻ: اكتبوا كتاب عبدي في عليين وأعيدوه إلى الأرض، فإني منها

خلقتهم، وفيها أعيدهم، ومنها أخرجهم تارة أخرى.

قال: فتعاد روحه في جسده، فيأتيه ملكان، فيجلسانه، فيقولان له: من ربك؟ فيقول: ربي الله، فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: ديني الإسلام، فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول: هو رسول الله، فيقولان له: ما علمك؟ فيقول: قرأت كتاب الله، فأمنت به وصدقت، فينادي مناد من السماء: أن صدق عبدي، فافرشوه من الجنة، وافتحوا له باباً إلى الجنة، قال: فيأتيه من روحها وطبيبها، ويفسح له في قبره مد بصره، قال: ويأتيه رجل حسن الوجه، حسن الثياب، طيب الريح، فيقول له: من أنت؟ فوجهك الوجه يجيء بالخير، فيقول: أنا عملك الصالح، فيقول: يا رب أقم الساعة، حتى أرجع إلى أهلي ومالي.

قال: وإن العبد الكافر إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة، نزل إليه من السماء ملائكة سود الوجوه، معهم المسوح، فيجلسون منه مد البصر، ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه، فيقول: أيتها النفس الخبيثة، اخرجي إلى سخط من الله وغضب، قال: فتفرق في جسده، فينزعها كما ينزع السّفود من الصوف المبلول، فيأخذها فإذا أخذها لم يدعها في يده طرفة عين، حتى يجعلوها في تلك المسوح، ويخرج منها كأنتن ريح خبيثة وجدت على وجه الأرض، فيصعدون بها، فلا يمرون بها على ملأ من الملائكة إلا قالوا: ما هذا الروح الخبيث؟ فيقولون: فلان ابن فلان، بأقبح أسمائه التي كان يسمى بها في الدنيا، حتى ينتهي بها إلى السماء الدنيا، فيستفتح له فلا يفتح له، ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿لَا تُفْنَحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْإِبِلِ﴾ فيقول الله ﷻ: اكتبوا كتابه في سجين، في الأرض السفلى، فتطرح روحه طرحاً، ثم قرأ: ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾.

فتعاد روحه في جسده، ويأتيه ملكان فيجلسانه، فيقولان له: من ربك؟ فيقول: هاه، هاه، لا أدري، فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول: هاه، هاه، لا أدري، فينادي مناد من السماء، أن كذب فافرشوه من النار، وافتحوا له باباً إلى النار، فيأتيه من حرّها وسمومها، ويضيق عليه قبره،

حتى تختلف أضلاعه، ويأتيه رجل قبيح الوجه قبيح الثياب، منتن الريح، فيقول: أبشر بالذي يسوؤك، هذا يومك الذي كنت توعده، فيقول: من أنت؟ فوجهك الوجه يجيء بالشر، فيقول: أنا عمك الخبيث، فيقول: رب لا تقم الساعة".

رواه الإمام أحمد وأبو داود، وروى النسائي، وابن ماجه أوله، ورواه الحاكم، وأبو عوانة الإسفراييني في صحيحيهما، وابن حبان.

(س ٧١٨) بماذا فسر الشارح قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ؟﴾.

(ج) قال الشارح في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ﴾. وهذا يحتمل أن يراد به عذابهم بالقتل وغيره في الدنيا، وأن يراد به عذابهم في البرزخ، وهو أظهر؛ لأن كثيراً منهم مات ولم يعذب في الدنيا، أو المراد أعم من ذلك.

(س ٧١٩) ما قول أهل السنة والجماعة في الحديث الأنف؟ وهل له شواهد أخرى من الصحيحين؟.

(ج) قال الشارح: وذهب إلى موجب هذا الحديث جميع أهل السنة والحديث، وله شواهد من الصحيح، فذكر البخاري عن سعيد عن قتادة عن أنس أن رسول الله ﷺ قال: "إن العبد إذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه، إنه ليسمع قرع نعالهم، فيأتيه ملكان، فيقعدانه، فيقولان له: ما كنت تقول في هذا الرجل، محمد ﷺ؟ فأما المؤمن فيقول: أشهد أنه عبد الله ورسوله، فيقول له: انظر إلى مقعدك من النار أبدلك الله به مقعداً من الجنة، فيراهما جميعاً".

قال قتادة: وروي لنا أنه يفسح له في قبره، وذكر الحديث.

وفي الصحيحين عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ مرّ بقبرين فقال: "إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير، أما أحدهما، فكان لا يستتر من البول، وأما الآخر، فكان يمشي بالنميمة، فدعا بجريدة رطبة، فشققها نصفين، وقال: لعله يخفف عنهما ما لم ييبسا".

س ٧٢٠: ما واجب المسلم تجاه معتقد عذاب القبر؟.

ج: قال الشارح: وقد تواترت الأخبار عن رسول الله ﷺ في ثبوت عذاب القبر ونعيمه لمن كان لذلك أهلاً، وسؤال الملكين، فيجب اعتقاد ثبوت ذلك، والإيمان به، ولا نتكلم في كفيته، إذ ليس للعقل وقوف على كفيته، لكونه لا عهد له به في هذه الدار، والشرع لا يأتي بما يحيله المعقول، ولكنه قد يأتي بما تحار في العقول، فإن عود الروح إلى الجسد ليس على الوجه المعهود في الدنيا، بل تعاد الروح إليه إعادةً غير الإعادة المألوفة في الدنيا.

س ٧٢١: ما تعلقات الروح بالبدن؟.

ج: الروح لها بالبدن خمسة أنواع من التعلق، متغايرة الأحكام:

- ١ - أحدها: تعلقها في بطن الأم جنيناً.
- ٢ - الثاني: تعلقها به بعد خروجه إلى وجه الأرض.
- ٣ - الثالث: تعلقها به في حال النوم، فلها به تعلق من وجه، ومفارقة من وجه.
- ٤ - الرابع: تعلقها به في البرزخ.
- ٥ - الخامس: تعلقها به يوم بعث الأجساد.

س ٧٢٢: ما هو النوع الرابع من تعلقات الروح بالبدن التي ذكرها الشارح؟ وهل يعني هذا التعلق المفارقة الكلية للجسد؟.

ج: قال الشارح: الرابع: تعلقها به في البرزخ، فإنها وإن فارقت، وتجردت عنه، فإنها لم تفارقه فراقاً كلياً بحيث لا يبقى لها إليه التفات ألبتة، فإنه ورد ردها إليه وقت سلام المسلم، وورد أنه يسمع خفق نعالهم حين يولون عنه، وهذا الرد إعادة خاصة لا يوجب حياة البدن قبل يوم القيامة.

س ٧٢٣: ما أكمل أنواع تعلق الروح بالبدن؟ ولماذا؟.

ج: تعلقها به يوم بعث الأجساد، أكمل أنواع تعلق الروح بالبدن، ولا نسبة لما قبله من أنواع التعلق إليه، إذ هو تعلق لا يقبل البدن معه موتاً ولا نوماً ولا فساداً، فالنوم أخو الموت.

س ٧٢٤: لماذا أورد الشارح رحمه الله تعلقات الروح بالبدن في هذا الموضع؟.

ج: أورد الشارح رحمه الله تعلقات الروح بالبدن في هذا الموضع ليثبت معتقد عذاب القبر، إذ لكل دار أحكام غير ما عهده الناس، ومنها: البرزخ الذي ورد فيه عذاب القبر، وقد قال بعد إيراد هذه التعلقات: فتأمل هذا يزح عنك إشكالات كثيرة.

س ٧٢٥: ما قول ابن حزم يرحمه الله في سؤال القبر، وهل قابله أحد في هذا القول، وهل يصح قولهم؟.

ج: قال الشارح: وليس السؤال في القبر للروح وحدها، كما قال ابن حزم وغيره، وأفسد منه قول من قال: إنه للبدن بلا روح! والأحاديث الصحيحة ترد القولين.

س ٧٢٦: هل يمكن أن تعذب الروح مفردة عن البدن؟.

ج: قال الشارح: وكذلك عذاب القبر يكون للنفس والبدن جميعاً، باتفاق أهل السنة والجماعة، تنعم النفس، وتعذب مفردة عن البدن ومتصلة به.

س ٧٢٧: استدل بدليلين شرعيين على أن عذاب القبر واقع على الروح والجسد؟.

ج: ١ - في الصحيحين عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ مرّ بقبرين فقال: "إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير، أما أحدهما، فكان لا يستتر من البول، وأما الآخر، فكان يمشي بالنميمة، فدعا بجريدة رطبة، فشقها نصفين، وقال: لعله يخفف عنهما ما لم ييبسا".

٢- عن أنس أن رسول الله ﷺ قال: "إن العبد إذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه، إنه ليسمع قرع نعالهم، فيأتيه ملكان، فيقعدانه، فيقولان له: ما كنت تقول في هذا الرجل، محمد ﷺ؟ فأما المؤمن فيقول: أشهد أنه عبدالله ورسوله، فيقول له: انظر إلى مقعدك من النار أبدلك الله به مقعداً من الجنة، فيراهما جميعاً".

س ٧٢٨: من الذي يعذب في قبره؟ وهل يناله نصيبه من العذاب وإن لم يقبر؟.

ج: قال الشارح: واعلم أن عذاب القبر هو عذاب البرزخ، فكل من مات وهو مستحق للعذاب ناله نصيبه منه، قبر أو لم يقبر، أكلته السباع أو احترق حتى صار رماداً، ونسف في الهواء، أو صلب أو غرق في البحر وصل إلى روحه وبدنه من العذاب ما يصل إلى المقبور.

وما ورد من إجلاسه، واختلاف أضلاعه ونحو ذلك، فيجب أن يفهم عن الرسول ﷺ مراده من غير غلو ولا تقصير، فلا يحمل كلامه ما لا يحتمله، ولا يقصر به عن مراده وما قصده من الهدى والبيان، فكم حصل بإهمال ذلك والعدول عنه من الضلال، والعدول عن الصواب ما لا يعلمه إلا الله، بل سوء الفهم عن الله ورسوله أصل كل بدعة وضلالة نشأت في الإسلام، وهو أصل خطأ في الفروع والأصول ولا سيما إن أضيف إليه سوء القصد. والله المستعان.

س ٧٢٩: ذكر الشارح ثلاثة أنواع من الدور فما هي؟.

ج: الدور ثلاثة:

* دار الدنيا.

* ودار البرزخ.

* ودار القرار.

س ٧٣٠: ذكر الشارح ثلاثة أنواع من الدور، فهل أحكامها متفقة؟.

ج: قد جعل الله لكل دارٍ أحكاماً تخصها، وركب هذا الإنسان من بدنٍ ونفسٍ، وجعل أحكام الدنيا على الأبدان، والأرواح تبع لها، وجعل أحكام البرزخ على الأرواح، والأبدان تبع لها، فإذا كان يوم حشر الأجساد وقيام الناس من قبورهم، صار الحكم والنعيم والعذاب على الأرواح والأجساد جميعاً. فإذا تأملت هذا المعنى حق التأمل، ظهر لك أن كون القبور روضةً من رياض الجنة، أو حفرةً من حفر النار مطابق للعقل، وأنه حق لا مرية فيه

وبذلك يتميز المؤمنون بالغيب من غيرهم .

(س ٧٣١): هل النار التي في القبر، أو النعيم من جنس ما في الدنيا؟ .

(ج): قال الشارح: ويجب أن يعلم أن النار التي في القبر والنعيم، ليس من جنس نار الدنيا ولا نعيمها، وإن كان الله تعالى يحمي عليه التراب والحجارة التي فوقه وتحتة حتى يكون أعظم حرّاً من جمر الدنيا، ولو مسها أهل الدنيا لم يحسوا بها، بل أعجب من هذا أن الرجلين يدفنان أحدهما إلى جنب صاحبه، وهذا في حفرة من حفر النار، وهذا في روضة من رياض الجنة، لا يصل من هذا إلى جاره شيء من حر ناره، ولا من هذا إلى جاره شيء من نعيمه، وقدرة الله أوسع من ذلك وأعجب، ولكن النفوس مولعة بالتكذيب بما لم تحط به علماً، وقد أرانا الله في هذه الدار من عجائب قدرته ما هو أبلى من هذا بكثير، وإذا شاء الله أن يطلع على ذلك بعض عباده أطلعه، وغيبه عن غيره .

(س ٧٣٢): ذكر الشارح أن الله إذا شاء أطلع بعض عباده على شيء من عذاب القبر، فلم لا يطلع الله العباد كلهم على ذلك؟ .

(ج): قال الشارح: ولو أطلع الله على ذلك العباد كلهم لزالّت حكمة التكليف والإيمان بالغيب، ولما تدافن الناس، كما في الصحيحين عنه ﷺ: " لولا أن لا تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر ما أسمع " . ولما كانت هذه الحكمة منتفية في حق البهائم سمعت ذلك وأدركته .

(س ٧٣٣): ما أقوال الناس في سؤال منكر ونكير؟ .

(ج): للناس في سؤال منكر ونكير ثلاثة أقوال: قيل إنه لكل الناس، وقيل إنه خاص بهذه الأمة، وتوقف آخرون .

(س ٧٣٤): من أشهر الذين توقفوا في سؤال منكر ونكير؟ .

(ج): قال الشارح: وهو قول جماعة، منهم أبو عمر بن عبد البر، فقال: وفي حديث زيد بن ثابت عن النبي ﷺ أنه قال: " إن هذه الأمة تبتلى في قبورها " ومنهم من يرويه: "تسأل" وعلى هذا اللفظ يحتمل أن تكون هذه الأمة قد

خصت بذلك، وهذا أمر لا يقطع عليه، ويظهر عدم الاختصاص، والله أعلم.

س ٧٣٥: هل أجمع العلماء في سؤال الأطفال أم لا؟.

ج: قال الشارح: واختلف في سؤال الأطفال أيضاً. (قلت): والذي يظهر أن الخلاف تابع للذي قبله، وربما كان بالتقسيم ذاته، فلم يطل في ذكره. والله أعلم.

س ٧٣٦: هل يدوم عذاب القبر أو ينقطع؟.

ج: جوابه أنه نوعان:

١ - منه ما هو دائم، كما قال تعالى: ﴿الْنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ۖ﴾ (٤٦). وكذلك في حديث البراء بن عازب في قصة الكافر: "ثم يفتح له باب إلى النار، فينظر إلى مقعده فيها حتى تقوم الساعة" رواه الإمام أحمد في بعض طرقه.

٢ - والنوع الثاني: أنه مدة، ثم ينقطع، وهو عذاب بعض العصاة الذين خفت جرائمهم، فيعذب بحسب جرمه، ثم يخفف عنه، كما تقدم ذكره في المحصنات العشر.

س ٧٣٧: ما أقوال الناس في مستقر الأرواح ما بين الموت إلى قيام الساعة؟.

ج: اختلف في مستقر الأرواح ما بين الموت إلى قيام الساعة:

- ١ - فقيل: أرواح المؤمنين في الجنة، وأرواح الكافرين في النار.
- ٢ - وقيل: إن أرواح المؤمنين بقاء الجنة على بابها، يأتيهم من روحها ونعيمها ورزقها.
- ٣ - وقيل: على أفنية قبورهم.
- ٤ - وقال مالك: بلغني أن الروح مرسلة، تذهب حيث شاءت.
- ٥ - وقالت طائفة: بل أرواح المؤمنين عند الله ﷻ ولم يزدوا على ذلك.

٦ - وقيل: إن أرواح المؤمنين بالجابية من دمشق! وأرواح الكافرين ببرهوت بئر بحضرموت!.

٧ - وقال كعب: أرواح المؤمنين في عليين في السماء السابعة، وأرواح الكفار في سجين في الأرض السابعة تحت خذ إبليس!.

٨ - وقيل: أرواح المؤمنين بئر زمزم، وأرواح الكافرين بئر برهوت.

٩ - وقيل: أرواح المؤمنين عن يمين آدم، وأرواح الكفار عن شماله.

١٠ - وقال ابن حزم وغيره: مستقرها حيث كانت قبل خلق أجسادها.

١١ - وقال أبو عمر بن عبد البر: أرواح الشهداء في الجنة، وأرواح عامة المؤمنين على أفنية قبورهم.

١٢ - وعن ابن شهاب أنه قال: بلغني أن أرواح الشهداء كطير خضر معلقة بالعرش، تغدو وتروح إلى رياض الجنة، تأتي ربها كل يوم تسلم عليه.

١٣ - وقالت فرقة: مستقرها بعد الموت أبدان أخرى تناسب أخلاقها وصفاتها التي اكتسبها في حال حياتها.

ويضيق هذا المختصر عن بسط أدلة هذه الأقول والكلام عليها.

(س ٧٣٨) من الذين قالوا: إن مستقر الأرواح بعد الموت أبداناً أخرى تناسب أخلاقها وصفاتها التي اكتسبتها في الحياة؟ وما حكم هذا القول؟.

(ج) قالت هذه الفرقة: مستقر الروح بعد الموت أبدان أخرى تناسب أخلاقها وصفاتها التي اكتسبتها في حال حياتها. فتصير كل روح إلى بدن حيوان يشاكل تلك الروح! وهذا قول التناسخية منكري المعاد، وهو قول خارج عن أهل الإسلام كلهم.

(س ٧٣٩) أوضح مدى تفاوت الأرواح في البرزخ، مع الاستدلال؟.

(ج) قال الشارح: ويتلخص من أدلتها: أن الأرواح في البرزخ متفاوتة أعظم تفاوت.

١ - فمنها: أرواح في أعلى عليين، في الملاء الأعلى، وهي أرواح الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه، وهم متفاوتون في منازلهم.

٢ - ومنها: أرواح في حواصل طير خضر، تسرح في الجنة حيث شاءت، وهي أرواح بعض الشهداء، لا كلهم، بل من الشهداء من تحبس روحه عن دخول الجنة لدين عليه.

٣ - ومن الأرواح من يكون محبوساً على باب الجنة كما في الحديث الذي قال فيه رسول الله ﷺ: " رأيت صاحبكم محبوساً على باب الجنة".

٤ - ومنهم من يكون محبوساً في قبره، ومنهم من يكون محبوساً في الأرض.

٥ - ومنها أرواح تكون في تنور الزناة والزواني، وأرواح في نهر الدم تسبح فيه، وتلقم الحجارة، كل ذلك تشهد له السنة، والله أعلم.

س ٧٤٠: ما الدليل على أن أرواح بعض الشهداء وغيرهم من المؤمنين قد تُحبس على باب الجنة؟

ج الدليل على أن بعض الشهداء، لا كلهم، من تحبس روحه عن دخول الجنة لدين عليه، ما ورد في المسند عن محمد بن عبدالله بن جحش: أن رجلاً جاء إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله: ما لي إن قتلت في سبيل الله؟ قال: " الجنة " فلما ولى قال: "إلا الدين، سارني به جبريل آنفاً".

ومن الأرواح من يكون محبوساً على باب الجنة كما في الحديث الذي قال فيه رسول الله ﷺ: " رأيت صاحبكم محبوساً على باب الجنة ".

س ٧٤١: ما الحياة التي اختص بها الشهيد عن سائر الناس، مع الاستدلال؟

ج: الحياة التي اختص بها الشهيد عن غيره، في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْزَنَ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ (١٦٩) وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ (١٥٤). فهي: أن الله جعل أرواحهم في أجواف طير خضر، كما في حديث عبدالله بن عباس رضي الله عنهما أنه قال: قال رسول الله ﷺ: "لما أصيب إخوانكم - يعني يوم أحد - جعل الله أرواحهم في أجواف طير خضر ترد أنهار

الجنة، وتأكل من ثمارها، وتأوي إلى قناديل من ذهب مذلَّله في ظل العرش" الحديث رواه الإمام أحمد وأبو داود، وبمعناه في حديث ابن مسعود، رواه مسلم.

فإنهم لما بذلوا أبدانهم لله ﷻ حتى أتلَّفها أعداؤه فيه، أعاضهم منها في البرزخ أبداناً خيراً منها، تكون فيها إلى يوم القيامة، ويكون تنعمها بواسطة تلك الأبدان، أكمل من تنعم الأرواح المجردة عنها.

ولهذا كانت نسمة المؤمن في صورة طير، أو كطير، ونسمة الشهيد في جوف طير. وتأمل لفظ الحديثين، ففي الموطأ أن كعب بن مالك كان يحدث أن رسول الله ﷺ قال: "إن نسمة المؤمن طائر يعلق في شجر الجنة، حتى يرجعه الله إلى جسده يوم يبعثه".

فقوله: "نسمة المؤمن" تعم الشهيد وغيره، ثم خص الشهيد بأن قال: "هي في جوف طير خضر" ومعلوم أنها إذا كانت في جوف طير صدق عليها أنها طير، فتدخل في عموم الحديث الآخر بهذا الاعتبار.

فنصيهم من النعيم في البرزخ أكمل من نصيب غيرهم من الأموات على فرشهم، وإن كان الميت على فراشه أعلى درجة من كثير منهم، فله نعيم يختص به لا يشاركه فيه من هو دونه، والله أعلم.

(س ٧٤٢): هل يفضل عامة المؤمنين على الشهداء بالحديث: "إن نسمة المؤمن طائر يعلق في شجر الجنة"، وإنما ذكر أن الشهيد في حواصل طير بقوله ﷺ في الحديث: "لما أصيب أخوانكم، جعل الله أرواحهم في حواصل طير خضر؟".

(ج): قال الشارح بعد ذكر فضل الشهداء: فإنهم لما بذلوا أبدانهم لله ﷻ حتى أتلَّفها أعداؤه فيه، أعاضهم منها في البرزخ أبداناً خيراً منها، تكون فيها إلى يوم القيامة، ويكون تنعمها بواسطة تلك الأبدان، أكمل من تنعم الأرواح المجردة عنها.

ولهذا كانت نسمة المؤمن في صورة طير، أو كطير، ونسمة الشهيد في جوف طير. وتأمل لفظ الحديثين، ففي الموطأ أن كعب بن مالك كان يحدث

أن رسول الله ﷺ قال: "إن نسمة المؤمن طائر يعلق في شجر الجنة، حتى يرجعه الله إلى جسده يوم يبعثه".

فقوله: "نسمة المؤمن" تعلم الشهيد وغيره، ثم خص الشهيد بأن قال: "هي في جوف طير خضر" ومعلوم أنها إذا كانت في جوف طير صدقَ عليها أنها طير، فتدخل في عموم الحديث الآخر بهذا الاعتبار.

س ٧٤٣: من الذين لا تأكل الأرض أجسادهم؟

ج: حرم الله على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء، كما روي في السنن، وأما الشهداء، فقد شوهد منهم بعد مدد من دفنه كما هو لم يتغير، فيحتمل بقاءه كذلك في تربته إلى يوم محشره، ويحتمل أنه يبلى مع طول المدة، والله أعلم. وكأنه - والله أعلم - كلما كانت الشهادة أكمل، والشهيد أفضل، كان بقاء جسده أطول.



الفصل السادس والعشرون

الإيمان بالبعث والجزاء

الإيمان بالبعث والجزاء



س ٧٤٤: ما الذي دل على اليوم الآخر؟.

ج: الإيمان بالمعاد مما دل عليه الكتاب والسنة، والعقل والفطرة السليمة، فأخبر الله سبحانه عنه في كتابه العزيز، وأقام الدليل عليه، ورد على منكره في غالب سور القرآن.

وذلك: أن الأنبياء عليهم السلام كلهم متفقون على الإيمان بالآخرة، فإن الإقرار بالرب عام في بني آدم، وهو فطري، كلهم يقر بالرب، إلا من عاند، كفرعون، بخلاف الإيمان باليوم الآخر، فإن منكره كثيرون، ومحمد ﷺ لما كان خاتم الأنبياء، وكان قد بعث هو والساعة كهاتين، وكان هو الحاشر المقفي، بين تفصيل الآخرة بياناً لا يوجد في شيء من كتب الأنبياء.

س ٧٤٥: بين دعوى طائفة المتفلسفة الذين قالوا: إن معتقد اليوم الآخر لم

يكن في معتقد الأنبياء من قبل محمد ﷺ، وإنما جاء به النبي ﷺ، وهو من باب التخيل والخطاب الجمهوري، مع تفنيد هذا القول؟.

ج: الإقرار بالرب عام في بني آدم، وهو فطري، كلهم يقر بالرب، إلا من عاند، كفرعون، بخلاف الإيمان باليوم الآخر، فإن منكره كثيرون، ومحمد ﷺ لما كان خاتم الأنبياء، وكان قد بعث هو والساعة كهاتين، وكان هو الحاشر المقفي، بين تفصيل الآخرة بياناً لا يوجد في شيء من كتب الأنبياء. ولهذا ظن طائفة من المتفلسفة ونحوهم، أنه لم يفصح بمعاد الأبدان إلا

محمد ﷺ، وجعلوا هذا حجة لهم في أنه من باب التخيل والخطاب الجمهوري.

والقرآن بين معاد النفس عند الموت، ومعاد البدن عند القيامة الكبرى في غير موضع، وهؤلاء ينكرون القيامة الكبرى، وينكرون معاد الأبدان، ويقول من يقول منهم: إنه لم يخبر به إلا محمد ﷺ على طريق التخيل! وهذا كذب، فإن القيامة الكبرى هي معروفة عند الأنبياء، من آدم إلى نوح، إلى إبراهيم وموسى وعيسى وغيرهم عليهم السلام.

١ - وقد أخبر الله بها من حين أهبط آدم، فقال تعالى: ﴿قَالَ أَهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ (٢٤) قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴿٢٥﴾.

٢ - ولما قال إبليس اللعين: ﴿رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ (٣٦) قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ ﴿٣٧﴾ إِلَىٰ يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴿٣٨﴾.

٣ - وأما نوح عليه السلام، فقال: ﴿وَاللَّهُ أَتْلَبَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾﴾.

٤ - وقال إبراهيم عليه السلام: ﴿وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ ﴿٨٢﴾﴾. وقال: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ﴾.

٥ - وأما موسى عليه السلام، فقال الله تعالى لما ناجاه: ﴿إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا سَعَىٰ ﴿١٥﴾ فَلَا يَصُدُّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَىٰ ﴿١٦﴾﴾.

٦ - بل مؤمن آل فرعون كان يعلم المعاد، وإنما آمن بموسى، قال تعالى حكاية عنه: ﴿وَيَقُولُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ ﴿٣٢﴾ يَوْمَ تُؤَلَّفُونَ مَدِيرِينَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِرٍ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾﴾، إلى قوله تعالى: ﴿يَقُولُونَ إِنَّمَا هَٰذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَّعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْفِرَارِ ﴿٣٩﴾﴾ إلى قوله: ﴿أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾.

٧ - وقال موسى: ﴿وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُنَا إِلَىٰكَ﴾.

٨ - وقد أخبر الله في قصة البقرة: ﴿فَقُلْنَا أَصْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُخَيِّ اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ ءَايَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾﴾ .

٩ - وقد أخبر الله أنه أرسل الرسل مبشرين ومنذرين، في آيات من القرآن، وأخبر عن أهل النار أنهم إذا قال لهم خزنتها: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَى وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ . وهذا اعتراف من أصناف الكفار الداخلين جهنم أن الرسل أنذرتهم لقاء يومهم هذا، فجميع الرسل أنذروا بما أنذر به خاتمهم، من عقوبات المذنبين في الدنيا والآخرة، فعامة سور القرآن التي فيها ذكر الوعد والوعيد، يذكر فيها الدنيا والآخرة.

١٠ - وأمر نبيه أن يقسم به على المعاد، فقال: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِنَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَلَى الْغَيْبِ﴾ . الآية، وقال تعالى: ﴿وَيَسْتَنبِئُونَكَ أَحَقُّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿٥٢﴾﴾ . وقال تعالى: ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُغْنَى قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧﴾﴾ .

١١ - وأخبر عن اقترابها، فقال: ﴿أَقْرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ ﴿١﴾﴾ . ﴿أَقْرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴿١﴾﴾ . ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ لِلْكَافِرِينَ﴾ . إلى أن قال: ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا ﴿٦﴾﴾ وَرَبَّهُ قَرِيبًا ﴿٧﴾﴾ .

١٢ - وذم المكذبين بالمعاد فقال: ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ . ﴿أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾ . ﴿بَلِ أَدْرَاكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْهَا بَلْ هُمْ مِنْهَا عَمُونَ ﴿٦٦﴾﴾ . ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ بَلَى وَعَدًا عَلَيْهِ حَقًّا﴾ إلى أن قال: ﴿وَلَيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَاذِبِينَ﴾ . ﴿إِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٩﴾﴾ . ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عِمَامًا وَبِكُمَا وَصَّائًا مَأْمُونَهُمْ جَهَنَّمَ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظْلًا وَرُفَّتْ أَوْنَا لَمُبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٩٨﴾﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا ﴿٩٩﴾﴾ . ﴿وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظْلًا وَرُفَّتْ أَوْنَا لَمُبْعُوثُونَ خَلْقًا

جَدِيدًا ﴿٤٩﴾ قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ﴿٥٠﴾ أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا ﴿٥١﴾ يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْجُدُونَ لِحَمْدِهِ وَتَقُولُونَ إِنْ لَيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٥٢﴾ .

س ٧٤٦: بين الشاهد ووجه الاستشهاد في قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا أَوَآدَا كُنَّا عِظَمًا وَرَفْنَا أَوَآدَا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٤٩﴾ قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ﴿٥٠﴾﴾؟ .

ج: الشاهد الآية: ﴿وَقَالُوا أَوَآدَا كُنَّا عِظَمًا وَرَفْنَا أَوَآدَا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٤٩﴾ قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ﴿٥٠﴾﴾. قال الشارح: فتأمل ما أجبوا به عن كل سؤال على التفصيل، فإنهم قالوا أولاً: ﴿أَوَآدَا كُنَّا عِظَمًا وَرَفْنَا أَوَآدَا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾. فقل لهم في جواب هذا السؤال: إن كنتم خلقاً لا يفنيه الموت، كالحجارة والحديد وما هو أكبر في صدوركم من ذلك؟! فإن قلتم: كنا خلقاً على هذه الصفة التي لا تقبل البقاء، فما الذي يحول بين خالقكم ومنشئكم، وبين إعادتكم خلقاً جديداً؟!

وللحجة تقرير آخر، وهو: لو كنتم من حجارة أو حديد أو خلق أكبر منهما، فإنه قادر على أن يفنيكم ويحيل ذواتكم، وينقلها من حال إلى حال، ومن يقدر على التصرف في هذه الأجسام، مع شدتها وصلابتها، بالإحالة، فما الذي يعجزه فيما دونها؟ ثم أخبر أنهم يسألون سؤالاً آخر بقولهم: ﴿مَنْ يُعِيدُنَا﴾ إذا استحالت جسامنا وفنيت؟ فأجابهم بقوله: ﴿قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾. فلما أخذتهم الحجة، ولزمهم حكمها، انتقلوا إلى سؤال آخر يتعللون به بعلى المنقطع، وهو قولهم: ﴿مَتَى هُوَ؟﴾ فأجبوا بقوله: ﴿عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا﴾ .

س ٧٤٧: بين وجه الاستشهاد في قوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُعِيدُ الْعِظَمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَرْجَعُونَ﴾؟ .

ج: قال الشارح - بعد ذكره الآية الأنفة وإثباته بها يوم البعث -: ومن هذا قوله: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُعِيدُ الْعِظَمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾﴾. إلى آخر السورة. فلو رام أعلم البشر وأفصحهم وأقدرهم على البيان، أن يأتي بأحسن من هذه الحجة، أو بمثلها، في ألفاظ تشابه هذه الألفاظ في الإيجاز

ووضع الأدلة، وصحة البرهان، لما قدر، فإنه سبحانه افتتح هذه الحجة بسؤال أورده ملحقاً، اقتضى جواباً، فكان قوله: ﴿وَنَسِيَ خَلْقَهُ﴾. ما وفى بالجواب، وأقام الحجة، وأزال الشبهة ولما أراد سبحانه من تأكيد الحجة وزيادة تقريرها، فقال: ﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾، فاحتج بالإبداء على الإعادة، وبالنشأة الأولى على النشأة الأخرى، إذ كل عاقل يعلم علماً ضرورياً أن من قدر على هذه، قدر على هذه، وأنه لو كان عاجزاً عن الثانية، لكان عن الأولى أعجز وأعجز. ولما كان الخلق يستلزم قدرة الخالق على مخلوقه، وعلمه بتفاصيل خلقه، أتبع ذلك بقوله: ﴿وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ (٧٩). فهو عليم بتفاصيل الخلق الأول وجزئياته، ومواده وصورته، فكذلك الثاني. فإذا كان تام العلم، كامل القدرة، كيف يتعذر عليه أن يحيي العظام وهي رميم؟.

ثم أكد الأمر بحجة قاهرة، وبرهان ظاهر، يتضمن جواباً عن سؤال ملحق آخر يقول: العظام إذا صارت رميمًا، عادت طبيعتها باردة يابسة، والحياة لا بد أن تكون مادتها وحاملها طبيعة حارة رطبة بما يدل على أمر البعث، ففيه الدليل والجواب معاً، فقال: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقَدُونَ﴾ (٨٠). فأخبر سبحانه بإخراج هذا العنصر، الذي هو في غاية الحرارة واليبوسة، من الشجر الأخضر الممتلئ بالرطوبة والبرودة، فالذي يخرج الشيء من ضده، وتنقاد له مواد المخلوقات وعناصرها، ولا تستعصي عليه، هو الذي يفعل ما أنكره الملحد ودفعه، من إحياء العظام وهي رميم.

ثم أكد هذا بأخذ الدلالة من الشيء الأجل الأعظم، على الأيسر الأصغر، فإن كل عاقل يعلم أن من قدر على العظيم الجليل، فهو على ما دونه بكثير أقدر وأقدر، فمن قدر على حمل قنطار، فهو على حمل أوقية أشد اقتداراً، فقال: ﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَدِيرٍ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ﴾، فأخبر أن الذي أبدع السماوات والأرض، على جلالتهما، وعظم شأنهما، وكبر أجسامهما، وسعتهما، وعجيب خلقهما، أقدر على أن يحيي عظاماً قد صارت رميمًا، فيردها إلى حالتها الأولى، كما قال في موضع آخر: ﴿لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا

يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾ وقال: ﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَدِيرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴿٥٨﴾﴾، ثم أكد سبحانه ذلك، وبينه ببيان آخر، وهو أنه ليس فعله بمنزلة غيره، الذي يفعل بالآلات والكلفة، والتعب والمشقة، ولا يمكنه الاستقلال بالفعل، بل لا بد معه من آلة ومعين، بل يكفي في خلقه لما يريد أن يخلقه ويكوّنه، نفس إرادته، وقوله للمكوّن: "كن"، فإذا هو كائن كما شاء وأراد.

ثم ختم هذه الحجة بإخباره أن ملكوت كل شيء بيده، فيتصرف فيه بفعله وقوله: ﴿وَالِيهِ تُرْجَعُونَ﴾.

س ٧٤٨: ما وجه الاستشهاد في قوله تعالى: ﴿يَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾﴾ إلى قوله تعالى: ﴿أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَدِيرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ ﴿٤٠﴾﴾؟

ج: من الأدلة المثبتة لليوم الآخر، يوم المعاد وبعث الأجساد، قوله تعالى: ﴿يَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾﴾ أَلَمْ يَكُنْ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُضَعِّى ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَعَلَّ مِنْهُ الرُّوحَيْنِ الْأُنثَىٰ ﴿٣٩﴾ أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَدِيرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ ﴿٤٠﴾﴾. فاحتج سبحانه على أنه لا يتركه مهملاً عن الأمر والنهي، والثواب والعقاب، وأن حكمته وقدرته تأبى ذلك أشد الإباء، كما قال تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾﴾، إلى آخر السورة، فإن من نقله من النطفة إلى العلقة ثم إلى المضغة، ثم شق سمعه وبصره، وركب فيه الحواس والقوى والعظام والمنافع، والأعصاب والرباطات التي هي أشدّه، وأحكم خلقه غاية الأحكام، وأخرجه على هذا الشكل والصورة، التي هي أتم الصور، وأحسن الأشكال كيف يعجز عن إعادته وإنشائه مرة ثانية؟ أم كيف تقتضي حكمته وعنايته به أن يتركه سدى؟ فلا يليق ذلك بحكمته، ولا تعجز عنه قدرته.

فانظر إلى هذا الاحتجاج العجيب بالقول الوجيز، الذي لا يكون أوجز منه، والبيان الجليل، الذي لا يتوهم أوضح منه، ومأخذه القريب الذي لا تقع الظنون على أقرب منه.

وكم في القرآن من مثل هذا الاحتجاج، كما في قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيَهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنْ أَلْبَعَثْ فَإِنَّا خَلَقْتَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ﴾ إلى أن

قال: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾. وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ﴾ (١٧) إلى أن قال: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ تُبْعَثُونَ﴾ (١٦). وذكر قصة أصحاب الكهف، وكيف أبقاهم موتى ثلاثمائة سنة شمسية، وهي ثلاثمائة وتسع سنين قمرية، وقال فيها: ﴿وَكَذَلِكَ أَعِزَّنَا عَلَيْهِمْ لِیَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا﴾.

(س ٧٤٩) القائلون بأن الأجسام مركبة من الجواهر المفردة، لهم في المعاد خبط واضطراب، وهم فيه على قولين، ما هما؟ وما الذي أُورد عليهما من اعتراضات تبين اضطرابهما؟.

(ج) قال الشارح: والقائلون بأن الأجسام مركبة من الجواهر المفردة^(١)، لهم في المعاد خبط واضطراب، وهم فيه على قولين:

١ - منهم من يقول: تُعدم الجواهر، ثم تعاد.

٢ - ومنهم من يقول: تُفَرَّقُ الأجزاء ثم تجتمع.

* فأورد عليهم الإنسان الذي يأكله حيوان، وذلك الحيوان أكله إنسان، فإن أعيدت تلك الأجزاء من هذا، لم تعد من هذا؟.

* وأورد عليهم: أن الإنسان يتحلل دائماً، فماذا الذي يعاد؟ أهو الذي كان وقت الموت؟ فإن قيل بذلك، لزم أن يعاد على صورة ضعيفة، وهو خلاف ما جاءت به النصوص، وإن كان غير ذلك، فليس بعض الأبدان بأولى من بعض! فادّعى بعضهم أن في الإنسان أجزاء أصلية لا تتحلل، ولا يكون فيها شيء من ذلك الحيوان الذي أكله الثاني! والعقلاء يعلمون أن بدن الإنسان نفسه كله يتحلل، ليس فيه شيء باق، فصار ما ذكروه في المعاد مما قوى شبهة المتفلسفة في إنكار معاد الأبدان.

(س ٧٥٠) بعد ذكر قول القائلين: بأن الأجسام مركبة من الجواهر المفردة، ما القول الذي عليه السلف وجمهور العقلاء في الأجسام وفنائها؟.

(١) الجوهر الفرد: هو الجزء الذي لا يتجزأ ولا يقبل الانقسام، بل هو ثابت، وقد سبق تعريفه، ص ١٤.

﴿ج:﴾ قال الشارح: والقول الذي عليه السلف، وجمهور العقلاء: أن الأجسام تنقلب من حال إلى حال، فتستحيل تراباً، ثم ينشئها الله نشأة أخرى، كما استحال في النشأة الأولى: فإنه كان نطفة، ثم صار علقة، ثم صار مضغة، ثم صار عظماً ولحمًا، ثم أنشأه خلقاً سوياً، كذلك الإعادة: يعيده الله بعد أن يبلى كله إلا عجب الذنب.

﴿س ٧٥١﴾ ما الدليل على القول الأنف لأهل السنة والجماعة؛ أن ابن آدم يبلى كله إلا عَجَبَ الذنب، منه خلق ومنه يركب؟.

﴿ج:﴾ الدليل ما ثبت في "الصحيح" عن النبي ﷺ أنه قال: "كل ابن آدم يبلى إلا عَجَبَ الذنب، منه خلق ابن آدم ومنه يركب".

وفي حديث آخر: "إن الأرض تمطر مطراً كمني الرجال، ينبتون في القبور كما ينبت النبات".

فالنشأتان نوعان تحت جنس، يتفقان ويتمثلان من وجه، ويفترقان ويتنوعان من وجه، والمعاد هو الأول بعينه، وإن كان بين لوازم الإعادة ولوازم البداءة فرق، فعجب الذنب هو الذي يبقى، وأما سائرته فيستحيل، فيعاد من المادة التي استحال إليها، ومعلوم أن من رأى شخصاً وهو صغير، ثم رآه وقد صار شيخاً، علم أن هذا هو ذاك، مع أنه دائماً في تحلل واستحالة، وكذلك سائر الحيوان والنبات، فمن رأى شجرة وهي صغيرة، ثم رآها كبيرة، قال: هذه تلك. وليست صفة تلك النشأة الثانية مماثلة لصفة هذه النشأة، حتى يقال: إن الصفات هي المغيرة، لا سيما أهل الجنة إذا دخلوها، فإنهم يدخلونها على صورة آدم، طوله ستون ذراعاً، كما ثبت في "الصحيحين" وغيرهما، وروي: أن عرضه سبعة أذرع، وتلك نشأة باقية غير معرضة للآفات، وهذه النشأة فاسدة معرضة للآفات.

﴿س ٧٥٢﴾ ما الدليل على قول الطحاوي في اليوم الآخر: "وجزاء الأعمال"؟.

﴿ج:﴾ ١ - قال تعالى: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ ﴿٤﴾. ٢ - وقال: ﴿يَوْمَئِذٍ يُوفِّهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ﴾ ﴿١٥﴾.

والدين : الجزاء ، يقال : كما تدين تدان ، أي كما تجازي تجازى .

٣ - وقال تعالى : ﴿ جَزَاءُ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ . ﴿ جَزَاءُ وَفَاقًا ﴾ (٢٦) .

٤ - وقال تعالى : ﴿ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ (١٢٠) .

٥ - وقال تعالى : ﴿ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَهُمْ مِنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ ﴾ (٨٩) وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (٩٠) .

٦ - وقال تعالى : ﴿ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (٨٨) .

٤ - وقال ﷺ فيما يرويه عن ربه ﷻ من حديث أبي ذر الغفاري رضي الله عنه : " يا عبادي ، إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها ، فمن وجد خيراً فليحمد الله ، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه " . رواه مسلم .

س ٧٥٣ : علام استدل الشارح بقوله ﷺ فيما يرويه عن ربه في الحديث القدسي : " يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ، ثم أوفيكم إياها . " الحديث ؟

ج : استدل الشارح بقوله ﷺ فيما يرويه عن ربه تعالى في الحديث القدسي : " يا عبادي ، إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها ، فمن وجد خيراً فليحمد الله ، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه " . رواه مسلم .

استدل به ابن أبي العز على جزاء الأعمال ، في قول الإمام الطحاوي : " وجزاء الأعمال " .

س ٧٥٤ : استدل لقول الطحاوي في اليوم الآخر : " والعرض والحساب ، وقراءة الكتاب ، والثواب والعقاب " ؟

ج : ١ - قال تعالى : ﴿ يَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ﴾ (١٥) وَأَنْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ﴿ ١٦ ﴾ وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَنِيَّةٌ ﴿ ١٧ ﴾ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا

تَخَفَى مِنْكُمْ خَافِيَةً ﴿١٨﴾ إلى آخر السورة.

٢ - وقال تعالى: ﴿يَتَأْتِيَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ ﴿٦﴾ فَأَمَّا مَنْ أُوْقَ كِتَبُهُ بِيَمِينِهِ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ وَنَقْلُبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا ﴿٩﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوْقَ كِتَبُهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُوا ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ﴿١٢﴾ إِنَّهُمْ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا ﴿١٣﴾ إِنَّهُمْ ظَنَّ أَن لَّنْ يَحُورَ ﴿١٤﴾ بَلَىٰ إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا ﴿١٥﴾ .

٣ - وقال تعالى: ﴿وَعَرِّضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْتُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴿٣﴾ .

٤ - وقال تعالى: ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يُوتِلُنَا مَا لِهَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظِلُّ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾ .

٥ - وقال تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْدُلُ الْأَرْضُ عَنَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاءُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾ . إلى آخر السورة.

٦ - وقوله تعالى: ﴿رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ ﴿١﴾ الآية إلى قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٢﴾ .

٧ - وقال تعالى: ﴿وَأَنقُضُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾ .

٨ - وروى الإمام أحمد، والترمذي، وأبو بكر بن أبي الدنيا، عن الحسن، قال: سمعت أبا موسى الأشعري يقول: قال رسول الله ﷺ: "يُعرض الناس يوم القيامة ثلاث عرصات، فعرضتان جدال ومعاذير، وعرضة تطاير الصحف، فمن أوتي كتابه بيمينه، وحوسب حساباً يسيراً، دخل الجنة، ومن أوتي كتابه بشماله، دخل النار".

وقد روى ابن أبي الدنيا عن ابن المبارك: أنه أنشد في ذلك شعراً:

وطارت الصحف في الأيدي منشرة	فيها السرائر والأخبار تُطْلَعُ
فكيف سهوكم والأنباء واقعة	عما قليل ولا تدري بما تقع
أفي الجنان وفوز لا انقطاع له	أم الجحيم فلا تبقي ولا تدع
تهوي بساكنها طوراً وترفعهم	إذا رجوا مخرجاً من غمها قمعوا

طال البكاء فلم يُرحم تضرعهم فيها ولا رقية تغني ولا جزع لينفع العلم قبل الموت عالمه قد سأل قومٌ بها الرّجعى فما رجعوا

(س ٧٥٥): ورد في الحديث: العرض والحساب، فما الحديث الذي دل عليهما، وما معناه؟ وما الفرق بين العرض والحساب؟.

(ج): روى البخاري رحمه الله في صحيحه عن عائشة أن النبي ﷺ قال: "ليس أحدٌ يحاسب يوم القيامة إلا هلك" فقلت: يا رسول الله، أليس قد قال الله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ﴾ (٧) ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ (٨)، فقال رسول الله ﷺ: "إنما ذلك العرض، وليس أحدٌ يناقش الحساب يوم القيامة إلا عذب. يعني أنه لو ناقش في حسابه لعبده، لعذبهم وهو غير ظالم لهم، ولكنه تعالى يعفو ويصفح، وسيأتي لذلك زيادة بيان، إن شاء الله تعالى".

(س ٧٥٦): ما هو الصعق الذي دل عليه الحديث الصحيح في قوله ﷺ: "إن الناس يصعقون يوم القيامة". الحديث؟.

(ج): في "الصحيح" عن النبي ﷺ، أنه قال: "إن الناس يصعقون يوم القيامة، فأكون أول من يفيق، فإذا موسى آخذٌ بقائمة العرش، فلا أدري أفاق قبلي، أم جوزي بصعقة يوم الطور؟".

وهذا صعق في موقف القيامة، إذا جاء الله لفصل القضاء، وأشرقت الأرض بنوره، فحينئذ يصعق الخلائق كلهم.

(س ٧٥٧): كيف تفسر الحديث: "إن الناس يصعقون يوم القيامة، فأكون أول من تنشق عنه الأرض، فأجد موسى باطشاً بقائمة العرش"؟.

(ج): إن قيل: كيف تصنعون بقوله في الحديث: "إن الناس يصعقون يوم القيامة، فأكون أول من تنشق عنه الأرض، فأجد موسى باطشاً بقائمة العرش".

قيل: لا ريب أن هذا اللفظ قد ورد هكذا، ومنه نشأ الإشكال، ولكنه دخل منه على الراوي حديث في حديث، فركب بين اللفظين، فجاء هذان الحديثان هكذا:

أحدهما: "إن الناس يَصْعَقُونَ يوم القيامة فأكون أول من يفيق"، كما تقدم .
والثاني: "أنا أول من تنشق عنه الأرض يوم القيامة"، فدخل على الراوي هذا الحديث في الآخر. وممن نبّه على هذا أبو الحجاج المزي، وبعده الشيخ شمس الدين ابن القيم، وشيخنا الشيخ عمادالدين ابن كثير، رحمهم الله.

(س ٧٥٨) كيف تفسر الحديث: "... فلا أدري أفاق قبلي أم كان ممن استثنى الله ﷻ؟".

(ج) كذلك اشتبه على بعض الرواة، فقال: "فلا أدري أفاق قبلي أم كان ممن استثنى الله ﷻ؟" والمحفوظ الذي تواطأت عليه الروايات الصحيحة هو الأول، وهو قوله ﷺ: في "الصحيح" عنه أنه قال: "إن الناس يَصْعَقُونَ يوم القيامة، فأكون أول من يفيق، فإذا موسى آخذٌ بقائمة العرش، فلا أدري أفاق قبلي، أم جُوزي بصعقة يوم الطور؟". وعليه المعنى الصحيح، فإن الصعق يوم القيامة لتجلي الله لعباده إذا جاء لفصل القضاء، فموسى ﷺ إن كان لم يصعق معهم، فيكون قد جوزي بصعقة يوم تجلى ربه للجبل فجعله دكاً، فجعلت صعقة هذا التجلي عوضاً من صعقة الخلائق لتجلي الرب يوم القيامة. فتأمل هذا المعنى العظيم ولا تهمله.

(س ٧٥٩) ما الصراط؟ مع الاستدلال.

(ج) الصراط: هو جسر على جهنم، إذا انتهى الناس بعد مفارقتهم مكان الموقف إلى الظلمة التي دون الصراط، كما قالت عائشة رضي الله عنها: أن رسول الله ﷺ سئل: أين الناس يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات، فقال: "هم في الظلمة دون الجسر".

(س ٧٦٠) أين يفترق المنافقون عن المؤمنين؟ مع الاستدلال لما تقول؟.

(ج) ورد في صحيح مسلم عن عائشة رضي الله عنها: أن رسول الله ﷺ سئل: أين الناس يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات، فقال: "هم في الظلمة دون الجسر".

وفي هذا الموضع يفترق المنافقون عن المؤمنين، ويتخلفون عنهم، ويسبقهم المؤمنون، ويحال بينهم بسور يمنعهم من الوصول إليهم.

وروى البيهقي بسنده، عن مسروق، عن عبدالله، قال: "يجمع الله الناس يوم القيامة"، إلى أن قال: "فيُعطون نورهم على قدر أعمالهم، قال: فمنهم من يُعطى نوره مثل الجبل بين يديه، ومنهم من يُعطى نوره فوق ذلك، ومنهم من يُعطى نوره مثل النخلة بيمينه، ومنهم من يُعطى دون ذلك بيمينه، حتى يكون آخر ذلك من يُعطى نوره على إبهام قدمه، يضيء مرة ويطفأ مرة، إذا أضاء قدم قدمه، وإذا طُفيء قام، قال: فَيَمَرُ ويمرّون على الصراط، والصراط كحد السيف، دحض مزلة، فيقال لهم: امضوا على قدر نوركم، فمنهم من يمرّ كانقضاض الكوكب، ومنهم من يمرّ كالريح، ومنهم من يمرّ كالطرف، ومنهم من يمرّ كشد الرّحل، يرمل رَمَلًا، فيمرّون على قدر أعمالهم، حتى يمرّ الذي نوره على إبهام قدمه، تخرّ يد، وتعلق يد، وتخرّ رجل، وتعلّق رجل، وتصيب جوانبه النار، قال: فيخلصون، فإذا خلصوا قالوا: الحمد لله الذي نجّانا منك بعد أن أَرَانَاكَ، لقد أعطانا الله ما لم يعط أحداً"، الحديث.

س ٧٦١: ما معنى الورود المذكور في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا؟﴾.

ج: اختلف المفسرون في المراد بالورود المذكور في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا؟﴾، ما هو؟ والأظهر والأقوى أنه المرور على الصراط، قال تعالى: ﴿ثُمَّ تَنجِي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثًا﴾ (٧٢).

س ٧٦٢: ذكرت آنفأ أن معنى الآية الآنفة، وهي قوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا؟﴾ أن المعنى الأظهر والأرجح هو المرور على الصراط، فما الدليل على ذلك؟.

ج: الدليل على ذلك ما روي أنه ﷺ قال: "والذي نفسي بيده، لا يُلج النار أحد بايع تحت الشجرة"، قالت حفصة: فقلت: يا رسول الله، أليس الله يقول: ﴿وَإِنْ مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا؟﴾، فقال: "ألم تسمعيه قال: ﴿ثُمَّ تَنجِي الَّذِينَ

اتَّقُوا وَنَذِرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثًا ﴿٧٧﴾. أشار ﷺ إلى أن ورود النار لا يستلزم دخولها، وأن النجاة من الشر لا يستلزم حصوله، بل يستلزم انعقاد سببه، فمن طلبه عدوه ليهلكوه ولم يتمكنوا منه، يقال: نجاه الله منهم، ولهذا قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا ﴿١﴾. ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا ﴿٢﴾. ﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا ﴿٣﴾. ولم يكن العذاب أصابهم، ولكن أصاب غيرهم، ولولا ما خصهم الله به من أسباب النجاة، لأصابهم ما أصاب أولئك.

وكذلك حال الواردين النار، يمرون فوقها على الصراط، ثم ينجي الله الذين اتقوا، ويذر الظالمين فيها جثياً، فقد بين ﷺ في حديث جابر المذكور: أن الورود هو المرور على الصراط.

وروى الحافظ أبو نصر الوائلي، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال ﷺ: "علم الناس سنتي وإن كرهوا ذلك، وإن أحببت أن لا توقف على الصراط طرفة عين حتى تدخل الجنة، فلا تحدثن في دين الله حدثاً برأيك" أورده القرطبي. (قلت): وإسناده ضعيف.

وروى أبو بكر أحمد بن سلما النجاد، عن يعلى بن منية، عن رسول الله ﷺ، قال: "تقول النار للمؤمن يوم القيامة: جُزْ يا مؤمن، فقد أطفأ نورك لهبي". (قلت): وإسناده ضعيف.

س ٧٦٣: استدل على ميزان الأعمال في اليوم الآخر؟.

ج ١: قال تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ ﴿٤٧﴾. **٢:** وقال تعالى: ﴿فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴿١٠٣﴾. **س ٧٦٤:** هل يكون الميزان قبل الحساب أم بعده؟ ولماذا؟.

ج: قال القرطبي: قال العلماء: إذا انقضى الحساب كان بعده وزن الأعمال؛ لأن الوزن للجزاء، فينبغي أن يكون بعد المحاسبة، فإن المحاسبة لتقرير الأعمال، والوزن لإظهار مقاديرها، ليكون الجزاء بحسبها.

س ٧٦٥: هل الميزان واحد أم هو عدة موازين ، مع إيراد الآية الدالة على ذلك ؟ .

ج: قوله تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَمَةِ﴾ . يحتمل أن يكون ثم موازين متعددة فيها الأعمال ، ويحتمل أن يكون المراد الموزونات ، فجمع باعتبار تنوع الأعمال الموزونة ، والله أعلم .

س ٧٦٦: هل الميزان الذي توزن به الأعمال له كفتان حسيتان؟ مع الاستدلال؟ .

ج: الذي دلت عليه السنة : أن ميزان الأعمال له كفتان حسيتان مشاهدتان .
روى الإمام أحمد ، من حديث أبي عبد الرحمن الحبلي ، قال سمعت عبد الله بن عمرو رضي الله عنه يقول : قال رسول الله ﷺ " إن الله سيخلص رجلاً من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة فينشر عليه تسعة وتسعين سجلاً ، كل سجل مد البصر ، ثم يقول له : أتنكر من هذا شيئاً ؟ أظلمك كتبتي الحافظون ؟ قال : لا ، يا رب ، فيقول : ألك عذر أو حسنة ؟ فيبهت الرجل ، فيقول : لا يا رب ، فيقول : بلى ، إن لك عندنا حسنة واحدة ، لا ظلم عليك اليوم ، فتخرج له بطاقة فيها : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، فيقول : أحضروه ، فيقول : يا رب ، ما هذه البطاقة مع هذه السجلات ؟! فيقول : إنك لا تظلم ، قال : فتوضع السجلات في كفة ، والبطاقة في كفة ، قال : فطاشت السجلات ، وثقلت البطاقة ، ولا يثقل شيء بسم الله الرحمن الرحيم " .

وهكذا رواه الترمذي ، وابن ماجه ، وابن أبي الدنيا ، من حديث الليث ، زاد الترمذي : " ولا يثقل مع اسم الله شيء " . وفي سياق آخر : " توضع الموازين يوم القيامة ، فيؤتى بالرجل فيوضع في كفة " ، الحديث .

س ٧٦٧: هل يوزن العامل مع عمله ، مع الاستدلال لما تقول ؟ .

ج: قال الشارح - بعد إيراد الأدلة على الميزان وكفتيه الحسيتين - وفي هذا السياق فائدة جلية ، وهي أن العامل يُوزن مع عمله ، ويشهد له ما روى البخاري :
١ - عن أبي هريرة ، عن رسول الله ﷺ ، قال : " إنه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة ، لا يزن عند الله جناح بعوضة ، وقال : اقرؤوا إن شئتم : ﴿فَلَا نُقِئُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَزَنًا﴾ .

٢ - وروى الإمام أحمد، عن ابن مسعود: "أنه كان يجتني سواكاً من الأراك وكان دقيق الساقين، فجعلت الريح تكفؤه، فضحك القوم منه، فقال رسول الله ﷺ: "مم تضحكون؟" قالوا: يا نبي الله، من دقة ساقيه، فقال: "والذي نفسي بيده، لهما أثقل في الميزان من أحد".

س ٧٦٨: هل توزن الأعمال وحدها، مع الاستدلال؟.

ج: وردت الأحاديث أيضاً بوزن الأعمال أنفسها:

١ - كما في "صحيح مسلم" عن أبي مالك الأشعري، قال: قال رسول الله ﷺ: "الطهور شطر الإيمان، والحمد لله تملأ الميزان" الحديث.

٢ - وفي "الصحيحين"، وهو خاتمة كتاب البخاري، قوله ﷺ: "كلمتان خفيفتان على اللسان، حبيبتان إلى الرحمن، ثقيلتان في الميزان: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم".

٣ - وروى الحافظ أبو بكر البيهقي، عن أنس بن مالك رضي الله عنه، عن النبي ﷺ، قال: "يؤتى بابن آدم يوم القيامة، فيوقف بين كفتي الميزان، ويوكل به ملك، فإن ثقل ميزانه، نادى الملك بصوت يُسمع الخلائق: سعد فلان سعادة لا يشقى بعدها أبداً، وإن خف ميزانه، نادى الملك بصوت يُسمع الخلائق: شقي فلان شقاوة لا يسعد بعدها أبداً". (قلت): وإسناده ضعيف.

س ٧٦٩: استدل الشارح بحديث ابن مسعود لما كان يجتني أراكاً، فما هو الحديث الذي استدل به، وعلى أي شيء استدل به؟.

ج: روى الإمام أحمد، عن ابن مسعود: "أنه كان يجتني سواكاً من الأراك وكان دقيق الساقين، فجعلت الريح تكفؤه، فضحك القوم منه، فقال رسول الله ﷺ: "مم تضحكون؟" قالوا: يا نبي الله، من دقة ساقيه، فقال: "والذي نفسي بيده، لهما أثقل في الميزان من أحد".

واستدل به الشارح على معتقد وزن العامل مع عمله يوم القيامة.

س ٧٧٠: استدل الشارح بقوله ﷺ: "كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان.. " الحديث فعلام استدل به؟.

(ج:) الحديث رواه البخاري ومسلم، وهو خاتمة كتاب البخاري، قوله ﷺ: "كلمتان خفيفتان على اللسان، حبيبتان إلى الرحمن، ثقيلتان في الميزان: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم".

واستدل به الشارح على وزن الأعمال يوم القيامة.

(س ٧٧١) ما الذي يوزن يوم القيامة؟ وكيف ترد على بعض الملاحدة الذين يقولون: الأعمال أعراض لا تقبل الوزن، وإنما يقبل الوزن الأجسام؟.

(ج:) الذي يوزن يوم القيامة الأعمال مع الأبدان، كما ورد في الأدلة الآتية الذكر، فلا يلتفت إلى ملحد معاند يقول: الأعمال أعراض لا تقبل الوزن، وإنما يقبل الوزن الأجسام!! فإن الله يقلب الأعراض أجساماً، كما تقدم، وكما روى الإمام أحمد، عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: "يؤتى بالموت كبشاً أغبر فيوقف بين الجنة والنار، فيقال: يا أهل الجنة، فيشرّبون وينظرون، ويقال: يا أهل النار، فيشرّبون وينظرون، ويرون أن قد جاء الفرج، فيذبح، ويقال: خلود لا موت" ورواه البخاري بمعناه. فثبت وزن الأعمال والعامل وصحائف الأعمال، وثبت أن الميزان له كفتان. والله تعالى أعلم بما وراء ذلك من الكيفيات.

فعلينا الإيمان بالغيب، كما أخبرنا الصادق عليه السلام، من غير زيادة ولا نقصان.

ويا خيبة من ينفي وضع الموازين القسط ليوم القيامة، كما أخبر الشارح، لخفاء الحكمة عليه، ويقده في النصوص بقوله: لا يحتاج إلى الميزان إلا البقال والقوال!! وما أحرأه بأن يكون من الذين لا يقيم الله لهم يوم القيامة وزناً. ولو لم يكن من الحكمة في وزن الأعمال إلا ظهور عدله سبحانه لجميع عباده، فلا أحد أحب إليه العذر من الله، من أجل ذلك أرسل الرسل مبشرين ومنذرين، فكيف ووراء ذلك من الحكم ما لا اطلاع لنا عليه. فتأمل قول الملائكة لما قال الله لهم: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾. وقال تعالى: ﴿وَمَا أُوْتِيتُمْ مِنَ الْإِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾.

س ٧٧٢: أيهما قبل الآخر في عرصات القيامة؛ الميزان أم الصراط، مع الاستدلال؟.

ج: قال الشارح: تقدم عند ذكر الحوض، كلام القرطبي رحمه الله، أن الحوض قبل الميزان، والصراط بعد الميزان. ففي الصحيحين: "أن المؤمنين إذا عبروا الصراط وقفوا على قنطرة بين الجنة والنار، فيقتص لبعضهم من بعض، فإذا هذبوا ونقوا، أذن لهم في دخول الجنة".

س ٧٧٣: من من أهل العلم جعل صراطاً ثانياً؟ ولمن خصه؟ وبماذا استدل؟.

ج: قال الشارح: وجعل القرطبي في التذكرة هذه القنطرة (المذكورة في الحديث الآنف وهو في الصحيحين: "أن المؤمنين إذا عبروا الصراط وقفوا على قنطرة بين الجنة والنار، فيقتص لبعضهم من بعض، فإذا هذبوا ونقوا، أذن لهم في دخول الجنة") صراطاً ثانياً للمؤمنين خاصة، وليس يسقط منه أحد في النار. والله تعالى أعلم.

س ٧٧٤: أيهما يسبق الآخر يوم القيامة، الميزان أم الحوض؟.

ج: قال العلامة القرطبي رحمه الله تعالى في "التذكرة": واختلف في الميزان والحوض، أيهما يكون قبل الآخر؟، فقليل: الميزان قبل، وقيل: الحوض. قال أبو الحسن القابسي: والصحيح أن الحوض قبل، قال القرطبي: والمعنى يقتضيه، فإن الناس يخرجون عطاشاً من قبورهم، كما تقدم، فيقدم قبل الميزان والصراط.

قال أبو حامد الغزالي رحمه الله، في كتاب "كشف علوم الآخرة": حكى بعض السلف من أهل التصنيف، أن الحوض يورد بعد الصراط وهو غلط من قائله.

قال القرطبي: هو كما قال، ثم قال القرطبي: ولا يخطر ببالك أنه في هذه الأرض، بل في الأرض المبدلة، أرض بيضاء كالفضة، لم يسفك فيها دم، ولم يظلم على ظهرها أحد قط، تظهر لنزول الجبار جل جلاله لفصل القضاء. انتهى.



الفصل السابع والعشرون

الجنة والنار

الجنة والنار

قال الطحاوي: " والجنة والنار مخلوقتان، لا تفنيان أبداً ولا تبيدان... ".

(س ٧٧٥) ما قول أهل السنة والجماعة في الجنة والنار، هل هما مخلوقتان أم لا؟ ومن الذي خالفهم في ذلك؟.

(ج) قال الشارح: اتفق أهل السنة على أن الجنة والنار مخلوقتان موجودتان الآن، ولم يزل على ذلك أهل السنة، حتى نبغت نابغة من المعتزلة والقدرية، فأنكرت ذلك، وقالت: بل ينشئهما الله يوم القيامة.

(س ٧٧٦) ما الذي حمل المعتزلة والقدرية على إنكار وجود الجنة والنار الآن؟ مع الاستدلال على خلقها ووجودها الآن؟.

(ج) حملهم على ذلك أصلهم الفاسد الذي وضعوا به شريعة لما يفعله الله، وأنه ينبغي أن يفعل كذا وكذا، ولا ينبغي له أن يفعل كذا وكذا!! وقاسوه على خلقه في أفعالهم، فهم مشبهة في الأفعال، ودخل التجهم فيهم، فصاروا مع ذلك معطلة! وقالوا: خلق الجنة قبل الجزاء عبث!؛ لأنها تصير معطلة مدداً متطاولة!! فردوا من النصوص ما خالف هذه الشريعة الباطلة التي وضعوها للرب تعالى، وحرفوا النصوص عن مواضعها، وضللوا وبدعوا من خالف شريعتهم.

فمن نصوص الكتاب:

- ١ - قوله تعالى عن الجنة: ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ .
- ٢ - وقوله تعالى: ﴿أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾ .
- ٣ - وقوله تعالى: ﴿أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ .
- ٤ - وقوله تعالى عن النار: ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢١﴾ لِلطَّاغِينَ مَنَابًا ﴿٢٢﴾﴾ .
- ٥ - وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى ﴿١٣﴾ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى ﴿١٤﴾ عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى ﴿١٥﴾﴾ .

٦ - وقد رأى النبي ﷺ سدرۃ المنتهى، ورأى عندها جنة المأوى . كما في الصحيحين من حديث أنس رضي الله عنه في قصة الإسراء، وفي آخره: " ثم انطلق بي جبريل حتى أتى سدرۃ المنتهى، فغشيها ألوان لا أدري ما هي، قال: ثم دخلت الجنة، فإذا فيها جنابذ اللؤلؤ، وإذا ترابها المسك " .

٧ - وفي الصحيحين من حديث عبدالله بن عمر رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ قال: " إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي، إن كان من أهل الجنة، فمن أهل الجنة، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار، يقال: هذا مقعدك حتى يبعثك الله يوم القيامة " .

٨ - وتقدم حديث البراء بن عازب رضي الله عنه وفيه: " ينادي مناد من السماء أن صدق عبدي، فأفرشوه من الجنة، وافتحوا له باباً إلى الجنة، قال فيأتيه من روحها وطيبها. . " .

٩ - وفي صحيح مسلم عن عائشة رضي الله عنها، قالت: خسفت الشمس في حياة رسول الله ﷺ فذكرت الحديث، وفيه: وقال رسول الله ﷺ: " رأيت في مقامي هذا كل شيء وعدتم به، حتى لقد رأيتني آخذ قطفاً من الجنة حين رأيتموني أقدم، ولقد رأيت جهنم يحطم بعضها بعضاً حين رأيتموني تأخرت " .

١٠ - وفي الصحيحين واللفظ للبخاري، عن عبدالله بن عباس، قال: انخسفت الشمس على عهد رسول الله ﷺ فذكر الحديث، وفيه: " فقالوا: يا رسول الله رأيناك تناولت شيئاً في مقامك، ثم رأيناك تكعكت؟ فقال: "إني رأيت الجنة فتناولت عنقوداً، ولو أصبته، لأكلتم منه ما بقيت الدنيا،

ورأيت النار، فلم أر منظراً كالיום قط أفزع، ورأيت أكثر أهلها النساء " قالوا: بم، يا رسول الله؟ قال: "يكفرن"، قيل: أيكفرن بالله؟ قال: "يكفرن العشير، ويكفرن الإحسان، لو أحسنت إلى إحداهن الدهر كله، ثم رأيت منك شيئاً، قالت: ما رأيت منك خيراً قط " .

١١ - وفي صحيح مسلم والسنن والمسنند، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "لما خلق الله الجنة والنار، أرسل جبريل إلى الجنة، فقال: اذهب فانظر إليها، وإلى ما أعددت لأهلها فيها، فذهب فنظر إليها وما أعد الله لأهلها فيها، فرجع فقال: وعزتك، لا يسمع بها أحدٌ إلا دخلها، فأمر بالجنة، فحفت بالمكاره، فقال: ارجع، فانظر إليها، وإلى ما أعددت لأهلها فيها، قال: فنظر إليها، ثم رجع، فقال: وعزتك، لقد خشيت أن لا يدخلها أحد، قال: ثم أرسله إلى النار، قال: اذهب فانظر إليها، وإلى ما أعددت لأهلها فيها، قال: فنظر إليها، فإذا هي يركب بعضها بعضاً، ثم رجع فقال: وعزتك، لا يدخلها أحدٌ سمع بها، فأمر بها فحفت بالشهوات، ثم قال: اذهب فانظر إلى ما أعددت لأهلها فيها، فذهب فنظر إليها، فرجع، فقال: وعزتك لقد خشيت أن لا ينجو منها أحدٌ إلا دخلها". ونظائر ذلك في السنة كثيرة.

وأما على قول من قال؛ إن الجنة الموعود بها هي الجنة التي كان فيها آدم ثم أخرج منها، فالقول بوجودها الآن ظاهر، والخلاف في ذلك معروف.

س ٧٧٧: استدل الشارح بقوله ﷺ: "وايم الذي نفسي بيده، لو رأيتم ما رأيتم لضحكتم قليلاً.. " أكمل الحديث، وعلام استدل به الشارح؟.

ج: الحديث في صحيح مسلم من حديث أنس: "وايم الذي نفسي بيده لو رأيتم ما رأيتم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً" قالوا: وما رأيتم يا رسول الله؟ قال: "رأيت الجنة والنار". وقد استدل به الشارح لإثبات خلق الجنة والنار وأنهما موجودتان الآن.

س ٧٧٨: لماذا استدل الشارح بحديث كعب بن مالك: "إنما نسمة المؤمن طير يعلق في شجر الجنة.. " الحديث؟.

(ج) استدلل الشارح بالحديث الذي رواه كعب بن مالك، قال: قال رسول الله ﷺ:

"إنما نسمة المؤمن طير يعلق في شجر الجنة، حتى يرجعها الله إلى جسده يوم القيامة". لإثبات أن الجنة والنار مخلوقتان موجودتان الآن.

(س ٧٧٩) **يحتج من قال: إن الجنة الموعود بها لم تخلق بعد بقوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ فما وجه استدلالهم؟ وبماذا يرد عليهم؟**

(ج) أما شبهة من قال: إنها لم تخلق بعد، وهي: أنها لو كانت مخلوقة الآن، لوجب اضطراراً أن تفتنى يوم القيامة، وأن يهلك كل من فيها ويموت، لقوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ هذا وجه استدلالهم بالآية الكريمة.

وأما الرد عليهم في احتجاجهم بالآية، فيقال لهم: أما احتجاجكم بقوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ فأتيتم من سوء فهمكم معنى الآية، واحتجاجكم بها على عدم وجود الجنة والنار الآن نظير احتجاج إخوانكم بها على فنائهما وخرابهما وموت أهلهما!! فلم توفقوا أنتم ولا إخوانكم لفهم معنى الآية، وإنما وفق لذلك أئمة الإسلام، فمن كلامهم: أن المراد كل شيء مما كتب الله عليه الفناء والهلاك، هالك، والجنة والنار خلقتا للبقاء لا للفناء، وكذلك العرش، فإنه سقف الجنة، وقيل: المراد إلا ملكه، وقيل: إلا ما أريد به وجهه، وقيل: إن الله تعالى أنزل: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ (٢١)، فقالت الملائكة: هلك أهل الأرض، وطمعوا في البقاء، فأخبر تعالى عن أهل السماء والأرض أنهم يموتون، فقال: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾، لأنه حي لا يموت، فأيقنت الملائكة عند ذلك بالموت، وإنما قالوا ذلك توفيقاً بينها وبين النصوص المحكمة، الدالة على بقاء الجنة، وعلى بقاء النار أيضاً، على ما يُذكر عن قريب، إن شاء الله تعالى.

(س ٧٨٠) **احتج من قال: إن الجنة الموعود بها لم تخلق بعد بقوله ﷺ في الحديث: "إنها قيعان". أكمل استدلالهم بإيراد النصوص التي استدلوها بها؟ وما وجه استدلالهم؟ وبماذا يرد عليهم؟**

(ج) يستدلون بالحديث الذي رواه الترمذي في "جامعه"، من حديث ابن

مسعود رضي الله عنه، قال رسول الله ﷺ: "لقيت إبراهيم ليلة أُسري بي، فقال: يا محمد، أقرئ أمتك مني السلام، وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة، عذبة الماء، وأنها قيعان، وأن غراسها سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر"، قال: هذا حديث حسن غريب.

وفيه أيضاً من حديث أبي الزبير، عن جابر، عن النبي ﷺ، أنه قال: "من قال: سبحان الله وبحمده، غرست له نخلة في الجنة"، قال: هذا حديث حسن صحيح، قالوا: فلو كانت مخلوقة مفروغاً منها لم تكن قيعاناً، ولم يكن لهذا الغرس معنى.

قالوا: وكذا قوله تعالى عن امرأة فرعون إنها قالت: ﴿رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ﴾.

والجواب: إنكم إن أردتم بقولكم: إنها الآن معدومة بمنزلة النفخ في الصور، وقيام الناس من القبور، فهذا باطل، يرده ما تقدم من الأدلة وأمثالها مما لم يُذكر، وإن أردتم أنها لم يكمل خلق جميع ما أعد الله فيها لأهلها، وأنها لا يزال الله يحدث فيها شيئاً بعد شيء، وإذا دخلها المؤمنون، أحدث الله فيها عند دخولهم أموراً أخرى، فهذا حق لا يمكن رده، وأدلتكم هذه إنما تدل على هذا القدر.

س ٧٨١: هل أجمع أهل السنة والجماعة أن الجنة والنار لا تفنيان أبداً ولا تبيدان؟.

ج: قال الشارح: وقوله: "لا تفنيان أبداً ولا تبيدان"، هذا قول جمهور الأئمة من وقال ببقاء الجنة وفناء النار جماعة منهم من السلف والخلف، والقولان مذكوران في كثير من كتب التفسير وغيرها.

س ٧٨٢: من الذي قال بفناء الجنة والنار؟ وهل اتبع أحداً يعتد به في ذلك؟.

ج: قال بفناء الجنة والنار الجهم بن صفوان إمام المعطلة، وليس له سلف قط، لا من الصحابة ولا من التابعين لهم بإحسان، ولا من أئمة المسلمين، ولا من أهل السنة، وأنكره عليه عامة أهل السنة، وكفروه به، وصاحوا به وبأتباعه من أقطار الأرض.

س ٧٨٣: اتخذت إحدى الفرق قاعدة عدتها من أصولها، وهي: "امتناع وجود ما لا يتناهى من الحوادث"، فمن هي؟ ولم قالت بهذا الأصل الفاسد؟ ورد عليهم رداً عقلياً واحداً وثلاثة ردود شرعية؟.

ج: هذه الفرقة هي الجهمية، أتباع الجهم بن صفوان إمام المعطلة، وقال بفناء الجنة والنار؛ لأصله الفاسد الذي اعتقده، وهو امتناع وجود ما لا يتناهى من الحوادث! وهو عمدة أهل الكلام المذموم، التي استدلوا بها على حدوث الأجسام، وحدث ما لم يخل من الحوادث، وجعلوا ذلك عمدتهم في حدوث العالم، فرأى الجهم أن ما يمنع من حوادث لا أول لها في الماضي يمنعه في المستقبل!! فدوام الفعل عنده على الرب في المستقبل ممتنع، كما هو ممتنع عنده عليه في الماضي!! وأبو الهذيل العلاف شيخ المعتزلة وافقه على هذا الأصل، لكن قال: إن هذا يقتضي فناء الحركات، فقال بفناء حركات أهل الجنة والنار حتى يصيروا في سكون دائم، لا يقدر أحدٌ منهم على حركة!! وقد تقدم الإشارة إلى اختلاف الناس في تسلسل الحوادث في الماضي والمستقبل، وهي مسألة دوام فاعلية الرب تعالى، وهو لم يزل رباً قادراً فعلاً لما يريد، فإنه لم يزل حياً عليمًا قديرًا. ومن المحال أن يكون الفعل ممتنعاً عليه لذاته، ثم ينقلب، فيصير ممكناً لذاته، من غير تجدد شيء، وليس للأول حد محدود حتى يصير الفعل ممكناً له عند ذلك الحد، ويكون قبله ممتنعاً عليه، فهذا القول تصوّره كاف في الجزم بفساده.

وأما أبدية الجنة، وأنها لا تفتنى ولا تبيد، فهذا مما يُعلم بالضرورة أن الرسول أخبر به:

١ - قال تعالى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَبِالْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرٌ مَجْدُورٌ﴾ (١٧٨).

٢ - وقال تعالى عن أهل الجنة: ﴿وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾.

٣ - وروى مسلم عن أبي هريرة قوله ﷺ: "من يدخل الجنة ينعم ولا يبأس، ويخلد ولا يموت".

س ٧٨٤: من الذي قال: إن أهل الجنة والنار تفتنى حركاتهم، ويصيرون جماداً لا يحسون بشيء؟ وهل له سلف في ذلك؟ وبم يُرد عليه؟.

(ج) الذي قال بهذا القول المُبتَدَع هو أبو الهذيل العلاف شيخ المعتزلة، وقد تقدم قول الجهم في امتناع وجود ما لا يتناهى من الحوادث، وكذا قوله أن دوام الفعل عنده على الرب في المستقبل ممتنع، كما هو ممتنع عليه في الماضي.

وللعلاف سلف في ذلك وهو الجهم، فقد وافقه على هذا الأصل، لكن قال: إن هذا يقتضي فناء الحركات، فقال بفناء حركات أهل الجنة والنار حتى يصيروا في سكون دائم، لا يقدر أحدٌ منهم على حركة!!.

وُرد عليه بما في الجواب الآنف، من رد عقلي وشرعي، فراجعه.

(س ٧٨٥): ما نوع الاستثناء المذكور في قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سَعِدُوا فَنِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ (١٧٨)؟.

(ج) اختلف السلف في هذا الاستثناء: فقليل:

١ - معناه إلا مدة مكثهم في النار، وهذا يكون لمن دخل منهم إلى النار ثم أخرج منها، لا لكلهم.

٢ - وقيل: إلا مدة مقامهم في الموقف.

٣ - وقيل: إلا مدة مقامهم في القبور والموقف.

٤ - وقيل: هو استثناء استثناء الرب ولا يفعله، كما تقول: والله لأضربنك إلا أن أرى غير ذلك، وأنت لا تراه، بل تجزم بضربه.

٥ - وقيل: "إلا" بمعنى الواو، وهذا على قول بعض النحاة، وهو ضعيف، وسيبويه يجعل "إلا" بمعنى "لكن" فيكون الاستثناء منقطعاً، ورجحه ابن جرير، وقال: إن الله تعالى لا خلف لوعده، وقد وصل الاستثناء بقوله: ﴿عَطَاءٌ غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾، قالوا: ونظيره أن تقول: أسكنتك داري حولاً إلا ما شئت، أي: سوى ما شئت، أو لكن ما شئت من الزيادة عليه.

٦ - وقيل: الاستثناء لإعلامهم بأنهم مع خلودهم في مشيئة الله، لا أنهم يخرجون عن مشيئته، ولا ينافي ذلك عزمته وجزمه لهم بالخلود، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَكِنْ شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا

وَكَيْلًا ﴿٨٦﴾، وقوله تعالى: ﴿فَإِنْ يَشَاءِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَى قَلْبِكَ﴾، وقوله: ﴿قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَبْتُكُمْ بِهِ﴾. ونظائره كثيرة، يخبر عباده سبحانه أن الأمور كلها بمشيئته، ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن.

٧ - وقيل: إن "ما" بمعنى "من" أي: "إلا من شاء الله دخوله النار بذنوبه من السعداء. وقيل: غير ذلك، وعلى كل تقدير فهذا الاستثناء من المتشابه.

س ٧٨٦: ما معنى قوله تعالى: ﴿عَطَاءٌ غَيْرَ مَجْدُوفٍ﴾؟ وهل هو من المتشابه؟.

ج: قوله: ﴿عَطَاءٌ غَيْرَ مَجْدُوفٍ﴾، أي: غير مقطوع، وهو محكم. ومثله قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ﴾. وقوله: ﴿أَكُلْهَا دَائِمٌ وَظُلُّهَا﴾. وقوله: ﴿وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾.

س ٧٨٧: ما نوع الاستثناء في قوله تعالى: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى﴾. وماذا أفاد؟.

ج: أكد الله خلود أهل الجنة بالتأبيد في عدة مواضع من القرآن، وأخبر أنهم: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى﴾، وهذا الاستثناء منقطع، وإذا ضممته إلى الاستثناء في قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾ تبين لك أن المراد من الآيتين، استثناء الوقت الذي لم يكونوا فيه في الجنة من مدة الخلود، كاستثناء الموتة الأولى من جملة الموت، فهذه موتة تقدمت على حياتهم الأبدية، وذاك مفارقة للجنة تقدمت على خلودهم فيها.

س ٧٨٨: روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: "ينادي مناد: يا أهل الجنة.."، أكمل الحديث، وعلام استدل به الشارح؟.

ج: الحديث قوله ﷺ: "ينادي مناد: يا أهل الجنة، إن لكم أن تصحوا، فلا تسقموا أبدًا، وأن تشبوا، فلا تهرموا أبدًا، وأن تحيوا، فلا تموتوا أبدًا". واستدل به الشارح على أبدية الجنة، وأنها لا تنفَى.

س ٧٨٩: ما حديث ذبح الموت؟ وعلام استدل به الشارح؟.

(ج) حديث ذبح الموت متفق عليه من رواية أبي سعيد الخدري، ولفظ البخاري: "يؤتى بالموت كهيئة كبش أملح، فينادي مناد: يا أهل الجنة، فيشرئبون وينظرون، فيقول: هل تعرفون هذا؟! فيقولون: نعم هذا الموت، وكلهم قد رآه، فيذبح، ثم يقول: يا أهل الجنة خلود فلا موت، ويا أهل النار، خلود فلا موت".

(س ٧٩٠): ما أقوال الناس في أبدية النار ودوامها؟.

(ج) قال الشارح: وأما أبدية النار ودوامها، فللناس في ذلك ثمانية أقوال: ١ - أحدها: أن من دخلها لا يخرج منها أبد الآباد، وهذا قول الخوارج والمعتزلة.

٢ - والثاني: أن أهلها يعذبون فيها، ثم تنقلب طبيعتهم، وتبقى طبيعة نارية يتلذذون بها لموافقتها لطبعهم! وهذا قول إمام الاتحادية ابن عربي الطائي!!.

٣ - الثالث: أن أهلها يعذبون فيها إلى وقت محدود، ثم يخرجون منها، ويخلفهم فيها قوم آخرون، وهذا القول حكاه اليهود للنبي ﷺ.

٤ - الرابع: يخرجون منها وتبقى على حالها ليس فيها أحد.

٥ - الخامس: أنها تفنى بنفسها؛ لأنها حادثة، وما ثبت حدوثه استحالة بقاءه!! وهذا قول الجهم وشيعته، ولا فرق عنده في ذلك بين الجنة والنار كما تقدم.

٦ - السادس: تفنى حركات أهلها، ويصيرون جماداً، لا يحسّون بألم، وهذا قول أبي الهذيل العلاف، كما تقدم.

٧ - السابع: أن الله يخرج منها من يشاء، كما ورد في السنة، ثم يبقيها ما يشاء، ثم يفنيها، فإنه جعل لها أمداً تنتهي إليه.

٨ - الثامن: أن الله تعالى يخرج منها من يشاء، كما ورد في السنة، ويبقي فيها الكفار، بقاء لا انقضاء له، كما قال الشيخ رحمه الله.

(س ٧٩١): ما قول اليهود في النار ودوامها، وبم يرد عليهم؟.

(ج) قال يهود: أن أهلها يعذبون فيها إلى وقت محدود، ثم يخرجون منها، ويخلفهم فيها قوم آخرون، وهذا القول حكاية اليهود للنبي ﷺ.

وأكذبهم فيه، وقد أكذبهم الله تعالى، فقال عز من قائل: ﴿وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَقْدُودَةً قُلْ أَخَذْتُ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلَفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ نَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا نَعْلَمُونَ ﴿٨٠﴾ بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٨١﴾﴾.

(س ٧٩٢): ذكر ابن أبي العز أقوال الناس في أبدية النار ودوامها في ثمانية أقوال، وقرر أنها أقوال ظاهرة البطلان، عدا قولين اثنين ينظر في دليليهما فما هما؟.

(ج) القولان الأخيران السابع والثامن وهما:

السابع: أن الله يخرج منها من يشاء، كما ورد في السنة، ثم يبقيها ما يشاء، ثم يفيئها، فإنه جعل لها أمداً تنتهي إليه.

الثامن: أن الله تعالى يخرج منها من يشاء، كما ورد في السنة، ويبقي فيها الكفار، بقاء لا انقضاء له، كما قال الشيخ رحمه الله.

(س ٧٩٣): عن نقل القول بفناء النار من أهل السنة، وما أدلتهم؟.

(ج) هذا القول: منقول عن عمر، وابن مسعود، وأبي هريرة، وأبي سعيد، وغيرهم.

فمن أدلة هذا القول:

١ - قوله تعالى: ﴿قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾.

٢ - وقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١١٦﴾ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ ﴿١١٧﴾﴾.

ولم يأت بعد هذين الاستثناءين ما أتى بعد الاستثناء المذكور لأهل الجنة، وهو قوله: ﴿عَطَاءٌ غَيْرَ مَجْدُوزٍ﴾. وقوله تعالى: ﴿لَيْسَ فِيهَا أَحْقَابًا ﴿٢٣﴾﴾.

٣ - وقد روى عبد بن حميد في "تفسيره" المشهور، بسنده إلى عمر رضي الله عنه،

أنه قال: "لو لبث أهل النار في النار كقدر رمل عالج، لكان لهم على ذلك وقت يخرجون فيه"، ذكر ذلك في تفسير قوله تعالى: ﴿لَيَبِثَنَّ فِيهَا أَحْقَابًا﴾ (٢٣).

٤ - قالوا: والنار موجب غضبه، والجنة موجب رحمته، وقد قال ﷺ: "لما قضى الله الخلق، كتب كتاباً، فهو عنده فوق العرش: إن رحمتي سبقت غضبي"، وفي رواية: "تغلب غضبي" رواه البخاري في "صحيحه" من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

٥ - قالوا: والله سبحانه يخبر عن العذاب أنه: ﴿عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾. و﴿أَلَيْسَ﴾. و﴿عَقِيبٌ﴾. ولم يخبر ولا في موضع واحد عن النعيم أنه نعيم يوم.

٦ - وقد قال تعالى: ﴿قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾. وقال تعالى حكاية عن الملائكة: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾. فلا بد أن تسع رحمته هؤلاء المعذبين، فلو بقوا في العذاب لا إلى غاية لم تسعهم رحمته، وقد ثبت في "الصحيح" تقدير يوم القيامة بخمسين ألف سنة، والمعذبون فيها متفاوتون في مدة لبثهم في العذاب بحسب جرائمهم، وليس في حكمة أحكم الحاكمين، ورحمة أرحم الرحمين أن يخلق خلقاً يعذبهم أبد الآباد عذاباً سرمداً لا نهاية له، وأما أنه يخلق خلقاً ينعم عليهم، ويحسن إليهم نعيماً سرمداً، فمن مقتضى الحكمة، والإحسان مراد لذاته، والانتقام مراد بالعرض.

س ٧٩٤: كيف يجيب من قال بفناء النار على ما ورد من الأدلة من الخلود فيها، والتأبيد، وعدم الخروج، وأن عذابها مقيم، وأنه غرام؟.

ج: قالوا: وما ورد من الخلود فيها، والتأبيد، وعدم الخروج، وأن عذابها مقيم، وأنه غرام، كله حق مسلم، لا نزاع فيه، وذلك يقتضي الخلود في دار العذاب ما دامت باقية، وإنما يخرج منها في حال بقائها أهل التوحيد. ففرق بين من يخرج من الحبس وهو على حاله، وبين من يبطل حبسه بخراب الحبس وانتقاضه.

س ٧٩٥: اذكر بعض أدلة القائلين ببقاء النار وعدم فنائها؟.

(ج) من أدله القائلين ببقائها، وعدم فنائها:

- ١ - قوله تعالى: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقيمٌ﴾ .
- ٢ - وقوله: ﴿لَا يُفَقَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُّلسُونَ﴾ (٧٥) .
- ٣ - وقوله: ﴿فَلَنْ نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾ .
- ٤ - وقوله: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ .
- ٥ - وقوله: ﴿وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرِجِينَ﴾ .
- ٦ - وقوله: ﴿وَمَا هُمْ بِمُخْرِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾ .
- ٧ - وقوله: ﴿وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾ .
- ٨ - وقوله: ﴿لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفَ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا﴾ .
- ٩ - وقوله: ﴿إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾ أي مقيماً لازماً .

(س ٧٩٦) هل يخرج أحد من النار وقد دخلها؟

(ج) قال الشارح: وقد دلت السنة المستفيضة أنه يخرج من النار من قال: لا إله إلا الله، وأحاديث الشفاعة صريحة في خروج عصاة الموحدين من النار، وأن هذا حكم مختص بهم، فلو خرج الكفار منها، لكانوا بمنزلتهم، ولم يختص الخروج بأهل الإيمان، وبقاء الجنة والنار ليس لذاتهما، بل بإبقاء الله لهما .

(س ٧٩٧) ما الدليل على أن النار لما خلقت خلق لها أهلاً؟

- (ج) ١ - قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنَّةِ وَالْإِنسِ﴾ .
- ٢ - وعن عائشة رضي الله عنها، قالت: دعي رسول الله ﷺ إلى جنازة صبي من الأنصار، فقلت: يا رسول الله، طوبى لهذا، عصفور من عصافير الجنة، لم يعمل السوء ولم يدركه، فقال: "أو غير ذلك يا عائشة، إن الله خلق للجنة أهلاً، خلقهم لها وهم في أصلاب آبائهم، وخلق للنار أهلاً، خلقهم لها وهم في أصلاب آبائهم" رواه مسلم وأبو داود والنسائي .

(س ٧٩٨) ما المراد بقوله تعالى: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ (٢)؟

(ج) المراد بقوله قال تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ

سَمِعًا بَصِيرًا ﴿٢﴾ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾ . المراد الهداية العامة وأعم منها الهداية المذكورة في قوله تعالى : ﴿الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ ﴿٥٠﴾ .

فالموجودات نوعان :

أحدهما مسخر بطبعه .

والثاني متحرك بإرادته .

فهدى الأول لما سخره له طبيعةً ، وهدى الثاني هداية إرادية تابعة لشعوره وعلمه بما ينفعه ويضره .

س ٧٩٩ : ورد في تقسيم الشارح في أقسام الهداية النوع الثاني المتحرك بإرادته ، فإلى كم ينقسم هذا الصنف ؟ .

ج : قال الشارح : ثم قسم هذا النوع إلى ثلاثة أنواع :

١ - نوع لا يريد إلا الخير ، ولا يتأتى منه إرادة سواه ، كالملائكة .

٢ - ونوع لا يريد إلا الشر ، ولا يتأتى منه إرادة سواه ، كالشياطين .

٣ - ونوع يتأتى منه إرادة القسمين ، كالإنسان .

س ٨٠٠ : ورد في أنواع الهداية النوع الثاني المتحرك بإرادته ، وقسمه إلى أقسام ثلاثة ، منها الثالث الذي يتأتى منه الخير والشر ، فما هذا النوع ، وإلى كم صنف يكون ؟ .

ج : قال الشارح : ثم جعله ثلاثة أصناف :

١ - صنفاً يغلب إيمانه ومعرفته وعقله هواه وشهوته ، فيلتحق بالملائكة .

٢ - وصنفاً عكسه ، فيلتحق بالشياطين .

٣ - وصنفاً تغلب شهوته البهيمية عقله ، فيلتحق بالبهائم .

والمقصود : أنه سبحانه أعطى الوجودين : العيني والعلمي ، فكما أنه لا موجود إلا بإيجاده ، فلا هداية إلا بتعليمه ، وذلك كله من الأدلة على كمال قدرته ، وثبوت وحدانيته ، وتحقيق ربوبيته سبحانه وتعالى .

س ٨٠١: ما معنى قول الطحاوي: " فمن شاء منهم إلى الجنة فضلاً منه، ومن شاء منهم إلى النار عدلاً منه.. ".

ج: قال الشارح: وقوله: "فمن شاء منهم إلى الجنة فضلاً منه، ومن شاء منهم إلى النار عدلاً منه" إلخ. مما يجب أن يعلم: أن الله تعالى لا يمنع الثواب إلا إذا منع سببه، وهو العمل الصالح فإنه: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا﴾ (١١٢). وكذلك لا يعاقب أحداً إلا بعد حصول سبب العقاب، فإن الله تعالى يقول: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾ (٣٥).

وهو سبحانه المعطي المانع، لا مانع لما أعطى، ولا معطي لما منع. لكن إذا من على الإنسان بالإيمان والعمل الصالح، لا يمنعه موجب ذلك أصلاً، بل يعطيه من الثواب والقرب ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، وحيث منعه ذلك، فلانتفاء سببه، وهو العمل الصالح.

ولا ريب أنه يهدي من يشاء، ويضل من يشاء، لكن ذلك كله حكمة منه وعدل، فمنعه للأسباب التي هي الأعمال الصالحة من حكمته وعدله.

وأما المسببات بعد وجود أسبابها، فلا يمنعها بحال، إذا لم تكن أسباباً صالحة، إما لفساد في العمل وإما لسبب يعارض موجب ومقتضاه فيكون ذلك لعدم المقتضي، أو لوجود المانع، وإذا كان منعه وعقوبته من عدم الإيمان والعمل الصالح، وهو لم يعط ذلك ابتداء حكمة منه وعدلاً، فله الحمد في الحالين، وهو المحمود على كل حال، كل عطاء منه فضل، وكل عقوبة منه عدل، فإنه تعالى حكيم يضع الأشياء في مواضعها التي تصلح لها، كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَ نَهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾. وكما قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مِنْ اللَّهِ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيِّنَاتٍ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ﴾ (٥٢). ونحو ذلك. وسيأتي لهذا زيادة بيان، إن شاء الله تعالى.



الفصل الثامن والعشرون

الاستطاعة

الاستطاعة

(س ٨٠٢) ما قول عامة أهل السنة والجماعة في الاستطاعة؟.

(ج) قال الطحاوي: " ١ - والاستطاعة التي يجب بها الفعل، من نحو التوفيق الذي لا يوصف المخلوق به تكون مع الفعل.

٢ - وأما الاستطاعة من جهة الصحة والوسع والتمكين وسلامة الآلات، فهي قبل الفعل، وبها يتعلق الخطاب، وهو كما قال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾.

قال الشارح: الاستطاعة والطاقة والقدرة والوسع، ألفاظ متقاربة، وتقسيم الاستطاعة إلى قسمين - كما ذكره الشيخ رحمه الله - هو قول عامة أهل السنة، وهو الوسط.

(س ٨٠٣) من الذي خالف أهل السنة والجماعة في الاستطاعة؟.

(ج) قالت القدريّة والمعتزلة: لا تكون القدرة إلا قبل الفعل، وقابلهم طائفة من أهل السنة، فقالوا لا تكون إلا مع الفعل^(١).

(١) تكلم شيخ الاسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى ٨ / ٣٧١ على مبحث الاستطاعة كلاماً نفيساً، وقسمه تقسيماً لطيفاً، رأيت أن أوردته بتمامه في هامش هذا الفصل لأهميته: فقال:

قد تكلم الناس من أصحابنا وغيرهم في "استطاعة العبد" هل هي مع فعله أم قبله؟ جعلوها قولين متناقضين.

.....

= ١ - فقوم جعلوا الاستطاعة مع الفعل فقط، وهذا هو الغالب على مثبتة القدر المتكلمين من أصحاب الاشعري ومن وافقهم من أصحابنا وغيرهم.

٢ - وقوم جعلوا الاستطاعة قبل الفعل، وهو الغالب على النفاة من المعتزلة والشيعة.

وجعل الأولون القدرة لا تصلح إلا لفعل واحد، إذ هي مقارنة له لا تنفك عنه، وجعل الآخرون الاستطاعة لا تكون إلا صالحة للضدين، ولا تقارن الفعل أبداً، والقدرية أكثر انحرافاً، فإنهم يمنعون أن يكون مع الفعل قدرة بحال، فإن عندهم أن المؤثر لا بد أن يتقدم على الأثر لا يقارنه بحال، سواء في ذلك القدرة والإرادة والأمر.

والصواب الذي دل عليه الكتاب والسنة: أن الاستطاعة متقدمة على الفعل ومقارنة له أيضاً، وتقارنه أيضاً استطاعة أخرى لا تصلح لغيره.

فالاستطاعة نوعان:

- ١ - متقدمة صالحة للضدين.
- ٢ - ومقارنة لا تكون إلا مع الفعل، فتلك هي المصححة للفعل المجوزة له، وهذه هي الموجبة للفعل المحققة له.

قال الله تعالى في الأولى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَى سَبِيلٍ﴾.

ولو كانت هذه الاستطاعة لا تكون إلا مع الفعل لما وجب الحج إلا على من حج، ولما عصى أحد بترك الحج، ولا كان الحج واجباً على أحد قبل الإحرام به، بل قبل فراغه. وقال تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾، فأمر بالتقوى بمقدار الاستطاعة، ولو أراد الاستطاعة المقارنة لما وجب على أحد من التقوى إلا ما فعل فقط، إذ هو الذي قارنته تلك الاستطاعة. وقال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾. و"الوسع" الموسوع، وهو الذي تسعه وتطيقه، فلو أريد به المقارن لما كلف أحد إلا الفعل الذي أتى به فقط دون ما تركه من الواجبات. وقال تعالى: ﴿فَمَنْ لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامَ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّ فَمَنْ لَّمْ يَسْتَطِعْ فَاِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا﴾. والمراد به الاستطاعة المتقدمة؛ وإلا كان المعنى: فمن لم يفعل الصيام فإطعام ستين، فيجوز حينئذ الإطعام لكل من لم يصم، ولا يكون الصوم واجباً على أحد حتى يفعله. وقد قال النبي ﷺ: "إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم" ولو أريد به المقارنة فقط لكان المعنى: فأتوا منه ما فعلتم، فلا يكونون مأمورين إلا بما فعلوه، وكذلك قال النبي ﷺ لعمران بن حصين "صل قائماً، فإن لم تستطع فقاعداً، فإن لم تستطع فعلى جنب". ولو أريد المقارن لكان المعنى: فإن لم تفعل فتكون مخيراً، ونظائر هذا متعددة، فإن كل أمر علق في الكتاب والسنة وجوبه بالاستطاعة وعدمه بعدمها لم يرد به المقارنة، وإلا لما كان قد أوجب الواجبات إلا على من قد فعلها، وقد أسقطها عن من لم يفعلها فلا يأثم أحد بترك الواجب المذكور.

= وأما "الاستطاعة المقارنة الموجبة" فمثل قوله تعالى: ﴿مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ﴾ وقوله: ﴿الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا﴾ (١٧). فهذه الاستطاعة هي المقارنة الموجبة، إذ الأخرى لا بد منها في التكليف.

فالأولى: هي الشرعية التي هي مناط الأمر والنهي والثواب والعقاب، وعليها يتكلم الفقهاء، وهي الغالبة في عرف الناس.

والثانية: هي الكونية التي هي مناط القضاء والقدر، وبها يتحقق وجود الفعل.

فالأولى للكلمات الأمرية الشرعيات، والثانية للكلمات الخلقية الكونية. كما قال: ﴿وَصَدَقْتَ بِكَلِمَتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ﴾.

وقد اختلف الناس في قدرة العبد على خلاف معلوم الحق أو مراده. والتحقيق أنه قد يكون قادراً بالقدرة الأولى الشرعية المتقدمة على الفعل، فإن الله قادرٌ أيضاً على خلاف المعلوم والمراد، وإلا لم يكن قادراً إلا على ما فعله وليس العبد قادراً على ذلك بالقدرة المقارنة للفعل، فإنه لا يكون إلا ما علم الله كونه وأراد كونه، فإنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، وكذلك قول الحواريين: ﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ﴾. إنما استفهموا عن هذه القدرة، وكذلك ظن يونس أن لن نقدر عليه، أي فسر بالقدرة، كما يقال للرجل، هل تقدر أن تفعل كذا؟ أي هل تفعله؟ وهو مشهور في كلام الناس.

ولما اعتقدت القدرية أن الأولى كافية في حصول الفعل، وإن العبد يحدث مشيئته جعله مستغنياً عن الله حين الفعل، كما أن الجبرية لما اعتقدت أن الثانية موجبة للفعل وهي من غيره رأوه مجبوراً على الفعل وكلاهما خطأ قبيح، فإن العبد له مشيئة وهي تابعة لمشيئة الله، كما ذكر الله ذلك في عدة مواضع من كتابه: ﴿فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ﴾ (٥٥) ﴿وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾. ﴿لَمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ﴾ (٦٨) ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ (٦٩).

فإذا كان الله قد جعل العبد مريداً مختاراً شائياً امتنع أن يقال هو مجبور مقهور، مع كونه قد جعل مريداً. وامتنع أن يكون هو الذي ابتدع لنفسه المشيئة، فإذا قيل هو مجبور على أن يختار مضطر إلى أن يشاء، فهذا لا نظير له، وليس هو المفهوم من الجبر بالاضطرار، ولا يقدر على ذلك إلا الله.

ولهذا اختلف الجبرية والقدرية على طرفي نقيض، وكلاهما مصيب فيما أثبتته دون ما نفاه، فأبو الحسين البصري ومن وافقه من القدرية يزعمون: أن العلم بأن العبد يحدث أفعاله وتصرفاته: علم ضروري، وجحد ذلك سفسطة.

وابن الخطيب ونحوه من الجبرية يزعمون أن العلم بافتقار رجحان فعل العبد على تركه إلى مرجح من غير العبد ضروري؛ لأن الممكن المتساوي الطرفين لا يترجح أحد =

س ٨٠٤: ما القدرة التي تكون مع الفعل؟، وما القدرة التي تتقدم الفعل، مع الاستدلال؟.

ج: الذي قاله عامة أهل السنة: أن للعبد قدرة هي مناط الأمر والنهي، وهذه قد تكون قبله، لا يجب أن تكون معه، والقدرة التي يكون بها الفعل لا بد أن تكون مع الفعل، لا يجوز أن يوجد الفعل بقدرة معدومة.

وأما القدرة التي من جهة الصحة والوسع، والتمكن وسلامة الآلات، فقد تتقدم الأفعال، وهذه القدرة المذكورة في:

١ - قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾. فأوجب الحج على المستطيع، فلو لم يستطع إلا من حج، لم يكن الحج! وهذا خلاف المعلوم بالضرورة من دين الإسلام.

٢ - وكذلك قوله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾. فأوجب التقوى بحسب الاستطاعة، فلو كان من لم يتق الله لم يستطع التقوى، لم يكن قد أوجب التقوى إلا على من اتقى، ولم يعاقب من لم يتق! وهذا معلوم الفساد.

٣ - وكذا قوله تعالى: ﴿فَمَنْ لَّمْ يَسْتَطِعْ فَاِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا﴾. والمراد منه استطاعة الأسباب والآلات.

٤ - وكذا ما حكاه سبحانه من قول المنافقين: ﴿لَوْ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا

= طرفيه على الآخر إلا بمرجح، وكلا القولين صحيح؛ لكن دعوى استلزام أحدهما نفي للآخر ليس بصحيح؛ فإن العبد محدث لأفعاله كاسب لها، وهذا الإحداث مفتقر إلى محدث، فالعبد فاعل صانع محدث، وكونه فاعلاً صانعاً محدثاً بعد أن لم يكن، لا بد له من فاعل، كما قال: ﴿لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَفِيزَ﴾ (٧٨). فإذا شاء الاستقامة صار مستقيماً، ثم قال: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ (٧٩).

فما علم بالاضطرار وما دلت عليه الأدلة السمعية والعقلية كله حق؛ ولهذا كان لا حول ولا قوة إلا بالله، والعبد فقير إلى الله فقراً ذاتياً له في ذاته وصفاته وأفعاله، مع أن له ذاتاً وصفات وأفعالاً، فنفي أفعاله كنفي صفاته وذاته، وهو جحد للحق شبيه بغلو غالية الصوفية الذين يجعلونه هو الحق، أو جعل شئ منه مستغنياً عن الله أو كائناً بدونه، جحد للحق شبيه بغلو الذي قال: ﴿أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى﴾. وقال: إنه خلق نفسه، وإنما الحق ما عليه أهل السنة والجماعة.

مَعَكُمْ. وكذبهم في ذلك القول، ولو كانوا أرادوا الاستطاعة التي هي حقيقة قدرة الفعل، ما كانوا بنفيهم عن أنفسهم كاذبين، وحيث كذبهم دل أنهم أرادوا بذلك المرض، أو فقد المال، على ما بين تعالى بقوله: ﴿لَيْسَ عَلَى الضَّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى﴾، إلى أن قال: ﴿إِنَّمَا السَّبِيلَ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُكَ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ﴾.

٥ - وكذلك قوله تعالى: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلاً أَنْ يَنْصَحَ الْمُخَصَّنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ﴾. والمراد استطاعة الآلات والأسباب.

٦ - ومن ذلك قوله ﷺ لعمران بن حصين: "صل قائماً، فإن لم تستطع فقاعداً، فإن لم تستطع فعلى جنب". وإنما نفى استطاعة الفعل معها.

س ٨٠٥: ما دليل ثبوت الاستطاعة التي هي حقيقة الفعل؟

ج: دليل ثبوت الاستطاعة التي هي حقيقة القدرة، فقد ذكروا فيها قوله تعالى: ﴿مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ﴾. والمراد نفى حقيقة القدرة، لا نفى الأسباب والآلات، لأنها كانت ثابتة. وسيأتي لذلك زيادة بيان عند قوله: "ولا يطيقون إلا ما كلفهم" إن شاء الله تعالى، وكذا قول صاحب موسى: ﴿إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾. وقوله: ﴿أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾. والمراد منه حقيقة قدرة الصبر، لا أسباب الصبر وآلاته، فإن تلك كانت ثابتة له، ألا ترى أنه عاتبه على ذلك. ولا يلام من عدم آلات الفعل وأسبابه على عدم الفعل، وإنما يلام من امتنع منه الفعل لتضييعه قدرة الفعل، لاشتغاله بغير ما أمر به أو شغله إياها بضد ما أمر به، ومن قال: إن القدرة لا تكون إلا حين الفعل، يقولون: إن القدرة لا تصلح للضدين، فإن القدرة المقارنه للفعل لا تصلح إلا لذلك الفعل، وهي مستلزمة له، لا توجد بدونه.

س ٨٠٦: ما قول القدرية في إقدار الله للمؤمن في فعل الطاعة؟ وبماذا يرد عليهم؟

ج: ما قالته القدرية بناء على أصلهم الفاسد وهو إقدار الله للمؤمن والكافر، والبر والفاجر، سواء، فلا يقولون: إن الله خص المؤمن المطيع بإعانة حصل بها الإيمان، بل هذا بنفسه رجح الطاعة، وهذا بنفسه رجح

المعصية! كالوالد الذي أعطى كل واحدٍ من بنيه سيفاً، فهذا جاهد به في سبيل الله، وهذا قطع به الطريق.

وهذا القول فاسد باتفاق أهل السنة والجماعة المثبتين للقدر، فإنهم متفقون على أن لله على عبده المطيع نعمة دينية، خصه بها دون الكافر، وأنه أعانه على الطاعة إعانة لم يعن بها الكافر، كما قال تعالى: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ﴾ فالقدريّة يقولون: هذا التحبيب والتزيين عام في كل الخلق، وهو بمعنى البيان وإظهار دلائل الحق، والآية تقتضي أن هذا خاص بالمؤمن، ولهذا قال: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ﴾. والكفار ليسوا راشدين، وقال تعالى: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرْمًا كَأَنَّمَا يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

وأمثال هذا في القرآن كثير، يبين أنه سبحانه هدى هذا وأضل هذا. قال تعالى: ﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِّ فَلَنْ يَحْدِلَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا﴾. وسيأتي لهذه المسألة زيادة بيان إن شاء الله تعالى.

وأيضاً فقول القائل: يُرَجِّحُ بلا مُرَجِّح. إن كان لقوله: يرجح معنى زائد على الفعل، فذاك هو السبب المرجح، وإن لم يكن له معنى زائد، كان حال الفعل قبل وجود الفعل كحاله عند الفعل، ثم الفعل حصل في إحدى الحالتين دون الأخرى بلا مرجح! وهذا مكابرة للعقل!! فلما كان أصل قول القدريّة: إن فاعل الطاعات وتاركها كلاهما في الإعانة والإقدار سواء امتنع على أصلهم أن يكون مع الفعل قدرة تخصّه؛ لأن القدرة التي تخص الفعل لا تكون للترك، وإنما تكون للفاعل، ولا تكون القدرة إلا من الله تعالى، وهم لما رأوا أن القدرة لا بد أن تكون قبل الفعل، قالوا: لا تكون مع الفعل؛ لأن القدرة هي التي يكون بها الفعل والترك، وحال وجود الفعل يمتنع الترك، فلماذا قالوا: القدرة لا تكون إلا قبل الفعل! وهذا باطل قطعاً، فإن وجود الأمر مع عدم بعض شروطه الوجودية ممتنع، بل لا بد أن يكون جميع ما يتوقف عليه الفعل من الأمور الوجودية موجوداً عند الفعل، فنقيض قولهم حق، وهو: أن الفعل لا بد أن يكون معه قدرة.

س ٨٠٧: تقول القدرية بأن التزيين المراد به في الآية: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾. أنه عام لكل الخلق، وهو بمعنى البيان وإظهار دلائل الحق! فكيف ترد عليهم؟.

ج: قال تعالى: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ﴾ والقدرية يقولون: هذا التحبيب والتزيين عام في كل الخلق، وهو بمعنى البيان وإظهار دلائل الحق، والآية تقتضي أن هذا خاص بالمؤمن، ولهذا قال: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ﴾. والكفار ليسوا راشدين، وقال تعالى: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

وأمثال هذا في القرآن كثير، يبين أنه سبحانه هدى هذا وأضل هذا. قال تعالى: ﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِّ فَلَنْ تَحِدَ لَهُ وَلِئَا مُرْشِدًا﴾. وسيأتي لهذه المسألة زيادة بيان إن شاء الله تعالى.

س ٨٠٨: كم أنواع القدرة؟ وبأيها يتعلق الأمر والنهي؟.

ج: (قلت): الاستطاعة نوعان:

١ - مقدمة صالحة للضدين.

٢ - ومقارنة لا تكون إلا مع الفعل، فتلك هي المصححة للفعل المجوزة له، وهذه هي الموجبة للفعل المحققة له.

قال الشارح: القدرة نوعان كما تقدم: نوع مصحح للفعل، يمكن معه الفعل والترك، وهذه هي التي يتعلق بها الفعل والترك، وهذه تحصل للمطيع والعاصي، وتكون قبل الفعل، وهذه تبقى إلى حين الفعل، إما بنفسها عند من يقول ببقاء الأعراض، وإما بتجدد أمثالها عند من يقول: إن الأعراض لا تبقى زمانين، وهذه قد تصلح للضدين، وأمر الله مشروط بهذه الطاقة، فلا يكلف الله من ليس معه هذه الطاقة، وضد هذه العجز كما تقدم.

وأيضاً فالاستطاعة المشروطة في الشرع أخص من الاستطاعة التي يمتنع الفعل مع عدمها، فإن الاستطاعة الشرعية قد تكون ما يتصور الفعل مع عدمها، فإن الاستطاعة الشرعية قد تكون ما يتصور الفعل مع عدمها وإن لم

يعجز عنه، فالشارع ييسر على عباده، ويريد بهم اليسر ولا يريد بهم العسر، وما جعل عليكم في الدين من حرج، والمريض قد يستطيع القيام مع زيادة المرض وتأخر برئه، فهذا في الشرع غير مستطیع؛ لأجل حصول الضرر عليه، وإن كان يسمى مستطیعاً، فالشارع لا ينظر في الاستطاعة الشرعية إلى مجرد إمكان الفعل، بل ينظر إلى لوازم ذلك، فإن كان الفعل ممكناً مع المفسدة الراجعة، لم تكن هذه استطاعة شرعية، كالذي يقدر على الحج مع ضرر يلحق به في بدنه أو ماله، أو يصلي قائماً مع زيادة مرضه، أو يصوم الشهرين مع انقطاعه عن معيشته، ونحو ذلك. فإذا كان الشارع قد اعتبر في المكنة عدم المفسدة الراجعة، فكيف يُكلف مع العجز؟!.

ولكن هذه الاستطاعة - مع بقائها إلى حين الفعل - لا تكفي في وجود الفعل، ولو كانت كافية، لكان التارك كالفاعل، بل لا بد من إحداث إعانة أخرى تُقَارِن، مثل جعل الفاعل مريداً، فإن الفعل لا يتم إلا بقدرة وإرادة، والاستطاعة المقارنة يدخل فيها الإرادة الجازمة بخلاف المشروطة في التكليف، فإنه لا يشترط فيها الإرادة، فالله تعالى يأمر بالفعل من لا يريده، لكن لا يأمر به من لو أراده، لعجز عنه. وهكذا أمر الناس بعضهم لبعض، فإن الإنسان يأمر عبده بما لا يريده العبد، لكن لا يأمره بما يعجز عنه العبد، وإذا اجتمعت الإرادة الجازمة والقوة التامة، لزم وجود الفعل، وعلى هذا ينبنى تكليف ما لا يطاق، فإن من قال: القدرة لا تكون إلا مع الفعل، يقول: كل كافر وفاسق قد كُلف ما لا يطيق، وما لا يطاق يفسر بشيئين:

بما لا يطاق للعجز عنه، فهذا لم يكلفه الله أحداً.

ويفسر بما لا يطاق للاشتغال بضده، فهذا هو الذي وقع فيه التكليف، كما في أمر العباد بعضهم بعضاً، فإنهم يفرقون بين هذا وهذا، فلا يأمر السيد عبده بنقط المصحف!، ويأمره إذا كان قاعداً أن يقوم، ويعلم الفرق بين الأمرين بالضرورة.

(س ٨٠٩) ذُكِرَ آنفاً أن الاستطاعة (القدرة) نوعان: متقدمة صالحة للضدين، ومقارنة لا تكون إلا مع الفعل. استدل لكل نوع منها بدليلين شرعيين؟.

(ج:) الدليل على النوع الأول، المتقدمة الصالحة للضدين:

١ - قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ .

٢ - وقال تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ .

الدليل على النوع الثاني، المقارنة الموجبة للفعل المحققة له:

١ - قوله تعالى: ﴿مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ﴾ .

٢ - وقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ

سَمْعًا﴾ (١١).

(س ٨١٠) (الفعل ممكن مع المفسدة الراجعة)، مثل لهذا القول، وهل

يمكن الفعل مع المفسدة الراجعة؟ وهل تكون هذه استطاعة شرعية؟.

(ج:) نعم يمكن أن يكون الفعل ممكناً مع المفسدة الراجعة، فإن كان الفعل ممكناً مع المفسدة الراجعة، لم تكن هذه استطاعة شرعية، كالذي يقدر على الحج مع ضرر يلحق به في بدنه أو ماله، أو يصلي قائماً مع زيادة مرضه، أو يصوم الشهرين مع انقطاعه عن معيشته، ونحو ذلك. فإذا كان الشارع قد اعتبر في المكنة عدم المفسدة الراجعة، فكيف يُكَلَّف مع العجز؟!.

(س ٨١١) ذكر آنفاً أن الاستطاعة نوعان، ولكل واحد منهما أدلة شرعية، فأي النوعين الشرعي والكوني؟.

(ج:) الأولى: هي الشرعية التي هي مناط الأمر والنهي والثواب والعقاب، وعليها يتكلم الفقهاء، وهي الغالبة في عرف الناس.

والثانية: هي الكونية التي هي مناط القضاء والقدر، وبها يتحقق وجود الفعل.

(س ٨١٢) قال بعض الناس إن القدرة والاستطاعة لا تكون إلا مع الفعل، فرد عليهم بثلاثة ردود شرعية، ورد عقلي واحد؟.

(ج:) الرد الشرعي على أن القدرة التي من جهة الصحة والوسع، والتمكن وسلامة الآلات، قد تتقدم الأفعال، وهذه القدرة المذكورة في:

١ - قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ .
فأوجب الحج على المستطيع، فلو لم يستطع إلا من حج، لم يكن الحج!
وهذا خلاف المعلوم بالضرورة من دين الإسلام.

٢ - وكذلك قوله تعالى: ﴿فَأَقْضُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ . فأوجب التقوى بحسب الاستطاعة، فلو كان من لم يتق الله لم يستطع التقوى، لم يكن قد أوجب التقوى إلا على من اتقى، ولم يعاقب من لم يتق! وهذا معلوم الفساد.
٣ - وكذا قوله تعالى: ﴿فَمَنْ لَّمْ يَسْتَطِعْ فَاِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا﴾ . والمراد منه استطاعة الأسباب والآلات.

٤ - وكذا ما حكاه سبحانه من قول المنافقين: ﴿لَوْ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ﴾ . وكذبهم في ذلك القول، ولو كانوا أرادوا الاستطاعة التي هي حقيقة قدرة الفعل، ما كانوا بنفيهم عن أنفسهم كاذبين، وحيث كذبهم دل أنهم أرادوا بذلك المرض، أو فقد المال، على ما بين تعالى بقوله: ﴿لَيْسَ عَلَى الضَّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى﴾ ، إلى أن قال: ﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ﴾ .

٥ - وكذلك قوله تعالى: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا أَنْ يَنْكَحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ﴾ . والمراد استطاعة الآلات والأسباب.

أما الرد العقلي: فإن من قال: القدرة لا تكون إلا مع الفعل، يقول: كل كافر وفاسق قد كُلف ما لا يطيق، وما لا يطاق يفسر بشيئين: بما لا يطاق للعجز عنه، فهذا لم يكلفه الله أحداً.

ويفسر بما لا يطاق للاشتغال بضده، فهذا هو الذي وقع فيه التكليف، كما أمر العباد بعضهم بعضاً، فإنهم يفرقون بين هذا وهذا، فلا يأمر السيد عبده بنقط المصحف!، ويأمره إذا كان قاعداً أن يقوم، ويعلم الفرق بين الأمرين بالضرورة.



الفصل التاسع والعشرون

خلق أفعال العباد

خلق أفعال العباد

(س ٨١٣) ما قول أهل البدع في أفعال العباد الاختيارية؟

(ج) زعمت الجبرية - رئيسهم الجهم بن صفوان الترمذي - أن التدبير في أفعال الخلق كلها لله تعالى، وهي كلها اضطرارية، كحركات المرتعش، والعروق النابضة، وحركات الأشجار، وإضافتها إلى الخلق مجاز! وهي على حسب ما يضاف الشيء إلى محله دون ما يضاف إلى مُحصّله!

وقابلتهم المعتزلة، فقالوا: إن جميع الأفعال الاختيارية من جميع الحيوانات بخلقها، لا تعلق لها بخلق الله تعالى! واختلفوا فيها بينهم: أن الله تعالى يقدر على أفعال العباد أم لا؟!.

(س ٨١٤) ما قول أهل الحق في أفعال العباد الاختيارية؟

(ج) قال أهل الحق: أفعال العباد بها صاروا مطيعين وعصاة، وهي مخلوقة لله تعالى، والحق سبحانه وتعالى منفرد بخلق المخلوقات، لا خالق لها سواه.

١ - فالجبرية غلوا في إثبات القدر، فنفوا صنع العبد أصلاً، كما غلت المشبهة في إثبات الصفات، فشبهوا.

٢ - والقدرية نفاة القدر جعلوا العباد خالقين مع الله تعالى، ولهذا كانوا مجوس هذه الأمة، بل أردأ من المجوس، من حيث إن المجوس أثبتت خَالِقَيْن، وهم أثبتوا خَالِقَيْن!!.

وهدى الله المؤمنين أهل السنة لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه، والله يهدي من يشاء إلى صراطٍ مستقيم. فكل دليل صحيح يقيمه الجبري، فإنما يدل على أن الله خالق كل شيء، وأنه على كل شيء قدير، وأن أفعال العباد من جملة مخلوقاته، وأنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، ولا يدل على أن العبد ليس بفاعل في الحقيقة ولا مريد ولا مختار، وأن حركاته الاختيارية بمنزلة حركة المرتعش، وهبوب الرياح، وحركات الأشجار.

(س ٨١٥): هل يستفاد من قول أهل البدع الجبرية والقدرية في إثبات المعتقد الحق في أفعال العباد؟.

(ج): قال ابن أبي العز يرحمه الله: وكل دليل صحيح يقيمه القدري، فإنما يدل على أن العبد فاعل لفعله حقيقة، وأنه مريد له مختار له حقيقة، وأن إضافته ونسبته إليه إضافة حق، ولا يدل على أنه غير مقدور لله تعالى، وأنه واقع بغير مشيئته وقدرته.

فإذا ضمنت ما مع كل طائفة إلى الأخرى، فإنما يدل ذلك على ما دل عليه القرآن وسائر كتب الله المنزلة، من عموم قدرة الله ومشيئته لجميع ما في الكون من الأعيان والأفعال، وأن العباد فاعلون لأفعالهم حقيقة، وأنهم يستوجبون عليها المدح والذم.

وهذا هو الواقع في نفس الأمر، فإن أدلة الحق لا تتعارض، والحق يصدق بعضه بعضاً. ويضيق هذا المختصر عن ذكر أدلة الفريقين، ولكنها تتكافأ وتتساقط ويستفاد من دليل كل فريق بطلان قول الآخرين.

(س ٨١٦): من الذي استدل بقوله تعالى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ﴾ وما وجه استدلاله؟ وهل وافق الحق؟.

(ج): هذا الدليل وهو قوله تعالى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ﴾ مما استدلت به الجبرية على إثبات القدر والغلو في إثباته، ونفي صنع العبد أصلاً، قالوا: فنفي الله عن نبيه الرمي، وأثبتة لنفسه سبحانه، فدل على أنه لا صنع للعبد.

فيقال: هذا دليل عليهم؛ لأنه تعالى أثبت لرسوله ﷺ رمياً بقوله: ﴿إِذْ

رَمَيْتَ ﴿﴾، فعلم أن المثبت غير المنفي، وذلك أن الرمي له ابتداء وانتهاء، فابتدأه الحذف، وانتهأه الإصابة، وكل منها يسمى رمياً، فالمعنى حينئذٍ - والله أعلم -: وما أصبت إذ حذفت، ولكن الله أصاب، وإلا فطرذ قولهم: وما صليت إذ صليت، ولكن الله صلى! وما صمت إذ صمت! وما زنت إذ زنت وما سرقت إذ سرقت! وفساد هذا ظاهر.

س ٨١٧: من الذي استدل بقوله ﷺ: "لن يدخل أحد الجنة بعمله". الحديث، وما وجه استدلاله؟ وهل وافق الحق؟.

ج: قال الشارح: وأما ترتيب الجزاء على الأعمال، فقد ضلت فيه الجبرية والقدرية، وهدى الله أهل السنة، وله الحمد والمئة، فإن الباء التي في النفي غير الباء التي في الإثبات، فالمنفي في قوله ﷺ: "لن يدخل أحد الجنة بعمله" باء العوض، وهو أن يكون العمل كالثمن لدخول الرجل إلى الجنة.

(قلت): ووجه استدلال الجبرية بالحديث أن الجزاء غير مرتب على الأعمال بدليل قوله ﷺ: لا شك أن هذا مخالف للحق، كما ورد في كلام الشارح وكما ورد في تكملة الحديث "لن يدخل أحد الجنة بعمله"، قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: "ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته منه وفضل".

س ٨١٨: من الذي استدل بقوله تعالى: ﴿جَزَاءٌ يَمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ﴿وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا يَمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾؟.

ج: استدلت به المعتزلة، وزعمت أن العامل يستحق دخول الجنة على ربه بعمله!! بل ذلك برحمة الله وفضله. والباء التي في قوله تعالى: ﴿جَزَاءٌ يَمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾. ونحوها باء السبب، أي: بسبب عملكم، والله تعالى هو خالق الأسباب والمسببات، فرجع الكل إلى محض فضل الله ورحمته.

س ٨١٩: استدلت المعتزلة على أن أفعال العباد ليست مخلوقة لله تعالى، وأنهم يخلقون أفعالهم بدليل، فما هذا الدليل؟ وبماذا يرد عليهم؟.

﴿ج﴾ استدلت المعتزلة بقوله تعالى: ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾. فمعنى الآية أحسن المصورين المقدرين، والخلق يذكر ويراد به التقدير، وهو المراد هنا، بدليل قوله تعالى: ﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾. أي: الله خالق كل شيء مخلوق، فدخلت أفعال العباد في عموم "كل" وما أفسد قولهم في إدخال كلام الله تعالى في عموم "كل" الذي هو صفة من صفاته، يستحيل عليه أن يكون مخلوقاً! وأخرجوا أفعالهم التي هي مخلوقة؟! فذاته المقدسة وصفاته غير داخلة في هذا العموم، ودخل سائر المخلوقات في عمومها، وكذا قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ (٤٦). ولا نقول: إن "ما" مصدرية، أي: خلقكم وعملكم؛ إذ سياق الآية يأباه؛ لأن إبراهيم عليه السلام إنما أنكر عليهم عبادة المنحوت، لا النحت، والآية تدل على أن المنحوت مخلوق لله تعالى، وهو ما صار منحوتاً إلا بفعلهم، فيكون ما هو من آثار فعلهم مخلوقاً لله تعالى، ولو لم يكن النحت مخلوقاً لله تعالى، لم يكن المنحوت مخلوقاً له، بل الخشب أو الحجر لا غير.

﴿س ٨٢٠﴾ ذكر الشارح قولين أحدهما: لأبي الحسن البصري، إمام المتأخرين من المعتزلة، والثاني للرازي. اذكر القولين، وبم يرد عليهما؟.

﴿ج﴾ * ذكر أبو الحسن البصري إمام المتأخرين من المعتزلة: أن العلم بأن العبد يحدث فعله ضروري.

* وذكر الرازي أن افتقار الفعل المحدث الممكن إلى مرجح يجب وجوده عنده، ويمتنع عند عدمه ضروري.

وكلاهما صادق فيما ذكره من العلم الضروري، ثم ادعاء كل منهما أن هذا العلم الضروري يبطل ما ادعاه الآخر من الضرورة، غير مسلم، بل كلاهما صادق فيما ادعاه من العلم الضروري، وإنما وقع غلطه في إنكاره ما مع الآخر من الحق، فإنه لا منافاة بين كون العبد محدثاً لفعله وكون هذا الإحداث وجب وجوده بمشيئة الله تعالى، كما قال تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا﴾ (٧) ﴿فَالْهَمَّهَا جُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ (٨). فقلوه: ﴿فَالْهَمَّهَا جُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ (٨).

إثبات للقدر بقوله: ﴿فَالْمَمَّهَا﴾، وإثبات لفعل العبد بإضافة الفجور والتقوى إلى نفسه، ليعلم أنها هي الفاجرة والمتقية، وقوله بعد ذلك: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّهَا﴾ (٩) وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّهَا (١٠). إثبات أيضاً لفعل العبد، ونظائر ذلك كثيرة.

(س ٨٢١): إن قال قائل: كيف يستقيم الحكم على قولكم بأن الله يعذب المكلفين على ذنوبهم وهو خلقها فيهم؟ فأين العدل في تعذيبهم على ذنوبهم وهو خلقها فيهم؟ فكيف الجواب على هذه الشبهة؟.

(ج): قال الشارح: وهذه شبهة أخرى من شبه القوم التي فرقته، بل مزقتهم كل ممزق، وهي أنهم قالوا: كيف يستقيم الحكم على قولكم بأن الله يعذب المكلفين على ذنوبهم وهو خلقها فيهم؟ فأين العدل في تعذيبهم على ما هو خالقه فيهم؟ وهذا السؤال لم يزل مطروقاً في العالم على ألسنة الناس، وكل منهم يتكلم في جوابه بحسب علمه ومعرفته، وعنه تفرقت بهم الطرق:

فطائفة أخرجت أفعالهم عن قدرة الله تعالى.

وطائفة أنكر الحُكْمَ والتعليل، وسدت باب السؤال.

وطائفة أثبتت كسباً لا يعقل! جعلت الثواب والعقاب عليه.

وطائفة التزمت لأجله وقوع مقدور بين قادرين، ومفعول بين فاعلين!.

وطائفة التزمت الجبر، وأن الله يعذبهم على ما لا يقدرون عليه!.

وهذا السؤال هو الذي أوجب التفرق والاختلاف.

والجواب الصحيح عنه، أن يقال: إن ما يبتلى به العبد من الذنوب الوجودية، إن كانت خلقاً لله تعالى، فهي عقوبة على ذنوب قبلها، فالذنب يكسب الذنب، وعقاب السيئة السيئة بعدها، فالذنوب كالأمراض التي يورث بعضها بعضاً.

يبقى أن يقال: فالكلام في الذنب الأول الجالب لما بعده من الذنوب. يقال: هو عقوبة أيضاً على عدم فعل ما خلق له، وفُطِرَ عليه، فإن الله سبحانه خلقه لعبادته وحده لا شريك له، وفطره على محبته، وتألهه، والإنابة إليه، كما قال تعالى: ﴿فَأَقْمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ

عَلَيْهَا ﴿. فلما لم يفعل ما خلق له وفُطِر عليه من محبة الله وعبوديته والإنابة إليه، عوقب على ذلك بأن زين له الشيطان ما يفعله من الشرك والمعاصي، فإنه صادف قلباً خالياً قابلاً للخير والشر، ولو كان فيه الخير الذي يمنع ضده لم يتمكن منه الشر، كما قال تعالى: ﴿كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾. وقال إبليس: ﴿فِعْرَنِكَ لَأَعُوْثَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (٨٢) إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ (٨٣). وقال الله ﷻ: ﴿هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ﴾ (٤١) إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ ﴿. والإخلاص: خلوص القلب من تأله سوى الله تعالى وإرادته ومحبه، فخلص لله، فلم يتمكن منه الشيطان. وأما إذا صادفه فارغاً من ذلك، تمكن منه بحسب فراغه، فيكون جعله مذنباً مسيئاً في هذه الحال عقوبة له على عدم الإخلاص، وهي محض العدل.

فإن قلت: فذلك العدم من خلقه فيه؟.

قيل: هذا سؤال فاسد؛ فإن العدم كاسمه، لا يفتقر إلى تعلق التكوين والإحداث به، فإن عدم الفعل ليس أمراً وجودياً حتى يضاف إلى الفاعل، بل هو شر محض، والشر ليس إلى الله سبحانه، كما قال ﷻ في حديث الاستفتاح: "لبيك وسعديك، والخير كله بيدك، والشر ليس إليك". وكذا في حديث الشفاعة يوم القيامة، حين يقول له الله: يا محمد، فيقول: "لبيك وسعديك، والخير في يدك، والشر ليس إليك".

وقد أخبر الله تعالى أن تسليط الشياطين إنما هو على الذين يتولونه والذين هم به مشركون، فلما تولوه دون الله وأشركوا به معه، عوقبوا على ذلك بتسليطه عليهم، وكانت هذه الولاية والإشراك عقوبة خلو القلب وفراغه من الإخلاص، فإلهامه البر والتقوى ثمرة هذا الإخلاص ونتيجته، وإلهام الفجور عقوبة على خلوه من الإخلاص.

فإن قلت: إن كان هذا الترك أمراً وجودياً، عاد السؤال جذعاً، وإن كان أمراً عديمياً، فكيف يُعاقَبُ على العدم المحض؟.

قيل: ليس هنا ترك هو كف النفس ومنعها عما تريده وتحبه، فهذا قد يقال: إنه أمر وجودي، وإنما هنا عدم وخلو من أسباب الخير، وهذا العدم هو محض

خلوها مما هو أنفع شيء لها، والعقوبة على الأمر العدمي هي بفعل السيئات، لا بالعقوبات التي تناله بعد إقامة الحجة عليه بالرسول. فله فيه عقوبتان:

إحداهما: جعله مذنباً خاطئاً، وهذه عقوبة عدم إخلاصه وإنابته وإقباله على الله، وهذه العقوبة قد لا يحس بآلمها ومضرتها لموافقتها شهوته وإرادته، وهي في الحقيقة من أعظم العقوبات.

والثانية: العقوبات المؤلمة بعد فعله للسيئات، وقد قرن الله تعالى بين هاتين العقوبتين في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا دَسُّوا مَا دُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ﴾. فهذه العقوبة الأولى، ثم قال: ﴿حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً﴾. فهذه العقوبة الثانية.

فإن قيل: فهل كان يمكنهم أن يأتوا بالإخلاص والإنابة والمحبة له وحده من غير أن يخلق ذلك في قلوبهم، ويجعلهم مخلصين له، منييين إليه، محبين له وحده؟ أم ذلك محض جعله في قلوبهم وإلقائه فيها؟.

قيل: لا بل هو محض منته وفضله، وهو أعظم من الخير الذي هو بيده، والخير كله في يديه، ولا يقدر أحد أن يأخذ من الخير إلا ما أعطاه. ولا يتقي من الشر إلا ما وقاه.

فإن قيل: فإذا لم يُخلق ذلك في قلوبهم، ولم يوفقوا له، ولا سبيل لهم إليه بأنفسهم، عاد السؤال، وكان منعهم منه ظلماً، ولزمكم القول: بأن العدل هو تصرف المالك في ملكه بما يشاء، لا يسأل عما يفعل وهم يسألون.

قيل: لا يكون سبحانه بمنعهم من ذلك ظالماً، وإنما يكون المانع ظالماً إذا منع غيره حقاً لذلك الغير عليه، وهذا هو الذي حرّمه الرب على نفسه، وأوجب على نفسه خلافه، وأما إذا منع غيره ما ليس بحق له، بل هو محض فضله ومنته عليه، لم يكن ظالماً بمنعه، فمنع الحق ظلم، ومنع الفضل والإحسان عدل، وهو سبحانه العدل في منعه، كما هو المحسن المثلان بعطائه.

فإن قيل : فإذا كان العطاء والتوفيق إحساناً ورحمة ، فهلا كان العمل له والغلبة ، كما أن رحمته تغلب غضبه؟ .

قيل : المقصود في هذا المقام بيان أن العقوبة المترتبة على هذا المنع ، والمنع المستلزم للعقوبة ، ليس بظلم ، بل هو محض العدل .

وهذا سؤال عن الحكمة التي أوجبت تقديم العدل على الفضل في بعض المحال؟ وهلا سوى بين العباد في الفضل؟ وهذا السؤال حاصله : لم تفضل على هذا ولم يتفضل على الآخر؟ وقد تولى الله سبحانه الجواب عنه بقوله : ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ . وقوله : ﴿إِنَّمَا يَعْلَمُ أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّنْ فَضْلِ اللَّهِ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ (٢٩) . ولما سأله اليهود والنصارى عن تخصيص هذه الأمة بأجرين وإعطائهم هم أجراً قال : "هل ظلمتكم من حقكم شيئاً؟ قالوا : لا . قال : فذلك فضلي أوتيته من أشياء " ، وليس في الحكمة اطلاع كل فرد من أفراد الناس على كمال حكمته في عطائه ومنعه ، بل إذا كشف الله عن بصيرة العبد ، حتى أبصر طرفاً يسيراً من حكمته في خلقه ، وأمره وثوابه وعقابه ، وتخصيصه وحرمانه ، وتأمل أحوال محال ذلك ، استدل بما علمه على ما لم يعلمه .

ولما استشكل أعداؤه المشركون هذا التخصيص ، قالوا : ﴿أَهْتُولَاءَ مَنَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِّنْ بَيْنِنًا﴾ ؟ قال تعالى مجيباً لهم : ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ﴾ . فتأمل هذا الجواب ، ترّ في ضمنه أنه سبحانه أعلم بالمحل الذي يصلح لغرس شجرة النعمة ، فتثمر بالشكر من المحل الذي لا يصلح لغرسها ، فلو غرس فيه لم تثمر ، فكان غرسها هناك ضائعاً لا يليق بالحكمة ، كما قال تعالى : ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ .

(س ٨٢٢) : إن قال المعتزلي : إذا حكمتم باستحالة الإيجاد من العبد ، فلا فعل للعبد أصلاً ، فبم يجب؟ .

(ج ٣) : إن قيل : إذا حكمتم باستحالة الإيجاد من العبد ، فإذا لا فعل للعبد أصلاً؟ .

قيل: العبد فاعل لفعله حقيقة، وله قدرة حقيقة، قال تعالى: ﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ﴾ ﴿فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾. وأمثال ذلك.

(س ٨٢٣) ثبت أن العبد فاعل حقيقة، وأن أفعاله نوعان، فما هما؟.

(ج) إذا ثبت كون العبد فاعلاً، فأفعاله نوعان:

١ - نوع منه يكون من غير اقتران قدرته وإرادته، فيكون صفةً له، ولا يكون فعلاً، كحركات المرتعش.

٢ - ونوع يكون منه مقارناً لإيجاد قدرته واختياره، فيوصف بكونه صفةً وفعلاً وكسباً للعبد، كالحركات الاختيارية.

والله تعالى هو الذي جعل العبد فاعلاً مختاراً، وهو الذي يقدر على ذلك وحده لا شريك له. ولهذا أنكر السلف الجبر، فإن الجبر لا يكون إلا من عاجز، فلا يكون إلا مع الإكراه، يقال: للأب ولاية إجبار البكر الصغيرة على النكاح، وليس له إجبار الثيب البالغ، أي: ليس له أن يزوجه مكرهه.

(س ٨٢٤) ذكر الشارح أن أفعال العباد نوعان: نوع يكون منه من غير اقتران قدرته

وإرادته، ونوع يكون مقارناً لإيجاد قدرته واختياره، فيكون صفة وفعلاً وكسباً للعبد، فهل يوصف الله تعالى بالإجبار، لهذا النوع الثاني؟.

(ج) الله تعالى لا يوصف بالإجبار بهذا الاعتبار، لأنه سبحانه خالق الإرادة والمراد، قادرٌ على أن يجعله مختاراً بخلاف غيره، ولهذا جاء في ألفاظ الشارع: "الجَبَل" دون "الجبر"، كما قال ﷺ لأشج عبد القيس: "إن فيك خصلتين يحبهما الله: الحلم والأناة" فقال: أخلقين تخلقت بهما؟ أم خلقين جُبلت عليهما؟ فقال: "بل خلقين جُبلت عليهما" فقال: الحمد لله الذي جبلني على خلقين يحبهما الله ورسوله. والله تعالى إنما يعذب عبده على فعله الاختياري، والفرق بين العقاب على الفعل الاختياري وغير الاختياري مستقر في الفطر والعقول.

(س ٨٢٥) إن قال المعتزلي منكرًا خلق أفعال العباد: إن خلق الفعل مع

العقوبة عليه ظلم. فماذا يجاب؟.

(ج) إذا قيل: خلق الفعل مع العقوبة عليه ظلم؟! كان بمنزلة أن يقال: خلق أكل السم، ثم حصول الموت به ظلم!! فكما أن هذا سبب للموت، فهذا سبب للعقوبة، ولا ظلم فيها.

فالحاصل: أن فعل العبد فعل له حقيقة، ولكنه مخلوق لله تعالى، ومفعول لله تعالى، ليس هو نفس فعل الله، ففرق بين الفعل والمفعول، والخلق والمخلوق، وإلى هذا المعنى أشار الشيخ رحمه الله تعالى بقوله: "وأفعال العباد خلق الله وكسب من العباد" أثبت للعبد فعلاً وكسباً، وأضاف الخلق إلى الله تعالى.

س ٨٢٦: ما معنى قول الطحاوي عن أفعال العباد وكونها مخلوقة لله تعالى: "... وكسب من العباد"؟

(ج) معنى قول الطحاوي: "وكسب من العباد"، الكسب: هو الفعل الذي يعود على فاعله منه نفع أو ضرر، كما قال تعالى: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾.

س ٨٢٧: هل يكلف الله عباده ما لا يطيقون؟

(ج) لا يكلف الله عباده بما لا يطيقون، قال الطحاوي: "ولم يكلفهم الله تعالى إلا ما يطيقون" قال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ ﴿لَا تُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾.

س ٨٢٨: من الذي نقل عنه أنه قال: إن تكليف ما لا يطاق جائز عقلاً؟

(ج) نقل هذا عن أبي الحسن الأشعري، أن تكليف ما لا يطاق جائز عقلاً، ثم تردد أصحابه أنه: هل ورد به الشرع أم لا؟ واحتج من قال بوروده بأمر أبي لهب بالإيمان فإنه أخبر بأنه لا يؤمن، وأنه سيصلى ناراً ذات لهب، فكان مأموراً بأن يؤمن أنه لا يؤمن، وهذا تكليف بالجمع بين الضدين، وهو محال.

س ٨٢٩: يستدل من يقول بأن تكليف ما لا يطاق به جائز عقلاً وشرعاً،

ويستدل على الشرعي بأمر أبي لهب بالإيمان، وأنه تعالى أخبر بأنه لا يؤمن، وأنه سيصلى ناراً ذات لهب، فكان مأموراً بأنه لا يؤمن، وهذا تكليف بالجمع بين الضدين، فكيف يجاب عن هذا؟

(ج) قال الشارح: الجواب عن هذا بالمنع، فلا نسلم أنه مأمور بأن يؤمن بأنه لا يؤمن، والاستطاعة التي بها يقدر على الإيمان كانت حاصلة، فهو غير عاجز عن تحصيل الإيمان، فما كلف إلا ما يطيقه كما تقدم في تفسير الاستطاعة. ولا يلزم قوله تعالى: ﴿أَتُبُونِي بِأَسْمَاءَ هَؤُلَاءِ﴾. مع عدم علمهم بذلك، ولا للمصورين يوم القيامة: "أحيوا ما خلقتم"، وأمثال ذلك، لأنه ليس بتكليف طلب فعل يثاب فاعله، ويعاقب تاركه، بل هو خطاب تعجيز.

وكذا لا يلزم دعاء المؤمنين في قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾. لأن تحميل ما لا يطاق ليس تكليفاً، بل يجوز أن يحمله جبلاً لا يطيقه فيموت. وقال ابن الأنباري: أي: لا تحملنا ما يثقل علينا أداؤه وإن كنا مطيقين له على تجشم وتحمل مكروهه، قال: فخطب العرب على حسب ما تعقل، فإن الرجل منهم يقول للرجل يبغيضه: ما أطيق النظر إليك، وهو مطيق لذلك، لكنه يثقل عليه، ولا يجوز في الحكمة أن يكلفه بحمل جبل بحيث لو فعل يثاب، ولو امتنع يعاقب، كما أخبر سبحانه عن نفسه، أنه لا يكلف نفساً إلا وسعها.

(س ٨٣٠): هل يجوز تكليف الممتنع عادة؟.

(ج) منهم من يقول: يجوز تكليف الممتنع عادةً، دون الممتنع لذاته، لأن ذلك لا يتصور وجوده، فلا يعقل الأمر به، بخلاف هذا.

ومنهم من يقول: ما لا يطاق للعجز عنه لا يجوز تكليفه، بخلاف ما لا يطاق للاشتغال بضده، فإنه يجوز تكليفه. وهؤلاء موافقون للسلف والأئمة في المعنى، لكن كونهم جعلوا ما يتركه العبد لا يطاق لكونه تاركاً له مشغلاً بضده، بدعة في الشرع واللغة، فإن مضمونه أن فعل ما لا يفعله العبد لا يطيقه!.

وهم التزموا هذا، لقولهم: إن الطاقة - التي هي الاستطاعة وهي القدرة - لا تكون إلا مع الفعل! فقالوا: كل من لم يفعل فعلاً، فإنه لا يطيقه! وهذا خلاف الكتاب والسنة وإجماع السلف، وخلاف ما عليه عامة العقلاء، كما تقدمت الإشارة إليه عند ذكر الاستطاعة.

وأما ما لا يكون إلا مقارناً للفعل، فذاك ليس شرطاً في التكليف، مع

أنه في الحقيقة إنما هناك إرادة الفعل . وقد يحتجون بقوله تعالى : ﴿ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ ﴾ ﴿ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴾ . وليس في ذلك إرادة ما سموه استطاعة ، وهو ما لا يكون إلا مع الفعل ، فإن الله ذم هؤلاء على كونهم لا يستطيعون السمع ، ولو أراد بذلك المقارن ، لكان جميع الخلق لا يستطيعون السمع قبل السمع ! فلم يكن لتخصيص هؤلاء بذلك معنى ، ولكن هؤلاء - لبغضهم الحق وثقله عليهم ، إما حسداً لصاحبه ، وإما اتباعاً للهوى - لا يستطيعون السمع . وموسى عليه السلام لا يستطيع الصبر ، لمخالفة ما يراه لظاهر الشرع ، وليس عنده منه علم . وهذه لغة العرب وسائر الأمم ، فمن يبغض غيره يقال : إنه لا يستطيع الإحسان إليه ، ومن يحبه يقال : إنه لا يستطيع عقوبته ، لشدة محبته له ، لا لعجزه عن عقوبته ، فيقال ذلك للمبالغة ، كما تقول : لأضربه حتى يموت ، والمراد الضرب الشديد ، وليس هذا عذراً ، فلو لم يأمر العباد إلا بما يهوونه ، لفسدت السماوات والأرض ، قال تعالى : ﴿ وَلَوْ أَتَّبَعَ الْآحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ ﴾ .

(س ٨٣١) ما معنى قول الطحاوي : " ولا يطيقون إلا ما كلفهم به " ؟ وما الإشكال الذي ذكره الشارح في كلام الشيخ ؟ .

(ج) أي : ولا يطيقون إلا ما أقدرهم عليه . وهذه الطاقة هي التي من نحو التوفيق ، لا التي من جهة الصحة والوسع والتمكن وسلامة الآلات . و " لا حول ولا قوة إلا بالله " دليل على إثبات القدر ، وقد فسرهما الشيخ بعدها ، ولكن في كلام الشيخ إشكال ، فإن التكليف لا يستعمل بمعنى الإقدار ، وإنما يستعمل بمعنى الأمر والنهي ، وهو قد قال : " لا يكلفهم إلا ما يطيقون ولا يطيقون إلا ما كلفهم " وظاهره أنه يرجع إلى معنى واحد ، ولا يصح ذلك ؛ لأنهم يطيقون فوق ما كلفهم به ، لكنه يريد بعباده اليسر والتخفيف ، كما قال تعالى : ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ﴾ وقال تعالى : ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ ﴾ وقال تعالى : ﴿ وَمَا جَعَلْ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾ . فلو زاد فيما كلفنا به ، لأطقناه ، لكنه تفضل علينا ورحمنا وخفف عنا ، ولم يجعل علينا في الدين من حرج ، ففي العبارة قلق فتأمله .

(س ٨٣٢) ما المراد بالقضاء في قول الإمام الطحاوي: "وكل شيء يجري بمشيئة الله وعلمه وقضائه وقدره"؟

(ج) يريد بقضائه القضاء الكوني لا الشرعي.

١ - فإن القضاء يكون كونياً وشرعياً.

٢ - وكذلك الإرادة.

٣ - والأمر.

٤ - والإذن.

٥ - والكتاب.

٦ - والحكم.

٧ - والتحريم.

٨ - والكلمات. ونحو ذلك.

(س ٨٣٣) استدل على القضاء الكوني والقضاء الشرعي بدليل لكل منهما؟

(ج) * القضاء الكوني في قوله تعالى: ﴿فَقَضَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ﴾. * والقضاء الديني الشرعي في قوله: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾.

(س ٨٣٤) استدل على الأمر الكوني والأمر الشرعي بدليل لكل منهما؟

(ج) * الأمر الكوني في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (٨٢) وكذا قوله تعالى: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْنَا الْقَوْلُ فَنَدَمْنَاهَا نَدَمِيرًا﴾ (١٦).

* والأمر الشرعي في قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾ وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾.

(س ٨٣٥) استدل على الإذن الكوني والإذن الشرعي بدليل لكل منهما؟

(ج) * الأذن الكوني في قوله تعالى: ﴿وَمَا هُمْ بِضَآئِرِينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ والإذن الشرعي في قوله تعالى: ﴿مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لَيْسَةٍ أَوْ تَرَكَتُمُوهَا فَاصْبِرُوا عَلَيْهَا حَتَّىٰ تَأْذِنَ الْإِسْلَامُ﴾.

س ٨٣٦: استدل على الكتاب الكوني والكتاب الشرعي بدليل لكل منهما؟ .

ج: * الكتاب الكوني في قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْزُرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقُصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ .

* الكتاب الشرعي الديني في قوله تعالى: ﴿وَكُنَّا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنْ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ﴾ ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾ .

س ٨٣٧: استدل على الحكم الكوني والحكم الشرعي بدليل لكل منهما؟ .

ج: * الحكم الكوني في قوله تعالى عن ابن يعقوب عليه السلام: ﴿فَلَنْ أَتْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾ وقوله تعالى: ﴿قُلْ رَبِّ أَعْمُرْ بِالْحَقِّ وَرَبَّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾ (١١٢) .

* والحكم الشرعي في قوله تعالى: ﴿أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾ وقوله تعالى: ﴿ذَلِكَمُ حُكْمُ اللَّهِ يُحْكُمُ بَيْنَكُمْ﴾ .

س ٨٣٨: استدل على التحريم الكوني والتحريم الشرعي بدليل لكل منهما؟ .

ج: * التحريم الكوني في قوله تعالى: ﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾ ﴿وَحَرَّمَ عَلَى قَرَبِيءٍ أَهْلَكْنَهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ (٩٥) .

* والتحريم الشرعي في قوله: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْيَتِيمَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخَنَازِيرِ﴾ .

س ٨٣٩: استدل على الكلمات الكونية والكلمات الشرعية بدليل لكل منهما؟ .

ج: * الكلمات الكونية في قوله تعالى: ﴿وَتَمَتَّ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ بِمَا صَبَرُوا﴾ . وفي قوله عليه السلام: "أعوذ بكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر" .

* الكلمات الشرعية الدينية، في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَبَتَ إِسْرَءِيلَ رَبُّهُ بِكَلِمَتِهِ فَأَتَمَّهُنَّ﴾ .

س ٨٤٠: على من رد الطحاوي بقوله: "يفعل ما يشاء، وهو غير ظالم أبداً"؟ .

(ج) قال الشارح: وقوله: "يفعل ما يشاء، وهو غير ظالم أبداً"، الذي دل عليه القرآن من تنزيه الله نفسه عن ظلم العباد، يقتضي قولاً وسطاً بين قولي القدرية والجبرية، فليس ما كان من بني آدم ظلماً وقبيحاً يكون منه ظلماً وقبيحاً، كما تقوله القدرية والمعتزلة ونحوهم!، فإن ذلك تمثيل لله بخلقه! وقياس له عليهم! هو الرب الغني القادر، وهم العباد الفقراء المقهورون.

(س ٨٤١) هل الظلم عبارة عن الممتنع الذي لا يدخل تحت القدرة؟ ومن قال هذا القول؟ وبم يرد عليه إن كان غير صواب؟

(ج) ليس الظلم عبارة عن الممتنع الذي لا يدخل تحت القدرة، كما يقول من يقوله من المتكلمين وغيرهم، يقولون: إنه يمتنع أن يكون في الممكن المقدور ظلم! بل كل ما كان ممكناً، فهو منه - لو فعله - عدل، إذ الظلم لا يكون إلا من مأمور من غيره منهي، والله ليس كذلك، فإن قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا﴾ (١١٢). وقوله تعالى: ﴿مَا يَبْدُلُ الْقَوْلَ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلِيمٍ لِّلْمَيِّدِ﴾ (٢٩). وقوله تعالى: ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾. وقوله تعالى: ﴿وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾. وقوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ (١٧). وذلك يدل على نقيض هذا القول.

ومنه قوله الذي رواه عنه رسوله: "يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي، وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا". فهذا دل على شيئين:

أحدهما: أنه حرم على نفسه الظلم، والممتنع لا يوصف بذلك.

الثاني: أنه أخبر أنه حرمه على نفسه، كما أخبر أنه كتب على نفسه الرحمة، وهذا يبطل احتجاجهم بأن الظلم لا يكون إلا من مأمور منهي، والله ليس كذلك، فيقال لهم: هو سبحانه كتب على نفسه الرحمة، وحرم على نفسه الظلم، وإنما كتب على نفسه وحرم على نفسه ما هو قادر عليه، لا ما هو ممتنع عليه.

وأيضاً فإن قوله: ﴿فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا﴾. قد فسره السلف، بأن

الظلم: أن توضع عليه سيئات غيره، والهضم أن ينقص من حسناته، كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾.

وأيضاً: فإن الإنسان لا يخاف من الممتنع الذي لا يدخل تحت القدرة حتى يؤمن من ذلك، وإنما يكون مما يمكن، فلما آمنه من الظلم بقوله: ﴿فَلَا يَخَافُ﴾ علم أنه ممكن مقدور عليه، وكذا قوله: ﴿وَمَا أَنَا بِظَالِمٍ لِلْعَبِيدِ﴾، لم يغن بها نفى ما لا يقدر عليه، ولا يمكن منه، وإنما نفى ما هو مقدور عليه ممكن، وهو أن يجزوا بغير أعمالهم. فعلى قول هؤلاء: ليس الله منزهاً عن شيء من الأفعال أصلاً، ولا مقدساً عن أن يفعله، بل كل ممكن، فإنه لا يُنزه عن فعله، بل فعله حسن، ولا حقيقة للفعل السوء، بل ذلك ممتنع، والممتنع لا حقيقة له!!.

والقرآن يدل على نقيض هذا القول في مواضع نزه الله نفسه فيها عن فعل ما لا يصلح له، ولا ينبغي له، فعلم أنه منزّه مقدس عن فعل السوء، والفعل المعيب المذموم، كما أنه منزّه مقدس عن وصف السوء والوصف المعيب المذموم، وذلك كقوله تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ (١١٥). فإنه نزه نفسه عن خلق الخلق عبثاً، وأنكر على من حسب ذلك، وهذا فعل، وقوله تعالى: ﴿أَفَجَعَلُ السُّلَيْمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ﴾ (٣٥). وقوله تعالى: ﴿أَمْ جَعَلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ جَعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ﴾ (٢٨). إنكاراً منه على من جوز أن يسوي بين هذا وهذا. وكذا قوله: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مِّمَّنْهُمْ وَمَنْهُمْ سَاءٌ مَا يَحْكُمُونَ﴾ (٢١). إنكار على من حسب أنه يفعل هذا، وإخبار أن هذا حكم سيء قبيح، وهو مما ينزه الرب عنه.

(س ٨٤٢) ما الذي دل عليه قوله ﷺ في الحديث القدسي: "يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي، وجعلته بينكم محرماً، فلا تظالموا"؟

(ج) هذا الحديث دل على شيئين:

أحدهما: أنه حرم على نفسه الظلم، والممتنع لا يوصف بذلك.

الثاني: أنه أخبر أنه حرمه على نفسه، كما أخبر أنه كتب على نفسه

الرحمة، وهذا يبطل احتجاجهم بأن الظلم لا يكون إلا من مأمور منهي، والله ليس كذلك، فيقال لهم: هو سبحانه كتب على نفسه الرحمة، وحرم على نفسه الظلم، وإنما كتب على نفسه وحرم على نفسه ما هو قادر عليه، لا ما هو ممتنع عليه.

وفي الحديث رد على من زعم أن الظلم عبارة عن الممتنع الذي لا يدخل تحت القدرة.

س ٨٤٣: ما تفسير قوله تعالى: ﴿فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا﴾؟ ومن استدل بها؟.

ج: تفسير قوله تعالى: ﴿فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا﴾. فسر السلف: بأن الظلم: أن توضع عليه سيئات غيره، والهضم أن ينقص من حسناته، كما قال تعالى: ﴿وَلَا يَزُرُ وَارِدُهُ وَزَرُّ أُخْرَى﴾. واستدل بهذا أهل السنة والجماعة في الرد على المتكلمين الذي زعموا أن الظلم عبارة عن الممتنع الذي لا يدخل تحت القدرة.

س ٨٤٤: ورد في الحديث: "أن الله لو عذب أهل سماواته وأرضه، لعذبهم وهو غير ظالم لهم، ولو رحمهم كانت رحمته خيراً لهم من أعمالهم". احتجت طائفة من أهل البدع بهذا الحديث، وكذبت طائفة أخرى. اذكرهما مع بيان الصحيح؟.

ج: روى أبو داود والحاكم في المستدرک من حديث ابن عباس، وعبادة بن الصامت، وزيد بن ثابت عن النبي ﷺ: "أن الله لو عذب أهل سماواته وأرضه، لعذبهم وهو غير ظالم لهم، ولو رحمهم كانت رحمته خيراً لهم من أعمالهم".

وهذا الحديث مما يحتج به الجبرية، وأما القدريّة، فلا يتأتى على أصولهم الفاسدة! ولهذا قابلوه إما بالكذب أو بالتأويل!!.

وأسعد الناس به أهل السنة، الذين قابلوه بالتصديق، وعلموا من عظمة الله تعالى وجلاله، قدر نعم الله على خلقه، وعدم قيام الخلق بحقوق نعمه عليهم، إما عجزاً، وإما جهلاً، وإما تفريطاً وإضاعة، وإما تقصيراً في

المقدور من الشكر، ولو من بعض الوجوه، فإن حقه على أهل السماوات والأرض أن يطاع فلا يعصى، ويذكر فلا ينسى، ويشكر فلا يكفر، وتكون قوة الحب والإنابة والتوكل والخشية، والمراقبة والخوف والرجاء، جميعها متوجهة إليه، ومتعلقة به، بحيث يكون القلب عاكفاً على محبته وتألّفه، بل على إفراده بذلك، واللسان محبوساً على ذكره، والجوارح وقفاً على طاعته.

س ٨٤٥: ذكر الشارح أن أهل السنة هم أسعد الناس بالحديث الأنف، الذين قابلوه بالتصديق. . إلخ، ثم ذكر حق الرب على أهل السماوات والأرض، من طاعة وذكر وشكر وخشية وتوكل. . إلخ، فهل ذلك مقدور عليه؟.

ج: قال الشارح: ولا ريب أن هذا مقدور في الجملة، ولكن النفوس تشح به، وهي في الشح على مراتب لا يحصيها إلا الله تعالى، وأكثر المطيعين تشح به نفسه من وجه، وإن أتى به من وجه آخر. فأين الذي لا تقع منه إرادة تراحم مراد الله، وما يحبه منه؟ ومن الذي يصدر منه خلاف ما خلق له، ولو في وقت من الأوقات، فلو وضع الرب سبحانه عدله على أهل سماواته وأرضه، لعذبهم بعدله، ولم يكن ظالماً لهم.

وغاية ما يُقدَّر توبة العبد من ذلك، واعترافه، وقبول التوبة محض فضله وإحسانه، وإلا فلو عذب عبده على جنايته، لم يكن ظالماً، ولو قدر أنه تاب منها، لكن أوجب على نفسه بمقتضى فضله ورحمته أنه لا يعذب من تاب منهم، وقد كتب على نفسه الرحمة، فلا يسع الخلاق إلا رحمته وعفوه، ولا يبلغ عمل أحد منهم أن ينجو به من النار، أو يدخل به الجنة، كما قال أطوع الناس لربه، وأفضلهم عملاً، وأشدّهم تعظيماً لربه وإجلالاً: "لن ينجي أحداً منكم عمله" قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: "ولا أنا، إلا أن يتغمدني الله برحمته منه وفضل".

وسأله الصديق دعاء يدعو به في صلاته، فقال: "اللهم إني ظلمت نفسي ظلماً كثيراً، ولا يغفر الذنوب إلا أنت، فاغفر لي مغفرةً من عندك وارحمني، إنك أنت الغفور الرحيم".

فإذا كان هذا حال الصديق، الذي هو أفضل الناس بعد الأنبياء والمرسلين فما الظن بسواه؟ بل إنما صار صديقاً بتوفية هذا المقام حقه، الذي يتضمن معرفة ربه، وحقه وعظمته، وما ينبغي له، وما يستحقه على عبده، ومعرفة تقصيره. فسحقاً وبعداً لمن زعم أن المخلوق يستغني عن مغفرة ربه، ولا يكون به حاجة إليها! وليس وراء هذا الجهل بالله وحقه غاية!! فإن لم يتسع فهمك لهذا، فانزل إلى وطأة النعم، وما عليها من الحقوق، ووازن بين شكرها وكفرها، فحينئذ تعلم أنه سبحانه لو عذب أهل سماواته وأرضه، لعذبهم وهو غير ظالم لهم.



الفصل الثلاثون

الدُّعاء

الدعاء

س ٨٤٦: اتفق أهل السنة أن الأموات ينتفعون من سعي الأحياء بأمرين، اذكرهما؟.

ج: اتفق أهل السنة والجماعة أن الأموات ينتفعون من سعي الأحياء بأمرين: أحدهما: ما تسبب إليه الميت في حياته.

والثاني: دعاء المسلمين واستغفارهم له، والصدقة والحج.

س ٨٤٧: هل يصل ثواب الحج كله أم النفقة فقط؟ أوضح ذلك.

ج: الحج في وصول ثوابه نزاع فيما يصل إلى الميت منه، فعن محمد بن الحسن رحمه الله: أنه إنما يصل إلى الميت ثواب النفقة، والحج للحاج، وعند عامة العلماء؛ ثواب الحج للمحجوج عنه، وهو الصحيح.

س ٨٤٨: هل يصل ثواب الأعمال البدنية، كالصوم والصلاة، وقراءة القرآن والذكر، ونحوها إلى الميت؟.

ج: اختلف في العبادات البدنية، كالصوم، والصلاة، وقراءة القرآن، والذكر، فذهب أبو حنيفة وأحمد، وجمهور السلف، إلى وصولها، والمشهور من مذهب الشافعي ومالك عدم وصولها.

س ٨٤٩: هل خالف أحد في وصول الدعاء وغيره من الأعمال إلى الميت؟.

(ج:) ذهب بعض أهل البدع من أهل الكلام إلى عدم وصول شيء ألبته، لا الدعاء، ولا غيره. وقولهم مردود بالكتاب والسنة.

س ٨٥٠: ما الأدلة التي استدلت بها أهل البدع على إنكار وصول الدعاء وغيره من الأعمال إلى الميت؟.

(ج:) استدلو بالمتشابه من القرآن، كقوله تعالى: ﴿وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾ (٢٩) وقوله: ﴿وَلَا تُحْزِنُونَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾. وقوله: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾.

وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: "إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو ولد صالح يدعو له، أو علم ينتفع به"، فأخبر أنه إنما ينتفع بما كان تسبب فيه في الحياة، وما لم يكن تسبب فيه في الحياة، فهو منقطع عنه.

س ٨٥١: أكمل الحديث الآتي: "لا يصلي أحد عن أحد... " ومن الذي استدلت به؟.

(ج:) الحديث رواه النسائي بسنده عن ابن عباس عن النبي ﷺ أنه قال: "لا يصلي أحد عن أحد، ولا يصوم أحد عن أحد، ولكن يطعم عنه مكان كل يوم مدًا من حنطة". واستدل به المقتضرون على وصول العبادات التي تدخلها النيابة، كالصدقة والحج. وأن النوع الذي لا تدخله النيابة بحال، كالإسلام والصلاة والصوم وقراءة القرآن، يختص ثوابه بفاعله لا يتعداه، كما أنه في الحياة لا يفعله أحد عن أحد ولا ينوب فيه عن فاعله غيره.

س ٨٥٢: ذكر ابن أبي العز يرحمه الله، الخلاف بين أهل العلم: ما الذي يصل إلى الميت من الثواب، هل يصل إليه ما تسبب فيه لا غير، أم يصله غير ذلك، من الأعمال، فما الراجح من أقوالهم؟.

(ج:) القول الراجح: أن الميت ينتفع بغير ما تسبب فيه في حياته من أعمال صالحة وقد دل على ذلك الكتاب والسنة والإجماع والقياس الصحيح.

س ٨٥٣: ما الدليل من الكتاب على القول الراجح من انتفاع الميت بسعي الحي بغير ما تسبب فيه الميت في حياته؟.

(ج) الدليل من الكتاب على ذلك: قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ﴾. فأتى عليهم باستغفارهم للمؤمنين قبلهم، فدل على انتفاعهم باستغفار الأحياء.

(س ٨٥٤) ما الدليل من السنة على القول الراجح من انتفاع الميت بسعي الحي بغير ما تسبب فيه الميت في حياته؟

(ج) الأدلة من السنة على ذلك كثيرة، منها:

١ - ما رواه أبو داود من حديث عثمان بن عفان رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ إذا فرغ من دفن الميت وقف عليه، فقال: "استغفروا لأخيكم، واسألوا له التثبيت، فإنه الآن يسأل". وهذا الدعاء بعد الدفن.

٢ - وكذلك الدعاء لهم عند زيارة قبورهم، كما في صحيح مسلم، من حديث بريدة بن الحصيب، قال: كان رسول الله ﷺ يعلمهم إذا خرجوا إلى المقابر أن يقولوا: "السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون، نسأل الله لنا ولكم العافية".

٣ - وفي صحيحه أيضاً، عن عائشة رضي الله عنها: سألت النبي ﷺ: كيف تقول إذا استغفرت لأهل القبور؟ قال: "قولي: السلام على أهل الديار من المؤمنين والمسلمين، ويرحم الله المستقدمين منا والمستأخرين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون".

(س ٨٥٥) ما الدليل من السنة على وصول ثواب الصدقة إلى الميت، ولم أوره الشارح في هذا الموضع؟

(ج) دليل وصول ثواب الصدقة:

١ - ما روي في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها: أن رجلاً أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، إن أمتي افْتُلِّت نفسها، ولم توص، وأظنها لو تكلمت تصدقت، أفلها أجر إن تصدقت عنها؟ قال: "نعم".

٢ - وفي صحيح البخاري عن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما: أن سعد بن عبادة توفيت أمه وهو غائب عنها، فأتى النبي ﷺ، فقال: يا

رسول الله، إن أمي توفيت وأنا غائب عنها، فهل ينفعها إن تصدقت عنها؟ قال: "نعم"، قال: فأني أشهدك أن حائطي المخرف صدقة عنها. وأمثال ذلك كثيرة في السنة.

وقد أورده الشارح يرحمه الله في هذا الموضع، ليثبت القول الراجح في أن الميت ينتفع بغير ما تسبب فيه في حياته.

س ٨٥٦: ما الدليل من السنة على وصول ثواب الصوم إلى الميت، ولم أورده الشارح في هذا الموضع؟.

ج: الدليل على وصل ثواب الصوم إلى الميت، ما روي في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها، أن رسول الله ﷺ قال: "من مات وعليه صيام صام عنه وليه". وله نظائر في الصحيح. ولكن أبو حنيفة رحمه الله قال بالإطعام عن الميت دون الصيام عنه، لحديث ابن عباس المتقدم، والكلام على ذلك معروف في كتب الفروع. وقد أورده الشارح يرحمه الله في هذا الموضع، ليثبت القول الراجح في أن الميت ينتفع بغير ما تسبب فيه في حياته.

س ٨٥٧: ما الدليل من السنة على وصول ثواب الحج إلى الميت، ولم أورده الشارح في هذا الموضع؟.

ج: الدليل على وصول ثواب الحج إلى الميت ما رواه البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن امرأة من جهينة جاءت إلى النبي ﷺ فقالت: إن أمي نذرت أن تحج، فلم تحج حتى ماتت أفأحج عنها؟ قال: "نعم حجّي عنها، أرايت لو كان على أمك دين، أكنت قاضيته؟ اقضوا الله، فالله أحق بالوفاء". ونظائره كثيرة. وقد أورده الشارح يرحمه الله في هذا الموضع، ليثبت القول الراجح في أن الميت ينتفع بغير ما تسبب فيه في حياته.

س ٨٥٨: ما دليل الإجماع والقياس على وصول الثواب إلى الميت بغير ما تسبب فيه؟.

ج: دل على انتفاع الميت بالدعاء إجماع الأمة على الدعاء له في صلاة الجنازة، والأدعية التي وردت بها السنة في صلاة الجنازة مستفيضة، وكذا

الدعاء له بعد الدفن، وقد تقدم ذكرها. وأجمع المسلمون على أن قضاء الدين يسقطه من ذمة الميت، ولو كان من أجنبي، ومن غير تركته، وقد دل على ذلك حديث أبي قتادة، حيث ضمن الدينارين عن الميت، فلما قضاهما، قال النبي ﷺ: "الآن بردت عليه جلده".

وكل ذلك جار على قواعد الشرع، وهو محض القياس، فإن الثواب حق العامل، فإذا وهبه لأخيه المسلم، لم يمنع من ذلك، كما لم يمنع من هبة ماله في حياته، وإبرائه له منه بعد وفاته.

وقد نبه الشارع بوصول ثواب الصوم على وصول ثواب القراءة ونحوها من العبادات البدنية، يوضحه: أن الصوم كف النفس عن المفطرات بالنية، وقد نص الشارع على وصول ثوابه إلى الميت، فكيف بالقراءة التي هي عمل ونية؟.

س ٨٥٩: من الذي استدل بقوله تعالى: ﴿وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾؟ وهل توافقه على هذا الاستدلال؟ وإن كان الجواب: بلا، فبماذا تجيب عليه؟.

ج: هذا الدليل وأمثاله من المتشابه استدل به أهل البدع على نفي وصول العمل إلى الميت بأي وجه، وقد أجاب العلماء بأجوبة: أصحها جوابان:

١ - أحدهما: أن الإنسان بسعيه وحسن عشرته اكتسب الأصدقاء، وأولد الأولاد، ونكح الأزواج، وأسدى الخير، وتودد إلى الناس، فترحموا عليه، ودعوا له، وأهدوا له ثواب الطاعات، فكان ذلك أثر سعيه، بل دخول المسلم مع جملة المسلمين في عقد الإسلام من أعظم الأسباب في وصول نفع كل من المسلمين إلى صاحبه، في حياته وبعد مماته، ودعوة المسلمين تحيط من ورائهم.

يوضحه أن الله تعالى جعل الإيمان سبباً لانتفاع صاحبه بدعاء إخوانه من المؤمنين وسعيهم، فإذا أتى به، فقد سعى في السبب الذي يوصل إليه ذلك.

٢ - الثاني: - وهو أقوى منه - أن القرآن لم ينف انتفاع الرجل بسعي غيره، وإنما نفى ملكه لغير سعيه، وبين الأمرين من الفرق ما لا يخفى،

فأخبر تعالى أنه لا يملك إلا سعيه، وأما سعي غيره، فهو ملك لساعيه، فإن شاء أن يبذله لغيره، وإن شاء أن يبقيه لنفسه.

س ٨٦٠: من الذي استدل بقوله تعالى: ﴿أَلَا نَزَرُ وَزَرَ وَزَرَ أُخْرَىٰ﴾ (٣٨) وأن لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ (٣٩)؟ وهل توافقه على هذا الاستدلال؟ وإن كان الجواب: بلا، فماذا تجيب عليه؟.

ج: هذا كسابقه من المتشابه، استدل به أهل البدع على نفي وصول العمل إلى الميت بأي وجه والجواب كما قال الشارح: آيتان محكمتان تقتضيان عدل الرب تعالى:

فالأولى: تقتضي أنه لا يعاقب أحداً بجرم غيره، ولا يؤاخذ به بجريرة غيره، كما يفعله ملوك الدنيا.

والثانية: تقتضي أنه لا يفلح إلا بعمله، ليقطع طمعه من نجاته بعمل آبائه وسلفه ومشايخه، كما عليه أصحاب الطمع الكاذب، وهو سبحانه لم يقل: لا ينتفع إلا بما سعى.

س ٨٦١: من الذي استدل بقوله تعالى: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ﴾ وقوله: ﴿وَلَا تُحْزَنُونَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾؟ وهل توافقه على هذا الاستدلال؟ وإن كان الجواب: بلا، فماذا تجيب عليه؟.

ج: قال الشارح بعد الرد عليهم في الجواب الآنف: وكذلك قوله تعالى: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ﴾. وقوله: ﴿وَلَا تُحْزَنُونَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾. على أن سياق هذه الآية يدل على أن المنفي عقوبة العبد بعمل غيره، فإنه تعالى قال: ﴿فَأَلْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا تُحْزَنُونَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (٥٤).

س ٨٦٢: يستدل من يزعم عدم وصول الثواب إلى الميت بقول الرسول ﷺ: "إذا مات ابن آدم انقطع عمله"، فكيف تجيب عليه؟.

ج: قال الشارح: وأما استدلالهم بقوله ﷺ: "إذا مات ابن آدم انقطع عمله" فاستدلال ساقط، فإنه لم يقل انقطع انتفاعه، وإنما أخبر عن انقطاع عمله، وأما عمل غيره، فهو لعامله، فإن وهبه له، وصل إليه ثواب عمل

العامل، لا ثواب عمله هو، وهذا كالدين يوفيه الإنسان عن غيره، فتبرأ ذمته، ولكن ليس له ما وفى به الدين.

س ٨٦٣: هل فرق الشارح بين العبادات المالية والبدنية في وصول ثوابها إلى الميت؟ أوضح ذلك؟.

ج: قال الشارح: وأما تفريق من فرق بين العبادات المالية والبدنية، فقد شرع النبي ﷺ الصوم عن الميت، كما تقدم، مع أن الصوم لا تجري فيه النيابة، وكذلك حديث جابر رضي الله عنه قال: صليت مع رسول الله ﷺ عيد الأضحى، فلما انصرف أتى بكبش فذبحه، فقال: "بسم الله والله أكبر، اللهم هذا عني وعمن لم يضح من أمتي". رواه أحمد وأبو داود والترمذي، وحديث الكبشين اللذين قال في أحدهما: "اللهم هذا عن محمد وآل محمد" رواه أحمد. والقربة في الأضحية إراقة الدم، وقد جعلها لغيره.

وكذلك عبادة الحج بدنية، وليس المال ركناً فيه، وإنما هو وسيلة، ألا ترى أن المكي يجب عليه الحج إذا قدر على المشي إلى عرفات من غير شرط المال، وهذا هو الأظهر، أعني أن الحج غير مركب من مال وبدن، بل بدني محض، كما قد نص عليه جماعة من أصحاب أبي حنيفة المتأخرين.

وانظر إلى فروض الكفايات كيف قام فيها البعض عن الباقيين.

ولأن هذا إهداء ثواب، وليس من باب النيابة، كما أن الأجير الخاص ليس له أن يستنيب عنه، وله أن يعطى أجرته لمن شاء.

س ٨٦٤: ما حكم الاستئجار على تلاوة القرآن وإهدائها للميت؟.

ج: قال الشارح: وأما استئجار قوم يقرؤون القرآن، ويهدونه للميت. فهذا لم يفعله أحد من السلف، ولا أمر به أحد من أئمة الدين، ولا رخص فيه. والاستئجار على نفس التلاوة غير جائز بلا خلاف، وإنما اختلفوا في جواز الاستئجار على التعليم ونحوه، مما فيه منفعة تصل إلى الغير. لكن إذا أعطى لمن يقرأ القرآن ويعلمه ويتعلمه معونة لأهل القرآن على ذلك، كان هذا من جنس الصدقة عنه، فيجوز.

وفي "الاختيار": لو أوصى بأن يعطى شيء من ماله لمن يقرأ القرآن

على قبره، فالوصية باطللة؛ لأنه في معنى الأجرة، انتهى.
وذكر الزاهدي في "الغنية": أنه لو وقف على من يقرأ عند قبره،
فالتعيين باطل.

(س ٨٦٥) ما العلة في عدم جواز الاستئجار على تلاوة القرآن وإهدائها للميت؟.

(ج) أولاً: أن هذا لم يرد به نص، ولم يؤثر عن أحد السلف.
ثانياً: أن الثواب لا يصل إلى الميت إلا إذا كان العمل لله، وهذا لم يقع
عبادة خالصة، فلا يكون ثوابه مما يهدى إلى الموتى، ولهذا لم يقل أحد: إنه
يكتري من يصلي ويصوم ويهدي ثواب ذلك إلى الميت.

(س ٨٦٦) هل يصل ثواب قراءة القرآن وإهدائها للميت تطوعاً بغير أجرة؟.
(ج) قال الشارح: وأما قراءة القرآن وإهداؤها للميت تطوعاً بغير أجرة، فهذا
يصل إليه، كما يصل ثواب الصوم والحج.

(س ٨٦٧) إن اعترض معترض - على عدم وصول ثواب تلاوة القرآن وإهدائها
للميت بغير أجرة - بأن هذا لم يكن معروفاً في السلف، ولا
أرشد إليه النبي ﷺ، فبماذا يجاب؟.

(ج) قال الشارح: إن كان مورد هذا السؤال معترفاً بوصول ثواب الحج
والصيام والدعاء، قيل له: ما الفرق بين ذلك وبين وصول ثواب قراءة القرآن؟
وليس كون السلف لم يفعلوه حجة في عدم الوصول، ومن أين لنا هذا النفي
العام؟.

(س ٨٦٨) إن قال المعترض - على عدم وصول ثواب تلاوة القرآن وإهدائها
للميت بغير أجرة -: أن الرسول ﷺ أرشدهم إلى الصوم والحج
والصدقة دون القراءة. فكيف تجيب؟.

(ج) قيل: هو ﷺ لم يبتدئهم بذلك، بل خرج ذلك منه مخرج الجواب
لهم، فهذا سأل عن الحج عن ميتة، فأذن له فيه، وهذا سأل عن الصوم عنه،
فأذن له فيه، ولم يمنعهم مما سوى ذلك، وأي فرق بين وصول ثواب الصوم

- الذي هو مجرد نية وإمساك - وبين وصول ثواب القراءة والذكر.

س ٨٦٩: ما حكم إهداء قراءة القرآن وغيرها للرسول ﷺ؟

ج: من المتأخرين من استحبه، ومنهم من رآه بدعة؛ لأن الصحابة لم يكونوا يفعلونه؛ ولأن النبي ﷺ له مثل أجر كل من عمل خيراً من أمته، من غير أن ينقص من أجر العامل شيء؛ لأنه هو الذي دل أمته على كل خير، وأرشدتهم إليه.

س ٨٧٠: إن قال قائل: إن الميت ينتفع بقراءة القرآن عنده، باعتبار سماعه كلام الله. فما صحة هذا القول؟ ولماذا؟

ج: من قال: إن الميت ينتفع بقراءة القرآن عنده، باعتبار سماعه كلام الله، فهذا لم يصح عن أحد من الأئمة المشهورين. ولا شك في سماعه، ولكن انتفاعه بالسماع لا يصح، فإن ثواب الاستماع مشروط بالحياة، فإنه عمل اختياري، وقد انقطع بموته، بل ربما يتضرر ويتألم، لكونه لم يمتثل أوامر الله ونواهيه، أو لكونه لم يزد من الخير.

س ٨٧١: ما حكم قراءة القرآن عند القبور؟

ج: قال الشارح: واختلف العلماء في قراءة القرآن عند القبور، على ثلاثة أقوال:

١ - هل تكره ٢ - أم لا بأس بها ٣ - أم لا بأس بها وقت الدفن، وتكره بعده.

س ٨٧٢: من الذي قال بكراهة القراءة عند القبور من أهل العلم؟ ولماذا؟

ج: قال الشارح: فمن قال بكراهتها، كأبي حنيفة ومالك وأحمد في رواية، قالوا: لأنه محدث، لم ترد به السنة، والقراءة تشبه الصلاة، والصلاة عند القبور منهي عنها، فكذلك القراءة.

س ٨٧٣: من الذي قال بأنه لا بأس بقراءة القرآن عند القبور من أهل العلم؟ وبماذا استدلوأ؟

(ج) من قال لا بأس بها، كمحمد بن الحسن، وأحمد في رواية استدلوا بما نقل عن ابن عمر رضي الله عنهما: أنه أوصى أن يُقرأ على قبره وقت الدفن بفواتح سورة البقرة وخواتمها، ونقل أيضاً عن بعض المهاجرين قراءة سورة البقرة.

س ٨٧٤: مَنْ مِنَ الْعُلَمَاءِ قَالَ لَا بَأْسَ بِقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ عِنْدَ الْقُبُورِ وَقْتَ الدَّفْنِ فَقَطْ؟ وَبِمَاذَا أَخَذَ؟.

(ج) قال الشارح: ومن قال: لا بأس بها وقت الدفن فقط - وهو رواية عن أحمد - أخذ بما نقل عن ابن عمر وبعض المهاجرين.

س ٨٧٥: مَا حُكِمَ التَّنَاقُوبُ فِي قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ عِنْدَ الْقُبُورِ؟ وَلَمْ؟.

(ج) قال الشارح - بعد إيراد الأقوال الثلاثة في حكم القراءة عند القبور -: وأما بعد ذلك، كالذين يتناوبون القبر للقراءة عنده، فهذا مكروه، فإنه لم تأت به السنة، ولم ينقل عن أحد من السلف مثل ذلك أصلاً، وهذا القول لعله أقوى من غيره، لما فيه من التوفيق بين الدليلين.

س ٨٧٦: مَا مَنْزِلَةُ الدُّعَاءِ فِي الْإِسْلَامِ؟.

(ج) قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾. والذي عليه أكثر الخلق من المسلمين وسائر أهل الملل وغيرهم: أن الدعاء من أقوى الأسباب في جلب المنافع ودفع المضار، وقد أخبر تعالى عن الكفار أنهم إذا مسهم الضر في البحر دعوا الله مخلصين له الدين، وأن الإنسان إذا مسه الضر دعاه لجنبه، أو قاعداً أو قائماً. وإجابة الله لدعاء العبد، مسلماً كان أو كافراً، وإعطاؤه سؤله، من جنس رزقه لهم، ونصره لهم، وهو مما توجبه الربوبية للعبد مطلقاً. ثم قد يكون ذلك فتنة في حقه ومضرة عليه، إذ كان كفره وفسوقه يقتضي ذلك، وفي سنن ابن ماجه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "من لم يسأل الله يغضب عليه"، وقد نظم بعضهم هذا المعنى، فقال:

الرَّب يغضب إن تركت سؤاله وبُنِيَّ آدمَ حين يُسأل يغضبُ

س ٨٧٧: هل يستجيب الله دعاء المضطرين من الكافرين؟ ولماذا؟.

ج: قال الشارح: وقد أخبر تعالى عن الكفار أنهم إذا مسهم الضر في البحر دعوا الله مخلصين له الدين، وأن الإنسان إذا مسه الضر دعاه لجنبه، أو قاعداً أو قائماً. وإجابة الله لدعاء العبد، مسلماً كان أو كافراً، وإعطائه سؤله، من جنس رزقه لهم، ونصره لهم، وهو مما توجبه الربوبية للعبد مطلقاً. ثم قد يكون ذلك فتنه في حقه ومضرةً عليه، إذ كان كفره وفسوقه يقتضي ذلك.

س ٨٧٨: في نَدْبِ الله تعالى - كما ورد آنفاً - إلى الدعاء وفي ذلك معانٍ، اذكرها؟.

ج: قال الشارح: قال ابن عقيل: قد ندب الله تعالى إلى الدعاء، وفي ذلك معانٍ:

- ١ - أحدها: الوجود، فإن من ليس بوجود لا يدعى.
- ٢ - الثاني: الغنى، فإن الفقير لا يدعى.
- ٣ - الثالث: السمع، فإن الأصم لا يدعى.
- ٤ - الرابع: الكرم، فإن البخيل لا يدعى.
- ٥ - الخامس: الرحمة، فإن القاسي لا يدعى.
- ٦ - السادس: القدرة، فإن العاجز لا يدعى.

س ٨٧٩: كيف كانت مشروعية الدعاء، رداً على الطوائعيين وغيرهم؟.

ج: قال الشارح: ومن يقول بالطوائع يعلم أن النار لا يقال لها: كُفِّي! ولا النجم يقال له: أصلح مزاجي!! لأن هذه عندهم مؤثرة طبعاً لا اختياراً، فشرع الدعاء وصلاة الاستسقاء ليبين كذب أهل الطوائع.

س ٨٨٠: من هم الذين زعموا أن الدعاء لا فائدة فيه؟.

ج: الذين زعموا أن الدعاء لا فائدة فيه، هم بعض أهل البدع من المتفلسفة، وغالية المتصوفة.

س ٨٨١ : ما شبهة الذين زعموا أن الدعاء لا فائدة فيه؟ ورد عليهم رداً شرعياً وعقلياً؟.

ج: شبهة الذين زعموا أن الدعاء لا فائدة فيه، قالوا: لأن المشيئة الإلهية إن اقتضت وجود المطلوب، فلا حاجة إلى الدعاء، وإن لم تقتضه، فلا فائدة في الدعاء!! وقد يخص بعضهم بذلك بعض خواص العارفين! ويجعل الدعاء علة في مقام الخواص!!.

الرد الشرعي العقلي، يقال: أن هذا من غلطات بعض الشيوخ، فكما أنه معلوم الفساد بالاضطرار من دين الإسلام، فهو معلوم الفساد بالضرورة العقلية، فإن منفعة الدعاء أمرٌ اتفقت عليه تجارب الأمم، حتى إن الفلاسفة تقول: ضجيج الأصوات في هياكل العبادات، بفنون اللغات، يحل ما عقدته الأفلاك المؤثرات، هذا وهم مشركون.

س ٨٨٢ : أجب على شبهة الذين زعموا أن الدعاء لا فائدة فيه بمنع المقدمات وما يترتب عليها؟.

ج: قال الشارح - بعد إيراد شبهتهم -: وجواب شبهة بمنع المقدمتين: فإن قولهم عن المشيئة الإلهية، إما أن تقتضية أو لا، ثم قسم ثالث، وهو: أن تقتضيه بشرط لا تقتضيه مع عدمه، وقد يكون الدعاء من شرطه، كما توجب الثواب مع العمل الصالح، ولا توجبه مع عدمه، وكما توجب الشيع والريء عند الأكل والشرب، ولا توجبه مع عدمها، وحصول الولد بالوطء، والزرع بالبذر. فإذا قدر وقوع المدعو بالدعاء لم يصح أن يقال: لا فائدة في الدعاء، كما لا يقال: لا فائدة في الأكل والشرب والبذر وسائر الأسباب. فقول هؤلاء، كما أنه مخالف للشرع، فهو مخالف للحس والفترة.

س ٨٨٣ : ما الانحراف الذي يقع فيه بعض الناس في السبب أو الأسباب؟.

ج: قال الشارح: ومما ينبغي أن يعلم ما قاله طائفة من العلماء، وهو:

١ - أن الالتفات إلى الأسباب شركٌ في التوحيد.

٢ - ومحو الأسباب أن تكون أسباباً، نقص في العقل.

٣ - والإعراض عن الأسباب بالكلية، قدح في الشرع.

س ٨٨٤: لماذا كان الالتفات إلى الأسباب شرك في التوحيد؟.

ج: بيان ذلك: أن الالتفات إلى السبب هو اعتماد القلب عليه، ورجاؤه، والاستناد إليه، وليس في المخلوقات من يستحق هذا، لأنه ليس بمستقل، ولا بد له من شركاء وأضداد مع هذا كله، فإن لم يسخره مسبب الأسباب، لم يسخر.

س ٨٨٥: من شبه الذين زعموا أن الدعاء لا فائدة فيه، قولهم: إن اقتضت المشيئة المطلوب، فلا حاجة إلى الدعاء. فماذا يقال لهم؟.

ج: قال الشارح وقولهم: إن اقتضت المشيئة المطلوب، فلا حاجة إلى الدعاء قلنا: بل قد تكون إليه حاجة، من تحصيل مصلحة أخرى عاجلة وآجلة، ودفع مضرة أخرى عاجلة وآجلة.

س ٨٨٦: من شبه الذين زعموا أن الدعاء لا فائدة فيه، قولهم: إن اقتضت المشيئة المطلوب، فلا حاجة إلى الدعاء، (وقد أجبنا عليه آنفاً)، وإن لم تقتضه، فلا فائدة فيه. فماذا يرد عليهم في هذا القول الآخر؟.

ج: قال الشارح: وكذلك قولهم: وإن لم تقتضه، فلا فائدة فيه. قلنا: بل فيه فوائد عظيمة، من جلب منافع، ودفع مضار، كما نبه عليه النبي ﷺ، بل ما يُعجل للعبد من معرفته بربه، وإقراره به، وبأنه سميع قريب قدير عليم رحيم، وإقراره بفقره إليه، واضطراره إليه، وما يتبع ذلك من العلوم العلية، والأحوال الزكية، التي هي من أعظم المطالب.

س ٨٨٧: من شبه الذين زعموا أن الدعاء لا فائدة فيه، قولهم: أنه إذا كان إعطاء الله مُعللاً بفعل العبد، كان السائل قد أثر في المسؤول حتى أعطاه؟! فبم يجاب؟.

ج: يقال: الرب سبحانه هو الذي حرّك العبد إلى دعائه، فهذا الخير منه، وتماحه عليه، كما قال عمر رضي الله عنه: إني لا أحمل هم الإجابة، وإنما أحمل هم

الدعاء، ولكن إذا ألهمت الدعاء، فإن الإجابة معه. وعلى هذا قوله تعالى: ﴿يُذِيرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ (٥). فأخبر سبحانه أنه يبتدئ بالتدبير، ثم يصعد إليه الأمر الذي دبره، فالله سبحانه هو الذي يقذف في قلب العبد حركة الدعاء، ويجعلها سبباً للخير الذي يعطيه إياه، كما في العمل والثواب، فهو الذي وفق العبد للتوبة، ثم قبلها، وهو الذي وفقه للعمل، ثم أثابه، وهو الذي وفقه للدعاء ثم أجابه، فما أثر فيه شيء من المخلوقات، بل هو جعل ما يفعله سبباً لما يفعله. قال مطرف بن عبدالله بن الشخير، أحد أئمة التابعين: نظرت في هذا الأمر، فوجدت مبدأه من الله، وتمامه على الله، ووجدت ملاك ذلك كله الدعاء.

س ٨٨٨ : إن قال قائل: إن من الناس من يسأل الله شيئاً فلا يعطى، أو قد يعطى غير ما سأل، فماذا يجاب؟

ج: قال الشارح: وهنا سؤال معروف، وهو: أن من الناس من قد يسأل الله شيئاً فلا يعطى، أو يعطى غير ما سأل، وقد أجيب عنه بأجوبة، فيها ثلاثة أجوبة محققة:

١ - أحدها: أن الآية لم تتضمن عطية السؤال مطلقاً، وإنما تضمنت إجابة الداعي، والداعي أعم من السائل. ولهذا قال النبي ﷺ: "ينزل ربنا كل ليلة إلى سماء الدنيا، فيقول: من يدعوني فأستجيب له؟ من يسألني فأعطيه؟ من يستغفرني فأغفر له؟".

ففرق بين الداعي والسائل، وبين الإجابة والإعطاء، وهو فرق بالعموم والخصوص، كما أتبع ذلك بالمستغفر، وهو نوع من السائل، فذكر العام ثم الخاص ثم الأخص. وإذا علم العباد أنه قريب، يجيب دعوة الداعي، علموا قربهم منهم، وتمكنهم من سؤاله. وعلموا علمه ورحمته وقدرته، فدعوه دعاء العبادة في حال، ودعاء المسألة في حال، وجمعوا بينهما في حال، إذ الدعاء اسم يجمع العبادة والاستعانة، وقد فسر قوله: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾. بالدعاء الذي هو العبادة، والدعاء الذي هو الطلب، وقوله بعد ذلك:

﴿إِنَّ الَّذِيكَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي﴾ . يؤيد المعنى الأول .

٢ - الجواب الثاني: أن إجابة دعاء السؤال أعم من إعطاء عين المسؤول، كما فسرہ النبي ﷺ فيما رواه مسلم في صحيحه، أن النبي ﷺ قال: "ما من رجل يدعو الله بدعوة ليس فيها إثم ولا قطيعة رحم إلا أعطاه الله بها إحدى ثلاث خصال: إما أن يعجل له دعوته، أو يدخر له من الخير مثلها، أو يصرف عنه من الشر مثلها"، قالوا: يا رسول الله، إذا نكث، قال: "الله أكثر". فقد أخبر الصادق أنه لا بد في الدعوة الخالية عن العدوان من إعطاء السؤال معجلاً، أو مثله من الخير مؤجلاً، أو يصرف عنه من السوء مثله .

٣ - الجواب الثالث: أن الدعاء سبب مقتضى لنيل المطلوب، وإلا فلا يحصل ذلك المطلوب، والسبب له شروط وموانع، فإذا حصلت شروطه وانتفت موانعه، حصل المطلوب، وإلا فلا يحصل ذلك المطلوب، بل قد يحصل غيره. وهكذا سائر الكلمات الطيبات، من الأذكار المأثورة المعلق عليها جلب منافع أو دفع مضار، فإن الكلمات بمنزلة الآلة في يد الفاعل، تختلف باختلاف قوته وما يعينها، وقد يعارضها مانع من الموانع. ونصوص الوعد والوعيد المتعارضة في الظاهر من هذا الباب.

وكثيراً ما تجد أدعية دعا بها قوم، فاستجيب لهم، ويكون قد اقترن بالدعاء ضرورة صاحبه وإقباله على الله، أو حسنة تقدمت منه، جعل الله سبحانه إجابة دعوته شكراً لحسنته، أو صادف وقت إجابة، ونحو ذلك، فأجيب دعوته، فيظن أن السر في ذلك الدعاء، فيأخذه مجرداً عن تلك الأمور التي قارنته من ذلك الداعي.

وهذا كما إذا استعمل رجل دواءً نافعاً في الوقت الذي ينبغي، فانتفع به، فظن آخر أن استعمال هذا الدواء بمجرد كافي في حصول المطلوب، فكان غلطاً.

وكذا قد يدعو باضطراب عند قبر، فيجابه، فيظن أن السر للقبر، ولم يدر أن السر للاضطراب وصدق اللجأ إلى الله تعالى، فإذا حصل ذلك في بيت من بيوت الله تعالى كان أفضل وأحب إلى الله تعالى.

فالأدعية والتعوذات والرقى بمنزلة السلاح، والسلاح بضاربه، لا بحدّه فقط، فمتى كان السلاح تاماً والساعد ساعداً قوياً، والمحل قابلاً، والمانع مفقوداً؛ حصلت به النكاية في العدو، ومتى تخلف واحدٌ من هذه الثلاثة تخلف التأثير.

فإذا كان الدعاء في نفسه غير صالح، أو الداعي لم يجمع بين قلبه ولسانه في الدعاء، أو كان ثم مانع من الإجابة: لم يحصل الأثر.

س ٨٨٩: ما معنى قول الطحاوي في وصف الرب تعالى: "...ومن استغنى عن الله طرفة عين، فقد كفر، وصار من أهل الحين؟".

ج: قال الشارح بعد هذا الكلام المذكور: كلام حق ظاهر لا خفاء فيه. والحين: بالفتح: الهلاك.



الفصل الحادي والثلاثون

غضبُ الله ورضاه

غضب الله ورضاه

قال الطحاوي: " والله يغضب ويرضى ، لا كأحدٍ من الورى " .

س ٨٩٠ : استدل لعنوان الفصل من كتاب الله تعالى ؟ .

ج : ١ - قال تعالى : ﴿ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ﴾ .

٢ - وقال تعالى : ﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ ﴾ .

٣ - وقال تعالى : ﴿ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ ﴾ .

٤ - وقال تعالى : ﴿ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ ﴾ .

٥ - وقال تعالى : ﴿ وَبَاءُ وَبِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ ﴾ . ونظائر ذلك كثيرة .

س ٨٩١ : ما مذهب السلف في صفتي الغضب والرضى للرب تعالى ؟ .

ج : قال الشارح : ومذهب السلف وسائر الأئمة إثبات صفة الغضب والرضى والعداوة الولاية ، والحب والبغض ، ونحو ذلك من الصفات التي ورد بها الكتاب والسنة ، ومنع التأويل الذي يصرفها عن حقائقها اللاتقة بالله تعالى ، كما يقولون مثل ذلك في السمع والبصر والكلام وسائر الصفات ، كما أشار إليه الشيخ فيما تقدم بقوله : " إذ كان تأويل الرؤية وتأويل كل معنى يضاف إلى الربوبية ، ترك التأويل ، ولزوم التسليم ، وعليه دين المرسلين " .

وانظر إلى جواب الإمام مالك رحمته الله في صفة الاستواء كيف ؟ قال :

الاستواء معلوم، والكيف مجهول. وروى أيضاً عن أم سلمة رضي الله عنها موقوفاً عليها، ومرفوعاً إلى النبي ﷺ.

وكذلك قال الشيخ رحمه الله فيما تقدم: "من لم يتوق النفي والتشبيه، زل ولم يصب التنزية". ويأتي في كلامه: "أن الإسلام بين الغلو والتقصير، وبين التشبيه والتعطيل".

س ٨٩٢: لماذا قند الشيخ الصفتين السابقتين (الغضب والرضى) بقوله: "لا كأحد من الورى"؟

ج: قال الشارح: فقول الشيخ رحمه الله: "لا كأحد من الورى" نفى التشبيه، ولا يقال: إن الرضى إرادة الإحسان، والغضب إرادة الانتقام، فإن هذا نفى للصفة. وقد اتفق أهل السنة على أن الله يأمر بما يحبه ويرضاه، وإن كان لا يريده ولا يشاؤه، وينهى عما يسخطه ويكرهه، ويغضبه، ويغضب على فاعله، وإن كان قد شاء وأراده، فقد يحب عندهم ويرضى ما لا يريده، ويكره ويسخط ويغضب لما أراده.

س ٨٩٣: كيف يُرد على من تأول الغضب بأنه: إرادة الانتقام، والرضى: إرادة الإحسان؟

ج: قال الشارح: ويقال لمن تأول الغضب والرضى بإرادة الإحسان: لم تأولت ذلك؟ فلا بد أن يقول: لأن الغضب غليان دم القلب، والرضى الميل والشهوة، وذلك لا يليق بالله تعالى!.

فيقال له: غليان دم القلب في الآدمي ينشأ عن صفة الغضب، لا أنه هو الغضب.

ويقال له أيضاً: وكذلك الإرادة والمشئة فينا، هي ميل الحي إلى الشيء أو إلى ما يلائمه ويناسبه، فإن الحي منا لا يريد إلا ما يجلب له منفعة، أو يدفع عنه مضرة، وهو محتاج إلى ما يريده، ومفتقر إليه، يزداد بوجوده، وينقص بعدمه. فالمعنى الذي صرفت إليه اللفظ كالمعنى الذي صرفته عنه سواء، فإن جاز هذا، جاز ذاك، وإن امتنع هذا امتنع ذاك.

س ٨٩٤: إن قال من ينفي صفتي الرضى والغضب عن الله: بأن الإرادة التي يوصف الله بها، مخالفة للإرادة التي يوصف بها العبد، ومراده بذلك إثبات معنى التحريف الذي زعمه لصفتي الرضى والغضب. فبم ترد عليه؟.

ج: قال الشارح: فإن قال الإرادة التي يوصف الله بها مخالفة للإرادة التي يوصف بها العبد، وإن كان كل منهما حقيقة.

قيل له: فقل: إن الغضب والرضى الذي يوصف الله به مخالف لما يوصف به العبد، وإن كان كل منهما حقيقة. فإذا كان ما يقوله في الإرادة يمكن أن يقال في هذه الصفات، لم يتعين التأويل، بل يجب تركه، لأنك تسلم من التناقض، وتسلم أيضاً من تعطيل معنى أسماء الله تعالى وصفاته بلا موجب. فإن صرف القرآن عن ظاهره وحقيقته بغير موجب حرام، ولا يكون الموجب للصرف ما دله عليه عقله، إذ العقول مختلفة، فكل يقول: إن عقله دله على خلاف ما يقوله الآخر!.

وهذا الكلام يقال لكل من نفى صفة من صفات الله تعالى، لامتناع مسمى ذلك في المخلوق، فإنه لا بد أن يثبت شيئاً لله تعالى على خلاف ما يعهده، حتى في صفة الوجود، فإن وجود العبد كما يليق به، ووجود الباري كما يليق به، فوجوده تعالى يستحيل عليه العدم، ووجود المخلوق لا يستحيل عليه العدم، وما سمي به الرب نفسه وسمى به مخلوقاته، مثل الحي والعليم والقدير، أو سمي به بعض صفاته، كالغضب والرضى، وسمى به بعض صفات عبادته، فنحن نعقل بقلوبنا معاني هذا الأسماء في حق الله تعالى، وأنه حق ثابت موجود، ونعقل أيضاً معاني هذه الأسماء في حق المخلوق، ونعقل بين المعنيين قدراً مشتركاً، لكن هذا المعنى لا يوجد في الخارج مشتركاً، إذ المعنى المشترك الكلي لا يوجد مشتركاً إلا في الأذهان، ولا يوجد في الخارج إلا معيناً مختصاً. فيثبت في كل منهما كما يليق به. بل لو قيل: غضب مالك خازن النار، وغضب غيره من الملائكة: لم يجب أن يكون مماثلاً لكيفية غضب الآدميين، لأن الملائكة ليسوا من الأخلاط الأربعة، حتى تغلي دماء قلوبهم كما يغلي دم قلب الإنسان عند غضبه، فغضب الله أولى.

(س ٨٩٥): ما قول الجهم بن صفوان في صفتي الغضب والرضى؟.

(ج): قال الشارح: وقد نفى الجهم ومن وافقه كل ما وصف الله به نفسه، من كلامه ورضاه وغضبه وحبه وبغضه وأسفه ونحو ذلك، وقالوا: إنما هي أمور مخلوقة منفصلة عنه، ليس هو في نفسه متصفاً بشئ من ذلك!!.

(س ٨٩٦): ما قول ابن كلاب ومن وافقه في صفتي الغضب والرضى؟.

(ج): قال الشارح: وعارض هؤلاء من الصفاتية ابن كُلاب ومن وافقه، فقالوا: لا يوصف الله بشئ يتعلق بمشيئة الله وقدرته أصلاً، بل جميع هذه الأمور صفات لازمة لذاته، قديمة أزلية، فلا يرضى في وقت دون وقت، ولا يغضب في وقت دون وقت.

(س ٨٩٧): بماذا يُرد على نفاة الصفات كالمعتزلة والكلابية وغيرهم، في إثبات صفتي الرضى والغضب، وأن الله يرضى ويغضب في وقت دون وقت؟.

(ج): قال الشارح في رده: كما في حديث الشفاعة: "إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله".

وفي الصحيحين عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ: "إن الله تعالى يقول لأهل الجنة: يا أهل الجنة، فيقولون: لبيك ربنا وسعديك والخير في يديك، فيقول: هل رضيتم؟ فيقولون: وما لنا لا نرضى يا رب؟ وقد أعطيتنا ما لم تعط أحداً من خلقك، فيقول: ألا أعطيكم أفضل من ذلك؟ فيقولون: يا رب، وأي شيء أفضل من ذلك؟ فيقول: أحل عليكم رضواني، فلا أسخط عليكم أبداً".

فيستدل به على أنه يُحل رضوانه في وقت دون وقت، وأنه قد يحل رضوانه ثم يسخط، كما يحل السخط ثم يرضى، لكن هؤلاء أحل عليهم رضواناً لا يتعقبه سخط.

وهم قالوا: لا يتكلم إذا شاء، ولا يضحك إذا شاء، ولا يغضب إذا شاء، ولا يرضى إذا شاء، بل إما أن يجعلوا الرضى والغضب والحب والبغض هو الإرادة، أو يجعلوها صفات أخرى، وعلى التقديرين، فلا يتعلق

شيء من ذلك بمشيئته ولا بقدرته، إذ لو تعلقت بذلك لكان محلاً للحوادث!! فنفى هؤلاء الصفات الفعلية الذاتية بهذا الأصل، كما نفى أولئك الصفات مطلقاً بقولهم: ليس محلاً للأعراض. وقد يقال: بل هي أفعال ولا تسمى حوادث، كما سميت تلك صفات ولم تسم أعراضاً. وقد تقدمت الإشارة إلى هذا المعنى، ولكن الشيخ رحمه الله لم يجمع الكلام في الصفات في المختصر في مكان واحد، وكذلك الكلام في القدر ونحو ذلك، ولم يعتن فيه بترتيب. وأحسن ما يترتب عليه كتاب أصول الدين ترتيب جواب النبي ﷺ لجبريل عليه السلام، حين سأله عن الإيمان، فقال: "أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر" الحديث، فيبدأ بالكلام على التوحيد والصفات وما يتعلق بذلك، ثم بالكلام على الملائكة، ثم، وثم، إلى آخره.



الفصل الثاني والثلاثون

**حب الصحابة
دين وإيمان وإحسان**

حب الصحابة دين وإيمان وإحسان

س ٨٩٨: على من رد الإمام الطحاوي بقوله: " ونحب أصحاب رسول الله ﷺ ولا نفرط في حب أحدٍ منهم.. "؟

ج: قال الشارح: يشير الشيخ رحمه الله إلى الرد على الروافض والنواصب.

س ٨٩٩: أورد بعض الأدلة من القرآن الكريم في الشاء على الصحابة؟

ج: أثنى الله على الصحابة هو ورسوله، ورضي عنهم، ووعدهم الحسنی:

١ - قال تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَدَّمُونَ وَالْأُولَئِكَ هُمُ الْمُفَوَّضُونَ وَالَّذِينَ تَبِعُوا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفَوَّضُونَ﴾^(١) .

٢ - وقال تعالى: ﴿تَحْمَدُ رَسُولَ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا﴾ . إلى آخر السورة.

٣ - وقال تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ .

٤ - وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ .

٥ - وقال تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدِ وَقَتْلِهِمْ وَكَذَلِكَ وَعَدَ اللَّهُ الْحَسَنَى وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ .

٦ - وقال تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَصُورُونَ اللَّهَ رُسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٠﴾﴾.

وهذه الآيات تتضمن الثناء على المهاجرين والأنصار، وعلى الذين جاؤوا من بعدهم، يستغفرون لهم، ويسألون الله أن لا يجعل في قلوبهم غلاً لهم، وتتضمن أن هؤلاء هم المستحقون للفيء، فمن كان في قلبه غلٌ للذين آمنوا، ولم يستغفر لهم، لا يستحق في الفيء نصيباً بنص القرآن.

٧ - وقال تعالى: ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ﴾.

س ٩٠٠: استدل ببعض الأدلة من السنة في الثناء على الصحابة رضي الله عنهم؟.

ج: ١ - وفي الصحيحين عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: كان بين خالد بن الوليد وبين عبدالرحمن بن عوف شيء فسيبه خالد، فقال رسول الله ﷺ: "لا تسبوا أحداً من أصحابي، فلو أن أحدكم أنفق مثل أحدٍ ذهباً، ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه". انفرد مسلم بذكر سب خالد لعبدالرحمن، دون البخاري.

فالنبي ﷺ يقول لخالد ونحوه: "لا تسبوا أصحابي"، يعني عبدالرحمن وأمثاله؛ لأن عبدالرحمن ونحوه هم السابقون الأولون، وهم الذين أسلموا من قبل الفتح وقاتلوا، وهم أهل بيعة الرضوان، فهم أفضل، وأخص بصحبته ممن أسلم بعد بيعة الرضوان، وهم الذين أسلموا بعد الحديبية، وبعد مصالحة النبي ﷺ أهل مكة، ومنهم خالد بن الوليد، وهؤلاء أسبق ممن تأخر إسلامهم إلى فتح مكة، وسُمّوا الطلقاء، منهم أبو سفيان وابناه يزيد ومعاوية.

والمقصود أنه نهى من له صحبة آخرأ أن يسب من له صحبة أولاً، لامتيازهم عنهم من الصحبة بما لا يمكن أن يشركوهم فيه، حتى لو أنفق أحدهم مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه.

٢ - وفي صحيح مسلم عن جابر، قال: قيل لعائشة رضي الله عنها: إن ناساً يتناولون أصحاب رسول الله ﷺ حتى أبا بكر وعمر! فقالت: وما تعجبون من هذا! انقطع عنهم العمل، فأحب الله أن لا يقطع عنهم الأجر.

٣ - وروى ابن بطة بإسناد صحيح عن ابن عباس أنه قال: "لا تسبوا أصحاب محمد، فلمقام أحدهم ساعة - يعني مع النبي ﷺ - خير من عمل أحدكم أربعين سنة" وفي رواية وكيع: "خير من عبادة أحدكم عمره".

٤ - وفي الصحيحين من حديث عمران بن حصين وغيره، أن رسول الله ﷺ قال: "خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم" قال عمران: فلا أدري أذكر بعد قرنه قرنين أو ثلاثة، الحديث.

٥ - وقد ثبت في صحيح مسلم عن جابر رضي الله عنه قال: "لا يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة".

(س ٩٠١): من هم السابقون الأولون المذكورون في الآيات والأحاديث؟

(ج): قال الشارح: والسابقون الأولون، من المهاجرين والأنصار، هم الذين أنفقوا من قبل الفتح وقاتلوا، وأهل بيعة الرضوان كلهم منهم، وكانوا أكثر من ألف وأربع مئة.

وقيل: إن السابقين الأولين من صلى إلى القبلتين، وهذا ضعيف؛ فإن الصلاة إلى القبلة المنسوخة ليس بمجرده فضيلة، لأن النسخ ليس من فعلهم، ولم يدل على التفضيل به دليل شرعي، كما دل على التفضيل بالسبق إلى الإنفاق والجهاد والمبايعة التي كانت تحت الشجرة.

(س ٩٠٢): ما صحة حديث: "أصحابي كالنجوم.. " وعلام يستدل به؟

(ج): قال الشارح: وأما ما يروى عن النبي ﷺ أنه قال: "أصحابي كالنجوم

بأيهم اقتديتم اهتديتم " فهو حديث ضعيف. قال البزار: هذا حديث لا يصح عن رسول الله ﷺ، وليس هو في كتب الحديث المعتمدة.
(قلت): فلا يستدل به في العقائد لعدم ثبوته.

س ٩٠٣: استدل بأقوال بعض الصحابة في الثناء على الصحابة رضي الله عنهم؟.

ج: ١ - قال عبدالله بن مسعود رضي الله عنه في وصفهم: إن الله تعالى نظر في قلوب العباد، فوجد قلب محمد خير قلوب العباد، فاصطفاه لنفسه، وابتعته برسالته، ثم نظر في قلوب العباد بعد قلب محمد ﷺ، فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد، فجعلهم وزراء نبيه، يقاتلون على دينه، فما رآه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن، وما رأوه سيئاً، فهو عند الله سيء.

٢ - وفي رواية: وقد رأى أصحاب محمد جميعاً أن يستخلفوا أبا بكر.

٣ - وتقدم قول ابن مسعود: من كان منكم مستناً فليستن بمن قد مات... إلخ، عند قول الشيخ: "ونتبع السنة والجماعة".

فمن أضل ممن يكون في قلبه غلّ لخيار المؤمنين، وسادات أولياء الله تعالى بعد النبيين؟! بل قد فضلتهم اليهود والنصارى بخصلة، قيل لليهود: من خير أهل ملتكم؟ قالوا: أصحاب موسى، وقيل للنصارى: من خير أهل ملتكم؟ قالوا: أصحاب عيسى، وقيل للرافضة: من شر أهل ملتكم؟ قالوا: أصحاب محمد!! لم يستثنوا منهم إلا القليل، وفيمن سبّوهم من هو خير ممن استثنوهم بأضعاف مضاعفة.

س ٩٠٤: لم قال الطحاوي: "ولا نفرط في حب أحد منهم"؟.

ج: قال الشارح: وقوله: "ولا نفرط في حب أحد منهم" أي: لا نتجاوز الحد في حب أحد منهم، كما تفعل الشيعة، فنكون من المعتدين، قال تعالى: ﴿يَتَأَهَّلَ الْكِتَابُ لَا تَقْلُوا فِي دِينِكُمْ﴾.

س ٩٠٥: ما معتقد الرافضة في التولي والتبري؟ وما معتقد أهل السنة فيهما؟.

ج: قال الشارح: وقوله - أي الإمام الطحاوي - "ولا نتبرأ من أحد منهم كما فعلت الرافضة"، فعندهم لا ولاء إلا ببراء، أي: لا يتولى أهل البيت حتى يتبرأ من أبي بكر وعمر رضي الله عنهما!! وأهل السنة يوالونهم كلهم، وينزلونهم منازلهم التي يستحقونها، بالعدل والإنصاف، لا بالهوى والتعصب، فإن ذلك كله من البغي الذي هو مجاوزة الحد، كما قال تعالى: ﴿فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْإِلْمُ بَغْيًا يَنْهَهُمْ﴾. وهذا معنى قول من قال من السلف: الشهادة بدعة، والبراء بدعة. يروى ذلك عن جماعة من السلف، من الصحابة والتابعين، منهم: أبو سعيد الخدري، والحسن البصري، وإبراهيم النخعي، والضحاك، وغيرهم.

ومعنى الشهادة: أن يشهد على معين من المسلمين أنه من أهل النار، أو أنه كافر، بدون العلم بما ختم الله له به.

س ٩٠٦: لماذا كان حب الصحابة ديناً وإيماناً وإحساناً، وبغضهم كفراً ونفاقاً وطغياناً، كما قال الإمام الطحاوي؟.

ج: قوله: "وحبهم دين وإيمان وإحسان" لأنه امتثال لأمر الله فيما تقدم من النصوص، وروى الترمذي عن عبدالله بن مغفل، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "الله الله في أصحابي، لا تتخذوهم غرضاً بعدي، فمن أحبهم فبحبي أحبهم، ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم، ومن آذاهم فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله، ومن آذى الله فيوشك الله أن يأخذه".

وقوله: "وبغضهم كفر ونفاق وطغيان": تقدم الكلام في تكفير أهل البدع، وهذا الكفر نظير الكفر المذكور في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾. وقد تقدم الكلام في ذلك.

س ٩٠٧: ما المشكل في قول الطحاوي: "وحبهم دين وإيمان وإحسان"؟.

ج: قال الشارح: وتسمية حب الصحابة إيماناً مُشكلٌ على الشيخ رحمه الله؛ لأن الحب عمل القلب، وليس هو التصديق، فيكون العمل داخلياً في مسمى الإيمان، وقد تقدم في كلامه: "أن الإيمان هو الإقرار باللسان والتصديق بالجنان"، ولم يجعل العمل داخلياً في مسمى الإيمان، وهذا هو

المعروف من مذهب أبي حنيفة، إلا أن تكون هذه التسمية مجازاً.

(س ٩٠٨) لمن كانت الخلافة بعد النبي ﷺ وكيف ثبتت له؟.

(ج) قال الطحاوي: "ونثبت الخلافة بعد رسول الله ﷺ أولاً لأبي بكر الصديق ﷺ تفضيلاً له وتقديماً على جميع الأمة".

قال الشارح: اختلف أهل السنة في خلافة الصديق ﷺ: هل كانت بالنص، أو بالاختيار؟.

١ - فذهب الحسن البصري وجماعة من أهل الحديث إلى أنها ثبتت بالنص الخفي والإشارة.

٢ - ومنهم من قال: بالنص الجلي.

٣ - وذهب جماعة من أهل الحديث والمعتزلة والأشعرية إلى أنها ثبتت بالاختيار.

(س ٩٠٩) ما أدلة الذين قالوا: إن الخلافة ثبتت لأبي بكر الصديق بالنص؟.

(ج) قال الشارح: والدليل على ثبوتها بالنص أخبار:

١ - من ذاك ما أسنده البخاري عن جبير بن مطعم ﷺ قال: أتت امرأة إلى النبي ﷺ فأمرها أن ترجع إليه، قالت: أرايت إن جئت فلم أجداك؟ كأنها تريد الموت، قال: "إن لم تجديني فأني أبا بكر". وذكر له سياقاً آخر، وأحاديث آخر. وذلك نص على إمامته.

٢ - وحديث حذيفة بن اليمان قال: قال رسول الله ﷺ: "اقتدوا بالَّذين من بعدي: أبي بكر وعمر" رواه أهل السنن.

٣ - وفي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها وعن أبيها، قالت: دخل عليّ رسول الله ﷺ في اليوم الذي بدئ فيه، فقال: "ادعي لي أباك وأخاك، حتى أكتب لأبي بكر كتاباً، ثم قال: يا أيُّ الله والمسلمون إلا أبا بكر". وفي رواية: "فلا يطمع في هذا الأمر طامع".

٤ - وفي رواية: قال: "ادعي لي عبدالرحمن بن أبي بكر، لأكتب لأبي بكر كتاباً لا يُختلف عليه، ثم قال: معاذ الله أن يختلف المؤمنون في أبي بكر".

٥ - وأحاديث تقديمه في الصلاة مشهورة معروفة، وهو يقول: "مروا أبا بكر فليصل بالناس".

وقد روجع في ذلك مرة بعد مرة، فصلى بهم مدة مرض النبي ﷺ.

٦ - وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: بينا أنا نائم رأيتني على قليب، عليها دلو، فنزعت منها ما شاء الله، ثم أخذها ابن أبي قحافة، فنزع منها ذنوباً أو ذنوبين، وفي نزعه ضعف، والله يغفر له، ثم استحالت غرباً، فأخذها ابن الخطاب، فلم أر عبقرياً من الناس يفري فريته، حتى ضرب الناس بعطن".

٧ - وفي الصحيح أنه ﷺ قال على منبره: "لو كنت متخذاً من أهل الأرض خليلاً، لاتخذت أبا بكر خليلاً، لا يبقين في المسجد خوخة إلا سدت، إلا خوخة أبي بكر".

٨ - وفي سنن أبي داود وغيره، من حديث الأشعث، عن الحسن عن أبي بكرة أن النبي ﷺ قال ذات يوم: "من رأى منكم رؤيا؟" فقال رجل: أنا رأيت كأن ميزاناً أنزل من السماء، فوزنت أنت وأبو بكر، فرجحت أنت بأبي بكر، ثم وزن عمر وأبو بكر، فرجح أبو بكر، ووزن عمر وعثمان، فرجح عمر، ثم رفع الميزان، فرأيت الكراهة في وجه النبي ﷺ، فقال: "خلافة نبوة، ثم يؤتي الله الملك من يشاء".

فبين رسول الله ﷺ أن ولاية هؤلاء خلافة نبوة، ثم بعد ذلك ملك. وليس فيه ذكر علي رضي الله عنه، لأنه لم يجتمع الناس في زمانه، بل كانوا مختلفين، لم ينتظم فيه خلافة النبوة ولا الملك.

٩ - وروى أبو داود أيضاً عن جابر رضي الله عنه أنه كان يحدث أن رسول الله ﷺ قال: «رأى الليلة رجل صالح أن أبا بكر نيط برسول الله ﷺ، ونيط عمر بأبي بكر، ونيط عثمان بعمر» قال جابر: فلما قمنا من عند رسول الله ﷺ، قلنا: أما الرجل الصالح، فرسول الله ﷺ، وأما المنوط بعضهم ببعض، فهم ولادة هذا الأمر الذي بعث الله به نبيه.

١٠ - وروى أبو داود أيضاً عن سمرة بن جندب: أن رجلاً قال: يا

رسول الله، رأيت كأن دلواً دلي من السماء، فجاء أبو بكر فأخذ بعراقيها، فشرب شرباً ضعيفاً، ثم جاء عمر فأخذ بعراقيها، فشرب حتى تضرع، ثم جاء عثمان فأخذ بعراقيها فشرب حتى تضرع، ثم جاء علي فأخذ بعراقيها فانتشطت منه، فانتضح عليه منها شيء".

١١ - وعن سعيد بن جهمان عن سفيينة قال: قال رسول الله ﷺ: "خلافة النبوة ثلاثون سنة، ثم يؤتي الله ملكه من يشاء أو الملك".

١٢ - وروى ابن بطة بإسناده: أن عمر بن عبدالعزيز بعث محمد بن الزبير الحنظلي إلى الحسن، فقال: هل كان النبي ﷺ استخلف أبا بكر؟ فقال: أو في شك صاحبك؟ نعم والله الذي لا إله إلا هو استخلفه، لهو كان أتقى لله من أن يتوئب عليها.

س ٩١٠: ما حجة الذين قالوا: إن النبي ﷺ لم يستخلف أحداً بنص؟

ج: احتج من قال: لم يستخلف:

١ - بالخبر المأثور عن عبدالله بن عمر عن عمر رضي الله عنهما، أنه قال: إن أستخلف، فقد استخلف من هو خير مني، يعني أبا بكر، وإن لا أستخلف، فلم يستخلف من هو خير مني، يعني رسول الله ﷺ. رواه البخاري.

٢ - وبما روي عن عائشة رضي الله عنها أنها سئلت من كان رسول الله ﷺ مستخلفاً لو استخلف؟ أخرجه مسلم.

س ٩١١: ما الذي رجحه الشارح في قضية استخلاف أبي بكر، هل كانت

بنص أم لا؟

ج: قال الشارح: والظاهر - والله أعلم - أن المراد أنه لم يستخلف بعهد مكتوب، ولو كتب عهداً، لكتبه لأبي بكر، وقد أراد كتابته ثم تركه، وقال: "يا أي الله والمسلمون إلا أبا بكر".

فكان هذا أبلغ من مجرد العهد، فإن النبي ﷺ دل المسلمين على استخلاف أبي بكر، وأرشدتهم إليه بأمور متعددة من أقواله وأفعاله، وأخبر بخلافته إخبار راضٍ بذلك، حامد له، وعزم على أن يكتب بذلك عهداً، ثم

علم أن المسلمين يجتمعون عليه، فترك الكتاب اكتفاءً بذلك، ثم عزم على ذلك في مرضه يوم الخميس، ثم لما حصل لبعضهم شك: هل ذلك القول من جهة المرض؟ أو هو قول يجب اتباعه تَرَكَ الكتابة، اكتفاءً بما علم أن الله يختاره والمؤمنون من خلافة أبي بكر.

فلو كان التعيين مما يشتهه على الأمة، لبينه بياناً قاطعاً للعدر، لكن لما دلهم دلالات متعددة على أن أبا بكر المُتَّعَيْن، فهموا ذلك، حصل المقصود، ولهذا قال عمر رضي الله عنه في خطبته التي خطبها بمحضر من المهاجرين والأنصار: أنت خيرنا وسيدنا وأحبنا إلى رسول الله ﷺ، ولم ينكر ذلك أحد، ولا قال أحد من الصحابة: إن غير أبي بكر من المهاجرين أحق بالخلافة منه، ولم ينازع أحد في خلافته إلا بعض الأنصار، طمعاً في أن يكون من الأنصار أميراً، ومن المهاجرين أميراً، وهذا مما ثبت بالنصوص المتواترة عن النبي ﷺ بطلانه.

ثم الأنصار كلهم بايعوا أبا بكر، إلا سعد بن عباد لكونه هو الذي كان يطلب الولاية، ولم يقل أحد من الصحابة قط: أن النبي ﷺ نص على غير أبي بكر، لا علي ولا العباس، ولا غيرهما، كما قال أهل البدع.

وروى ابن بطة بإسناده: أن عمر بن عبدالعزيز بعث محمد بن الزبير الحنظلي إلى الحسن، فقال: هل كان النبي ﷺ استخلف أبا بكر؟ فقال: أو في شك صاحبك؟ نعم والله الذي لا إله إلا هو استخلفه، لهو كان أتقى لله من أن يتوثب عليها.

وفي الجملة: فجميع من نقل عنه أنه طلب تولية غير أبي بكر، لم يذكر حجة دينية شرعية، ولا ذكر أن غير أبي بكر أفضل منه، أو أحق بها، وإنما نشأ من حب قبيلته وقومه فقط، وهم كانوا يعلمون فضل أبي بكر رضي الله عنه، وحب رسول الله ﷺ له، ففي الصحيحين عن عمرو بن العاص: أن رسول الله ﷺ بعثه على جيش ذات السلاسل، فأتيته، فقلت: أي الناس أحب إليك؟ قال: "عائشة" قلت: من الرجال؟ قال: "أبوها"، قلت: ثم من؟ قال: "عمر" وعدّ رجالاً.

وفيهما أيضاً عن أبي الدرداء قال: كنت جالساً عند النبي ﷺ، إذ أقبل أبو بكر آخذاً بطرف ثوبه، حتى أبدى عن ركبتيه، فقال النبي ﷺ: "أما

صاحبكم فقد غامر"، فسلم وقال: إنه كان بيني وبين ابن الخطاب شيء، فأسرعت إليه، ثم ندمت، فسألته أن يغفر لي، فأبى عليّ، فأقبلت إليك، فقال: "يغفر الله لك يا أبا بكر" ثلاثاً، ثم إن عمر ندم، فأتى منزل أبي بكر، فسأل أثم هو؟ فقالوا: لا، فأتى النبي ﷺ فسلم عليه، فجعل وجه النبي ﷺ، يتمعر، حتى أشفق أبو بكر، فجثا على ركبتيه، فقال: يا رسول الله، والله أنا كنت أظلم مرتين، فقال النبي ﷺ: "إن الله بعثني إليكم، فقلتم: كذبت، وقال أبو بكر: صدقت، وواساني بنفسه وماله، فهل أنتم تاركو لي صاحبي؟" مرتين فما أودى بعدها.

ومعنى غامر: غاضب وخاصم، ويضيق هذا المختصر عن ذكر فضائله. وفي الصحيحين أيضاً عن عائشة رضي الله عنها: أن رسول الله ﷺ مات وأبو بكر بالسنح - فذكرت الحديث - إلى أن قالت: واجتمع الأنصار إلى سعد بن عباد في سقيفة بني ساعدة، فقالوا: منا أمير ومنكم أمير، فذهب إليهم أبو بكر وعمر بن الخطاب وأبو عبيدة بن الجراح، فذهب عمر يتكلم، فأسكته أبو بكر، وكان عمر يقول: والله ما أردت بذلك إلا أني هيأت في نفسي كلاماً قد أعجبنني، خشيت ألا يبلغه أبو بكر، ثم تكلم أبو بكر، فتكلم أبلغ الناس، فقال في كلامه: نحن الأمراء وأنتم الوزراء، فقال حباب بن المنذر: لا والله لا نفعل، منا أمير ومنكم أمير، فقال أبو بكر: لا ولكننا الأمراء، وأنتم الوزراء، هم أوسط العرب، وأعزهم أحساباً، فبايعوا عمر أو أبا عبيدة بن الجراح، فقال عمر: بل نبايعك، فأنت سيدنا وخيرنا، وأحبنا إلى رسول الله ﷺ، فأخذ عمر بيده، فبايعه، وبايعه الناس، فقال قائل: قتلتم سعداً، فقال: عمر، قتله الله.

(س ٩١٢) استدل بثلاثة نصوص من السنة في فضائل الصديق ﷺ؟.

١ - (ج) في الصحيحين عن عمرو بن العاص: أن رسول الله ﷺ بعثه على جيش ذات السلاسل، فأتيته، فقلت: أي الناس أحب إليك؟ قال: "عائشة" قلت: من الرجال؟ قال: "أبوها"، قلت: ثم من؟ قال: "عمر" وعدّ رجالاً. ٢ - وفيهما أيضاً عن أبي الدرداء قال: كنت جالساً عند النبي ﷺ، إذ

أقبل أبو بكر آخذاً بطرف ثوبه، حتى أبدى عن ركبتيه، فقال النبي ﷺ: "أما صاحبكم فقد غامر"، فسلم وقال: إنه كان بيني وبين ابن الخطاب شيء، فأسرعت إليه، ثم ندمت، فسألته أن يغفر لي، فأبى عليّ، فأقبلت إليك، فقال: "يغفر الله لك يا أبا بكر" ثلاثاً، ثم إن عمر ندم، فأتى منزل أبي بكر، فسأل أثم هو؟ فقالوا: لا، فأتى النبي ﷺ فسلم عليه، فجعل وجه النبي ﷺ يتمعر، حتى أشفق أبو بكر، فجثا على ركبتيه، فقال: يا رسول الله، والله أنا كنت أظلم مرتين، فقال النبي ﷺ: "إن الله بعثني إليكم، فقلتم: كذبت، وقال أبو بكر: صدقت، وواساني بنفسه وماله، فهل أنتم تاركو لي صاحبي؟" مرتين فما أودى بعدها.

٣ - وفي الصحيحين أيضاً عن عائشة رضي الله عنها: أن رسول الله ﷺ مات وأبو بكر بالسنح - فذكرت الحديث - إلى أن قالت: واجتمع الأنصار إلى سعد بن عباد في سقيفة بني ساعدة، فقالوا: منا أمير ومنكم أمير، فذهب إليهم أبو بكر وعمر بن الخطاب وأبو عبيدة بن الجراح، فذهب عمر يتكلم، فأسكته أبو بكر، وكان عمر يقول: والله ما أردت بذلك إلا أني هيأت في نفسي كلاماً قد أعجبني، خشيت ألا يبلغه أبو بكر، ثم تكلم أبو بكر. فتكلم أبلغ الناس، فقال في كلامه: نحن الأمراء وأنتم الوزراء، فقال حباب بن المنذر: لا والله لا نفعل، منا أمير ومنكم أمير، فقال أبو بكر: لا ولكننا الأمراء، وأنتم الوزراء، هم أوسط العرب، وأعزهم أحساباً، فبايعوا عمر أو أبا عبيدة بن الجراح، فقال عمر: بل نبايعك، فأنت سيدنا وخيرنا، وأحبنا إلى رسول الله ﷺ، فأخذ عمر بيده، وبايعه، وبايعه الناس، فقال قائل: قتلتم سعداً، فقال: عمر، قتله الله.

والسنح: العالية، وهي حديقة من حدائق المدينة معروفة بها.

(س ٩١٣) من الذي خلف الصديق؟ وكيف كان الاستخلاف؟.

(ج) قال الطحاوي: "ثم لعمر بن الخطاب رضي الله عنه".

قال ابن أبي العز: أي ونشبت الخلافة بعد أبي بكر، لعمر رضي الله عنهما. وذلك بتفويض أبي بكر الخلافة إليه، واتفاق الأمة بعده عليه.

س ٩١٤: هل لك أن تذكر بعض فضائل عمر بن الخطاب رضي الله عنه من السنة؟ .

ج: قال الشارح: وفضائله رضي الله عنه أشهر من أن تنكر، وأكثر من أن تذكر.

١ - فقد روي عن محمد بن الحنفية أنه قال: قلت لأبي: يا أبت، من خير الناس بعد رسول الله ﷺ؟ فقال: يا بني أو ما تعرف؟ فقلت: لا، قال: أبو بكر، قلت: ثم من؟ قال: عمر، وخشيت أن يقول: ثم عثمان، فقلت: ثم أنت؟ فقال: ما أنا إلا رجل من المسلمين.

٢ - وتقدم قوله ﷺ: "اقتدوا باللذين من بعدي: أبي بكر وعمر".

٣ - وفي صحيح مسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: وضع عمر على سريره، فتكفنه الناس يدعون، ويشنون، ويصلون عليه قبل أن يرفع، وأنا فيهم، فلم يرعني إلا برجل قد أخذ بمنكبي من ورائي، فالتفت إليه، فإذا هو علي، فترحم على عمر، وقال: ما خلفت أحداً أحب إليّ أن ألقى الله بمثل عمله منك، وإيم الله إن كنت لأظن أن يجعلك الله مع صاحبيك، وذلك أني كنت كثيراً ما أسمع رسول الله ﷺ يقول: "جئت أنا وأبو بكر وعمر، ودخلت أنا وأبو بكر وعمر، وخرجت أنا وأبو بكر وعمر، فإن كنت لأرجو، أو لأظن أن يجعلك الله معهما".

٤ - وتقدم حديث أبي هريرة رضي الله عنه، في رؤيا رسول الله ﷺ، ونزعه من القليب، ثم نزع أبي بكر، ثم استحال الدلو غرباً، فأخذها ابن الخطاب، فلم أر عبقرياً من الناس ينزع نزع عمر، حتى ضرب الناس بعطن.

٥ - وفي الصحيحين من حديث سعد بن أبي وقاص: قال: استأذن عمر بن الخطاب على رسول الله ﷺ، وعنده نساء من قریش، يكلمنه، عالية أصواتهن، الحديث... وفيه: فقال النبي ﷺ: "إيه يا ابن الخطاب والذي نفسي بيده، ما لقيك الشيطان سالكاً فجاً إلا سلك فجاً غير فجك".

٦ - وفي الصحيحين أيضاً عن النبي ﷺ، أنه كان يقول: "قد كان في الأمم قبلكم محدثون، فإن يكن في أمتي منهم أحد، فإن عمر بن الخطاب منهم".

قال ابن وهب: تفسير محدثون: ملهون.

س ٩١٥: من الذي خلف عمر في إمرة المسلمين، وكيف كان تولي الخلافة؟.

ج: قال الطحاوي: " ثم لعثمان رضي الله عنه . "

قال الشارح: أي وثبت الخلافة بعد عمر لعثمان رضي الله عنهما، وقد ساق البخاري رحمه الله قصة قتل عمر رضي الله عنه، وأمر الشورى والمبايعة لعثمان في صحيحه فأحببت أن أسردها كما رواها بسنده: عن عمرو بن ميمون قال: رأيت عمر رضي الله عنه قبل أن يصاب بالمدينة بأيام، ووقف على حذيفة بن اليمان وعثمان بن حنيف، فقال: كيف فعلتما؟ أتخافان أن تكونا قد حملتما الأرض ما لا تطيق؟ قالوا: لا، فقال عمر: لئن سلمني الله، لأدعن أرامل أهل العراق لا يحتجن إلى رجلٍ بعدي أبداً، قال: فما أتت عليه أربعة، حتى أصيب.

قال: إني لقائم ما بيني وبينه إلا عبدالله بن عباس غداة أصيب، وكان إذا مر بين الصفين قال: استووا، حتى إذا لم ير فيهن خلاً تقدم فكبر، وربما قرأ سورة يوسف، أو النحل، أو نحو ذلك في الركعة الأولى، حتى يجتمع الناس، فما هو إلا أن كبر، فسمعته يقول: قتلني الكلب، أو أكلني الكلب، حين طعنه، فطار العُلاج بسكين ذات طرفين، لا يمر على أحدٍ يميناً ولا شمالاً إلا طعنه، حتى طعن ثلاثة عشر رجلاً، مات منهم سبعة، فلما رأى ذلك رجل من المسلمين، طرح عليه بُرُساً، فلما ظن أنه مأخوذ، نحر نفسه، وتناول عمر يد عبدالرحمن بن عوف، فقدمه، فمن يلي عمر، فقد رأى الذي أرى، وأما نواحي المسجد، فإنهم لا يدرون غير أنهم قد فقدوا صوت عمر، وهم يقولون: سبحان الله، سبحان الله، فصلى بهم عبدالرحمن صلاة خفيفة، فلما انصرفوا، قال: يا ابن عباس انظر من قتلني؟.

فجال ساعة، ثم جاء، فقال: غلام المغيرة، قال: الصَّنْعُ؟ قال: نعم، قال: قاتله الله فلقد أمرت به معروفاً! الحمد لله الذي لم يجعل منيتي بيد رجل يدعي الإسلام، قد كنت أنت وأبوك تحبان أن تكثر العلوج بالمدينة، وكان العباس أكثرهم رقيقاً، فقال: إن شئت فعلت، أي: إن شئت قتلنا، فقال: كذبت، بعد ما تكلموا بلسانكم، وصلوا قبلتكم، وحجوا حجكم! فاحتمل إلى بيته، فانطلقنا معه، وكأن الناس لم تصبهم مصيبة قبل يومئذ،

فقائل يقول: لا بأس عليه، وقائل يقول: أخاف عليه، فأُتي بنبيذ فشربه، فخرج من جوفه، ثم أُتي بلبن فشربه، فخرج من جوفه، فعرفوا أنه ميت.

فدخلنا عليه، وجاء الناس يثنون عليه، وجاء رجل شاب، فقال: أبشر يا أمير المؤمنين ببشرى الله لك، من صحبة رسول الله، وقدم في الإسلام ما قد علمت، ثم وليت فعدلت، ثم شهادة، قال: وددت أن ذلك كان كفافاً، لا علي ولا لي، فلما أدبر إذا إزاره يمس الأرض، قال: ردوا علي الغلام، قال: يا ابن أخي، ارفع ثوبك، فإنه أنقى لثوبك، وأتقى لربك. يا عبدالله بن عمر، انظر ما علي من الدين، فحسبوه، فوجدوه ستة وثمانين ألفاً ونحوه، قال: إن وفي له مال آل عمر، فأده من أموالهم، وإلا فسل في بني عدي بن كعب، فإن لم تف أموالهم، فسل في قريش، ولا تعدهم إلى غيرهم، فأد عني هذا المال. انطلق إلى عائشة أم المؤمنين، فقل: يقرأ عليك عمر السلام، ولا تقل: أمير المؤمنين، فإني لست اليوم للمؤمنين أميراً، وقل: يستأذن عمر بن الخطاب أن يدفن مع صاحبيه، فسلم واستأذن، ثم دخل عليها، فوجدها قاعدة تبكي، فقال: يقرأ عليك عمر بن الخطاب السلام، ويستأذن أن يدفن مع صاحبيه، قالت: كنت أريده لنفسى، ولأوثرن به اليوم على نفسى، فلما أقبل، قيل: هذا عبدالله قد جاء، قال: ارفعوني، فأسنده رجل إليه، قال: ما لديك؟ قال: الذي تحب يا أمير المؤمنين، أذنت، قال: الحمد لله، ما كان شيء أحب إلي من ذلك، فإذا أنا قضيت فاحملوني، ثم سلم فقل: يستأذن عمر بن الخطاب، فإن أذنت لي فأدخلوني، وإن ردتني فردوني إلى مقابر المسلمين. وجاءت أم المؤمنين حفصة والنساء يسرن معها، فلما رأيناها قمنا، فولجت عليه، فبكت عنده ساعة، واستأذن الرجال، فولجت داخلاً لهم، فسمعنا بكاءها من الداخل، فقالوا: أوص يا أمير المؤمنين، استخلف، قال: ما أجد أحق بهذا الأمر من هؤلاء نفر أو رهط، الذين توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راضٍ، فسمى علياً، وعثمان، والزبير، وطلحة، وسعداً، وعبدالرحمن، وقال: يشهدكم عبدالله بن عمر، وليس له من الأمر شيء، كهيئة التعزية له، فإن أصابت الإمرة سعداً فذاك، وإلا فليستعن به أيكم ما أمر، فإني لم أعزله من عجز ولا خيانة.

وقال: أوصي الخليفة من بعدي بالمهاجرين الأولين: أن يعرف لهم حقهم، ويحفظ لهم حرمتهم، وأوصيه بالأنصار خيراً، الذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم، أن يقبل من محسنهم ويتجاوز عن مسيئهم، وأوصيه بأهل الأمصار خيراً، فإنهم ردة الإسلام، وجباة الأموال، وغيظ العدو، أن لا يؤخذ منهم إلا فضلهم عن رضاهم، وأوصيه بالأعراب خيراً، فإنهم أصل العرب، ومادة الإسلام، أن يأخذ من حواشي أموالهم، وأن يُرد على فقرائهم، وأوصي بذمة الله وذمة رسوله أن يوفي بعهدهم، وأن يُقاتل من ورائهم، ولا يكلفوا إلا طاقتهم.

فلما قُبض خرجنا به، فانطلقنا نمشي، فسلم عبدالله بن عمر، قال: يستأذن عمر بن الخطاب، قالت: أدخلوه، فأدخل، فوضع هنالك مع صاحبيه، فلما فُرج من دفنه، اجتمع هؤلاء الرهط، فقال عبدالرحمن بن عوف: اجعلوا أمركم إلى ثلاثة منكم، قال الزبير: قد جعلت أمري إلى علي، وقال طلحة: قد جعلت أمري إلى عثمان، وقال سعد: قد جعلت أمري إلى عبدالرحمن، فقال عبدالرحمن: أيكما تبرأ من هذا الأمر فنجعله إليه، والله عليه والإسلام لينظرن أفضلهم في نفسه، فأسكت الشيخان، فقال عبدالرحمن: أفتجعلونه إليّ؟ والله عليّ أن لا آلو عن أفضلكم؟ قالوا: نعم، فأخذ بيد أحدهما، فقال: لك قرابة من رسول الله ﷺ والقدم في الإسلام ما قد علمت، فبالله عليك، لئن أمّرتك لتعدلن، ولئن أمّرت عليك لتسمعن ولتطيعن، ثم خلا بالآخر، فقال له مثل ذلك، فلما أخذ الميثاق، قال: ارفع يدك يا عثمان، فبايعه، وبايع له عليّ، وولج أهل الدار، فبايعوه.

وعن حميد بن عبدالرحمن: أن المسور بن مخرمة أخبره: أن الذين ولاهم عمر، اجتمعوا وتشاوروا، قال لهم عبدالرحمن: لست الذي أنافسكم عن هذا الأمر، ولكنكم إن شئتم اخترت لكم منكم؟ فجعلوا ذلك إلى عبدالرحمن، فلما ولوا عبدالرحمن أمرهم، مال الناس إلى عبدالرحمن، حتى ما أرى أحداً من الناس يتبع أولئك الرهط، ولا يطأ عقبه، ومال الناس إلى عبدالرحمن يشاورونه تلك الليالي، حتى إذا كانت تلك الليلة التي أصبحنا فيها، فبايعنا عثمان. قال المسور بن مخرمة: طرقتني عبدالرحمن بعد هجع

من الليل، فضرب الباب حتى استيقظت، فقال: أراك نائماً؟! فوالله ما اكتحلت هذه بكبير نوم، انطلق فادع لي الزبير وسعداً، فدعوتهما له، فشاورهما، ثم دعاني، فقال: ادع لي علياً، فدعوته، فناجاه حتى ابهار الليل، ثم قام عليّ من عنده وهو على طمع، وقد كان عبدالرحمن يخشى من علي شيئاً، ثم قال: ادع لي عثمان، فدعوته فناجاه حتى فرق بينهما المؤذن بالصبح، فلما صلى الناس الصبح، واجتمع أولئك الرهط عند المنبر، أرسل إلى من كان حاضراً من المهاجرين والأنصار، وأرسل إلى أمراء الأجناد، وكانوا وافقوا تلك الحجة مع عمر، فلما اجتمعوا تشهد عبدالرحمن، ثم قال: أما بعد، يا علي فإنني قد نظرت في أمر الناس، فلم أرهم يعدلون بعثمان، فلا تجعلن على نفسك سبيلًا، فقال لعثمان: أبايعك على سنة الله وسنة رسوله، والخليفين من بعده، فبايعه عبدالرحمن، وبايعه الناس، والمهاجرون والأنصار وأمراء الأجناد والمسلمون.

س ٩١٦: اذكر بعض فضائل الخليفة الثالث، عثمان رضي الله عنه؟ .

ج: قال الشارح: ومن فضائل عثمان رضي الله عنه الخاصة:

١ - كونه حَتَن رسول الله ﷺ على ابنتيه.

٢ - وفي صحيح مسلم عن عائشة قالت: كان رسول الله ﷺ مضطجعاً في بيته، كاشفاً عن فخذه أو ساقه، فاستأذن أبو بكر، فأذن له وهو على تلك الحال، فتحدث، ثم استأذن عمر، فأذن له وهو كذلك، فتحدث، ثم استأذن عثمان، فجلس رسول الله ﷺ وسوى ثيابه، فدخل فتحدث، فلما خرج، قالت عائشة: دخل أبو بكر، فلم تهش له، ثم دخل عمر، فلم تهش له، ولم تباله، ثم دخل عثمان، فجلست وسويت ثيابك؟ فقال: "ألا أستحي منه رجل تستحي من الملائكة".

٣ - وفي الصحيح: لما كان يوم بيعة الرضوان، وأن عثمان رضي الله عنه كان قد بعثه النبي ﷺ إلى مكة، وكانت بيعة الرضوان بعدما ذهب عثمان إلى مكة، فقال رسول الله ﷺ بيده اليمنى: "هذه يد عثمان" فضرب بها على يده، فقال: "هذه لعثمان".

س ٩١٧: من الذي تولى الخلافة بعد عثمان رضي الله عنه، وكيف كان استخلافه؟ .

(ج) قال الطحاوي: "ثم لعلي بن أبي طالب عليه السلام"

قال الشارح: أي: ونسبت الخلافة بعد عثمان لعلي رضي الله عنهما. لما قُتل عثمان وبايع الناس علياً، صار إماماً حقاً، واجب الطاعة، وهو الخليفة في زمانه خلافة نبوة.

(س ٩١٨) هل أجمع الصحابة والمسلمون على خلافة علي؟

(ج) قال الشارح: فالخلافة ثبتت لأمر المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام بعد عثمان عليه السلام، بمبايعة الصحابة، سوى معاوية مع أهل الشام.

(س ٩١٩) قال عليه السلام: "خلافة النبوة ثلاثون...". أكمل الحديث، وما معتقد أهل السنة في هذا الحديث؟

(ج) الحديث بتمامه، قوله عليه السلام: "خلافة النبوة ثلاثون سنة، ثم يؤتي الله ملكه من يشاء". وأهل السنة والجماعة يعتقدون أن هذه الخلافة المباركة كانت في عهد الخلفاء الراشدين المهديين الذين تولوا الخلافة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وكانت خلافة أبي بكر الصديق سنتين وثلاثة أشهر، وخلافة عمر عشر سنين ونصفاً، وخلافة عثمان اثنتي عشرة سنة، وخلافة علي أربع سنين وتسعة أشهر، وخلافة الحسن ابنه ستة أشهر.

وأول ملوك المسلمين معاوية عليه السلام، وهو خير ملوك المسلمين.

(س ٩٢٠) كم كانت مدة خلافة الخلفاء الراشدين المهديين؟

(ج) قال الشارح:

- ١ - وكانت خلافة أبي بكر الصديق سنتين وثلاثة أشهر... - ٢,٣.
- ٢ - وخلافة عمر عشر سنين ونصفاً... - ١٠,٦.
- ٣ - وخلافة عثمان اثنتي عشرة سنة... - ١٢.
- ٤ - وخلافة علي أربع سنين وتسعة أشهر... - ٤,٩.
- ٥ - وخلافة الحسن ابنه ستة أشهر... - ٥,٦.

المجموع = ٣٠ سنة

(قلت): فيكون المجموع: ثلاثون سنة، كما ورد في الحديث آنفاً.

س ٩٢١: هل كانت خلافة معاوية رضي الله عنه شرعية؟ وكيف كان توليه الخلافة؟.

ج: قال الشارح: وأول ملوك المسلمين معاوية رضي الله عنه، وهو خير ملوك المسلمين، لكنه إنما صار إماماً حقاً لما فوض إليه الحسن بن علي رضي الله عنهما الخلافة، فإن الحسن رضي الله عنه بايعه أهل العراق بعد موت أبيه، ثم بعد ستة أشهر فوض الأمر إلى معاوية، وظهر صدق قول النبي ﷺ: "إن ابني هذا سيد، وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين" والقصة معروفة في موضعها.

س ٩٢٢: هل وقعت خصومة وقاتل بين علي ومعاوية رضي الله عنهما؟ ومع من كان الحق؟.

ج: نعم وقعت الخصومة بينهما بسبب مقتل الخليفة الراشد عثمان رضي الله عنه، والأخذ بالقصاص من قتلته في الحال قبل المبايعة، وهذا ما قاله معاوية رضي الله عنه وأهل الشام. وامتنع علي رضي الله عنه، عن الأخذ بالقصاص من قتلة عثمان، إلا بعد مبايعة معاوية وأهل الشام واستتباب الأمور في يد الخليفة. وبعد ذلك وقع ما وقع بينهم من قتال رضي الله عنهم وأرضاهم.

قال الشارح: فالخلافة ثبتت لأمر المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه بعد عثمان رضي الله عنه، بمبايعة الصحابة، سوى معاوية مع أهل الشام.

والحق مع علي رضي الله عنه، فإن عثمان رضي الله عنه، لما قُتل، كثر الكذب والافتراء على عثمان، وعلى من بالمدينة من أكابر الصحابة، كعلي، وطلحة، والزبير، وعظمت الشبهة عند من لم يعرف الحال، وقويت الشهوة في نفوس ذوي الأهواء والأغراض، ممن بعدت داره من أهل الشام، ومحبي عثمان تظن بالأكابر ظنون سوء، وبلغ عنهم أخباراً، منها ما هو كذب، ومنها ما هو محرف، ومنها ما لم يعرف وجهه، وانضم إلى ذلك أهواء قوم يحبون العلو في الأرض، وكان في عسكر علي رضي الله عنه - من أولئك الطغاة الخوارج، الذين قتلوا عثمان - من لم يعرف بعينه، ومن تنتصر له قبيلته، ومن لم تقم عليه حجة بما فعله، ومن في قلبه نفاق لم يتمكن من إظهاره كله، ورأى طلحة

والزبير أنه إن لم يُنتصر للشهيد المظلوم، ويقمع أهل الفساد والعدوان، وإلا استوجبوا غضب الله وعقابه، فجرت فتنة الجمل على غير اختيار من علي، ولا من طلحة والزبير، وإنما أثارها المفسدون بغير اختيار السابقين، ثم جرت فتنة صفين لرأي، وهو أن أهل الشام لم يعدل عليهم، أو لا يتمكن من العدل عليهم، وهم كافون، حتى يجتمع أمر الأمة، وأنهم يخافون طغيان من في العسكر، كما طغوا على الشهيد المظلوم، وعلي عليه السلام هو الخليفة الراشد المهدي الذي تجب طاعته، ويجب أن يكون الناس مجتمعين عليه، اعتقد أن الطاعة والجماعة الواجبتين عليهم تحصل بقتالهم، بطلب إمام أن لو أصر عليهم بما اعتقد أنه يحصل به أداء الواجب، ولم يعتقد أن التأليف لهم كتأليف المؤلفه قلوبهم على عهد النبي صلى الله عليه وآله والخليفين من بعده مما يسوغ، فحملة ما رآه - من أن الدين إقامة الحد عليهم ومنعهم من الإثارة دون تأليفهم -: على القتال، وقعد عن القتال أكثر الأكابر، لما سمعوه من النصوص في الأمر بالقعود في الفتنة، ولما رأوه من الفتنة التي تربو مفسدتها على مصلحتها، والقول في الجميع بالحسنى: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ۝﴾.

س ٩٢٣: ما موقف أكابر الصحابة من الفتنة التي وقعت بين علي بن أبي طالب عليه السلام، ومعاوية عليه السلام؟ ولماذا؟.

ج: قال الشارح: وقعد عن القتال أكثر الأكابر، لما سمعوه من النصوص في الأمر بالقعود في الفتنة، ولما رأوه من الفتنة التي تربو مفسدتها على مصلحتها، والقول في الجميع بالحسنى: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ۝﴾.

س ٩٢٤: ما موقفنا نحن من تلك الفتنة؟.

ج: قال الشارح: والفتن التي كانت في أيامه قد صان الله عنها أيدينا، فنسأل الله أن يصون عنها ألسنتنا، بمنه وكرمه.

س ٩٢٥: اذكر بعض فضائل علي بن أبي طالب عليه السلام؟.

ج: قال الشارح: ومن فضائل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام:

١ - ما في الصحيحين عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ لعلي: "أنت مني بمنزلة هارون من موسى، إلا أنه لا نبي بعدي".

٢ - وقال يوم خيبر: "لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله"، قال: فتناولنا لها، فقال: "ادعوا لي علياً، فأتي به أرمداً، فبصق في عينيه، ودفع الراية إليه، ففتح الله عليه".

٣ - ولما نزلت هذه الآية: ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ﴾. دعا رسول الله ﷺ علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً، فقال: "اللهم هؤلاء أهلي".

س ٩٢٦: ما الدليل على قول الطحاوي في وصف الخلفاء الأربعة: "وهم الخلفاء. الراشدون، والأئمة المهديون"؟

ج: قال الشارح: تقدم الحديث الثابت في السنن، وصححه الترمذي، عن العرياض بن سارية، قال: وعظنا رسول الله موعظةً بليغةً، ذرفت منها العيون، ووجلت منها القلوب، فقال قائل: يا رسول الله، كأن هذه موعظة مودع، فماذا تعهد إلينا؟ فقال: "أوصيكم بالسمع والطاعة، فإنه من يعش منكم بعدي، فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، تمسكوا بها، وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل بدعة ضلالة".

س ٩٢٧: كيف رتب أهل السنة والجماعة، الخلفاء الأربعة في الفضل؟

ج: قال الشارح: وترتيب الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم في الفضل، كترتيبهم في الخلافة.

وقد روي عن أبي حنيفة تقديم عليّ على عثمان، ولكن ظاهر مذهبه تقديم عثمان، وعلى هذا عامة أهل السنة.

وقد تقدم قول عبدالرحمن بن عوف لعلي رضي الله عنهما: إني قد نظرت في أمر الناس فلم أراهم يعدلون بعثمان.

س ٩٢٨: استدل لقول أهل السنة والجماعة في ترتيبهم الآنف؟ .

ج: الأدلة على ذلك كثيرة، منها:

- ١ - ما روي في الصحيحين عن ابن عمر، قال: كنا نقول ورسول الله ﷺ حي: أفضل أمة النبي ﷺ بعده: أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان.
- ٢ - وقال أيوب السخيتاني: من لم يقدم عثمان على علي، فقد أزرى بالمهاجرين والأنصار.

س ٩٢٩: هل تميز أبو بكر وعمر رضي الله عنهما عن غيرهما بمزية؟ .

ج: قال الشارح: ولأبي بكر وعمر رضي الله عنهما من المزية: أن النبي ﷺ أمرنا باتباع سنة الخلفاء الراشدين، ولم يأمرنا في الاقتداء في الأفعال إلا بأبي بكر وعمر، فقال: "اقتدوا باللذين من بعدي: أبي بكر وعمر"، وفرق بين اتباع سنتهم والاقتداء بهم، فحال أبي بكر وعمر فوق حال عثمان وعلي رضي الله عنهم أجمعين.

س ٩٣٠: من هم العشرة المبشرون بالجنة؟ .

ج: قال الطحاوي: وأن العشرة الذين سماهم رسول الله ﷺ، وبشرهم بالجنة، نشهد لهم بالجنة، على ما شهد لهم رسول الله ﷺ وقوله الحق، وهم:

- ١ - أبو بكر.
- ٢ - وعمر.
- ٣ - وعثمان.
- ٤ - وعلي.
- ٥ - وطلحة (بن عبيد الله).
- ٦ - والزبير (بن العوام).
- ٧ - وسعد (بن أبي وقاص).
- ٨ - وسعيد (بن زيد).

٩ - وعبدالرحمن بن عوف .

١٠ - وأبو عبيدة بن الجراح ، وهو أمين هذه الأمة ، رضي الله عنهم أجمعين .

س ٩٣١ : استدل لفضل سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه ؟ .

ج : ١ - روى مسلم عن عائشة رضي الله عنها : أرق رسول الله ﷺ ذات ليلة ، فقال : " ليت رجلاً من أصحابي يحرسني الليلة " ، قالت : وسمعنا صوت السلاح ، فقال النبي ﷺ : " من هذا ؟ " فقال سعد بن أبي وقاص : يا رسول الله ، جئت أحرسك . وفي لفظ آخر : وقع في نفسي خوفٌ على رسول الله ﷺ ، فجئت أحرسه ، فدعا له رسول الله ﷺ ثم نام .

٢ - وفي الصحيحين : أن رسول الله ﷺ جمع لسعد بن أبي وقاص أبويه يوم أحد ، فقال : " ارم ، فذاك أبي وأمي " .

٣ - وفي مسلم عن أبي عثمان النهدي قال : لم يبق مع رسول الله ﷺ في بعض تلك الأيام التي قاتل فيها النبي ﷺ غير طلحة وسعد .

س ٩٣٢ : استدل لفضل طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه ؟ .

ج : ١ - في صحيح مسلم عن قيس بن أبي حازم ، قال : رأيت يد طلحة التي وقى بها النبي ﷺ يوم أحد قد شلت .

٢ - وفيه أيضاً عن أبي عثمان النهدي قال : لم يبق مع رسول الله ﷺ في بعض تلك الأيام التي قاتل فيها النبي ﷺ غير طلحة وسعد .

س ٩٣٣ : استدل لفضل الزبير بن العوام رضي الله عنه ؟ .

ج : ١ - في الصحيحين واللفظ لمسلم عن جابر بن عبد الله قال : ندب رسول الله ﷺ الناس يوم الخندق فانتدب الزبير ، ثم ندبهم ، فانتدب الزبير ، ثم ندبهم ، فانتدب الزبير فقال النبي ﷺ : " لكل نبي حوارٍ ، وحواري الزبير " .

٢ - وفيهما أيضاً عن الزبير رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : " من يأتي بني

قريظة، فيأتيني بخبرهم"؟ فانطلقت، فلما رجعت، جمع لي رسول الله ﷺ أبويه فقال: "فذاك أبي وأمي".

س ٩٣٤: استدل لفضل أبي عبيدة ؓ؟

ج: ١ - في صحيح مسلم عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: "إن لكل أمة أميناً، وإن أميننا أيتها الأمة: أبو عبيدة بن الجراح".

٢ - وفي الصحيحين عن حذيفة بن اليمان قال: جاء أهل نجران إلى النبي ﷺ فقالوا: يا رسول الله، ابعث إلينا رجلاً أميناً، فقال: "لأبعثن إليكم رجلاً أميناً حق أمين" قال: فاستشرف لها الناس، قال: فبعث أبا عبيدة بن الجراح.

س ٩٣٥: استدل لفضل سعيد بن زيد ؓ؟

ج: عن سعيد بن زيد ؓ قال: أشهد على رسول الله ﷺ أنني سمعته يقول: "عشرة في الجنة: النبي في الجنة، وأبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة، وعثمان في الجنة، وعلي في الجنة، وطلحة في الجنة، والزبير في الجنة، وسعد بن مالك في الجنة، وعبدالرحمن بن عوف في الجنة". لو شئت لسميت العاشر، قال: فقالوا من هو؟ قال: سعيد بن زيد، قال: لمشهد رجل منهم مع رسول الله ﷺ، يغبر منه وجهه، خير من عمل أحدكم، ولو عمّر عمر نوح. رواه أبو داود، والترمذي وصححه، ورواه الترمذي عن عبدالرحمن بن عوف.

س ٩٣٦: استدل لفضل عبدالرحمن بن عوف ؓ؟

ج: عن عبدالرحمن بن عوف ؓ أن النبي ﷺ قال: "أبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة، وعلي في الجنة، وعثمان في الجنة، وطلحة في الجنة، والزبير بن العوام في الجنة، وعبدالرحمن بن عوف في الجنة، وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل في الجنة، وأبو عبيدة بن الجراح في الجنة".

رواه الإمام أحمد في مسنده، ورواه أبو بكر بن أبي خيثمة، وقدم فيه عثمان على علي، رضي الله عنهما.

س ٩٣٧: استدل لفضل الأربعة الراشدين، وطلحة والزبير، رضي الله عنهم؟

(ج) كل ما سبق من الأدلة يدخل في هذا الجواب، ومنها:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ على حراء، هو وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير، فتحركت الصخرة، فقال رسول الله ﷺ: "اهدأ، فما عليك إلا نبي أو صديق أو شهيد". رواه مسلم والترمذي وغيرهما، وروي من طرق.

(س ٩٣٨) ما منزلة هؤلاء العشرة عند أهل السنة والجماعة؟ وما منزلتهم عند الرافضة الاثني عشرية؟

(ج) قال الشارح: وقد اتفق أهل السنة على تعظيم هؤلاء العشرة وتقديمهم، لما اشتهر من فضائلهم ومناقبهم، ومن أجهل ممن يكره التكلم بلفظ العشرة، أو فعل شيء يكون عشرة!! لكونهم يبغضون خيار الصحابة وهم العشرة المشهود لهم بالجنة، وهم يستثنون علياً رضي الله عنه، ويبغضون سائر المهاجرين والأنصار، من السابقين الأولين الذين بايعوا رسول الله ﷺ تحت الشجرة، وكانوا ألفاً وأربع مئة، وقد رضي الله عنهم، كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾.

وثبت في صحيح مسلم وغيره عن جابر عن النبي ﷺ أنه قال: "لا يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة".

(س ٩٣٩) لماذا تبغض الرافضة لفظ العشرة وتهجره؟ وبماذا يرد عليهم؟

(ج) قال الشارح: ومن أجهل ممن يكره التكلم بلفظ العشرة، أو فعل شيء يكون عشرة!! لكونهم يبغضون خيار الصحابة وهم العشرة المشهود لهم بالجنة، وهم يستثنون علياً رضي الله عنه، ويبغضون سائر المهاجرين والأنصار، من السابقين الأولين الذين بايعوا رسول الله ﷺ تحت الشجرة. والرافضة يتبرؤون من جمهور هؤلاء، بل يتبرؤون من سائر أصحاب رسول الله ﷺ، إلا من نفر قليل، نحو بضعة عشر رجلاً!! ومعلوم أنه لو فرض في العالم عشرة من أكفر الناس، لم يجب هجر هذا الاسم لذلك، كما أنه سبحانه قال: ﴿وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ﴾ (٤٨). لم يجب هجر اسم التسعة مطلقاً، بل اسم العشرة قد مدح الله مسماه في مواضع من القرآن:

﴿تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ﴾ . ﴿وَوَعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَمْنَاهَا بِعَشْرِ﴾ . ﴿وَالْفَجْرِ﴾
 ﴿١﴾ وَيَا لَيْلٍ عَشْرِ ﴿٢﴾ .

وكان ﷺ يعتكف العشر الأواخر من رمضان .

وقال في ليلة القدر: "التمسوها في العشر الأواخر من رمضان"؟ .

وقال: "ما من أيام العمل الصالح فيهن أحب إلى الله من هذه الأيام العشر" . يعني عشر ذي الحجة .

س ٩٤٠: ما معتقد أهل السنة الجماعة، ومعتقد الرافضة في أصحاب رسول الله ﷺ وأهل بيته؟ .

ج: مر آنفاً ما يفيد هذا، وهو أن أهل السنة والجماعة يترضون عن أصحاب رسول الله ﷺ أجمعين، ويتولونهم ولا يفرقون بينهم، ويخصون منهم أهل بيته الطيبين الطاهرين، ويسكتون عما شجر بينهم من فتنة، ويقولون: هاتان طائفتان من المسلمين، كما ورد وصفها في الأحاديث .

أما الرافضة فيقولون لا ولاء إلا ببراء، فلا يوالون أهل البيت إلا بمعاداة الشيخين، وجملة الصحابة، بل يكفرونهم ويلعنونهم، بلا دليل، وإنما هو التحكم والهوى، نسأل الله العافية .

ومن الأدلة في الرد على الروافض وغيرهم، أن الله أثنى الله على الصحابة هو ورسوله، ورضي عنهم، ووعدهم الحسنی:

١ - قال تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ مِنْ الْقُدُّوسِ وَالْغَابِرِينَ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْآيَاتِ وَأَنبَغُوهُمْ بِإِحْسَنِ رِضَى اللَّهِ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ .

٢ - وقال تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّامًا سُجَّدًا﴾ . إلى آخر السورة .

٣ - وقال تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ .

٤ - وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي

سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَاوَأُوا وَنَصَرُوا أَوْلِيَّكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ﴿٥﴾ .

٥ - وقال تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلُ أَوْلِيَّكَ أَكْثَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدِ وَقَتْلُوا وَكَلَّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٦﴾ .

٦ - وقال تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ بَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ .

٧ - وقال تعالى: ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ ﴿١١﴾ .

والأدلة من السنة كثيرة ومتنوعة في الثناء عليهم، والنهي عن ثلبهم، منها:

١ - ما في الصحيحين عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: كان بين خالد بن الوليد وبين عبدالرحمن بن عوف شيء فسيبه خالد، فقال رسول الله ﷺ: "لا تسبوا أحداً من أصحابي، فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً، ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه". انفراد مسلم بذكر سب خالد لعبدالرحمن، دون البخاري.

فالنبي ﷺ يقول لخالد ونحوه: "لا تسبوا أصحابي"، يعني عبدالرحمن وأمثاله؛ لأن عبدالرحمن ونحوه هم السابقون الأولون، وهم الذين أسلموا من قبل الفتح وقاتلوا، وهم أهل بيعة الرضوان، فهم أفضل، وأخص بصحبته ممن أسلم بعد بيعة الرضوان، وهم الذين أسلموا بعد الحديبية، وبعد مصالحة النبي ﷺ أهل مكة، ومنهم خالد بن الوليد، وهؤلاء أسبق ممن تأخر إسلامهم إلى فتح مكة، وسُموا الطلقاء، منهم أبو سفيان وابناه يزيد ومعاوية.

والمقصود أنه نهى من له صحبة آخرأ أن يسب من له صحبة أولاً، لامتيازهم عنهم من الصحبة بما لا يمكن أن يشركوهم فيه، حتى لو أنفق أحدهم مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه.

٢ - وفي صحيح مسلم عن جابر، قال: قيل لعائشة رضي الله عنها: إن ناساً يتناولون من أصحاب رسول الله ﷺ حتى أبا بكر وعمر! فقالت: وما تعجبون من هذا! انقطع عنهم العمل، فأحب الله أن لا يقطع عنهم الأجر.

٣ - وروى ابن بطة بإسناد صحيح عن ابن عباس أنه قال: "لا تسبوا أصحاب محمد، فلمقام أحدهم ساعة - يعني مع النبي ﷺ - خير من عمل أحدكم أربعين سنة" وفي رواية وكيع: "خير من عبادة أحدكم عمره".

٤ - وفي الصحيحين من حديث عمران بن حصين وغيره، أن رسول الله ﷺ قال: "خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم" قال عمران: فلا أدري أذكر بعد قرنه قرنين أو ثلاثة، الحديث.

٥ - وقد ثبت في صحيح مسلم عن جابر ﷺ قال: "لا يدخل النار أحدٌ بايع تحت الشجرة".

٦ - وفي صحيح مسلم عن جابر: أن غلام حاطب بن أبي بلتعة قال: يا رسول الله: ليدخلن حاطب النار، فقال رسول الله ﷺ: "كذبت، لا يدخلها، فإنه شهد بداراً والحديبية".

وما فعله حاطب ﷺ عده أصحابه من الكبائر والموبقات، ولكن الرسول ﷺ أوضح لهم أنه سبقت له الحسنی بأعمال عظيمة عملها في الإسلام، فغمرت هذه الخطيئة في بحار تلك الأعمال والخصال الخيرة.

(س ٩٤١) من توالي الرافضة بدل العشرة المبشرين بالجنة والصحابة؟.

(ج) الرافضة تتبرأ من العشرة المبشرين بالجنة، عدا علي بن أبي طالب رضي الله عنهم أجمعين، وتوالي بدلاً منهم اثني عشر إماماً.

(س ٩٤٢) ما معتقد أهل السنة والجماعة في هذا الحديث: "لا يزال الإسلام عزيزاً إلى اثني عشر خليفة" وما معتقد الرافضة فيه؟.

(ج) قال الشارح: والرافضة توالي بدل العشرة المبشرين بالجنة، اثني عشر إماماً وهم:

١ - علي بن أبي طالب ﷺ ويدعون أنه وصي النبي ﷺ دعوى مجردة عن الدليل.

- ٢ - ثم الحسن عليه السلام.
- ٣ - ثم الحسين عليه السلام.
- ٤ - ثم علي بن الحسين، زين العابدين.
- ٥ - ثم محمد بن علي، الباقر.
- ٦ - ثم جعفر بن محمد، الصادق.
- ٧ - ثم موسى بن جعفر، الكاظم.
- ٨ - ثم علي بن موسى، الرضى.
- ٩ - ثم محمد بن علي، الجواد.
- ١٠ - ثم علي بن محمد، الهادي.
- ١١ - ثم الحسن بن علي، العسكري.
- ١٢ - ثم محمد بن الحسن، (المهدي).

ويغالون في محبتهم، ويتجاوزون الحد!! ولم يأت ذكر الأئمة الاثني عشر، إلا على صفة ترد قولهم وتبطله، وهو ما خرجاه في الصحيحين عن جابر بن سمرة قال: دخلت مع أبي على النبي ﷺ فسمعتة يقول: "لا يزال أمر الناس ماضياً ما وليهم اثنا عشر رجلاً"، ثم تكلم النبي ﷺ بكلمة خفيت عني فسألت أبي: ماذا قال النبي ﷺ؟ قال: "كلهم من قريش". وفي لفظ: "لا يزال الإسلام عزيزاً إلى اثني عشر خليفة". وفي لفظ: "لا يزال هذا الأمر عزيزاً إلى اثني عشر خليفة".

وكان الأمر كما قال النبي ﷺ، والاثنا عشر: الخلفاء الراشدون الأربعة، ومعاوية، وابنه يزيد، وعبد الملك بن مروان، وأولاده الأربعة، وبينهم عمر بن عبدالعزيز، ثم أخذ الأمر في الانحلال.

وعند الرافضة أن أمر الأمة لم يزل في أيام هؤلاء فاسداً منغصاً، يتولى عليهم الظالمون المعتدون، بل المنافقون الكافرون، وأهل الحق أذل من اليهود!! وقولهم ظاهر البطلان، بل لم يزل الإسلام عزيزاً في أيام هؤلاء الاثني عشر.

س ٩٤٣: ما واجب المسلمين تجاه أصحاب رسول الله ﷺ وآل بيته؟.

(ج) قال الطحاوي: "ومن أحسن القول في أصحاب رسول الله ﷺ، وأزواجه الطاهرات من كل دَنَسٍ، وذرياته المقدسين من كل رَجَسٍ، فقد برىء من النفاق".

قال الشارح: تقدم بعض ما ورد في الكتاب والسنة من فضائل الصحابة رضي الله عنهم.

١ - وفي "صحيح مسلم"، عن زيد بن أرقم قال: قام فينا رسول الله ﷺ خطيباً، بماء يدعى: خُمًا، بين مكة والمدينة، فقال: "أما بعد، أيها الناس، إنما أنا بشرٌ يوشك أن يأتيني رسول ربي، فأجيب ربي، وإني تارك فيكم ثقلين: أولهما كتاب الله، فيه الهدى والنور، فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به" فحث على كتاب الله ورغب فيه، ثم قال: "وأهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، ثلاثاً".

٢ - وخرج البخاري عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه، قال: اربقوا محمداً في أهل بيته.

(س ٩٤٤) قال الطحاوي: "ومن أحسن القول في أصحاب رسول الله ﷺ، وأزواجه الطاهرات من كل دَنَسٍ، وذرياته المقدسين من كل رَجَسٍ، فقد برىء من النفاق"، لم خصص كلامه بقوله: "فقد برىء من النفاق؟".

(ج) قال الشارح: وإنما قال الشيخ رحمه الله: "فقد برىء من النفاق" لأن أصل الرفض إنما أحدثه منافق زنديق، قصده إبطال دين الإسلام، والقدح في الرسول ﷺ، كما ذكر ذلك العلماء فإن عبد الله بن سبأ لما أظهر الإسلام، أراد أن يفسد دين الإسلام بمكره وخبثه، كما فعل بولس بدين النصرانية، فأظهر التنسك، ثم أظهر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، حتى سعى في فتنة عثمان وقتله، ثم لما قدم عليّ الكوفة، أظهر الغلو في علي والنصر له، ليتمكن بذلك من أغراضه، وبلغ ذلك علياً، فطلب قتله، فهرب منه إلى قرقيسيا، وخبره معروف في التاريخ.

(س ٩٤٥) اثنان أصلهما واحد، أسسا ديارتين، فمن هما؟ وكيف وقع ذلك؟.

(ج:) الاثنان هما: بولس الذي أسس الديانة النصرانية وانحرف بها عن التوحيد إلى التثليث، والآخر: عبدالله بن سبأ الذي أسس دين الرافضة، وانحرف به إلى الغلو في عليّ ورفعته فوق منزلته البشرية. وكلاهما من أصل واحد، أظهر الإسلام وأبطن اليهودية. قال الشارح: فإن عبدالله بن سبأ لما أظهر الإسلام، أراد أن يفسد دين الإسلام بمكره وخبثه، كما فعل بولس بدين النصرانية، فأظهر التنسك، ثم أظهر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، حتى سعى في فتنة عثمان وقتله، ثم لما قدم عليّ الكوفة، أظهر الغلو في عليّ والنصر له، ليتمكن بذلك من أغراضه، وبلغ ذلك علماً، فطلب قتله، فهرب منه إلى قرقيسيا، وخبره معروف في التاريخ.

(س ٩٤٦:) ماذا فعل عليّ ﷺ بمن فضّله على الشيخين؟

(ج:) قال الشارح: وتقدم أنه من فضّله على أبي بكر وعمر جلده جلد المفترى.

(س ٩٤٧:) لماذا كان باب الرفض باب الزندقة، ومنه دخل جميع الزنادقة؟

(ج:) قال الشارح: كما ذكر ذلك العلماء فإن عبدالله بن سبأ لما أظهر الإسلام، أراد أن يفسد دين الإسلام بمكره وخبثه، كما فعل بولس بدين النصرانية، فأظهر التنسك، ثم أظهر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، حتى سعى في فتنة عثمان وقتله، ثم لما قدم عليّ الكوفة، أظهر الغلو في عليّ والنصر له، ليتمكن بذلك من أغراضه، وبلغ ذلك علماً، فطلب قتله، فهرب منه إلى قرقيسيا، وخبره معروف في التاريخ.

وبقيت في نفوس المبطلين خمائر بدعة الخوارج، من الحرورية والشيعة، ولهذا كان الرفض باب الزندقة، كما حكاه القاضي أبو بكر بن الطيب عن الباطنية وكيفية إفسادهم لدين الإسلام، قال: فقالوا للداعي: يجب عليك إذا وجدت من تدعوه مسلماً أن تجعل التشيع عنده دينك وشعارك، واجعل المدخل من جهة ظلم السلف لعليّ وقتلهم الحسين، والتبري من تيم وعديّ، وبني أمية وبني العباس، وأن علياً يعلم الغيب! يُفوّض إليه خلق العالم!! وما أشبه ذلك من أعاجيب الشيعة وجهلهم، إلى أن قال: فإذا أنست

من بعض الشيعة عند الدعوة إجابة ورشداً، أوقفته على مثالب عليّ وولده، رضي الله عنهم. انتهى.

ولا شك أنه يتطرق من سب الصحابة إلى سب أهل البيت، ثم إلى سب الرسول ﷺ، إذ أهل بيته وأصحابه مثل هؤلاء الفاعلين الصانعين.

س ٩٤٨: ما واجب الأمة تجاه علماء السلف من السابقين ومن بعدهم؟.

ج: قال الطحاوي: "وعلماء السلف من السابقين، ومن بعدهم من التابعين - أهل الخير والأثر، وأهل الفقه والنظر - لا يُذكرون إلا بالجميل، ومن ذكرهم بسوء، فهو على غير السبيل".

قال الشارح: قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ تُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَتُصْلِهِ جَهَنَّمَ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ (١١٥). فيجب على كل مسلم بعد موالاته الله ورسوله موالاته المؤمنين، كما نطق به القرآن، خصوصاً الذين هم ورثة الأنبياء، الذين جعلهم الله بمنزلة النجوم، يَهْدِي بهم في ظلمات البر والبحر، وقد أجمع المسلمون على هدايتهم ودرايتهم، إذا كل أمة قبل مبعث محمد ﷺ، علماؤها شرارها إلا المسلمين، فإن علماءهم خيارهم، فإنهم خلفاء الرسول من أمته، والمحيون لما مات من سنته، بهم قام الكتاب، وبه قاموا، وبهم نطق الكتاب وبه نطقوا، وكلهم متفقون اتفاقاً يقينياً على وجوب اتباع الرسول ﷺ. ولكن إذا وجد لواحد منهم قولٌ قد جاء حديث صحيح بخلافه: فلا بد له في تركه من عذر.

س ٩٤٩: ما الأعذار التي يعتذر بها أهل السنة لأئمة المسلمين من العلماء إذا وجدوا لواحد منهم قولاً قد جاء الحديث الصحيح بخلافه؟.

ج: قال الشارح: ولكن إذا وجد لواحد منهم قولٌ قد جاء حديث صحيح بخلافه: فلا بد له في تركه من عذر. وجماع الأعذار ثلاثة أصناف:

١ - أحدها: عدم اعتقاده أن النبي ﷺ قاله.

٢ - والثاني: عدم اعتقاده أنه أراد تلك المسألة بذلك القول.

٣ - والثالث: اعتقاده أن ذلك الحكم منسوخ.

فلهم الفضل والمئة بالسبق، وتبليغ ما أرسل به الرسول ﷺ إلينا،
وإيضاح ما كان منه يخفى علينا، فرضي الله عنهم وأرضاهم: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ
لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ
رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾.



الفصل الثالث والثلاثون

الولاية، وخوارق العادات

الولاية، وخوارق العادات

(س ٩٥٠) لم أورد الطحاوي قوله: "ولا نفضل أحداً من الأولياء على أحدٍ من الأنبياء ﷺ... ؟"

(ج) قال الشارح: يشير الشيخ رحمه الله تعالى إلى الرد على الاتحادية^(١) وجهلة المتصوفة، وإلا فأهل الاستقامة يوصون بمتابعة العلم، ومتابعة الشرع، فقد أوجب الله على الخلق كلهم متابعة الرسل، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ﴾ إلى أن قال: ﴿وَيُسَلِّمُوا سَلَامًا﴾. وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (٢١).

قال أبو عثمان النيسابوري: من أمر السنة على نفسه قولاً وفعلاً، نطق بالحكمة، ومن أمر الهوى على نفسه، نطق بالبدعة.

وقال بعضهم: ما ترك بعضهم شيئاً من السنة إلا لكبر في نفسه.

(س ٩٥١) كيف يكون حال من لم يتبع ما جاء به الرسول ﷺ ؟

(ج) قال الشارح: قال أبو عثمان النيسابوري: من أمر السنة على نفسه قولاً وفعلاً، نطق بالحكمة، ومن أمر الهوى على نفسه، نطق بالبدعة.

وقال بعضهم: ما ترك بعضهم شيئاً من السنة إلا لكبر في نفسه.

(١) سبق التعريف بهم، ص: ١٩.

والأمر كما قال، فإنه إذا لم يكن متبعاً للأمر الذي جاء به الرسول، كان يعمل بإرادة نفسه، فيكون متبعاً لهواه، بغير هدى من الله، وهذا غش النفس، وهو من الكبائر، فإنه شبيه من قول الذين قالوا: ﴿لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى تُؤْتِيَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ رَسُولُ اللَّهِ أَفَلَمْ نَعْلَمْ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾.

وكثير من هؤلاء يظن أنه يصل برياسته واجتهاده في العبادة، وتصفية نفسه، إلى ما وصلت إليه الأنبياء من غير اتباع لطريقتهم!.

ومنهم من يظن أنه قد صار أفضل من الأنبياء!!.

ومنهم من يقول: إن الأنبياء والرسول إنما يأخذون العلم بالله من مشكاة خاتم الأولياء!! ويدعي لنفسه أنه خاتم الأولياء!! ويكون ذلك العلم هو حقيقة قول فرعون، وهو أن هذا الوجود المشهود واجب بنفسه، ليس له صانع مبين له، لكن هذا يقول: هو الله! وفرعون أظهر الإنكار بالكلية، لكن كان فرعون في الباطن أعرف بالله منهم، فإنه كان مثبتاً للصانع، وهؤلاء ظنوا أن الوجود المخلوق هو الوجود الخالق، كابن عربي وأمثاله!! وهو لما رأى أن الشرع الظاهر لا سبيل إلى تغييره، قال: النبوة ختمت، لكن الولاية لم تختم! وادعى من الولاية ما هو أعظم من النبوة وما يكون للأولياء والمرسلين، وأن الأنبياء مستفيدون منها! كما قال:

مقام النبوة في برزخ فويق الرسول ودون الولي
(س ٩٥٢): علمنا أن اتباع الهوى أدى بغلاة الصوفية إلى تفضيل الولي على النبي، فلماذا فعلوا ذلك؟.

(ج): قال الشارح في هؤلاء الغلاة كابن عربي وأمثاله: وهو لما رأى أن الشرع الظاهر لا سبيل إلى تغييره، قال: النبوة ختمت، لكن الولاية لم تختم! وادعى من الولاية ما هو أعظم من النبوة وما يكون للأولياء والمرسلين، وأن الأنبياء مستفيدون منها! كما قال:

مقام النبوة في برزخ فويق الرسول ودون الولي
وهذا قلب للشريعة، فإن الولاية ثابتة للمؤمنين المتقين، كما قال

تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (١٦) الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ (١٦). والنبوة أخص من الولاية، والرسالة أخص من النبوة، كما تقدم التنبيه على ذلك.

س ٩٥٣: ما الفرق بين الولاية عند غلاة الصوفية، وعند أهل السنة والجماعة؟.

ج: قال الشارح موضعاً الفارق بين المعتقدين: ومنهم من يقول: إن الأنبياء والرسول إنما يأخذون العلم بالله من مشكاة خاتم الأولياء!! ويدعي لنفسه أنه خاتم الأولياء!! ويكون ذلك العلم هو حقيقة قول فرعون، وهو أن هذا الوجود المشهود واجب بنفسه، ليس له صانع مباين له، لكن هذا يقول: هو الله! وفرعون أظهر الإنكار بالكلية، لكن كان فرعون في الباطن أعرف بالله منهم، فإنه كان مثبتاً للصانع، وهؤلاء ظنوا أن الوجود المخلوق هو الوجود الخالق، كابن عربي وأمثاله!! وهو لما رأى أن الشرع الظاهر لا سبيل إلى تغييره، قال: النبوة ختمت، لكن الولاية لم تختم! وادعى من الولاية ما هو أعظم من النبوة وما يكون للأولياء والمرسلين، وأن الأنبياء مستفيدون منها! كما قال:

مقام النبوة في برزخ فويق الرسول ودون الولي

وهذا قلب للشريعة، فإن الولاية ثابتة للمؤمنين المتقين، كما قال

تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (١٦) الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ (١٦). والنبوة أخص من الولاية، والرسالة أخص من النبوة، كما تقدم التنبيه على ذلك.

وقال ابن عربي في فصوصه: ولما مثل النبي ﷺ النبوة بالحائط من اللبن، فراها قد كملت إلا موضع لبنة، فكان هو ﷺ موضع اللبنة، وأما خاتم الأولياء، فلا بد له من هذه الرؤيا، فيرى ما مثله النبي ﷺ، ويرى نفسه في الحائط في موضع اللبنتين!! ويرى نفسه تنطبع في موضع تينك اللبنتين، فيكمل الحائط!! والسبب الموجب لكونه يراها لبنتين: أن الحائط لبنة من

فضة، ولبنة من ذهب، واللبنة الفضة هي ظاهره وما يتبعه فيه من الأحكام، كما هو آخذ عن الله في السرّ ما هو في الصّورة الظاهرة متبع فيه، لأنه يرى الأمر على ما هو عليه، فلا بد أن يراه هكذا، وهو موضع اللبنة الذهبية في الباطن! فإنه يأخذ من المعدن الذي يأخذ منه الملك الذي يوحى إليه إلى الرسول، قال: فإن فهمت ما أشرنا إليه فقد حصل لك العلم النافع!!.

فمن أكفر ممن ضرب لنفسه المثل بلبنة ذهب، وللرسول المثل بلبنة فضة، فيجعل نفسه أعلى وأفضل من الرسول؟! تلك أمانيتهم: ﴿إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُمْ بِبَلِّغِيهِ﴾. وكيف يخفى كفر من هذا كلامه؟! وله من الكلام أمثال هذا، وفيه ما يخفى منه الكفر، ومنه ما يظهر، فلهذا يحتاج إلى ناقد جيد، ليظهر زيفه، فإن من الزغل ما يظهر لكل ناقد، ومنه ما لا يظهر إلا للناقد الحاذق البصير، وكفر ابن عربي وأمثاله فوق كفر القائلين: ﴿لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى تُؤْتِنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ رَسُولُ اللَّهِ﴾.

(س ٩٥٤): بين الشارح رحمه الله كفر ابن عربي وأمثاله وزندقتهم وإلحادهم. فما الفرق بين كفر هؤلاء وكفر المنافقين؟.

(ج): قال الشارح: ولكن ابن عربي وأمثاله منافقون زنادقة، اتحادية في الدرك الأسفل من النار، والمنافقون يُعاملون معاملة المسلمين لإظهارهم الإسلام، لما يظهر منهم، فلو أنه ظهر من أحدهم ما يبطنه من الكفر؛ لأجري عليه حكم المرتد، لكن في قبول توبته خلاف، والصحيح عدم قبولها، وهي رواية معلى عن أبي حنيفة رضي الله عنه. والله المستعان.

(س ٩٥٥): ما معتقد أهل السنة في كرامات الأولياء؟.

(ج): قال الطحاوي: "ونؤمن بما جاء من كراماتهم، وصح عن الثقات من رواياتهم".

(س ٩٥٦): ما الذي يجمع بين المعجزة والكرامة ويفرق بينهما؟.

(ج): قال الشارح: المعجزة في اللغة تعم كل خارق للعادة وكذلك الكرامة في عرف أئمة أهل العلم المتقدمين، كالإمام أحمد بن حنبل وغيره ويسمونها

الآيات، ولكن كثير من المتأخرين يفرقون في اللفظ بينهما، فيجعلون المعجزة للنبي والكرامة للولي، وجماعهما الأمر الخارق للعادة.

س ٩٥٧: ما صفات الكمال التي تبرز الرسول ﷺ منها؟.

ج: قال الشارح: فصفات الكمال ترجع إلى ثلاثة:

١ - العلم.

٢ - والقدرة.

٣ - والغنى.

وهذه الثلاثة لا تصلح على وجه الكمال إلا لله وحده، فإنه الذي أحاط بكل شيء علماً وهو على كل شيء قدير، وهو غني عن العالمين، ولهذا أمر النبي ﷺ أن يبرأ من دعوى هذه الثلاثة بقوله: ﴿قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَيْتُ إِلَّا مَا يُوْحَىٰ إِلَيَّ﴾.

وكذلك قال نوح عليه السلام، فهذا أول أولي العزم، وأول رسول بعثه إلى أهل الأرض، وهذا خاتم الرسل، وخاتم أولي العزم، وكلاهما تبرأ من ذلك.

س ٩٥٨: لماذا تبرز الرسول ﷺ ونوح عليه السلام من صفات الكمال هذه؟.

ج: قال الشارح: وهذا لأنهم يطالبونهم:

* تارة بعلم الغيب، كقوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسِنُهَا﴾.

* وتارة بالتأثير، كقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَنْ نُّؤْمِرَكَ لَكَ حَقٌّ تَفْجُرُ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنُوءًا﴾ (٩٠).

* وتارة يعيبون عليهم الحاجة البشرية، كقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ﴾.

فأمر الرسول أن يخبرهم بأنه لا يملك ذلك، وإنما ينال من تلك الثلاثة بقدر ما يعطيه الله، فيعلم ما علمه الله إياه، ويقدر على ما أقدره عليه، ويستغني عما أغناه عنه من الأمور المخالفة للعادة المطردة، أو لعادة غالب الناس، فجميع المعجزات والكرامات ما تخرج عن هذه الأنوع.

ثم الخارق: إن حصل به فائدة مطلوبة في الدين، كان من الأعمال الصالحة المأمور بها ديناً وشرعاً، إما واجب أو مستحب، وإن حصل به أمر مباح، كان من نعم الله الدنيوية التي تقتضي شكراً، وإن كان على وجه يتضمن ما هو منهي عنه نهى تحريم، أو نهى تنزيه، كان سبباً للعذاب أو البغض، كالذي أوتي الآيات فانسلخ منها بلعام بن باعورا، لاجتهاد أو تقليد، أو نقص عقل أو علم، أو غلبة حال، أو عجز أو ضرورة.

(س ٩٥٩): الخوارق ثلاثة أنواع، فما هي؟.

(ج): قال الشارح: فالخارق ثلاثة أنواع:

١ - محمود في الدين.

٢ - ومذموم.

٣ - ومباح.

فإن كان المباح فيه منفعةً كان نعمة، وإلا فهو كسائر المباحات التي لا منفعة فيها. قال أبو علي الجوزجاني: كن طالباً للاستقامة، لا طالباً للكرامة، فإن نفسك متحركة في طلب الكرامة، وربك يطلب منك الاستقامة.

قال الشيخ السهروردي في "عوارفه": وهذا أصل كبير في الباب، فإن كثيراً من المجتهدين المتعبدین سمعوا سلف الصالحين المتقدمين، وما منحوا به من الكرامات وخوارق العادات، فنفسهم لا تزال تتطلع إلى شيء من ذلك، ويحبون أن يرزقوا شيئاً منه، ولعل أحدهم يبقى منكسر القلب، متهماً لنفسه في صحة عمله، حيث لم يحصل له خارق، ولو علموا بسر ذلك، لهان عليهم الأمر، فيعلم أن الله يفتح على بعض المجاهدين الصادقين من ذلك باباً، والحكمة فيه أن يزداد بما يرى من خوارق العادات وأمارات القدرة يقيناً، فيقوى عزمه على الزهد في الدنيا، والخروج عن دواعي الهوى، فسيبل الصادق مطالبة النفس بالاستقامة، فهي كل الكرامة.

ولا ريب أن للقلوب من التأثير أعظم مما للأبدان، لكن إن كانت صالحة كان تأثيرها صالحاً، وإن كانت فاسدة، كان تأثيرها فاسداً. فالأحوال يكون تأثيرها محبوباً لله تعالى تارة، ومكروهاً لله أخرى.

وقد تكلم الفقهاء في وجوب القَوْد على من يقتل غيره في الباطن، وهؤلاء يشهدون ببواطنهم وقلوبهم الأمر الكوني، ويعدون مجرد خرق العادة لأحدهم أنه كرامة من الله له، ولا يعلمون أنه في الحقيقة إنما الكرامة لزوم الاستقامة، وأن الله تعالى لم يكرم عبداً بكرامة أعظم من موافقته فيما يحبه ويرضاه، وهو طاعته وطاعة رسوله، وموالاة أوليائه، ومعاداة أعدائه، وهؤلاء هم أولياء الله الذين قال الله فيهم: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (١٢).

وأما ما يبتلي الله تعالى به عبده من السراء بخرق العادة أو بغيرها أو بالضراء فليس ذلك لأجل كرامة العبد على ربه ولا هوانه عليه، بل قد سعد بها قوم إذ أطاعوه، وشقي بها قوم إذ عصوه، كما قال تعالى: ﴿فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْنَلَهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ﴾ (١٥) وَأَمَّا إِذَا مَا ابْنَلَهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهْنَنِ﴾ (١٦) كَلَّا ۖ

س ٩٦٠: كم أقسام الناس في الخارق للعادة، بناءً على أنواعه الثلاثة؟.

ج: قال الشارح: ولهذا كان الناس في هذه الأمور على ثلاثة أقسام:

- ١ - قسم ترتفع درجتهم بخرق العادة.
- ٢ - وقسم يتعرضون لها بعذاب الله.
- ٣ - وقسم يكون في حقهم بمنزلة المباحات، كما تقدم.

س ٩٦١: يتنوع الكشف والتأثير باعتبار شيء، ما هو؟.

ج: قال الشارح: وتنوع الكشف والتأثير باعتبار تنوع كلمات الله، وكلمات الله نوعان: كونية ودينية.

س ٩٦٢: ما كلمات الله الكونية والشرعية؟.

ج: قال الشارح: فكلمات الله الكونية: هي التي استعاذ بها النبي ﷺ في قوله:

- ١ - "أعوذ بكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر".
- ٢ - قال تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (٨٢).

٣ - وقال تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ﴾.

والنوع الثاني: الكلمات الدينية، وهي القرآن وشرع الله الذي بعث به رسوله، وهي أمره ونهيه وخبره.

س ٩٦٣: ما حظ العباد من النوعين السابقين؟

ج: قال الشارح: وحظ العبد منها العلم بها، والعمل، والأمر بما أمر الله به، كما أن حظَّ العباد عموماً وخصوصاً العلم بالكونيات والتأثير فيها، أي: بموجبها، فالأولى تدبيرية كونية، والثانية شرعية دينية، فكشف الأولى العلم بالحوادث الكونية، وكشف الثانية العلم بالمأمورات الشرعية.

س ٩٦٤: ما القدرة في الكلمات الكونية والكلمات الشرعية؟ وهل يضر العبد عدم الخوارق علماً وقدرة؟

ج: قال الشارح: وقدرة الأولى التأثير في الكونيات، إما في نفسه، كمشييه على الماء، وطيرانه في الهواء، وجلوسه في النار، وإما في غيره، بإصحاح وإهلاك، وإغناء وإفقار.

وقدرة الثانية التأثير في الشرعيات، إما في نفسه بطاعة الله ورسوله، والتمسك بكتاب الله وسنة رسوله باطناً وظاهراً، وإما في غيره بأن يأمر بطاعة الله ورسوله، فيطاع في ذلك طاعةً شرعية.

فإذا تقرر ذلك فاعلم أن عدم الخوارق علماً وقدرة لا تضر المسلم في دينه، فمن لم ينكشف له شيء من المغيِّبات، ولم يسخر له شيء من الكونيات، لا ينقصه ذلك في مرتبته عند الله، بل قد يكون عدم ذلك أنفع له، فإنه إن اقترن به الدين وإلا هلك صاحبه في الدنيا والآخرة، فإن الخارق قد يكون مع الدين، وقد يكون مع عدمه، أو فساده، أو نقصه.

س ٩٦٥: ما الحكم فيمن جعل الخوارق مقصودة، وجعل الدين تابعاً للخوارق أو غيرها؟

ج: قال الشارح: فالخوارق النافعة تابعة للدين خادمة له، كما أن الرياسة النافعة هي التابعة للدين، وكذلك المال النافع، كما كان السلطان والمال النافع

بيد النبي ﷺ وأبي بكر وعمر، فمن جعلها هي المقصودة، وجعل الدين تابعاً لها، ووسيلة إليها، لا لأجل الدين في الأصل فهو شبيه بمن يأكل الدنيا بالدين، وليست حاله كحال من تدين خوف العذاب، أو رجاء الجنة، فإن ذلك مأمور به، وهو على سبيل نجاة، وشريعة صحيحة.

والعجب أن كثيراً ممن يزعم أن همه قد ارتفع عن أن يكون خوفاً من النار أو طلباً للجنة، يجعل همه بدينه أدنى خارق من خوارق الدنيا!! ثم إن الدين إذا صح علماً وعملاً، فلا بد أن يوجب خرق العادة، إذا احتاج إلى ذلك صاحبه، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ ﴿إِنْ تَقَوُّا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا﴾ ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَنبِيئًا وَإِذَا لَأَتَيْنَهُمْ مِنْ لَدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا﴾ ﴿وَلَهَدَيْنَهُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾ ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ ﴿لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾.

وقال رسول الله ﷺ: "اتقوا فراسة المؤمن، فإنه ينظر بنور الله". ثم قرأ قوله: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّينَ﴾ ﴿٧٥﴾. رواه الترمذي من رواية أبي سعيد الخدري.

وقال تعالى فيما يرويه عنه رسوله ﷺ: "من عادى لي ولياً، فقد بارزني بالمحاربة، وما تقرب إلي عبدي بمثل ما افترضت عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه، وما ترددت في شيء أنا فاعله ترددي في قبض نفس عبدي المؤمن، يكره الموت، وأكره مساءته ولا بد له منه". فظهر أن الاستقامة حظ الرب، وطلب الكرامة حظ النفس. وبالله التوفيق.

س ٩٦٦: من الذين أنكروا الكرامة؟ وما شبهتهم؟ وبماذا يرد عليهم؟

ج: قال الشارح: وقول المعتزلة في إنكار الكرامة ظاهر البطلان، فإنه بمنزلة إنكار المحسوسات، وقولهم: لو صحت لاشتبهت بالمعجزة، فيؤدي

إلى التباس النبي بالولي، وذلك لا يجوز.

وهذه الدعوى إنما تصح إذا كان الولي يأتي بالخارق، ويدعي النبوة، وهذا لا يقع، ولو ادعى النبوة، لم يكن ولياً، بل كان متنبئاً كذاباً، وقد تقدم الكلام في الفرق بين النبي والمتنبئ، عند قول الشيخ: "وأن محمداً عبده المجتبى، ونبيه المصطفى".

س ٩٦٧: ما أنواع الفراسة؟.

ج: قال الشارح: ومما ينبغي التنبيه عليه ها هنا، أن الفراسة ثلاثة أنواع:

١ - إيمانية: وسببها نور يقذفه الله في قلب عبده، وحقيقتها: أنها خاطر يهجم على القلب، يثب عليه كوثوب الأسد على الفريسة، ومنها اشتقاقها، وهذه الفراسة على حسب قوة الإيمان، فمن كان أقوى إيماناً، فهو أحد فراسة، قال أبو سليمان الداراني، رحمه الله: الفراسة مكاشفة النفس، ومعاينة الغيب، وهي من مقامات الإيمان. انتهى.

٢ - وفراسة رياضية: وهي التي تحصل بالجوع والسهر والتخلي، فإن النفس إذا تجردت عن العوائق، صار لها من الفراسة والكشف بحسب تجردها، وهذه فراسة مشتركة بين المؤمن والكافر، ولا تدل على إيمان ولا على ولاية، ولا تكشف عن حق نافع، ولا عن طريق مستقيم، بل كشفها من جنس فراسة الولاية، وأصحاب عبارة الرؤيا والأطباء ونحوهم.

٣ - وفراسة خلقية: وهي التي صنف فيها الأطباء وغيرهم، واستدلوا بالخلق على الخلق، لما بينهما من الارتباط الذي اقتضته حكمة الله، كالاستدلال بصغر الرأس الخارج عن العادة على صغر العقل، وبكبره على كبره، وسعة الصدر على سعة الخلق، وبضيقة على ضيقه، وبجمود العينين وكلال نظرهما على بلادة صاحبها، وضعف حرارة قلبه، ونحو ذلك.

س ٩٦٨: لماذا أورد الشارح أنواع الفراسة في هذا الموضع؟.

ج: أورد الشارح أنواع الفراسة في هذا الموضع؛ لأن الكلام كان على الكرامة والخوارق للعادات، والولي والنبي والفرق بينهما، وهل يلبس الولي بالنبي؟ رداً على المعتزلة، فناسب إيراد أنواع الفراسة، ومنها فراسة المؤمن،

التي حقيقتها مكاشفة النفس ومعاينة الغيب، وهي من مقامات الإيمان.

(س ٩٦٩): ما معتقد أهل السنة والجماعة في أشراف الساعة؟.

(ج): قال الطحاوي: ونؤمن بأشراط الساعة: من خروج الدجال، ونزول عيسى ابن مريم عليه السلام من السماء، ونؤمن بطلوع الشمس من مغربها وخروج دابة الأرض من موضعها".

(س ٩٧٠): استدل لبعض أشراف الساعة الصغرى بدليل من السنة المطهرة؟.

(ج): عن عوف بن مالك الأشجعي قال: أتيت النبي ﷺ في غزوة تبوك، وهو في قبة من آدم، فقال: "اعدد ستاً بين يدي الساعة: موتي، ثم فتح بيت المقدس، ثم مؤتان يأخذ فيكم كقعاص الغنم، ثم استفاضة المال حتى يُعطى الرجل مئة دينار فيظل ساخطاً، ثم فتنة لا يبقى بيت من العرب إلا دخلته، ثم هدنة تكون بينكم وبين بني الأصفر، فيغدرون، فيأتونكم تحت ثمانين غاية، تحت كل غاية اثنا عشر ألفاً".

وروي: "راية"، بالراء والغين، وهما بمعنى. رواه البخاري، وأبو داود، وابن ماجه، والطبراني.

(س ٩٧١): استدل لأشراط الساعة العشر الكبرى من السنة المطهرة؟.

(ج): عن حذيفة بن أسيد قال: اطلع النبي ﷺ علينا ونحن نتذاكر الساعة، فقال: "ما تذكرون؟" قالوا: نذكر الساعة، فقال: "إنها لن تقوم حتى تُرى عشر آيات: الدخان، والدجال، والدابة، وطلوع الشمس من مغربها، ونزول عيسى ابن مريم، ويأجوج ومأجوج، وثلاثة خسوف: خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب، وآخر ذلك نارٌ تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم" رواه مسلم.

(س ٩٧٢): استدل للدجال وصفته، من السنة المطهرة؟.

(ج): ١- في الصحيحين واللفظ للبخاري، عن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: دُكر الدجال عند النبي ﷺ، فقال: "إن الله لا يخفى عليكم، وإن الله ليس بأعور، وأشار بيده إلى عينه، وإن المسيح الدجال أعور عين اليمنى، كأن عينه عنبه طافية".

٢ - وعن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: "ما من نبي إلا أنذر قومه الأعداء الدجال، ألا إنه أعور، وإن ربكم ليس بأعور، ومكتوب بين عينيه ك ف ر"، فسرته في رواية: "أي: كافر".

س ٩٧٣: استدل لنزول المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام، من السنة المطهرة؟.

ج: روى البخاري وغيره، عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: "والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً عدلاً، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد، حتى تكون السجدة خيراً من الدنيا وما فيها".

ثم يقول أبو هريرة: واقرؤوا إن شئتم: ﴿وَأَن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ (١٥٩).

وأحاديث الدجال، وعيسى ابن مريم عليه السلام، ينزل من السماء ويقتله، ويخرج يأجوج ومأجوج في أيامه بعد قتله الدجال، فيهلكهم الله أجمعين في ليلة واحدة ببركة دعائه عليهم، يضيق هذا المختصر عن بسطها.

س ٩٧٤: استدل لخروج الدابة وطلوع الشمس من مغربها، من القرآن الكريم، ومن السنة المطهرة؟.

ج: الأدلة على خروج الدابة وطلوع الشمس من المغرب، قوله تعالى: ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾ (٨٢).

وقال تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَن تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِمْنُهَا لَوْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انظُرُوا إِنَّا مُنظِرُونَ﴾ (١٥٨).

وروى البخاري عند تفسير الآية، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: "لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا رآها الناس آمن من عليها، فذلك حين لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل".

س ٩٧٥: استدل بدليل من السنة على أول الآيات الكبرى طلوعاً؟.

(ج) روى مسلم، عن عبدالله بن عمرو، قال: حفظت من رسول الله ﷺ حديثاً لم أنسه بعد، سمعت رسول الله ﷺ يقول: "إن أول الآيات خروجا طلوع الشمس من مغربها، وخروج الدابة على الناس ضحى، وأيهما ما كانت قبل صاحبتهما فالأخرى على إثرها قريباً".

(س ٩٧٦): من المعلوم أنه عند خروج إحدى الآيتين العظيمين يختم على العمل، فكيف يُتقبل الجهاد والعمل الصالح بعدهما، مع عيسى ﷺ وغيره، باعتبارها أول آية من الكبرى؟.

(ج) قال الشارح: أي أول الآيات التي ليست مألوفة، وإن كان الدجال ونزول عيسى ﷺ من السماء قبل ذلك، وكذلك خروج يأجوج ومأجوج، كل ذلك أمور مألوفة، لأنهم بشر، مشاهدة مثلهم مألوفة، أما خروج الدابة على شكل غريب غير مألوف، ثم مخاطبتها الناس، ووسمها إياهم بالإيمان أو الكفر، فأمر خارج عن مجاري العادات. وذلك أول الآيات الأرضية، كما أن طلوع الشمس من مغربها على خلاف عاداتها المألوفة، أول الآيات السماوية. وقد أفرد الناس أحاديث أشرط الساعة في مصنفات مشهورة يضيق عن بسطها هذا المختصر.

(س ٩٧٧): هل يجوز أن يصدق الكاهن والعراف؟.

(ج) قال الطحاوي: "ولا نصدق كاهناً ولا عرافاً، ولا من يدعي شيئاً يخالف الكتاب والسنة وإجماع الأمة".

قال الشارح: وروى مسلم والإمام أحمد عن صفية بنت أبي عبيد، عن بعض أزواج النبي ﷺ، عن النبي ﷺ، قال: "من أتى عرافاً فسأله عن شيء لم تقبل له صلاة أربعين ليلة".

وروى الإمام أحمد في "مسنده": عن أبي هريرة، أن النبي ﷺ قال: "من أتى عرافاً أو كاهناً، فصدقه بما يقول، فقد كفر بما أنزل على محمد".

(س ٩٧٨): ما الفرق بين الكاهن والعراف؟ وهل لهم تأثير على حياة البشر؟.

(ج) قال الشارح - بعد إيراد الأحاديث الآتية -: والمنجم يدخل في اسم

"العراف" عند بعض العلماء، وعند بعضهم هو في معناه، فإذا كانت هذه حال السائل، فكيف بالمسؤول؟.

وفي "الصحيحين" و "مسند الإمام أحمد"، عن عائشة، قالت: سألت رسول الله ﷺ ناساً عن الكهان؟ فقال: "ليسوا بشيء"، فقالوا: يا رسول الله، إنهم يحدثون أحياناً بالشيء فيكون حقاً؟ فقال رسول الله ﷺ: "تلك الكلمة من الحق يخطفها الجني فيقرها في أذن وليه، فيخلطون معها أكثر من مائة كذبة".

(س ٩٧٩) ورد في الحديث الصحيح: " . . وحلوان الكاهن" فما هو، وعلام يدل؟.

(ج) قال الشارح: وفي "الصحيح" عنه ﷺ أنه قال: "ثمن الكلب خبيث، ومهر البغي خبيث، وحلوان الكاهن خبيث".
وحلوانه: الذي تسميه العامة حلاوته.

ويدخل في هذا المعنى ما يعطاه المنجم وصاحب الأزام التي يستقسم بها، مثل الخشبة المكتوب عليها "ا ب ج د" والضارب بالحصى، والذي يخط في الرمل، وما يعطاه هؤلاء حرام، وقد حكى الإجماع على تحريمه غير واحد من العلماء، كالبعثي والقاضي عياض وغيرهما.

(س ٩٨٠) استدل على تحريم التنجيم وصناعته وتعاطية، بأدلة من القرآن الكريم، والسنة المطهرة؟.

(ج) في "الصحيحين" عن زيد بن خالد، قال: خطبنا رسول الله ﷺ بالحديبية، على إثر سماء كانت من الليل، فقال: "أتدرون ماذا قال ربكم الليلة؟" قلنا: الله ورسوله أعلم، قال: "قال: أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر بي، فمن قال: مطرنا بفضل الله ورحمته، فذلك مؤمن بي، كافر بالكوكب، ومن قال: مطرنا بنوء كذا وكذا، فذلك كافر بي، مؤمن بالكوكب".

وفي "صحيح مسلم" و "مسند الإمام أحمد"، عن أبي مالك الأشعري أن النبي ﷺ قال: "أربع في أمي من أمر الجاهلية، لا يتركونها: الفخر في الأحساب، والطعن في الأنساب، والاستسقاء بالأنواء، والنياحة". والنصوص

عن النبي ﷺ وأصحابه وسائر الأئمة بالنهي عن ذلك، أكثر من أن يتسع هذا الموضوع لذكرها.

وصناعة التنجيم، التي مضمونها الإحكام والتأثير، وهو الاستدلال على الحوادث الأرضية بالأحوال الفلكية أو التمزيج بين القوى الفلكية والغوائل الأرضية: صناعة محرمة بالكتاب والسنة، بل هي محرمة على لسان جميع المرسلين، قال تعالى: ﴿وَلَا يَفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى﴾. وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبَتِ وَالْطَّلُوتِ﴾.

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه وغيره: الجبت: السحر.

وفي "صحيح البخاري"، عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان لأبي بكر غلام يأكل من خراجه، فجاء يوماً بشيء، فأكل منه أبو بكر، فقال له الغلام: تدري مم هذا؟ قال: وما هو؟ قال: كنت تكهنت لإنسان في الجاهلية، وما أحسن الكهانة، إلا أنني خدعته، فلقيني، فأعطاني بذلك، فهذا الذي أكلت منه، فأدخل أبو بكر يده، فقاء كل شيء في بطنه.

(س ٩٨١) ما الواجب على ولي الأمر تجاه هؤلاء السحرة والكهان وغيرهم؟
(ج) قال الشارح: والواجب على ولي الأمر، وكل قادر أن يسعى في إزالة هؤلاء المنجمين والكهان والعرافين وأصحاب الضرب بالرمل والحصى والقرع والقالات، ومنعهم من الجلوس في الحوانيت أو الطرقات، أو أن يدخلوا على الناس في منازلهم لذلك، ويكفي من يعلم تحريم ذلك، ولا يسعى في إزالته، مع قدرته على ذلك، قوله تعالى: ﴿كَأَنُتُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ (٧٩). وهؤلاء الملاعين يقولون الإثم، ويأكلون السحت بإجماع المسلمين، وثبت في "السنن" عن النبي ﷺ برواية الصديق عنه، أنه قال: "إن الناس إذا رأوا المنكر، فلم يغيروه أوشك أن يعمهم الله بعقاب منه".

(س ٩٨٢) ما أنواع الذين يفعلون هذه الأفعال الخارجة عن الكتاب والسنة؟
(ج) قال الشارح: وهؤلاء الذين يفعلون هذه الأفعال الخارجة عن الكتاب والسنة أنواع:

١ - نوع منهم: أهل تلبيس وكذب وخداع الذين يظهر أحدهم طاعة الجن له، أو يدعي الحال من أهل المحال من المشايخ النصابين، والفقراء الكذابين، والطرقية المكارين، فهؤلاء يستحقون العقوبة البليغة التي تردعهم وأمثالهم عن الكذب والتلبيس وقد يكون في هؤلاء من يستحق القتل، كمن يدعي النبوة بمثل هذه الخزعات، أو يطلب تغيير شيء من الشريعة، ونحو ذلك.

٢ - ونوع: يتكلم في هذه الأمور على سبيل الجد والحقيقة، بأنواع السحر.

٣ - ونوع منهم يتكلم بالأحوال الشيطانية، والكشوف ومخاطبة رجال الغيب، وأن لهم خوارق تقتضي أنهم أولياء الله! وكان من هؤلاء من يعين المشركين على المسلمين! ويقول: إن الرسول أمره بقتال المسلمين مع المشركين، لكون المسلمين قد عصوا!! وهؤلاء في الحقيقة إخوان المشركين.

س ٩٨٣: ما الحكم الشرعي في الساحر؟.

ج: قال الشارح: وجمهور العلماء يوجبون قتل الساحر، كما هو مذهب أبي حنيفة ومالك وأحمد في المنصوص عنه، وهذا هو المأثور عن الصحابة، كعمر وابنه، وعثمان وغيرهم رضي الله عنهم، ثم اختلف هؤلاء: هل يستتاب أم لا؟ وهل يكفر بالسحر؟ أم يقتل لسعيه في الأرض بالفساد؟ وقالت طائفة: إن قتل بالسحر قتل، وإلا عوقب بدون القتل، إذا لم يكن في قوله وعمله كفر، وهذا هو المنقول عن الشافعي، وهو قول في مذهب أحمد رحمهما الله.

س ٩٨٤: هل للسحر حقيقة؟.

ج: قال الشارح: تنازع العلماء في حقيقة السحر وأنواعه، والأكثرون يقولون: إنه قد يؤثر في موت المسحور ومرضه من غير وصول شيء ظاهر إليه، وزعم بعضهم أنه مجرد تخيل.

س ٩٨٥: ما حكم دعوة الكواكب أو ما كان من جنسها، مع الاستدلال؟.

(ج) قال الشارح: اتفقوا كلهم على أن ما كان من جنس دعوة الكواكب السبعة، أو غيرها، أو خطابها أو السجود لها، والتقرب إليها بما يناسبها من اللباس والخواتم والبخور ونحو ذلك فإنه كفر، وهو من أعظم أبواب الشرك، فيجب غلقه، بل سده، وهو من جنس فعل قوم إبراهيم عليه السلام، ولهذا قال ما حكى الله عنه بقوله: ﴿فَنظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ﴾ (٨٨) فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ (٨٩). وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا﴾. الآيات، إلى قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ (٩٧).

(س ٩٨٦) ما حكم التكلم بما فيه شرك، من رقى وعزائم وأقسام، وغير ذلك؟.

(ج) قال الشارح: اتفقوا كلهم أيضاً على أن كل رقية وتعزيم، أو قسم فيه شرك بالله، فإنه لا يجوز التكلم به وإن أطاعته به الجن أو غيرهم، وكذلك كل كلام فيه كفر لا يجوز التكلم به، لإمكان أن يكون فيه شرك لا يعرف. ولهذا قال النبي ﷺ: "لا بأس بالرقى ما لم تكن شركاً".

(س ٩٨٧) ما حكم الاستعاذة بالجن ودعائهم؟.

(ج) قال الشارح: لا يجوز الاستعاذة بالجن، فقد ذم الله الكافرين على ذلك فقال تعالى: ﴿وَأَنْتُمْ كَانُمْرًا مِنْ أَنْسَابِ الْإِنْسِ يَتَّبِعُونَ الْإِنْسَانَ مِنْ حَيْثُ كَفَرُوا فَهُمْ أَعْدَاؤُهُمْ هَٰذَا فَذَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ (٦). فقالوا: كان الإنسي إذا نزل بالوادي يقول: أعوذ بعظيم هذا الوادي من سفهائه، فبييت في أمن وجوار حتى يصبح: ﴿فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾. يعني: الإنس للجن، باستعاذتهم بهم، رهقاً، أي إثماً وطغياناً وجراءة وشرّاً، وذلك، أنهم قالوا: قد سُدْنَا الجن والإنس! فالجن تعاضم في أنفسها، وتزداد كفراً إذا عاملتها الإنس بهذه المعاملة، وقد قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَٰؤُلَاءِ إِنْ أَرَأَيْتُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾ (٢١) قَالُوا سُبْحَنَكَ أَنْتَ وَلَيْسَ مِن دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ (٢٢). فهؤلاء الذين يزعمون أنهم يدعون الملائكة ويخاطبونهم بهذه العزائم، وأنها تنزل عليهم: ضالون، وإنما تنزل عليهم الشياطين، وقد قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ جَمِيعًا يَمْعَسَرُ الْإِنْسَ قَدْ اسْتَكَثَرُوا مِنَ

الْإِنْسِ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَّغْنَا آجَلَنَا الَّذِي أَجَلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوٍ لَكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٧٨﴾ . فاستمتع الإنسي بالجنى: في قضاء حوائجه، وامتنال أوامره، وإخباره بشيء من المغيبات، ونحو ذلك، واستمتع الجن بالإنس: تعظيمه إياه واستعانت به، واستغاثته، وخضوعه له.

(س ٩٨٨) ذكر الشارح أن للناس في (النوع الثالث: فيمن يتكلم بالأحوال الشيطانية ومخاطبة رجال الغيب) ثلاثة أقوال أو على ثلاثة أحزاب. فما هي؟ مع بيان القول الصحيح؟.

(ج) قال الشارح: والناس من أهل العلم فيهم على ثلاثة أحزاب:

١ - حزب يكذبون بوجود رجال الغيب، ولكن قد عاينهم الناس، وثبت عن عاينهم، أو حدثه الثقات بما رأوه، وهؤلاء إذا رأوهم وتيقنوا وجودهم، خضعوا لهم.

٢ - وحزب عرفوهم، ورجعوا إلى القدر، واعتقدوا أن ثم في الباطن طريقاً إلى الله غير طريقة الأنبياء!.

٣ - وحزب ما أمكنهم أن يجعلوا ولياً خارجاً عن دائرة الرسول، فقالوا: يكون الرسول هو ممدداً للطائفتين، فهؤلاء معظمون للرسول جاهلون بدينه وشرعه.

والحق أن هؤلاء من أتباع الشياطين، وأن رجال الغيب هم الجن، ويسمون رجالاً، كما قال تعالى: ﴿وَأَنْتَ كَانَ لِرَبِّكَ مِنَ الْإِنْسِ يَعُودُونَ رِجَالًا مِّنَ الْحَيِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ ﴿١٦﴾ . وإلا فالإنس يؤنسونه، أي يشهدون ويرون، وإنما يحتجب الإنسي أحياناً، لا يكون دائماً محتجباً عن أبصار الإنس، ومن ظن أنهم من "الإنس" فمن غلطه وجهله، وسبب الضلال فيهم، وافتراق هذه الأحزاب الثلاثة عدم الفرقان بين أولياء الشيطان وأولياء الرحمن.

(س ٩٨٩) يقول بعض الناس: الفقراء يُسلم إليهم حالهم! فلا يُعترض على أفعالهم وأقوالهم. فما الحكم الشرعي فيه؟.

(ج) قال الشارح: يقول بعض الناس كالفقراء يُسلم إليهم حالهم! وهذا كلام

باطل، بل الواجب عرض أفعالهم وأحوالهم على الشريعة المحمدية، فما وافقها قبل، وما خالفها رد، كما قال النبي ﷺ: "من عمل عملاً ليس عليه أمرنا، فهو رد".

وفي رواية: "من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد".

فلا طريقة إلا طريقة الرسول ﷺ، ولا حقيقة إلا حقيقته، ولا شريعة إلا شريعته، ولا عقيدة إلا عقيدته، ولا يصل أحد من الخلق بعده إلى الله وإلى رضوانه وجنته وكرامته إلا بمتابعته باطناً وظاهراً.

س ٩٩٠: ما حكم من يزعم أنه من الأولياء، مع تركه متابعة الرسول ﷺ وعدم تصديقه فيما أخبر، ولا الالتزام بما أمر؟.

ج: قال الشارح: من لم يكن له مصداقاً فيما أخبر، ملتزماً لطاعته فيما أمر في الأمور الباطنة التي في القلوب، والأعمال الظاهرة التي على الأبدان: لم يكن مؤمناً، فضلاً عن أن يكون ولياً لله تعالى، ولو طار في الهواء، ومشى على الماء، وأنفق من الغيب، وأخرج الذهب من الجيب، ولو حصل له من الخوارق ماذا عسى أن يحصل!! فإنه لا يكون مع تركه الفعل المأمور وعزل المحذور، إلا من أهل الأحوال الشيطانية، المبعدة لصاحبها عن الله تعالى، المقربة إلى سخطه وعذابه، لكن من ليس يكلف من الأطفال والمجانين، قد رفع عنهم القلم، فلا يعاقبون، وليس لهم من الإيمان بالله وتقواه باطناً وظاهراً ما يكونون به من أولياء الله المقربين، وحزبه المفلحين، وجنده الغالبين، لكن يدخلون في الإسلام تبعاً لأبائهم، كما قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ (٢١).

فمن اعتقد في بعض البُله أو المولعين - مع تركه لمتابعة الرسول في أقواله وأفعاله وأحواله - أنه من أولياء الله، ويفضله على متبعي طريقة الرسول ﷺ، فهو ضال مبتدع، مخطئ في اعتقاده، فإن ذاك الأبله، إما أن يكون شيطاناً زنديقاً، أو زوكارياً متحياً، أو مجنوناً معذوراً! فكيف يفضل على من هو من أولياء الله، المتبعين لرسوله؟! أو يساوى به؟! ولا يقال: يمكن أن يكون هذا

متبعاً في الباطن وإن كان تاركاً للاتباع في الظاهر؟ فإن هذا خطأ أيضاً، بل الواجب متابعة الرسول ﷺ ظاهراً وباطناً. قال يونس بن عبد الأعلى الصدفي: قلت للشافعي: إن صاحبنا الليث كان يقول: إذا رأيتم الرجل يمشي على الماء، فلا تعتبروا به حتى تعرضوا أمره على الكتاب والسنة. فقال الشافعي: قصر الليث رحمه الله، بل إذا رأيتم الرجل يمشي على الماء، ويطير في الهواء فلا تعتبروا به حتى تعرضوا أمره على الكتاب والسنة.

(س ٩٩١): ما صحة حديث: "أطلعت إلى الجنة فرأيت أكثر أهلها البله ؟".

(ج): قال الشارح: ما يقوله بعض الناس عن رسول الله ﷺ أنه قال: "أطلعت على أهل الجنة فرأيت أكثر أهلها البله" فهذا لا يصح عن رسول الله ﷺ، ولا ينبغي نسبته إليه، فإن الجنة إنما خلقت لأولي الألباب، الذين أرشدتهم عقولهم وألبابهم إلى الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وقد ذكر الله أهل الجنة بأوصافهم في كتابه، فلم يذكر في أوصافهم البله الذي هو ضعف العقل، وإنما قال النبي ﷺ: "أطلعت في الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء". ولم يقل البله!.

(س ٩٩٢): من هي الطائفة الملامية؟.

(ج): قال الشارح: الطائفة الملامية، وهم الذين يفعلون ما يلامون عليه، ويقولون: نحن متبعون في الباطن، ويقصدون إخفاء المرائين! ردوا باطلهم بباطل آخر!! والصراط المستقيم بين ذلك.

(س ٩٩٣): ما حكم الذين يصعقون عند سماع الأنغام الحسنة؟.

(ج): قال الشارح: كذلك الذين يَصْعَقُونَ عند سماع الأنغام الحسنة، مبتدعون ضالون! وليس للإنسان أن يستدعي ما يكون سبب زوال عقله! ولم يكن في الصحابة والتابعين من يفعل ذلك، ولو عند سماع القرآن، بل كانوا كما وصفهم الله تعالى: ﴿إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾. وكما قال تعالى: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَتَابِئًا يَفْعَلُ مِنْهُ جُلُودٌ لِّدِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَىٰ اللَّهِ يَهْدِي بِهِ ۚ مَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن هَادٍ ۖ﴾.

وأما الذين ذكرهم العلماء بخير من عقلاء المجانين، فأولئك كان فيهم خير، ثم زالت عقولهم، ومن علامة هؤلاء أنه إذا حصل في جنونهم نوع من الصحو، تكلموا بما كان في قلوبهم من الإيمان، ويهتدون بذلك في حال زوال عقلهم، بخلاف غيرهم ممن يتكلم إذا حصل لهم نوع إفاقة بالكفر والشرك، ويهزون بذلك في حال زوال عقلهم، ومن كان قبل جنونه كافراً أو فاسقاً، لم يكن حدوث جنونه مزيلاً لما ثبت من كفره أو فسقه، وكذلك من جُنَّ من المؤمنين المتقين، يكون محشوراً مع المؤمنين المتقين، وزوال العقل بجنون أو غيره، سواء سمي صاحبه مولهاً أو متولها لا يوجب مزيد حال صاحبه من الإيمان والتقوى، بل يبقى على ما كان عليه من خيرٍ وشرٍ، لا أنه يزيده أو ينقصه، ولكن جنونه يحرمه الزيادة من الخير، كما أنه يمنع عقوبته على الشر، ولا يمحو عنه ما كان عليه قلبه.

وما يحصل لبعضهم عند سماع الأنغام المطربة من الهذيان، والتكلم ببعض اللغات المخالفة للسانه المعروف منه!! فذلك شيطان يتكلم على لسانه، كما يتكلم على لسان المصروع، وذلك كله من الأحوال الشيطانية! وكيف يكون زوال العقل سبباً أو شرطاً أو تقريباً إلى ولاية الله، كما يظنه كثير من أهل الضلال؟! حتى قال قائلهم:

هم معشرٌ حلّوا النظام وخرقوا سيّاح فلا فرض لديهم ولا نفل
مجانين إلا أن سر جنونهم عزيز على أبوابه يسجد العقل
وهذا كلام ضال، بل كافر، يظن أن للجنون سراً يسجد العقل على بابهِ!! لما رآه من بعض المجانين من نوع مكاشفة أو تصرف عجيب خارق للعادة، ويكون ذلك بسبب ما اقترن به من الشياطين، كما يكون للسحرة والكهان! فيظن هذا الضال أن كل من كاشف أو خرق عادة كان ولياً لله!! ومن اعتقد هذا، فهو كافر، فقد قال تعالى: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَا نَزَّلَ الشَّيَاطِينُ ﴿٢٢٢﴾ نَزَّلُوا عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٣﴾﴾. فكل من تنزل عليه الشياطين لا بد أن يكون عنده كذب وفجور.

(س ٩٩٤) ما حكم الذين يتعبدون بالرياضات والخلوات، ويتركون الجمع والجماعات؟.

(ج) قال الشارح: الذين يتعبدون بالرياضات والخلوات، ويتركون الجمع والجماعات، فهم من الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا، قد طبع الله على قلوبهم، كما قد ثبت في "الصحيح" عن النبي ﷺ أنه قال: "من ترك ثلاث جمع تهاوناً من غير عذر، طبع الله على قلبه". وكل من عدل عن اتباع سنة الرسول، إن كان عالماً بها، فهو مغضوب عليه، وإلا فهو ضال، ولهذا شرع الله لنا أن نسأله في كل صلاة أن يهدينا الصراط المستقيم، صراط الذين أنعم عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقاً، غير المغضوب عليهم ولا الضالين.

(س ٩٩٥) يقول بعض الناس: إنه يجوز الاستغناء عن الوحي والشرع الذي جاء به الرسول ﷺ، بالعلم اللدني، كما وقع لموسى مع الخضر. فما الحكم الشرعي لهذا القول؟.

(ج) قال الشارح: أما ما يتعلق بقصة موسى مع الخضر عليهما السلام في تجويز الاستغناء عن الوحي بالعلم اللدني، الذي يدعيه بعض من عدم التوفيق: فهو ملحد زنديق، فإن موسى ﷺ لم يكن مبعوثاً إلى الخضر، ولم يكن الخضر مأموراً بمتابعته. ولهذا قال له: أنت موسى بني إسرائيل؟ قال: نعم، ومحمد ﷺ مبعوث إلى جميع الثقلين، ولو كان موسى وعيسى حيين، لكانا من أتباعه، وإذا نزل عيسى ﷺ إلى الأرض، إنما يحكم بشريعة محمد ﷺ، فمن ادعى أنه مع محمد ﷺ كالخضر مع موسى، أو جوز ذلك لأحد من الأمة: فليجدد إسلامه، وليشهد شهادة الحق، فإنه مفارق لدين الإسلام بالكلية فضلاً عن أن يكون من أولياء الله، وإنما هو من أولياء الشيطان، وهذا الموضع مفرق بين زنادقة القوم وأهل الاستقامة، فحرك تَرَ. وكذا من يقول بأن الكعبة تطوف برجال منهم حيث كانوا!! فهلا خرجت الكعبة إلى الحديبية فطافت برسول الله ﷺ حين أحصر عنها، وهو يود منها نظرة؟! وهؤلاء لهم شبه بالذين وصفهم الله تعالى حيث يقول: ﴿لَنْ يُرِيدَ كُلُّ

أَمْرٍ مِنْهُمْ أَنْ يُوَفَّىٰ صُحُفًا مُّثَنَّرَةً ﴿٥٢﴾



الفصل الرابع والثلاثون

الجماعة، والاختلاف

الجماعة، والاختلاف

س ٩٩٦: ما قول أهل السنة والجماعة في اجتماع كلمة المسلمين؟ .

ج: قال الطحاوي: "ونرى الجماعة حقاً وصواباً، والفرقة زيغاً وعذاباً".

س ٩٩٧: استدل على وجوب الاجتماع ودم الفرقة بين المسلمين؟ .

ج: ١ - قال تعالى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ .

٢ - وقال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (١٠٥) .

٣ - وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ (١٥٩) .

٤ - وقال تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْلِيفِينَ إِلَّا مَنْ رَجِمَ رَبُّكَ﴾ . فجعل أهل الرحمة مستثنين من الاختلاف .

٥ - وقال تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَّلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾ (١٧٦) .

٦ - وقد تقدم قوله ﷺ: "إن أهل الكتابين افرقوا في دينهم على ثنتين وسبعين ملة، وإن هذه الأمة ستفرق على ثلاث وسبعين ملة، يعني الأهواء، كلها في النار إلا واحدة، وهي الجماعة".

وفي رواية: قالوا: من هي يا رسول الله؟ قال: "ما أنا عليه

وأصحابي". فبين أن عامة المختلفين هالكون إلا أهل السنة والجماعة، وأن الاختلاف واقع لا محالة.

٧ - وروى الإمام أحمد عن معاذ بن جبل، أن النبي ﷺ قال: "إن الشيطان ذئب الإنسان كذئب الغنم يأخذ الشاردة القاصية، فإياكم والشعاب، وعليكم بالجماعة، والعامّة، والمسجد".

٨ - وفي "الصحيحين" عن النبي ﷺ: أنه قال لما نزل قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ قَوْكُمْ﴾ قال: "أعوذ بوجهك" ﴿أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾ قال: "أعوذ بوجهك" ﴿أَوْ يَلْسِكُمْ شَيْعًا وَيُذِيقَ بَعْضُكُم بَأْسَ بَعْضٍ﴾ قال: "هاتان أهون".

(س ٩٩٨) ما حكم الدماء والأعراض والأموال التي أصيبت في الفتنة بين المسلمين؟.

(ج) قال الشارح: وفي "الصحيحين" عن النبي ﷺ: أنه قال لما نزل قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ قَوْكُمْ﴾ قال: "أعوذ بوجهك" ﴿أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾ قال: "أعوذ بوجهك" قال: ﴿أَوْ يَلْسِكُمْ شَيْعًا وَيُذِيقَ بَعْضُكُم بَأْسَ بَعْضٍ﴾ قال: "هاتان أهون".

فدل على أنه لا بد أن يلبسهم شيعاً، ويذيق بعضهم بأس بعض مع براءة الرسول من هذه الحال، وهم فيها في جاهلية، ولهذا قال الزهري: وقعت الفتنة وأصحاب رسول ﷺ متوافرون، فأجمعوا على أن كل دم أو مال أو فرج أصيب بتأويل القرآن: فهو هدر، أنزلوهم منزلة الجاهلية.

وقد روى مالك بإسناده الثابت، عن عائشة رضي الله عنها، أنها كانت تقول: ترك الناس العمل بهذه الآية، يعني قوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا يَتَنَهَّأُ﴾، فإن المسلمين لما اقتتلوا كان الواجب الإصلاح بينهم كما أمر الله تعالى، فلما لم يعمل بذلك، صارت فتنة وجاهلية.

(س ٩٩٩) ما الواجب على المسلمين عند النزاع في مسائل الأصول أو الفروع؟.

(ج) قال الشارح: وهكذا مسائل النزاع التي تتنازع فيها الأمة في الأصول والفروع - إذا لم ترد إلى الله والرسول - لم يتبين فيها الحق، بل يصير فيها المتنازعون على غير بينة من أمرهم، فإن رحمهم الله، أقر بعضهم بعضاً، ولم يبن بعضهم على بعض، كما كان الصحابة في خلافة عمر وعثمان يتنازعون في بعض مسائل الاجتهاد، فيقر بعضهم بعضاً، ولا يعتدي ولا يعتدى عليه، وإن لم يُرحموا، وقع بينهم الاختلاف المذموم، فبغى بعضهم على بعض، إما بالقول مثل تكفيره وتفسيقه، وإما بالفعل، مثل حبسه وضربه وقتله. والذين امتحنوا الناس بخلق القرآن، كانوا من هؤلاء، ابتدعوا بدعة، وكفروا من خالفهم فيها، واستحلوا منع حقه وعقوبته.

فالناس إذا خفي عليهم بعض ما بعث الله به الرسول: إما عادلون وإما ظالمون، فالعادل فيهم: الذي يعمل بما وصل إليه من آثار الأنبياء، ولا يظلم غيره، والظالم: الذي يعتدي على غيره، وأكثرهم إنما يظلمون مع علمهم بأنهم يظلمون، كما قال تعالى: ﴿وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوْتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَقِيًّا يَنْهَهُمْ﴾. وإلا فلو سلكوا ما علموه من العدل، أقر بعضهم بعضاً، كالمقلدين لأئمة العلم، الذين يعرفون من أنفسهم أنهم عاجزون عن معرفة حكم الله ورسوله في تلك المسائل، فجعلوا أئمتهم نواباً عن الرسول، وقالوا: هذه غاية ما قدرنا عليه، فالعادل منهم لا يظلم الآخر، ولا يعتدي عليه بقول ولا فعل، مثل أن يدعي أن قول مقلده هو الصحيح بلا حجة يبيدها ويذم من يخالفه مع أنه معذور.

(س ١٠٠٠) ذكر الشارح أن الاختلاف في الأصل (في المسائل الشرعية) نوعان، ما هما؟.

(ج) قال الشارح: ثم إن أنواع الافتراق والاختلاف في الأصل قسمان:

١ - اختلاف تنوع.

٢ - اختلاف تضاد.

(س ١٠٠١) ما هو اختلاف التنوع واختلاف التضاد، مع التوضيح لكل ما تقول؟.

ج: قال الشارح: ١ - واختلاف التنوع على وجوه:

* منه ما يكون كل واحد من القولين أو الفعلين حقاً مشروعاً، كما في القراءات التي اختلف فيها الصحابة رضي الله عنهم، حتى زجرهم النبي ﷺ، وقال: "كلاكما محسن".

* ومثله اختلاف الأنواع في صفة الأذان، والإقامة، والاستفتاح، ومحل سجود السهو، والتشهد، وصلاة الخوف، وتكبيرات العيد، ونحو ذلك، مما قد شرع جميعه، وإن كان بعض أنواعه أرجح أو أفضل.

ثم تجد لكثير من الأمة في ذلك من الاختلاف ما أوجب اقتتال طوائف منهم على شفع الإقامة وإيتارها ونحو ذلك! وهذا عين المحرم، وكذا تجد كثيراً منهم في قلبه من الهوى لأحد هذه الأنواع، والإعراض عن الآخر والنهي عنه: ما دخل به فيما نهى عنه النبي ﷺ.

* ومنه ما يكون كل من القولين هو في المعنى القول الآخر، لكن العبارتان مختلفتان، كما قد يختلف كثير من الناس في ألفاظ الحدود، وصوغ الأدلة، والتعبير عن المسميات ونحو ذلك. ثم الجهل أو الظلم يحمل على حُمد إحدى المقاتلين، وذم الأخرى والاعتداء على قائلها! ونحو ذلك.

٢ - وأما اختلاف التضاد: فهو القولان المتنافيان، إما في الأصول، وإما في الفروع عند الجمهور الذين يقولون: المصيب واحد، والخطب في هذا أشد؛ لأن القولين يتنافيان، لكن نجد كثيراً من هؤلاء قد يكون القول الباطل الذي مع منازعه فيه حق ما، أو معه دليل يقتضي حقاً ما، فيرد الحق مع الباطل، حتى يبقى هذا مبطلاً في البعض، كما كان الأول مبطلاً في الأصل، وهذا يجري كثيراً لأهل السنة.

وأما أهل البدعة، فالأمر فيهم ظاهر، ومن جعل الله له هدايةً ونوراً، رأى من هذا ما يبين له منفعة ما جاء في الكتاب والسنة من النهي عن هذا وأشباهه، وإن كانت القلوب الصحيحة تنكر هذا، لكن نور على نور.

س ١٠٠٢: متى تُحمد وتذم كل طائفة من المختلفين في النوعين السابقين، مع ضرب الأمثلة والاستدلال؟

(ج) قال الشارح: والاختلاف الذي هو اختلاف التنوع: الدم فيه واقع على من بغى على الآخر فيه، وقد دل القرآن على حمد كل واحدة من الطائفتين في مثل ذلك، إذا لم يحصل بغى.

١ - كما في قوله تعالى: ﴿مَا قَطَعْتُمْ مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَىٰ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ﴾.

٢ - وكما في قوله تعالى: ﴿وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَسَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانُ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾. فخص سليمان بالفهم، وأثنى عليهما، بالحكم والعلم.

٣ - وكما في إقرار النبي ﷺ يوم بني قريظة لمن صلى العصر في وقتها، ولمن أخرها إلى أن وصل إلى بني قريظة.

٤ - وكما في قوله ﷺ: "إذا اجتهد الحاكم، فأصاب فله أجران، وإذا اجتهد فأخطأ، فله أجر"، ونظائر ذلك.

والاختلاف الثاني (اختلاف التضاد): هو ما حمد فيه إحدى الطائفتين، وذمت الأخرى.

١ - كما في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنْ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ ءَامَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ﴾.

٢ - وقوله تعالى: ﴿هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِعَتْ لَهُمْ نِيَابٌ مِّن نَّارٍ﴾، الآيات.

وأكثر الاختلاف الذي يؤول إلى الأهواء بين الأمة، من القسم الأول، وكذلك سفك الدماء، واستباحة الأموال والعداوة والبغضاء؛ لأن إحدى الطائفتين لا تعترف للأخرى بما معها من الحق، ولا تنصفها بل تزيد على ما مع نفسها من الحق زيادات من الباطل، والأخرى كذلك. ولذلك جعل الله مصدره البغي في قوله: ﴿وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ﴾، لأن البغي مجاوزة الحد، وذكر هذا في غير موضع من القرآن ليكون عبرة لهذه الأمة.

وقريب من هذا الباب ما خرجاه في "الصحيحين"، عن أبي الزناد، عن

أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: "ذروني ما تركتكم، فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم، فإذا نهيتكم عن شيء، فاجتنبوه، وإذا أمرتكم بأمر، فاتوا منه ما استطعتم".

فأمرهم بالإمساك عما لم يؤمروا به، معللاً بأن سبب هلاك الأولين إنما كان كثرة السؤال ثم الاختلاف على الرسل بالمعصية.

س ١٠٠٣: ما أنواع الاختلاف في الكتاب ممن يقرّون به؟.

ج: قال الشارح: الاختلاف في الكتاب، من الذين يقرّون به، على نوعين:
١ - أحدهما: اختلاف في تنزيله.

٢ - والثاني: اختلاف في تأويله، وكلاهما فيه إيمان ببعض دون بعض.

س ١٠٠٤: ذكر الشارح أن الاختلاف في الكتاب ممن يقرّون به على نوعين. أوضحهما مع ضرب الأمثلة؟.

ج: قال الشارح: * فالأول كاختلافهم في تكلم الله بالقرآن وتنزيله.
فطائفة قالت: هذا الكلام حصل بقدرته ومشيتته، لكنه مخلوق في غيره لم يقم به.

وطائفة قالت: بل هو صفة له قائم بذاته ليس بمخلوق، لكنه لا يتكلم بمشيئته وقدرته.

وكل من الطائفتين جمعت في كلامها بين حق وباطل، فأمنت ببعض الحق، وكذبت بما تقوله الأخرى من الحق، وقد تقدمت الإشارة إلى ذلك.

* وأما الاختلاف في تأويله، الذي يتضمن الإيمان ببعضه دون بعض، فكثير، كما في حديث عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده، قال: خرج رسول الله ﷺ على أصحابه ذات يوم وهم يختصمون في القدر، هذا ينزع بآية وهذا ينزع بآية، فكأنما فقيء في وجهه حب الرمان، فقال: "أبهذا أمرتم؟ أم بهذا وكُلتُم؟ أن تضربوا كتاب الله بعضه ببعض؟ انظروا ما أمرتم به فاتبعوه، وما نهيتهم عنه فانتهوا".

وفي رواية: "يا قوم بهذا ضلت الأمم قبلكم، باختلافهم على أنبيائهم

وضربهم الكتاب بعضه ببعض، وإن القرآن يصدق بعضه بعضاً، ما عرفتم منه، فاعملوا به، وما تشابه، فآمنوا به".

وفي رواية: "فإن الأمم قبلكم لم يُلعنوا حتى اختلفوا، وإن المرء في القرآن كفر". وهو حديث مشهور، مخرج في "المساند" و"السنن".

وقد روى أصل الحديث مسلم في "صحيحه"، من حديث عبدالله بن رباح الأنصاري أن عبدالله بن عمرو قال: هجرت إلى رسول الله ﷺ يوماً، فسمع أصوات رجلين اختلفا في آية، فخرج علينا رسول الله ﷺ يعرف في وجهه الغضب، فقال: "إنما هلك من كان قبلكم باختلافهم في الكتاب".

وجميع أهل البدع مختلفون في تأويله، مؤمنون ببعضه دون بعض، يقررون بما يوافق رأيهم من الآيات، وما يخالفه، إما أن يتأولوه تأويلاً يحرفون فيه الكلم عن مواضعه، وإما أن يقولوا: هذا متشابه لا يعلم أحد معناه، فيجحدون ما أنزله الله من معانيه، وهو في معنى الكفر بذلك، لأن الإيمان باللفظ بلا معنى هو من جنس إيمان أهل الكتاب، كما قال تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَثْقَارًا﴾. وقال تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيًّ﴾، أي: إلا تلاوة من غير فهم معناه. وليس هذا كالمؤمن الذي فهم ما فهم من القرآن فعمل به، واشتبه عليه بعضه، فوكل علمه إلى الله، كما أمره النبي ﷺ بقوله: "فما عرفتم منه، فاعملوا به، وما جهلتم منه فردوه إلى عالمه"، فامثل أمر نبيه ﷺ.



الفصل الخامس والثلاثون

الإسلام دين الوسطية

الإسلام دين الوسطية



س ١٠٠٥: ما الدين الذي يقبله الله ولا يقبل غيره؟

ج: قال الطحاوي: ودين الله في الأرض والسماء واحد وهو دين الإسلام،

١ - قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾.

٢ - وقال تعالى: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾. وهو بين الغلو

والتقصير، وبين التشبيه والتعطيل، وبين الجبر والقدر، وبين الأمن والإياس.

قال الشارح:

٣ - ثبت في "الصحيح" عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:

"إننا معاشر الأنبياء ديننا واحد".

٤ - وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾. عام في كل

زمان، ولكن الشرائع تتنوع، كما قال تعالى: ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾.

فدين الإسلام: هو ما شرعه الله سبحانه وتعالى لعباده على السنة

رسله، وأصول هذا الدين وفروعه موروثه عن الرسل، وهو ظاهر غاية

الظهور، يمكن كل مميز من صغير وكبير، وفصيح وأعمج، وذكي وبليد أن

يدخل فيه بأقصر زمان، وإنه يقع الخروج منه بأسرع من ذلك، من إنكار

كلمة، أو تكذيب، أو معارضة، أو كذب على الله، أو ارتياب في قول الله،

أو رد لما أنزل، أو شك فيما نفى الله عنه الشك، أو غير ذلك مما في

معناه.

فقد دل الكتاب والسنة على ظهور دين الإسلام، وسهولة تعلمه، وأنه يتعلمه الوافد، ثم يولي في وقته. واختلاف تعليم النبي ﷺ في بعض الألفاظ بحسب من يتعلم، فإن كان بعيد الوطن، كضمام بن ثعلبة والنجدي، ووفد عبد القيس، علمهم ما لا يسعهم جهله، مع علمه أن دينه سينتشر في الآفاق، ويرسل إليهم من يفقههم في سائر ما يحتاجون إليه، ومن كان قريب الوطن، يمكنه الإتيان كل وقت، بحيث يتعلم على التدريج، أو كان قد علم فيه أنه قد عرف ما لا بد منه، أجابه بحسب حاله وحاجته، على ما تدل قرينة حال السائل، كقوله: "قل آمنت بالله ثم استقم".

وأما من شرع ديناً لم يأذن به الله، فمعلوم أن أصوله المستلزمة له لا يجوز أن تكون منقولة عن النبي ﷺ ولا عن غيره من المرسلين، إذ هو الباطل وملزوم الباطل باطل، كما أن لازم الحق حق.

س ١٠٠٦: استدل لعنوان هذا الفصل: (الإسلام دين الوسطية)؟.

ج ١: قال تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾.

٢ - وقال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ﴾.

٣ - وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَحْرِمُوا طَبِيبَ مَا ءَاحَلَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ (٨٧) وَكُلُوا مِنَّمَا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ (٨٨).

وفي "الصحيحين" عن عائشة رضي الله عنها: أن ناساً من أصحاب رسول الله ﷺ سألوا أزواج النبي ﷺ عن عمله في السر؟ فقال بعضهم: لا أكل اللحم، وقال بعضهم: لا أتزوج النساء، وقال بعضهم: لا أنام على فراش، فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال: "ما بال أقوام يقول أحدهم كذا وكذا؟! لكنني أصوم وأفطر، وأنام وأقوم، وأكل اللحم، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني".

وفي غير الصحيحين: "سألوا عن عبادته في السر، فكانهم تقالوها". وذكر في سبب نزول الآية الكريمة: عن ابن جريج عن عكرمة أن

عثمان بن مظعون، وعلي بن أبي طالب، وابن مسعود، والمقداد بن الأسود، وسالماً مولى أبي حذيفة - رضي الله عنهم في أصحابه - تبتلوا فجلسوا في البيوت، واعتزلوا النساء، ولبسوا المسوح، وحرّموا طيبات الطعام واللباس، إلا ما يأكل ويلبس أهل السباحة من بني إسرائيل، وهمّوا بالاختصاص، وأجمعوا لقيام الليل، وصيام النهار، فنزلت: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَحْزَمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ (٨٧).

يقول: لا تسيروا بغير سنة المسلمين، يريد ما حرّموا من النساء والطعام واللباس، وما أجمعوا له من قيام الليل وصيام النهار، وما همّوا به من الاختصاص، فنزلت فيهم فبعث النبي ﷺ إليهم، فقال: "إن لأنفسكم عليكم حقاً، وإن لأعينكم حقاً، صوموا وأفطروا، وصلّوا وناموا، فليس منا من ترك سنتنا" فقالوا: اللهم سلّمنا واتبعنا ما أنزلت.

س (١٠٠٧): ذكر الطحاوي أن الإسلام وسط بين التشبيه والتعطيل، فما معناه؟.

ج: قال الشارح: وقوله: "وبين التشبيه والتعطيل"، تقدم أن الله سبحانه وتعالى يحب أن يوصف بما وصف به نفسه، وبما وصفه به رسوله. من غير تشبيه: فلا يقال: سمع كسمعنا، ولا بصر كبصرنا، ونحوه. ومن غير تعطيل: فلا ينفي عنه ما وصف به نفسه، أو وصفه به أعرف الناس به رسوله ﷺ، فإن ذلك تعطيل، وقد تقدم الكلام في هذا المعنى. ونظير هذا القول قوله فيما تقدم: "ومن لم يتوق النفي والتشبيه، زل ولم يصب التنزيه". وهذا المعنى مستفاد من قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾. فقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾. رد على المشبهة، وقوله: ﴿السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾. رد على المعطلة.

س (١٠٠٨): ذكر الطحاوي أن الإسلام وسط بين الجبر والقدر، فما معناه؟.

ج: قال الشارح: وقوله: "وبين الجبر والقدر" تقدم الكلام أيضاً على هذا المعنى، وأن العبد غير مجبور على أفعاله وأقواله، وأنها ليست بمنزلة حركات

المرتعش، وحركات الأشجار بالرياح وغيرها، وليست مخلوقة للعبد، بل هي فعل العبد وكسبه، وخلق الله تعالى.

س ١٠٠٩: ذكر الطحاوي أن الإسلام وسط بين الأمن والإياس، فما معناه؟
ج: قال الشارح: وقوله: "وبين الأمن والإياس" تقدم الكلام أيضاً على هذا المعنى، وأنه يجب أن يكون العبد خائفاً من عذاب ربه، راجياً رحمته، وأن الخوف والرجاء بمنزلة الجناحين للعبد في سيره إلى الله تعالى والدار الآخرة.



الفصل السادس والثلاثون

الفرق الضالة

الفرق الضالة

س ١٠١٠: إلام أشار الطحاوي بقوله: " فهذا ديننا واعتقادنا ظاهراً وباطناً، ونبرأ إلى الله تعالى من كل من خالف الذي ذكرناه.. ؟".

ج: قال الشارح: الإشارة بقوله: "فهذا" إلى كل ما تقدم من أول الكتاب إلى هنا.

س ١٠١١: ما الفرق الضالة التي ذكرها الطحاوي في آخر كلامه؟ وبماذا حكم عليهم؟

ج: قال الطحاوي: "... ونسأل الله أن يثبتنا على الإيمان، ويختتم لنا به، ويعصمنا من الأهواء المختلفة، والآراء المتفرقة، والمذاهب الردية، مثل:

١ - المشبهة.

٢ - والمعتزلة.

٣ - والجهمية.

٤ - والجبرية.

٥ - والقدرية.

وغيرهم، من الذين خالفوا السنة والجماعة، وحالفوا الضلالة، ونحن منهم براء، وهم عندنا ضلالٌ وأردياء، وبالله العصمة والتوفيق."

س ١٠١٢: من هم المشبهة؟ ومن أشهر من عرف عنه التشبيه؟

ج: قال الشارح: هم الذين شبهوا الله سبحانه وتعالى بالخلق في صفاته، وقولهم عكس قول النصاري، فإن النصاري شبهوا المخلوق - وهو عيسى عليه السلام - بالخالق تعالى، وجعلوه إلهاً، وهؤلاء شبهوا الخالق بالمخلوق، كداود الجواربي وأشباهه.

س ١٠١٣: من هم المعتزلة؟ ولم سُموا بهذا الاسم؟ ومن أشهر من عرف عنه الاعتزال من زعمائها؟.

ج: والمعتزلة: هم أتباع عمرو بن عبيد، وواصل بن عطاء الغزال وأصحابهما، سُموا بذلك لما اعتزلوا الجماعة بعد موت الحسن البصري رحمه الله تعالى، في أوائل المئة الثانية، وكانوا يجلسون معتزلين، فيقول قتادة وغيره: أولئك المعتزلة.

(قلت): ومنهم أبو الهذيل العلاف، وأحمد بن أبي دؤاد، وبشر المريسي، وغيرهم.

س ١٠١٤: من الذي وضع أصول مذهب المعتزلة؟.

ج: قال الشارح: قيل: إن واصل بن عطاء هو الذي وضع أصول مذهب المعتزلة، وتابعه عمرو بن عبيد تلميذ الحسن البصري، فلما كان زمن هارون الرشيد، صنف لهم أبو الهذيل (العلاف) كتابين، وبين مذهبهم، وبنى مذهبهم على الأصول الخمسة.

س ١٠١٥: ما هي أصول المعتزلة الخمسة، وما معتقدهم في أفعال الرب تعالى؟ وبِم رد عليهم الشارح؟.

ج: أصول المعتزلة الخمسة هي:

- ١ - العدل.
- ٢ - التوحيد.
- ٣ - إنفاذ الوعيد.
- ٤ - المنزلة بين المنزلتين.
- ٥ - الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

قال الشارح: صنف لهم أبو الهذيل (العلاف) كتابين، وبين مذهبهم، وبنى مذهبهم على الأصول الخمسة، التي سموها: العدل، والتوحيد، وإنفاذ الوعيد، والمنزلة بين المنزلتين، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر! ولَبَّسُوا فيها الحق بالباطل، إذ شأن البدع هذا، اشتمالها على حق وباطل.

وهم مشبهة الأفعال، لأنهم قاسوا أفعال الله تعالى على أفعال عباده، وجعلوا ما يحسن من العباد يحسن منه، وما يقبح من العباد يقبح منه! وقالوا: يجب عليه أن يفعل كذا، ولا يجوز له أن يفعل كذا، بمقتضى ذلك القياس الفاسد!! فإن السيد من بني آدم لو رأى عبده تزني بإمائه ولا يمنعهم من ذلك، لعد إما مستحسناً للقبیح، وإما عاجزاً، فكيف يصح قياس أفعاله سبحانه وتعالى على أفعال عباده؟! والكلام على هذا المعنى مبسوط في موضعه.

(س ١٠١٦): من أصول المعتزلة الخمسة، العدل، فماذا ستروا تحت هذا الأصل؟ وما الرد العقلي الذي رد الشارح به؟.

(ج): قال الشارح: فأما العدل فستروا تحته نفي القدر، وقالوا: إن الله لا يخلق الشر، ولا يقضي به، إذ لو خلقه، ثم يعذبهم عليه يكون ذلك جوراً!! والله تعالى عادل لا يجور، ويلزمهم على هذا الأصل الفاسد أن الله تعالى يكون في ملكه ما لا يريده، فيريد الشيء ولا يكون، ولازمه وصفه بالعجز! تعالى الله عن ذلك.

(س ١٠١٧): التوحيد من أصول المعتزلة الخمسة، فماذا ستروا تحت هذا الأصل؟ وما الرد العقلي الذي رد به الشارح؟.

(ج): قال الشارح: وأما التوحيد، فستروا تحته القول بخلق القرآن، إذ لو كان غير مخلوق، لزم تعدد القدماء!! ويلزمهم على هذا القول الفاسد أن علمه وقدرته وسائر صفاته مخلوقة، أو التناقض.

(س ١٠١٨): من أصول المعتزلة الخمسة الوعيد، فماذا ستروا تحت هذا الأصل؟.

(ج): قال الشارح: وأما الوعيد، فقالوا: إذا أوعد بعض عباده وعيداً فلا

يجوز أن لا يعذبهم ويخلف وعيده؛ لأنه لا يخلف الميعاد، فلا يعفو عمن يشاء، ولا يغفر لمن يريد عندهم!!.

(س ١٠١٩) ما معتقد المعتزلة في أصلهم: المنزلّة بين المنزلتين؟.

(ج) قال الشارح: وأما المنزلّة بين المنزلتين: فعندهم أن مرتكب الكبيرة يخرج من الإيمان، ولا يدخل في الكفر!!.

(س ١٠٢٠) من أصول المعتزلة الخمسة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فماذا ستروا تحت هذا الأصل؟.

(ج) قال الشارح: وأما الأمر بالمعروف، وهو أنهم قالوا: علينا أن نأمر غيرنا بما أمرنا به، وأن نلزمه بما يلزمنا، وذلك هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وضمنوه أنه يجوز الخروج على الأئمة بالقتال إذا جاروا!! وقد تقدم جواب هذه الشبهة الخمس في مواضعها.

(س ١٠٢١) ما منزلة التوحيد والعدل عند المعتزلة؟ أو ما منزلة العقل والنص الشرعي عند المعتزلة؟.

(ج) قال الشارح: وعندهم أن التوحيد والعدل من الأصول العقلية التي لا يعلم صحة السمع (النص الشرعي) إلا بعدها، وإذا استدلوا على ذلك بأدلة سمعية، إنما يذكرونها للاعتضاد بها، لا للاعتماد عليها، فهم يقولون: لا تثبت هذه بالسمع، بل العلم بها متقدم على العلم بصحة النقل!، فمنهم من لا يذكرها في الأصول، إذ لا فائدة فيها عندهم، ومنهم من يذكرها ليبين موافقة السمع (الدليل الشرعي) للعقل، ولإيناس الناس بها، لا للاعتماد عليها! والقرآن والحديث فيه عندهم بمنزلة الشهود الزائدين على النصاب! والمدد اللاحق بعسكر مستغني عنهم! وبمنزلة من يتبع هواه، واتفق أن الشرع ما يهواه!! كما قال عمر بن عبد العزيز: لا تكن ممن يتبع الحق إذا وافق هواه، ويخالفه إذا خالف هواه، فإذا أنت لا تثاب على ما وافقته من الحق، وتعاقب على ما تركته منه، لأنك إنما تبعت هواك في الموضعين. وكما أن الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى، والعمل يتبع قصد صاحبه وإرادته، فالاعتقاد القوي يتبع أيضاً علم ذلك وتصديقه، فإن كان ذلك تابِعاً للإيمان،

كان من الإيمان، كما أن العمل الصالح إذا كان عن نية صالحة، كان صالحاً، وإلا فلا، فقول أهل الإيمان التابع لغير الإيمان، كعمل أهل الصلاح التابع لغير قصد أهل الصلاح. وفي المعتزلة زنادقة كثيرة، وفيهم من ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا.

س ١٠٢٢: من هم الجهمية؟ وما أصل عقيدتهم، ومن أشهر من عرف بالتجهم؟.

ج: قال الشارح: والجهمية: هم المنتسبون إلى الجهم بن صفوان الترمذي وهو الذي أظهر نفي الصفات والتعطيل، وهو أخذ ذلك عن الجعد بن درهم، الذي ضحى به خالد بن عبدالله القسري بواسط؛ فإنه خطب الناس في يوم عيد الأضحى، وقال: أيها الناس، ضحوا، تقبل الله ضحاياكم، فإني مضح بالجعد بن درهم، فإنه زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلاً ولم يكلم موسى تكليماً، تعالى الله عما يقول الجعد علواً كبيراً، ثم نزل فذبحه. وكان ذلك بعد استفتاء علماء زمانه، وهم السلف الصالح رحمهم الله تعالى.

وكان جهم بعده بخراسان، فأظهر مقالته هناك، وتبعه عليها ناس، بعد أن ترك الصلاة أربعين يوماً شكاً في ربه، وكان ذلك لمناظرته قوماً من المشركين يقال لهم السمنية، من فلاسفة الهند، الذين ينكرون من العلم ما سوى الحسيات، قالوا له: هذا ربك الذي تعبد، هل يرى أو يُشم أو يذاق أو يلمس؟ فقال: لا، فقالوا: هو معدوم!! فبقي أربعين يوماً لا يعبد شيئاً، ثم لما خلا قلبه من معبود يألوه، نقش الشيطان اعتقاداً نَحَتَه فكره فقال: إنه الوجود المطلق!! ونفى جميع الصفات، واتصل بالجعد.

وقد قيل: إن الجعد كان قد اتصل بالصابئة الفلاسفة من أهل حران، وأنه أيضاً أخذ شيئاً عن بعض اليهود المحرفين لدينهم، المتصلين بلبيد بن الأعصم الساحر الذي سحر النبي ﷺ فقتل جهم بخراسان، قتله سلم بن أحوز، ولكن كانت قد فشت مقالته في الناس، وتقلدها بعده المعتزلة، ولكن الجهم أدخل في التعطيل منهم؛ لأنه ينكر الأسماء حقيقة، وهم لا ينكرون الأسماء بل الصفات.

س ١٠٢٣: هل الجهمية من الثنتين والسبعين فرقة أم لا؟.

ج: قال الشارح: وقد تنازع العلماء في الجهمية: هل هم من الثنتين والسبعين فرقة أم لا؟ ولهم في ذلك قولان: وممن قال إنهم ليسوا من الثنتين والسبعين فرقة عبدالله بن المبارك، ويوسف بن أسباط.

س ١٠٢٤: لماذا اشتهرت مقالة الجهمية؟.

ج: قال الشارح: وإنما اشتهرت مقالة الجهمية من حين محنة الإمام أحمد بن حنبل وغيره من علماء السنة، فإنه من إمارة المأمون قوا وكثروا، فإنه كان قد أقام بخراسان مدة، واجتمع بهم ثم كتب بالمحنة من طرسوس سنة ثمان عشرة ومئتين ٢١٨هـ، وفيها مات، وردوا الإمام أحمد إلى الحبس ببغداد إلى سنة عشرين، وفيها كانت محنته مع المعتصم ومناظرته لهم بالكلام، فلما ردّ عليهم فيما احتجوا به عليه، وبين أنه لا حجة لهم في شيء من ذلك، وأن طلبهم من الناس أن يوافقوهم وامتحانهم إياهم، جهل وظلم، وأراد المعتصم إطلاقه، أشار عليه من أشار بأن المصلحة ضربه، لئلا تنكسر حرمة الخلافة مرة بعد مرة! فلما ضربوه، قامت الشناعة في العامة، وخافوا فأطلقوه، وقصته مذكورة في كتب التاريخ.

س ١٠٢٥: ما البدع الشنيعة التي انفرد الجهم بها؟.

ج: قال الشارح: ومما انفرد به جهم:

١ - أن الجنة والنار تفنيان.

٢ - وأن الإيمان هو المعرفة فقط.

٣ - والكفر هو الجهل فقط.

٤ - وأنه لا فعل لأحد في الحقيقة إلا لله وحده، وأن الناس إنما تنسب إليهم أفعالهم على سبيل المجاز، كما يقال: تحركت الشجرة، ودار الفلك، وزالت الشمس! ولقد أحسن القائل:

عجبت لشیطان دعا الناس جهرةً إلى النار واشتق اسمه من جهنم

وقد نقل أن أبا حنيفة رحمه الله سئل عن الكلام في الأعراض

والأجسام؟ فقال: لعن الله عمرو بن عبيد، هو فتح على الناس الكلام في هذا.

(س ١٠٢٦) ما أصل فرقة الجبرية، وما أشهر بدعهم؟.

(ج) قال الشارح: والجبرية: أصل قولهم من الجهم بن صفوان، كما تقدم، وأن فعل العبد بمنزلة طوله ولونه، وهم عكس القدرية نفاة القدر، فإن القدرية إنما نسبوا إلى القدر لنفيهم إياه، كما سميت المرجئة لنفيهم الإرجاء، وأنه لا أحد مرجأ لأمر الله إما يعذبهم وإما يتوب عليهم. وقد تسمى الجبرية "قدرية" لأنهم غلوا في إثبات القدر، وكما يسمى الذين لا يجزمون بشيء من الوعد والوعيد، بل يغلون في إرجاء كل أمر حتى الأنواع، فلا يجزمون بثواب من تاب، كما لا يجزمون بعقوبة من لم يتب، وكما لا يجزم لمعين. وكانت المرجئة الأولى يرجئون عثمان وعلياً ولا يشهدون بإيمان ولا كفر!!.

(س ١٠٢٧) هل وردت أحاديث في ذم القدرية؟.

(ج) قال الشارح: ورد في ذم القدرية أحاديث في "السنن"، منها:

١ - ما روى أبو داود في "سننه"، من حديث عبدالعزيز بن أبي حازم، عن أبيه عن ابن عمر، عن النبي ﷺ قال: "القدرية مجوس هذه الأمة، إن مرضوا فلا تعودوهم، وإن ماتوا فلا تشهدوهم". (قلت: سبق، وهو ضعيف الإسناد.

وروي في ذم القدرية أحاديث أخر كثيرة، تكلم أهل الحديث في صحة رفعها، والصحيح أنها موقوفة، بخلاف الأحاديث الواردة في ذم الخوارج، فإن فيهم في "الصحيح" وحده عشرة أحاديث، أخرج البخاري منها ثلاثة، وأخرج مسلم سائرهما. ولكن مشابتههم للمجوس ظاهرة، بل قولهم أردأ من قول المجوس، فإن المجوس اعتقدوا وجود خالقين، والقدرية اعتقدوا خالقين!!.

(س ١٠٢٨) لم وقعت، ومتى نشأت أكبر البدع؟.

(ج) قال الشارح: هذه البدع المتقابلة حدثت من الفتن المفرقة بين الأمة،

كما ذكر البخاري في "صحيحه"، عن سعيد بن المسيب، قال: وقعت الفتنة الأولى - يعني مقتل عثمان - فلم تُبَقِّ من أصحاب بدرٍ أحداً، ثم وقعت الفتنة الثانية - يعني الحرة - فلم تُبَقِّ من أصحاب الحديبية أحداً، ثم وقعت الثالثة، فلم ترفع وللناس طَبَاحٌ، أي: عقل وقوة.

فالخوراج والشيعة حدثوا في الفتنة الأولى.

والقدرية والمرجئة في الفتنة الثانية.

والجهمية ونحوهم بعد الفتنة الثالثة.

فصار هؤلاء الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً يقابلون البدعة بالبدعة.

وأولئك غلوا في علي، وأولئك كفروه!.

وأولئك غلوا في الوعيد، حتى خلدوا بعض المؤمنين.

وأولئك غلوا في الوعد، حتى نفوا بعض الوعيد أعني المرجئة!.

وأولئك غلوا في التنزيه حتى نفوا الصفات.

وهؤلاء غلوا في الإثبات، حتى وقعوا في التشبيه! وصاروا يبتدعون من الدلائل والمسائل ما ليس بمشروع، ويعرضون عن الأمر المشروع، وفيهم من استعان على ذلك بشيء من كتب الأوائل: اليهود والنصارى والمجوس والصابئين، فإنهم قرؤوا كتبهم، فصار عندهم من ضلالتهم ما أدخلوه في مسائلهم ودلائلهم وغيروه في اللفظ تارةً، وفي المعنى أخرى، فلبسوا الحق بالباطل، وكتبوا حقاً جاء به نبيهم، ففارقوا واختلفوا، وتكلموا حينئذ في الجسم والعرض والتجسيم، نفياً وإثباتاً.

(س ١٠٢٩) ما سبب ضلال هذه الفرق وانحرافها عن الصراط المستقيم؟.

(ج) قال الشارح: وسبب ضلال هذه الفرق وأمثالهم، عدولهم عن الصراط المستقيم، الذي أمرنا الله باتباعه، فقال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾. وقال تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾.

فوخد لفظ: "صراطه" و"سبيله"، وجمع: "السبل" المخالفة له.

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: خط لنا رسول الله ﷺ خطاً، وقال: "هذا سبيل الله"، ثم خط خطوطاً عن يمينه وعن يساره، وقال: "هذه سبيل، على كل سبيل شيطان يدعو إليه، ثم قرأ: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّيْنَاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (١٥٣)".

ومن هنا يعلم أن اضطراب العبد إلى سؤال هداية الصراط المستقيم فوق كل ضرورة، ولهذا شرع الله تعالى في الصلاة قراءة أم القرآن في كل ركعة، إما فرضاً أو إيجاباً، على حسب اختلاف العلماء في ذلك، لاحتياج العبد إلى هذا الدعاء العظيم القدر، المشتمل على أشرف المطالب وأجلها. فقد أمرنا الله تعالى أن نقول: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ (١) صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ (٧). وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: "اليهود مغضوب عليهم، والنصارى ضالون".

وثبت في "الصحيح" عن النبي ﷺ أنه قال: "لتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة، حتى لو دخلوا جحر ضبٍ لدخلتموه"، قالوا: يا رسول الله: اليهود والنصارى؟ قال: "فمن؟!".

قال طائفة من السلف: من انحرف من العلماء، ففيه شبه من اليهود، ومن انحرف من العباد، ففيه شبه من النصارى. فلهذا تجد أكثر المنحرفين من أهل الكلام، من المعتزلة ونحوهم فيه شبه من اليهود، حتى إن علماء اليهود يقرؤون كتب شيوخ المعتزلة، ويستحسنون طريقهم، وكذا شيوخ المعتزلة يميلون إلى اليهود، ويرجحونهم على النصارى، وأكثر المنحرفين من العباد ونحوهم فيه شبه من النصارى، ولهذا يميلون إلى نوع من الرهبانية والحلول والاتحاد ونحو ذلك. وشيوخ هؤلاء يذمون الكلام وأهله، وشيوخ أولئك يعيبون طريقة هؤلاء، ويصنفون في ذم السماع والوجد وكثير من الزهد والعبادة التي أحدثها هؤلاء.

(س ١٠٣٠) ذكر الشارح أن لفرق الضلال في الوحي طريقتان، ما هما؟.

(ج) قال الشارح: ولفرق الضلال في الوحي طريقتان:

١ - طريقة التبديل.

٢ - وطريقة التجهيل.

س ١٠٣١ من فرق الضلال أهل التبديل، وهم نوعان. ما هما؟.

ج: قال الشارح: أما أهل التبديل، فهم نوعان:

١ - أهل الوهم والتخييل.

٢ - وأهل التحريف والتأويل.

س ١٠٣٢ من فرق الضلال أهل التبديل وهم نوعان، أحد النوعين أهل

الوهم والتخييل، عَرَفَ بهم وبطريقتهم؟.

ج: قال الشارح: فأهل الوهم والتخييل: هم الذين يقولون: إن الأنبياء أخبروا عن الله واليوم الآخر والجنة والنار بأمور غير مطابقة للأمر في نفسه، لكنهم خاطبوهم بما يتخيلون به ويتوهمون به أن الله شيء عظيم كبير، وأن الأبدان تعاد، وأن لهم نعيماً محسوساً، وعقاباً محسوساً، وإن كان الأمر ليس كذلك، لأن مصلحة الجمهور في ذلك، وإن كان كذباً فهو كذب لمصلحة الجمهور!! وقد وضع ابن سينا وأمثاله قانونهم على هذا الأصل.

س ١٠٣٣ من فرق الضلال أهل التبديل وهم نوعان، أحد النوعين أهل

التحريف والتأويل، عَرَفَ بهم وبطريقتهم؟.

ج: قال الشارح: وأما أهل التحريف والتأويل: فهم الذين يقولون: إن الأنبياء لم يقصدوا بهذه الأقوال ما هو الحق في نفس الأمر، وإن الحق في نفس الأمر هو ما علمناه بعقولنا ثم يجتهدون في تأويل هذه الأقوال إلى ما يوافق رأيهم بأنواع التأويلات!! ولهذا كان أكثرهم لا يجزمون بالتأويل، بل يقولون: يجوز أن يراد كذا، وغاية ما معهم إمكان احتمال اللفظ.

س ١٠٣٤ الطريقة الثانية من طرق أهل الضلال، طريقة التجهيل، عرف

بحقيقة قولهم؟.

ج: قال الشارح: وأما أهل التجهيل والتضليل، الذين حقيقة قولهم: إن الأنبياء وأتباع الأنبياء جاهلون ضالون، لا يعرفون ما أراد الله بما وصف به نفسه من الآيات وأقوال الأنبياء! ويقولون: يجوز أن يكون للنص تأويل لا يعلمه إلا الله، لا يعلمه جبريل ولا محمد ولا غيره من الأنبياء، فضلاً عن

الصحابة والتابعين لهم بإحسان، وأن محمداً ﷺ كان يقرأ: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾ ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ ﴿مَا مَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتَ بِيَدَيْ﴾. وهو لا يعرف معاني هذه الآيات! بل معناها الذي دلت عليه لا يعرفه إلا الله تعالى!! ويظنون أن هذه طريقة السلف!!.

ثم منهم من يقول: إن المراد بها خلاف مدلولها الظاهر المفهوم، ولا يعرفه أحد! كما لا يعلم وقت الساعة. ومنهم من يقول: بل تجرى على ظاهرها وتحمل على ظاهرها!! ومع هذا لا يعلم تأويلها إلا الله، فيتناقضون حيث أثبتوا لها تأويلاً يخالف ظاهرها، وقالوا مع هذا: إنها تُحمل على ظاهرها، وهؤلاء مشتركون في القول بأن الرسول لم يبين المراد بالنصوص التي يجعلونها مشكلة أو متشابهة، ولهذا يجعل كل فريق المشكل من نصوصه غير ما يجعله الفريق الآخر مشكلاً.

ثم منهم من يقول: لم يَعْلَمْ معانيها أيضاً!.

ومنهم من يقول: علمها ولم يبينها، بل أحال في بيانها على الأدلة العقلية وعلى من يجتهد في العلم بتأويل تلك النصوص!! فهم مشتركون في أن الرسول لم يَعْلَمْ أو يُعْلَمْ، بل نحن عرفنا الحق بعقولنا، ثم اجتهدنا في حمل كلام الرسول على ما يوافق معقولنا، وأن الأنبياء وأتباعهم لا يعرفون العقلية!! ولا يفهمون السمعية!! وكل ذلك ضلال وتضليل عن سواء السبيل.

نسأل الله السلامة والعافية، من هذه الأقوال الواهية، المفضية بقائلها إلى الهاوية.

سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين

(س ١٠٣٥) ما أحسن ترتيب يُرتب عليه كتاب أصول الدين (العقيدة)؟.

ج: قال الشارح: وأحسن ما يترتب عليه كتاب أصول الدين ترتيب جواب النبي ﷺ لجبريل ﷺ، حين سأله عن الإيمان، فقال: "أن تؤمن بالله

وملائكته وكتبه ورساله واليوم الآخر والقدر " الحديث، فيبدأ بالكلام على التوحيد والصفات وما يتعلق بذلك، ثم بالكلام على الملائكة، ثم، وثم، إلى آخره.



فهرس الأسئلة

السؤال	الصفحة
س ١ : من هو مؤلف كتاب الطحاوية؟ ومتى ولد، ومتى كانت وفاته؟	١١
س ٢ : على من يجب الإيمان المجمع؟ وهل يجب على كل أحد معرفة ما جاء به الرسول على التفصيل؟	١١
س ٣ : ما سبب الضلال في باب العقائد والعجز عن معرفة الحق؟	١١
س ٤ : المؤمنون بحاجة إلى إيضاح الأدلة الشرعية ودفع الشبه الواردة، وضح ذلك؟	١٢
س ٥ : ما سبب دروس وذهاب كثير من علم الرسالة؟	١٢
س ٦ : هل لك أن تعطينا بعض النقول عن بعض أئمة السلف في ذم علم الكلام؟	١٣
س ٧ : قيل : "إن طريقة السلف أسلم، وإن طريقتنا أحكم وأعلم" فما جوابك؟	١٣
س ٨ : لماذا كره السلف التكلم بالجواهر والجسم والعرض؟	١٤
س ٩ : من هو شارح متن العقيدة الطحاوية، ولماذا شرحها؟	١٤
س ١٠ : ما هي أول دعوة الرسل؟	١٧
س ١١ : ما أول واجب على المكلف؟ ومن الذي خالف أهل السنة في ذلك؟	١٧
س ١٢ : ما حكم من صلى ولم يتكلم بالشهادتين، أو أتى بغير ذلك من خصائص الإسلام، ولم يتكلم بهما، هل يصير مسلماً أم لا؟	١٧
س ١٣ : ما أنواع التوحيد؟	١٧
س ١٤ : اذكر ما يضاد أنواع التوحيد الآنفة الذكر؟	١٨
س ١٥ : ما شبهة المعتزلة وجههم بن صفوان في إنكار الصفات؟ وماذا جنى هؤلاء بهذا القول؟	١٨
س ١٦ : بين الشارح رحمه الله، توحيد المعتزلة (إنكار الصفات)، وماذا جنى على أهله، ثم ذكر فروعاً لهذا التوحيد، عند من غلا فيه، فما هي؟	١٩
س ١٧ : من أشهر من عرف تجاهله بإنكار الخالق، ولم؟	١٩
س ١٨ : هل يصح قول من قال : أن فرعون سأل موسى مستفهماً عن الماهية في الآيات الآنفة الذكر؟	٢٠
س ١٩ : هل عرف عن أحد من الطوائف أنه قال : إن العالم له خالقان متماثلان في الصفات والأفعال؟ وعلام يدل هذا؟	٢٠
س ٢٠ : ما دليل التمانع عند أهل الكلام والنظر؟ ولماذا يستدلون به؟ وهل يصح ما ذهبوا إليه؟	٢١
س ٢١ : هل لك أن تعطينا بعض الأدلة على أن أصل شرك العرب لم يكن في الربوبية، وإنما كان في الإلهية؟	٢٢

- س ٢٢ : "توحيد الإلهية متضمن لتوحيد الربوبية" أوضح ذلك؟ ٢٢
- س ٢٣ : ما دليلك أن التوحيد المطلوب من البشر هو توحيد الإلهية (الذي يتضمن توحيد الربوبية) وأن العباد مفلطرون عليه؟ ٢٣
- س ٢٤ : ما الأدلة العقلية على صدق ما أخبر به الرسول ﷺ من أن البشر مجبولون على معرفة الله بالفطرة؟ ٢٣
- س ٢٥ : ما التوحيد الذي يعتقده بعض أهل التصوف والكلام؟ وهل ينفعهم ذلك؟ ٢٤
- س ٢٦ : القرآن الكريم مملوء بتقرير توحيد الإلهية، بين ذلك مع ذكر بعض الأدلة؟ ٢٥
- س ٢٧ : ما دليل التمانع، وماذا يفيد؟ ٢٥
- س ٢٨ : ما الآية التي ظن طوائف أنها آية التمانع، ولم؟ وماذا أفادت الآية؟ ٢٦
- س ٢٩ : كيف يكون توحيد الألوهية متضمن لتوحيد الربوبية، بين ذلك؟ ٢٦
- س ٣٠ : ما تفسير آخر آية في الجواب الآنف الذكر؟ ٢٧
- س ٣١ : ما توحيد المعرفة والإثبات، وتوحيد الطلب والقصد، وما التوحيد العلمي الخبري، والتوحيد الطلبي الإرادي؟ ٢٧
- س ٣٢ : هات أدلة من الكتاب الكريم على النوعين السابقين؟ ٢٧
- س ٣٣ : ما معنى الشهادة وما مراتبها؟ ٢٨
- س ٣٤ : هات دليلاً على مرتبة العلم؟ ٢٨
- س ٣٥ : هات دليلاً على مرتبة التكلم بها؟ ٢٨
- س ٣٦ : مرتبة الإعلام والإخبار نوعان، ما هما؟ ٢٨
- س ٣٧ : وضح كيف تكون الشهادة والإعلام بالفعل، مع الدليل؟ ٢٨
- س ٣٨ : مرتبة الأمر والإلزام به؛ (مجرد الشهادة لا يستلزمه) بين ذلك؟ ٢٩
- س ٣٩ : الله تعالى بين وحدانيته غاية البيان بطرق ثلاث، ماهي؟ ٢٩
- س ٤٠ : هل لك أن تبين هذه الطرق الثلاث؟ ٢٩
- س ٤١ : ما بعث الله نبياً إلا ومعه آية تدل على صدقه. ما دليلك؟ ٣٠
- س ٤٢ : كيف يُستدل بأسمائه وصفاته على ألوهيته وكمال صفاته، على أن الاستدلال بذلك لا يعهد في الاصطلاح؟ ٣٠
- س ٤٣ : هناك من قسم التوحيد إلى ثلاثة أنواع، ما هذه الأنواع؟ وهل تتوافق مع التوحيد الذي جاء به الرسل؟ ٣١
- س ٤٤ : بين خطورة التوحيد الذي ادعوا أنه توحيد الخاصة؟ ٣٢
- س ٤٥ : هل يمكن أن يكون للمخلوق صفات وللخالق صفات وللمخلوق أسماء وللخالق أسماء؟ بين ذلك؟ ٣٣
- س ٤٦ : زعم بعض أهل البدع أن إثبات الصفات يستلزم التشبيه والتجسيم، كيف ترد عليهم قولهم؟ ٣٤
- س ٤٧ : هل يتفق الخالق والمخلوق في الأسماء والصفات من بعض الوجوه؟ ٣٥
- س ٤٨ : المطلق الكلبي يوجد في الأذهان لا في الأعيان، والموجود في الأعيان مختص لا اشتراك فيه. ضل في هذا الأصل فريقان، ما أصل خطأهم ومن هم؟ ٣٦
- س ٤٩ : الفريقان السابقان، كل منهما أحسن وأساء. بين ذلك؟ ٣٧
- س ٥٠ : ما منهج السلف في إثبات الصفات، ومنهج أهل الكلام فيها؟ ٣٧
- س ٥١ : ما معتقد أهل السنة والجماعة في الأسماء والصفات، وما معتقد أهل البدع فيها؟ ٣٨

- س ٥٢ : قال الإمام الطحاوي : " ولا شيء يعجزه " فهل هذا من النفي المذموم ولم ؟ ٣٨
- س ٥٣ : الإثبات المجرد قد يتطرق إليه الاحتمال . بين هذه العبارة في ضوء قول الطحاوي : " ولا إله غيره " ؟ ٣٨
- س ٥٤ : ما تقدير الخبر في : " لا إله إلا الله " ؟ ولم أورد هذا الشارح هنا ؟ ٣٩
- س ٥٥ : قال الإمام الطحاوي : " قديم بلا ابتداء دائم بلا انتهاء " ، ماذا أراد من هذا القول ؟ ٣٩
- س ٥٦ : لم كان ثبوت هذين الوصفين " الأول والآخر " مستقر في الفطر ؟ ٣٩
- س ٥٧ : من الذي أدخل اسم " القديم " في أسمائه تعالى ، وهل هو من أسمائه الحسنی ؟ ٤٠
- س ٥٨ : قال الإمام الطحاوي : " لا يفنى ولا يبيد " بين معنى هذه العبارة ؟ ٤١
- س ٥٩ : لم أورد الطحاوي قوله : " ولا يكون إلا ما يريد " ؟ ٤١
- س ٦٠ : لم سُميت القدريّة بهذا الاسم ؟ ٤١
- س ٦١ : ماذا قالت القدريّة في القدر ، وما معتقد أهل السنة فيه ؟ ٤١
- س ٦٢ : ما أقسام الإرادة ؟ ولم قسمها أهل السنة إلى قسمين ؟ ٤٢
- س ٦٣ : أورد بعض الأدلة لكل نوع من أنواع الإرادة ؟ ٤٢
- س ٦٤ : اذكر نوعي الإرادة في مثل كلام الناس ، وماذا يفيد ؟ ٤٣
- س ٦٥ : هل الأمر مستلزم للإرادة ؟ وضح إجابتك بضرب بعض الأمثلة ؟ ٤٣
- س ٦٦ : القدريّة تنفي القدر وتضرب مثلاً بمن أمر غيره بأمر ، فإنه لا بد أن يفعل ما يكون المأمور أقرب إلى فعله ، كالبحر والطلاقة ، وتهيئة المساند والمقاعد ونحو ذلك . فبم يرد عليهم ؟ ٤٤
- س ٦٧ : هل يحيط أحد بحكمة الله في خلقه وأمره ؟ ٤٥
- س ٦٨ : ما معنى قول الطحاوي : " لا تبلغه الأوهام ، ولا تدركه الأفهام " ؟ ٤٥
- س ٦٩ : لم أورد الشيخ قوله : " ولا يشبه الأنام " وما معناها ؟ ٤٥
- س ٧٠ : ما علامة الجهمية ؟ ٤٦
- س ٧١ : ما مقالة أهل السنة في نفي التشبيه ؟ ٤٦
- س ٧٢ : هل يجوز الاستدلال في العلم الإلهي بقياس تمثيل يستوي في الأصل والفرع ، أو بقياس شمولي يستوي فيه أفرادهم ؟ ٤٧
- س ٧٣ : ماذا يستعمل في حق الله من الأقيسة ، مع التمثيل والتوضيح ؟ ٤٧
- س ٧٤ : ما معنى الأنام ، ولم اكتفى الشيخ رحمه الله بقوله : ولا يشبه الأنام ؟ ٤٨
- س ٧٥ : استدل من كتاب الله تعالى على صفتي الحياة والقيومية ، ولم أوردتهما الشيخ رحمه الله في هذا الموضع ؟ ٤٨
- س ٧٦ : قال الشارح رحمه الله : فعلى هذين الاسمين (الحي القيوم) مدار الأسماء الحسنی كلها ، وضح ذلك ؟ ٤٩
- س ٧٧ : قال الطحاوي رحمه الله : " خالق بلا حاجة رازق بلا مؤنة " ماذا فيها من الصفات ؟ وما معنى مؤنة ؟ ٤٩
- س ٧٨ : قال الإمام الطحاوي : " مميت بلا مخافة ، باعث بلا مشقة " . هل الموت صفة وجودية أم عدمية ؟ ومن خالف في ذلك ، وما دليلك ؟ ٤٩
- س ٧٩ : قال الطحاوي : " ما زال بصفاته قديماً قبل خلقه ، لم يزد بكونهم شيئاً لم يكن قبلهم من صفته ، وكما كان بصفاته أزلياً ، كذلك لا يزال عليها أبدياً " وضح هذا المعنى بزيادة بيان ؟ ٥٠

- س ٨٠: أهل علم الكلام ينفون حلول الحوادث بالرب تعالى . فما حكم ذلك عند أهل السنة والجماعة (الألفاظ المجملة)؟ ٥١
- س ٨١: أهل الكلام المذموم يطلقون نفي حلول الحوادث، ما مرادهم من ذلك؟ ٥١
- س ٨٢: هل يجوز إطلاق لفظ "الغير" على صفات الله وكلامه؟ ٥١
- س ٨٣: يقول بعضهم: الصفة لا عين الموصوف ولا غيره . أو يقول: الصفات عين الذات، أو صفات الله غير الله، فصل القول الصحيح في ذلك؟ ٥٢
- س ٨٤: هل تفصل الصفات عن الذات بوجه من الوجوه؟ مع الاستدلال؟ ٥٢
- س ٨٥: هل الاسم عين المسمى أم غيره؟ ٥٣
- س ٨٦: لم أورد الشيخ الشارح الاسم والمسمى في هذا الموضع؟ ٥٣
- س ٨٧: قال الإمام الطحاوي رحمه الله: "ما زال بصفاته قديماً قبل خلقه ... " لم أورد هذا القول؟ ٥٣
- س ٨٨: قالت الجهمية بامتناع وجود ما لا يتناهى من الحوادث، فما أهمية هذا القول لديهم، ولم قالوا به، وكيف ترد عليهم قولهم؟ ٥٤
- س ٨٩: ما أقوال أهل النظر في إمكانية دوام نوع الحوادث؟ ٥٥
- س ٩٠: هل يمنع (تسلسل الحوادث في الماضي وتسلسلها في المستقبل) أن يكون الرب سبحانه هو الأول الذي ليس قبله شيء، والآخر الذي ليس بعده شيء، مع الاستدلال لما تقول؟ ٥٦
- س ٩١: ما حكم لفظ التسلسل عند أهل السنة والجماعة؟ وما أقسامه؟ ٥٦
- س ٩٢: هل لك أن تبين أنواع التسلسل بأمثلة توضيحية؟ ٥٦
- س ٩٣: هل التسلسل في أفعاله تعالى من طرف الأزل، من الواجب أم الممتنع أم الممكن؟ ٥٧
- س ٩٤: هل يلزم من التسلسل الممكن في مفعولاته، أن يكون الخلق لم يزلوا معه أزلاً وأبداً؟ ٥٧
- س ٩٥: كل من اعترف بأن الرب تعالى لم يزل قادراً على الفعل، يلزمه أحد أمرين لا بد له منهما ما هما، وعلام يدل ذلك؟ ٥٧
- س ٩٦: أورد أبو المعالي الجويني في "إرشاده" وغيره من النظائر على التسلسل في الماضي، فقالوا: إنك لو قلت: لا أعطيتك درهماً إلا أعطيتك بعده درهماً كان هذا ممكناً، ولو قلت: لا أعطيتك درهماً حتى أعطيتك قبله درهماً، كان هذا ممتنعاً، فكيف يرد عليهم قولهم؟ ٥٨
- س ٩٧: هل الإمام الطحاوي يقول بتسلسل الحوادث في الماضي والمستقبل أم لا يقول به؟ ٥٨
- س ٩٨: ما أظهر في الصحة، قول من قال بجواز حوادث لا أول لها، من القائلين بحوادث لا آخر لها أم قول من فرق بينهما (أي أفر بأحدها ونفى الآخر)؟ ٥٩
- س ٩٩: دلت الآية الأنفة الذكر وهي قوله تعالى: ﴿ذُو الْقُرْسِيِّ الْجَدِيدُ ١٥﴾ ﴿فَقَالَ لِمَا يَرِيدُ ١٦﴾ على أمور عدة، اذكرها؟ ٥٩
- س ١٠٠: القول بأن الحوادث لها أول يلزم منه لوازم، بينها واذكر القول الصحيح في ذلك؟ ٦٠
- س ١٠١: ما أقوال الناس في هذا العالم؟ ٦٠
- س ١٠٢: ما أول هذا العالم؟ ٦٠
- س ١٠٣: ما معنى قوله ﷺ: "وكتب في الذكر كل شيء"؟ ٦٠
- س ١٠٤: انقسم الناس في فهم هذا الحديث الأنف: "كان الله ولم يكن شيء قبله" إلى قسمين، اذكرهما؟ ٦١
- س ١٠٥: أي القولين السابقين هو الراجح، ولم؟ ٦١

- س ١٠٦: قال الإمام الطحاوي: "له معنى الربوبية ولا مربوب، ومعنى الخالق ولا مخلوق"، فما
معنى كلامه يرحمه الله؟ ٦٢
- س ١٠٧: اشرح قول الطحاوي: "وكما أنه محيي الموتى بعد ما أحيأ، استحق هذا الاسم قبل
إحيائهم، كذلك استحق اسم الخالق قبل إنشائهم"؟ ٦٣
- س ١٠٨: إلى ماذا أشار الشيخ بقوله: "ذلك بأنه على كل شيء قدير..."؟ ٦٣
- س ١٠٩: ما معتقد المعتزلة في قدرة الله تعالى؟ وبم يرد عليهم؟ وما معتقد أهل السنة في ذلك؟ .. ٦٣
- س ١١٠: هل المعدوم الممكن له وجود في الخارج؟ وهل في قدرة الرب تعالى أن يكتبه ويعلمه
ويذكره وهو كذلك؟ ٦٤
- س ١١١: لم أورد الشيخ قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ في الموضع الآنف
بعد قوله: "ذلك بأنه على كل شيء قدير..."؟ ٦٤
- س ١١٢: ما حكم من نفى عن الله ما وصف به نفسه؟ أو من شبه الله تعالى بخلقه؟ ٦٥
- س ١١٣: اشرح قوله تعالى: ﴿لَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى﴾؟ وهل من نفى عن
الله صفاته وسلبها قد جعل له مثل السوء؟ وضح ذلك. ٦٥
- س ١١٤: دارت عبارات السلف في المراد بالمثل الأعلى، على معان عدة اذكرها؟ ٦٦
- س ١١٥: أورد الشيخ الشارح مثليين لمن ابتدع ونفى الصفات، كيف أوصلتهم بدعتهم إلى الأمر
بتحريف القرآن، اذكرهما؟ ٦٦
- س ١١٦: ما إعراب "كمله" في الآية الآتية الذكر؟ ٦٧
- س ١١٧: اشرح قول الطحاوي رحمه الله: "خلق الخلق بعلمه"؟ ٦٧
- س ١١٨: ما قول المعتزلة في علم الله، والآيات التي تثبت؟ ٦٧
- س ١١٩: الآيات الدالة على علم الله تعالى كثيرة، فهل لك بذكر دليل عقلي على علمه تعالى؟ ... ٦٨
- س ١٢٠: ذكر الشارح يرحمه الله في الدليل العقلي على علم الله؛ أن من المخلوقات ما هو عالم،
والعلم صفة كمال ويمتنع أن لا يكون الخالق عالماً، وذكر طريقان لهذا الدليل العقلي، ما
هما؟ ٦٨
- س ١٢١: هات أدلة من الكتاب والسنة على القدر؟ ٧٣
- س ١٢٢: هل الآجال مقدرة مضروبة، مع الاستدلال لما تقول؟ ٧٣
- س ١٢٣: ما قول المعتزلة في الآجال وأسبابها؟ ٧٤
- س ١٢٤: ما معنى قوله ﷺ: "صلة الرحم تزيد في العمر"؟ ٧٤
- س ١٢٥: هل يلزم من تأثير صلة الرحم في زيادة العمر ونقصانه تأثير الدعاء في ذلك أم لا؟ ٧٤
- س ١٢٦: يظن بعض الناس أن النذر سبب في دفع البلاء، بم يرد عليهم؟ ٧٥
- س ١٢٧: لمن يعود الضمير في قوله تعالى: ﴿وَمَا يُعْمَرُ مِنْ مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنْقَضُ مِنْ عُمرِهِ إِلَّا فِي
كِتَابٍ﴾؟ ٧٥
- س ١٢٨: علام حمل قوله تعالى: ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾ ﴿٢٨﴾ يَمَحُوا اللَّهَ مَا يَشَاءُ وَيُنَبِّئُ عَنْهُمْ وَعِنْدَهُ أُمُّ
الْكِتَابِ ﴿٢٩﴾؟ ٧٥
- س ١٢٩: قال الطحاوي: "لم يخف عليه شيء قبل أن يخلقهم، وعلم ما هم عاملون قبل أن يخلقهم"
ما معنى قوله هذا؟ ٧٦
- س ١٣٠: لم أورد الطحاوي قوله الآنف: "لم يخف عليه شيء قبل أن يخلقهم"؟ ٧٦
- س ١٣١: لم ذكر الشيخ الأمر والنهي في قوله: "وأمرهم بطاعته..." بعد ذكره الخلق والقدر؟ .. ٧٦

- س ١٣٢ : قال الإمام الطحاوي : " وكل شيء يجري بتقديره ومشيته، ومشيتته تنفذ لا مشيئة للعباد، إلا ما شاء لهم، فما شاء لهم كان، وما لم يشأ لم يكن " اشرح قوله مع الاستدلال؟. ٧٧
- س ١٣٣ : إن قيل يشكل على ما ذكرت أنفأ أنه ما لم يشأ الله لم يكن، وما شاءه كان واستدللت عليه، باحتجاج أهل الشرك بالمشيئة كما في قوله تعالى : ﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَفْرَكْنَا وَلَا أَبْأُتَيْنَا﴾ وبقوله تعالى : ﴿وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ﴾ . وقد ذمهم الله على أن جعلوا الشرك كائناً بمشيئة الله، فبم تجيب على هذا الإشكال؟. ٧٧
- س ١٣٤ : إن احتج محتج على شركه أو معاصيه بالقدر، وقال : قد احتج آدم على موسى بالقدر، فغلبه بالحجة، فأنا كآدم لما احتج بالقدر، أحتج به؟. ٧٨
- س ١٣٥ : قال إبليس محتجاً على ربه : ﴿رَبِّ يَا أَغْوَيْتَنِي﴾ واحتج بالقدر، بأن الله تعالى أغواه، فما الجواب؟. ٧٨
- س ١٣٦ : لِمَ أورد الطحاوي قوله : " يهدي من يشاء، ويعصم ويعافي فضلاً، ويضل من يشاء ويخذل ويبتلي عدلاً "؟. ٧٩
- س ١٣٧ : ما قول المعتزلة في مسألة الهدى والضلال، وعلى ما بنوا هذا؟. ٧٩
- س ١٣٨ : ما قول أهل السنة والجماعة في مسألة الهدى والضلال، مع الاستدلال؟. ٧٩
- س ١٣٩ : ما معنى قول الإمام الطحاوي : " وكلهم يتقلبون في مشيئته، بين فضله وعدله "؟. ٨٠
- س ١٤٠ : قال الطحاوي : " وهو متعال عن الأضداد والأنداد "، ما معنى الأضداد والأنداد؟. ٨٠
- س ١٤١ : لم أشار الشيخ بقوله : " وهو متعال عن الأضداد والأنداد "؟. ٨٠
- س ١٤٢ : اشرح قول الطحاوي يرحمه الله : " لا راد لقضائه، ولا معقب لحكمه، ولا غالب لأمره "؟. ٨٠
- س ١٤٣ : ما معنى قول الطحاوي : " وأيقنا أن كلاً من عنده "؟. ٨٠
- س ١٤٤ : علام غُطِفَ قول الإمام الطحاوي : " وإن محمداً عبده المصطفى، ونبيه المجتبي .. "؟. . . ٨٣
- س ١٤٥ : بين فضل العبودية جملةً وفضلها لعبد الله محمد بن عبد الله ﷺ في ضوء قول الطحاوي : " وإن محمداً عبده المصطفى، ونبيه المجتبي .. "؟. ٨٣
- س ١٤٦ : ما الطريقة المشهورة عند أهل الكلام في تقرير نبوة الأنبياء؟. ٨٤
- س ١٤٧ : بم تعرف نبوة الأنبياء؟. ٨٤
- س ١٤٨ : هل لك بذكر بعض الدلائل والقرائن التي يعرف بها الصادق من الكاذب في دعوى النبوة؟. . . ٨٤
- س ١٤٩ : قال الشارح رحمه الله : " ولا ريب أن المحققين على أن خبر الواحد والاثنين والثلاثة قد يقرن به من القرائن ما يحصل معه العلم الضروري " وضح هذا المعنى؟. ٨٥
- س ١٥٠ : عدد أربعة من (الأدلة العقلية) على صدق الرسول ﷺ وما احتف برسالته من قرائن تدل على صدقه؟. ٨٦
- س ١٥١ : في استدلال الناس على نبوة الأنبياء بقرائن أحوالهم وأفعالهم، ما يفيد أن ذلك يزيد بتظافر الأدلة، وضح ذلك؟. ٨٩
- س ١٥٢ : مما يؤيد صدق الأنبياء أن الله أبقى بعض الآثار الدالة على صدقهم، اذكر بعض هذه الآثار؟. . . ٩٠
- س ١٥٣ : نحن اليوم نعلم بالتواتر من أحوال الأنبياء وأولياهم وأعدائهم، علماً يقيناً أنهم كانوا صادقين على الحق من وجوه متعددة، اذكر هذه الوجوه؟. ٩٠
- س ١٥٤ : إنكار رسالة النبي ﷺ طعن في الرب تعالى، كيف يكون ذلك؟. ٩١
- س ١٥٥ : ما الفرق بين النبي والرسول؟. ٩١

- س ١٥٦ : أوضح قول الشارح : "الرسالة أعم من جهة نفسها، وأخص من جهة أهلها"؟ ٩٢
- س ١٥٧ : إرسال الرسل وخصوصاً محمد بن عبد الله ﷺ من أعظم نعم الله على خلقه، ما الدليل على ذلك؟ ٩٢
- س ١٥٨ : ما الدليل على ختم النبوة بمحمد ﷺ من الكتاب والسنة؟ ٩٢
- س ١٥٩ : ما معنى قول الطحاوي : "وإمام الأنبياء"؟ ٩٣
- س ١٦٠ : استدل على قول الإمام الطحاوي في وصف المصطفى ﷺ : "وسيد المرسلين"؟ ٩٣
- س ١٦١ : قال ﷺ : " لا تفضلوني على موسى، فإن الناس يصعقون يوم القيامة، فأكون أول من يفيق، فأجد موسى باطشاً بساق العرش، فلا أدري أفاق قبلي، أو كان ممن استثنى الله ".
خرجاه في الصحيحين . وقال ﷺ : "أنا سيد ولد آدم ولا فخر"، وهذا فيه إشكال، فكيف يجمع بينهما؟ ٩٤
- س ١٦٢ : روي عن النبي ﷺ أنه قال : " لا تفضلوني على يونس " وفسره بعضهم، أن قرب يونس من الله وهو في بطن الحوت، كقرب النبي ﷺ من الله ليلة المعراج، بين الحق والصواب في ذلك؟ ٩٤
- س ١٦٣ : لم نهي النبي ﷺ عن تفضيل العبد نفسه على يونس؟ ٩٥
- س ١٦٤ : بم فسر الشارح قوله ﷺ : " من قال : إني خير من يونس بن متى فقد كذب "؟ ٩٦
- س ١٦٥ : لم أخبر الرسول ﷺ عن نفسه بأنه سيد ولد آدم؟ ٩٦
- س ١٦٦ : قال الطحاوي : " وحبيب رب العالمين "، من المقصود، ولم أورد هذا القول؟ ٩٧
- س ١٦٧ : ما الدليل على ثبوت الخلعة لنبينا محمد ﷺ؟ ٩٧
- س ١٦٨ : يستدل من ثبت الخلعة لإبراهيم، والمحبة لمحمد ﷺ بما رواه الترمذي من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، الذي قال فيه : " إن إبراهيم خليل الله، ألا وأنا حبيب الله ولا فخر " . . . ٩٧
- س ١٦٩ : ما أعلى مراتب المحبة؟ ولمن ثبتت؟ ٩٧
- س ١٧٠ : ما مراتب المحبة؟ ٩٧
- س ١٧١ : هل يوصف الرب تعالى بالعشق؟ وهل يوصف به العبد في محبة ربه، ولم؟ ٩٨
- س ١٧٢ : هل يوصف الرب تعالى بالمحبة والخلعة؟ ٩٨
- س ١٧٣ : ما حد المحبة؟ ٩٨
- س ١٧٤ : لم كانت كل دعوة بعد النبي ﷺ غيً وهوى؟ وما الغي والهوى؟ ٩٩
- س ١٧٥ : لو جاء المدعي للنبوة - بعد النبي ﷺ - بالمعجزات الخارقة والبراهين الصادقة، كيف يقال بتكذيبه؟ ٩٩
- س ١٧٦ : قال الطحاوي : " وهو المبعوث إلى عامة الجن، وكافة الورى . . " ما الدليل على ذلك؟ . . ٩٩
- س ١٧٧ : ما صحة قول مقاتل : لم يبعث الله رسولاً إلى الإنس والجن قبل الرسول ﷺ؟ . . . ٩٩
- س ١٧٨ : هل في الجن رسل، أم الرسل من الإنس فقط؟ ٩٩
- س ١٧٩ : يستدل من قال إن في الجن رسلاً بقوله تعالى : ﴿يَمَعْسَرُ الْمَلِكُ وَالْإِنْسُ أَنْ يَأْتِيَكُمْ رَسُولٌ مِّنكُمْ﴾، فما جوابك؟ ١٠٠
- س ١٨٠ : ما الدليل على بعثة النبي ﷺ إلى كافة الورى وجميع الناس؟ ١٠٠
- س ١٨١ : يزعم بعض النصارى أن الرسول ﷺ أرسل إلى العرب خاصة . فيم يرد عليهم؟ ١٠٠
- س ١٨٢ : ما إعراب "كافة" في قوله تعالى : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ﴾؟ ١٠١
- س ١٨٣ : ما معنى قول الطحاوي : " بالحق والهدى، وبالنور والضياء "؟ ١٠١

- س ١٨٤ : ما المعتقد الحق الذي دلت عليه الأدلة، من الكتاب والسنة، والعقل والفطرة، في القرآن الكريم؟ ١٠٥
- س ١٨٥ : افترق الناس في مسألة كلام الله تعالى على أقوال، اذكرها؟ ١٠٥
- س ١٨٦ : لم كسر الشيخ الهمة في قوله: " وإن القرآن كلام الله "؟ ١٠٦
- س ١٨٧ : ما فائدة قول الإمام الطحاوي: " كلام الله، منه بدا بلا كيفية قولاً "؟ ١٠٦
- س ١٨٨ : زعمت المعتزلة أن القرآن مخلوق، وإنما يضاف إلى الله إضافة تشريف، كبيت الله، وناقته الله، فبم يرد عليهم؟ ١٠٧
- س ١٨٩ : من الذي استدل بقوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا مَائِدَتَهُ مِنْ قُدُّوسٍ مُّبِينٍ﴾ عَجَلًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ أَلَدٌ بَرُّوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا وعلام استدل به، ولم؟ ١٠٧
- س ١٩٠ : ما أهم شبهة تحتج بها المعتزلة على نفي كلام الرب تعالى، وبم يرد عليهم؟ ١٠٧
- س ١٩١ : ما معنى قول الإمام الطحاوي: " منه بدا بلا كيفية قولاً " والإمام أشار بقوله هذا؟ ١٠٨
- س ١٩٢ : ... في أي سياق أورد الشارح رحمه الله قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾؟ ١٠٨
- س ١٩٣ : ما الأدلة من الكتاب والسنة على تكليم الله تعالى لأهل الجنة وغيرهم؟ ١٠٨
- س ١٩٤ : من استدل بقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْرُونَ بِعْدَ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ﴾ وعلى ماذا استدل به، ولم؟ ١٠٩
- س ١٩٥ : من الذي يستدل بقوله تعالى: ﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ وعلام يستدل بها؟ ١١٠
- س ١٩٦ : لم استدل أهل السنة والجماعة بقوله تعالى: ﴿وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مَسْجُودَاتٌ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾؟ ١١٠
- س ١٩٧ : من الذي قال في صفة الكلام: أن الله تعالى متكلم بكلام يقوم بغيره، وبم يرد عليه، وما خطورة هذا القول؟ ١١١
- س ١٩٨ : كيف ألزم الإمام عبد العزيز المكي من قال: إن القرآن مخلوق في أي شيء من مخلوقاته، أو هو قائم بغيره من مخلوقاته؟ ١١١
- س ١٩٩ : استدلت المعتزلة بقوله تعالى: ﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ على القول بخلق القرآن، رد هذا القول؟ ١١٢
- س ٢٠٠ : تستدل المعتزلة بقوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾، على القول بخلق القرآن، وتقول: جعلناه، أي خلقناه، فُتد هذا القول؟ ١١٣
- س ٢٠١ : من الذي يستدل بقوله تعالى: ﴿تُورِيكَ مِنْ شِطْطِ الْأَوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبْرَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ﴾، مع بيان القول الصحيح الحق؟ ١١٤
- س ٢٠٢ : ما قول المعتزلة إذا ألزموا بقوله تعالى، حكاية عن فرعون: ﴿أَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾، أن فرعون لم يقل باطلاً على مذهبكم في الكلام وقيامه بغير الله كخلقه في الشجرة، إذ كل من الكلامين مخلوق قاله غير الله؟ ١١٥
- س ٢٠٣ : مما تستدل به المعتزلة على القول بخلق القرآن، بقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا نَقُولُ رَسُولُ كَرِيمٍ﴾، وهذا يدل على أن الرسول أحدثه. فبم تجيب؟ ١١٥
- س ٢٠٤ : هل اتفق أهل السنة والجماعة من أهل المذاهب الأربعة على أن القرآن كلام الله غير مخلوق؟ ١١٦
- س ٢٠٥ : ما مراد بعض المعتزلة إذا أطلقوا أن القرآن غير مخلوق؟ ١١٦

- س ٢٠٦: ما مصدر التلقي عند أهل البدع كالمعتزلة وغيرهم، في باب العقائد؛ التوحيد والصفات والقدرة؟ ١١٧
- س ٢٠٧: ما معتقد الإمام أبي حنيفة في القرآن؟ ١١٧
- س ٢٠٨: ماذا يفهم من قول الإمام أبي حنيفة في الفقه الأكبر: ولما كلم موسى، كلمه بكلامه الذي هو صفاته؟ ١١٧
- س ٢٠٩: على من رد الإمام بقوله: كلمه بكلامه الذي هو من صفاته لم يزل؟ ١١٨
- س ٢١٠: تقول بعض الفرق شيئاً من الحق وتخلطه بباطل في مسألة الكلام، فما موقف السني من ذلك؟ ١١٨
- س ٢١١: كيف يُرد على من قال لمن أثبت صفة الكلام لله: يلزم أن تكون الحوادث قامت به؟ ١١٨
- س ٢١٢: من الذي استدل بقول النبي ﷺ: "أعوذ بكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر" وعلام استدل به؟ ١١٩
- س ٢١٣: ما قول كثير من متأخري الحنفية في كلام الله، وبماذا رد الإمام الشارح قولهم؟ ١١٩
- س ٢١٤: قال الإمام أبو حنيفة في "الفقه الأكبر": كلام الله محفوظ في الصدور، مقروء بالأسن، مكتوب في المصاحف. بين هذا القول؟ ١٢٠
- س ٢١٥: ما الفرق بين كون القرآن في زبر الأولين، وبين كونه في رق منشور، أو في كتاب مكنون، هل يعني هذا أنه أنزل على أولئك؟ ١٢١
- س ٢١٦: ما حقيقة كلام الله تعالى الخارجية، عندما يسمعه السامع، أو يقرؤه القارئ، أو يكتبه الكاتب؟ ١٢٢
- س ٢١٧: على من رد الطحاوي بقوله عن كلام الله: "منه بدا"؟ ١٢٢
- س ٢١٨: ما معنى قول السلف في القرآن: "وإليه يعود"؟ ١٢٢
- س ٢١٩: لم قال الطحاوي في القرآن وأنه بدا من الله: "بلا كيفية"؟ ١٢٣
- س ٢٢٠: ما معنى قول الإمام الطحاوي: "وأنزله على رسوله وحياً"؟ ١٢٣
- س ٢٢١: يحتج من ينفي صفة العلو لله تعالى، وإنزال القرآن من الله العلي، في كثير من الآيات أن إنزال القرآن نظير إنزال المطر، وإنزال الحديد، وإنزال ثمانية أزواج من الأنعام. فكيف الجواب؟ ١٢٣
- س ٢٢٢: إلى أي شيء أشار الطحاوي بقوله: "وصدقه المؤمنون على ذلك حقاً"؟ ١٢٤
- س ٢٢٣: على من رد الطحاوي بقوله: "وأيقنوا أنه كلام الله تعالى على الحقيقة ليس بمخلوق ككلام البرية"؟ ١٢٤
- س ٢٢٤: وضع لنا قول الأشاعرة: أن كلام الله معنى واحداً قائماً بالذات، ثم بين فساد قولهم؟ ١٢٥
- س ٢٢٥: ما مذهب الناس في مسمى الكلام والقول عند الإطلاق؟ ١٢٦
- س ٢٢٦: من الذي يستدل بقول الشاعر، وعلام استدل به؟ ثم بين تهافت وفساد هذا الاستدلال؟ ١٢٦
- س ٢٢٧: ما وجه الشبه بين قول النصاري في اللاهوت والناسوت، وبين قول من قال: إن كلام الله هو المعنى القائم بذات الله لا يمكن سماعه؟ ١٢٧
- س ٢٢٨: رد على من قال بأن الكلام هو المعنى القائم بالنفس، بأدلة شرعية من السنة؟ ١٢٧
- س ٢٢٩: متى حصل النزاع في مسمى الكلام؟ ١٢٨
- س ٢٣٠: من زعم أن كلام الله معنى واحد قائم بنفسه، فقد قال بخلق القرآن وهو لا يشعر! أوضح هذا المعنى؟ ١٢٨

- س ٢٣١ : هات دليلاً من القرآن على إبطال قول من قال : إن كلام الله هو معنى واحد قائم بنفس الرب .؟ ١٢٩
- س ٢٣٢ : ما حكم من قرأ القرآن في الصلاة بغير العربية؟ ١٣٠
- س ٢٣٣ : بين قول الطحاوي : " ومن سمعه ، وقال : إنه كلام البشر ، فقد كفر "؟ ١٣٠
- س ٢٣٤ : لم قال الإمام الطحاوي عن القرآن : " ولا يشبه قول البشر "؟ ١٣٠
- س ٢٣٥ : ما حكم من وصف الله بمعنى من معاني البشر؟ ١٣١
- س ٢٣٦ : ماذا أفاد قول الإمام الطحاوي : " ومن وصف الله بمعنى من معاني البشر ، فقد كفر ، فمن أبصر هذا اعتبر ، وعن مثل قول الكفار انزجر ، وعلم أن الله بصفاته ليس كالشعر "؟ ١٣١
- س ٢٣٧ : من الذي أنكر رؤية أهل الجنة لربهم تعالى ، ومن الذي أثبتها؟ ١٣٥
- س ٢٣٨ : ما منزلة مسألة الرؤية من الدين؟ ١٣٥
- س ٢٣٩ : ما أظهر دليل يستدل به أهل السنة والجماعة على إثبات الرؤية ، وما موقف من نفاه ، منه ومن غيره؟ ١٣٥
- س ٢٤٠ : ماذا جنى التأويل الفاسد على الدين وأهله ، ولماذا ذكره الشارح؟ ١٣٦
- س ٢٤١ : ماذا قالت المعتزلة وأهل التحريف في استدلال الميثبتين للرؤية في قوله تعالى : ﴿وَجُودُ يُؤْمِنُ تَائِبَةً﴾ (٢٢) ﴿إِنَّ رَبَّهَا نَاطِرٌ﴾ (٢٢)؟ ١٣٦
- س ٢٤٢ : للنظر عدة استعمالات في القرآن ما هي ، وفي أي سياق ذكرها الشارح يرحمه الله؟ ١٣٦
- س ٢٤٣ : هل لك أن تذكر بعض كلام السلف في إثبات الرؤية؟ ١٣٧
- س ٢٤٤ : استدل ببعض الأدلة من القرآن على إثبات الرؤية؟ ١٣٧
- س ٢٤٥ : اذكر آية واحدة تحتج بها المعتزلة وأهل البدع على نفي الرؤية ، من القرآن الكريم؟ ١٣٨
- س ٢٤٦ : من الذي استدل بقوله تعالى : ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْبَصَرُ﴾ وعلام استدل بها؟ فصل القول في ذلك؟ ١٣٩
- س ٢٤٧ : ما صحة أحاديث الرؤية التي يستدل بها أهل السنة والجماعة على إثباتها ، واذكر بعضاً منها؟ ١٤٠
- س ٢٤٨ : كيف يقف المسلم على الصفات الإلهية؟ ١٤١
- س ٢٤٩ : كيف يعرف المسلم أصول دين الإسلام ، مع الاستدلال؟ ١٤١
- س ٢٥٠ : يزعم من ينفي الرؤية أن الأحاديث التي أثبتت الرؤية فيها تشبيه ، ويزعم من أثبتها أنه يرى لا في جهة ، فبم يرد عليهم؟ ١٤٢
- س ٢٥١ : بم يرد على من نفى الرؤية لاتقاء لازمها وهو الجهة؟ ١٤٣
- س ٢٥٢ : من هم الذين تكلموا في أصول الدين بلا دليل من كتاب أو سنة وما حكم ذلك؟ ١٤٣
- س ٢٥٣ : لم خصص الإمام الطحاوي أهل الجنة بالرؤية في قوله : " والرؤية حق لأهل الجنة "؟ ١٤٣
- س ٢٥٤ : هل يرى أهل المحشر ربهم تعالى؟ ١٤٤
- س ٢٥٥ : هل رأى أحد من الناس ربه في الدنيا بعينه؟ ١٤٤
- س ٢٥٦ : اذكر الأقوال في رؤية محمد ﷺ ربه في الدنيا؟ ١٤٤
- س ٢٥٧ : هل رؤية الرب تعالى ممكنة في الدنيا؟ ١٤٥
- س ٢٥٨ : ما القول الراجح في رؤيته ﷺ لربه في الدنيا؟ ١٤٥
- س ٢٥٩ : لم قيد الطحاوي الرؤية بقوله : " بغير إحاطة ولا كيفية "؟ ١٤٥

- س ٢٦٠ : قال الطحاوي يرحمه الله : " . لا ندخل في ذلك متأولين بآرائنا ولا متوهمين بأهوائنا " .
 ما مقصود الإمام بالعبارة السابقة ، وعلى من رد بها؟ ١٤٦
- س ٢٦١ : ما الطرق التي يعرف بها مراد المتكلم؟ ولِمَ ذكر الشارح هذه الطرق؟ ١٤٦
- س ٢٦٢ : ما حقيقة تأويل المؤولة (أهل التحريف) لنصوص الكتاب والسنة؟ ١٤٧
- س ٢٦٣ : بماذا يرد على أهل التحريف لو قالوا : إن النص لما ورد ، ولا يمكن تعطيله ، استحال أن يرد به حقيقته وظاهره ، على أن مجازه هو المراد؟ ١٤٨
- س ٢٦٤ : ما معنى قول الطحاوي : " فإنه ما سلم في دينه إلا من سلم لله ﷻ ولرسوله ﷺ ورد علم ما اشتباه عليه إلى عالمه؟ ١٤٨
- س ٢٦٥ : هل يكون تعارض بين العقل والنقل؟ وما العمل إذا جاء ما يوهم مثل ذلك؟ ١٤٨
- س ٢٦٦ : ما الحكم إذا تعارض العقل والنقل؟ ١٤٩
- س ٢٦٧ : ما الواجب على أهل العلم والعامّة تجاه النصوص الشرعية؟ ١٤٩
- س ٢٦٨ : ذكر المؤلف توحيدين لا نجاة للعبد من عذاب الله إلا بهما ، ما هما ولم ذكرهما؟ ١٤٩
- س ٢٦٩ : هات دليلاً واحداً من السنة في النهي عن الجدال في القرآن والنصوص الشرعية بلا علم وبغير دليل؟ ١٥٠
- س ٢٧٠ : هات دليلين من القرآن في تحريم القول على الله بغير علم؟ ١٥١
- س ٢٧١ : ما العلم النافع؟ وهل يجوز أخذ العلم من سائر الناس؟ ١٥١
- س ٢٧٢ : ما معنى قول الإمام الطحاوي : " ولا تثبت قدم الإسلام إلا على ظهر التسليم والاستسلام ؟" ١٥١
- س ٢٧٣ : ما المثل المضروب ، للعقل مع النقل؟ ١٥٢
- س ٢٧٤ : هل يعلم العقل أن الرسول معصوم في الإخبار عن الله؟ وماذا يجب عليه تجاه ذلك؟ ١٥٢
- س ٢٧٥ : هات أدلة من الكتاب والسنة في النهي عن التكلم في أصول الدين وغيرها بغير علم؟ ١٥٣
- س ٢٧٦ : كيف ينقص توحيد من لم يسلم للرسول؟ ١٥٤
- س ٢٧٧ : ما سبب فساد العالم؟ ١٥٤
- س ٢٧٨ : أوضح مقالات الفرق الثلاث؟ ولم ذكرها الشيخ الشارح؟ ١٥٤
- س ٢٧٩ : ذكر أبو حامد الغزالي في كتابه "الإحياء" أقوال الناس في حكم علم الجدال والكلام فما هي؟ ١٥٩
- س ٢٨٠ : لم شدد السلف وأهل الحديث في تحريم علم الكلام؟ اذكر ذلك من خلال كلام أبي حامد الغزالي؟ ١٥٩
- س ٢٨١ : اذكر مضرة علم الكلام ومنفعته إن وجدت! من كلام أبي حامد الغزالي رحمه الله؟ ١٦٠
- س ٢٨٢ : لِمَ كره السلف وذموا علم الكلام؟ ١٦١
- س ٢٨٣ : بين حقيقة علم الكلام ، وزعم أربابه فيه؟ ١٦١
- س ٢٨٤ : ما حكم الألفاظ المجملة؟ ١٦١
- س ٢٨٥ : مَثَلٌ للألفاظ المجملة بمثال ، وفصله؟ ١٦٢
- س ٢٨٦ : هل يلزم من وصف الله بالعلو ونحوه من صفات الكمال أن يكون مركباً بهذا المعنى؟ ١٦٣
- س ٢٨٧ : مَثَلٌ لتركيب الجوار ، وهل يلزم من ثبوت صفات الله إثبات هذا التركيب؟ ١٦٣
- س ٢٨٨ : ما هو تركيب الأجزاء المتماثلة؟ وهل هذا التركيب لازماً لثبوت صفاته تعالى؟ ١٦٣
- س ٢٨٩ : ما قولك في التركيب من الذات والصفات؟ فصل القول فيه؟ ١٦٣

- س ٢٩٠ : هل يمكن ذات مجردة عن وجودها ووجودها مجرد عنها؟ ومن الذي قال بهذا القول؟ . ١٦٤
- س ٢٩١ : ما سبب الانحراف في باب العقائد؟ . ١٦٤
- س ٢٩٢ : لم سمي أهل الكلام بهذا الاسم؟ . ١٦٤
- س ٢٩٣ : ما حكم من قال برأيه أو ذوقه أو سياسته مع وجود النص الشرعي؟ . ١٦٤
- س ٢٩٤ : صف حال من أعرض عن الكتاب والسنة وعدل عنها إلى علم الكلام؟ . ١٦٥
- س ٢٩٥ : هل تحير بعض من درس علم الكلام وتعمق فيه؟ . ١٦٥
- س ٢٩٦ : اذكر بعض النصوص التي ذكرها الشارح، تبين ندم من أخذ بعلم الكلام، وترك الكتاب والسنة، من كلامهم أنفسهم؟ . ١٦٥
- س ٢٩٧ : بين خطورة الانشغال بعلم الكلام، من كلام أهل العلم؟ . ١٦٦
- س ٢٩٨ : ما الدواء النافع لمن أصيب بمرض علم الكلام؟ . ١٦٧
- س ٢٩٩ : ما مراد الشيخ بقوله: " ولا يصح الإيمان بالرؤية لأهل دار السلام لمن اعتبرها منهم بوهم . . . ومن لم يتوق النفي والتشبيه زل ولم يصب التنزيه "؟ . ١٧١
- س ٣٠٠ : اشرح قوله ﷺ: " إنكم ترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر " ولم أورده الشارح رحمه الله؟ . ١٧١
- س ٣٠١ : ماذا تقول المؤولة في قوله ﷺ: " إنكم ترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر " وبم يستدلون، وكيف ترد عليهم قولهم؟ . ١٧١
- س ٣٠٢ : إن قال أهل التأويل: ألجأنا إلى تأويل الرؤية ونفيها، حكم العقل بأن رؤيته لا يتصور إمكانها! فبِم تجيب؟ . ١٧٢
- س ٣٠٣ : ما معنى قول الإمام الطحاوي: " لمن اعتبرها منهم بوهم "؟ . ١٧٢
- س ٣٠٤ : إلى أي شيء أشار الطحاوي بقوله: " ومن لم يتوق النفي والتشبيه زل ولم يصب التنزيه " وعلى من رد بقوله هذا؟ . ١٧٢
- س ٣٠٥ : ما معنى قول الإمام الطحاوي عن الرؤية: " أو تأولها بفهم "؟ . ١٧٣
- س ٣٠٦ : ما هو اصطلاح المتأخرين في معنى التأويل، وماذا جنوا بهذا على النصوص الشرعية؟ . ١٧٣
- س ٣٠٧ : هل أراد الإمام الطحاوي بترك التأويل جملة في قوله: " إذ كان تأويل الرؤية، وتأويل كل معنى يضاف إلى الربوبية، ترك التأويل، ولزوم التسليم . . "؟ . ١٧٣
- س ٣٠٨ : مثل للتأويلات الفاسدة؟ . ١٧٤
- س ٣٠٩ : ما أنواع التأويل؟ . ١٧٤
- س ٣١٠ : استدل للتأويل في الكتاب والسنة؟ . ١٧٤
- س ٣١١ : ما الدليل على تأويل الرؤيا وتأويل العمل؟ . ١٧٤
- س ٣١٢ : استدل على نوع التأويل بمعنى التفسير؟ . ١٧٥
- س ٣١٣ : ما التأويل الذي لا يعلمه إلا الله؟ . ١٧٥
- س ٣١٤ : هل يلزم من نفي العلم بالتأويل (حقيقته) في الكتاب والسنة، نفي العلم بالمعنى؟ . ١٧٥
- س ٣١٥ : في قوله تعالى: ﴿وَمَا يَكُنْ تَأْوِيلُهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ قراءتان، ما هما، وماذا يراد بكل قراءة منها؟ . ١٧٥
- س ٣١٦ : ما الفرق بين التأويل المتشابه في نفسه، والتأويل المتشابه الإضافي؟ . ١٧٥
- س ٣١٧ : ماذا لو أراد من وقف على قوله تعالى: ﴿إِلَّا اللَّهُ﴾ أن يكون التأويل بمعنى التفسير للمعنى؟ . ١٧٦

- س ٣١٨: هل الحروف المقطعة في أوائل السور من المتشابهة؟ ١٧٦
- س ٣١٩: ما التأويل الذي يتنازع الناس فيه في كثير من الأمور الخبرية والطلبية. وما التأويل الصحيح منه، والفاقد منه؟ وما حقيقة قول المؤولة؟ ١٧٧
- س ٣٢٠: لا شك أن الحق ما دل عليه القرآن، وأن ما كان باطلاً، لم يدل عليه، والمنازعون يدعون دلالة على الباطل الذي يتعين صرفه؟! فماذا يقال لهم؟ ١٧٧
- س ٣٢١: التأويلات التي يدعي أصحابها وجوبها بالمعقولات أعظم من أن تنحصر في مقام واحد، ويلزم من فتح باب التأويل محذوران عظيمان ما هما؟ ١٧٨
- س ٣٢٢: ما معنى قول الإمام: "ومن لم يتوق النفي والتشبيه، زل ولم يصب التنزيه"؟ ١٧٩
- س ٣٢٣: أمراض القلوب في القرآن نوعان، ما هما مستدلاً لكل نوع، مبيناً أخطرها على دين المرء؟ ١٧٩
- س ٣٢٤: ما نوعا التشبيه؟ وأيهما أكثر في الناس؟ ١٧٩
- س ٣٢٥: إلام أشار الشيخ بقوله: "فإن ربنا جل وعلا موصوف بصفات الوجدانية"؟ ١٨٠
- س ٣٢٦: كلام الطحاوي في قوله: "فإن ربنا جل وعلا موصوف بصفات الوجدانية، منعوت بنعوت الفردانية، ليس في معناه أحد من البرية" من أي آيات القرآن الكريم اقتبس؟ ١٨٠
- س ٣٢٧: قال الطحاوي رحمه الله: "فإن ربنا جل وعلا موصوف بصفات الوجدانية، منعوت بنعوت الفردانية، ليس في معناه أحد من البرية"، ما معنى الوصف، والنعت، والوجدانية، والفردانية؟ ١٨٠
- س ٣٢٨: لم كرر الطحاوي العبارات المترادفات المتقاربات في متن العقيدة هذا؟ ١٨١
- س ٣٢٩: ماذا استدرك الشارح على الطحاوي في قوله: "فإن ربنا جل وعلا موصوف بصفات الوجدانية، منعوت بنعوت الفردانية، ليس في معناه أحد من البرية"؟ ١٨١
- س ٣٣٠: قال الطحاوي: "وتعالى عن الحدود والغايات والأركان والأعضاء والأدوات" ما أقوال الناس في إطلاق هذه الألفاظ؟ ١٨١
- س ٣٣١: أي الطوائف الثلاث الآتية، هو المتبع لمنهج السلف؟ ١٨٢
- س ٣٣٢: ما حكم الألفاظ التي لم يرد نفيها ولا إثباتها؟ ١٨٢
- س ٣٣٣: لم أورد الإمام الطحاوي قوله: "وتعالى عن الحدود والغايات والأركان والأعضاء والأدوات"؟ ١٨٢
- س ٣٣٤: هل مراد الطحاوي رحمه الله في قوله: "وتعالى عن الحدود والغايات والأركان والأعضاء والأدوات" نفي الصفات الإلهية، أو حشيء من صفاته؟ ١٨٣
- س ٣٣٥: في قول الطحاوي: "وتعالى عن الحدود" ما الحد عند أهل العلم إذا ورد في كلامهم؟ ١٨٣
- س ٣٣٦: بم تسلط النفاة بلفظ الأركان والأعضاء والأدوات؟ ١٨٤
- س ٣٣٧: كيف يرد على من قال: إن المراد باليد في الآيات، القدرة؟ ١٨٤
- س ٣٣٨: بم يرد على من تأول اليد بالقدرة، واستدل بقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِنَّا غِلَتْ أَيْدِيَهُمْ أَفَنُكْفِيهِمْ لَهَا مَلِكُونَ﴾ (٦١)؟ ١٨٤
- س ٣٣٩: هل يقال للصفات إنها أعضاء، أو جوارح، أو أدوات، أو أركان؟ ولماذا؟ ١٨٥
- س ٣٤٠: ماذا يراد بلفظ الجهة؟ ١٨٥

- س ٣٤١: ماذا يريد نفاة لفظ "الجهة"، وبم يستدلون؟ ١٨٦
- س ٣٤٢: ما المراد من قول الطحاوي: "لا تحويه الجهات الست كسائر المبتدعات"؟ ١٨٦
- س ٣٤٣: استدرك الشارح على قول الإمام الطحاوي: "لا تحويه الجهات الست كسائر المبتدعات"، أوضح هذا الاستدراك؟ ١٨٦
- س ٣٤٤: في قوله: "لا تحويه".... كسائر المبتدعات "يفهم منه أنه ما من مبتدع إلا وهو محوي، وفي هذا نظر، فإذا أراد أنه محوي بأمر محوي وجودي، فممنوع، فإن العالم ليس في عالم آخر، وإلا لزم التسلسل. وإن أراد أمراً عديمياً، فليس كل مبتدع في العدم، قطعاً للتسلسل. فكيف يجاب عن هذا؟ ١٨٧
- س ٣٤٥: ذكر الشارح خطورة كلام نسب إلى الإمام أبي حنيفة، فما هو، وما خطورته؟ ١٨٧
- س ٣٤٦: لم توقف بعض الناس في نفي أن يكون العرش فوق الرب تعالى أو أن يكون محصوراً بين طبقتين من العالم؟ ١٨٨
- س ٣٤٧: استدل على الإسراء من الكتاب؟ ١٩١
- س ٣٤٨: ما المعراج، وكيف هو؟ ١٩١
- س ٣٤٩: ما أقوال الناس في الأسراء؟ ١٩١
- س ٣٥٠: ما القول الصحيح في الإسراء به ﷺ؟ ١٩١
- س ٣٥١: في القول الذي نقله ابن إسحاق عن عائشة ومعاوية رضي الله عنهما، أن الإسراء كان بروحه ولم يُفقد جسده، فما الفرق بينه وبين الإسراء مناماً؟ ١٩٢
- س ٣٥٢: من أقوال الناس في الإسراء أنه أسري به ﷺ مرتين، مرة يقظة ومرة مناماً، فهل يصح هذا، وما الداعي لقول مثل هذا القول؟ ١٩٢
- س ٣٥٣: ما صحة قول من قال: إن الإسراء كان مرتين، مرة قبل الوحي ومرة بعده، أو من قال: بل ثلاث مرات، مرة قبل الوحي، وبعدة مرتين، مع بيان الراجح؟ ١٩٢
- س ٣٥٤: متى كان الإسراء بالنبي ﷺ، وكيف يرد على من عدّد الإسراء؟ ١٩٣
- س ٣٥٥: ما الدليل من السنة على الإسراء والمعراج برسول الله ﷺ؟ ١٩٣
- س ٣٥٦: هل رأى رسول الله ﷺ ربه ﷻ بعين رأسه؟ ١٩٤
- س ٣٥٧: من المرئي في قوله تعالى: ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى﴾ (١١) وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى﴾ (١٢)؟ ١٩٤
- س ٣٥٨: ما المراد بقوله تعالى: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى﴾ (١٢)؟ ١٩٤
- س ٣٥٩: ما الدليل على أن الإسراء كان بجسده ﷺ في البقعة؟ ١٩٥
- س ٣٦٠: ما الحكمة في الإسراء إلى بيت المقدس أولاً؟ ١٩٥
- س ٣٦١: ما صحة الأحاديث الواردة في الحوض؟ ١٩٩
- س ٣٦٢: أورد بعض الأحاديث في حوض نبينا محمد ﷺ؟ ١٩٩
- س ٣٦٣: ماذا أفاد الحديث الذي رواه مسلم وأحمد، وذكر أنفأ، وفيه ذكر نهر الكوثر والحوض؟ ٢٠٠
- س ٣٦٤: ما صفة الحوض؟ ٢٠٠
- س ٣٦٥: أيهما قبل الآخر، الميزان أم الحوض؟ ٢٠١
- س ٣٦٦: قال الإمام الطحاوي: "والشفاعة التي ادخرها لهم حق، كما روي في الأخبار"، ما أنواع الشفاعة، وهل اتفقت الأمة عليها؟ ٢٠٥
- س ٣٦٧: ما هي الشفاعة التي تُشارك فيها نبينا ﷺ الملائكة والنبيون والمؤمنون؟ ٢٠٦

- س ٣٦٨ : ما دليل الشفاعة العظمى له ﷺ ؟ ٢٠٦
- س ٣٦٩ : لماذا اقتصر العلماء على ذكر الشفاعة في عصاة الأمة ، ولا يذكرون أمر الشفاعة العظمى إذا أوردوا طرق حديث الشفاعة ؟ ٢٠٦
- س ٣٧٠ : ما الشفاعة التي وافقت فيها المعتزلة أهل السنة والجماعة ؟ ٢٠٧
- س ٣٧١ : ما الدليل على شفاعته ﷺ في أقوام أن يدخلوا الجنة بغير حساب ؟ ٢٠٧
- س ٣٧٢ : إن قال قائل أن الشفاعة في تخفيف العذاب عمن يستحقه من أهل النار لا تنفع واستدل بقوله تعالى : ﴿فَمَا تَفْعَلُهُمْ شَفَعَةُ الشَّافِعِينَ﴾ ٢٠٧
- س ٣٧٣ : ذكر الشارح شفاعة تكرر من المصطفى ﷺ أربع مرات ، فما هي ؟ ٢٠٧
- س ٣٧٤ : ما الدليل على النوع الثامن من الشفاعة ، الشفاعة في أهل الكبائر ؟ ٢٠٧
- س ٣٧٥ : هات دليلاً من السنة على شفاعة غير الأنبياء من الملائكة والعلماء والشهداء ، وغيرهم ؟ ٢٠٨
- س ٣٧٦ : ما أقوال الناس في الشفاعة ؟ ٢٠٩
- س ٣٧٧ : ما الدليل على أن الشفاعة لا تكون حتى يأذن الله لمن يشاء ، ويحد له حداً ؟ ٢٠٩
- س ٣٧٨ : ما حكم الاستشفاع بالنبي ﷺ وغيره في الدنيا إلى الله تعالى في الدعاء ؟ ٢١٠
- س ٣٧٩ : ما الحق الذي أحقه الله على نفسه ، والحق الذي أحقه على عباده ؟ ٢١٠
- س ٣٨٠ : إن قال قائل : إن لنا حقاً على الله ، فنحن نسأله بهذا الحق ، ونتوسل بهذا الحق ! فبماذا يجاب ؟ ٢١٠
- س ٣٨١ : إن احتج بالحديث : " أسألك بحق ممشي هذا ، وبحق السائلين عليك " على جواز السؤال بهذا الحق ، فكيف تجيب ؟ ٢١١
- س ٣٨٢ : إن احتج فقال : فما الفرق بين قول الداعي : " بحق السائلين عليك " وبين قوله : " بحق نيك " أو نحو ذلك ؟ ٢١١
- س ٣٨٣ : إن كان مراد هذا السائل الإقسام على الله بحق فلان ، فما الحكم ؟ ٢١٢
- س ٣٨٤ : ما حكم قول القائل : بجاء فلان عندك ، أو نتوسل إليك بأنبيائك ورسلك وأوليائك ؟ ٢١٢
- س ٣٨٥ : ما حكم التوسل إلى الله بالإيمان به واتباعه لرسوله ﷺ ؟ ٢١٢
- س ٣٨٦ : ذكر الشارح أن لفظ التوسل بالشخص والتوجه به فيه إجمال غلط بسببه من لم يفهم معناه ، أوضح هذا المعنى ؟ ٢١٣
- س ٣٨٧ : ما حكم التوسل بصالح الأعمال ، وما الدليل على ذلك ؟ ٢١٣
- س ٣٨٨ : هل الشفاعة عند الله كالشفاعة عند البشر ؟ ٢١٣
- س ٣٨٩ : ما الدليل على أن الرسول لا يملك لأحد من البشر شيئاً إلا أن يشاء الله ؟ ٢١٤
- س ٣٩٠ : ما الميثاق ؟ ٢١٧
- س ٣٩١ : ما الدليل من السنة على أخذ الميثاق من بني آدم ؟ ٢١٧
- س ٣٩٢ : هل تدل الأحاديث الآتية - أحاديث أخذ الميثاق على ذرية آدم - على أن الأرواح مخلوقة قبل الأجساد ؟ ٢١٩
- س ٣٩٣ : ما المراد بالإشهاد على بني آدم ؟ ٢١٩
- س ٣٩٤ : ماذا قال بعض أهل التفسير ، في المراد بالإشهاد المذكور ، وهل هي أقوال أهل السنة ؟ ٢٢٠
- س ٣٩٥ : ماذا رجح ابن أبي العز من الأقوال الثلاثة الآتية ، وماذا رجح في قول من قال بالإشهاد عليهم هناك ؟ ٢٢٠

- س ٣٩٦: ورد في حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه الآنف: " . . . خلقت هؤلاء للجنة ويعمل أهل الجنة يعملون . . . و خلقت هؤلاء للنار ويعمل أهل النار يعملون" فماذا أفاد لفظ الحديث؟ . . . ٢٢١
- س ٣٩٧: هل اتفق أهل السنة والجماعة على القول الأول: بأن الله استخرج ذرية آدم من ظهره، وأشهدهم على أنفسهم؟ . . . ٢٢١
- س ٣٩٨: ما أقوال العلماء في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ . . . الآية؟ . . . ٢٢١
- س ٣٩٩: ذكر الشارح أن القول الأول تضمن أمرين عجيبين، فما هما؟ . . . ٢٢٢
- س ٤٠٠: ذكر الشارح أن الآية لا تدل على القول الأول، بأن الله دلهم على توحيد، وأنهم أقروا بالإيمان به، من وجوه عدة ما هي؟ . . . ٢٢٢
- س ٤٠١: لماذا ترك ابن عطية وغيره القول على ظاهره في أن الرب تعالى أخرجهم وأشهدهم على أنفسهم، ثم أعادهم؟ . . . ٢٢٣
- س ٤٠٢: هل الإقرار بالربوبية أمر طارئ والشرك فطري أم العكس؟ . . . ٢٢٤
- س ٤٠٣: ما المراد بمسلمة الدار ومسلمة الاختيار؟ . . . ٢٢٥
- س ٤٠٤: هل علم الله أزل أهل الجنة وأهل النار، وهل علم عدد من يدخل الجنة وعدد من يدخل النار، مع الاستدلال؟ . . . ٢٢٩
- س ٤٠٥: استدلل لقول الطحاوي: " وكل ميسر لما خلق له، والأعمال بالخواتيم، والسعيد من سعد بقضاء الله، والشقي من شقي بقضاء الله" . . . ٢٣٠
- س ٤٠٦: هل أهل السنة مجمعون على الإيمان بالقدر والآثار التي وردت فيه، ومن الذي نقل هذا الإجماع؟ . . . ٢٣٠
- س ٤٠٧: ما معنى قول الشارح: " وأصل القدر سر الله في خلقه، لم يطلع على ذلك ملك مقرب . . . ؟" . . . ٢٣١
- س ٤٠٨: هل هناك نزاع في مسألة القدر، وما قول أهل السنة فيه، ومن أشهر من خالفهم فيه؟ . . . ٢٣١
- س ٤٠٩: لم أنكرت المعتزلة والقدرية، أن يكون الله قدر الكفر على الكافر؟ . . . ٢٣١
- س ٤١٠: ما الأدلة من الكتاب على القدر؟ . . . ٢٣٢
- س ٤١١: ما منشأ الضلال عند من ضل في القدر؟ . . . ٢٣٣
- س ٤١٢: هل هناك فرق بين المشيئة والمحبة، مع الاستدلال؟ . . . ٢٣٣
- س ٤١٣: اشرح قوله عليه السلام: "اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك، وأعوذ بمعافاتك من عقوبتك، وأعوذ بك منك" . . . ؟ . . . ٢٣٣
- س ٤١٤: إن قال قائل: كيف يريد الله أمراً ولا يرضاه ولا يحبه؟ وكيف يشاؤه ويُكُونُهُ؟ وكيف يجتمع إرادته له وبغضه وكراهته؟ . . . ٢٣٤
- س ٤١٥: اضرب مثلاً على أن الله تعالى يكره الشيء، ولا يتنافي ذلك إرادته لأجل غيره، وكونه سبباً إلى أمر هو أحب إليه من فوته؟ . . . ٢٣٥
- س ٤١٦: وقوع خلاف ما يحبه الله ويرضاه، وسيلة إلى محاب كثيرة للرب تعالى، اذكر بعضاً منها؟ . . . ٢٣٥
- س ٤١٧: إن قيل: هل كان يمكن وجود تلك الحكم (الآنف) بدون هذه الأسباب؟ . . . ٢٣٦
- س ٤١٨: إن قيل: إذا كانت هذه الأسباب مرادة لما تفضي (توصل) إليه من الحكم، فهل تكون مرضية محبوبة من هذا الوجه؟ أم هي مسخوطة من جميع الوجوه؟ . . . ٢٣٦

- س ٤١٩ : ما أسباب الخير؟ ولم ذكرها الشارح؟ ٢٣٧
- س ٤٢٠ : لو قيل : هلا أمد الشئ (بالخير) إذ أوجده؟ فكيف الجواب؟ ٢٣٨
- س ٤٢١ : إن قيل : فهلا أمد الموجودات كلها بالخير؟ فكيف الجواب؟ ٢٣٨
- س ٤٢٢ : إن قال قائل : كيف يرضى لعبده شيئاً ولا يعينه عليه . فبم تجيب ؟ ٢٣٨
- س ٤٢٣ : إن قيل : إذا كانت هذه الأسباب مرادة لما تفضي (توصل) إليه من الحكم ، فهل تكون مرضية محبوبة من هذا الوجه؟ أم هي مسخوطة من جميع الوجوه؟ ٢٣٩
- س ٤٢٤ : إن قال قائل : كيف يتأتى الندم والتوبة مع شهود الحكمة في التقدير ومع شهود القيومية والمشية النافذة؟ ٢٣٩
- س ٤٢٥ : إذا كان الكفر بقضاء الله وقدره ، ونحن مأمورون بقضاء الله وقدره ، فكيف ننكره ونكرهه؟ ٢٤٠
- س ٤٢٦ : ما المثال الذي ضربه الشارح على أن القضاء وتعلقه بالعبد ونسبته إليه ينقسم إلى ما يرضى به ، وإلى ما لا يرضى به؟ ٢٤١
- س ٤٢٧ : ما معنى قول الإمام الطحاوي : " والتعمق والنظر في ذلك ذريعة الخذلان "؟ ٢٤١
- س ٤٢٨ : قال الطحاوي : " فالحذر كل الحذر من ذلك ، نظراً وفكراً ووسوسة " ما الذي يحذر منه؟ وما الدليل عليه؟ ٢٤١
- س ٤٢٩ : ما هي طريقة الصحابة وسلف الأمة في الكلام والتعمق في القدر نظراً وفكراً؟ وطريقة من عداهم من بعض الخلف؟ ٢٤٢
- س ٤٣٠ : لِمَ جمع سبحانه بين الاستمتاع بالخلق وبين الخوض في قوله تعالى : ﴿ فَاسْتَفْتِهِمْ يُحْلِفُوا كَمَا أَسْتَفْتِيكَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِحَلْفِهِمْ وَخُضَّتْ كَأَلَدَى حَكَاةً ﴾؟ ٢٤٣
- س ٤٣١ : قال الطحاوي : " فمن سأل : لم فعل ؟ فقد رد حكم الكتاب ، ومن رد حكم الكتاب كان من الكافرين " . علام بنيت العبودية؟ أجب عن ذلك في ضوء كلام الإمام الطحاوي؟ ٢٤٤
- س ٤٣٢ : ما حكم من رد حكم الكتاب؟ ومتى يدرك عنه ذلك؟ ٢٤٥
- س ٤٣٣ : إلام أشار الإمام الطحاوي بقوله : " فهذا جملة ما يحتاج إليه من هو منور قلبه . . "؟ ٢٤٥
- س ٤٣٤ : ما معنى قول الشيخ : " وهي درجة الراسخين في العلم "؟ ٢٤٥
- س ٤٣٥ : ما مراد الشيخ بقوله : " . . لأن العلم علمان : علم في الخلق موجود ، وعلم في الخلق مفقود "؟ ٢٤٥
- س ٤٣٦ : ما حكم من أنكر شيئاً من العلم الموجود (علم الشريعة)؟ أو ادعى معرفة العلم المفقود (علم القدر) ، مع الاستدلال؟ ٢٤٦
- س ٤٣٧ : هل يلزم من خفاء حكمة الله علينا عدمها؟ أو انتفاؤها جهلنا لها؟ ٢٤٦
- س ٤٣٨ : ما الدليل على اللوح والقلم ، وما هما؟ ٢٤٦
- س ٤٣٩ : ما أول مخلوق خلقه الله ﷻ؟ ٢٤٧
- س ٤٤٠ : ذكر الشارح يرحمه الله ، أن حديث عبادة الآنف : " أول ما خلق الله القلم . . " لا يخلو إما أن يكون جملة أو جملتين ، فما هما؟ ٢٤٧
- س ٤٤١ : هل هناك أقلام غير قلم اللوح؟ وما أفضلها؟ ٢٤٧
- س ٤٤٢ : استدل على قول الطحاوي : " جف القلم بما هو كائن إلى يوم القيامة "؟ ٢٤٨
- س ٤٤٣ : ذكر الشارح رحمه الله تعالى أقلاماً أربعة فما هذه الأقلام؟ ٢٤٨
- س ٤٤٤ : ما الواجب على العبد إذا علم أن كل شيء من عند الله؟ ٢٤٩

- س ٤٤٥ : هل الاكتساب ينافي التوكل؟ ٢٥٠
- س ٤٤٦ : ما معنى قوله تعالى: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾؟ ٢٥١
- س ٤٤٧ : علام بنى الشيخ قوله: "وما أخطأ العبد لم يكن ليصيبه، وما أصابه لم يكن ليخطئه"؟ ٢٥١
- س ٤٤٨ : ما معتقد أهل السنة في علم الله تعالى وقدره؟ ومن أشهر من خالفهم في ذلك؟ ٢٥١
- س ٤٤٩ : إذا قال منكر القدر للسني الميثب لعلم الله: يلزم أن يكون العبد قادراً على تغيير علم الله، لأن الله علم أنه لا يفعل، فإذا قدر على الفعل، قدر على تغيير علم الله!، فيم يجاب؟ ٢٥٢
- س ٤٥٠ : إلام أشار الإمام الطحاوي بقوله: "وذلك من عقد الإيمان، وأصول المعرفة، والاعتراف بتوحيد الله تعالى..؟" ٢٥٣
- س ٤٥١ : على من رد الإمام الطحاوي بقوله: "والاعتراف بتوحيد الله وربوبيته، كما قال تعالى: ﴿وَعَلَّمَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا﴾؟" ٢٥٣
- س ٤٥٢ : اذكر بعض الأحاديث في ذم القدرة؟ ٢٥٣
- س ٤٥٣ : ما الشيء الذي تكذب به القدرة جملة؟ ٢٥٤
- س ٤٥٤ : ما الذي أنكرت القدرة المحضة؟ ٢٥٤
- س ٤٥٥ : ما الأصول العظيمة التي تضمنها القدر؟ ٢٥٥
- س ٤٥٦ : ماذا تضمن الخلق في قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا﴾؟ ٢٥٥
- س ٤٥٧ : كيف يرد على من قال إن الله يعلم الجزئيات دون الكليات؟ ٢٥٥
- س ٤٥٨ : بين خطر التكذيب بالقدر، في ضوء قول الطحاوي: "ويل لمن ضاع له في القدر قلباً سليماً، لقد التمس بوجهه في فحص الغيب سرّاً كتيماً، وعاد بما قال فيه أفاكاً أثيماً"؟ ٢٥٦
- س ٤٥٩ : ما أنفع الأغذية والأدوية لقلوب الناس وأبدانهم؟ ومتى يكون هذا الدواء نافعا؟ ٢٥٨
- س ٤٦٠ : استدل لقول الطحاوي: "والعرش والكرسي حق"؟ ٢٦١
- س ٤٦١ : ما قول بعض أهل الكلام في العرش؟ وهل يصح؟ وبم يرد عليهم؟ ٢٦٢
- س ٤٦٢ : ما هو العرش؟ ٢٦٣
- س ٤٦٣ : ماذا قال بعض أهل التحريف في العرش؟ وهل يصح؟ ٢٦٣
- س ٤٦٤ : ما هو الكرسي؟ ٢٦٣
- س ٤٦٥ : أوضح عظم الكرسي، مستدلاً لذلك من السنة المطهرة؟ ٢٦٤
- س ٤٦٦ : هل يصح قول من قال: إن كرسى هو علمه تعالى؟ ٢٦٤
- س ٤٦٧ : هل الرب تعالى محتاج إلى العرش؟ أوضح ذلك مع الاستدلال، ولم ذكر هذا صاحب المتن يرحمه الله، في هذا الموضع؟ ٢٦٤
- س ٤٦٨ : يزعم نفاة العلو والعرش أنا لو أثبتناهما للرب لكان محتاجاً إليهما، فيم يرد عليهم؟ ٢٦٥
- س ٤٦٩ : ما معنى قول الطحاوي: "محيط بكل شيء وفوقه"؟ ٢٦٥
- س ٤٧٠ : ما الدليل على كون الخالق سبحانه فوق المخلوقات؟ ٢٦٩
- س ٤٧١ : ورد في الآية المحكمة: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾ وفي الحديث الشريف: "..... وأنت الظاهر فليس فوقك شيء" فما المراد بـ "الظاهر" في هذه النصوص الشريفة؟ ٢٧٠
- س ٤٧٢ : هات رداً عقلياً تفند به قول المنكرين لعلو الرب سبحانه؟ ٢٧٠
- س ٤٧٣ : ذكر الشارح أن النصوص الواردة المتنوعة الدالة على علو الله على خلقه، تقرب من عشرين نوعاً اذكر عشرة منها؟ ٢٧١
- س ٤٧٤ : هل يمكن إنكار الفوقية وإثبات الروية؟ وما حال من فعل ذلك؟ ٢٧٤

- س ٤٧٥ : هات بعض كلام السلف في إثبات صفة علو لله تعالى ؟ ٢٧٤
- س ٤٧٦ : يقول بعض أهل التحريف أن معنى : " فوق عباده " ، بأنه خير من عباده وأفضل منهم ، وأنه خير من العرش . فكيف يُرد عليهم ؟ ٢٧٥
- س ٤٧٧ : ردّاً عقلياً على من زعم : أن علو الرب ، هو علو المكانة لا المكان ، أو أن علوه في القلوب أعلى من كل شيء ؟ ٢٧٥
- س ٤٧٨ : أثبت علو الرب سبحانه ، بالعقل من وجوه عدة ؟ ٢٧٦
- س ٤٧٩ : بماذا اعترض على الدليل العقلي في إثبات علو الرب سبحانه ؟ وبماذا أجيب عنه ؟ ٢٧٧
- س ٤٨٠ : كيف ثبت علو الرب سبحانه بالفطرة ؟ ٢٧٧
- س ٤٨١ : بماذا اعترض على الدليل الفطري في إثبات علو الرب سبحانه ؟ وبماذا أجيب عنه ؟ ٢٧٨
- س ٤٨٢ : ما معنى قول الطحاوي : " وقد أعجز عن الإحاطة خلقه " ؟ ٢٧٩
- س ٤٨٣ : استدل على ثبوت صفة الخلّة للرب تعالى ؟ ٢٨٣
- س ٤٨٤ : ما حقيقة الخلّة ؟ ومن الذي أنكرها ؟ ٢٨٣
- س ٤٨٥ : ما شبهة من أنكر الخلّة ؟ وما التسلسل التاريخي لهذه البدعة ؟ ٢٨٣
- س ٤٨٦ : كيف يُرد على من أنكر ثبوت صفة الخلّة للرب ﷻ ؟ ٢٨٤
- س ٤٨٧ : ذكر الشارح إشكالاً متوهماً في الصلاة الإبراهيمية ، فما هو وكيف يجاب عنه ؟ ٢٨٥
- س ٤٨٨ : ما الخصائص التي اختص الله بها بيت إبراهيم عليه السلام ؟ ٢٨٦
- س ٤٨٩ : استدل لأصول الإيمان التي وردت في قول الطحاوي : " ونؤمن بالملائكة والنبیین ، والكتب المنزلة على المرسلين ، ونشهد أنهم كانوا على الحق المبين " ؟ ٢٩١
- س ٤٩٠ : ما معتقد من خالف الرسل في الإيمان بالله ؟ ٢٩١
- س ٤٩١ : ما معتقد أعداء الرسل من الفلاسفة ومن سلك سبيلهم من أهل البدع في الإيمان بالكتب (كلام الله ، الوحي) ؟ ٢٩٢
- س ٤٩٢ : ما معتقد أعداء الرسل من الفلاسفة ومن سلك سبيلهم من أهل البدع في الإيمان بالملائكة ؟ ٢٩٢
- س ٤٩٣ : ما معتقد أعداء الرسل من الفلاسفة وغيرهم في الإيمان باليوم الآخر ؟ ٢٩٣
- س ٤٩٤ : ما الأصول الخمسة عند أتباع الرسل ، وما هي عند المعتزلة ، وعلام بنوا هذه الأصول ؟ ٢٩٣
- س ٤٩٥ : ما هي أصول الدين عند الرافضة المتأخرين ؟ ٢٩٤
- س ٤٩٦ : ما مستند أهل السنة والجماعة في الإيمان بأصول الدين ، وما أصل الدين عند أتباع الرسل ؟ ٢٩٤
- س ٤٩٧ : ما أعمال الملائكة في هذا العالم ، في معتقد أهل الحق ، وفي معتقد المكذبين بالرسل ، من الفلاسفة وغيرهم ؟ ٢٩٤
- س ٤٩٨ : أوضح مدى طاعة الملائكة لربها تعالى ، مع الاستدلال ؟ ٢٩٥
- س ٤٩٩ : من هم رؤساء الملائكة ؟ وما أعمالهم ؟ ٢٩٦
- س ٥٠٠ : وردت آيات كثيرة في ذكر الملائكة وأوصافهم وأصنافهم ومراتبهم ، فهل لك أن تذكر بعض هذه الآيات ؟ ٢٩٦
- س ٥٠١ : تكلم الناس في المفاضلة بين الملائكة وصالحى البشر ، فما مذاهيبهم في ذلك ؟ ٢٩٧
- س ٥٠٢ : تكلم الناس في المفاضلة بين الملائكة وصالحى البشر ، فهل لذلك ثمرة ؟ ٢٩٨
- س ٥٠٣ : ما الواجب علينا تجاه الملائكة والنبیین في المفاضلة ؟ ٢٩٨

- س ٥٠٤ : لم تكلم الشارح في مسألة المفاضلة بين الملائكة وصالحى البشر، وقد أوضح أنه لا ثمرة ترجى من وراء الكلام فيها؟ ٢٩٨
- س ٥٠٥ : هل مسألة المفاضلة بين الملائكة وصالحى البشر، نظير مسألة المفاضلة بين الأنبياء؟ .. ٢٩٩
- س ٥٠٦ : ما المعتبر به في مسألة المفاضلة هذه؟ وعلام تدل الأدلة في هذه المسألة؟ ٢٩٩
- س ٥٠٧ : اذكر كلام الشيخ تاج الدين الفزارى رحمه الله، في مسألة التفضيل بين الملائكة وصالحى البشر؟ ٢٩٩
- س ٥٠٨ : استدلل على تفضيل الأنبياء على الملائكة: أن الله أمر الملائكة أن يسجدوا لآدم؛ وذلك دليل على تفضيله عليهم...، أكمله، ثم أجب بماذا رُد عليه؟ ٣٠٠
- س ٥٠٩ : استدلل على تفضيل الأنبياء على الملائكة: أن الملائكة لهم عقول، وليست لهم شهوات...، أكمل ما استدلوا به، وبماذا أجاب عنهم الآخرون؟ ٣٠١
- س ٥١٠ : من الذى استدلل بأن الله جعل الملائكة رسلاً إلى الأنبياء، وسفراء بينه وبينهم، وبماذا أجيب عنه؟ ٣٠١
- س ٥١١ : من الذى استدلل بقوله تعالى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ وبماذا أجيب عنه؟ ٣٠١
- س ٥١٢ : من الذى استدلل بقوله تعالى: ﴿مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتَ بِيَدَيَّ﴾ وبماذا أجيب عنه؟ ٣٠٢
- س ٥١٣ : استدلل من يفضل الأنبياء على الملائكة بقول عبد الله بن سلام ﷺ: ما خلق الله خلقاً أكرم عليه من محمد ﷺ؟ وبماذا أجيب عنه؟ ٣٠٢
- س ٥١٤ : استدلل من يفضل الأنبياء على الملائكة بحديث عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما، أن رسول الله ﷺ قال: "إن الملائكة قالت: يا ربنا أعطيت بني آدم الدنيا...، أكمل استدلالهم، وبماذا رُد عليه؟ ٣٠٢
- س ٥١٥ : من استدلل بهذا الدليل، وهو قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ أَصْلَحَ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِصْرَةَ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾. المفضلون للأنبياء، أم المفضلون للملائكة، مع ذكر الجواب عنه؟ ٣٠٣
- س ٥١٦ : استدلل من يفضل الصالحين على الملائكة بقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِّ﴾. أكمل استدلالهم، وبماذا أجيب عنه؟ ٣٠٤
- س ٥١٧ : ما الدليل العقلي الذى استدلل به من يفضل صالحى البشر على الملائكة؟ وبماذا أجيب عليه؟ ٣٠٤
- س ٥١٨ : من استدلل بهذا الدليل، وهو قوله تعالى: ﴿لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ﴾. المفضلون للبشر، أم المفضلون للملائكة، مع شرح هذا الدليل، وذكر الجواب عنه؟ ٣٠٥
- س ٥١٩ : من استدلل بهذا الدليل، وهو قوله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبِ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ﴾. المفضلون للبشر، أم المفضلون للملائكة، مع شرح هذا الدليل، وذكر الجواب عنه؟ ٣٠٥
- س ٥٢٠ : من استدلل بحديث: المؤمن الضعيف، والمؤمن القوي، المفضلون للبشر، أم المفضلون للملائكة، مع شرح هذا الدليل، وذكر الجواب عنه؟ ٣٠٦
- س ٥٢١ : من استدلل بالحديث القدسي: "يقول الله تعالى: أنا عند ظن عبدي بي...، " المفضلون للبشر، أم المفضلون للملائكة، مع إكمال هذا الدليل، وذكر الجواب عنه؟ ٣٠٦

- س ٥٢٢ : من استدل بالحديث: " بينا أنا جالس إذ جاء جبريل ، فوكر بين كفتي" المفضلون للبشر ،
 أم المفضلون للملائكة ، مع إكمال هذا الدليل ، وذكر الجواب عنه؟ ٣٠٦
- س ٥٢٣ : ماذا رجح الشارح بعد إيراد الأدلة وأجوبتها في مسألة المفاضلة بين الملائكة وصاحبي
 البشر؟ ٣٠٧
- س ٥٢٤ : ما الواجب علينا تجاه النبيين والمرسلين؟ ٣٠٧
- س ٥٢٥ : من هم أولو العزم من الرسل ، مع الاستدلال؟ ٣٠٨
- س ٥٢٦ : ما الواجب علينا تجاه الكتب المنزلة على الأنبياء؟ ٣٠٨
- س ٥٢٧ : من هم أهل القبلة؟ ٣١١
- س ٥٢٨ : إلى أي شيء أشار الإمام الطحاوي بقوله: " ونسمي أهل قبلتنا مسلمين مؤمنين ، ما داموا
 بما جاء به النبي ﷺ معترفين ، وله بكل ما قاله وأخبر مصدقين "؟ ٣١١
- س ٥٢٩ : ما المراد بقول الطحاوي: " أهل قبلتنا "؟ ٣١١
- س ٥٣٠ : على من رد الشيخ بقوله: " ولا نخوض في الله ، ولا نماري في دين الله "؟ ٣١١
- س ٥٣١ : ما المراد بقول الشيخ: " ولا نجادل في القرآن ، ونشهد أنه كلام رب العالمين "؟ ٣١٢
- س ٥٣٢ : ذكر الشارح أن من معاني قول الشيخ: " ولا نجادل في القرآن " النهي عن المجادلة في
 القراءات الثابتة ، فما الدليل على ذلك؟ ولم نهى عنه؟ ٣١٢
- س ٥٣٣ : ما حكم ترتيب الآيات والسور في القرآن ، هل نُص عليه؟ ٣١٣
- س ٥٣٤ : ما حكم القراءة بالأحرف السبعة ، هل رُخص فيه ، أم نهى عنه؟ ٣١٣
- س ٥٣٥ : قال الطحاوي: " ولا نجادل في القرآن . " ، ما حكم مجادلة أهل البدع ، وكيف تكون ،
 وهل يكفرون عند مجادلتهم؟ فصل القول في ذلك؟ ٣١٤
- س ٥٣٦ : ما المراد بقوله: " نزل به الروح الأمين "؟ ولم سمي بهذا الاسم؟ ٣١٤
- س ٥٣٧ : لمن يعود الضمير في قول الطحاوي: " فعلمه سيّد المرسلين " ، وعلى من رد بقوله هذا؟ ٣١٤
- س ٥٣٨ : ما المراد بقول الشيخ: " ولا نقول بخلقه ، ولا نخالف جماعة المسلمين "؟ ٣١٥
- س ٥٣٩ : على من رد الشيخ بقوله: " ولا تكفر أحداً من أهل القبلة بذنوب ، ما لم يستحلّه ..؟ " ٣١٥
- س ٥٤٠ : ما أقسام الناس في التكفير وعدمه ، في أصحاب الذنوب؟ ٣١٥
- س ٥٤١ : ما الحكم لو أظهر الرجل إنكار الواجبات الظاهرة المتواترة ، والمحرمات الظاهرة
 المتواترة؟ ٣١٦
- س ٥٤٢ : ما مظنة الردة والنفاق؟ ٣١٦
- س ٥٤٣ : لماذا امتنع كثير من الأئمة عن القول: بأننا لا نكفر أحداً بذنوب؟ ٣١٦
- س ٥٤٤ : لماذا قيد الشيخ قوله الأنف ، في التكفير بالذنوب ، بقوله: " ما لم يستحلّه "؟ ٣١٧
- س ٥٤٥ : ذكر الشارح إشكالاً في قول الطحاوي رحمه الله: " ما لم يستحلّه " فما هو؟ وبم أجاب
 عليه؟ ٣١٧
- س ٥٤٦ : على من رد الشيخ بقوله: " ولا نقول لا يضر مع الإيمان ذنب لمن عمله ..؟ " ٣١٧
- س ٥٤٧ : من الذي قابل المرجئة في قضية الإيمان؟ ٣١٧
- س ٥٤٨ : لماذا لا يكفر أصحاب البدع من أهل القبلة بالذنوب العلمية تكفيراً من أول وهلة نعرف بها
 ابتداعهم؟ ٣١٨
- س ٥٤٩ : إذا قيل: هل تشهدون أن الشخص المعين من أهل الوعيد ، وأنه كافر؟ وما حكمه في
 الدنيا؟ ٣١٨

- س ٥٥٠ : ما الدليل الذي استدل به الشارح في النهي عن البغي ، وما المراد بالبغي في قول الشارح ؟ . ٣١٩
- س ٥٥١ : ما الحكم إذا كان القول في نفسه كفراً ، هل يكفر القائل له ؟ . ٣١٩
- س ٥٥٢ : ما الدليل الذي استدل به الشارح على عدم تكفير كل من قال القول المبتدع ؟ وهل وجد مثل من قال هذا القول من الطوائف وأئمة العلم ؟ . ٣٢٠
- س ٥٥٣ : هل وجد مثل من قال هذا القول المبتدع - الذي أوضح الشارح أنه لا يكفر إلا بالدليل - من الطوائف وأئمة العلم ؟ . ٣٢٠
- س ٥٥٤ : ذكر الشارح إشكالاً يرد على كلام الشيخ الآنف : " ولا تكفر أحداً من أهل القبلة . . . " فما الإشكال مع الاستدلال ؟ . ٣٢١
- س ٥٥٥ : كيف الجواب عن الإشكال السابق الذي ذكره الشارح ؟ . ٣٢٢
- س ٥٥٦ : ما معتقد أهل السنة والجماعة في حكم مرتكب الكبيرة ؟ ومن الذي قال بكفره ؟ وكيف يرد عليه ؟ . ٣٢٢
- س ٥٥٧ : ما الفرق بين مذهب المعتزلة والخوارج في حكم مرتكب الكبيرة ؟ وما قول المرجئة كذلك في مرتكب الكبيرة ؟ . ٣٢٣
- س ٥٥٨ : هل اتفق السلف من أهل السنة في كون الكفر على مراتب ؟ وإن لم يتفقوا ، فهل ترتب عليه مفسدة ؟ . ٣٢٤
- س ٥٥٩ : مم نشأ الاختلاف بين السلف ، في أن للكفر مراتب أم لا ، وأن للإيمان مراتب أم لا ؟ . ٣٢٤
- س ٥٦٠ : ذكر الشارح أن الخلاف بين أهل السنة في مراتب الإيمان ومرتب الكفر ، لفظي ، ولا يترتب عليه مفسدة ، وذكر بعده شيئاً رديئاً في هذا الخلاف ، فما هو ، وما الواجب ؟ . ٣٢٤
- س ٥٦١ : ما حكم الحكم بغير ما أنزل الله ؟ . ٣٢٥
- س ٥٦٢ : على من رد الشيخ بقوله : " ولا نقول : لا يضر مع الإيمان ذنب . . . " ؟ . ٣٢٥
- س ٥٦٣ : ذكر الشارح أن شبهة المرجئة قد وقعت لبعض الأولين ، فما هي ؟ وماذا حكم الصحابة عليهم ؟ . ٣٢٥
- س ٥٦٤ : استدل لقول الإمام الطحاوي : " ونرجو للمحسنين من المؤمنين أن يعفو عنهم ويدخلهم الجنة برحمته ، ولا نأمن عليهم ، ولا نشهد لهم بجنة ولا نار . . . " ، وما الواجب على المؤمن في هذا الباب ؟ . ٣٢٦
- س ٥٦٥ : هل من يرجو شيئاً لا بد أن يقدم سبباً ، أم لا يلزم من ذلك تقديم السبب ، مع الاستدلال والتوضيح ؟ . ٣٢٧
- س ٥٦٦ : ذكر الشارح أن من رجا شيئاً استلزم رجاؤه أموراً ، فما هي ؟ . ٣٢٧
- س ٥٦٧ : هل اتفقت عبارات السلف في التفريق بين الكبائر والصغائر ؟ . ٣٢٨
- س ٥٦٨ : اذكر الأسباب التي قد تسقط العقوبة بها عن المسيء ، وكيف عرفت ؟ . ٣٢٨
- س ٥٦٩ : ذكر الشارح أن العقوبة تسقط بعشرة أسباب ، وذكر منها : التوبة النصوح ، فما هي ؟ وهل تتوقف صحتها على أن تكون عامة ؟ . ٣٢٩
- س ٥٧٠ : ذكر الشارح أن العقوبة تسقط بعشرة أسباب ، وذكر منها : الاستغفار ، فهل هناك من فرق بينه وبين التوبة ؟ . ٣٣٠
- س ٥٧١ : ذكر الشارح أن العقوبة تسقط بعشرة أسباب ، وذكر منها : عفو أرحم الراحمين من غير شفاعة ، فإن لم يكن ممن لم يشأ الله أن يغفر له جرمه ، فما مصيره ، ومعه أصل الإيمان ؟ . ٣٣١

- س ٥٧٢ : استدل على تكفير الذنوب بالمصائب، بدليل من السنة المطهرة، ثم أوضح هل الأجر يغفر الذنوب؟ ٣٣١
- س ٥٧٣ : قال الطحاوي: "والأمن والإيأس ينقلان عن ملة الإسلام، وسبيل الحق بينهما لأهل القبلة"، ما هو الخوف المحمود، والرجاء المحمود في كلامه الآنف؟ ٣٣١
- س ٥٧٤ : الله تعالى امتدح أهل الخوف والرجاء، فاستدل لذلك، وهل يستلزم كل منهما الآخر؟ ٣٣٢
- س ٥٧٥ : قال صاحب منازل السائرين (أبو إسماعيل الهروي): الرجاء أضعف منازل المرید، فهل يصح قوله، مع الاستدلال؟ ٣٣٢
- س ٥٧٦ : ما الواجب على المسلم تجاه ربه، هل يعيده بالحب، أم الخوف أم الرجاء، في الحياة وعند الممات؟ وما الحكم في عبادة الله تعالى بأحدها فقط؟ ٣٣٣
- س ٥٧٧ : على من رد الشيخ بقوله: "ولا يخرج العبد من الإيمان إلا بجحود ما أدخله فيه"؟ ٣٣٣
- س ٥٧٨ : قال الطحاوي: "والإيمان: هو الإقرار باللسان، والتصديق بالجنان، وجميع ما صح عن رسول الله كله حق". أوضح ما في هذا القول من خطأ؟ ٣٣٧
- س ٥٧٩ : ما أقوال الناس فيما يقع عليه اسم الإيمان؟ ٣٣٧
- س ٥٨٠ : ما قول الجهم ومن وافقه في الإيمان؟ وبم يرد عليهم؟ ٣٣٨
- س ٥٨١ : هل الخلاف فيما يقع عليه اسم الإيمان، بين أبي حنيفة وسائر أهل السنة حقيقي يترتب عليه مفسدة، أم صوري لا يترتب عليه شيء؟ ٣٣٩
- س ٥٨٢ : لم قال الطحاوي: "وأهله في أصله سواء"؟ ٣٤٠
- س ٥٨٣ : ما القول في زيادة الإيمان من جهة الإجمال والتفصيل؟ ٣٤١
- س ٥٨٤ : هل زيادة الإيمان بالعمل والتصديق، أكمل من التصديق الذي لا يستلزمه عمل؟ ٣٤٢
- س ٥٨٥ : ما معنى قول الرسول ﷺ: "لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن"؟ وهل يزول إيمانه بالكلية؟ ٣٤٣
- س ٥٨٦ : ما تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ أَنتَ الْبَرُّ إِذَا اتَّعْتَهُمْ طَبَقَتْ مِنْ أَشْجَاتِكَ تَذَكُّرًا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾ (٢٦) وَلِيُخَوِّدَهُمْ يَمْدُدْنَهُمْ فِي أَلْفَيْ نَسْأَةٍ لَا يُفْصِرُونَ ﴿٢٧﴾ ٣٤٣
- س ٥٨٧ : ذكر الشارح أن النزاع بين أهل السنة والجماعة، وبين جملة الأخفاف، في مسألة الإيمان لفظي، فما المحذور الذي يقع بينهم؟ ٣٤٤
- س ٥٨٨ : من أدلة أصحاب أبي حنيفة في قولهم بأن الإيمان هو التصديق لا غير، أن الإيمان في اللغة: عبارة عن التصديق. أكمل قولهم واستدلّ لهم، وبماذا رد عليهم؟ ٣٤٤
- س ٥٨٩ : استدل على دخول الأعمال في مسمى الإيمان بأدلة، وهل يزول الإيمان بزوال بعضها؟ أوضح ذلك بالتفصيل؟ ٣٤٧
- س ٥٩٠ : ذكرت أنفاً أدلة على دخول الأعمال في مسمى الإيمان، فهل يزول الإيمان بزوال بعضها؟ أوضح ذلك بالتفصيل؟ ٣٤٧
- س ٥٩١ : علام استدل الطحاوي بقوله ﷺ: "من أحب لله وأبغض لله..." وما معنى الحديث؟ ٣٤٨
- س ٥٩٢ : من الذي رد حديث شعب الإيمان الآنف؟ ولم؟ وبم رد عليه؟ ٣٤٨
- س ٥٩٣ : من الذي قسم القول إلى قسمين، والعمل إلى قسمين؟ مع إكمال هذا القول وتوضيحه؟ وماذا أفاد هذا التقسيم؟ ٣٤٨
- س ٥٩٤ : من الذي قال: يلزم من زوال جزء الإيمان زوال كله، وهل يلزم ذلك؟ ٣٤٩
- س ٥٩٥ : هل يزيد الإيمان وينقص؟ مع الاستدلال بأدلة من كتاب الله تعالى؟ ٣٤٩

- س ٥٩٦ : يستدل من ينفي زيادة الإيمان ونقصانه بالحديث : " . . الإيمان مكمل في القلب ، زيادته ونقصانه كفر " ، فماذا يجب عليه ؟ ٣٥٠
- س ٥٩٧ : استدل من السنة على زيادة الإيمان ونقصانه ؟ ٣٥١
- س ٥٩٨ : استدل بأقوال الصحابة على زيادة الإيمان ونقصانه ؟ ٣٥١
- س ٥٩٩ : استدل من يقول بإخراج العمل من الإيمان بأن الله عطف العمل على الإيمان ، كما في قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾ . فاقضى التغاير ؟ فكيف تجيب ؟ ٣٥١
- س ٦٠٠ : ما تفسير قوله تعالى : ﴿ لَيْسَ إِلَهٌ أَن تُولُوا وَجُوهَكُمْ فِى الشَّرْقِ وَالْمَغْرِبِ ﴾ . ؟ ٣٥٣
- س ٦٠١ : من الذي استدل بحديث وفد عبد القيس ؟ وما هو ؟ وماذا أفاد ؟ ٣٥٣
- س ٦٠٢ : هل هناك تغاير بين الإسلام والإيمان والإحسان ، وما الدليل ؟ ٣٥٤
- س ٦٠٣ : ما أقوال الناس في مسمى الإسلام ؟ ٣٥٥
- س ٦٠٤ : ما التناقض الذي وقع فيه من زعم أن الإيمان هو التصديق بالقلب ، ثم جعل الإسلام مرادفاً للإيمان ؟ ٣٥٥
- س ٦٠٥ : على ماذا وعد بالجزاء في الآخرة بالجنة على الإسلام ، أم الإيمان مع الاستدلال ؟ ٣٥٦
- س ٦٠٦ : هل إذا اقرن الإسلام بالإيمان يُفرق بينهما أم لا ؟ أوضح ذلك ٣٥٦
- س ٦٠٧ : استدل للفرق بين الإسلام والإيمان بأدلة ، مع الشرح والتوضيح ؟ ٣٥٦
- س ٦٠٨ : يحتج من يقول بترادف الإيمان والإسلام ، بقوله تعالى : ﴿ فَأَنزَلْنَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ ﴿ ٦٥ ﴾ ﴿ فَأَمَّا فِيهَا غَيْرُ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ ﴿ ٦٦ ﴾ . فبم يجب عليه ؟ ٣٥٨
- س ٦٠٩ : المعارضات التي ذكرها الأحناف في مسألة الإسلام والإيمان ، هل ثبتت عن الإمام أبي حنيفة رحمه الله ؟ ٣٥٩
- س ٦١٠ : هل للخلاف في مسألة الإيمان والإسلام ثمرة ؟ ٣٥٩
- س ٦١١ : ما أقوال الناس في مسألة الاستثناء في الإيمان ؟ ٣٥٩
- س ٦١٢ : ما المآخذ التي أخذ بها من يوجب الاستثناء في الإيمان ؟ ٣٥٩
- س ٦١٣ : من الذين غلوا في القول بالاستثناء في الإيمان ، وزعموا أن الله يحب في الأزل من كان كافراً إذا علم أنه يموت مؤمناً ، والعكس كذلك ، وبم يرد عليهم ؟ ٣٦٠
- س ٦١٤ : هل قال بالاستثناء في الإيمان أحد من السلف ؟ وإن كان بالإيجاب فما مأخذهم في ذلك ؟ ٣٦٠
- س ٦١٥ : هل يسوغ الاستثناء فيما لا شك فيه ، مع الاستدلال ؟ ٣٦١
- س ٦١٦ : ما المآخذ الذي أخذه من حرم الاستثناء في الإيمان ؟ ٣٦١
- س ٦١٧ : بماذا أجاب من يقول بتحريم الاستثناء على قوله تعالى : ﴿ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ ﴾ ؟ وبماذا يجب عنه ؟ ٣٦١
- س ٦١٨ : بماذا أجاب الزمخشري على من أجاب على قوله تعالى : ﴿ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ ﴾ بأنه يعود إلى الأمن والخوف ، وما صحة جوابه ؟ ٣٦٢
- س ٦١٩ : أي الأقوال أصوب في مسألة الاستثناء في الإيمان ؟ ٣٦٢
- س ٦٢٠ : على من رد الشيخ بقوله : " وجميع ما صح عن رسول الله ﷺ من الشرع والبيان كله حق " ؟ ٣٦٥
- س ٦٢١ : ما موقف أهل البدع من النصوص الشرعية ، وموقف أهل السنة والجماعة منها ؟ ٣٦٦
- س ٦٢٢ : خبر الواحد إذا تلقته الأمة بالقبول هل يفيد العلم اليقيني ، مع الاستدلال ؟ ٣٦٦
- س ٦٢٣ : خبر الواحد هل يحتمل الصدق والكذب ؟ ومن الذي يعرف ذلك ؟ ٣٦٧

- س ٦٢٤ : يستدل نفاة الأحاديث بقوله تعالى : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ . فلماذا يستدلون بها ، وكيف
يجاب عنهم ؟ ٣٦٧
- س ٦٢٥ : ما مراد الشيخ من قوله : " من الشرع والبيان " ؟ ٣٦٨
- س ٦٢٦ : اشرح قول الطحاوي : " وأهله في أصله سواء ، والتفاضل بينهم بالحقيقة ومخالفة الهوى ،
وملازمة الأولى " ؟ ٣٦٩
- س ٦٢٧ : من هو الولي ؟ مع الاستدلال ٣٧٣
- س ٦٢٨ : ورد في الأدلة الأنفة الذكر ولاية الله تعالى لعباده ، فهل هذه الولاية كولاية المخلوق
للمخلوق ؟ ٣٧٤
- س ٦٢٩ : هل الولاية كالإيمان تزيد وتنقص ؟ ٣٧٤
- س ٦٣٠ : هل يمكن أن تجتمع في المؤمن ولاية وعداوة ؟ ٣٧٤
- س ٦٣١ : هل من دليل يدل على اجتماع الولاية والعداوة ، والإيمان والتناق ، والشرك في المؤمن ؟ ٣٧٥
- س ٦٣٢ : ما صحة ما روي عن النبي ﷺ : " ما من جماعة اجتمعت إلا فيهم ولي لله " ؟ ٣٧٥
- س ٦٣٣ : من هم أولياء الله الكاملون ؟ ٣٧٦
- س ٦٣٤ : ما مراد الشيخ بقوله : " وأكرمهم عند الله أطوعهم وأتبعهم للقرآن " ؟ ٣٧٧
- س ٦٣٥ : ما هي أصول الدين ؟ وما الدليل عليها ؟ ٣٧٧
- س ٦٣٦ : هل يثبت حكم الإيمان بالتصديق دون العمل ، أو العمل دون التصديق مع الاستدلال ؟ ٣٧٨
- س ٦٣٧ : إن قال قائل : إن النبي ﷺ فسر الإيمان بتفسيرين مختلفين ، في حديث جبريل ، وفي حديث
وفد عبد القيس ، فيماذا يجاب ؟ ٣٧٨
- س ٦٣٨ : إن سأل سائل فقال : أنه إذا كان ما أوجبه الله من الأعمال الظاهرة أكثر من الخصال
الخمسة التي أجاب بها النبي ﷺ في حديث جبريل المذكور ، فلم قال : إن الإسلام
هذه الخصال الخمسة ؟ ٣٧٩
- س ٦٣٩ : قال الطحاوي : " والقدر خيره وشره ، وحلوه ومره من الله تعالى " ، استدل لقوله ؟ ٣٨٠
- س ٦٤٠ : مر آنفاً قوله تعالى : ﴿كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللَّهِ﴾ . فكيف تجمع بينها وبين قوله تعالى : ﴿فَإِنْ نَّفْسُكَ
فَإِنَّ نَفْسُكَ﴾ ؟ ٣٨٠
- س ٦٤١ : هل للقدرية أن تحتج بقوله تعالى : ﴿وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سِتْرَةٍ فَيَنْقُصِكَ﴾ . على أن العبد يخلق
فعل نفسه ؟ ٣٨١
- س ٦٤٢ : ما معنى قول النبي ﷺ : " والشر ليس إليك " ؟ ٣٨١
- س ٦٤٣ : هل يضاف الشر إلى الله تعالى مفرداً ؟ أوضح ذلك مع الاستدلال ٣٨١
- س ٦٤٤ : إذا وقع في المخلوقات ما هو شر جزئي بالإضافة ، هل يكون شراً كلياً عاماً ؟ أوضح ذلك ٣٨٢
- س ٦٤٥ : في قضية الشر الجزئي والشر الكلي ، يُستدل به على صدق النبوة . . . أو أن الله تعالى قد
يمكن للملك الظالم مدة طويلة ، بخلاف المدعي للنبوة ، أوضح ذلك ؟ ٣٨٢
- س ٦٤٦ : اذكر ما في قوله تعالى : ﴿فَإِنْ نَّفْسُكَ﴾ . من الفوائد ؟ ٣٨٢
- س ٦٤٧ : ما أنفع الأدعية ؟ ٣٨٣
- س ٦٤٨ : ما مراد الشيخ بقوله : " ونحن نؤمن بذلك كله ، لا نفرق بين أحد من رسله ، ونصدقهم
كلهم على ما جاؤوا به " ؟ ٣٨٥
- س ٦٤٩ : على من رد الشيخ بقوله : " وأهل الكبائر من أمة محمد ﷺ في النار لا يخلدون إذا ماتوا
وهم موحدون " ؟ ٣٨٩

- س ٦٥٠ : ماذا يفهم من قول الطحاوي : "وأهل الكبائر من أمة محمد" وهل يصح ما فهم منه؟ . . ٣٨٩
- س ٦٥١ : ما أقوال العلماء في تحديد الكبيرة؟ ٣٩٠
- س ٦٥٢ : ما أمثل الأقوال في حد الكبيرة المذكورة آنفاً؟ ٣٩٠
- س ٦٥٣ : ما قول العلماء في حد الصغيرة؟ ٣٩٠
- س ٦٥٤ : ما المرجحات التي ترجح بها التعريف الأمثل للكبيرة؟ ٣٩١
- س ٦٥٥ : ما الذي يَرُدُّ على قول من قال : إن الكبيرة ما اتفقت الشرائع على تحريمه دون ما اختلف فيه؟ ٣٩١
- س ٦٥٦ : ما الذي يَرُدُّ على قول من قال : إن الكبيرة ما سد باب المعرفة بالله أو ذهاب الأموال والأبدان؟ ٣٩١
- س ٦٥٧ : ما الذي يَرُدُّ على قول من قال : إن الكبيرة ما نهى الله عنه ، أو أنها سميت كبيرة بالنسبة لما دونها؟ ٣٩٢
- س ٦٥٨ : بم يُرَدُّ على من قال : إن الكبيرة لا تعلم أصلاً ، أو أنها مبهمة؟ ٣٩٢
- س ٦٥٩ : لم قَبِدَ الشيخ قوله : "وأهل الكبائر من أمة محمد ﷺ لا يخلدون" بقوله : " وإن لم يكونوا تائبين"؟ ٣٩٢
- س ٦٦٠ : ماذا استدرك الشارح على الإمام الطحاوي في قوله : "بعد أن لقوا الله تعالى عارفين" ، وقوله : " ذلك أن الله مولى أهل معرفته"؟ ٣٩٢
- س ٦٦١ : اشرح قول الإمام الطحاوي : " وهم في مشيئة الله وحكمه ، إن شاء غفر لهم وعفا عنهم بفضلهم"؟ ٣٩٣
- س ٦٦٢ : لم ختم الإمام الطحاوي كلامه الأنف بقوله : "اللهم يا ولي الإسلام وأهله مسكننا بالإسلام حتى نلقاك به"؟ ٣٩٣
- س ٦٦٣ : ما حكم الصلاة خلف الفاجر من أهل القبلة؟ ٣٩٤
- س ٦٦٤ : ما حكم الصلاة خلف مستور الحال من أهل القبلة؟ ٣٩٤
- س ٦٦٥ : ما حكم من ترك الجمعة والجماعة خلف الإمام الفاجر ، بذريعة فجوره؟ ٣٩٥
- س ٦٦٦ : ما حكم من أظهر بدعته ، هل يُرتب إماماً للمسلمين؟ وما حكم الصلاة خلفه؟ ٣٩٥
- س ٦٦٧ : ما الحكم إذا أمكن فعل الجمعة والجماعة خلف البَرِّ ، ولكن صلى خلف الفاجر ، من غير عذر؟ ٣٩٦
- س ٦٦٨ : ما الحكم إن نسي الإمام أو أخطأ ، ولم يعلم المأموم بحاله؟ ٣٩٦
- س ٦٦٩ : ذكر الشارح : الْمُطَاعُونَ في مواضع الاجتهاد ، فمن هم ، وما حكم مخالفتهم؟ ٣٩٧
- س ٦٧٠ : ما حكم الصلاة على من مات من فجار أهل القبلة؟ وهل يستثنى من ذلك أحد؟ ٣٩٧
- س ٦٧١ : لم ذكر الإمام الطحاوي - بعد قوله بجواز الصلاة خلف كل بر وفاجر من أهل القبلة - الصلاة على من مات منهم ، بقوله : "وعلى من مات منهم"؟ ٣٩٨
- س ٦٧٢ : ما حكم الصلاة على المنافقين؟ ٣٩٨
- س ٦٧٣ : هل يشهد للمعين بالجنة أو النار؟ ولماذا؟ ٣٩٩
- س ٦٧٤ : متى يُشهد على معين من أهل القبلة بكفر أو شرك أو نفاق؟ ٣٩٩
- س ٦٧٥ : لم لا يُشهد على معين من أهل القبلة بكفر أو شرك أو نفاق ، ما لم يظهر منه شيء من ذلك؟ ٤٠٠
- س ٦٧٦ : على من يجب السيف من أمة محمد ﷺ ، مع الاستدلال؟ ٤٠٠

السؤال	الصفحة
س ٦٧٧ : استدل على طاعة ولي الأمر، وعدم الخروج عليه، وإن جاز، ما لم يظهر منه كفراً بواحاً؟ .	٤٠٣
س ٦٧٨ : اشرح قوله تعالى: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ ؟ .	٤٠٤
س ٦٧٩ : لم ألزم الشارع طاعة ولي الأمر ولو جاز؟ .	٤٠٤
س ٦٨٠ : ما معنى قول الإمام الطحاوي: "ونتبع السنة والجماعة، ونجتنب الشذوذ والخلاف والفرقة"؟ .	٤٠٥
س ٦٨١ : ما منزلة أهل العدل والأمانة، ومنزلة أهل الجور والخيانه، من الإيمان؟ .	٤٠٦
س ٦٨٢ : استدل على المحبة في الله تعالى؟ .	٤٠٧
س ٦٨٣ : ما معنى قوله ﷺ فيما يرويه عن ربه: "وما ترددت في شيء أنا فاعله، ترددي عن قبض نفس عبدي المؤمن" . "الحديث؟ .	٤٠٨
س ٦٨٤ : ما الحكم فيما اشبه علينا علمه؟ وما حكم من تكلم بغير علم؟ .	٤٠٨
س ٦٨٥ : استشهد بالنصوص، وأثار السلف في اتهام الرأي في الدين، ورد ما اشبهه علمه إلى عالمه؟ .	٤٠٩
س ٦٨٦ : ما حكم المسح على الخفين؟ ومن خالف في هذا؟ .	٤٠٩
س ٦٨٧ : كيف بُرد على الرافضة الذين أنكروا هذه السنة المتواترة، وهي غسل الرجلين؟ .	٤٠٩
س ٦٨٨ : إذا قال الرافضي: لفظ الآية ثبت بالتواتر بكسر لفظ أرجلكم، وأن الفرض مسح الرجلين، لا غسلهما، فبم يجاب؟ .	٤١٠
س ٦٨٩ : على من رد الشيخ بقوله: "والحج والجهاد ماضيان مع أولي الأمر من المسلمين" . "؟ .	٤١١
س ٦٩٠ : لم ذكر الشيخ بعد قوله الأنف - "والحج والجهاد ماضيان مع أولي الأمر من المسلمين" - قال: مع أولي الأمر برهم وفاجرهم"؟ .	٤١٢
س ٦٩١ : استدل لعنوان هذا الفصل؟ .	٤١٥
س ٦٩٢ : ما معنى قوله ﷺ في الحديث الآنف: " . ولكن الله أعانني عليه فأسلم"؟ .	٤١٦
س ٦٩٣ : ما معنى قوله تعالى: ﴿يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ ؟ .	٤١٦
س ٦٩٤ : ما الذي تكتبه الملائكة، مع الاستدلال؟ .	٤١٦
س ٦٩٥ : هل النفس جزء من أجزاء البدن، أو عرض من أعراضه؟ .	٤٢١
س ٦٩٦ : هل الروح قديمة أم محدثة؟ ومن نقل إجماع أهل السنة على ذلك؟ .	٤٢١
س ٦٩٧ : هل لك أن تذكر بعض الأدلة على أن الروح محدثة مخلوقة؟ .	٤٢٢
س ٦٩٨ : بماذا احتج من قال: إن الروح قديمة وليست محدثة؟ وبم يرد عليه؟ .	٤٢٢
س ٦٩٩ : هل الروح مخلوقة قبل الجسد أم بعده؟ .	٤٢٣
س ٧٠٠ : ما أقوال الناس في الروح؟ .	٤٢٣
س ٧٠١ : ما أقوال الناس في مسمى الإنسان؟ .	٤٢٣
س ٧٠٢ : هل النفس جسم مخالف للجسم؟ مع الاستدلال .	٤٢٤
س ٧٠٣ : علام استدل الشارح بقوله ﷺ: "إن الروح إذا قبض تبعه البصر"؟ .	٤٢٥
س ٧٠٤ : ما أقوال الناس في مسمى النفس والروح؟ .	٤٢٥
س ٧٠٥ : ذكر الشارح أن النفس تطلق على الروح، فمتى تسمى نفساً، ومتى تسمى روحاً؟ .	٤٢٦
س ٧٠٦ : ما الدليل الذي ذكره الشارح على أن الروح تطلق على الدم؟ .	٤٢٦
س ٧٠٧ : ما الدليل على أن النفس تطلق على الذات؟ .	٤٢٦
س ٧٠٨ : ما الدليل على أن الروح تطلق على القرآن الكريم؟ .	٤٢٦

- س ٧٠٩ : ما الدليل على أن الروح تطلق على جبريل عَلَيْهِ السَّلَام ؟ ٤٢٦
- س ٧١٠ : استدل على أن ما يؤيد الله به أوليائه يسمى روحاً؟ ٤٢٦
- س ٧١١ : ذكر الشارح أرواحاً عدة للبدن، فهل الناس سواسية في هذه الأرواح؟ ٤٢٧
- س ٧١٢ : هل لابن آدم ثلاثة أنفس؛ مطمئنة ولوامة وأمانة؟ ٤٢٧
- س ٧١٣ : هل تموت الروح أم لا؟ مع بيان القول الصحيح. ٤٢٧
- س ٧١٤ : ما المراد بالموتة في قوله تعالى: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى﴾؟ ٤٢٨
- س ٧١٥ : هل تناقض الآية الآتفة قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا آتِنَا أَثْنَيْنِ وَأَحْيِنَا أَثْنَيْنِ﴾؟ وماذا أفادت هذه الآية؟ ٤٢٨
- س ٧١٦ : هل صعق الأرواح عند النفخ في الصور هو موتها؟ ٤٢٨
- س ٧١٧ : ما الدليل على عذاب القبر من الكتاب والسنة؟ ٤٢٨
- س ٧١٨ : بماذا فسر الشارح قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ﴾؟ ٤٣١
- س ٧١٩ : ما قول أهل السنة والجماعة في الحديث الآنف؟ وهل له شواهد أخرى من الصحيحين؟ ٤٣١
- س ٧٢٠ : ما واجب المسلم تجاه معتقد عذاب القبر؟ ٤٣٢
- س ٧٢١ : ما تعلقات الروح بالبدن؟ ٤٣٢
- س ٧٢٢ : ما هو النوع الرابع من تعلقات الروح بالبدن التي ذكرها الشارح؟ وهل يعني هذا التعلق المفارقة الكلية للجسد؟ ٤٣٢
- س ٧٢٣ : ما أكمل أنواع تعلق الروح بالبدن؟ ولماذا؟ ٤٣٢
- س ٧٢٤ : لماذا أورد الشارح رحمه الله تعلقات الروح بالبدن في هذا الموضع؟ ٤٣٣
- س ٧٢٥ : ما قول ابن حزم يرحمه الله في سؤال القبر، وهل قابله أحد في هذا القول، وهل يصح قولهم؟ ٤٣٣
- س ٧٢٦ : هل يمكن أن تعذب الروح مفردة عن البدن؟ ٤٣٣
- س ٧٢٧ : استدل بدليلين شرعيين على أن عذاب القبر واقع على الروح والجسد؟ ٤٣٣
- س ٧٢٨ : من الذي يعذب في قبره؟ وهل يناله نصيبه من العذاب وإن لم يقبر؟ ٤٣٤
- س ٧٢٩ : ذكر الشارح ثلاثة أنواع من الدور فما هي؟ ٤٣٤
- س ٧٣٠ : ذكر الشارح ثلاثة أنواع من الدور، فهل أحكامها متفقة؟ ٤٣٤
- س ٧٣١ : هل النار التي في القبر، أو النعيم من جنس ما في الدنيا؟ ٤٣٥
- س ٧٣٢ : ذكر الشارح أن الله إذا شاء أطلع بعض عباده على شيء من عذاب القبر، فلم لا يطلع الله العباد كلهم على ذلك؟ ٤٣٥
- س ٧٣٣ : ما أقوال الناس في سؤال منكر ونكير؟ ٤٣٥
- س ٧٣٤ : من أشهر الذين توقفوا في سؤال منكر ونكير؟ ٤٣٥
- س ٧٣٥ : هل أجمع العلماء في سؤال الأطفال أم لا؟ ٤٣٦
- س ٧٣٦ : هل يدوم عذاب القبر أو ينقطع؟ ٤٣٦
- س ٧٣٧ : ما أقوال الناس في مستقر الأرواح ما بين الموت إلى قيام الساعة؟ ٤٣٦
- س ٧٣٨ : من الذين قالوا: إن مستقر الأرواح بعد الموت أبداناً أخرى تناسب أخلاقها وصفاتها التي اكتسبتها في الحياة؟ وما حكم هذا القول؟ ٤٣٧
- س ٧٣٩ : أوضح مدى تفاوت الأرواح في البرزخ، مع الاستدلال؟ ٤٣٧
- س ٧٤٠ : ما الدليل على أن أرواح بعض الشهداء وغيرهم من المؤمنين قد تُحبس على باب الجنة؟ ٤٣٨

- س ٧٤١ : ما الحياة التي اختص بها الشهيد عن سائر الناس ، مع الاستدلال؟ ٤٣٨
- س ٧٤٢ : هل يفضل عامة المؤمنين على الشهداء بالحديث : "إن نسمة المؤمن طائر يعلق في شجر الجنة" ، وإنما ذكر أن الشهيد في حواصل طير بقوله ﷺ في الحديث : "لما أصيب أخوانكم ، جعل الله أرواحهم في حواصل طير خضر"؟ ٤٣٩
- س ٧٤٣ : من الذين لا تأكل الأرض أجسادهم؟ ٤٤٠
- س ٧٤٤ : ما الذي دل على اليوم الآخر؟ ٤٤٣
- س ٧٤٥ : بين دعوى طائفة المتفلسفة الذين قالوا : إن معتقد اليوم الآخر لم يكن في معتقد الأنبياء من قبل محمد ﷺ ، وإنما جاء به النبي ﷺ ، وهو من باب التخيل والخطاب الجمهوري ، مع تفنيد هذا القول؟ ٤٤٣
- س ٧٤٦ : بين الشاهد ووجه الاستشهاد في قوله تعالى : ﴿وَقَالُوا أَوَآدَا كُنَّا عِظْمًا وَرَفَثًا أَوْآدًا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾ (٩٩) قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ﴿١٠٠﴾؟ ٤٤٦
- س ٧٤٧ : بين وجه الاستشهاد في قوله تعالى : ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُعْطِي الْعِظْمَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ (٧٨) إلى قوله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ يُرْجَعُونَ﴾؟ ٤٤٦
- س ٧٤٨ : ما وجه الاستشهاد في قوله تعالى : ﴿يَتَحَسَّبُ الْإِنْسَانُ أَن يَبْرُكَ سُدى﴾ (٣٦) إلى قوله تعالى : ﴿أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَذِيرٍ عَلَيَّ أَن يَخْبُثَ لَكُلُّهُنَّ﴾ (١٠٠)؟ ٤٤٨
- س ٧٤٩ : القائلون بأن الأجسام مركبة من الجواهر المفردة ، لهم في المعاد خبط واضطراب ، وهم فيه على قولين ، ما هما؟ وما الذي أورد عليهما من اعتراضات تبين اضطرابهما؟ ٤٤٩
- س ٧٥٠ : بعد ذكر قول القائلين : بأن الأجسام مركبة من الجواهر المفردة ، ما القول الذي عليه السلف وجمهور العقلاء في الأجسام وفنائها؟ ٤٤٩
- س ٧٥١ : ما الدليل على القول الأنف لأهل السنة والجماعة ؛ أن ابن آدم يبلى كله إلا عَجَبَ الذنب ، منه خلق ومنه يركب؟ ٤٥٠
- س ٧٥٢ : ما الدليل على قول الطحاوي في اليوم الآخر : "وجزاء الأعمال"؟ ٤٥٠
- س ٧٥٣ : علام استدل الشارح بقوله ﷺ فيما يرويه عن ربه في الحديث القدسي : "يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ، ثم أوفيكم إياها" . "الحديث؟" ٤٥١
- س ٧٥٤ : استدل لقول الطحاوي في اليوم الآخر : "والعرض والحساب ، وقراءة الكتاب ، والثواب والعقاب"؟ ٤٥١
- س ٧٥٥ : ورد في الحديث : العرض والحساب ، فما الحديث الذي دل عليهما ، وما معناه؟ وما الفرق بين العرض والحساب؟ ٤٥٣
- س ٧٥٦ : ما هو الصعق الذي دل عليه الحديث الصحيح في قوله ﷺ : "إن الناس يصعقون يوم القيامة" . "الحديث؟" ٤٥٣
- س ٧٥٧ : كيف تفسر الحديث : "إن الناس يصعقون يوم القيامة ، فأكون أول من تنشق عنه الأرض ، فأجد موسى باطشاً بقائمة العرش"؟ ٤٥٣
- س ٧٥٨ : كيف تفسر الحديث : " . فلا أدري أفاق قبلي أم كان ممن استثنى الله ﷻ ؟" ٤٥٤
- س ٧٥٩ : ما الصراط مع الاستدلال ٤٥٤
- س ٧٦٠ : أين يفترق المنافقون عن المؤمنين؟ مع الاستدلال لما تقول؟ ٤٥٤
- س ٧٦١ : ما معنى الورود المذكور في قوله تعالى : ﴿وَلَن يَنْكُرَ إِلَّا وَأَرَدَهَا﴾؟ ٤٥٥

- س ٧٦٢ : ذكرت آنفاً أن معنى الآية الآتفة ، وهي قوله تعالى : ﴿وَلَنْ يَنْفَكُوا إِلَّا وَارِدُهَا﴾ أن المعنى الأظهر والأرجح هو المرور على الصراط ، فما الدليل على ذلك ؟ . ٤٥٥
- س ٧٦٣ : استدل على ميزان الأعمال في اليوم الآخر ؟ . ٤٥٦
- س ٧٦٤ : هل يكون الميزان قبل الحساب أم بعده ؟ ولماذا ؟ . ٤٥٦
- س ٧٦٥ : هل الميزان واحد أم هو عدة موازين ، مع إيراد الآية الدالة على ذلك ؟ . ٤٥٧
- س ٧٦٦ : هل الميزان الذي توزن به الأعمال له كفتان حسيّتان ؟ مع الاستدلال ؟ . ٤٥٧
- س ٧٦٧ : هل يوزن العامل مع عمله ، مع الاستدلال لما تقول ؟ . ٤٥٧
- س ٧٦٨ : هل توزن الأعمال وحدها ، مع الاستدلال ؟ . ٤٥٨
- س ٧٦٩ : استدل الشارح بحديث ابن مسعود لما كان يجتني أراكاً ، فما هو الحديث الذي استدل به ، وعلى أي شيء استدل به ؟ . ٤٥٨
- س ٧٧٠ : استدل الشارح بقوله ﷺ : "كلمتان خفيفتان على اللسان ، ثقيلتان في الميزان . " الحديث فعلام استدل به ؟ . ٤٥٨
- س ٧٧١ : ما الذي يوزن يوم القيامة ؟ وكيف ترد على بعض الملاحدة الذين يقولون : الأعمال أعراض لا تقبل الوزن ، وإنما يقبل الوزن الأجسام ؟ . ٤٥٩
- س ٧٧٢ : أيهما قبل الآخر في عرصات القيامة ؛ الميزان أم الصراط ، مع الاستدلال ؟ . ٤٦٠
- س ٧٧٣ : مَنْ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ جَعَلَ صِرَاطاً ثَانِياً؟ ولِمَنْ خَصَّهُ؟ وبماذا استدل ؟ . ٤٦٠
- س ٧٧٤ : أيهما يسبق الآخر يوم القيامة ، الميزان أم الحوض ؟ . ٤٦٠
- س ٧٧٥ : ما قول أهل السنة والجماعة في الجنة والنار ، هل هما مخلوقتان أم لا ؟ ومن الذي خالفهم في ذلك ؟ . ٤٦٣
- س ٧٧٦ : ما الذي حمل المعتزلة والقدرية على إنكار وجود الجنة والنار الآن ؟ مع الاستدلال على خلقها ووجودها الآن ؟ . ٤٦٣
- س ٧٧٧ : استدل الشارح بقوله ﷺ : "وايم الذي نفسي بيده ، لو رأيتم ما رأيتم لضحكتم قليلاً . " أكمل الحديث ، وعلام استدل به الشارح ؟ . ٤٦٥
- س ٧٧٨ : لماذا استدل الشارح بحديث كعب بن مالك : "إنما نسمة المؤمن طير يعلق في شجر الجنة . " الحديث ؟ . ٤٦٥
- س ٧٧٩ : يحتج من قال : إن الجنة الموعود بها لم تخلق بعد بقوله تعالى : ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ فما وجه استدلالهم ؟ وبماذا يرد عليهم ؟ . ٤٦٦
- س ٧٨٠ : احتج من قال : إن الجنة الموعود بها لم تخلق بعد بقوله ﷺ في الحديث : "إنها قيعان . " . أكمل استدلالهم بإيراد النصوص التي استدلو بها ؟ وما وجه استدلالهم ؟ وبماذا يرد عليهم ؟ . ٤٦٦
- س ٧٨١ : هل أجمع أهل السنة والجماعة أن الجنة والنار لا تفتيان أبداً ولا تبيدان ؟ . ٤٦٧
- س ٧٨٢ : من الذي قال بفناء الجنة والنار ؟ وهل اتبع أحداً يعتد به في ذلك ؟ . ٤٦٧
- س ٧٨٣ : اتخذت إحدى الفرق قاعدة عدتها من أصولها ، وهي : "امتناع وجود ما لا يتناهى من الحوادث " ، فمن هي ؟ ولم قالت بهذا الأصل الفاسد ؟ ورد عليهم رداً عقلياً واحداً وثلاثة ردود شرعية ؟ . ٤٦٨
- س ٧٨٤ : من الذي قال : إن أهل الجنة والنار تفنى حركاتهم ، ويصيرون جماداً لا يحسون بشئ ؟ وهل له سلف في ذلك ؟ وبم يُرد عليه ؟ . ٤٦٨

- س ٧٨٥ : ما نوع الاستثناء المذكور في قوله تعالى : ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سُودُوا فَيَ الْجَنَّةِ خَلِيلِينَ فِيهَا مَا دَامَتْ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرٌ يُحْدَوِزُ﴾ ؟ ٤٦٩
- س ٧٨٦ : ما معنى قوله تعالى : ﴿عَطَاءٌ غَيْرٌ يُحْدَوِزُ﴾ ؟ وهل هو من المتشابه ؟ ٤٧٠
- س ٧٨٧ : ما نوع الاستثناء في قوله تعالى : ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى﴾ . وماذا أفاد ؟ ٤٧٠
- س ٧٨٨ : روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه : "ينادي مناد : يا أهل الجنة .. " ، أكمل الحديث ، وعلام استدل به الشارح ؟ ٤٧٠
- س ٧٨٩ : ما حديث ذبح الموت ؟ وعلام استدل به الشارح ؟ ٤٧٠
- س ٧٩٠ : ما أقوال الناس في أبدية النار ودوامها ؟ ٤٧١
- س ٧٩١ : ما قول اليهود في النار ودوامها ، وبم يرد عليهم ؟ ٤٧١
- س ٧٩٢ : ذكر ابن أبي العز أقوال الناس في أبدية النار ودوامها في ثمانية أقوال ، وقرر أنها أقوال ظاهرة البطلان ، عدا قولين اثنين ينظر في دليلهما فما هما ؟ ٤٧٢
- س ٧٩٣ : عمن نقل القول بفناء النار من أهل السنة ، وما أدلتهم ؟ ٤٧٢
- س ٧٩٤ : كيف يجيب من قال بفناء النار على ما ورد من الأدلة من الخلود فيها ، والتأبيد ، وعدم الخروج ، وأن عذابها مقيم ، وأنه غرام ؟ ٤٧٣
- س ٧٩٥ : اذكر بعض أدلة القائلين ببقاء النار وعدم فنائها ؟ ٤٧٣
- س ٧٩٦ : هل يخرج أحد من النار وقد دخلها ؟ ٤٧٤
- س ٧٩٧ : ما الدليل على أن النار لما خلقت خلقت لها أهلاً ؟ ٤٧٤
- س ٧٩٨ : ما المراد بقوله تعالى : ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ ؟ ٤٧٤
- س ٧٩٩ : ورد في تقسيم الشارح في أقسام الهداية النوع الثاني المتحرك بإرادته ، فإلى كم ينقسم هذا الصنف ؟ ٤٧٥
- س ٨٠٠ : ورد في أنواع الهداية النوع الثاني المتحرك بإرادته ، وقسمه إلى أقسام ثلاثة ، منها الثالث الذي يتأني منه الخير والشر ، فما هذا النوع ، وإلى كم صنف يكون ؟ ٤٧٥
- س ٨٠١ : ما معنى قول الطحاوي : " فمن شاء منهم إلى الجنة فضلاً منه ، ومن شاء منهم إلى النار عدلاً منه .. " ٤٧٦
- س ٨٠٢ : ما قول عامة أهل السنة والجماعة في الاستطاعة ؟ ٤٧٩
- س ٨٠٣ : من الذي خالف أهل السنة والجماعة في الاستطاعة ؟ ٤٧٩
- س ٨٠٤ : ما القدرة التي تكون مع الفعل ؟ ، وما القدرة التي تتقدم الفعل ، مع الاستدلال ؟ ٤٨٢
- س ٨٠٥ : ما دليل ثبوت الاستطاعة التي هي حقيقة الفعل ؟ ٤٨٣
- س ٨٠٦ : ما قول القدرية في إقدار الله للمؤمن في فعل الطاعة ؟ وبماذا يرد عليهم ؟ ٤٨٣
- س ٨٠٧ : تقول القدرية بأن التزيين المراد به في الآية : ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبِيبٌ إِلَيْكُمْ إِلَيْكُمْ وَرَزَقَهُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ . أنه عام لكل الخلق ، وهو بمعنى البيان وإظهار دلائل الحق ! فكيف ترد عليهم ؟ ٤٨٥
- س ٨٠٨ : كم أنواع القدرة ؟ وبأيها يتعلق الأمر والنهي ؟ ٤٨٥
- س ٨٠٩ : ذكر أنفاً أن الاستطاعة (القدرة) نوعان : متقدمة صالحة للضدين ، ومقارنة لا تكون إلا مع الفعل . استدل لكل نوع منها بدليلين شرعيين ؟ ٤٨٦
- س ٨١٠ : (الفعل ممكن مع المفسدة الراجعة) ، مثل لهذا القول ، وهل يمكن الفعل مع المفسدة الراجعة ؟ وهل تكون هذه استطاعة شرعية ؟ ٤٨٧

- س ٨١١ : ذكر أنفأ أن الاستطاعة نوعان، ولكل واحد منهما أدلة شرعية، فأبي النوعين الشرعي والكوني؟ ٤٨٧
- س ٨١٢ : قال بعض الناس إن القدرة والاستطاعة لا تكون إلا مع الفعل، فرد عليهم بثلاثة ردود شرعية، ورد عقلي واحد؟ ٤٨٧
- س ٨١٣ : ما قول أهل البدع في أفعال العباد الاختيارية؟ ٤٩١
- س ٨١٤ : ما قول أهل الحق في أفعال العباد الاختيارية؟ ٤٩١
- س ٨١٥ : هل يستفاد من قول أهل البدع الجبرية والقدرة في إثبات المعتقد الحق في أفعال العباد؟ ٤٩٢
- س ٨١٦ : من الذي استدل بقوله تعالى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾ وما وجه استدلاله؟ وهل وافق الحق؟ ٤٩٢
- س ٨١٧ : من الذي استدل بقوله ﷺ: "لن يدخل أحد الجنة بعمله" الحديث، وما وجه استدلاله؟ وهل وافق الحق؟ ٤٩٣
- س ٨١٨ : من الذي استدل بقوله تعالى: ﴿جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ﴿وَلَئِكَ لَئِنَّهُ أَلْقَىٰ أَوْثَرَهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ (٧٦)؟ ٤٩٣
- س ٨١٩ : استدلت المعتزلة على أن أفعال العباد ليست مخلوقة لله تعالى، وأنهم يخلقون أفعالهم بدليل، فما هذا الدليل؟ وبماذا يُرد عليهم؟ ٤٩٣
- س ٨٢٠ : ذكر الشارح قولين أحدهما: لأبي الحسن البصري، إمام المتأخرين من المعتزلة، والثاني للزاي. اذكر القولين، وبم يرد عليهما؟ ٤٩٤
- س ٨٢١ : إن قال قائل: كيف يستقيم الحكم على قولكم بأن الله يعذب المكلفين على ذنوبهم وهو خلقها فيهم؟ فأين العدل في تعذيبهم على ذنوبهم وهو خلقها فيهم؟ فكيف الجواب على هذه الشبهة؟ ٤٩٥
- س ٨٢٢ : إن قال المعتزلي: إذا حكمتكم باستحالة الإيجاد من العبد، فلا فعل للعبد أصلاً، فبم يجاب؟ ٤٩٨
- س ٨٢٣ : ثبت أن العبد فاعل حقيقة، وأن أفعاله نوعان، فما هما؟ ٤٩٩
- س ٨٢٤ : ذكر الشارح أن أفعال العباد نوعان: نوع يكون منه من غير اقتران قدرته وإرادته، ونوع يكون مقارناً لإيجاد قدرته واختياره، فيكون صفة وفعلًا وكسباً للعبد، فهل يوصف الله تعالى بالإيجاب، لهذا النوع الثاني؟ ٤٩٩
- س ٨٢٥ : إن قال المعتزلي منكرأ خلق أفعال العباد: إن خلق الفعل مع العقوبة عليه ظلم. فبماذا يجاب؟ ٤٩٩
- س ٨٢٦ : ما معنى قول الطحاوي عن أفعال العباد وكونها مخلوقة لله تعالى: "... وكسب من العباد"؟ ٥٠٠
- س ٨٢٧ : هل يكلف الله عباده ما لا يطيقون؟ ٥٠٠
- س ٨٢٨ : من الذي نقل عنه أنه قال: إن تكليف ما لا يطاق جائز عقلاً؟ ٥٠٠
- س ٨٢٩ : يستدل من يقول بأن تكليف ما لا يطاق به جائز عقلاً وشرعاً، ويستدل على الشرعي بأمر أبي لهب بالإيمان، وأنه تعالى أخبر بأنه لا يؤمن، وأنه سيصلى ناراً ذات لهب، فكان مأموراً بأنه لا يؤمن، وهذا تكليف بالجمع بين الضدين، فكيف يجاب عن هذا؟ ٥٠٠
- س ٨٣٠ : هل يجوز تكليف الممتنع عادة؟ ٥٠١

- س ٨٣١ : ما معنى قول الطحاوي : " ولا يطيقون إلا ما كلفهم به "؟ وما الإشكال الذي ذكره الشارح في كلام الشيخ؟ ٥٠٢
- س ٨٣٢ : ما المراد بالقضاء في قول الإمام الطحاوي : " وكل شيء يجري بمشيئة الله وعلمه وقضائه وقدره "؟ ٥٠٣
- س ٨٣٣ : استدل على القضاء الكوني والقضاء الشرعي بدليل لكل منهما؟ ٥٠٣
- س ٨٣٤ : استدل على الأمر الكوني والأمر الشرعي بدليل لكل منهما؟ ٥٠٣
- س ٨٣٥ : استدل على الإذن الكوني والإذن الشرعي بدليل لكل منهما؟ ٥٠٣
- س ٨٣٦ : استدل على الكتاب الكوني والكتاب الشرعي بدليل لكل منهما؟ ٥٠٤
- س ٨٣٧ : استدل على الحكم الكوني والحكم الشرعي بدليل لكل منهما؟ ٥٠٤
- س ٨٣٨ : استدل على التحريم الكوني والتحريم الشرعي بدليل لكل منهما؟ ٥٠٤
- س ٨٣٩ : استدل على الكلمات الكونية والكلمات الشرعية بدليل لكل منهما؟ ٥٠٤
- س ٨٤٠ : على من رد الطحاوي بقوله : " يفعل ما يشاء ، وهو غير ظالم أبداً "؟ ٥٠٤
- س ٨٤١ : هل الظلم عبارة عن الممتنع الذي لا يدخل تحت القدرة؟ ومن قال هذا القول؟ وبم يرد عليه إن كان غير صواب؟ ٥٠٥
- س ٨٤٢ : ما الذي دل عليه قوله ﷺ في الحديث القدسي : " يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي ، وجعلته بينكم محرماً ، فلا تظالموا "؟ ٥٠٦
- س ٨٤٣ : ما تفسير قوله تعالى : ﴿ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴾؟ ومن استدل بها؟ ٥٠٧
- س ٨٤٤ : ورد في الحديث : " أن الله لو عذب أهل سماواته وأرضه ، لعذبهم وهو غير ظالم لهم ، ولو رحمهم كانت رحمته خيراً لهم من أعمالهم " . احتجت طائفة من أهل البدع بهذا الحديث ، وكذبته طائفة أخرى . اذكرهما مع بيان الصحيح؟ ٥٠٧
- س ٨٤٥ : ذكر الشارح أن أهل السنة هم أسعد الناس بالحديث الأنف ، الذين قابلوه بالتصديق . إلخ ، ثم ذكر حق الرب على أهل السماوات والأرض ، من طاعة وذكر وشكر وخشية وتوكل . إلخ ، فهل ذلك مقدور عليه؟ ٥٠٨
- س ٨٤٦ : اتفق أهل السنة أن الأموات يتنفعون من سعي الأحياء بأمرين ، اذكرهما؟ ٥١٣
- س ٨٤٧ : هل يصل ثواب الحج كله أم النفقة فقط؟ أوضح ذلك ٥١٣
- س ٨٤٨ : هل يصل ثواب الأعمال البدنية ، كالصوم والصلاة ، وقراءة القرآن والذكر ، ونحوها إلى الميت؟ ٥١٣
- س ٨٤٩ : هل خالف أحد في وصول الدعاء وغيره من الأعمال إلى الميت؟ ٥١٣
- س ٨٥٠ : ما الأدلة التي استدلت بها أهل البدع على إنكار وصول الدعاء وغيره من الأعمال إلى الميت؟ ٥١٤
- س ٨٥١ : أكمل الحديث الآتي : " لا يصلي أحد عن أحد . . . " ومن الذي استدل به؟ ٥١٤
- س ٨٥٢ : ذكر ابن أبي العزير رحمه الله ، الخلاف بين أهل العلم : ما الذي يصل إلى الميت من الثواب ، هل يصل إليه ما تسبب فيه لا غير ، أم يصله غير ذلك ، من الأعمال ، فما الراجح من أقوالهم؟ ٥١٤
- س ٨٥٣ : ما الدليل من الكتاب على القول الراجح من انتفاع الميت بسعي الحي بغير ما تسبب فيه الميت في حياته؟ ٥١٤
- س ٨٥٤ : ما الدليل من السنة على القول الراجح من انتفاع الميت بسعي الحي بغير ما تسبب فيه الميت في حياته؟ ٥١٥

- س ٨٥٥ : ما الدليل من السنة على وصول ثواب الصدقة إلى الميت ، ولم أوردته الشارح في هذا الموضوع ؟ ٥١٥
- س ٨٥٦ : ما الدليل من السنة على وصول ثواب الصوم إلى الميت ، ولم أوردته الشارح في هذا الموضوع ؟ ٥١٦
- س ٨٥٧ : ما الدليل من السنة على وصول ثواب الحج إلى الميت ، ولم أوردته الشارح في هذا الموضوع ؟ ٥١٦
- س ٨٥٨ : ما دليل الإجماع والقياس على وصول الثواب إلى الميت بغير ما تسبب فيه ؟ ٥١٦
- س ٨٥٩ : من الذي استدلل بقوله تعالى : ﴿وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾ (٢٨) ؟ وهل توافقه على هذا الاستدلال ؟ وإن كان الجواب : بلا ، فبماذا تجيب عليه ؟ ٥١٧
- س ٨٦٠ : من الذي استدلل بقوله تعالى : ﴿أَلَا نُرِذُّ وَرِزَّةً وَرِزَّةً تَأْتِي﴾ (٢٨) وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى (٢٩) ؟ وهل توافقه على هذا الاستدلال ؟ وإن كان الجواب : بلا ، فبماذا تجيب عليه ؟ ٥١٨
- س ٨٦١ : من الذي استدلل بقوله تعالى : ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ﴾ وقوله : ﴿وَلَا تُحْزَنُونَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ ؟ وهل توافقه على هذا الاستدلال ؟ وإن كان الجواب : بلا ، فبماذا تجيب عليه ؟ ٥١٨
- س ٨٦٢ : يستدل من يزعم عدم وصول الثواب إلى الميت بقول الرسول ﷺ : "إذا مات ابن آدم انقطع عمله" ، فكيف تجيب عليه ؟ ٥١٨
- س ٨٦٣ : هل فرق الشارح بين العبادات المالية والبدنية في وصول ثوابها إلى الميت ؟ أوضح ذلك ؟ ٥١٩
- س ٨٦٤ : ما حكم الاستئجار على تلاوة القرآن وإهدائها للميت ؟ ٥١٩
- س ٨٦٥ : ما العلة في عدم جواز الاستئجار على تلاوة القرآن وإهدائها للميت ؟ ٥٢٠
- س ٨٦٦ : هل يصل ثواب قراءة القرآن وإهدائها للميت تطوعاً بغير أجره ؟ ٥٢٠
- س ٨٦٧ : إن اعترض معترض - على عدم وصول ثواب تلاوة القرآن وإهدائها للميت بغير أجره - بأن هذا لم يكن معروفاً في السلف ، ولا أرشد إليه النبي ﷺ ، فبماذا يجاب ؟ ٥٢٠
- س ٨٦٨ : إن قال المعترض - على عدم وصول ثواب تلاوة القرآن وإهدائها للميت بغير أجره - أن الرسول ﷺ أرشدهم إلى الصوم والحج والصدقة دون القراءة ، فكيف تجيب ؟ ٥٢٠
- س ٨٦٩ : ما حكم إهداء قراءة القرآن وغيرها للرسول ﷺ ؟ ٥٢١
- س ٨٧٠ : إن قال قائل : إن الميت ينتفع بقراءة القرآن عنده ، باعتبار سماعه كلام الله . فما صحة هذا القول ؟ ولماذا ؟ ٥٢١
- س ٨٧١ : ما حكم قراءة القرآن عند القبور ؟ ٥٢١
- س ٨٧٢ : من الذي قال بكرهية القراءة عند القبور من أهل العلم ؟ ولماذا ؟ ٥٢١
- س ٨٧٣ : من الذي قال بأنه لا بأس بقراءة القرآن عند القبور من أهل العلم ؟ وبماذا استدلوا ؟ ٥٢١
- س ٨٧٤ : مَنْ مِنَ العلماء قال لا بأس بقراءة القرآن عند القبور وقت الدفن فقط ؟ وبماذا أخذ ؟ ٥٢٢
- س ٨٧٥ : ما حكم التناوب في قراءة القرآن عند القبور ؟ ولم ؟ ٥٢٢
- س ٨٧٦ : ما منزلة الدعاء في الإسلام ؟ ٥٢٢
- س ٨٧٧ : هل يستجيب الله دعاء المضطرين من الكافرين ؟ ولماذا ؟ ٥٢٣
- س ٨٧٨ : في تَذْبِ الله تعالى - كما ورد آنفاً - إلى الدعاء وفي ذلك معانٍ ، اذكرها ؟ ٥٢٣
- س ٨٧٩ : كيف كانت مشروعية الدعاء ، رداً على الطائعتين وغيرهم ؟ ٥٢٣
- س ٨٨٠ : من هم الذين زعموا أن الدعاء لا فائدة فيه ؟ ٥٢٣
- س ٨٨١ : ما شبهة الذين زعموا أن الدعاء لا فائدة فيه ؟ ورد عليهم رداً شرعياً وعقلياً ؟ ٥٢٤

- س ٨٨٢ : أجب على شبهة الذين زعموا أن الدعاء لا فائدة فيه بمنع المقدمات وما يترتب عليها؟ . ٥٢٤
- س ٨٨٣ : ما الانحراف الذي يقع فيه بعض الناس في السبب أو الأسباب؟ . ٥٢٤
- س ٨٨٤ : لماذا كان الالتفات إلى الأسباب شرك في التوحيد؟ . ٥٢٥
- س ٨٨٥ : من شبه الذين زعموا أن الدعاء لا فائدة فيه ، قولهم : إن اقتضت المشيئة المطلوب ، فلا حاجة إلى الدعاء . فماذا يقال لهم؟ . ٥٢٥
- س ٨٨٦ : من شبه الذين زعموا أن الدعاء لا فائدة فيه ، قولهم : إن اقتضت المشيئة المطلوب ، فلا حاجة إلى الدعاء ، (وقد أجبنا عليه آنفاً) ، وإن لم تقتضه ، فلا فائدة فيه . فماذا يرد عليهم في هذا القول الآخر؟ . ٥٢٥
- س ٨٨٧ : من شبه الذين زعموا أن الدعاء لا فائدة فيه ، قولهم : أنه إذا كان إعطاء الله مُعلَّلاً بفعل العبد ، كان السائل قد أقر في المسؤول حتى أعطاه؟! فبم يجب؟ . ٥٢٥
- س ٨٨٨ : إن قال قائل : إن من الناس من يسأل الله شيئاً فلا يعطى ، أو قد يُعطى غير ما سأل ، فماذا يجب؟ . ٥٢٦
- س ٨٨٩ : ما معنى قول الطحاوي في وصف الرب تعالى : " . ومن استغنى عن الله طرفة عين ، فقد كفر ، وصار من أهل الحَيْن ؟" . ٥٢٨
- س ٨٩٠ : استدل لعنوان الفصل من كتاب الله تعالى ؟ . ٥٣١
- س ٨٩١ : ما مذهب السلف في صفتي الغضب والرضى للرب تعالى ؟ . ٥٣١
- س ٨٩٢ : لماذا أقيد الشيخ الصفتين السابقتين (الغضب والرضى) بقوله : "لا كأحد من الورى"؟ . ٥٣٢
- س ٨٩٣ : كيف يُرد على من تأول الغضب بأنه : إرادة الانتقام ، والرضى : إرادة الإحسان؟ . ٥٣٢
- س ٨٩٤ : إن قال من ينفي صفتي الرضى والغضب عن الله : بأن الإرادة التي يوصف الله بها ، مخالفة للإرادة التي يوصف بها العبد ، ومراده بذلك إثبات معنى التحريف الذي زعمه لصفتي الرضى والغضب . فبم ترد عليه؟ . ٥٣٣
- س ٨٩٥ : ما قول الجهم بن صفوان في صفتي الغضب والرضى؟ . ٥٣٤
- س ٨٩٦ : ما قول ابن كلاب ومن وافقه في صفتي الغضب والرضى؟ . ٥٣٤
- س ٨٩٧ : بماذا يُرد على نفاة الصفات كالمعتزلة والكلابية وغيرهم ، في إثبات صفتي الرضى والغضب ، وأن الله يرضى ويغضب في وقت دون وقت؟ . ٥٣٤
- س ٨٩٨ : على من رد الإمام الطحاوي بقوله : "ونحب أصحاب رسول الله ﷺ ولا نفرط في حب أحدٍ منهم" . ؟ . ٥٣٩
- س ٨٩٩ : أورد بعض الأدلة من القرآن الكريم في الثناء على الصحابة؟ . ٥٣٩
- س ٩٠٠ : استدل ببعض الأدلة من السنة في الثناء على الصحابة رضي الله عنهم؟ . ٥٤٠
- س ٩٠١ : من هم السابقون الأولون المذكورون في الآيات والأحاديث؟ . ٥٤١
- س ٩٠٢ : ما صحة حديث : "أصحابي كالنجوم" . ؟ . ٥٤١
- س ٩٠٣ : استدل بأقوال بعض الصحابة في الثناء على الصحابة رضي الله عنهم؟ . ٥٤٢
- س ٩٠٤ : لم قال الطحاوي : "ولا نفرط في حب أحدٍ منهم"؟ . ٥٤٢
- س ٩٠٥ : ما معتقد الرافضة في التَّوَلَّى والتَّبَرَّى؟ وما معتقد أهل السنة فيهما؟ . ٥٤٢
- س ٩٠٦ : لماذا كان حب الصحابة دين وإيمان وإحسان ، وبغضهم كفر ونفاق وطغيان ، كما قال الإمام الطحاوي؟ . ٥٤٣
- س ٩٠٧ : ما المشكل في قول الطحاوي : "وحبهم دين وإيمان وإحسان"؟ . ٥٤٣

- س ٩٠٨ : لمن كانت الخلافة بعد النبي ﷺ وكيف ثبتت له؟ ٥٤٤
- س ٩٠٩ : ما أدلة الذين قالوا : إن الخلافة ثبتت لأبي بكر الصديق بالنص؟ ٥٤٤
- س ٩١٠ : ما حجة الذين قالوا : إن النبي ﷺ لم يستخلف أحداً بنص؟ ٥٤٦
- س ٩١١ : ما الذي رجحه الشارح في قضية استخلاف أبي بكر، هل كانت بنص أم لا؟ ٥٤٦
- س ٩١٢ : استدل بثلاثة نصوص من السنة في فضائل الصديق ﷺ؟ ٥٤٨
- س ٩١٣ : من الذي خلف الصديق؟ وكيف كان الاستخلاف؟ ٥٤٩
- س ٩١٤ : هل لك أن تذكر بعض فضائل عمر بن الخطاب ﷺ من السنة؟ ٥٥٠
- س ٩١٥ : من الذي خلف عمر في إمرة المسلمين، وكيف كان تولي الخلافة؟ ٥٥١
- س ٩١٦ : اذكر بعض فضائل الخليفة الثالث، عثمان ﷺ؟ ٥٥٤
- س ٩١٧ : من الذي تولى الخلافة بعد عثمان ﷺ، وكيف كان استخلافه؟ ٥٥٤
- س ٩١٨ : هل أجمع الصحابة والمسلمون على خلافة علي؟ ٥٥٥
- س ٩١٩ : قال ﷺ : "خلافة النبوة ثلاثون..." . أكمل الحديث، وما معتقد أهل السنة في هذا الحديث؟ ٥٥٥
- س ٩٢٠ : كم كانت مدة خلافة الخلفاء الراشدين المهديين؟ ٥٥٥
- س ٩٢١ : هل كانت خلافة معاوية ﷺ شرعية؟ وكيف كان توليه الخلافة؟ ٥٥٦
- س ٩٢٢ : هل وقعت خصومة وقاتل بين علي ومعاوية رضي الله عنهما؟ ومع من كان الحق؟ ٥٥٦
- س ٩٢٣ : ما موقف أكابر الصحابة من الفتنة التي وقعت بين علي بن أبي طالب ﷺ، ومعاوية ﷺ؟ ولماذا؟ ٥٥٧
- س ٩٢٤ : ما موقفنا نحن من تلك الفتنة؟ ٥٥٧
- س ٩٢٥ : اذكر بعض فضائل علي بن أبي طالب ﷺ؟ ٥٥٧
- س ٩٢٦ : ما الدليل على قول الطحاوي في وصف الخلفاء الأربعة : "وهم الخلفاء الراشدون، والأئمة المهديون"؟ ٥٥٨
- س ٩٢٧ : كيف رتب أهل السنة والجماعة، الخلفاء الأربعة في الفضل؟ ٥٥٨
- س ٩٢٨ : استدل لقول أهل السنة والجماعة في ترتيبهم الآنف؟ ٥٥٩
- س ٩٢٩ : هل تميز أبو بكر وعمر رضي الله عنهما عن غيرهما بمزية؟ ٥٥٩
- س ٩٣٠ : من هم العشرة المبشرون بالجنة؟ ٥٥٩
- س ٩٣١ : استدل لفضل سعد بن أبي وقاص ﷺ؟ ٥٦٠
- س ٩٣٢ : استدل لفضل طلحة بن عبيد الله ﷺ؟ ٥٦٠
- س ٩٣٣ : استدل لفضل الزبير بن العوام ﷺ؟ ٥٦٠
- س ٩٣٤ : استدل لفضل أبي عبيدة ﷺ؟ ٥٦١
- س ٩٣٥ : استدل لفضل سعيد بن زيد ﷺ؟ ٥٦١
- س ٩٣٦ : استدل لفضل عبد الرحمن بن عوف ﷺ؟ ٥٦١
- س ٩٣٧ : استدل لفضل الأربعة الراشدين، وطلحة والزبير، رضي الله عنهم؟ ٥٦١
- س ٩٣٨ : ما منزلة هؤلاء العشرة عند أهل السنة والجماعة؟ وما منزلتهم عند الرافضة الاثني عشرية؟ ٥٦٢
- س ٩٣٩ : لماذا تبغض الرافضة لفظ العشرة وتهجره؟ وبماذا يرد عليهم؟ ٥٦٢
- س ٩٤٠ : ما معتقد أهل السنة والجماعة، ومعتقد الرافضة في أصحاب رسول الله ﷺ وأهل بيته؟ ٥٦٣

- س ٩٤١ : من توالي الرافضة بدل العشرة المبشرين بالجنة والصحابة؟ ٥٦٥
- س ٩٤٢ : ما معتقد أهل السنة والجماعة في هذا الحديث : "لا يزال الإسلام عزيزاً إلى اثني عشر خليفة" وما معتقد الرافضة فيه؟ ٥٦٥
- س ٩٤٣ : ما واجب المسلمين تجاه أصحاب رسول الله ﷺ وآل بيته؟ ٥٦٦
- س ٩٤٤ : قال الطحاوي : "ومن أحسن القول في أصحاب رسول الله ﷺ ، وأزواجه الطاهرات من كل دُنُس ، وذرياته المقدسين من كل رَجَسٍ ، فقد برىء من النفاق" ، لم خصص كلامه بقوله : "فقد برىء من النفاق"؟ ٥٦٧
- س ٩٤٥ : اثنان أصلهما واحد ، أسسا ديانتين ، فمن هما؟ وكيف وقع ذلك؟ ٥٦٧
- س ٩٤٦ : ماذا فعل عليّ ﷺ بمن فضله على الشيخين؟ ٥٦٨
- س ٩٤٧ : لماذا كان باب الرفض باب الزندقة ، ومنه دخل جميع الزنادقة؟ ٥٦٨
- س ٩٤٨ : ما واجب الأمة تجاه علماء السلف من السابقين ومن بعدهم؟ ٥٦٩
- س ٩٤٩ : ما الأعداء التي يعتذر بها أهل السنة لأئمة المسلمين من العلماء إذا وجدوا لواحد منهم قولاً قد جاء الحديث الصحيح بخلافه؟ ٥٦٩
- س ٩٥٠ : لم أورد الطحاوي قوله : "ولا نفضل أحداً من الأولياء على أحد من الأنبياء ﷺ" ٥٧٣
- س ٩٥١ : كيف يكون حال من لم يتبع ما جاء به الرسول ﷺ؟ ٥٧٣
- س ٩٥٢ : علمنا أن اتباع الهوى أدى بغلاة الصوفية إلى تفضيل الولي على النبي ، فلماذا فعلوا ذلك؟ ٥٧٤
- س ٩٥٣ : ما الفرق بين الولاية عند غلاة الصوفية ، وعند أهل السنة والجماعة؟ ٥٧٥
- س ٩٥٤ : بين الشارح رحمه الله كفر ابن عربي وأمثاله وزندقتهم وإلحادهم . فما الفرق بين كفر هؤلاء وكفر المنافقين؟ ٥٧٦
- س ٩٥٥ : ما معتقد أهل السنة في كرامات الأولياء؟ ٥٧٦
- س ٩٥٦ : ما الذي يجمع بين المعجزة والكرامة ويفرق بينهما؟ ٥٧٦
- س ٩٥٧ : ما صفات الكمال التي تبرز الرسول ﷺ منها؟ ٥٧٧
- س ٩٥٨ : لماذا تبرز الرسول ﷺ ونوح ﷺ من صفات الكمال هذه؟ ٥٧٧
- س ٩٥٩ : الخوارق ثلاثة أنواع ، فما هي؟ ٥٧٨
- س ٩٦٠ : كم أقسام الناس في الخارق للعادة ، بناءً على أنواعه الثلاثة؟ ٥٧٩
- س ٩٦١ : يتنوع الكشف والتأثير باعتبار شيء ، ما هو؟ ٥٧٩
- س ٩٦٢ : ما كلمات الله الكونية والشرعية؟ ٥٧٩
- س ٩٦٣ : ما حظ العباد من النوعين السابقين؟ ٥٨٠
- س ٩٦٤ : ما القدرة في الكلمات الكونية والكلمات الشرعية؟ وهل يضر العبد عدم الخوارق علماً وقدرة؟ ٥٨٠
- س ٩٦٥ : ما الحكم فيمن جعل الخوارق مقصودة ، وجعل الدين تابعاً للخوارق أو غيرها؟ ٥٨٠
- س ٩٦٦ : من الذين أنكروا الكرامة؟ وما شبهتهم؟ وبماذا يرد عليهم؟ ٥٨١
- س ٩٦٧ : ما أنواع الفراسة؟ ٥٨٢
- س ٩٦٨ : لماذا أورد الشارح أنواع الفراسة في هذا الموضع؟ ٥٨٢
- س ٩٦٩ : ما معتقد أهل السنة والجماعة في أشرار الساعة؟ ٥٨٣
- س ٩٧٠ : استدل لبعض أشرار الساعة الصغرى بدليل من السنة المطهرة؟ ٥٨٣

- س ٩٧١ : استدل لأشراط الساعة العشر الكبرى من السنة المطهرة؟ ٥٨٣
- س ٩٧٢ : استدل للدجال وصفته، من السنة المطهرة؟ ٥٨٣
- س ٩٧٣ : استدل لنزول المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام، من السنة المطهرة؟ ٥٨٤
- س ٩٧٤ : استدل لخروج الدابة وطلوع الشمس من مغربها، من القرآن الكريم، ومن السنة المطهرة؟ ٥٨٤
- س ٩٧٥ : استدل بدليل من السنة على أول الآيات الكبرى طلوعاً؟ ٥٨٤
- س ٩٧٦ : من المعلوم أنه عند خروج إحدى الآيتين العظيمين يختم على العمل، فكيف يُقبل الجهاد والعمل الصالح بعدهما، مع عيسى عليه السلام وغيره، باعتبارها أول آية من الكبرى؟ ٥٨٥
- س ٩٧٧ : هل يجوز أن يصدق الكاهن والعزاف؟ ٥٨٥
- س ٩٧٨ : ما الفرق بين الكاهن والعزاف؟ وهل لهم تأثير على حياة البشر؟ ٥٨٥
- س ٩٧٩ : ورد في الحديث الصحيح: " . . . وحلوان الكاهن" فما هو، وعلام يدل؟ ٥٨٦
- س ٩٨٠ : استدل على تحريم التنجيم وصناعاته وتعاطية، بأدلة من القرآن الكريم، والسنة المطهرة؟ ٥٨٦
- س ٩٨١ : ما الواجب على ولي الأمر تجاه هؤلاء السحرة والكهان وغيرهم؟ ٥٨٧
- س ٩٨٢ : ما أنواع الذين يفعلون هذه الأفعال الخارجة عن الكتاب والسنة؟ ٥٨٧
- س ٩٨٣ : ما الحكم الشرعي في الساحر؟ ٥٨٨
- س ٩٨٤ : هل للسحر حقيقة؟ ٥٨٨
- س ٩٨٥ : ما حكم دعوة الكواكب أو ما كان من جنسها، مع الاستدلال؟ ٥٨٨
- س ٩٨٦ : ما حكم التكلم بما فيه شرك، من رقى وعزائم وأقسام، وغير ذلك؟ ٥٨٩
- س ٩٨٧ : ما حكم الاستعاذة بالجن ودعائهم؟ ٥٨٩
- س ٩٨٨ : ذكر الشارح أن للناس في (النوع الثالث: فيمن يتكلم بالأحوال الشيطانية ومخاطبة رجال الغيب) ثلاثة أقوال أو على ثلاثة أحزاب. فما هي؟ مع بيان القول الصحيح؟ ٥٩٠
- س ٩٨٩ : يقول بعض الناس: الفقراء يُسلم إليهم حالهم! فلا يُعترض على أفعالهم وأقوالهم. فما الحكم الشرعي فيه؟ ٥٩٠
- س ٩٩٠ : ما حكم من يزعم أنه من الأولياء، مع تركه متابعة الرسول ﷺ وعدم تصديقه فيما أخبر، ولا الالتزام بما أمر؟ ٥٩١
- س ٩٩١ : ما صحة حديث: "أطلعت إلى الجنة فرأيت أكثر أهلها البله"؟ ٥٩٢
- س ٩٩٢ : من هي الطائفة الملامية؟ ٥٩٢
- س ٩٩٣ : ما حكم الذين يصعدون عند سماع الأنغام الحسنة؟ ٥٩٢
- س ٩٩٤ : ما حكم الذين يتعبدون بالرياضات والخلوات، ويتركون الجمع والجماعات؟ ٥٩٣
- س ٩٩٥ : يقول بعض الناس: إنه يجوز الاستغناء عن الوحي والشرع الذي جاء به الرسول ﷺ، بالعلم اللدني، كما وقع لموسى مع الخضر. فما الحكم الشرعي لهذا القول؟ ٥٩٤
- س ٩٩٦ : ما قول أهل السنة والجماعة في اجتماع كلمة المسلمين؟ ٥٩٧
- س ٩٩٧ : استدل على وجوب الاجتماع وذم الفرقة بين المسلمين؟ ٥٩٧
- س ٩٩٨ : ما حكم الدماء والأعراض والأموال التي أصيبت في الفتنة بين المسلمين؟ ٥٩٨
- س ٩٩٩ : ما الواجب على المسلمين عند التنازع في مسائل الأصول أو الفروع؟ ٥٩٨
- س ١٠٠٠ : ذكر الشارح أن الاختلاف في الأصل (في المسائل الشرعية) نوعان، ما هما؟ ٥٩٩
- س ١٠٠١ : ما هو اختلاف التنوع واختلاف التضاد، مع التوضيح لكل ما تقول؟ ٥٩٩

- س ١٠٠٢: متى تُحمد وتذم كل طائفة من المختلفين في النوعين السابقين، مع ضرب الأمثلة والاستدلال؟ ٦٠٠
- س ١٠٠٣: ما أنواع الاختلاف في الكتاب ممن يقرون به؟ ٦٠٢
- س ١٠٠٤: ذكر الشارح أن الاختلاف في الكتاب ممن يقرون به على نوعين. أوضحهما مع ضرب الأمثلة؟ ٦٠٢
- س ١٠٠٥: ما الدين الذي يقبله الله ولا يقبل غيره؟ ٦٠٧
- س ١٠٠٦: استدلل لعنوان هذا الفصل: (الإسلام دين الوسطية)؟ ٦٠٨
- س ١٠٠٧: ذكر الطحاوي أن الإسلام وسط بين التشبيه والتعطيل، فما معناه؟ ٦٠٩
- س ١٠٠٨: ذكر الطحاوي أن الإسلام وسط بين الجبر والقدر، فما معناه؟ ٦٠٩
- س ١٠٠٩: ذكر الطحاوي أن الإسلام وسط بين الأمن والإياس، فما معناه؟ ٦١٠
- س ١٠١٠: إلام أشار الطحاوي بقوله: "فهذا ديننا واعتقادنا ظاهراً وباطناً، ونبراً إلى الله تعالى من كل من خالف الذي ذكرناه..."؟ ٦١٣
- س ١٠١١: ما الفرق الضالة التي ذكرها الطحاوي في آخر كلامه؟ وبماذا حكم عليهم؟ ٦١٣
- س ١٠١٢: من هم المشبهة؟ ومن أشهر من عرف عنه التشبيه؟ ٦١٣
- س ١٠١٣: من هم المعتزلة؟ ولم سُموا بهذا الاسم؟ ومن أشهر من عرف عنه الاعتزال من زعمائها؟ ٦١٤
- س ١٠١٤: من الذي وضع أصول مذهب المعتزلة؟ ٦١٤
- س ١٠١٥: ما هي أصول المعتزلة الخمسة، وما معتقدهم في أفعال الرب تعالى؟ وبم رد عليهم الشارح؟ ٦١٤
- س ١٠١٦: من أصول المعتزلة الخمسة، العدل، فماذا استروا تحت هذا الأصل؟ وما الرد العقلي الذي رد الشارح به؟ ٦١٥
- س ١٠١٧: التوحيد من أصول المعتزلة الخمسة، فماذا استروا تحت هذا الأصل؟ وما الرد العقلي الذي رده الشارح؟ ٦١٥
- س ١٠١٨: من أصول المعتزلة الخمسة الوعيد، فماذا استروا تحت هذا الأصل؟ ٦١٥
- س ١٠١٩: ما معتقد المعتزلة في أصلهم: المنزل بين المنزلتين؟ ٦١٦
- س ١٠٢٠: من أصول المعتزلة الخمسة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فماذا استروا تحت هذا الأصل؟ ٦١٦
- س ١٠٢١: ما منزلة التوحيد والعدل عند المعتزلة؟ أو ما منزلة العقل والنص الشرعي عند المعتزلة؟ ٦١٦
- س ١٠٢٢: من هم الجهمية؟ وما أصل عقيدتهم، ومن أشهر من عرف بالتجهم؟ ٦١٧
- س ١٠٢٣: هل الجهمية من الثنتين والسبعين فرقة أم لا؟ ٦١٨
- س ١٠٢٤: لماذا اشتهرت مقالة الجهمية؟ ٦١٨
- س ١٠٢٥: ما البدع الشنيعة التي انفرد الجهم بها؟ ٦١٨
- س ١٠٢٦: ما أصل فرقة الجبرية، وما أشهر بدعهم؟ ٦١٩
- س ١٠٢٧: هل وردت أحاديث في ذم القدرية؟ ٦١٩
- س ١٠٢٨: لم وقعت، ومتى نشأت أكبر البدع؟ ٦١٩
- س ١٠٢٩: ما سبب ضلال هذه الفرق وانحرافها عن الصراط المستقيم؟ ٦٢٠
- س ١٠٣٠: ذكر الشارح أن لفرق الضلال في الوحي طريقتان، ما هما؟ ٦٢١
- س ١٠٣١: من فرق الضلال أهل التبديل، وهم نوعان. ما هما؟ ٦٢٢

- س ١٠٣٢: من فرق الضلال أهل التبديل وهم نوعان، أحد النوعين أهل الوهم والتخيل، عرّف بهم وبطريقتهم؟ ٦٢٢
- س ١٠٣٣: من فرق الضلال أهل التبديل وهم نوعان، أحد النوعين أهل التحريف والتأويل، عرّف بهم وبطريقتهم؟ ٦٢٢
- س ١٠٣٤: الطريقة الثانية من طرق أهل الضلال، طريقة التجهيل، عرف بحقيقة قولهم؟ ٦٢٢
- س ١٠٣٥: ما أحسن ترتيب يُرتب عليه كتاب أصول الدين (العقيدة)؟ ٦٢٣



فهرس المصطلحات العقدية

الصفحة	اسم المصطلح
١٤	الجوهر
١٤	الجسم
١٤	العرض
١٨	الحلول
١٩	الاتحاد
٢٠	الماهية
٢٠	المانوية
٢٤	الفناء
٣٥	النقيضان
٣٦	المطلق الكلبي
٤٠	التسلسل
٤٧	قياس التمثيل
٤٧	قياس الشمول
١٠٥	العقل الفعال
١٦١	المركب
١٦٢	المتحيز
١٦٢	الهَيُولَى
١٧٨	القرامطة

فَهْرَسْتُ الْمَوْضُوعَاتِ

الموضوع	الصفحة
التمهيد	٥
الفصل الأول: المقدمة	١١
الفصل الثاني: أنواع التوحيد	١٧
الفصل الثالث: القدر	٧١
الفصل الرابع: الإيمان بالرسول	٨١
الفصل الخامس: القرآن كلام الله تعالى ليس بمخلوق	١٠٣
الفصل السادس: الرؤية	١٣٣
الفصل السابع: علم الكلام	١٥٧
الفصل الثامن: التأويل	١٦٩
الفصل التاسع: الإسراء والمعراج	١٨٩
الفصل العاشر: الحوض	١٩٧
الفصل الحادي عشر: الشفاعة	٢٠٣
الفصل الثاني عشر: الميثاق	٢١٥
الفصل الثالث عشر: علم الله وتقديره المقادير	٢٢٧
الفصل الرابع عشر: العرش والكرسي	٢٥٩
الفصل الخامس عشر: العلو	٢٦٧
الفصل السادس عشر: الخلّة	٢٨١
الفصل السابع عشر: الإيمان بالملائكة والكتب	٢٨٩
الفصل الثامن عشر: الكفر، وتكفير المعين	٣٠٩
الفصل التاسع عشر: زيادة الإيمان ونقصانه ودخول العمل فيه	٣٣٥

الموضوع	الصفحة
الفصل العشرون: خبر الآحاد	٣٦٣
الفصل الحادي والعشرون: الولاية	٣٧١
الفصل الثاني والعشرون: الكبيرة وأحكامها	٣٨٧
الفصل الثالث والعشرون: طاعة ولي الأمر في غير معصية الله	٤٠١
الفصل الرابع والعشرون: الإيمان بالملائكة	٤١٣
الفصل الخامس والعشرون: حقيقة الروح، وعذاب القبر	٤١٩
الفصل السادس والعشرون: الإيمان بالبعث والجزاء	٤٤١
الفصل السابع والعشرون: الجنة والنار	٤٦١
الفصل الثامن والعشرون: الاستطاعة	٤٧٧
الفصل التاسع والعشرون: خلق أفعال العباد	٤٨٩
الفصل الثلاثون: الدعاء	٥١١
الفصل الحادي والثلاثون: غضب الله ورضاه	٥٢٩
الفصل الثاني والثلاثون: حب الصحابة دين وإيمان وإحسان	٥٣٧
الفصل الثالث والثلاثون: الولاية، وخوارق العادات	٥٧١
الفصل الرابع والثلاثون: الجماعة، والاختلاف	٥٩٥
الفصل الخامس والثلاثون: الإسلام دين الوسطية	٦٠٥
الفصل السادس والثلاثون: الفرق الضالة	٦١١
فهرس الأسئلة	٦٢٥
فهرس المصطلحات العقيدية	٦٦٥
فهرس الموضوعات	٦٦٦

